مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:
لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الثاني

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ

قَالَ الشَّيخ السَّعد:
لَعَلَّهُ بِصَنِيعِهِ هَذَا يَكُونُ
مِنْ أَحْسَنِ مَنِ اخْتَصَرَ هَذَا الكِتَابِ

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طَبْعَةٌ مَزِيدَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ

المُجَلَّدُ الثَّانِي

التُّرَاثُ الذَّهَبِيّ
الرِّيَاض

مَكْتَبَةُ الإِمَامِ الذَّهَبِيّ
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر
تفسير الطبري

٢

الطَّبْعَة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية - الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

سُورَةُ الأَعْرَافِ (٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَمِائَتَانِ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الأَعْرَافُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١].

﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١] قَدْ ذَكَرْنَا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ بِشَوَاهِدِهِ وَأَدِلَّتِهِ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾ [الأعراف: ٢].

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ يَا مُحَمَّدُ فِي كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ..

﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ فَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِهِ مَنْ أَرْسَلْتُكَ لِإِنْذَارِهِ بِهِ، وَإِبْلَاغِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِبْلَاغِهِ إِيَّاهُ، وَلَا تَشُكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَاصْبِرْ بِالْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ وَاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ فِيمَا كَلَّفَكَ وَحَمَّلَكَ مِنْ عِبْءِ أَثْقَالِ النُّبُوَّةِ، كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ.. وَالْحَرَجُ: هُوَ الضِّيقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ..

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لِتُنْذِرَ بِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِنْذَارِهِ..

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾ [الأعراف: ٢] أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ لِتُنْذِرَ بِهِ، وَتُذَكِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ.. وَهُوَ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَمَعْنَاهُ: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ لِتُنْذِرَ بِهِ، وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③﴾ [الأعراف: ٣].

﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ: اتَّبِعُوا أَيُّهَا النَّاسُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قُلْتَ: مَعْنَى الْكَلَامِ: (قُلِ

اتَّبِعُوا)، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَوْجُودًا ذِكْرُ الْقَوْلِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا صَرِيحًا، فَإِنَّ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةً عَلَيْهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢]، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ الْأَمْرُ بِالْإِنْذَارِ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْإِنْذَارِ الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ؛ لِأَنَّ الْإِنْذَارَ قَوْلٌ، فَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: أَنْذِرِ الْقَوْمَ وَقُلْ لَهُمْ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: قَوْلُهُ ﴿اتَّبِعُوا﴾ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمَعْنَاهُ: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ، اتَّبِعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، إِذِ ابْتَدَأَ خِطَابَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَعَلَ الْفِعْلَ لِلْجَمِيعِ، إِذْ كَانَ أَمْرُ اللهِ نَبِيَّهُ بِأَمْرٍ أَمْرًا مِنْهُ لِجَمِيعِ أُمَّتِهِ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ يُفْرَدُ بِالْخِطَابِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَجَمَاعَةُ أَتْبَاعِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ: أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ؟ أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ اللهِ؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا غَيْرَ مَدْفُوعٍ، فَالْقَوْلُ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ أَوْلَى بِمَعْنَى الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ الَّذِي وَصَفْنَا عَلَيْهِ..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مَا جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ شَيْئًا غَيْرَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ أَوْلِيَائِكُمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَكُمْ بِالشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَإِنَّهُمْ يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَهْدُونَكُمْ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣] قَلِيلًا مَا تَتَّعِظُونَ وَتَعْتَبِرُونَ، فَتُرَاجِعُونَ الْحَقَّ.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: ٤].

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: حَذِّرْ هَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ غَيْرِي وَالْعَادِلِينَ بِيَ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ سَخَطِي، لَا أُحِلُّ بِهِمْ عُقُوبَتِي فَأُهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَكَثِيرًا مَا أَهْلَكْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ قُرًى عَصَوْنِي وَكَذَّبُوا رُسُلِي وَعَبَدُوا غَيْرِي.. وَقِيلَ: ﴿وَكَم﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ كَثْرَةِ مَا قَدْ أَصَابَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ وَخِلَافِهِمْ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ أَهْلَكَ قُرًى، فَمَا فِي خَبَرِهِ عَنْ إِهْلَاكِهِ الْقُرَى مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى إِهْلَاكِهِ أَهْلَهَا؟ قِيلَ: إِنَّ الْقُرَى لَا تُسَمَّى قُرًى، وَلَا الْقَرْيَةُ قَرْيَةً، إِلَّا وَفِيهَا مَسَاكِنُ لِأَهْلِهَا وَسُكَّانٌ مِنْهُمْ، فَفِي إِهْلَاكِهَا إِهْلَاكُ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ

الْعَرَبِيَّةِ يَرَىٰ أَنَّ الْكَلَامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُهَا، وَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ لِمُوَافَقَتِهِ ظَاهِرَ التَّنْزِيلِ الْمَتْلُوِّ..

﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ فَجَاءَتْهُمْ عُقُوبَتُنَا وَنِقْمَتُنَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ وَإِنْ كَانَ مَجِيءُ بَأْسِ اللهِ إِيَّاهَا بَعْدَ هَلَاكِهَا، فَمَا وَجْهُ مَجِيءِ ذَلِكَ قَوْمًا قَدْ هَلَكُوا وَبَادُوا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ وَلَا بِمَسَاكِنِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ لِذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَجْهَيْنِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ وَاضِحٌ مَنْهَجُهُ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِخِذْلَانِنَا إِيَّاهَا عَنِ اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، وَاخْتِيَارِهَا اتِّبَاعَ أَمْرِ أَوْلِيَائِهَا الْمُغْوِيهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا، فَجَاءَهَا بَأْسُنَا إِذْ فَعَلَتْ ذَلِكَ بَيَاتًا، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ، فَيَكُونُ إِهْلَاكُ اللهِ إِيَّاهَا خِذْلَانَهُ لَهَا عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَكُونُ مَجِيءُ بَأْسِ اللهِ إِيَّاهُمْ جَزَاءً لِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْإِهْلَاكُ هُوَ الْبَأْسُ بِعَيْنِهِ، فَيَكُونُ فِي ذِكْرِ الْإِهْلَاكِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذِكْرِ مَجِيءِ الْبَأْسِ، وَفِي ذِكْرِ مَجِيءِ الْبَأْسِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذِكْرِ الْإِهْلَاكِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ سَوَاءً عِنْدَ الْعَرَبِ بُدِئَ بِالْإِهْلَاكِ ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِالْبَأْسِ، أَوْ بُدِئَ بِالْبَأْسِ ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِالْإِهْلَاكِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: (**زُرْتَنِي فَأَكْرَمْتَنِي**)، إِذْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ هِيَ الْكَرَامَةُ، فَسَوَاءٌ عِنْدَهُمْ قَدَّمَ الزِّيَارَةَ وَأَخَّرَ الْكَرَامَةَ، أَوْ قَدَّمَ الْكَرَامَةَ وَأَخَّرَ الزِّيَارَةَ، فَقَالَ: (**أَكْرَمْتَنِي فَزُرْتَنِي**)..

﴿بَيَٰتًا﴾ لَيْلًا قَبْلَ أَنْ يُصْبِحُوا..

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: ٤] أَوْ جَاءَتْهُمْ قَائِلِينَ، يَعْنِي نَهَارًا فِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ.. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ (أَوْ) فِي الْكَلَامِ اجْتِلَابُ الشَّكِّ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ فِي خَبَرِ اللهِ شَكٌّ؟ قِيلَ: إِنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ خِلَافُ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَ بَعْضَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا، وَبَعْضَهَا وَهُمْ قَائِلُونَ، وَلَوْ جَعَلَ مَكَانَ (أَوْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (الْوَاوَ) لَكَانَ الْكَلَامُ كَالْمُحَالِ، وَلَصَارَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ جَاءَهَا بَأْسُهُ بَيَاتًا، وَفِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ؛ إِذْ لَمْ يَفْصِلِ الْقُرَىٰ الَّتِي جَاءَهَا الْبَأْسُ بَيَاتًا مِنَ الْقُرَىٰ الَّتِي جَاءَهَا ذَلِكَ قَائِلَةً، وَلَوْ فُصِلَتْ لَمْ يُخْبَرْ عَنْهَا إِلَّا بِالْوَاوِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ خَبَرًا عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي أَتَاهُمْ فِيهِ بَأْسُ اللهِ مِنَ النَّهَارِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ، فَإِنْ قَالَ: أَوَ لَيْسَ الْمَوَاقِيتُ فِي مِثْلِ هَذَا تَكُونُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالْوَاوِ الدَّالِّ عَلَىٰ الْوَقْتِ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ يَحْذِفُونَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتِثْقَالًا لِلْجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَيْ عَطْفٍ، إِذْ كَانَ (أَوْ)

عِنْدَهُمْ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ، وَكَذَلِكَ الْوَاوُ، فَيَقُولُونَ: (لَقِيتَنِي مُمْلِقًا أَوْ وَأَنَا مُسَافِرٌ)، بِمَعْنَىٰ: أَوْ أَنَا مُسَافِرٌ، فَيَحْذِفُونَ الْوَاوَ وَهُمْ مُرِيدُوهَا فِي الْكَلَامِ؛ لِمَا وَصَفْتُ.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥].

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ فَلَمْ يَكُنْ دَعْوَىٰ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: دُعَاءَهُمْ، وَلِلدَّعْوَىٰ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا الدُّعَاءُ، وَالْآخَرُ الِادِّعَاءُ لِلْحَقِّ، وَمِنَ الدَّعْوَىٰ الَّتِي مَعْنَاهَا الدُّعَاءُ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥]..

﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ وَسَطْوَتُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ أَنَّ الْبَأْسَ وَالْبَأْسَاءَ: الشِّدَّةُ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا اعْتِرَافَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِـ..

﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥] أَنَّهُمْ كَانُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مُسِيئِينَ، وَبِرَبِّهِمْ آثِمِينَ، وَلِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مُخَالِفِينَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا هَلَكَ قَوْمٌ حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»، وَمَعْنَاه: أَنَّ اللهَ لَا يُهْلِكُهُم حُتَّىٰ تَكْثُرَ ذُنُوبُهُم وَعُيُوبُهُم، وَتَقُومَ الحُجَّةُ عَلَيْهِم، وَيَتَضِحُ لَهُم عُذْرُ مَنْ يُعَاقِبُهُم.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾، وَكَيْفَ أَمْكَنَتْهُمُ الدَّعْوَىٰ بِذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَهُمْ بَأْسُ اللهِ بِالْهَلَاكِ، أَقَالُوا ذَلِكَ قَبْلَ الْهَلَاكِ؟ فَإِنْ كَانُوا قَالُوهُ قَبْلَ الْهَلَاكِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا قَبْلَ مَجِيءِ الْبَأْسِ، وَاللهُ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ حِينَ جَاءَهُمْ لَا قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ قَالُوهُ بَعْدَمَا جَاءَهُمْ، فَتِلْكَ حَالَةٌ قَدْ هَلَكُوا فِيهَا، فَكَيْفَ يَجُوزُ وَصْفُهُمْ بِقِيلِ ذَلِكَ إِذَا عَايَنُوا بَأْسَ اللهِ وَحَقِيقَةَ مَا كَانَتِ الرُّسُلُ تَعِدُهُمْ مِنْ سَطْوَةِ اللهِ؟ قِيلَ: لَيْسَ كُلُّ الْأُمَمِ كَانَ هَلَاكُهَا فِي لَحْظَةٍ، لَيْسَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ مَهَلٌ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ بِالطُّوفَانِ، فَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ ظُهُورِ السَّبَبِ الَّذِي عَلِمُوا أَنَّهُمْ بِهِ هَالِكُونَ وَبَيْنَ آخِرِهِ الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ هَلَاكُهُ الْمُدَّةُ الَّتِي لَا خَفَاءَ بِهَا عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ مُتِّعَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ ظُهُورِ عَلَامَةِ الْهَلَاكِ لِأَعْيُنِهِمْ أَيَّامًا ثَلَاثَةً، كَقَوْمِ صَالِحٍ وَأَشْبَاهِهِمْ، فَحِينَئِذٍ لَمَّا عَايَنُوا أَوَائِلَ بَأْسِ اللهِ الَّذِي كَانَتْ رُسُلُ اللهِ تَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ وَأَيْقَنُوا حَقِيقَةَ نُزُولِ سَطْوَةِ اللهِ بِهِمْ، دَعَوْا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٤]، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [غافر: ٨٥]، مَعَ مَجِيءِ وَعِيدِ اللهِ وَحُلُولِ نِقْمَتِهِ بِسَاحَتِهِمْ، فَحَذَّرَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ

سِطْوَتِهِ وَعِقَابِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، مَا حَلَّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، إِذْ عَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦].

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ الْأُمَمَ..

﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ رُسُلِي، مَاذَا عَمِلَتْ فِيمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِي مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، هَلْ عَمِلُوا بِمَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، وَأَطَاعُوا أَمْرِي، أَمْ عَصَوْنِي فَخَالَفُوا ذَلِكَ؟..

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦] وَلَنَسْأَلَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَىٰ الْأُمَمِ، هَلْ بَلَّغَتْهُمْ رِسَالَاتِي وَأَدَّتْ إِلَيْهِمْ مَا أَمَرْتُهُمْ بِأَدَائِهِ إِلَيْهِ، أَمْ قَصَّرُوا فِي ذَلِكَ فَفَرَّطُوا وَلَمْ يُبَلِّغُوهُمْ؟.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَسْأَلُ الرُّسُلَ وَالْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ يُخْبِرُ أَنَّهُ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ فِي ذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَيْسَ بِمَسْأَلَةِ اسْتِرْشَادٍ، وَلَا مَسْأَلَةِ تَعَرُّفٍ مِنْهُمْ مَا هُوَ بِهِ غَيْرُ عَالِمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَسْأَلَةُ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيرٍ مَعْنَاهَا الْخَبَرُ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ فَأَسَأْتَ؟ وَأَلَمْ أَصِلْكَ فَقَطَعْتَ؟ فَكَذَلِكَ مَسْأَلَةُ اللهِ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلِي بِالْبَيِّنَاتِ؟ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكُمُ النُّذُرَ فَتُنْذِرَكُمْ عَذَابِي وَعِقَابِي فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ غَيْرِي؟ كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَائِلٌ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١﴾ [يس: ٦٠- ٦١]، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي ظَاهِرُهُ ظَاهِرُ مَسْأَلَةٍ، وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ وَالْقَصَصُ، وَهُوَ بَعْدُ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيرٌ، وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الرُّسُلِ الَّذِي هُوَ قَصَصٌ وَخَبَرٌ، فَإِنَّ الْأُمَمَ الْمُشْرِكَةَ لَمَّا سُئِلَتْ فِي الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهَا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١] ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَقَالُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَقِيلَ لِلرُّسُلِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ أَوْ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ تُبَلِّغُوا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ كَمَا جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِأُمَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ مَسْأَلَةٌ لِلرُّسُلِ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِشْهَادِ لَهُمْ عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَمِ، وَلِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْقَصَصِ وَالْخَبَرِ، فَأَمَّا الَّذِي هُوَ عَنِ اللهِ مَنْفِيٌّ مِنْ مَسْأَلَتِهِ خَلْقَهُ، فَالْمَسْأَلَةُ الَّتِي هِيَ مَسْأَلَةُ اسْتِرْشَادٍ وَاسْتِثْبَاتٍ فِيمَا لَا

يَعْلَمُهُ السَّائِلُ عَنْهَا وَيَعْلَمُهُ الْمَسْئُولُ، لِيَعْلَمَ السَّائِلُ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهِ، فَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا وَفِي حَالِ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا، وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي نَفَاهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، يَعْنِي: لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ عِلْمَ مُسْتَثْبِتٍ، لِيَعْلَمَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَنْ سَأَلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ فَلَنُخْبِرَنَّ الرُّسُلَ وَمَنْ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِ..

﴿بِعِلْمٍۖ﴾ بِيَقِينِ عِلْمٍ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا فِيمَا كُنْتُ أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَمَا كُنْتُ نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ﴾ : (**أَنَّهُ يَنْطِقُ لَهُمْ كِتَابُ عَمَلِهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ**)، وَهَذَا قَوْلٌ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ، غَيْرَ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَفَعَلْتَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يُذَكِّرَهُ مَا فَعَلَ فِي الدُّنْيَا**»، وَالتَّسْلِيمُ لِخَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْلَىٰ مِنَ التَّسْلِيمِ لِغَيْرِهِ..

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧] عَنْهُمْ وَعَنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨].

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: (**الْوَزْنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْقَضَاءُ**).. وَقَالَ آخَرُونَ: وَزْنُ الْأَعْمَالِ.. وَالْمِيزَانُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ نَسْأَلُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَالْمُرْسَلِينَ..

﴿ٱلْحَقُّۚ﴾ الْعَدْلُ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: (**مَعْنَىٰ الْحَقِّ هَهُنَا: الْعَدْلُ**)..

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ مَوَازِينُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ.. وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَزِنُ أَعْمَالَ خَلْقِهِ الْحَسَنَاتِ مِنْهَا وَالسَّيِّئَاتِ، لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**مَا وُضِعَ فِي الْمِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُحَقِّقُ أَنَّ ذَلِكَ مِيزَانٌ يُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ.. فَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ جَاهِلٌ، بِتَوْجِيهِ مَعْنَىٰ خَبَرِ اللهِ عَنِ الْمِيزَانِ، وَخَبَرِ رَسُولِهِ ﷺ عَنْهُ وِجْهَتِهِ، وَقَالَ: أَوَ بِاللهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ وَزْنِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمِقْدَارِ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهُ

وَبَعْدَهُ فِي كُلِّ حَالٍ؟ قِيلَ لَهُ: وَزْنُهُ ذَلِكَ نَظِيرُ إِثْبَاتِهِ إِيَّاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَاسْتِنْسَاخِهِ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ، وَمِنْ غَيْرِ خَوْفٍ مِنْ نِسْيَانِهِ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ وَوَقْتٍ قَبْلَ كَوْنِهِ وَبَعْدَ وُجُودِهِ، بَلْ لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٨- ٢٩] الآيَةَ، فَكَذَلِكَ وَزْنُهُ تَعَالَىٰ أَعْمَالَ خَلْقِهِ بِالْمِيزَانِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، إِمَّا بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَتِهِ وَالتَّضْيِيعِ، وَإِمَّا بِالتَّكْمِيلِ وَالتَّتْمِيمِ، فَكَذَلِكَ وَزْنُ اللهِ أَعْمَالَ خَلْقِهِ بِأَنْ يُوضَعَ الْعَبْدُ وَكُتُبُ حَسَنَاتِهِ فِي كِفَّةٍ مِنْ كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ، وَكُتُبُ سَيِّئَاتِهِ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَىٰ، وَيُحْدِثُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثِقْلًا وَخِفَّةً فِي الْكِفَّةِ الَّتِي الْمَوْزُونُ بِهَا أَوْلَىٰ، احْتِجَاجًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ عَلَىٰ خَلْقِهِ كَفِعْلِهِ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنِ اسْتِنْطَاقِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمُ، اسْتِشْهَادًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُجَجِهِ..

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ [الأعراف: ٨] فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِالنَّجَاحِ وَأَدْرَكُوا الْفَوْزَ بِالطَّلِبَاتِ، وَالْخُلُودِ وَالْبَقَاءِ فِي الْجَنَّاتِ.

> ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾
> [الأعراف: ٩].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، فَلَمْ تَثْقُلْ بِإِقْرَارِهِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُم﴾ حُظُوظَهَا مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ..

﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٩] بِمَا كَانُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ يَجْحَدُونَ، فَلَا يُقِرُّونَ بِصِحَّتِهَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِحَقِيقَتِهَا.

> ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: ١٠].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ وَلَقَدْ وَطَّأْنَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وَجَعَلْنَاهَا لَكُمْ قَرَارًا تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا، وَمِهَادًا تَمْتَهِدُونَهَا، وَفِرَاشًا تَفْتَرِشُونَهَا..

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تَعِيشُونَ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، مِنْ مَطَاعِمَ وَمَشَارِبَ، نِعْمَةً مِنِّي عَلَيْكُمْ وَإِحْسَانًا مِنِّي إِلَيْكُمْ.. وَالْمَعَايِشُ: جَمْعُ مَعِيشَةٍ..

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: ١٠] وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ شُكْرُكُمْ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ لِعِبَادَتِكُمْ غَيْرِي، وَاتِّخَاذِكُمْ إِلَهًا سِوَايَ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ..

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ بِتَصْوِيرِنَا آدَمَ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ خِطَابِ الْعَرَبِ الرَّجُلَ بِالْأَفْعَالِ تُضِيفُهَا إِلَيْهِ، وَالْمَعْنِيُّ فِي ذَلِكَ سَلَفُهُ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمَنْ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْخِطَابِ الْمُوَجَّهِ إِلَىٰ الْحَيِّ الْمَوْجُودِ وَالْمُرَادُ بِهِ السَّلَفُ الْمَعْدُومُ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ مَعْنَاهُ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ، ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ..

﴿ثُمَّ﴾ لَمَّا صَوَّرْنَا آدَمَ، وَجَعَلْنَاهُ خَلْقًا سَوِيًّا، وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ ابْتِلَاءً مِنَّا، وَاخْتِبَارًا لَهُمْ بِالْأَمْرِ، لِيَعْلَمَ الطَّائِعَ مِنْهُمْ مِنَ الْعَاصِي..

﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ..

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ..

﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: ١١] لِآدَمَ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ مَعَ مَنْ أَمَرَ مِنْ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ امْتَحَنَ جَلَّ جَلَالُهُ مَلَائِكَتَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَأَمْرَ إِبْلِيسَ وَقَصَصَهُ.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِهِ لِإِبْلِيسَ إِذْ عَصَاهُ فَلَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ إِذْ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ..

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ فَأَحْوَجَكَ أَنْ تَدَعَ السُّجُودَ لِآدَمَ.. فَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَجَكَ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ (لا) فِي الْكَلَامِ حَشْوٌ لَا مَعْنَىٰ لَهَا..

﴿إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ أَنْ تَسْجُدَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ أَنَا خَيْرٌ مِنْ آدَمَ..

﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ إِبْلِيسَ إِيَّاهُ إِذْ سَأَلَهُ: مَا الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَأَحْوَجَهُ إِلَىٰ أَنْ لَا يَسْجُدَ لَهُ، وَاضْطَرَّهُ إِلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَهُ بِهِ وَتَرْكِهِ طَاعَتَهُ، أَنَّ الْمَانِعَ كَانَ لَهُ مِنَ السُّجُودِ وَالدَّاعِي لَهُ إِلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُ أَشَدُّ مِنْهُ أَيْدًا، وَأَقْوَىٰ مِنْهُ قُوَّةً، وَأَفْضَلُ مِنْهُ فَضْلًا، لِفَضْلِ الْجِنْسِ الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ وَهُوَ النَّارُ، مِنَ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ وَهُوَ الطِّينُ، فَجَهَلَ عَدُوُّ اللهِ وَجْهَ الْحَقِّ، وَأَخْطَأَ سَبِيلَ الصَّوَابِ؛ إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ النَّارِ الْخِفَّةَ وَالطَّيْشَ وَالِاضْطِرَابَ وَالِارْتِفَاعَ عُلُوًّا، وَالَّذِي فِي جَوْهَرِهَا مِنْ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي حَمَلَ الْخَبِيثَ بَعْدَ الشَّقَاءِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ عَلَىٰ الِاسْتِكْبَارِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ وَالِاسْتِخْفَافِ بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَأَوْرَثَهُ الْعَطَبَ وَالْهَلَاكَ، وَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ الطِّينِ الرَّزَانَةَ وَالْأَنَاةَ وَالْحِلْمَ وَالْحَيَاءَ وَالتَّثَبُّتَ، وَذَلِكَ الَّذِي فِي جَوْهَرِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ الدَّاعِي لِآدَمَ بَعْدَ السَّعَادَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْ رَبِّهِ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ، إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ خَطِيئَتِهِ، وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ الْعَفْوَ عَنْهُ وَالْمَغْفِرَةَ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ يَقُولَانِ: (**أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ**)، يَعْنِيَانِ بِذَلِكَ: الْقِيَاسَ الْخَطَأَ، وَهُوَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ خَطَأِ قَوْلِهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ فِي الْفَضْلِ الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ آدَمَ عَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ، مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ، وَنَفْخِهِ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَإِسْجَادِهِ لَهُ الْمَلَائِكَةَ، وَتَعْلِيمِهِ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ سَائِرِ مَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَضَرَبَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْجَاهِلُ صَفْحًا، وَقَصَدَ إِلَىٰ الِاحْتِجَاجِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا لَهُ غَيْرُ كُفْءٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لِآدَمَ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ تَكْرِمَةٌ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ، فَكَيْفَ وَالَّذِي خَصَّ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ يَكْثُرُ تِعْدَادُهُ وَيُمَلُّ إِحْصَاؤُهُ؟.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فَلَيْسَ لَكَ..

﴿أَن تَتَكَبَّرَ﴾ أَنْ تَسْتَكْبِرَ عَنْ طَاعَتِي وَأَمْرِي..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ.. فَاهْبِطْ مِنَ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْكُنُ الْجَنَّةَ مُتَكَبِّرٌ عَنْ أَمْرِ اللهِ، فَأَمَّا غَيْرُهَا فَإِنَّهُ قَدْ يَسْكُنُهَا الْمُسْتَكْبِرُ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَالْمُسْتَكِينُ لِطَاعَتِهِ..

﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾ [الأعراف: ١٣] الَّذِينَ قَدْ نَالَهُمْ مِنَ اللهِ الصَّغَارُ وَالذُّلُّ وَالْمَهَانَةُ.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾ [الأعراف: ١٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ..

﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾ أَخِّرْنِي وَأَجِّلْنِي، وَأَنْسِئْ فِي أَجَلِي، وَلَا تُمِتْنِي..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾ [الأعراف: ١٤] إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُ الْخَلْقُ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ.. وَهَذِهِ أَيْضًا جَهْلَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ جَهَلَاتِهِ الْخَبِيثَةِ، سَأَلَ رَبَّهُ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّظِرَةَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ يُبْعَثُ فِيهِ الْخَلْقُ، وَلَوْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ مِنَ النَّظِرَةِ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ الْخُلُودَ وَبَقَاءً لَا فَنَاءَ مَعَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَوْتَ بَعْدَ الْبَعْثِ.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٥].

﴿قَالَ﴾ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُ..

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: ١٥] وَذَلِكَ إِلَىٰ الْيَوْمِ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْهَلَاكَ وَالْمَوْتَ وَالْفَنَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَبْقَىٰ فَلَا يَفْنَىٰ غَيْرُ رَبِّنَا الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وَالْإِنْظَارُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأْخِيرُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْظَرْتُهُ بِحَقِّي عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ قَالَ لَهُ إِذْ سَأَلَهُ الْإِنْظَارَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَدْ أَجَابَهُ إِلَىٰ مَا سَأَلَ؟ قِيلَ لَهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ مُجِيبًا لَهُ إِلَىٰ مَا سَأَلَ لَوْ كَانَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي سَأَلْتَ، أَوْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ، أَوْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ إِجَابَتِهِ إِلَىٰ مَا سَأَلَ مِنَ النَّظِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ فَلَا دَلِيلَ فِيهِ، لَوْلَا الْآيَةُ الْأُخْرَىٰ الَّتِي قَدْ بَيَّنَ فِيهَا مُدَّةَ إِنْظَارِهِ إِيَّاهُ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٣٨﴾ [الحجر: ٣٧- ٣٨]، عَلَىٰ الْمُدَّةِ الَّتِي أَنْظَرَهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْظَرَهُ يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ أَقَلَّ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عِدَادِ الْمُنْظَرِينَ،

وَتَمَّ فِيهِ وَعْدُ اللهِ الصَّادِقُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ بَيَّنَ قَدْرَ مُدَّةِ ذَلِكَ بِالَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي أُنْظِرَ إِلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ أَحَدٌ مُنْظَرٌ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ سِوَىٰ إِبْلِيسَ، فَيُقَالُ لَهُ إِنَّكَ مِنْهُمْ؟ قِيلَ: نَعَمْ، مَنْ لَمْ يَقْبِضِ اللهُ رُوحَهُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِمَّنْ تَقُومُ عَلَيْهِ السَّاعَةُ، فَهُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ بِآجَالِهِمْ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِإِبْلِيسَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥] بِمَعْنَىٰ: إِنَّكَ مِمَّنْ لَا يُمِيتُهُ اللهُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦].

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فَبِمَا أَضْلَلْتَنِي.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُه بِمَا أَهْلَكْتَنِي، وَأَصْلُ الْإِغْوَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: تَزْيِينُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ الشَّيْءَ حَتَّىٰ يُحَسِّنَهُ عِنْدَهُ غَارًّا لَهُ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْقَسَمِ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: فَبِإِغْوَائِكَ إِيَّايَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، كَمَا يُقَالُ: بِاللهِ لَأَفْعَلَنَّ كَذَا.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْمُجَازَاةِ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: فَلِأَنَّكَ أَغْوَيْتَنِي، أَوْ فَبِأَنَّكَ أَغْوَيْتَنِي..

﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ لَأَجْلِسَنَّ..

﴿لَهُمْ﴾ لِبَنِي آدَمَ..

﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦] طَرِيقَكَ الْقَوِيمَ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الْحَقُّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَأَصُدَّنَّ بَنِي آدَمَ عَنْ عِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ كَمَا أَغْوَيْتَنِي، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ كَمَا أَضْلَلْتَنِي، وَذَلِكَ كَمَا رُوِيَ عَنْ سَبْرَةَ بْنِ الْفَاكِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَالْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ وَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَقَالَ: أَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلَ فَتُنْكَحَ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ**»، فَالَّذِي رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَأَوْلَىٰ بِالتَّأْوِيلِ، لِأَنَّ الْخَبِيثَ لَا يَأْلُو عِبَادَ اللهِ الصَّدَّ عَنْ كُلِّ مَا كَانَ لَهُمْ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ.. وَفِي هَذَا بَيَانٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ فَسَادِ مَا يَقُولُ الْقَدَرِيَّةُ، مِنْ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَفَرَ أَوْ آمَنَ فَبِتَفْوِيضِ اللهِ أَسْبَابَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَأَنَّ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ يَصِلُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَصِلُ الْكَافِرُ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ الْخَبِيثُ قَدْ قَالَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فَبِمَا أَصْلَحْتَنِي، إِذْ كَانَ سَبَبُ الْإِغْوَاءِ هُوَ سَبَبَ الْإِصْلَاحِ، وَكَانَ فِي

إِخْبَارِهِ عَنِ الْإِغْوَاءِ إِخْبَارٌ عَنِ الْإِصْلَاحِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ سَبَبَاهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ غَوَىٰ وَهَلَكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: (قَاتَلَ اللهُ الْقَدَرِيَّةَ، لَإِبْلِيسُ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْهُمْ).

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧].

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَأَصُدُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَأُحَسِّنُ لَهُمُ الْبَاطِلَ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقْعُدُ لِبَنِي آدَمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَسْلُكُوهُ، وَهُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ دِينِ اللهِ الْحَقِّ..

﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فَيَأْتِيهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ وُجُوهِهِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فَيَصُدُّهُمْ عَنْهُ، وَذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَمَنَ الْوَجْهِ الَّذِي نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، فَيُزَيِّنُهُ لَهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ.. وَقِيلَ: وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ فَوْقِهِمْ) لِأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَنْزِلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ فَوْقِهِمْ..

﴿وَلَا تَجِدُ﴾ يا رَبِّ..

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ أَكْثَرَ بَنِي آدَمَ..

﴿شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧] لَكَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، كَتَكْرِمَتِكَ أَبَاهُمْ آدَمَ بِمَا أَكْرَمْتَهُ بِهِ، مِنْ إِسْجَادِكَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ، وَتَفْضِيلِكَ إِيَّاهُ عَلَيَّ، وَشُكْرِهِمْ إِيَّاهُ طَاعَتَهُمْ لَهُ بِالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿مَذْءُومًا﴾ مَعِيبًا.. وَالذَّأْمُ: الْعَيْبُ، وَيَتْرُكُونَ الْهَمْزَ فَيَقُولُونَ: ذِمْتُهُ، وَالذَّأْمُ وَالذَّيْمُ أَبْلَغُ فِي الْعَيْبِ مِنَ الذَّمِّ..

﴿مَّدْحُورًا﴾ مَقْصِيًّا.. يُقَالُ: دَحَرَهُ، إِذَا أَقْصَاهُ وَأَخْرَجَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ادْحَرْ عَنْكَ الشَّيْطَانَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ إِحْلَالِهِ بِالْخَبِيثِ عَدُوِّ اللهِ مَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ وَلَعْنَتِهِ، وَطَرْدِهِ إِيَّاهُ عَنْ جَنَّتِهِ، إِذْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَرَاجَعَهُ مِنَ الْجَوَابِ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مُرَاجَعَتُهُ بِهِ.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨﴾ [الأعراف: ١٨] هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَقْسَمَ أَنْ مَنِ اتَّبَعَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ وَأَطَاعَهُ وَصَدَّقَ ظَنَّهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَمْلأَ مِنْ جَمِيعِهِمْ، يَعْنِي مِنْ كَفَرَةِ بَنِي آدَمَ تُبَّاعِ إِبْلِيسَ، وَمِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ، جَهَنَّمَ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً كَذَّبَ ظَنَّ عَدُوِّ اللهِ فِي نَفْسِهِ، وَخَيَّبَ فِيهَا أَمَلَهُ وَأُمْنِيَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ أَطْمَعَ فِيهَا عَدُوَّهُ، وَاسْتَغَشَّهُ وَلَمْ يَسْتَنْصِحْهُ.. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عِبَادَهُ عَلَىٰ قِدَمِ عَدَاوَةِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ -إِبْلِيسَ- لَهُمْ، وَسَالِفِ مَا سَلَفَ مِنْ حَسَدِهِ لِأَبِيهِمْ، وَبَغْيِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، وَعَرَّفَهُمْ مَوَاقِعَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا فِي أَنْفُسِهِمْ وَوَالِدِهِمْ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف: ١٩].

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ وَقَالَ اللهُ لِآدَمَ: يَا آدَمُ..

﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فَأَسْكَنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ، بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ مِنْهَا إِبْلِيسُ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا..

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ وَأَبَاحَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ ثِمَارِهَا مِنْ أَيِّ مَكَانٍ شَاءَا مِنْهَا..

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وَنَهَاهُمَا أَنْ يَقْرَبَا ثَمَرَ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا..

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف: ١٩] مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَفَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِمَا، وَتِلْكَ الْوَسْوَسَةُ كَانَتْ قَوْلَهُ لَهُمَا: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾، وَإِقْسَامُهُ لَهُمَا عَلَىٰ ذَٰلِكَ.. فَحَدَّثَ إِبْلِيسُ إِلَىٰ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِمَا: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ..

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وَارَاهُ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ عَوْرَاتِهِمَا فَغَطَّاهُ بِسِتْرِهِ الَّذِي سَتَرَهُ عَلَيْهِمَا.. وَكَانَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ يَقُولُ فِي السِّتْرِ الَّذِي كَانَ اللهُ سَتَرَهُمَا بِهِ: (كَانَ عَلَيْهِمَا نُورٌ لا تُرَىٰ سَوْءَاتُهُمَا)..

﴿وَقَالَ﴾ الشَّيْطَانُ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ حَوَّاءَ..

﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أَنْ تَأْكُلَا ثَمَرَهَا..

﴿إِلَّآ أَن﴾ إِلَّا لِئَلَّا.. وَأُسْقِطَتْ (لَا) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهَا، كَمَا أُسْقِطَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، وَالْمَعْنَىٰ: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ لَا تَضِلُّوا..

﴿تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠] فِي الْجَنَّةِ، الْمَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا فَلَا تَمُوتَا.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وَحَلَفَ لَهُمَا، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]، بِمَعْنَىٰ: تَحَالَفُوا بِاللهِ..

﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] لَمِمَّنْ يَنْصَحُ فِي مَشُورَتِهِ لَكُمَا، وَأَمْرِهِ إِيَّاكُمَا بِأَكْلِ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيتُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرِهَا، وَفِي خَبَرِي إِيَّاكُمَا بِمَا أُخْبِرُكُمَا بِهِ مِنْ أَنَّكُمَا إِنْ أَكَلْتُمَاهُ كُنْتُمَا مَلَكَيْنِ، أَوْ كُنْتُمَا مِنَ الْخَالِدَيْنِ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(فَحَلَفَ لَهُمَا بِاللهِ حَتَّىٰ خَدَعَهُمَا، وَقَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ، فَقَالَ: إِنِّي خُلِقْتُ قَبْلَكُمَا وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا، فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدْكُمَا).**

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فَخَدَعَهُمَا..

﴿بِغُرُورٍ﴾ بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلٍ..

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ فَلَمَّا طَعِمَا آدَمُ وَحَوَّاءُ ثَمَرَ الشَّجَرَةِ..

﴿بَدَتْ﴾ انْكَشَفَتْ..

﴿لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ لِأَنَّ اللهَ أَعْرَاهُمَا مِنَ الْكِسْوَةِ الَّتِي كَانَ كَسَاهُمَا قَبْلَ الذَّنْبِ وَالْخَطِيئَةِ، فَسَلَبَهُمَا ذَلِكَ بِالْخَطِيئَةِ الَّتِي أَخْطَئَا، أَوِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي رَكِبَا..

﴿وَطَفِقَا﴾ وَأَقْبَلَا، وَجَعَلَا..

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يَشُدَّانِ عَلَيْهِمَا..

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ﴾ لِيُوَارِيَا سَوْآتِهِمَا..

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ وَنَادَىٰ آدَمَ وَحَوَّاءَ رَبُّهُمَا..

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ أَكْلِ ثَمَرَةِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلْتُمَا ثَمَرَهَا..

﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ وَأُعْلِمْكُمَا..

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ إِنَّ إِبْلِيسَ..

﴿لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ [الأعراف: ٢٢] قَدْ أَبَانَ عَدَاوَتَهُ لَكُمَا بِتَرْكِ السُّجُودِ لِآدَمَ حَسَدًا وَبَغْيًا.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿قَالَا﴾ آدَمُ وَحَوَّاءُ لِرَبِّهِمَا..

﴿رَبَّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ فَعَلْنَا بِأَنْفُسِنَا مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهَا بِمَعْصِيَتِكَ وَخِلَافِ أَمْرِكَ وَبِطَاعَتِنَا عَدُوَّنَا وَعَدُوَّكَ، فِيمَا لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نُطِيعَهُ فِيهِ، مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتَنَا عَنْ أَكْلِهَا..

﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْتُرْ عَلَيْنَا ذَنْبَنَا، فَتُغَطِّيَهُ عَلَيْنَا، وَتَتْرُكْ فَضِيحَتَنَا بِهِ بِعُقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهِ..

﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ بِتَعَطُّفِكَ عَلَيْنَا، وَتَرْكِكَ أَخْذَنَا بِهِ..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] الْهَالِكِينَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فِيمَا أَجَابَاهُ بِهِ، وَاعْتِرَافِهِمَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا بِالذَّنْبِ، وَمَسْأَلَتِهِمَا إِيَّاهُ الْمَغْفِرَةَ مِنْهُ وَالرَّحْمَةَ، خِلَافُ جَوَابِ اللَّعِينِ إِبْلِيسَ إِيَّاهُ.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤].

﴿قَالَ﴾ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ..

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ اهْبِطُوا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ﴾ يَا آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قَرَارٌ تَسْتَقِرُّونَهُ، وَفِرَاشٌ تَمْتَهِدُونَهُ، وَلَمْ يُخَصِّصْهَا بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرًّا فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ دُونَ حَالِ مَوْتِهِمْ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْهَا بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرًّا، فَذَلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّ خَبَرُ اللهِ، وَلَهُمْ فِيهَا مُسْتَقَرٌّ فِي حَيَاتِهِمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي بَطْنِهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ

ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝﴾ [المرسلات: ٢٥- ٢٦]..

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ تَسْتَمْتِعُونَ بِهِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ۝﴾ [الأعراف: ٢٤] إِلَىٰ انْقِطَاعِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ هُوَ الْحِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَالْحِينُ نَفْسُهُ الْوَقْتُ، غَيْرَ أَنَّهُ مَجْهُولُ الْقَدْرِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فِعْلِهِ بِإِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَآدَمَ وَوَلَدِهِ.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِلَّذِينَ أَهْبَطَهُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ إِلَىٰ أَرْضِهِ:..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿تَحْيَوْنَ﴾ تَكُونُونَ فِيهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ..

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ وَفِي الْأَرْضِ تَكُونُ وَفَاتُكُمْ..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ الْأَرْضِ..

﴿تُخْرَجُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٥] يُخْرِجُكُمْ رَبُّكُمْ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ لِبَعْثِ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءً.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لِلْجَهَلَةِ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَرَّوْنَ لِلطَّوَافِ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ أَمْرَ الشَّيْطَانِ، وَتَرْكًا مِنْهُمْ طَاعَةَ اللهِ، فَعَرَّفَهُمُ انْخِدَاعَهُمْ بِغُرُورِهِ لَهُمْ، حَتَّىٰ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، فَسَلَبَهُمْ مِنْ سِتْرِ اللهِ، الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ أَبْدَىٰ سَوْءَاتِهِمْ، وَأَظْهَرَهَا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، مَعَ تَفَضُّلِ اللهِ عَلَيْهِمْ بِتَمْكِينِهِمْ مِمَّا يَسْتُرُونَهَا بِهِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ سَارَ بِهِمْ سِيرَتَهُ فِي أَبَوَيْهِمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، اللَّذَيْنِ دَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ، حَتَّىٰ سَلَبَهُمَا سِتْرَ اللهِ، الَّذِي كَانَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمَا، حَتَّىٰ أَبْدَىٰ لَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا فَعَرَّاهُمَا مِنْهُ..

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ خَلَقَهُ لَهُمْ، وَرَزَقَهُ إِيَّاهُمْ.. وَاللِّبَاسُ: مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الثِّيَابِ.

﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ يَسْتُرُ عَوْرَاتِكُمْ عَنْ أَعْيُنِكُمْ.. وَكَنَّىٰ بِالسَّوْءَاتِ عَنِ الْعَوْرَاتِ، وَاحِدَتُهَا سَوْأَةٌ، مِنَ السُّوءِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ سَوْأَةً؛ لِأَنَّهُ يَسُوءُ صَاحِبَهَا انْكِشَافُهَا مِنْ جَسَدِهِ..

﴿وَرِيشًا ۖ﴾ هُوَ الْمَتَاعُ وَالْأَمْوَالُ، وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْعَرَبُ فِي الثِّيَابِ وَالْكِسْوَةِ دُونَ سَائِرِ الْمَالِ، يَقُولُونَ: أَعْطَاهُ سَرْجًا بِرِيشِهِ، وَرَحْلًا بِرِيشِهِ: أَيْ بِكِسْوَتِهِ وَجَهَازِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَحَسَنُ

رِيشِ الثِّيَابِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الرِّيَاشُ فِي الْخِصْبِ وَرَفَاهَةِ الْعَيْشِ..

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَكِّيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ بِرَفْعِ (وَلِبَاسُ).. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) بِنَصْبِ اللِّبَاسِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ بَعْضِ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ.. فَمَنْ نَصَبَ: (وَلِبَاسَ) فَإِنَّهُ نَصَبَهُ عَطْفًا عَلَىٰ (الرِّيشِ) بِمَعْنَىٰ: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا، وَأَنْزَلْنَا لِبَاسَ التَّقْوَىٰ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا رُفِعَ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمُوهُ خَيْرٌ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ مِنْ لِبَاسِ الثِّيَابِ الَّتِي تُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَمِنَ الرِّيَاشِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكُمْ فَالْبَسُوهُ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَنْ قَرَأَهُ نَصْبًا، فَإِنَّهُ: يَا بَنِي آدَمَ، قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَرِيشًا، وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ هَذَا الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ، مِنَ اللِّبَاسِ الَّذِي يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَالرِّيشِ، وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ التَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الثِّيَابِ فِي طَوَافِكُمْ بِالْبَيْتِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَالْبَسُوا مَا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الرِّيَاشِ، وَلَا تُطِيعُوا الشَّيْطَانَ بِالتَّجَرُّدِ وَالتَّعَرِّي مِنَ الثِّيَابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُخْرِيَةٌ مِنْهُ بِكُمْ وَخُدْعَةٌ، كَمَا فَعَلَ بِأَبَوَيْكُمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَخَدَعَهُمَا حَتَّىٰ جَرَّدَهُمَا مِنْ لِبَاسِ اللهِ الَّذِي كَانَ أَلْبَسَهُمَا بِطَاعَتِهِمَا لَهُ فِي أَكْلِ مَا كَانَ اللهُ نَهَاهُمَا عَنْ أَكْلِهِ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي عَصَيَاهُ بِأَكْلِهَا.. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، أَعْنِي نَصْبَ قَوْلِهِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) لِصِحَّةِ مَعْنَاهُ فِي التَّأْوِيلِ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ، وَأَنَّ اللهَ إِنَّمَا ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْ إِنْزَالِهِ اللِّبَاسَ الَّذِي يُوَارِي سَوْآتِنَا وَالرِّيَاشِ تَوْبِيخًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَجَرَّدُونَ فِي حَالِ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ وَالِاسْتِتَارِ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ مَعَ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَتَعَرِّيهِمْ، لَا أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ بَعْضَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنْ بَعْضٍ.. وَمَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ الْآيَاتُ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا﴾، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَأْمُرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِأَخْذِ الزِّينَةِ مِنَ الثِّيَابِ وَاسْتِعْمَالِ اللِّبَاسِ وَتَرْكِ التَّجَرُّدِ وَالتَّعَرِّي، وَبِالْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِ الشَّيْطَانِ، مُؤَكِّدًا فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا قَدْ أَجْمَلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ) اسْتِشْعَارُ النُّفُوسِ تَقْوَىٰ اللهِ فِي الِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَذَلِكَ يَجْمَعُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْحَيَاءَ وَخَشْيَةَ اللهِ وَالسَّمْتَ الْحَسَنَ؛ لِأَنَّ مَنِ اتَّقَى اللهَ كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا وَبِمَا أَمَرَهُ بِهِ عَامِلًا وَمِنْهُ

خَائِفًا وَلَهُ مُرَاقِبًا، وَمِنْ أَنْ يُرَىٰ عِنْدَ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ عِبَادِهِ مُسْتَحْيِيًا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ ظَهَرَتْ آثَارُ الْخَيْرِ فِيهِ، فَحَسُنَ سَمْتُهُ وَهَدْيُهُ، وَرُؤِيَتْ عَلَيْهِ بَهْجَةُ الْإِيمَانِ وَنُورُهُ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: عُنِيَ بِلِبَاسِ التَّقْوَىٰ اسْتِشْعَارُ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللِّبَاسَ إِنَّمَا هُوَ ادِّرَاعُ مَا يُلْبَسُ وَاحْتِبَاءُ مَا يُكْتَسَىٰ، أَوْ تَغْطِيَةُ بَدَنِهِ أَوْ بَعْضِهِ بِهِ، فَكُلُّ مَنِ ادَّرَعَ شَيْئًا أَوِ احْتَبَىٰ بِهِ حَتَّىٰ يُرَىٰ هُوَ أَوْ أَثَرُهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَهُ لَابِسٌ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرِّجَالَ لِلنِّسَاءِ لِبَاسًا، وَهُنَّ لَهُمْ لِبَاسًا، وَجَعَلَ اللَّيْلَ لِعِبَادِهِ لِبَاسًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنِّي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ اللِّبَاسِ وَالرِّيَاشِ..

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي يَعْلَمُ بِهَا مَنْ كَفَرَ صِحَّةَ تَوْحِيدِ اللهِ، وَخَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٦] جَعَلْتُ ذَلِكَ لَهُمْ دَلِيلًا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ لِيَذَّكَّرُوا، فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْحَقِّ وَتَرْكِ الْبَاطِلِ، رَحْمَةً مِنِّي بِعِبَادِي.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ لَا يَخْدَعَنَّكُمْ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْفِتْنَةِ الِاخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَيُبْدِي سَوْآتِكُمْ لِلنَّاسِ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ عِنْدَ اخْتِبَارِهِ لَكُمْ..

﴿كَمَآ أَخْرَجَ﴾ كَمَا فَعَلَ بِـ..

﴿أَبَوَيْكُم﴾ آدَمَ وَحَوَّاءَ عِنْدَ اخْتِبَارِهِ إِيَّاهُمَا فَأَطَاعَاهُ وَعَصَيَا رَبَّهُمَا، فَأَخْرَجَهُمَا بِمَا سَبَّبَ لَهُمَا مِنْ مَكْرِهِ وَخَدْعِهِ..

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ وَنَزَعَ عَنْهُمَا مَا كَانَ أَلْبَسَهُمَا مِنَ اللِّبَاسِ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَذَّرَ عِبَادَهُ أَنْ يَفْتِنَهُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا فَتَنَ أَبَوَيْهِمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَنْ يُجَرِّدَهُمْ مِنْ لِبَاسِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا نَزَعَ عَنْ أَبَوَيْهِمْ لِبَاسَهُمَا.. وَاللِّبَاسُ الْمُطْلَقُ مِنَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ إِضَافَةٍ إِلَىٰ شَيْءٍ فِي مُتَعَارَفِ النَّاسِ، هُوَ مَا اخْتَارَ فِيهِ اللَّابِسُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِسَاءِ، أَوْ غَطَّىٰ بَدَنَهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْحَقُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنْ لِبَاسِهِمَا الَّذِي نَزَعَهُ عَنْهُمَا الشَّيْطَانُ هُوَ بَعْضُ مَا كَانَا يُوَارِيَانِ بِهِ أَبْدَانَهُمَا وَعَوْرَتَهُمَا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ ظُفُرًا،

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نُورًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا بِأَيِّ ذَلِكَ تَثْبُتُ بِهِ الْحُجَّةُ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصْوَبُ مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾..

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ بِكَشْفِ عَوْرَتِهِمَا وَإِظْهَارِهَا لِأَعْيُنِهِمَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُسْتَتِرَةً.. وَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ إِخْرَاجَ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَنَزْعَ مَا كَانَ عَلَيْهِمَا مِنَ اللِّبَاسِ عَنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ الْفَاعِلَ ذَلِكَ بِهِمَا عُقُوبَةً عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمَا إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ عَنْ تَشْبِيهِ ذَلِكَ لَهُمَا بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ أَحْيَانًا بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، وَإِلَىٰ اللهِ أَحْيَانًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ بِهِمَا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ وَصِنْفُهُ، وَجِنْسُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ، وَهُمُ الْجِنُّ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ﴾ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الشَّيْطَانَ وَقَبِيلَهُ..

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ نُصَرَاءَ..

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧] مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يُوَحِّدُونَ اللهَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَهُ.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ﴾ وَإِذَا فَعَلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ الشَّيَاطِينَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ..

﴿فَٰحِشَةً﴾ قَبِيحًا مِنَ الْفِعْلِ، وَذَلِكَ تَعَرِّيهِمْ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَتَجَرُّدِهِمْ لَهُ، فَعُذِلُوا عَلَىٰ مَا أَتَوْا مِنْ قَبِيحِ فِعْلِهِمْ، وَعُوتِبُوا عَلَيْهِ..

﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ﴾ قَالُوا: وَجَدْنَا عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَفْعَلُ..

﴿ءَابَآءَنَا﴾ فَنَحْنُ نَفْعَلُ مِثْلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَنَقْتَدِي بِهَدْيِهِمْ، وَنَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ فَنَحْنُ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ فِيهِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ﴾ خَلْقَهُ..

﴿بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾ بِقَبَائِحِ الْأَفْعَالِ وَمَسَاوِيهَا..

﴿أَتَقُولُونَ﴾ أَتَرْوُونَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالتَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الثِّيَابِ وَاللِّبَاسِ لِلطَّوَافِ..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨] وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِالْفَحْشَاءِ كَذِبًا عَلَىٰ اللهِ: مَا أَمَرَ رَبِّي بِمَا تَقُولُونَ، بَلْ..

﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ﴾ يَعْنِي: بِالْعَدْلِ..

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ أُمِرُوا أَنْ يَتَوَجَّهُوا بِصَلَاتِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، لَا إِلَىٰ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَاطَبَ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَوْمًا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كَنَائِسَ وَبِيَعٍ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْكَنَائِسُ وَالْبِيَعُ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَغَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي فِي كَنِيسَةٍ وَلَا بِيْعَةٍ: وَجِّهْ وَجْهَكَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ فِي كَنِيسَةٍ أَوْ بِيْعَةٍ..

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ وَاعْمَلُوا لِرَبِّكُمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَالطَّاعَةَ، لَا تَخْلِطُوا ذَلِكَ بِشِرْكٍ، وَلَا تَجْعَلُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ لَهُ شَرِيكًا، وَاجْعَلُوا دُعَاءَكُم للهِ خَالِصًا، لَا مُكَاءَ وَلَا تَصْدِيَةَ..

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ اللهُ خَلْقًا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩] بَعْدَ فَنَائِكُمْ خَلْقًا مِثْلَهُ، يَحْشُرُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤] »، يُبَيِّنُ صِحَّةَ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَلْقَ يَعُودُونَ إِلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْقًا أَحْيَاءً كَمَا بَدَأَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَلْقًا أَحْيَاءً.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ فِي خَلْقِهِ وَجَرَىٰ بِهِ فِيهِمْ قَضَاؤُهُ، فَقَالَ.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ فَوَفَّقَهُمْ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فَهُمْ مُهْتَدُونَ..

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ وَحَقَّ عَلَىٰ فَرِيقٍ مِنْهُمُ الضَّلَالَةُ عَنِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ..

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الْفَرِيقَ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، إِنَّمَا ضَلُّوا

عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَجَارُوا عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ، بِاتِّخَاذِهِمُ الشَّيَاطِينَ نُصَرَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَظُهَرَاءَ..

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠] لَيْسَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِخَطَأِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَحَقٍّ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا أَتَوْهُ وَرَكِبُوا.. وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ رَكِبَهَا، أَوْ ضَلَالَةٍ اعْتَقَدَهَا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُ بِصَوَابِ وَجْهِهَا، فَيَرْكَبُهَا عِنَادًا مِنْهُ لِرَبِّهِ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ فَرِيقِ الضَّلَالَةِ الَّذِي ضَلَّ -وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هَادٍ- وَفَرِيقِ الْهُدَىٰ فَرْقٌ، وَقَدْ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أَسْمَائِهِمَا وَأَحْكَامِهِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَعَرَّوْنَ عِنْدَ طَوَافِهِمْ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَيُبْدُونَ عَوْرَاتِهِمْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَالْمُحَرِّمِينَ مِنْهُمْ أَكْلَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَلَالِ رِزْقِهِ، تَبَرُّرًا عِنْدَ نَفْسِهِ لِرَبِّهِ: يَا بَنِي آدَمَ..

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ مِنَ الْكِسَاءِ وَاللِّبَاسِ..

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ﴾ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْتُكُمْ، وَحَلَّلْتُهُ لَكُمْ..

﴿وَٱشْرَبُواْ﴾ مِنْ حَلَالِ الْأَشْرِبَةِ، وَلَا تُحَرِّمُوا إِلَّا مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِي أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، ولَا تَأْكُلُوا حَرَامًا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف: ٣١] الْمُتَعَدِّينَ حَدَّهُ فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، الْغَالِينَ فِيمَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ حَرَّمَ بِإِحْلَالِ الْحَرَامِ وَبِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُحَلَّلَ مَا أَحَلَّ، وَيُحَرَّمَ مَا حَرَّمَ، وَذَلِكَ الْعَدْلُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ يَتَعَرَّوْنَ عِنْدَ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ، وَيُحَرِّمُونَ

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ..

﴿مَنْ حَرَّمَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ..

﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ﴾ الَّتِي خَلَقَهَا..

﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ أَنْ تَتَزَيَّنُوا بِهَا، وَتَتَجَمَّلُوا بِلِبَاسِهَا..

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَالْحَلَالُ..

﴿مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ مِنْ رِزْقِ اللهِ، الَّذِي رَزَقَ خَلْقَهُ لِمَطَاعِمِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تَقُولَ لَهُمْ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾، إِذْ عَيُوا بِالْجَوَابِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا يُجِيبُونَكَ: زِينَةُ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَطَيِّبَاتُ رِزْقِهِ..

﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَاتَّبَعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَقَدْ شَرَكَهُمْ فِي ذَلِكَ فِيهَا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَهِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لَا يَشْرَكُهُمْ فِي ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَفَرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ، فِي اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، وَالْحَلَالِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْحَرَامِ مِنْهَا، وَمَيَّزْتُ بَيْنَ ذَلِكَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ﴾ أُبَيِّنُ..

﴿ٱلْأٓيَٰتِ﴾ جَمِيعَ أَدِلَّتِي وَحُجَجِي وَأَعْلَامَ حَلَالِي وَحَرَامِي وَأَحْكَامِي..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢] مَا يُبَيَّنُ لَهُمْ وَيَفْقَهُونَ مَا يُمَيَّزُ لَهُمْ.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَجَرَّدُونَ مِنْ ثِيَابِهِمْ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَيُحَرِّمُونَ أَكْلَ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنَّمَا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ مَا تُحَرِّمُونَهُ، بَلْ أَحَلَّ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَيَّبَهُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا..

﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ حَرَّمَ رَبِّي الْقَبَائِحَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ الْفَوَاحِشُ..

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فَكَانَ عَلَانِيَةً..

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ مِنْهَا فَكَانَ سِرًّا فِي خَفَاءٍ..

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ وَالْمَعْصِيَةَ..

﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ وَالِاسْتِطَالَةَ عَلَىٰ النَّاسِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَعَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ شِرْكًا لِشَيْءٍ، وَالشِّرْكُ بِهِ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا..

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالتَّعَرِّي وَالتَّجَرُّدِ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَكْلَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَرَّمْتُمُوهَا وَسَيَّبْتُمُوهَا وَجَعَلْتُمُوهَا وَصَائِلَ وَحَوَامِيَ، وَغَيْرَ ذَٰلِكَ مِن..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٣] أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ، أَوْ أَمَرَ بِهِ، أَوْ أَبَاحَهُ، فَتُضِيفُوا إِلَىٰ اللهِ تَحْرِيمَهُ وَحَظْرَهُ وَالْأَمْرَ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ، أَوْ تَقُولُونَ إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِهِ جَهْلًا مِنْكُمْ بِحَقِيقَةِ مَا تَقُولُونَ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُهَدِّدًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، وَوَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ إِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِهِ، وَالْمُقَامِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَمُذَكِّرًا لَهُمْ مَا أَحَلَّ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ: وَلِكُلِّ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَرَدِّ نَصَائِحِهِمْ، وَالشِّرْكِ بِاللهِ مَعَ مُتَابَعَةِ رَبِّهِمْ حُجَجَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿أَجَلٌ﴾ وَقْتٌ لِحُلُولِ الْعُقُوبَاتِ بِسَاحَتِهِمْ، وَنُزُولِ الْمَثُلَاتِ بِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي وَقَّتَهُ اللهُ لِهَلَاكِهِمْ وَحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ..

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ لَا يَتَأَخَّرُونَ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَتَمَتَّعُونَ بِالْحَيَاةِ فِيهَا عَنْ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ، وَحِينِ حُلُولِ أَجَلِ فَنَائِهِمْ..

﴿سَاعَةً﴾ مِنْ سَاعَاتِ الزَّمَانِ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣٤] وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بِذَلِكَ أَيْضًا عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ

وَقْتًا لِلْهَلَاكِ.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا خَلْقَهُ مَا أَعَدَّ لِحِزْبِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمَا أَعَدَّ لِحِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ: يَا بَنِي آدَمَ..

﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ إِنْ يَجِئْكُمْ..

﴿رُسُلٞ﴾ رُسُلِي الَّذِينَ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ بِدُعَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿مِّنكُمۡ﴾ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَمِنْ عَشَائِرِكُمْ وَقَبَائِلِكُمْ..

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ كِتَابِي، وَيُعَرِّفُونَكُمْ أَدِلَّتِي وَأَعْلَامِي عَلَىٰ صِدْقِ مَا جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَحَقِيقَةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِي..

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فَمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِمَا أَتَاهُ بِهِ رُسُلِي، مِمَّا قَصَّ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِي، وَصَدَّقَ وَاتَّقَىٰ اللهَ، فَخَافَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ..

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ لَهَا مُفْسِدًا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، بِالتَّحَوُّبِ مِنْهَا..

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥] عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمُ الَّتِي تَرَكُوهَا، وَشَهَوَاتِهِمُ الَّتِي تَجَنَّبُوهَا، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِنَهْيِ اللهِ عَنْهَا إِذَا عَايَنُوا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ مَا عَايَنُوا هُنَالِكَ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف: ٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ وَأَمَّا مَنْ كَذَّبَ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَنْبَاءِ رُسُلِي الَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْهِ، وَجَحَدَ تَوْحِيدِي، وَكَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلِي..

﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وَاسْتَكْبَرَ..

﴿عَنۡهَآ﴾ عَنْ تَصْدِيقِ حُجَجِي وَأَدِلَّتِي، فَـ..

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٦﴾ [الأعراف: ٣٦] مَاكِثُونَ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فَمَنْ أَخْطَأُ فِعْلًا، وَأَجْهَلُ قَوْلًا، وَأَبْعَدُ ذِهَابًا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ زُورًا مِنَ الْقَوْلِ، فَقَالَ إِذَا فَعَلَ فَاحِشَةً: إِنَّ اللهَ أَمَرَنَا بِهَا..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أَوْ كَذَّبَ بِأَدِلَّتِهِ وَأَعْلَامِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، فَجَحَدَ حَقِيقَتَهَا وَدَافَعَ صِحَّتَهَا..

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ مَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ فَافْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ..

﴿يَنَالُهُمْ﴾ يَصِلُ إِلَيْهِمْ..

﴿نَصِيبُهُم﴾ حَظُّهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِمَّا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَرِزْقٍ وَعَمَلٍ وَأَجَلٍ فِي الدُّنْيَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ أَوْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، يَنَالُهُمْ حُظُوظُهُمُ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ وَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَعَمَلٍ وَأَجَلٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ فِي الدُّنْيَا، إِلَىٰ أَنْ تَأْتِيَهُمْ رُسُلُنَا لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، فَجَاءَتْهُمْ..

﴿رُسُلُنَا﴾ يَعْنِي: مَلَكَ الْمَوْتِ وَجُنْدَهُ..

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يَسْتَوْفُونَ عَدَدَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْآخِرَةِ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ..

﴿أَيْنَ مَا﴾ أَيْنَ الَّذِينَ..

﴿كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ ـهُمْ أَوْلِيَاءَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَتَعْبُدُونَهُمْ، لَا يَدْفَعُونَ عَنْكُمْ مَا قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ، الَّذِي هُوَ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَمَا قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَهَلَّا يُغِيثُونَكُمْ مِنْ كَرْبِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَيُنْقِذُونَكُمْ مِنْهُ، فَأَجَابَهُمُ الْأَشْقِيَاءُ، فَـ..

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ضَلَّ عَنَّا أَوْلِيَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ، ويَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ضَلُّواْ﴾ جَارُوا وَأَخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِنَا، وَتَرَكُونَا عِنْدَ حَاجَتِنَا إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَنْفَعُونَا..

﴿وَشَهِدُواْ﴾ وَشَهِدَ الْقَوْمُ حِينَئِذٍ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧] بِاللهِ جَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ حِينَ وَرَدُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ٱدْخُلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمْ، الْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ..

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ فِي جَمَاعَاتٍ مِنَ الْأَحْزَابِ وَأَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ، هِيَ فِي النَّارِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قِيلِهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْمُكَذِّبِينَ آيَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قَدْ سَلَفَتْ..

﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾ النَّارَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ..

﴿لَّعَنَتْ﴾ شَتَمَتْ..

﴿أُخْتَهَا﴾ الْجَمَاعَةَ الْأُخْرَىٰ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهَا تَبَرِّيًا مِنْهَا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْأُخْتِ: الْأُخْوَةَ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَقِيلَ ﴿أُخْتَهَا﴾ وَلَمْ يُقَلْ (أَخَاهَا)؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهَا أُمَّةً وَجَمَاعَةً أُخْرَىٰ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُمَّةً أُخْرَىٰ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهَا وَدِينِهَا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعَتْ الْأُمَمُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿جَمِيعًا﴾ اجْتَمَعَ فِيهَا الْأَوَّلُونَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ، وَالْآخِرُونَ مِنْهُمْ..

﴿قَالَتْ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مُحَاوَرَةِ الْأَحْزَابِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَإِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ فِي النَّارِ فَادَّارَكُوا، قَالَتْ..

﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ أُخْرَىٰ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ دَخَلَتِ النَّارَ -الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا- بَعْدَ أُولَىٰ مِنْهُمْ تَقَدَّمَتْهَا، وَكَانَتْ لَهَا سَلَفًا وَإِمَامًا فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ..

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عَنْ سَبِيلِكَ، وَدَعَوْنَا إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِكَ، وَزَيَّنُوا لَنَا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ..

﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾ الْيَوْمَ..

﴿عَذَابًا﴾ مِنْ عَذَابِكَ..

﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ الضِّعْفَ عَلَىٰ عَذَابِنَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَهُ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾..

﴿لِكُلٍّ﴾ لِكُلِّكُمْ، أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَتَابِعُوكُمْ وَمُتَّبِعُوكُمْ..

﴿ضِعْفٌ﴾ مُكَرَّرٌ عَلَيْهِ الْعَذَابُ.. وَضِعْفُ الشَّيْءِ: مِثْلُهُ مَرَّةً..

﴿وَلَٰكِن﴾ وَلَكِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ النَّارِ..

﴿لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨] مَا قَدْرُ مَا أَعَدَّ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَلِذَلِكَ تَسْأَلُ الضِّعْفَ مِنْهُ الْأُمَّةُ الْكَافِرَةُ الْأُخْرَىٰ لِأُخْتِهَا الْأُولَىٰ.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ [الأعراف: ٣٩].

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ وَمِلَّةٍ سَبَقَتْ فِي الدُّنْيَا..

﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ لِأُخْرَاهَا، الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، وَحَدَثُوا بَعْدَ زَمَانِهِمْ فِيهَا، فَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ وَاسْتَنُّوا سُنَّتَهُمْ..

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِنَا مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ بِمَعْصِيَتِنَا إِيَّاهُ وَكُفْرِنَا بِهِ، وَجَاءَتْنَا وَجَاءَتْكُمْ بِذَلِكَ الرُّسُلُ وَالنُّذُرُ، هَلِ انْتَبَتُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَارْتَدَعْتُمْ عَنْ غِوَايَتِكُمْ وَضَلَالَتِكُمْ؟ فَانْقَضَتْ حُجَّةُ الْقَوْمِ وَخَصَمُوا وَلَمْ يُطِيقُوا جَوَابًا بِأَنْ يَقُولُوا: فُضِّلْنَا عَلَيْكُمْ أَنَّا اعْتَبَرْنَا بِكُمْ فَآمَنَّا بِاللهِ وَصَدَّقْنَا رُسُلَهُ، قَالَ اللهُ لِجَمِيعِهِمْ..

﴿فَذُوقُوا۟﴾ جَمِيعَكُمْ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ..

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ عَذَابَ جَهَنَّمَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ [الأعراف: ٣٩] مِنَ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي، وَتَجْتَرِحُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْإِجْرَامِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهَا وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَنَا..

﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ وَتَكَبَّرُوا عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَا، وَأَنِفُوا مِنَ اتِّبَاعِهَا، وَالِانْقِيَادِ لَهَا تَكَبُّرًا..

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ﴾ لَا تُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِهِمْ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ..

﴿أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ وَلَا يَصْعَدُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ خَبِيثَةٌ، وَإِنَّمَا يُرْفَعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].. فَعَنِ الْبَرَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، قَالَ: «**فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُدْعَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾**».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُعْرَجَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَيُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَتَصِيرُ إِلَىٰ الْقَبْرِ..**»..

﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ﴾ وَلَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا..

﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا..

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ كَمَا لَا يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَذَلِكَ ثَقْبُ الْإِبْرَةِ.. وَكُلُّ ثَقْبٍ فِي عَيْنٍ أَوْ أَنْفٍ أَوْ أُذُنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ سَمًّا، وَتَجْمَعُهُ سُمُومًا

وَسِمَامًا، وَالسِّمَامُ فِي جَمْعِ السَّمِّ الْقَاتِلِ أَشْهَرُ وَأَفْصَحُ مِنَ السُّمُومِ، وَ السُّمومُ فِي جَمْعِ السَّمِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ الثَّقْبِ أَفْصَحُ، وَكِلَاهُمَا فِي الْعَرَبِ مُسْتَفِيضٌ، وَقَدْ يُقَالُ لِوَاحِدِ السُّمُومِ الَّتِي هِيَ الثُّقُوبُ: سَمٌّ، وسُمٌّ، بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا.. وَأَمَّا الْخِيَاطُ: فَإِنَّهُ الْمِخْيَطُ وَهِيَ الْإِبْرَةُ، قِيلَ لَهَا: خِيَاطٌ وَمِخْيَطٌ، كَمَا قِيلَ: قِنَاعٌ وَمِقْنَعٌ، وَإِزَارٌ وَمِئْزَرٌ، وَقِرَامٌ وَمِقْرَمٌ، وَلِحَافٌ وَمِلْحَفٌ.. والْجَمَلُ: زَوْجُ النَّاقَةِ.. وَالْوُلُوجُ: الدُّخُولُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَلَجَ فُلَانٌ الدَّارَ يَلِجُ وُلُوجًا، بِمَعْنَىٰ: دَخَلَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْإِبْرَةِ وَهُوَ ثَقْبُهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٠] وَكَذَلِكَ نُثِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا فِي الدُّنْيَا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ مِنَ اللهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤١].

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا..

﴿مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ وَهُوَ مَا امْتَهَدُوهُ مِمَّا يُقْعَدُ عَلَيْهِ وَيُضْطَجَعُ، كَالْفِرَاشِ الَّذِي يُفْرَشُ، وَالْبِسَاطُ الَّذِي يُبْسَطُ..

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وَهُوَ جَمْعُ غَاشِيَةٍ، وَذَلِكَ مَا غَشَّاهُمْ فَغَطَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ..

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤١] وَكَذَلِكَ نُثِيبُ وَنُكَافِئُ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَأَكْسَبَهَا مِنْ غَضَبِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ، بِكُفْرِهِ بِرَبِّهِ وَتَكْذِيبِهِ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ فَأَطَاعُوهُ وَتَجَنَّبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ إِلَّا مَا يَسَعُهَا، فَلَا تَحْرَجُ فِيهِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ..

﴿هُمْ﴾ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَعَمِلَ بِسَيِّئَاتِهِمْ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ..

﴿خَالِدُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٢] مَاكِثُونَ، دَائِمٌ فِيهَا مُكْثُهُمْ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا يُسْلَبُونَ نَعِيمَهُمْ.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وَأَذْهَبْنَا..

﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾ مِنْ صُدُورِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ..

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ مِنْ حِقْدٍ وَغِلٍّ وَعَدَاوَةٍ كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَدْخَلَهُمُوهَا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَحْسُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ شَيْءٍ خَصَّ اللهُ بِهِ بَعْضَهُمْ وَفَضَّلَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ.. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾**) رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حِينَ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، وَرَأَوْا مَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَمَا صُرِفَ عَنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَنَا لِلْعَمَلِ الَّذِي أَكْسَبَنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ، وَصَرَفَ عَذَابَهُ عَنَّا..

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ وَمَا كُنَّا لِنَرْشُدَ لِذَلِكَ..

﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ لَوْلَا أَنْ أَرْشَدَنَا اللهُ لَهُ، وَوَفَّقَنَا بِمَنِّهِ وَطَوْلِهِ.. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**يَدْخُلُونَ -يعني: أهلَ الجنَّةِ- فَإِذَا شَجَرَةٌ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ، فَيَغْتَسِلُونَ مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَتَجْرِي عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَلَا تَشْعَثُ أَشْعَارُهُمْ، وَلَا تُغْبَرُّ أَبْشَارُهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِنَ الْأُخْرَىٰ، فَيَخْرُجُ كُلُّ قَذًى وَقَذَرٍ، أَوْ شَيْءٍ فِي بُطُونِهِمْ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝﴾ [الزمر: ٧٣]، فَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْوِلْدَانُ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ كَمَا تَحُفُّ الْوِلْدَانُ بِالْحَمِيمِ إِذَا جَاءَ مِنْ غَيْبَتِهِ، ثُمَّ يَأْتُونَ فَيُبَشِّرُونَ أَزْوَاجَهُمْ، فَيُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، فَيَقُلْنَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَسْتَخِفُّهُنَّ الْفَرَحُ، فَيَجِئْنَ حَتَّىٰ يَقِفْنَ عَلَىٰ أُسْكُفَّةِ الْبَابِ،**

فَيَجِيئُونَ فَيَدْخُلُونَ، فَإِذَا أُسُّ بُيُوتِهِمْ بِجَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا صُرُوحٌ صُفْرٌ وَخُضْرٌ وَحُمْرٌ وَمِنْ كُلِّ لَوْنٍ، وَسُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ، فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ قَدَّرَهَا لَالْتَمَعَتْ أَبْصَارُهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ فِيهَا، فَيُعَانِقُونَ الأَزْوَاجَ، وَيَقْعُدُونَ عَلَى السُّرُرِ وَيَقُولُونَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾)..

﴿لَقَدْ جَآءَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ وَرُؤْيَتِهِمْ كَرَامَةَ اللهِ الَّتِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا، وَهُوَ أَنَّ أَعْدَاءَ اللهِ فِي النَّارِ: وَاللهِ لَقَدْ جَاءَتْنَا فِي الدُّنْيَا، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي النَّارِ..

﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ مِنَ الأَخْبَارِ، عَنْ وَعْدِ اللهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَوَعِيدِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ وَالْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَنُودُوٓا۟﴾ وَنَادَىٰ مُنَادٍ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ كَرَامَتِهِ..

﴿أَن﴾ يَا هَؤُلَاءِ..

﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ الَّتِي كَانَتْ رُسُلِي فِي الدُّنْيَا تُخْبِرُكُمْ عَنْهَا..

﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أَوْرَثَكُمُوهَا اللهُ عَنِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، لِتَصْدِيقِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ بَعْدَ دُخُولِهِمُوهَا: يَا أَهْلَ النَّارِ..

﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِهِمْ وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿حَقًّا﴾ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ وَعَدَ أَهْلَ الْجَنَّةِ النَّعِيمَ، وَالْكَرَامَةَ وَكُلَّ خَيْرٍ عَلِمَهُ النَّاسُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ..

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَعَلَىٰ مَعَاصِيهِ مِنَ الْعِقَابِ؟..

﴿حَقًّا﴾ وَعَدَ أَهْلَ النَّارِ كُلَّ خِزْيٍ وَعَذَابٍ، عَلِمَهُ النَّاسُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ، مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ وَالْعَذَابِ..

﴿قَالُوا۟﴾ فَأَجَابَهُمْ أَهْلُ النَّارِ بِـ..

﴿نَعَمۡۚ﴾ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا..
﴿فَأَذَّنَ﴾ فَنَادَىٰ..
﴿مُؤَذِّنُۢ﴾ مُنَادٍ، وَأَعْلَمَ مُعَلِّمٌ..
﴿بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ﴾ غَضَبُ..
﴿ٱللَّهِ﴾ وَسَخَطُهُ وَعُقُوبَتُهُ..
﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤] عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: ٤٥].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ..
﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ..
﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ حَاوَلُوا سَبِيلَ اللهِ، وَهُوَ دِينُهُ، أَنْ يُغَيِّرُوهُ وَيُبَدِّلُوهُ عَمَّا جَعَلَهُ اللهُ بِهِ مِنِ اسْتِقَامَتِهِ..
﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وَهُمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْبَعْثِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِيهَا..
﴿كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: ٤٥] جَاحِدُونَ.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ [الأعراف: ٤٦].

﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ..

﴿حِجَابٞۚ﴾ حَاجِزٌ، وَهُوَ السُّورُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَقَالَ: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد: ١٣]، وَهُوَ الْأَعْرَافُ الَّتِي يَقُولُ اللهُ فِيهَا..

﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وَاحِدُهَا عُرْفٌ، وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ عُرْفٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَعُرْفِ الدِّيكِ: عُرْفٌ، لِارْتِفَاعِهِ عَلَىٰ مَا سِوَاهُ مِنْ جَسَدِهِ..

﴿رِجَالٞ﴾ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ بِسِيمَاهُمْ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَالرِّجَالُ اسْمٌ يَجْمَعُ ذُكُورَ بَنِي آدَمَ دُونَ إِنَاثِهِمْ، وَدُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ..

﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِسِيمَاهُمْ، وَذَلِكَ بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَيْهَا، وَيَعْرِفُونَ أَهْلَ النَّارِ كَذَلِكَ بِسِيمَاهُمْ، وَذَلِكَ سَوَادُ وُجُوهِهِمْ وَزُرْقَةُ أَعْيُنِهِمْ..
وَالسِّيمَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعَلَامَةُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ فَإِذَا رَأَوْا أَهْلَ الْجَنَّةِ نَادَوْهُمْ..

﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ حَلَّتْ عَلَيْكُمْ أَمَنَةُ اللهِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَهْلِ الْأَعْرَافِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَا قَالُوا قَبْلَ دُخُولِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوهُ وَهُمْ يَطْمَعُونَ فِي دُخُولِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ يَقُولُونَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَطْمَعُونَ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَلَمْ يَدْخُلُوهَا بَعْدُ.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾

[الأعراف: ٤٧].

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ..

﴿تِلْقَآءَ﴾ حِيَالَهُمْ، وَوِجَاهَهُمْ، فَنَظَرُوا إِلَى تَشْوِيهِ اللهِ بِـ..

﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٧] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَكْسَبُوهَا مِنْ سَخَطِكَ مَا أَوْرَثَهُمْ مِنْ عِقَابِكَ مَا هُمْ فِيهِ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾

[الأعراف: ٤٨].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ..

﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ سِيمَا أَهْلِ النَّارِ..

﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ مَا كُنْتُمْ تَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَدَدِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٨] وَتَكَبُّرُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تَتَكَبَّرُونَ فِيهَا.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝﴾

[الأعراف: ٤٩].

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ قَالَ اللهُ لِأَهْلِ التَّكَبُّرِ عَنِ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَالْإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، الْجَامِعِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَمْوَالَ مُكَاثَرَةً وَرِيَاءً: أَيُّهَا الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، أَهَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ﴾ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَرَحِمْتُهُمْ بِفَضْلِي وَرَحْمَتِي..

﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ يَا أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ..

﴿ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ بَعْدَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ تُعَاقَبُونَ بِهَا عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ وَالْإِجْرَامِ..

﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩] عَلَىٰ شَيْءٍ فَاتَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ.. وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: (**بَلْ هَذَا الْقَوْلُ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوا النَّارَ، تَعْيِيرًا مِنْهُمْ لَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّتَهُ**).. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٤٩﴾، فَخَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَمْرِهِ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِدُخُولِهَا.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ اسْتِغَاثَةِ أَهْلِ النَّارِ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، عِنْدَ نُزُولِ عَظِيمِ الْبَلَاءِ بِهِمْ، مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ، عُقُوبَةً مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، مِنْ تَرْكِ طَاعَةِ اللهِ وَأَدَاءِ مَا كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَمْوَالِهِمْ مِنْ حُقُوقِ الْمَسَاكِينِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوهَا..

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ بَعْدَمَا سَكَنُوهَا أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ..

﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أَيْ: أَطْعِمُونَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ الْمَاءَ، و مِمَّا رَزَقَهُم اللهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**يُنَادِي الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ أَبَاهُ، فَيَقُولُ: قَدِ احْتَرَقْتُ، أَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَجِيبُوهُمْ، فَيَقُولُونَ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾).

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥١].

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلْكَافِرِينَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَأَجَابَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ سُخْرِيَةً وَلَعِبًا..

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ وَالدَّعَةِ، عَنِ الْأَخْذِ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فَفِي هَذَا الْيَوْمِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ..

﴿نَنسَىٰهُمْ﴾ نَتْرُكُهُمْ فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ جِيَاعًا عِطَاشًا بِغَيْرِ طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ..

﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ كَمَا تَرَكُوا الْعَمَلَ لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا، وَرَفَضُوا الِاسْتِعْدَادَ لَهُ بِإِتْعَابِ أَبْدَانِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَمَا﴾ وَكَمَا..

﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِآيَاتِ اللهِ، وَهِيَ حُجَجُهُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْكُتُبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَجْحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥١] يُكَذِّبُونَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢].

﴿وَلَقَدْ﴾ أُقْسِمُ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ..

﴿جِئْنَٰهُم﴾ جِئْنَا هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةَ..

﴿بِكِتَٰبٍ﴾ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ مُفَصَّلًا مُبَيَّنًا فِيهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ..

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنَّا بِحَقِّ مَا فُصِّلَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ، الَّذِي مُيِّزَ فِيهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ..

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢] بَيَّنَّاهُ لِيَهْتَدِيَ، وَيُرْحَمَ بِهِ قَوْمٌ يُصَدِّقُونَ بِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَأَخْبَارِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَيُنْقِذُهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَرْدُودَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَجْحَدُونَ لِقَاءَهُ..

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إِلَّا مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، مِنْ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ عَذَابِ اللهِ، وَصِلِيِّهِمْ جَحِيمَهُ، وَأَشْبَاهِ هَذَا، مِمَّا أَوْعَدَهُمُ اللهُ بِهِ..

﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ يَوْمَ يَجِيءُ..

﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ يَقُولُ الَّذِينَ ضَيَّعُوا وَتَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْعَمَلِ الْمُنَجِّيهِمْ، مِمَّا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿قَدْ﴾ أَقْسَمَ الْمَسَاكِينُ حِينَ عَايَنُوا الْبَلَاءَ، وَحَلَّ بِهِمُ الْعِقَابُ..

﴿جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أَنَّ رُسُلَ اللهِ الَّتِي أَتَتْهُمْ بِالنِّذَارَةِ، وَبَلَّغَتْهُمْ عَنِ اللهِ الرِّسَالَةَ، قَدْ كَانَتْ نَصَحَتْ لَهُمْ وَصَدَّقَتْهُمْ عَنِ اللهِ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّصْدِيقُ، وَلَا يُنَجِّيهِمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ كَثْرَةُ الْقِيلِ وَالْقَالِ..

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ هَلْ لَنَا مِنْ أَصْدِقَاءَ وَأَوْلِيَاءَ الْيَوْمَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ حُلُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ وَوُرُودِهِمْ أَلِيمَ عَذَابِهِ وَمُعَايَنَتِهِمْ تَأْوِيلَ مَا كَانَتْ رُسُلُ اللهِ تَعِدُهُمْ..

﴿فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ عِنْدَ رَبِّنَا، فَتُنَجِّينَا شَفَاعَتُهُمْ عِنْدَهُ مِمَّا قَدْ حَلَّ بِنَا مِنْ سُوءِ فِعَالِنَا فِي الدُّنْيَا..

﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَىٰ..

﴿فَنَعْمَلَ﴾ فِيهَا..

﴿غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ بِمَا يُرْضِيهِ وَيُعْتِبُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا؟.. هَذَا قَوْلُ الْمَسَاكِينِ هُنَالِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَهِدُوا فِي الدُّنْيَا أَنْفُسَهُمْ لَهَا شُفَعَاءَ تَشْفَعُ لَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ، فَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ فِي وَقْتٍ لَا خُلَّةَ فِيهِ لَهُمْ وَلَا شَفَاعَةَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ﴾ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حُظُوظَهَا بِبَيْعِهِمْ مَا لَا خَطَرَ لَهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ، بِالْخَسِيسِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣] وَأَسْلَمَهُمْ لِعَذَابِ اللهِ، وَحَادَ عَنْهُمْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَيَزْعُمُونَ كَذِبًا وَافْتِرَاءً أَنَّهُمْ أَرْبَابُهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ إِنَّ سَيِّدَكُمْ وَمُصْلِحَ أُمُورِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، هُوَ..

﴿اللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ..

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يُورِدُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ فَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ، حَتَّى يُذْهِبَ نُضْرَتَهُ وَنُورَهُ..

﴿يَطْلُبُهُ﴾ يَطْلُبُ اللَّيْلُ النَّهَارَ..

﴿حَثِيثًا﴾ سَرِيعًا..

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ..

﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أَمَرَهُنَّ اللهُ فَأَطَعْنَ أَمْرَهُ..

﴿أَلَا لَهُ﴾ أَلَا للهِ..

﴿الْخَلْقُ﴾ كُلُّهُ..

﴿وَالْأَمْرُ﴾ الَّذِي لَا يُخَالَفُ، وَلَا يُرَدُّ أَمْرُهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَدُونَ مَا عَبَدَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَخْلُقُ وَلَا تَأْمُرُ..

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] تَبَارَكَ اللهُ مَعْبُودُنَا الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

﴿ادْعُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَبَّكُمْ﴾ وَحْدَهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ دُونَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿تَضَرُّعًا﴾ تَذَلُّلًا وَاسْتِكَانَةً لِطَاعَتِهِ..

﴿وَخُفْيَةً﴾ بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ مِنْكُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لَا جِهَارًا مُرَاءَاةً، وَقُلُوبُكُمْ غَيْرُ مُوقِنَةٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، فِعْلُ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ للهِ وَلِرَسُولِهِ.. فَعَنْ

أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَأَشْرَفُوا عَلَىٰ وَادٍ يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مَعَكُمْ**»..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٥] إِنَّ رَبَّكُمْ لَا يُحِبُّ مَنِ اعْتَدَىٰ فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ، وَرَفْعِهِ صَوْتَهُ فَوْقَ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّ لَهُمْ فِي دُعَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَسْأَلَتِهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَعْصُوهُ فِيهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ فِيهَا..

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بَعْدَ إِصْلَاحِ اللهِ إِيَّاهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، بِابْتِعَاثِهِ فِيهِمُ الرُّسُلَ دُعَاةً إِلَىٰ الْحَقِّ، وَإِيضَاحِهِ حُجَجَهُ لَهُمْ..

﴿وَٱدْعُوهُ﴾ وَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعَمَلَ، وَلَا تُشْرِكُوا فِي عَمَلِكُمْ لَهُ شَيْئًا غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ، وَإِنَّ مَنْ كَانَ دُعَاؤُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَخَفْ عِقَابَ اللهِ، وَلَمْ يَرْجُ ثَوَابَهُ لَمْ يُبَالِ مَا رَكِبَ مِنْ أَمْرٍ يَسْخَطُهُ اللهُ وَلَا يَرْضَاهُ..

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٦] إِنَّ ثَوَابَ اللهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ هُوَ رَحْمَتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ كَرَامَتِهِ، إِلَّا أَنْ تُفَارِقَ أَرْوَاحُهُمْ أَجْسَادَهُمْ، وَلِذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَىٰ ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿قَرِيبٌ﴾، وَهُوَ مِنْ خَبَرِ الرَّحْمَةِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا.. وَالنَّشْرُ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشِّينِ -فِي كَلَامِ الْعَرَبِ- مِنَ الرِّيَاحِ الطَّيِّبَةِ اللَّيِّنَةِ الْهُبُوبِ، الَّتِي تُنْشِئُ السَّحَابَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ رِيحٍ طَيِّبَةٍ عِنْدَهُمْ فَهِيَ نَشْرٌ، وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ، خَلَا عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ: ﴿بُشْرًا﴾ عَلَىٰ اخْتِلَافٍ عَنْهُ فِيهِ، فَرَوَىٰ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ: ﴿بُشْرًا﴾ بِالْبَاءِ وَضَمِّهَا وَسُكُونِ الشِّينِ، وَبَعْضُهُمْ (بُشُرا) بِالْبَاءِ وَضَمِّهَا وَضَمِّ الشِّينِ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي قِرَاءَتِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، تُبَشِّرُ بِالْمَطَرِ، وَأَنَّهُ جَمْعُ بَشِيرٍ بُشُرًا، كَمَا يُجْمَعُ النَّذِيرُ نُذُرًا.. وَأَمَّا قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَعَامَّةُ الْمَكِّيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ قَرَءُوا ذَلِكَ: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرا) بِضَمِّ النُّونِ وَالشِّينِ، جَمْعُ نُشُورٍ، كَمَا يُجْمَعُ الصَّبُورُ صُبُرًا، وَالشَّكُورُ شُكُرًا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: مَعْنَاهَا إِذَا قُرِئَتْ كَذَلِكَ أَنَّهَا الرِّيحُ الَّتِي تَهُبُّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَتَجِيءُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِذَا قُرِئَتْ بِضَمِّ النُّونِ فَيَنْبَغِي أَنْ تُسَكَّنَ شِينُهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لُغَةٌ بِمَعْنَىٰ النَّشْرِ بِالْفَتْحِ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تَضُمُّ النُّونَ مِنَ النَّشْرِ أَحْيَانًا، وَتَفْتَحُ أَحْيَانًا، بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ (نَشْرًا) وَ (نُشُرًا) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشِّينِ، وَبِضَمِّ النُّونِ وَالشِّينِ، قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ.. وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْبَاءِ فَلَا أُحِبُّ الْقِرَاءَةَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَعْنَىٰ صَحِيحٌ، وَوَجْهٌ مَفْهُومٌ فِي الْمَعْنَىٰ وَالْإِعْرَابِ كَمَا ذَكَرْنَا.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قُدَّامَ رَحْمَتِهِ وَأَمَامَهَا.. وَالْعَرَبُ كَذَلِكَ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدَثَ قُدَّامَ شَيْءٍ وَأَمَامَهُ جَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ جَرَىٰ فِي أَخْبَارِهِمْ عَنْ بَنِي آدَمَ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمْ، حَتَّىٰ قَالُوا ذَلِكَ فِي غَيْرِ ابْنِ آدَمَ وَمَا لَا يَدَ لَهُ.. وَالرَّحْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَطَرُ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَاللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ لَيِّنًا هُبُوبُهَا، طَيِّبًا نَسِيمُهَا، أَمَامَ غَيْثِهِ الَّذِي يَسُوقُهُ بِهَا إِلَىٰ خَلْقِهِ، فَيُنْشِئُ بِهَا سَحَابًا ثِقَالًا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْهَا، وَالْإِقْلَالُ بِهَا: حَمْلُهَا، كَمَا يُقَالُ: اسْتَقَلَّ الْبَعِيرُ بِحِمْلِهِ وَأَقَلَّهُ: إِذَا حَمَلَهُ فَقَامَ بِهِ..

﴿سُقْنَٰهُ﴾ سَاقَهُ اللهُ..

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لِإِحْيَاءِ بَلَدٍ مَيِّتٍ، قَدْ تَعَفَّتْ مَزَارِعُهُ، وَدَرَسَتْ مَشَارِبُهُ، وَأَجْدَبَ أَهْلُهُ..

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ فَأَنْزَلَ بِهِ الْمَطَرَ..

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا نُحْيِي هَذَا الْبَلَدَ الْمَيِّتَ بِمَا نُنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي نُنْزِلُهُ مِنَ السَّحَابِ،

فَنُخْرِجُ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَجُدُوبَتِهِ وَقُحُوطِ أَهْلِهِ، كَذَلِكَ..

﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً بَعْدَ فَنَائِهِمْ وَدُرُوسِ آثَارِهِمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٧] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْمُنْكِرِينَ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: ضَرَبْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ هَذَا الْمَثَلَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ مِنْ إِحْيَاءِ الْبَلَدِ الْمَيِّتِ بِقَطْرِ الْمَطَرِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ السَّحَابُ، الَّذِي تَنْشُرُهُ الرِّيَاحُ الَّتِي وَصَفْتُ صِفَتَهَا لِتَعْتَبِرُوا، فَتَذْكُرُوا وَتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ فِعْلُ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ، فَيَسِيرٌ فِي قُدْرَتِهِ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَإِعَادَتُهَا خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ دُرُوسِهَا.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٨].

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبَةُ تُرْبَتُهُ، الْعَذْبَةُ مَشَارِبُهُ..

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ إِذَا أَنْزَلَ اللهُ الْغَيْثَ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الْحَيَا..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ طَيِّبًا ثَمَرُهُ فِي حِينِهِ وَوَقْتِهِ..

﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ فَرَدُؤَتْ تُرْبَتُهُ، وَمَلِحَتْ مَشَارِبُهُ..

﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نَبَاتُهُ..

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ إِلَّا عُسْرًا فِي شِدَّةٍ..

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ كَذِلِكَ نُبَيِّنُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، وَنُدْلِي بِحُجَّةٍ بَعْدَ حُجَّةٍ، وَنَضْرِبُ مَثَلًا بَعْدَ مَثَلٍ..

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٨] اللهَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ، وَتَبْصِيرِهِ إِيَّاهُمْ سَبِيلَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، بِاتِّبَاعِهِمْ مَا أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَتَجَنُّبِهِمْ مَا أَمَرَهُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ سُبُلِ الضَّلَالَةِ.. وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَالَّذِي خَبُثَ فَلَا يَخْرُجُ نَبَاتُهُ إِلَّا نَكِدًا، مَثَلٌ لِلْكَافِرِ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿لَقَدْ﴾ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ..

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ مُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ، وَمُخَوِّفَهُمْ سَخَطَهُ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ..

﴿فَقَالَ﴾ لِمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ، وَذِلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ، وَدَعُوا عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩] عَذَابَ يَوْمٍ يَعْظُمُ فِيهِ بَلَاؤُكُمْ بِمَجِيئِهِ إِيَّاكُمْ بِسَخَطِ رَبِّكُمْ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠].

﴿قَالَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ مُشْرِكِي قَوْمِ نُوحٍ لِنُوحٍ، وَهُمُ..

﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وَالْمَلَأُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ لَا امْرَأَةَ فِيهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يَا نُوحُ..

﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ فِي أَمْرٍ زَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ..

﴿مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠] مُبِينٌ زَوَالُهُ عَنْ قَصْدِ الْحَدِّ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ [الأعراف: ٦١].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ مُجِيبًا لَهُمْ..

﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ لَمْ آمُرْكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ للهِ وَإِفْرَادِهِ بِالطَّاعَةِ دُونَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ زَوَالًا مِنِّي عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَضَلَالًا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ، وَمَا بِي مَا تَظُنُّونَ مِنَ الضَّلَالِ..

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ إِلَيْكُمْ..

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ [الأعراف: ٦١] بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِفْرَادِهِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦٢].

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِاللهِ وَكَذَّبُوهُ: وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، فَأَنَا أُبَلِّغُكُمْ..

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ فِي تَحْذِيرِي إِيَّاكُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ وَرَدِّكُمْ نَصِيحَتِي..

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٢] مِنْ أَنَّ عِقَابَهُ لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٣].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ﴾ وَهَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ إِذْ رَدُّوا عَلَيْهِ النَّصِيحَةَ فِي اللهِ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ بَعَثَهُ نَبِيًّا، وَقَالُوا لَهُ: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝﴾ [هود: ٢٧]: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يَقُولُ: أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ..

﴿ذِكْرٌ﴾ تَذْكِيرٌ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِنَ اللهِ، وَعِظَةٌ يُذَكِّرُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ..

﴿عَلَىٰ﴾ مَعَ..

﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ بَأْسَ اللهِ، وَيُخَوِّفَكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ وَكَيْ تَتَّقُوا عِقَابَ اللهِ وَبَأْسَهُ، بِتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٣] وَلِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ إِنِ اتَّقَيْتُمُ اللهَ، وَخِفْتُمُوهُ وَحَذِرْتُمْ بَأْسَهُ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٤].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ نُوحًا قَوْمُهُ، إِذْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِخَلْعِ الْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ..

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فَأَنْجَاهُ اللهُ فِي الْفُلْكِ..

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَكَانُوا بِنُوحٍ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ..

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وَالْفُلْكُ: هُوَ السَّفِينَةُ..

﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ وَأَغْرَقَ اللهُ بِالطُّوفَانِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ، وَلَمْ يَقْبَلُوا نَصِيحَتَهُ إِيَّاهُمْ فِي اللهِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ٦٤﴾ [الأعراف: ٦٤] عَنِ الْحَقِّ.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ عَادٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ هُودًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمُ الشِّحْرُ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، وَمَا وَالَى بِلَادَ حَضْرَمَوْتٍ إِلَىٰ عُمَانَ..

﴿أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ﴾ هُودٌ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فَأَفْرِدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥] رَبَّكُمْ، فَتَحْذَرُونَهُ وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ؟.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦﴾ [الأعراف: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَ هُودًا بِهِ قَوْمُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ: قَالَ..

﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَنْكَرُوا رِسَالَةَ هُودٍ إِلَيْهِمْ..

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يَا هُودُ..

﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ فِي ضَلَالَةٍ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، بِتَرْكِكَ دِينَنَا وَعِبَادَةَ آلِهَتِنَا..

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦﴾ [الأعراف: ٦٦] فِي قِيلِكَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧﴾ [الأعراف: ٦٧].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أَيْ: ضَلَالَةٌ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧﴾ [الأعراف: ٦٧] أَرْسَلَنِي، فَأَنَا أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَأُؤَدِّيهَا

إِلَيْكُمْ كَمَا أَمَرَنِي أَنْ أُؤَدِّيَهَا.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [الأعراف: ٦٨].

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ﴾ فِي أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَدُعَائِكُمْ إِلَىٰ تَصْدِيقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿نَاصِحٌ﴾ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، فَإِنِّي..

﴿أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [الأعراف: ٦٩] عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ وَعَلَىٰ مَا ائْتَمَنَنِي اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، لَا أَكْذِبُ فِيهِ وَلَا أَزِيدُ، وَلَا أُبَدِّلُ، بَلْ أُبَلِّغُ مَا أُمِرْتُ بِهِ كَمَا أُمِرْتُ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَاذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ وَحْيَهُ بِتَذْكِيرِكُمْ وَعِظَتِكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ، عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ، لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسَ اللهِ وَيُخَوِّفَكُمْ عِقَابَهُ..

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاذْكُرُوا مَا حَلَّ بِقَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْعَذَابِ، إِذْ عَصَوْا رَسُولَهُمْ وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا جَعَلَكُمْ رَبُّكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ، لَمَّا أَهْلَكَهُمْ أَبْدَلَكُمْ مِنْهُمْ فِيهَا، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ نَظِيرُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فَيُهْلِكَكُمْ، وَيُبَدِّلَ مِنْكُمْ غَيْرَكُمْ -سُنَّتَهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ قَبْلَكُمْ- عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ وَكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ زَادَ فِي أَجْسَامِكُمْ طُولًا وَعِظَمًا عَلَىٰ أَجْسَامِ قَوْمِ نُوحٍ، وَفِي قِوَامِكُمْ عَلَىٰ قِوَامِهِمْ، نِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿فَاذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ فَاذْكُرُوا نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ الَّذِي فَضَّلَكُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي أَجْسَامِكُمْ وَقِوَامِكُمْ، وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَرْكِ الْإِشْرَاكِ بِهِ وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [الأعراف: ٦٩] كَيْ تُفْلِحُوا، فَتُدْرِكُوا الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي النِّعَمِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَهُ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتْ عَادٌ لِهُودٍ..

﴿أَجِئۡتَنَا﴾ تَتَوَعَّدُنَا بِالْعِقَابِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ..

﴿لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ﴾ كَيْ نَعْبُدَ اللهَ..

﴿وَحۡدَهُۥ﴾ وَنَدِينُ لَهُ بِالطَّاعَةِ خَالِصًا..

﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وَنَهْجُرَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَهَا وَنَتَبَرَّأَ مِنْهَا؟ فَلَسْنَا فَاعِلِي ذَٰلِكَ، وَلَا مُتَّبِعِيكَ عَلَىٰ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ..

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ عَلَىٰ تَرْكِنَا إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ للهِ، وَعِبَادَتِنَا مَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠] إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ عَلَىٰ مَا تَقُولُ وَتَعِدُ.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ۝٧١﴾ [الأعراف: ٧١].

﴿قَالَ﴾ هُودٌ لِقَوْمِهِ..

﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ حَلَّ بِكُمْ عَذَابٌ وَغَضَبٌ مِنَ اللهِ..

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أَتُخَاصِمُونَنِي أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا، أَصْنَامًا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ..

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ مَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ بِهَا، وَلَا مَعْذِرَةٍ تَعْتَذِرُونَ بِهَا؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ ضَرَّ وَنَفَعَ، وَأَثَابَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَاقَبَ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَرَزَقَ وَمَنَعَ، فَأَمَّا الْجَمَادُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ، فَإِنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا ضَرَّ، وَلَا حُجَّةَ لِعَابِدٍ عَبَدَهُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَأْذَنْ بِذَلِكَ، فَيُعْذَرَ مَنْ عَبَدَهُ بِأَنَّهُ يَعْبُدُهُ اتِّبَاعًا مِنْهُ أَمْرَ اللهِ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ، وَلَا هُوَ -إِذْ كَانَ اللهُ لَمْ يَأْذَنْ فِي عِبَادَتِهِ- مِمَّا يُرْجَىٰ نَفْعُهُ، أَوْ يُخَافُ ضَرُّهُ، فِي عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، فَيُعْبَدَ رَجَاءَ نَفْعِهِ، أَوْ دَفْعَ ضَرِّهِ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: ٧١] فَانْتَظِرُوا حُكْمَ اللهِ فِينَا وَفِيكُمْ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ حُكْمَهُ، وَفَصْلَ قَضَائِهِ فِينَا وَفِيكُمْ.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾ [الأعراف: ٧٢].

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ فَأَنْجَيْنَا هُودًا..

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَبِمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَهَجْرِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْ قَوْمِ هُودٍ بِحُجَجِنَا جَمِيعًا عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا..

﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾ [الأعراف: ٧٢] وَلَمْ يَكُونُوا مُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ هُودٍ.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ بَنِي..

﴿ثَمُودَ﴾ كَانَتْ مَسَاكِنُهُم الْحِجْرَ، بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، إِلَىٰ وَادِي الْقُرَىٰ وَمَا حَوْلَهُ..

﴿أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ﴾ صَالِحٌ لِثَمُودَ..

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَـ..

﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ مَا لَكُمْ إِلَهٌ يَجُوزُ أَنْ تَعْبُدُوهُ غَيْرُهُ..

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ عَلَىٰ صِدْقِ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةِ مَا إِلَيْهِ أَدْعُو مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ للهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَتَصْدِيقِي عَلَىٰ أَنِّي لَهُ رَسُولٌ، وَبَيِّنَتِي عَلَىٰ مَا أَقُولُ وَحَقِيقَةُ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ..

﴿مِّن﴾ عِنْدِ..

﴿رَّبِّكُمۡۖ﴾ ورَبِّي..

﴿هَٰذِهِۦ﴾ حُجَّتِي عَلَيْهِ..

﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ مِنْ هَذِهِ الْهَضَبَةِ.. وَإِنَّمَا اسْتَشْهَدَ صَالِحٌ -فِيمَا بَلَغَنِي- عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ عِنْدَ قَوْمِهِ ثَمُودَ بِالنَّاقَةِ؛ لِأَنَّهُمْ سَأَلُوهُ إِيَّاهَا آيَةً وَدِلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ..

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ دَلِيلًا عَلَىٰ نُبُوَّتِي، وَصِدْقِ مَقَالَتِي، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ..

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ: **«لا تَسْأَلُوا الآيَاتِ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنَ الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ»**، قِيلَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: **«أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ»**.. وَلَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ: **«لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّىٰ أَجَازَ الْوَادِيَ»**..

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ وَلَا تَمَسُّوا نَاقَةَ اللهِ بِعَقْرٍ وَلَا نَحْرٍ..

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [الأعراف: ٧٣] مُوجِعٌ.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٧٤].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ وَاعِظًا لَهُمْ: وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ..

﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ تَخْلُفُونَ عَادًا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ هَلَاكِهَا..

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْزَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا مَسَاكِنَ وَأَزْوَاجًا..

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُبُونَ الصَّخْرَ مَسَاكِنَ..

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٧٤] لَا تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ قَالَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ عَنِ اتِّبَاعِ صَالِحٍ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِهِ..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ لِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مِنْ تُبَّاعِ صَالِحٍ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْهُمْ، دُونَ ذَوِي شَرَفِهِمْ وَأَهْلِ السُّؤْدَدِ مِنْهُمْ..

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ؟..

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ..

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ إِنَّا بِمَا أَرْسَلَ اللهُ بِهِ صَالِحًا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ..

﴿مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥] مُصَدِّقُونَ مُقِرُّونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ، وَعَنْ أَمْرِ اللهِ دَعَانَا صَالِحٌ إِلَيْهِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٦].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَالِحٍ..

﴿إِنَّا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ صَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ نُبُوَّةِ صَالِحٍ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٦] جَاحِدُونَ مُنْكِرُونَ، لَا نُصَدِّقُ بِهِ وَلَا نُقِرُّ.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٧].

﴿فَعَقَرُوا۟﴾ فَعَقَرَتْ ثَمُودُ..

﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً.. قَالَ قَتَادَةُ: **(قَالَ عَاقِرُ النَّاقَةِ لَهُمْ: لَا أَقْتُلُهَا حَتَّىٰ تَرْضَوْا أَجْمَعِينَ. فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ فِي خِدْرِهَا، فَيَقُولُونَ: أَتَرْضَيْنَ؟ فَتَقُولُ: نَعَمْ، وَالصَّبِيُّ، حَتَّىٰ رَضُوا أَجْمَعِينَ، فَعَقَرَهَا)**

﴿وَعَتَوْا۟﴾ تَكَبَّرُوا وَتَجَبَّرُوا..

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ اللهِ، وَاسْتَعْلَوْا عَنِ الْحَقِّ..

﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ قَالُوا: جِئْنَا يَا صَالِحُ بِمَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ، اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ لِلْعَذَابِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧] إِنْ كُنْتَ للهِ رَسُولًا إِلَيْنَا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، فَعُجِّلَ ذَٰلِكَ لَهُمْ كَمَا اسْتَعْجَلُوهُ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ فَأَخَذَتِ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ مِنْ ثَمُودَ الرَّجْفَةُ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ.. وَالرَّجْفَةُ: الْفَعْلَةُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: رَجَفَ بِفُلَانٍ كَذَا يَرْجُفُ رَجْفًا، وَذَٰلِكَ إِذَا حَرَّكَهُ وَزَعْزَعَهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالرَّجْفَةِ هَهُنَا: الصَّيْحَةَ الَّتِي زَعْزَعَتْهُمْ وَحَرَّكَتْهُمْ لِلْهَلَاكِ؛ لِأَنَّ ثَمُودَ هَلَكَتْ بِالصَّيْحَةِ، فِيمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ..

﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ فَأَصْبَحَ الَّذِينَ أَهْلَكَ اللهُ مِنْ ثَمُودَ..

﴿فِي دَارِهِمْ﴾ فِي أَرْضِهِمُ الَّتِي هَلَكُوا فِيهَا وَبَلْدَتِهِمْ، وَلِذَٰلِكَ وَحَّدَ الدَّارَ وَلَمْ يَجْمَعْهَا فَيَقُولُ (فِي دُورِهِمْ)، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهَا الدُّورَ، وَلَكِنْ وَجَّهَ بِالْوَاحِدَةِ إِلَىٰ الْجَمْعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١-٢]..

﴿جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨] يَعْنِي: سُقُوطًا صَرْعَىٰ، لَا يَتَحَرَّكُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ، قَدْ هَلَكُوا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْبَارِكِ عَلَىٰ الرُّكْبَةِ: جَاثِمٌ.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩].

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فَأَدْبَرَ صَالِحٌ..

﴿عَنْهُمْ﴾ حِينَ اسْتَعْجَلُوهُ الْعَذَابَ وَعَقَرُوا نَاقَةَ اللهِ خَارِجًا عَنْ أَرْضِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ: إِنِّي مُهْلِكُهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ وَنَبِيُّهَا بَيْنَ أَظْهُرِهَا، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ خُرُوجِ صَالِحٍ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، حِينَ أَرَادَ اللهُ إِحْلَالَ عُقُوبَتِهِ بِهِمْ، فَقَالَ: فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ صَالِحٌ..

﴿وَقَالَ﴾ لِقَوْمِهِ ثَمُودَ..

﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَمَرَنِي بِأَدَائِهِ إِلَيْكُمْ رَبِّي مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾فِي أَدَائِي رِسَالَةَ اللهِ إِلَيْكُمْ، فِي تَحْذِيرِكُمْ بَأْسَهُ بِإِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَعِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانَ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩] لَكُمْ فِي اللهِ، النَّاهِينَ لَكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِكُمْ، الصَّادِّينَ لَكُمْ عَنْ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

[الأعراف: ٨٠].

﴿وَلُوطًا﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا.. وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: وَاذْكُرْ لُوطًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ -إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ صِلَةُ الرِّسَالَةِ كَمَا كَانَ فِي ذِكْرِ عَادٍ وَثَمُودَ- كَانَ مَذْهَبًا..

﴿إِذۡ﴾ حِينَ..

﴿قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ مِنْ سَدُومَ، وَإِلَيْهِمْ كَانَ أُرْسِلَ لُوطٌ..

﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ وَكَانَتْ فَاحِشَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَأْتُونَهَا الَّتِي عَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا: إِتْيَانَ الذُّكْرَانِ..

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠] مَا سَبَقَكُمْ بِفِعْلِ هَٰذِهِ الْفَاحِشَةِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾

[الأعراف: ٨١].

﴿إِنَّكُمۡ﴾ يُخْبِرُ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ لُوطٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ، تَوْبِيخًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ: ﴿إِنَّكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿شَهۡوَةٗ﴾ مِنْكُمْ لِذَلِكَ..

﴿مِّن دُونِ﴾ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ لَكُمْ وَأَحَلَّهُ مِنَ..

﴿ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ﴾ إِنَّكُمْ لَـ..

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨١] تَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَتَعْصَونَهُ بِفِعْلِكُمْ هَذَا، وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْرَافُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٢].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِ لُوطٍ لِلُوطٍ إِذْ وَبَّخَهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِمُ الْقَبِيحِ، وَرُكُوبِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ الْخَبِيثِ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَخْرِجُوهُم﴾ أَخْرِجُوا لُوطًا وَأَهْلَهُ..

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ لُوطًا وَمَنْ تَبِعَهُ..

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٢] يَتَنَزَّهُونَ عَمَّا نَفْعَلُهُ نَحْنُ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ فِي الْأَدْبَارِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٣].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ لَمَّا أَبَىٰ قَوْمُ لُوطٍ مَعَ تَوْبِيخِ لُوطٍ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا يَأْتُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَإِبْلَاغِهِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، إِلَّا التَّمَادِيَ فِي غَيِّهِمْ أَنْجَيْنَا لُوطًا..

﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فَإِنَّهَا..

﴿كَانَتْ﴾ لِلُوطٍ خَائِنَةً وَبِاللهِ كَافِرَةً..

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٣] مِنَ الْبَاقِينَ.. وَلَمْ يَقُلْ: (الْغَابِرَاتِ)؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهَا مِمَّنْ بَقِيَ مَعَ الرِّجَالِ، فَلَمَّا ضَمَّ ذِكْرَهَا إِلَىٰ ذِكْرِ الرِّجَالِ قِيلَ مِنَ الْغَابِرِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَانَتِ امْرَأَةُ لُوطٍ مِمَّنْ نَجَا مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي هَلَكَ بِهِ قَوْمُ لُوطٍ؟ قِيلَ: لَا، بَلْ كَانَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.. فَإِنْ قَالَ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ مَعْنَىٰ الْغَابِرِ الْبَاقِي، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ قَدْ بَقِيَتْ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنَ الْبَاقِينَ فِي عَذَابِ اللهِ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٤].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ عَلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا لُوطًا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿مَّطَرًاۖ﴾ مِنْ حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ أَهْلَكْنَاهُمْ بِهِ..

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٤] الَّذِينَ كَذَّبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، فَاجْتَرَمُوا مَعَاصِيَ اللهِ، وَرَكِبُوا الْفَوَاحِشَ، وَاسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، كَيْفَ كَانَتْ وَإِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ صَارَتْ، هَلْ كَانَتْ إِلَّا الْبَوَارُ وَالْهَلَاكُ؟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ أَوْ نَظِيرَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ، عَاقِبَةُ مَنْ كَذَّبَكَ وَاسْتَكْبَرَ مِنْ قَوْمِكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَصْدِيقِكَ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٥].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ وَلَدِ..

﴿مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَتَرْكِ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ شُعَيْبٌ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ..

﴿غَيْرُهُۥ﴾ غَيْرُ الْإِلَٰهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبِيَدِهِ نَفْعُكُمْ وَضَرُّكُمْ..

﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ عَلَامَةٌ وَحُجَّةٌ، بِحَقِيقَةِ مَا أَقُولُ وَصِدْقِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أَتِمُّوا لِلنَّاسِ حُقُوقَهُمْ بِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُونَ بِهِ..

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ الَّذِي تَزِنُونَ بِهِ..

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ وَلَا تَظْلِمُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ وَلَا تُنْقِصُوهُمْ إِيَّاهَا..

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَلَا تَعْمَلُوا فِي أَرْضِ اللهِ بِمَعَاصِيهِ، وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْكُمْ نَبِيَّهُ، مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَالْإِشْرَاكِ بِهِ، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بَعْدَ أَنْ قَدْ أَصْلَحَ اللهُ الْأَرْضَ بِابْتِعَاثِ النَّبِيِّ ﷺ فِيكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ وَمَا يَكْرَهُهُ اللهُ لَكُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَإِيفَاءِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَتَرْكِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ وَآجِلِ آخِرَتِكُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُؤَدِّي إِلَيْكُمْ عَنِ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦].

﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾ وَلَا تَجْلِسُوا..

﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ بِكُلِّ طَرِيقٍ..

﴿تُوعِدُونَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَتْلِ.. وَكَانُوا -فِيمَا ذُكِرَ- يَقْعُدُونَ عَلَىٰ طَرِيقِ مَنْ قَصَدَ شُعَيْبًا وَأَرَادَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ، فَيَتَوَعَّدُونَهُ وَيُخَوِّفُونَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ كَذَّابٌ..

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَتَرُدُّونَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ، وَهُوَ الرَّدُّ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِاللهِ وَوَحَّدَهُ..

﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وَتَلْتَمِسُونَ لِمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ اللهِ وَآمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ..

﴿عِوَجًا﴾ عَنِ الْقَصْدِ وَالْحَقِّ إِلَىٰ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ..

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ يُذَكِّرُهُمْ شُعَيْبٌ نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَهُمْ، بِأَنْ كَثَّرَ جَمَاعَتَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَلِيلًا عَدَدُهُمْ، وَأَنْ رَفَعَهُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْخَسَاسَةِ، يَقُولُ لَهُمْ: فَاشْكُرُوا اللهَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَاتَّقُوا عُقُوبَتَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاحْذَرُوا نِقْمَتَهُ بِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَانظُرُوا﴾ مَا نَزَلَ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ حِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ مِنَ الْمَثُلَاتِ وَالنِّقَمَاتِ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦] كَيْفَ وَجَدُوا عُقْبَىٰ عِصْيَانِهِمْ إِيَّاهُ، أَلَمْ يُهْلِكْ بَعْضَهُمْ غَرَقًا بِالطُّوفَانِ، وَبَعْضَهُمْ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالصَّيْحَةِ؟.. وَالْإِفْسَادُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَاهُ: مَعْصِيَةُ اللهِ.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧].

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ وَإِنْ كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ وَفِرْقَةٌ..

﴿ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ وَظُلْمِ النَّاسِ وَبَخْسِهِمْ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، فَاتَّبِعُونِي عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ وَجَمَاعَةٌ أُخْرَىٰ..

﴿لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ لَمْ يُصَدِّقُوا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَتَّبِعُونِي عَلَيْهِ..

﴿فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ فَاحْتَبِسُوا عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ الْفَاصِلِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ يَفْصِلُ، وَأَعْدَلُ مَنْ يَقْضِي؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي حُكْمِهِ مَيْلٌ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا مُحَابَاةٌ لِأَحَدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨].

﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ﴾ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ شُعَيْبٍ..

﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾ لَمَّا حَذَّرَهُمْ شُعَيْبٌ بَأْسَ اللهِ عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ وَمَنْ تَبِعَكَ وَصَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ مَعَكَ..

﴿مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ لَتَرْجِعَنَّ أَنْتَ وَهُمْ فِي دِينِنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ..

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ مُجِيبًا لَهُمْ..

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨] أَتُخْرِجُونَنَا مِنْ قَرْيَتِكُمْ، وَتَصُدُّونَنَا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ لِذَلِكَ؟

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿قَدِ﴾ قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ، إِذْ دَعَوْهُ إِلَىٰ الْعَوْدِ إِلَىٰ مِلَّتِهِمْ وَالدُّخُولِ فِيهَا، وَتَوَعَّدُوهُ بِطَرْدِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَرْيَتِهِمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ هُوَ وَهُمْ: قَدِ..

﴿ٱفْتَرَيْنَا﴾ اخْتَلَقْنَا..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَتَخَرَّصْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلًا..

﴿إِنْ﴾ نَحْنُ..

﴿عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ فَرَجَعْنَا فِيهَا..

﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا﴾ وَأَنْقَذَنَا..

﴿ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بِأَنْ بَصَّرَنَا خَطَأَهَا وَصَوَابَ الْهُدَىٰ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَرْجِعَ فِيهَا، فَنَدِينَ بِهَا وَنَتْرُكَ الْحَقَّ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبَقَ لَنَا فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّا نَعُودُ فِيهَا، فَيَمْضِي فِينَا حِينَئِذٍ قَضَاءُ اللهِ، فَيَنْفُذُ مَشِيئَتُهُ عَلَيْنَا..

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فَإِنَّ عِلْمَ رَبِّنَا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَحَاطَ بِهِ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ يَكُنْ سَبَقَ لَنَا فِي عِلْمِهِ أَنَّا نَعُودُ فِي مِلَّتِكُمْ -وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ وَلَا شَيْءٌ هُوَ كَائِنٌ- فَلَابُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّا غَيْرُ عَائِدِينَ فِي مِلَّتِكُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ عَلَىٰ اللهِ نَعْتَمِدُ فِي أُمُورِنَا، وَإِلَيْهِ نَسْتَنِدُ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ شِرْكِكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَإِنَّهُ الْكَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ فَزِعَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ رَبِّهِ بِالدُّعَاءِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، إِذْ أَيِسَ مِنْ فَلَاحِهِمْ، وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُ مِنْ إِذْعَانِهِمْ للهِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَخَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ مُؤْمِنِي قَوْمِهِ مِنْ فَسَقَتِهِمُ الْعَطَبَ وَالْهَلَكَةَ بِتَعْجِيلِ النِّقْمَةِ، فَقَالَ..

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احْكُمْ..

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بِحُكْمِكَ الْحَقِّ، الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا حَيْفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩] الْحَاكِمِينَ، ذَكَرَ الْفَرَّاءُ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ يُسَمُّونَ الْقَاضِي:

الْفَاتِحَ وَالْفَتَّاحَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ كَفَرَةِ رِجَالِ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَهُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَتَمَادُوا فِي غَيِّهِمْ، لِآخَرِينَ مِنْهُمْ..

﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ لَئِنْ أَنْتُمُ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا عَلَىٰ مَا يَقُولُ، وَأَجَبْتُمُوهُ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠] لَمَغْبُونُونَ فِي فِعْلِكُمْ، وَتَرْكِكُمْ مِلَّتَكُمُ -الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ- إِلَىٰ دِينِهِ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَهَالِكُونَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِكُمْ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١﴾ [الأعراف: ٩١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ فَأَخَذَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ..

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزَّلْزَلَةُ الْمُحَرِّكَةُ لِعَذَابِ اللهِ..

﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١﴾ [الأعراف: ٩١] عَلَىٰ رُكَبِهِمْ مَوْتَىٰ هَلْكَىٰ، وَكَانَتْ صِفَةُ الْعَذَابِ الَّذِي أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ [الأعراف: ٩٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ فَأَهْلَكَ الَّذِينَ..

﴿كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَأَبَادَهُمْ، فَصَارَتْ قَرْيَتُهُمْ مِنْهُمْ خَاوِيَةً خَلَاءً..

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ كَأَنْ لَمْ يَنْزِلُوا قَطُّ، وَلَمْ يَعِيشُوا بِهَا حِينَ هَلَكُوا..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ [الأعراف: ٩٢] لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا شُعَيْبًا الْخَاسِرِينَ، بَلِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ الْهَالِكِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا قَالُوا لِلَّذِينَ أَرَادُوا اتِّبَاعَهُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف: ٩٠]، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ بِمَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ عَاجِلِ نَكَالِهِ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا خَسِرَ تُبَّاعُ شُعَيْبٍ، بَلْ كَانَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا لَمَّا جَاءَتْ عُقُوبَةُ اللهِ هُمُ الْخَاسِرِينَ دُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِهِ.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣].

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ فَأَدْبَرَ شُعَيْبٌ عَنْهُمْ شَاخِصًا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ حِينَ أَتَاهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿وَقَالَ﴾ لَمَّا أَيْقَنَ بِنُزُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ حُزْنًا عَلَيْهِمْ..

﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، مِنْ تَحْذِيرِكُمْ غَضَبَهُ عَلَىٰ إِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ، وَظُلْمِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ..

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ بِأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِطَاعَةِ اللهِ، وَنَهْيِكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ فَكَيْفَ أَحْزَنُ..

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣] عَلَىٰ قَوْمٍ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَتَوَجَّعُ لِهَلَاكِهِمْ؟

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعَرِّفَهُ سُنَّتَهُ فِي الْأُمَمِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِهِ، وَمُذَكِّرٌ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَنْزَجِرُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَالتَّكْذِيبِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ قَبْلَكَ..

﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ وَهُوَ الْبُؤْسُ وَشَظَفُ الْمَعِيشَةِ وَضِيقُهَا..

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وَهِيَ الضُّرُّ وَسُوءُ الْحَالِ فِي أَسْبَابِ دُنْيَاهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤] فَعَلْنَا ذَٰلِكَ لِيَتَضَرَّعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَسْتَكِينُوا إِلَيْهِ، وَيُنِيبُوا بِالْإِقْلَاعِ عَنْ كُفْرِهِمْ، وَالتَّوْبَةِ مِنْ تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ.. وَقِيلَ: يَضَّرَّعُونَ، وَالْمَعْنَىٰ: يَتَضَرَّعُونَ، وَلَكِنْ أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الضَّادِ، لِتَقَارُبِ مَخْرَجِهِمَا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٥].

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾وَهِيَ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَٰلِكَ سَيِّئَةً؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَسُوءُ النَّاسَ،

وَلَا تَسُوءُهُمُ الْحَسَنَةُ..

﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ وَهِيَ الرَّخَاءُ وَالنِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي الْمَعِيشَةِ..

﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ حَتَّىٰ كَثُرُوا، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ.. وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَثُرَ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ: قَدْ عَفَا..

﴿وَّقَالُوا﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَبْدَلَهُمُ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، اسْتِدْرَاجًا وَابْتِلَاءً، أَنَّهُمْ قَالُوا إِذْ فُعِلَ ذَلِكَ بِهِمْ..

﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ﴾ هَذِهِ أَحْوَالٌ قَدْ أَصَابَتْ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ آبَائِنَا وَنَالَتْ أَسْلَافَنَا، وَنَحْنُ لَا نَعْدُو أَنْ نَكُونَ أَمْثَالَهُمْ، يُصِيبُنَا مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الشِّدَّةِ فِي الْمَعَايِشِ وَالرَّخَاءِ فِيهَا، وَهِيَ السَّرَّاءُ؛ لِأَنَّهَا تُسِرُّ أَهْلَهَا، وَجَهِلَ الْمَسَاكِينُ شُكْرَ نِعْمَةِ اللهِ، وَأَغْفَلُوا -مِنْ جَهْلِهِمْ- اسْتِدَامَةَ فَضْلِهِ بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِقْلَاعِ عَمَّا يَكْرَهُهُ بِالتَّوْبَةِ، حَتَّىٰ أَتَاهُمْ أَمْرُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بِالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً، أَتَاهُمْ عَلَىٰ غِرَّةٍ مِنْهُمْ بِمَجِيئِهِ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩٥﴾ [الأعراف: ٩٥] وَهُمْ لَا يَدْرُونَ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَجِيئُهُمْ، بَلْ هُمْ بِأَنَّهُ آتِيهِمْ مُكَذِّبُونَ حَتَّىٰ يُعَايِنُوهُ وَيَرَوْهُ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلَنَا، الَّذِينَ ذَكَرْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَهُم فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿ءَامَنُوا۟﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَه..

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ وَاتَّقُوا اللهَ فَخَافُوا عَذَابَهُ بِتَجَنُّبِهِم مَا يَكْرَهُه مِن أَعْمَالِهِم، وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّه مِنْهُمْ مِنَ العَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿لَفَتَحْنَا﴾ لَأَرْسَلْنَا..

﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الأَمْطَارَ.. وَذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْبَتْنَا لَهُم مِن الأَرْضِ بِهَا النَّبَاتَ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمُ القُحُوطَ والجُدُوبَ، وَذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ..

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ بِاللهِ ورَسولِهِ..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٦] فعجَّلنا لهم العقوباتِ بِكَسْبِهِمُ الخبيثَ، وَعَمَلِهِمُ الرَّدِيءِ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أَفَأَمِنَ﴾ يا محمدُ..

﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذِّبةُ باللهِ ورسولِهِ، أن يُسْلَكَ بهم مَسْلَكَ أَسلَافِهِم مِن الأممِ المكذِّبةِ اللهَ وَرُسُلَه، في تَعجيلِ العقوبةِ لهم كما عُجِّلَت لهم، وقد سلكوا سبيلَهم في تكذيبِ اللهِ ورسولِهِ، وجحودِ آياتِه..

﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عقوبتُنا..

﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا..

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٨].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عقوبتُنا..

﴿ضُحًى﴾ نهارًا عند الضُحىٰ..

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٨] سَاهُوْنَ غَافِلُوْنَ عَنْ مَجِيْئِهِ، لَا يَشْعُرُوْنَ بِهِ.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٩].

﴿أَفَأَمِنُواْ﴾ أَفَأَمِنَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ..

﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ اسْتِدْرَاجَ اللهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَرَخَاءِ الْعَيْشِ، كَمَا اسْتَدْرَجَ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِمْ قَصَصَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ..

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ مَكْرَ اللهِ لَا يَأْمَنُهُ، يَقُولُ: لَا يَأْمَنُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مَعَ مُقَامِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ..

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٩] وَهُمُ الْهَالِكُونَ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٠].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أَوَلَمْ يُبَيِّنْ..

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ لِلَّذِينَ يُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ بَعْدَ هَلَاكِ آخَرِينَ قَبْلَهُمْ كَانُوا أَهْلَهَا، فَسَارُوا سِيرَتَهُمْ وَعَمِلُوا أَعْمَالَهُمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ﴾ أَنْ لَوْ نَشَاءُ فَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا فَعَلْنَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَعَجَّلْنَا لَهُمْ بَأْسَنَا كَمَا عَجَّلْنَاهُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ وَرِثُوا عَنْهُ الْأَرْضَ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ..

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَنَخْتِمُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ..

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠﴾ [الأعراف: ١٠٠] مَوْعِظَةً وَلَا تَذْكِيرًا، سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ بِهِمَا.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف: ١٠١].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَهَا وَأَمْرَ أَهْلِهَا، يَعْنِي: قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَشُعَيْبٍ..

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ فَنُخْبِرُكَ عَنْهَا وَعَنْ أَخْبَارِ أَهْلِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَمْرِ رُسُلِ اللهِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ، لِتَعْلَمَ أَنَّا نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَعْدَائِنَا وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا، وَيَعْلَمَ مُكَذِّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ مَا عَاقِبَةُ أَمْرِ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَ اللهِ، فَيَرْتَدِعُوا عَنْ تَكْذِيبِكَ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ أَهْلَ الْقُرَىٰ الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهَا..

﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْبَيِّنَاتِ..

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عِنْدَ مَجِيءِ الرُّسُلِ بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ يَوْمَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، فَلَنْ يُؤْمِنَ أَبَدًا، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِمَنْ هَلَكَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي قَصَّ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَبَدًا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ وَعِنْدَ مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِمْ.. وَلَوْ قِيلَ تَأْوِيلُهُ: فَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرِثُوا الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا الَّذِينَ كَانُوا بِهَا مِنْ

عَادٍ وَثَمُودَ لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبَ بِهِ الَّذِينَ وَرِثُوهَا عَنْهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، كَانَ وَجْهًا وَمَذْهَبًا، غَيْرَ أَنِّي لَا أَعْلَمُ قَائِلًا قَالَهُ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَىٰ عِلْمِهِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ.. وَأَمَّا الَّذِي قَالَ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَوْ رُدُّوا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا، فَتَأْوِيلٌ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ صَحِيحٍ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، فَأَوْلَىٰ مِنْهُ بِالصَّوَابِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ دَلِيلٌ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ الَّتِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ بَأْسُ اللهِ فَهَلَكُوا بِهِ، كَذَٰلِكَ..

﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ۝١٠١﴾ [الأعراف: ١٠١] الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا مِنْ قَوْمِكَ.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢].

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ وَلَمْ نَجِدْ لِأَكْثَرِ أَهْلِ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا وَاقْتَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَهَا..

﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ مِنْ وَفَاءٍ بِمَا وَصَّيْنَاهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَهَجْرِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ.. وَالْعَهْدُ: هُوَ الْوَصِيَّةُ..

﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢] وَمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ إِلَّا فَسَقَةً عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، تَارِكِينَ عَهْدَهُ وَوَصِيَّتَهُ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝١٠٣﴾ [الأعراف: ١٠٣].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ.. وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِن بَعْدِهِم﴾ هِيَ كِنَايَةُ ذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿مُّوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿بِآيَاتِنَا﴾ بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِلَىٰ جَمَاعَةِ فِرْعَوْنَ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فَكَفَرُوا بِهَا.. وَالْهَاءُ وَالأَلِفُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ ﴿بِهَا﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الآيَاتِ، وَمَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: فَظَلَمُوا بِآيَاتِنَا الَّتِي بَعَثْنَا بِهَا مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: فَظَلَمُوا بِهَا، بِمَعْنَىٰ:

كَفَرُوا بِهَا؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْكُفْرُ بِآيَاتِ اللهِ: وُضْعٌ لَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَصَرَفٌ لَهَا إِلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهَا الَّذِي عَنِيَتْ بِهِ..

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ..

﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٣] الَّذِينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، يَعْنِي فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ؛ إِذْ ظَلَمُوا بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مُوسَىٰ ﷺ، وَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ أُغْرِقُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٤].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِفِرْعَوْنَ..

﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ﴾ إِلَيْكَ..

﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٤].

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٥].

﴿حَقِيقٌ﴾ حَرِيصٌ..

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ﴾ بِأَنْ لَا..

﴿أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَشْهَدُ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا أَقُولُ وَصِدْقِ مَا أَذْكُرُ لَكُمْ مِنْ إِرْسَالِ اللهِ إِيَّايَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا..

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٥] فَأَرْسِلْ يَا فِرْعَوْنُ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَـ.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٦].

﴿قَالَ﴾ لَهُ فِرْعَوْنُ..

﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ﴾ بِحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ شَاهِدَةٍ عَلَىٰ صِدْقِ مَا تَقُولُ..

﴿فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٦].

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٧].

﴿فَأَلۡقَىٰ﴾ مُوسَىٰ..

﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حَيَّةٌ..

﴿مُّبِينٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٧] تَتَبَيَّنُ لِمَنْ يَرَاهَا أَنَّهَا حَيَّةٌ.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٨].

﴿وَنَزَعَ﴾ وَأَخْرَجَ..

﴿يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾ تَلُوحُ..

﴿لِلنَّٰظِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٨] لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ مُوسَىٰ -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا- آدَمَ، فَجَعَلَ اللهُ تَحَوُّلَ يَدِهِ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ لَهُ آيَةً، وَعَلَىٰ صِدْقِ قَوْلِهِ ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٤] حُجَّةً.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٩].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ قَالَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَالْأَشْرَافِ مِنْهُمْ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يَعْنُونَ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿لَسَٰحِرٌ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَعْيُنِ النَّاسِ بِخِدَاعِهِ إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ يُخَيَّلَ إِلَيْهِمُ الْعَصَا حَيَّةً، وَالْآدَمَ أَبْيَضَ، وَالشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ بِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٠٩] بِالسِّحْرِ.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٠].

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أَرْضِ مِصْرَ مَعْشَرَ الْقِبْطِ بِسِحْرِهِ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِلْمَلَإِ..

﴿فَمَاذَا﴾ فَأَيُّ شَيْءٍ..

﴿تَأْمُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١١٠] أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْرِهِ، بِأَيِّ شَيْءٍ تُشِيرُونَ فِيهِ؟.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١١١].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ..

﴿أَرْجِهْ﴾ أَخِّرْهُ، وَالْإِرْجَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأْخِيرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] تُؤَخِّرُ.. فَالْهَمْزُ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ قَبَائِلِ قَيْسٍ يَقُولُونَ: أَرْجَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ، وَتَرْكُ الْهَمْزِ مِنْ لُغَةِ تَمِيمٍ وَأَسَدٍ، يَقُولُونَ: أَرْجَيْتُهُ..

﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف: ١١١] مَنْ يَحْشُرُ السَّحَرَةَ فَيَجْمَعُهُمْ إِلَيْكَ.. وَقِيلَ: هُمُ الشُّرَطُ.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢﴾ [الأعراف: ١١٢].

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مَشُورَةِ الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، أَنْ يُرْسِلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، يَحْشُرُونَ كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اكْتُفِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ مِنْ إِظْهَارِهِ، وَهُوَ: فَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَحْشُرُونَ السَّحَرَةَ، فَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٣﴾ [الأعراف: ١١٣].

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ إِنَّ لَنَا لَثَوَابًا عَلَىٰ غَلَبَتِنَا مُوسَىٰ عِنْدَكَ..

﴿إِن كُنَّا﴾ يَا فِرْعَوْنُ..

﴿نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٣﴾ [الأعراف: ١١٣].

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف: ١١٤].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لِلسَّحَرَةِ إِذْ قَالُوا لَهُ: إِنَّ لَنَا عِنْدَكَ ثَوَابًا إِنْ نَحْنُ غَلَبْنَا مُوسَىٰ؟ قَالَ..

﴿نَعَمْ﴾ لَكُمْ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف: ١١٤] وَإِنَّكُمْ لَمِمَّنْ أُقَرِّبُهُ وَأُدْنِيهِ مِنِّي.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ١١٥﴾ [الأعراف: ١١٥].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ قَالَتِ السَّحَرَةُ لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ..

﴿إِمَّآ﴾ اخْتَرْ..

﴿أَن تُلْقِيَ﴾ عَصَاكَ..

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ١١٥﴾ [الأعراف: ١١٥] أَوْ نُلْقِيَ نَحْنُ عِصِيَّنَا.

﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ١١٦﴾
[الأعراف: ١١٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ..

﴿أَلْقُوا﴾ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ، فَأَلْقَتِ السَّحَرَةُ مَا مَعَهُمْ..

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ ذَلِكَ..

﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خَيَّلُوا إِلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ بِمَا أَحْدَثُوا مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخِدَعِ أَنَّهَا تَسْعَىٰ..

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وَاسْتَرْهَبُوا النَّاسَ بِمَا سَحَرُوا فِي أَعْيُنِهِمْ، حَتَّىٰ خَافُوا مِنَ الْعِصِيِّ وَالْحِبَالِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا حَيَّاتٌ..

﴿وَجَاءُو بِسِحْرٍ﴾ بِتَخْيِيلٍ..

﴿عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦] كَثِيرٍ، مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخِدَاعِ.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧].

﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فَأَلْقَاهَا..

﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تَلْقَمُ وَتَبْتَلِعُ..

﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧] مَا يَسْحَرُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨].

﴿فَوَقَعَ﴾ فَظَهَرَ..

﴿الْحَقُّ﴾ وَتَبَيَّنَ لِمَنْ شَهِدَهُ وَحَضَرَهُ فِي أَمْرِ مُوسَىٰ، وَأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ يَدْعُو إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨] مِنْ إِفْكِ السِّحْرِ وَكَذِبِهِ وَمَخَايِلِهِ.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٩].

﴿فَغُلِبُوا﴾ فَغَلَبَ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُمُوعَهُ..

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٩] وَانْصَرَفُوا عَنْ مَوْطِنِهِمْ ذَلِكَ بِصُغْرٍ مَقْهُورِينَ.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠].

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ عِنْدَمَا عَايَنُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ..

﴿سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠] سَاقِطِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ سُجَّدًا لِرَبِّهِمْ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ [الأعراف: ١٢١].

﴿قَالُوٓاْ﴾ يَقُولُونَ..

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ صَدَّقْنَا بِمَا جَاءَنَا بِهِ مُوسَىٰ، وَأَنَّ الَّذِي عَلَيْنَا عِبَادَتُهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَجَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢٢].

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢١] لَا فِرْعَوْنُ.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: ١٢٣].

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لِلسَّحَرَةِ إِذْ آمَنُوا بِاللهِ، يَعْنِي صَدَّقُوا رَسُولَهُ مُوسَىٰ ﷺ لَمَّا عَايَنُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿ءَامَنتُم﴾ أَصَدَّقْتُمْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِمُوسَىٰ وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ بِالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ تَصْدِيقُكُمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارُكُمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ لَخِدْعَةٌ خَدَعْتُمْ بِهَا مَنْ فِي مَدِينَتِنَا..

﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: ١٢٣] مَا أَفْعَلُ بِكُمْ، وَتَلْقَوْنَ مِنْ عِقَابِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ هَذَا.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٤].

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ لِلسَّحَرَةِ إِذْ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُوسَىٰ: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾، وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ مِنْ أَحَدِهِمْ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ وَرِجْلَهُ الْيُسْرَىٰ، أَوْ يَقْطَعَ يَدَهُ الْيُسْرَىٰ وَرِجْلَهُ الْيُمْنَىٰ، فَيُخَالِفَ بَيْنَ الْعُضْوَيْنِ فِي الْقَطْعِ، فَمُخَالَفَتُهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا هُوَ الْقَطْعُ مِنْ خِلَافٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذَا الْقَطْعَ فِرْعَوْنُ..

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٤] وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا فِرْعَوْنُ، لَمَّا رَأَىٰ مِنْ خُذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُ

وَغَلَبَةِ مُوسَىٰ ﷺ وَقَهْرِهِ لَهُ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ السَّحَرَةُ مُجِيبَةً لِفِرْعَوْنَ، إِذْ تَوَعَّدَهُمْ بِقَطْعِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ خِلَافٍ، وَالصَّلْبِ..

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥] يَعْنِي بِالِانْقِلَابِ إِلَىٰ اللهِ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرَ.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ وَمَا تُنْكِرُ مِنَّا يَا فِرْعَوْنُ وَمَا تَجِدُ عَلَيْنَا..

﴿إِلَّآ أَنْ﴾ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ بِحُجَجِ رَبِّنَا وَأَعْلَامِهِ..

﴿لَمَّا جَآءَتْنَاۚ﴾ أَدِلَّتُهُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهَا أَنْتَ، وَلَا أَحَدٌ سِوَىٰ اللهِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَزِعُوا إِلَىٰ اللهِ، بِمَسْأَلَتِهِ الصَّبْرَ عَلَىٰ عَذَابِ فِرْعَوْنَ، وَقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا..

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَنْزِلْ عَلَيْنَا حَبْسًا يَحْبِسُنَا عَنِ الْكُفْرِ بِكَ عِنْدَ تَعْذِيبِ فِرْعَوْنَ إِيَّانَا..

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦] وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، دِينِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، لَا عَلَىٰ الشِّرْكِ بِكَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ وَقَالَتْ جَمَاعَةُ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ..

﴿أَتَذَرُ﴾ أَتَدَعُ..

﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ كَيْ يُفْسِدُوا خَدَمَكَ وَعَبِيدَكَ عَلَيْكَ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فِي أَرْضِكَ مِنْ مِصْرَ..

﴿وَيَذَرَكَ﴾ وَيَدَعُ مُوسَىٰ خِدْمَتَكَ وَعِبَادَتَكَ..

﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وَعِبَادَةَ آلِهَتِكَ..

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَنَسْتَحْيِۦ﴾ وَنَسْتَبْقِي..

﴿نِسَآءَهُمْ﴾ إِنَاثَهُمْ..

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧] وَإِنَّا عَالُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ، يَعْنِي بِقَهْرِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَالٍ بِقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ فَوْقَهُ.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لِلْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهِ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ..

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ فِيمَا يَنُوبُكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ..

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ﴾ عَلَىٰ مَا نَالَكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ..

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾ إِنَّ الْأَرْضَ للهِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُوَرِّثَكُمْ -إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ مَا نَالَكُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَاحْتَسَبْتُمْ ذَلِكَ، وَاسْتَقَمْتُمْ عَلَىٰ السَّدَادِ- أَرْضَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، بِأَنْ يُهْلِكَهُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِيهَا، فَإِنَّ اللهَ يُوَرِّثُ أَرْضَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨] لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَرَاقَبَهُ، فَخَافَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ.

﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩].

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُمُ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا..

﴿أُوذِينَا﴾ بِقَتْلِ أَبْنَائِنَا..

﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بِرِسَالَةِ اللهِ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُمُ الذُّكُورَ حِينَ أَظَلَّهُ زَمَانُ مُوسَىٰ..

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا بِرِسَالَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا غُلِبَتْ سَحَرَتُهُ وَقَالَ لِلْمَلَإِ مِنْ قَوْمِهِ مَا قَالَ، أَرَادَ تَجْدِيدَ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَبْنَائِهِمْ وَاسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ قَالُوا لِمُوسَىٰ ذَلِكَ حِينَ خَافُوا أَنْ يُدْرِكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَهُمْ مِنْهُ هَارِبُونَ، وَقَدْ تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُوسَىٰ ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾، كَانُوا يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَنَا وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَنَا، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾، الْيَوْمَ يُدْرِكُنَا فِرْعَوْنُ فَيَقْتُلُنَا..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ..

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ لَعَلَّ رَبَّكُمْ..

﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ..

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ يَجْعَلُكُمْ تَخْلُفُونَهُمْ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فِي أَرْضِهِمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، لَا تَخَافُونَهُمْ وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ غَيْرَهُمْ..

﴿فَيَنظُرَ﴾ فَيَرَىٰ رَبُّكُمْ..

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩] بَعْدَهُمْ مِنْ مُسَارِعَتِكُمْ فِي طَاعَتِهِ وَتَثَاقُلِكُمْ عَنْهَا.

> ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾
> [الأعراف: ١٣٠].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ﴾ وَلَقَدِ اخْتَبَرْنَا..

﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعَهُ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ بِالْجُدُوبِ، وَالْقُحُوطِ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، يُقَالُ مِنْهُ: أَسْنَتَ الْقَوْمُ: إِذَا أَجْدَبُوا..

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَاخْتَبَرْنَاهُمْ مَعَ الْجُدُوبِ بِذَهَابِ ثِمَارِهِمْ وَغَلَّاتِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ [الأعراف: ١٣٠] عِظَةً لَهُمْ وَتَذْكِيرًا لَهُمْ؛ لِيَنْزَجِرُوا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ وَيَفْزَعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ.

> ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ﴾ فَإِذَا جَاءَتْ آلَ فِرْعَوْنَ..

﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ الْعَافِيَةُ وَالْخَصْبُ وَالرَّخَاءُ وَكَثْرَةُ الثِّمَارِ، وَرَأَوْا مَا يُحِبُّونَ فِي دُنْيَاهُمْ..

﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِهَا..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جُدُوبٌ وَقُحُوطٌ وَبَلَاءٌ..

﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يَتَشَاءَمُوا وَيَقُولُوا: ذَهَبَتْ حُظُوظُنَا وَأَنْصِبَاؤُنَا مِنَ الرَّخَاءِ وَالْخَصْبِ وَالْعَافِيَةِ، مُذْ جَاءَنَا مُوسَىٰ ﷺ..

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَلَا مَا طَائِرُ آلِ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمْ -وَذَلِكَ أَنْصِبَاؤُهُمْ مِنَ الرَّخَاءِ وَالْخَصْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ- إِلَّا عِنْدَ اللهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ كَانُوا يَطَّيَّرُونَ بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ آلُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ..

﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ وَعَلَامَةٍ وَدِلَالَةٍ..

﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾ لِتَلْفِتَنَا..

﴿بِهَا﴾ عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ فِرْعَوْنَ..

﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢] فَمَا نَحْنُ لَكَ فِي ذَلِكَ بِمُصَدِّقِينَ عَلَىٰ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ مَعْنَىٰ السِّحْرِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٣].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْمَاءُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمَوْتُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا مِنَ اللهِ طَافَ بِهِمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَىٰ مَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو ظَبْيَانَ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ طَافَ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: طَافَ بِهِمْ أَمْرُ اللهِ يَطُوفُ طَوَفَانًا، كَمَا يُقَالُ: نَقَصَ هَذَا الشَّيْءُ يَنْقُصُ نُقْصَانًا.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي طَافَ بِهِمُ الْمَطَرَ الشَّدِيدَ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتَ الذَّرِيعَ..

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ الْكَلَأِ..

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وَأَمَّا الْقُمَّلُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْطَةِ.. وَقَالَ

آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الدَّبَىٰ، وَهُوَ صِغَارُ الْجَرَادِ الَّذِي لَا أَجْنِحَةَ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْقُمَّلُ: الْبَرَاغِيثُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ..

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ تَسْقُطُ فِي أَطْعِمَتِهِمُ -الَّتِي فِي بُيُوتِهِمْ- وَفِي أَشْرِبَتِهِمْ..

﴿وَٱلدَّمَ﴾ فَكَانَ مَا اسْتَقَوْا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْآبَارِ، أَوْ مَا كَانَ فِي أَوْعِيَتِهِمْ وَجَدُوهُ دَمًا..

﴿ءَايَٰتٍ﴾ عَلَامَاتٍ، وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ، وَحَقِّيَّةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ..

﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ قَدْ فُصِلَ بَيْنَهَا، فَجَعَلَ بَعْضَهَا يَتْلُو بَعْضَهَا، وَبَعْضَهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ فَاسْتَكْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ عَلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَتَعَظَّمُوا عَلَىٰ اللهِ وَعَتَوْا عَلَيْهِ..

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣] كَانُوا قَوْمًا يَعْمَلُونَ بِمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفِسْقِ عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤﴾ [الأعراف: ١٣٤].

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ وَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ، وَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ، فَزِعُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ بِمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ كَشْفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرِّجْزُ كَانَ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ عَذَابًا عَلَيْهِمْ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرِّجْزُ كَانَ طَاعُونًا.. وَلَمْ يُخْبِرْنَا اللهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ؟ وَلَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ خَبَرٌ فَنُسَلِّمَ لَهُ، فَالصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ فِيهِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ وَلَا نَتَعَدَّاهُ إِلَّا بِالْبَيَانِ الَّذِي لَا تَمَانُعَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ لَمَّا حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ وَسَخَطُهُ..

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بِمَا أَوْصَاكَ وَأَمَرَكَ بِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْعَهْدِ فِيمَا مَضَىٰ..

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ لَئِنْ رَفَعْتَ عَنَّا الْعَذَابَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ..

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ لَنُصَدِّقَنَّ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَدَعَوْتَ إِلَيْهِ وَلَنُقِرَّنَّ بِهِ لَكَ..

﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤﴾ [الأعراف: ١٣٤] وَلَنُخَلِّيَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا نَمْنَعُهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا حَيْثُ شَاءُوا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٥].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ فَدَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ، فَأَجَابَهُ، فَلَمَّا رَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ لِيَسْتَوْفُوا عَذَابَ أَيَّامِهِمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ أَجَلًا إِلَىٰ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ..

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٥] إِذَا هُمْ يَنْقُضُونَ عُهُودَهُمُ الَّتِي عَاهَدُوا رَبَّهُمْ وَمُوسَىٰ، وَيُقِيمُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦].

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَلَمَّا نَكَثُوا عُهُودَهُمْ، انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، يَقُولُ: انْتَصَرْنَا مِنْهُمْ بِإِحْلَالِ نِقْمَتِنَا بِهِمْ وَذَلِكَ عَذَابُهُ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ، بِتَكْذِيبِهِمْ بِحُجَجِنَا وَأَعْلَامِنَا الَّتِي أَرَيْنَاهُمُوهَا..

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦] وَكَانُوا عَنِ النِّقْمَةِ الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ غَافِلِينَ قَبْلَ حُلُولِهَا بِهِمْ أَنَّهَا بِهِمْ حَالَّةٌ.. وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَنْهَا﴾ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ النِّقْمَةِ.. فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هِيَ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ الْآيَاتِ، وَوَجْهُ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ، فَجَعَلَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهَا غُفُولًا مِنْهُمْ إِذْ لَمْ يَقْبَلُوهَا، كَانَ مَذْهَبًا.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَسْتَضْعِفُونَهُمْ، فَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، وَيَسْتَخْدِمُونَهُمْ تَسْخِيرًا وَاسْتِعْبَادًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ لِأَنَّهُ أَوْرَثَ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِمَهْلِكِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْعَمَالِقَةِ..

﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾ الشَّامَ، وَذَلِكَ مَا يَلِي الشَّرْقَ مِنْهَا..

﴿وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ الَّتِي جَعَلْنَا فِيهَا الْخَيْرَ ثَابِتًا دَائِمًا لِأَهْلِهَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا نَصْبٌ عَلَىٰ الْمَحِلِّ، يَعْنِي: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، وَذَلِكَ قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَضْعِفُهُمْ أَيَّامَ فِرْعَوْنَ غَيْرُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا بِمِصْرَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: الَّذِينَ يُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا..

﴿وَتَمَّتْ﴾ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَمَامِهِ، عَلَىٰ مَا وَعَدَهُمْ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَكَلِمَتُهُ الْحُسْنَىٰ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝﴾ [القصص: ٥- ٦]..

﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ مِنْ تَمْكِينِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ..

﴿وَدَمَّرْنَا﴾ وَأَهْلَكْنَا..

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَصْنَعُونَهُ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَالْمَزَارِعِ..

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٣٧] وَمَا كَانُوا يَبْنُونَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْقُصُورِ، وَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَخَرَّبْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ.

> ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٣٨].

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ وَقَطَعْنَا..

﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ بَعْدَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَيْنَاهُمُوهَا وَالْعِبَرِ الَّتِي عَايَنُوهَا عَلَىٰ يَدَيْ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ، فَلَمْ تَزْجُرْهُمْ تِلْكَ الْآيَاتُ، وَلَمْ تَعِظْهُمْ تِلْكَ الْعِبَرُ وَالْبَيِّنَاتُ، حَتَّىٰ قَالُوا مَعَ مُعَايَنَتِهِمْ مِنَ حُجَجِ اللهِ مَا يَحِقُّ أَنْ تَذَّكَّرَ مَعَهَا الْبَهَائِمُ..

﴿فَأَتَوْا۟﴾ إِذْ مَرُّوا..

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾ يَقُيمُونَ عَلَىٰ مُثُلٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ مِثَالًا نَعْبُدُهُ وَصَنَمًا نَتَّخِذُهُ إِلَهًا..

﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ كَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨] عَظَمَةَ اللهِ وَوَاجِبَ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٩].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعُكُوفَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَصْنَامِ..

﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ اللهُ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ وَمُفْسِدُهُ، وَمُخْسِرُهُمْ فِيهِ بِإِثَابَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ..

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٩] مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا فَمُضْمَحِلٌّ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ اللهِ وَحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، وَلَا مُدَافِعٌ عَنْهُمْ بَأْسَ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، وَلَا مُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ إِذَا عَذَّبَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَهُوَ فِي مَعْنَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ [الأعراف: ١٤٠].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ..

﴿أَغَيْرَ﴾ أَسِوَىٰ..

﴿ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أَلْتَمِسُكُمْ..

﴿إِلَٰهًا﴾ وَأَجْعَلُ لَكُمْ مَعْبُودًا تَعْبُدُونَهُ..

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ الَّذِي هُوَ خَالِقُكُمْ..

﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ [الأعراف: ١٤٠] فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ عَالَمِي دَهْرِكُمْ وَزَمَانِكُمْ؟ يَقُولُ: أَفَأَبْغِيكُمْ مَعْبُودًا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ تَعْبُدُونَهُ وَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ مَنْ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْخَلْقِ؟ إِنَّ هَذَا مِنْكُمْ لَجَهْلٌ.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٤١].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَاذْكُرُوا مَعَ قِيلِكُمْ هَذَا الَّذِي قُلْتُمُوهُ لِمُوسَىٰ بَعْدَ رُؤْيَتِكُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، وَبَعْدَ النِّعَمِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنِّي إِلَيْكُمْ، وَالْأَيَادِي الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِعْلَكُمْ مَا فَعَلْتُمْ، إِذْ..

﴿أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقَتِهِ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ إِذْ يَحْمِلُونَكُمْ أَقْبَحَ الْعَذَابِ وَسَيِّئَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مَا كَانَ الْعَذَابُ الَّذِي كَانَ يَسُومُهُمْ سَيِّئَهُ..

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ..

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَسْتَبْقُونَ إِنَاثَهُمْ..

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ وَفِي سَوْمِهِمْ إِيَّاكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ..

﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٤١] اخْتِبَارٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ.

﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

[الأعراف: ١٤٢].

﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ لِمُنَاجَاتِنَا..

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا﴾ وَأَتْمَمْنَا الثَّلَاثِينَ اللَّيْلَةِ..

﴿بِعَشْرٍ﴾ لَيَالٍ تَتِمَّةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فَكَمَّلَ الْوَقْتَ الَّذِي وَاعَدَ اللهُ مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَبَلَغَهَا..

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا مَضَىٰ لِمَوْعِدِ رَبِّهِ..

﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ إِلَىٰ أَنْ أَرْجِعَ..

﴿وَأَصْلِحْ﴾ وَأَصْلِحْهُمْ بِحَمْلِكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢] وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَمَعُونَتِهِمْ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَلَىٰ عِصْيَانِهِمْ رَبَّهُمْ، وَلَكِنِ اسْلُكْ سَبِيلَ الْمُطِيعِينَ رَبَّهُمْ، فَكَانَتْ مُوَاعَدَةُ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَّىٰ مِنْهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَا أَنْ يَلْقَانَا فِيهِ..

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وَنَاجَاهُ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِـ..

﴿رَبِّ﴾ ـهِ..

﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ﴾ اللهُ لَهُ مُجِيبًا..

﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْكَ وَأَشَدُّ خَلْقًا..

﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ﴾ فَلَمَّا اطَّلَعَ..

﴿رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ﴾ جَعَلَ اللهُ الْجَبَلَ..

﴿دَكًّا﴾ مُسْتَوِيًا بِالأَرْضِ.. قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، وَوَضَعَ الإِبْهَامَ عَلَىٰ الْمِفْصَلِ الأَعْلَىٰ مِنَ الْخِنْصَرِ، وقَالَ: «فَسَاخَ الْجَبَلُ»..

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾ نَظَرَ موسىٰ إِلَىٰ الْجَبَلِ لا يَتَمَالَكُ، وَأَقْبَلَ الْجَبَلُ يَنْدَكُّ عَلَىٰ أَوَّلِهِ، وخَرَّ مُوسَىٰ لَمَّا رَأَىٰ مَا يَصْنَعُ الْجَبَلُ..

﴿صَعِقًا﴾ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ..

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ فَلَمَّا ثَابَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ فَهْمُهُ مِنْ غَشْيَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الإِفَاقَةُ مِنَ الصَّعْقَةِ الَّتِي خَرَّ لَهَا مُوسَىٰ ﷺ..

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ وَتَبْرِئَةً أَنْ يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَعِيشَ..

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ مَا سَأَلْتُكَ مِنَ الرُّؤْيَةِ..

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣] بِكَ مِنْ قَوْمِي أَنْ لَا يَرَاكَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُؤْمِنُونَ وَأَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ وَلَدُ إِسْرَائِيلَ لِصُلْبِهِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ وَأَنْبِيَاءَ، فَلِذَلِكَ اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي قُلْنَاهُ.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخْتَرْتُكَ..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي﴾ إِلَىٰ خَلْقِي، أَرْسَلْتُكَ بِهَا إِلَيْهِمْ..

﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ كَلَّمْتُكَ وَنَاجَيْتُكَ دُونَ غَيْرِكَ مِنْ خَلْقِي..

﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ فَخُذْ مَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي وَتَمَسَّكْ بِهِ، وَاعْمَلْ بِهِ، يُرِيدُ..

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤] للهِ عَلَىٰ مَا آتَاكَ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَحَصَلَ بِهِ مِنَ النَّجْوَىٰ بِطَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥].

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ فِي أَلْوَاحِهِ، وَأُدْخِلَتِ الأَلْفُ وَاللَّامُ فِي ﴿ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ بَدَلًا مِنَ الإِضَافَةِ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤١] يَعْنِي: هِيَ مَأْوَاهُ..

﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنَ التَّذْكِيرِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ وَعِزِّ سُلْطَانِهِ..

﴿مَّوۡعِظَةٗ﴾ لِقَوْمِهِ وَمَنْ أُمِرَ بِالْعَمَلِ بِمَا كُتِبَ فِي الأَلْوَاحِ..

﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾ وَتَبْيِينًا..

﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ وَقُلْنَا لِمُوسَىٰ إِذْ كَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ: خُذِ الأَلْوَاحَ بِقُوَّةٍ.. وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الأَلْوَاحِ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: فَخُذْهَا بِالطَّاعَةِ للهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِشَوَاهِدِهِ وَاخْتِلَافِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣]، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ﴾ وَقُلْنَا لِمُوسَىٰ: مُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَأۡخُذُواْ﴾ يَعْمَلُوا..

﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ مَا يَجِدُونَ فِيهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَكَانَ مِنْ خِصَالِهِمْ تَرْكُ بَعْضِ مَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ؟ قِيلَ: لَا وَلَكِنْ كَانَ فِيهَا أَمْرٌ وَنَهْي، فَأَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِعَمَلِهِ وَيَتْرُكُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَالْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ بِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْعَمَلِ بِالْمَنْهِيِّ عَنْهُ..

﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ إِذْ كَتَبَ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خُذْهَا بِجَدٍّ فِي الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَاجْتِهَادٍ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا، وَانْهَهُمْ عَنْ تَضْيِيعِهَا وَتَضْيِيعِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَالشِّرْكِ بِي، فَإِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِي مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنِّي سَأُرِيهِ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ مَصِيرِهِ إِلَيَّ دَارَ الْفَاسِقِينَ، وَهِيَ نَارُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَعْدَائِهِ.. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ: سَأُرِيكَ غَدًا إِلَامَ يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، عَلَىٰ وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَأُدْخِلُكُمْ أَرْضَ الشَّامِ، فَأُرِيكُمْ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُهَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالْعَمَالِقَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَأُرِيكُمْ دَارَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَهِيَ مِصْرُ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِمُوسَىٰ وَقَوْمِهِ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، فَأَوْلَى الْأُمُورِ بِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَخْتِمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ عَلَىٰ مَنْ ضَيَّعَهُ وَفَرَّطَ فِي الْعَمَلِ للهِ وَحَادَ عَنْ سَبِيلِهِ، دُونَ الْخَبَرِ عَمَّا قَدِ انْقَطَعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَوْ عَمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ۝١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦].

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: سَأَنْزِعُ عَنْهُمْ فَهْمَ الْكِتَابِ، وهو قول ابن عيينة، وَتَأْوِيلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَعِيدًا لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ دُونَ قَوْمِ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ مُوسَىٰ ﵇.. وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ: مَعْنَاهُ: سَأَصْرِفُهُمْ عَنِ الِاعْتِبَارِ بِالْحُجَجِ، وهو يُروىٰ عن ابن جريج.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ، وَهِيَ أَدِلَّتُهُ وَأَعْلَامُهُ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ فِي تَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ مِنْ خَلْقِهِ فَمَنْ آيَاتِهِ، وَالْقُرْآنُ أَيْضًا مِنْ آيَاتِهِ، وَقَدْ عَمَّ بِالْخَبَرِ أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَهُمُ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ

كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَهُمْ عَنْ فَهْمِ جَمِيعِ آيَاتِهِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِادِّكَارِ بِهَا مَصْرُوفُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ وُفِّقُوا لِفَهْمِ بَعْضِ ذَلِكَ فَهُدُوا لِلِاعْتِبَارِ بِهِ اتَّعَظُوا وَأَنَابُوا إِلَىٰ الْحَقِّ، وَذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ فَلَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ..

﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وَتَكَبُّرُهُمْ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ: تَجَبُّرُهُمْ فِيهَا، وَاسْتِكْبَارُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُمْ للهِ عُبَيْدٌ يَغْذُوهُمْ بِنِعْمَتِهِ وَيُرِيحُ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا..

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..

﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾ كُلَّ حُجَّةٍ للهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلَّ دَلَالَةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ خَالِصَةً دُونَ غَيْرِهِ..

﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لَا يُصَدِّقُوا بِتِلْكَ الْآيَةِ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ فِيهِ حُجَّةٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هِيَ سِحْرٌ وَكَذِبٌ..

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ وَإِنَّ يَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طَرِيقَ الْهُدَىٰ وَالسَّدَادِ الَّذِي إِنْ سَلَكُوهُ نَجَوْا مِنَ الْهَلَكَةِ وَالْعَطَبِ وَصَارُوا إِلَىٰ نَعِيمِ الْأَبَدِ..

﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ لَا يَسْلُكُوهُ وَلَا يَتَّخِذُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا؛ جَهْلًا مِنْهُمْ وَحِيرَةً..

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الْهَلَاكِ الَّذِي إِنْ سَلَكُوهُ ضَلُّوا وَهَلَكُوا..

﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يَسْلُكُوهُ وَيَجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا لِصَرْفِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يُفْلِحُونَ وَلَا يَنْجَحُونَ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صَرَفْنَاهُمْ عَنْ آيَاتِنَا أَنْ يَعْقِلُوهَا وَيَفْهَمُوهَا، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَذَّكَّرُوا فَيُنِيبُوا؛ عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِنَا..

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾ وَكَانُوا عَنْ آيَاتِنَا وَأَدِلَّتِنَا الشَّاهِدَةِ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ وَنَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿غَٰفِلِينَ ۝١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦] لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، لَاهِينَ عَنْهَا لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ قَوْلُ رَبِّنَا، فَعَطِبُوا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤٧﴾ [الأعراف: ١٤٧].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكُلُّ مُكَذِّبٍ حُجَجَ اللهِ وَرُسُلَهُ وَآيَاتِهِ..

﴿وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وَجَاحِدٌ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَبْعُوثٌ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمُنْكِرٌ لِقَاءَ اللهِ فِي آخِرَتِهِ..

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمْ فَبَطُلَتْ، وَحَصُلَتْ لَهُمْ أَوْزَارُهَا فَثَبَتَتْ؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا لِغَيْرِ اللهِ، وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللهَ، فَصَارَتْ أَعْمَالُهُمْ عَلَيْهِمْ وَبَالًا..

﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾ [الأعراف: ١٤٧] هَلْ يَنَالُونَ إِلَّا ثَوَابَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَصَارَ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الْخُلُودَ فِي نَارٍ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا؛ إِذْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ دُونَ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨].

﴿وَٱتَّخَذَ﴾ بَنُو إِسْرَائِيلَ..

﴿قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا فَارَقَهُمْ مُوسَىٰ مَاضِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ؛ لِمُنَاجَاتِهِ وَوَفَاءً لِلْوَعْدِ الَّذِي كَانَ رَبُّهُ وَعَدَهُ..

﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا﴾ وَهُوَ وَلَدُ الْبَقَرَةِ، فَعَبَدُوهُ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا ذَلِكَ الْعِجْلُ فَقَالَ..

﴿جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ وَالْخُوَارُ: صَوْتُ الْبَقَرِ، يُخْبِرُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ ضَلُّوا بِمَا لَا يَضِلُّ بِمِثْلِهِ أَهْلُ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُدَبِّرُ ذَلِكَ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا وَلَا يُرْشِدُ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ لِذَلِكَ هَذَا إِلَهُنَا وَإِلَهُ مُوسَىٰ، فَعَكَفُوا عَلَيْهِ يَعْبُدُونَهُ جَهْلًا مِنْهُمْ وَذَهَابًا عَنِ اللهِ وَضَلَالًا، وَقَدْ بَيَّنَّا سَبَبَ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ وَكَيْفَ كَانَ اتِّخَاذُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمُ الْعِجْلَ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أَلَمْ يَرَ الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَىٰ الْعِجْلِ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مِنْ حُلِيِّهِمْ يَعْبُدُونَهُ..

﴿أَنَّهُۥ﴾ أَنَّ الْعِجْلَ..

﴿لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ طَرِيقٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ حَقًّا، بَلْ صِفَتُهُ أَنَّهُ يُكَلِّمُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَيُرْشِدُ خَلْقَهُ إِلَىٰ سَبِيلِ الْخَيْرِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْمَهَالِكِ وَالرَّدَىٰ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَاهًا..

﴿وَكَانُواْ﴾ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ رَبًّا مَعْبُودًا..

﴿ظَٰلِمِينَ ۝١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨] لِأَنْفُسِهِمْ؛ لِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ مَنْ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَإِضَافَتِهِمُ الْأُلُوهَةَ إِلَىٰ غَيْرِ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾ [الأعراف: ١٤٩].

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ وَلَمَّا نَدِمَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ عِنْدَ رُجُوعِ مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَاسْتَسْلَمُوا لِمُوسَىٰ وَحُكْمِهِ فِيهِمْ.. وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ نَادِمٍ عَلَىٰ أَمْرٍ فَاتَ مِنْهُ أَوْ سَلَفَ وَعَاجِزٌ عَنْ شَيْءٍ (قَدْ سُقِطَ فِي يَدَيْهِ)، و(أُسْقِطَ)، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الِاسْتِئْسَارِ، وَذَلِكَ أَنْ يَضْرِبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ أَوْ يَصْرَعَهُ، فَيَرْمِيَ بِهِ مِنْ يَدَيْهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ لِيَأْسِرَهُ فَيُكَتِّفَهُ، فَالْمَرْمِيُّ بِهِ مَسْقُوطٌ فِي يَدَيِ السَّاقِطِ بِهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ عَاجِزٍ عَنْ شَيْءٍ وَمُصَارِعٍ لِعَجْزِهِ مُتَنَدِّمٍ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ: (سُقِطَ فِي يَدَيْهِ) وَ(أُسْقِطَ)..

﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ جَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَذَهَبُوا عَنْ دِينِ اللهِ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ تَائِبِينَ إِلَىٰ اللهِ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا﴾ لَئِنْ لَمْ يَتَعَطَّفْ عَلَيْنَا..

﴿رَبُّنَا﴾ بِالتَّوْبَةِ..

﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بِرَحْمَتِهِ، وَيَتَغَمَّدْ بِهَا ذُنُوبَنَا..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾ [الأعراف: ١٤٩] الْهَالِكِينَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَجَعَ..

﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ لِأَنَّ اللهَ كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ فَتَنَ قَوْمَهُ، وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ أَضَلَّهُمْ، فَكَانَ رُجُوعُهُ غَضْبَانَ أَسِفًا لِذَلِكَ، وَالْأَسَفُ: شِدَّةُ الْغَضَبِ وَالتَّغَيُّظُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَغْضَبَهُ..

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ بِئْسَ الْفِعْلُ فَعَلْتُمْ بَعْدَ فِرَاقِي إِيَّاكُمْ، وَأَوْلَيْتُمُونِي فِيمَنْ خَلَّفْتُ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي فِيكُمْ وَدِينِي الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿أَعَجِلْتُمْ﴾ أَسَبَقْتُمْ..

﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ فِي نُفُوسِكُمْ، وَذَهَبْتُمْ عَنْهُ؟..

﴿وَأَلْقَى﴾ مُوسَىٰ..

﴿الْأَلْوَاحَ﴾ مِنْ أَجْلِ غَضَبِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ لِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ..

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَعَلِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ لِمَوْجِدَتِهِ عَلَىٰ أَخِيهِ هَارُونَ فِي تَرْكِهِ اتِّبَاعَهُ وَإِقَامَتِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَكَهُمْ فِيهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عليه السلام لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝﴾ [طه: ٩٢-٩٣] حِينَ أَخْبَرَهُ هَارُونُ بِعُذْرِهِ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ، وَذَلِكَ قِيلُهُ لِمُوسَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝﴾ [طه: ٩٤]، وَ..

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ قيل: وَلَمْ يَقُلْ: (يَا ابْنَ أَبِي)، وَهُمَا لِأَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، اسْتِعْطَافًا لَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِرَحِمِ الْأُمِّ..

﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَىٰ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَقَالُوا هَذَا إِلَهُنَا وَإِلَهُ مُوسَىٰ، وَخَالَفُوا هَارُونَ..

﴿اسْتَضْعَفُونِي﴾ وَكَانَ اسْتِضْعَافُهُمْ إِيَّاهُ، تَرْكُهُمْ طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَ أَمْرِهِ..

﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ قَارَبُوا وَلَمْ يَفْعَلُوا..

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَشْمَتَ فُلَانٌ فُلَانًا بِفُلَانٍ، إِذَا سَرَّهُ فِيهِ بِمَا يَكْرَهُهُ الْمُشْمَتُ بِهِ..

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فِي مَوْجِدَتِكَ عَلَيَّ وَعُقُوبَتِكَ لِي وَلَمْ أُخَالِفْ أَمْرَكَ..

﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٥٠] مَحِلَّ مَنْ عَصَاكَ فَخَالَفَ أَمْرَكَ، وَعَبَدَ الْعِجْلَ بَعْدَكَ، فَظَلَمَ نَفْسَهُ، وَعَبَدَ غَيْرَ مَنْ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَلَمْ أُشَايِعْهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ عُذْرُ أَخِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُفَرِّطْ فِي الْوَاجِبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ فِي ارْتِكَابِ مَا فَعَلَهُ الْجَهَلَةُ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ..

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ مُسْتَغْفِرًا مِنْ فِعْلِهِ بِأَخِيهِ..

﴿وَلِأَخِي﴾ مِنْ سَالِفِ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، تَغَمَّدْ ذُنُوبَنَا بِسِتْرٍ مِنْكَ تَسْتُرُهَا بِهِ..

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١] فَإِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ بِعِبَادِكَ مِنْ كُلِّ مَنْ رَحِمَ شَيْئًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إِلَهًا..

﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ بِتَعْجِيلِ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿وَذِلَّةٞ﴾ وَهِيَ الْهَوَانُ، لِعُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ آجِلِ الْآخِرَةِ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بِأَنَّ اللهَ -إِذْ رَجَعَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَىٰ ﷺ- تَابَ عَلَىٰ عَبَدَةِ الْعِجْلِ مِنْ فِعْلِهِمْ، بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ ﷺ فِي كِتَابِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤]، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ، فَكَانَ أَمْرُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ قَتْلِ بَعْضِهِمْ أَنْفُسَ بَعْضٍ، عَنْ غَضَبٍ مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، فَكَانَ قَتْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا هَوَانًا لَهُمْ وَذِلَّةً أَذَلَّهُمُ اللهُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَوْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ قَبِلَهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا جَزَيْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ إِحْلَالِ الْغَضَبِ بِهِمْ، وَالْإِذْلَالِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ رَبَّهُمْ، وَرِدَّتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ، وَكَذَلِكَ..

﴿نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢] نَجْزِي كُلَّ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ فَكَذَبَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِأُلُوهِيَّةِ غَيْرِهِ وَعَبَدَ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبَعْدَ إِيمَانِهِ بِهِ وَبِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَقِيلَ: ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ قَبْلَ قَتْلِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣].

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ قَابِلٌ مِنْ كُلِّ تَائِبٍ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ أَتَاهُ صَغِيرَةً كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ أَوْ كَبِيرَةً، كُفْرًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَ كُفْرٍ، كَمَا قَبِلَ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ بِهِ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ وَارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَالَّذِينَ عَمِلُوا الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ..

﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ طَلَبِ رِضَا اللهِ بِإِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِمَّا يَكْرَهُ، وَإِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ

مِمَّا يَسْخَطُ..

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ مِنْ بَعْدِ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ وَصَدَّقُوا بِأَنَّ اللهَ قَابِلُ تَوْبَةِ الْمُذْنِبِينَ وَتَائِبٌ عَلَىٰ الْمُنِيبِينَ بِإِخْلَاصِ قُلُوبِهِمْ وَيَقِينٍ مِنْهُمْ بِذَلِكَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ﴾ لَهُمْ، يَقُولُ: لَسَاتِرٌ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ، وَغَيْرُ فَاضِحِهِمْ بِهَا..

﴿رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣] بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ مِنَ التَّائِبِينَ.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤].

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ وَلَمَّا كَفَّ مُوسَىٰ عَنِ الْغَضَبِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كَافٍّ عَنْ شَيْءٍ سَاكِتٌ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسَّاكِتِ عَنِ الْكَلَامِ سَاكِتٌ؛ لِكَفِّهِ عَنْهُ..

﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ أَخَذَهَا بَعْدَ مَا أَلْقَاهَا، وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا مَا ذَهَبَ..

﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ وَفِيمَا نُسِخَ فِيهَا، أَيْ: مِنْهَا..

﴿هُدٗى﴾ بَيَانٌ لِلْحَقِّ..

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤] لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ، وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ.

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ لِلْوَقْتِ وَالْأَجَلِ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ أَنْ يَلْقَاهُ فِيهِ بِهِمْ، لِلتَّوْبَةِ مِمَّا كَانَ مِنْ فِعْلِ سُفَهَائِهِمْ فِي أَمْرِ الْعِجْلِ..

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ فَلَمَّا أَمَاتَهُمْ أَوْ أَصْعَقَهُمْ، فَسَلَبَ أَفْهَامَهُمْ، قَامَ مُوسَىٰ يَدْعُو اللهَ، وَ..

﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾ رَبِّ مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ

أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ، لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ..

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ إِنَّ مُوسَىٰ إِنَّمَا حَزُنَ عَلَىٰ هَلَاكِ السَّبْعِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، وَإِنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ بِالسُّفَهَاءِ عَبَدَةَ الْعِجْلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ مُوسَىٰ ﷺ كَانَ تَخَيَّرَ مِنْ قَوْمِهِ لِمَسْأَلَةِ رَبِّهِ مَا أَرَاهُ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ إِلَّا الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ مِنْهُمْ، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْأَفْضَلَ كَانَ عِنْدَهُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَاتَّخَذَه دُونَ اللهِ إِلَاهًا..

﴿إِنْ هِيَ﴾ مَا هَذِهِ الْفِعْلَةُ الَّتِي فَعَلَهَا قَوْمِي مِنْ عِبَادَتِهِمْ مَا عَبَدُوا دُونَكَ..

﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ مِنْكَ أَصَابَتْهُمْ، وَيَعْنِي بِالْفِتْنَةِ: الِابْتِلَاءَ وَالِاخْتِبَارَ، يَقُولُ: ابْتَلَيْتَهُمْ بِهَا..

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ لِيَتَبَيَّنَ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ بِعِبَادَتِهِ إِيَّاهُ وَالَّذِي يَهْتَدِي بِتَرْكِ عِبَادَتِهِ.. وَأَضَافَ إِضْلَالَهُمْ وَهِدَايَتَهُمْ إِلَىٰ اللهِ؛ إِذْ كَانَ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَنْ سَبَبٍ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أَنْتَ نَاصِرُنَا..

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا بِتَرْكِكَ عِقَابَنَا عَلَيْهَا..

﴿وَارْحَمْنَا﴾ تَعَطَّفْ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥] خَيْرُ مَنْ صَفَحَ عَنْ جُرْمٍ، وَسَتَرَ عَلَىٰ ذَنْبٍ.

﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ، اجْعَلْنَا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُ..

﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وَهِيَ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِهِ..

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ: هَذَا الَّذِي أَصَبْتُ بِهِ قَوْمَكَ مِنَ الرَّجْفَةِ..

﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ مِنْ خَلْقِي، كَمَا أُصِيبُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَبْتُهُمْ بِهِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَرَحْمَتِي عَمَّتْ خَلْقِي كُلَّهُمْ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَخْرَجُهُ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ

خَاصٌّ، وَالْمُرَادُ بِهِ: وَرَحْمَتِي وَسِعَتِ الْمُؤْمِنِينَ بِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَشْهَدُوا بِالَّذِي بَعْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ عَلَىٰ الْعُمُومِ فِي الدُّنْيَا وَعَلَىٰ الْخُصُوصِ فِي الْآخِرَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَلَىٰ الْعُمُومِ، وَهِيَ التَّوْبَةُ..

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ رَحْمَتِي الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.. وَمَعْنَىٰ أَكْتُبُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَكْتُبُ فِي اللَّوْحِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ التَّوْرَاةُ..

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيُؤَدُّونَ فَرَائِضَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ مَعَاصِيَهُ..

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ وَأَمَّا الزَّكَاةُ وَإِيتَاؤُهَا، فَقَدْ بَيَّنَّا صِفَتَهَا فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ: (**يُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**).. فَكَأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ الْعَمَلُ بِمَا يُزَكِّي النَّفْسَ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ..

﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦] وَلِلْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ بِأَعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا يُصَدِّقُونَ وَيُقِرُّونَ.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ لَا يُعْلَمُ للهِ رَسُولٌ وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ -أَعْنِي الْأُمِّيَّ- غَيْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَهَذَا الْقَوْلُ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ أَنَّ الَّذِينَ وَعَدَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الرَّسُولِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ يَجِدُونَ نَعْتَهُ وَأَمْرَهُ وَنُبُوَّتَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ.. فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: (**أَجَلْ وَاللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ كَصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو**

وَيَصْفَحُ، وَلَنْ نَقْبِضَهُ حَتَّىٰ نُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَفْتَحُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا وَآذَانًا صُمًّا، وَأَعْيُنًا عُمْيًا)..

﴿يَأْمُرُهُم﴾ يَأْمُرُ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَتْبَاعَهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَلُزُومُ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، فَذَلِكَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ..

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَذَلِكَ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تُحَرِّمُهُ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَوَامِي..

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ وَذَلِكَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَالرِّبَا، وَمَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ..

﴿وَيَضَعُ﴾ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ..

﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ اللهُ أَخَذَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِقَامَةِ التَّوْرَاةِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ، كَقَطْعِ الْجِلْدِ مِنَ الْبَوْلِ، وَتَحْرِيمِ الْغَنَائِمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ مَفْرُوضَةً، فَنَسَخَهَا حُكْمُ الْقُرْآنِ..

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ الْأَغْلَالُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، في قوله ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ، فَيَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ..

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِهِۦ﴾ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّتِهِ..

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَقَّرُوهُ وَعَظَّمُوهُ وَحَمَوْهُ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَنَصَرُوهُ﴾ وَأَعَانُوهُ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ بِجِهَادِهِمْ وَنَصْبِ الْحَرْبِ لَهُمْ..

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي وَصَفَ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] هُمُ الْمُنْجِحُونَ، الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا وَرَجَوْا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (فَمَا نَقَمُوا -يَعْنِي الْيَهُودَ- إِلَّا أَنْ حَسَدُوا نَبِيَّ اللهِ، فَقَالَ اللهُ: الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَأَمَّا نَصْرُهُ وَتَعْزِيرُهُ فَقَدْ سُبِقْتُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ خِيَارَكُمْ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ).. يُرِيدُ قَتَادَةُ بِقَوْلِهِ: فَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ حَسَدُوا نَبِيَّ اللهِ، أَنَّ الْيَهُودَ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ

بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَحْمَةً عَلَيْهِمْ لَوِ اتَّبَعُوهُ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِوَضْعِ الْإِصْرِ وَالْأَغْلَالِ عَنْهُمْ، فَحَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ، وَتَرْكِ قَبُولِ التَّخْفِيفِ، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ..

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لَا إِلَىٰ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ، كَمَا كَانَ مَنْ قَبْلِي مِنَ الرُّسُلِ مُرْسَلًا إِلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أُرْسِلَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ رِسَالَتِي لَيْسَتْ إِلَىٰ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهَا إِلَىٰ جَمِيعِكُمْ..

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَتَدْبِيرُ ذَلِكَ وَتَصْرِيفُهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، إِلَّا لِمَنْ لَهُ سُلْطَانُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿يُحْيِۦ﴾ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِنْشَاءِ خَلْقِ كُلِّ مَا شَاءَ وَإِحْيَائِهِ..

﴿وَيُمِيتُ﴾ وَإِفْنَائِهِ إِذَا شَاءَ إِمَاتَتَهُ..

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ قُلْ لَهُمْ: فَصَدِّقُوا بِآيَاتِ اللهِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، وَأَقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ..

﴿وَرَسُولِهِ﴾ وَصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ خَلْقِهِ دَاعٍ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الَّذِي يُصَدِّقُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ..

﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِ اللهِ كُلِّهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ ظَاهِرُ كِتَابِ اللهِ..

﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ فَاهْتَدُوا بِهِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] لِكَيْ تَهْتَدُوا فَتَرْشُدُوا، وَتُصِيبُوا الْحَقَّ فِي اتِّبَاعِكُمْ إِيَّاهُ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩].

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ: أَيْ: يَسْتَقِيمُونَ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُونَ..

﴿وَبِهِۦ﴾ وَبِالْحَقِّ..

﴿يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩] يُعْطُونَ، وَيَأْخُذُونَ، وَيُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَلَا يَجُورُونَ.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فَرَّقْنَاهُمْ، يَعْنِي قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَّقَهُمُ اللهُ فَجَعَلَهُمْ..

﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ قَبِيلَةً.. وَوَجْهِ تَأْنِيثِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَالأَسْبَاطُ جَمْعُ مُذَكَّرٍ، أَنَّ الاثْنَتَىٰ عَشْرَةَ أُنِّثَتْ لِتَأْنِيثِ الْقِطْعَةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَقَطَّعْنَاهُمْ قِطَعًا اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ الْقِطَعِ بِالأَسْبَاطِ..

﴿أَسْبَاطًا﴾ قَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الأَسْبَاطِ فِيمَا مَضَىٰ وَمَنْ هُمْ.. وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَكُونَ الأَسْبَاطُ مُفَسَّرَةً عَنِ الاثْنَتَىٰ عَشْرَةَ وَهِيَ جَمْعٌ؛ لِأَنَّ التَّفْسِيرَ فِيمَا فَوْقَ الْعَشْرِ إِلَىٰ الْعِشْرِينَ بِالتَّوْحِيدِ لَا بِالْجَمْعِ، وَالأَسْبَاطُ جَمْعٌ لَا وَاحِدٌ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: عِنْدِي اثْنَتَا عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَلَا يُقَالُ: عِنْدِي اثْنَتَا عَشْرَةَ نِسْوَةً، فَفِي ذَلِكَ أَنَّ الأَسْبَاطَ لَيْسَتْ بِتَفْسِيرٍ لِلاثْنَتَي عَشْرَةَ، وَإِنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا قُلْنَا..

﴿أُمَمًا﴾ الأُمَمُ الْجَمَاعَاتُ..

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ إِذْ فَرَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، وَتَيَّهْنَاهُمْ فِي التِّيهِ..

﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ اسْتَسْقَوْا مُوسَىٰ مِنَ الْعَطَشِ وَغُئُورِ الْمَاءِ..

﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا السَّبَبَ الَّذِي كَانَ قَوْمُهُ اسْتَسْقَوْهُ وَبَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْوَحْيِ بِشَوَاهِدِهِ..

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فَانْصَبَّتْ وَانْفَجَرَتْ..

﴿مِنْهُ﴾ مِنَ الْحَجَرِ..

﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ مِنَ الْمَاءِ..

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ مِنَ الأَسْبَاطِ الاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ..

﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ لا يَدْخُلُ سِبْطٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ فِي شُرْبِهِ..

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ يُكِنُّهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَأَذَاهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْغَمَامِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ، وَكَذَلِكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ..

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ طَعَامًا لَهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ..

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ كُلُوا مِنْ حَلَالِ مَا رَزَقْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَطَيَّبْنَاهُ لَكُمْ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِمَا ظَهَرَ عَمَّا تُرِكَ، وَهُوَ: فَأَجْمَعُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَبْدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ..

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وَمَا أَدْخَلُوا عَلَيْنَا نَقْصًا فِي مُلْكِنَا وَسُلْطَانِنَا بِمَسْأَلَتِهِمْ مَا سَأَلُوا، وَفِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوا..

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠] يَنْقُصُونَهَا حُظُوظَهَا بِاسْتِبْدَالِهِمُ الأَدْنَىٰ بِالْخَيْرِ وَالأَرْذَلِ بِالأَفْضَلِ.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: ١٦١].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ مِنْ خَطَإِ فِعْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَخِلَافِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَعِصْيَانِهِمْ نَبِيَّهُمْ مُوسَىٰ ﷺ، وَتَبْدِيلِهِمُ الْقَوْلَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوهُ حِينَ..

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾ قَالَ اللهُ لَهُمْ..

﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وَهِيَ قَرْيَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾ مِنْ ثِمَارِهَا وَحُبُوبِهَا وَنَبَاتِهَا..

﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ مِنْهَا يَقُولُ: أَنَّىٰ شِئْتُمْ مِنْهَا..

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وَقُولُوا هَذِهِ الْفِعْلَةَ حِطَّةٌ تَحُطُّ ذُنُوبَنَا..

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ يَتَغَمَّدُ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ ذُنُوبَكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ، فَيَعْفُو لَكُمْ عَنْهَا، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا..

﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: ١٦١] مِنْكُمْ، وَهُمُ الْمُطِيعُونَ للهِ، عَلَىٰ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنْ غُفْرَانِ الْخَطَايَا.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦٢].

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فَغَيَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ، فَقَالُوا وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ: قُولُوا: هَذِهِ حِطَّةٌ: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ؛ وَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ هُوَ غَيْرُ الْقَوْلِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ قُولُوهُ..

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا أَهْلَكْنَاهُمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦٢] بِمَا كَانُوا يُغَيِّرُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَيَفْعَلُونَ خِلَافَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِفِعْلِهِ، وَيَقُولُونَ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِقِيلِهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الرِّجْزِ فِيمَا مَضَى.

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ وَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَهُمْ مُجَاوِرُوكَ..

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ عَنْ أَمْرِ الْقَرْيَةِ..

﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ كَانَتْ بِحَضْرَةِ الْبَحْرِ، أَيْ: بِقُرْبِ الْبَحْرِ وَعَلَى شَاطِئِهِ..

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ أَمْرَ اللهِ، وَيَتَجَاوَزُونَهُ إِلَى مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اعْتِدَاؤُهُمْ فِي السَّبْتِ أَنَّ اللهَ كَانَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ السَّبْتَ، فَكَانُوا يَصْطَادُونَ فِيهِ السَّمَكَ..

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ الَّذِي نُهُوا فِيهِ عَنِ الْعَمَلِ..

﴿شُرَّعًا﴾ شَارِعَةً ظَاهِرَةً عَلَى الْمَاءِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَنَاحِيَةٍ كَشَوَارِعِ الطُّرُقِ..

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ وَيَوْمَ لَا يُعَظِّمُونَهُ تَعْظِيمَهُمُ السَّبْتَ، وَذَلِكَ سَائِرُ الْأَيَّامِ غَيْرُ يَوْمِ السَّبْتِ..

﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الْحِيتَانُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا وَصَفْنَا لَكُمْ مِنَ الِاخْتِبَارِ وَالِابْتِلَاءِ الَّذِي ذَكَرْنَا بِإِظْهَارِ السَّمَكِ لَهُمْ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ الْمُحَرَّمِ عَلَيْهِمْ صَيْدُهُ، وَإِخْفَائِهِ عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْمُحَلَّلِ صَيْدُهُ، كَذَلِكَ..

﴿نَبْلُوهُم﴾ وَنَخْتَبِرُهُمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦٣] عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَخُرُوجِهِمْ عَنْهَا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَتْ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ لِجَمَاعَةٍ كَانَتْ تَعِظُ الْمُعْتَدِينَ فِي السَّبْتِ وَتَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيهِ..

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ..

﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، مُجِيبِيهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ: عِظَتُنَا إِيَّاهُمْ..

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ نُؤَدِّي فَرْضَهُ عَلَيْنَا فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ..

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤] وَلَعَلَّهُمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فَيَخَافُوهُ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَعَدِّيهِمْ عَلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا تَرَكَتِ الطَّائِفَةُ الَّتِي اعْتَدَتْ فِي السَّبْتِ مَا أَمَرَهَا اللهُ بِهِ، مِنْ تَرْكِ الِاعْتِدَاءِ فِيهِ، وَضَيَّعَتْ مَا وَعَظَتْهَا الطَّائِفَةُ الْوَاعِظَةُ، وَذَكَّرَتْهَا مَا ذَكَّرَتْهَا بِهِ مِنْ تَحْذِيرِهَا عُقُوبَةَ اللهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهَا، فَتَقَدَّمَتْ عَلَىٰ اسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا..

﴿أَنجَيْنَا﴾ أَنْجَىٰ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ يَعْنِي: عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَاسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَهُ..

﴿وَأَخَذْنَا﴾ وَأَخَذَ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ فَاسْتَحَلُّوا فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ وَأَكْلِهِ، فَأَحَلَّ بِهِمْ بَأْسَهُ وَأَهْلَكَهُمْ..

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شَدِيدٍ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥] وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفِسْقُ.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٦].

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ فَلَمَّا تَمَرَّدُوا فِيمَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ اعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ وَأَكْلِهِ وَتَمَادَوْا فِيهِ..

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً﴾ لَهَا أَذْنَابٌ تَعَاوَىٰ، بَعْدَ مَا كَانُوا رِجَالًا وَنِسَاءً..

﴿خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٦] بُعَدَاءَ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ آذَنَ رَبُّكَ فَأَعْلَمَ..

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الْيَهُودِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْعَرَبُ، بَعَثَهُمُ اللهُ عَلَىٰ الْيَهُودِ يُقَاتِلُونَ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْجِزْيَةَ، وَمَنْ أَعْطَىٰ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ صَغَارًا وَذِلَّةً..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ إِلَىٰ مَنِ اسْتَوْجَبَ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ لَهُ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ وَإِنَّهُ لَذُو صَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَأَنَابَ وَرَاجَعَ طَاعَتَهُ، يَسْتُرُ عَلَيْهَا بِعَفْوِهِ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٧] لَهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ جُرْمِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيُقِيلُ الْعَثْرَةَ.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ وَفَرَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ﴾ جَمَاعَاتٍ شَتَّىٰ مُتَفَرِّقِينَ..

﴿مِّنْهُمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ مِنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ الصَّالِحِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ قَبْلَ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَقَبْلَ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ فِيهِمْ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ وَاخْتَبَرْنَاهُمْ..

﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ بِالرَّخَاءِ فِي الْعَيْشِ، وَالدَّعَةِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ..

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وَالْخَفْضِ فِي الدُّنْيَا، وَالشِّدَّةِ فِي الْعَيْشِ، وَالشَّظَفِ فِيهِ، وَالْمَصَائِبِ، وَالرَّزَايَا فِي الْأَمْوَالِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨] لِيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿خَلْفٌ﴾ يَعْنِي: خَلْفَ سُوءٍ، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْمَدْحِ بِفَتْحِ اللَّامِ وَفِي الذَّمِّ بِتَسْكِينِهَا، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ إِذَا وُجِّهَ إِلَىٰ الْفَسَادِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ (خَلَفَ اللَّبَنُ) إِذَا حَمِضَ مِنْ طُولِ تَرْكِهِ فِي السِّقَاءِ حَتَّىٰ يَفْسَدَ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ الْفَاسِدَ مُشَبَّهٌ بِهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ (خَلَفَ فَمُ الصَّائِمِ) إِذَا تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَتَبَدَّلَ مِنْ بَعْدِهِمْ بَدَلُ سُوءٍ..

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَرِثُوا كِتَابَ اللهِ فَعَلِمُوه، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ بِهِ فَخَالَفُوا حُكْمَهُ، يُرْشَوْنَ فِي حُكْمِ اللهِ فـ..

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ فِيهِ مِنْ عَرَضِ هَذَا الْعَاجِلِ الْأَدْنَىٰ، يَعْنِي بِالْأَدْنَىٰ: الْأَقْرَبَ مِنَ الْآجِلِ الْأَبْعَدِ..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ..

﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ إِنَّ اللهَ سَيَغْفِرُ ذُنُوبَنَا، تَمَنِّيًا عَلَىٰ اللهِ الْأَبَاطِيلَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]..

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ وَإِنْ شَرَعَ لَهُمْ ذَنْبٌ حَرَامٌ مِثْلُهُ مِنَ الرِّشْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذُوهُ وَاسْتَحَلُّوهُ، وَلَمْ يَرْتَدِعُوا عَنْهُ، يُخْبِرُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ إِصْرَارٍ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ إِنَابَةٍ وَتَوْبَةٍ..

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَشِينَ فِي أَحْكَامِهِمْ، الْقَائِلِينَ: سَيَغْفِرُ اللهُ لَنَا

فِعْلَنَا هَذَا، إِذَا عُوتِبُوا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُوَ أَخْذُ اللهِ الْعُهُودَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِقَامَةِ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُوَبِّخًا لَهُمْ عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ: أَلَمْ يَأْخُذِ اللهُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ كِتَابِهِ..

﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وَلَا يُضِيفُوا إِلَيْهِ إِلَّا مَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْذِبُوا عَلَيْهِ؟..

﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قَرَءُوا مَا فِيهِ.. مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ، يَقُولُ: وَرِثُوا الْكِتَابَ فَعَلِمُوا مَا فِيهِ وَدَرَسُوهُ، فَضَيَّعُوهُ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ، وَخَالَفُوا عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ..

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ وَمَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَا فِي الْمَعَادِ عِنْدَ اللهِ مِمَّا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ وَالْعَامِلِينَ بِمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْمُحَافِظِينَ عَلَىٰ حُدُودِهِ..

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ﴾ يَتَّقُونَ اللهَ وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، فَيُرَاقِبُونَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُطِيعُونَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِي دُنْيَاهُمْ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ عَلَىٰ أَحْكَامِهِمْ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلْمُتَّقِينَ الْعَادِلِينَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ، خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْعَرَضِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ خِلَافِ أَمْرِ اللهِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَوْرِ؟

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا، وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَوْقَاتَهَا..

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠] فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِي، فَإِنِّي لَا أُضِيعُ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١].

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذِ اقْتَلَعْنَا..

﴿ٱلْجَبَلَ﴾ فَرَفَعْنَاهُ، ونَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَصْلِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ..

﴿فَوْقَهُمْ﴾ فَوْقَ رُءُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ غَمَامٌ مِنَ الظَّلَامِ.. فَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّ أَمْرِي، أَوْ لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِهِ..

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ قال ابْنُ عَبَّاسٍ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ لِأَيِّ شَيْءٍ سَجَدَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ حَرْفِ وُجُوهِهِمْ، لَمَّا رُفِعَ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ سَجَدُوا وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْجَبَلِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَكَانَتْ سَجْدَةً رَضِيَهَا اللهُ، فَاتَّخَذُوهَا سُنَّةً**).. وَقُلْنَا لَهُمْ..

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ مِنْ فَرَائِضِنَا، وَأَلْزَمْنَاكُمْ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِنَا، فَاقْبَلُوهُ، وَاعْمَلُوا بِاجْتِهَادٍ مِنْكُمْ فِي أَدَائِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَوَانٍ..

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ مَا فِي كِتَابِنَا مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، الَّتِي أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَإِلَّا خَرَّ عَلَيْكُمُ الْجَبَلُ، فَأَهْلَكَكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١] كَيْ تَتَّقُوا رَبَّكُمْ، فَتَخَافُوا عِقَابَهُ بِتَرْكِكُمُ الْعَمَلَ بِهِ، إِذَا ذَكَرْتُمْ مَا أُخِذَ عَلَيْكُمْ فِيهِ مِنَ الْمَوَاثِيقِ.

> ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذِ اسْتَخْرَجَ اللهُ وَلَدَ آدَمَ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ..

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فَقَرَّرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ، وَأَشْهَدَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ شَهَادَتَهُمْ بِذَلِكَ، وَإِقْرَارَهُمْ بِهِ.. قَالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرو: (**أَخَذَهُمْ كَمَا يَأْخُذُ الْمُشْطُ مِنَ الرَّأْسِ**)..

﴿شَهِدْنَآ﴾ فَقَالَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ: شَهِدْنَا عَلَيْكُمْ بِإِقْرَارِكُمْ بِأَنَّ اللهَ رَبُّكُمْ..

﴿أَن تَقُولُواْ﴾ كَيْلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢] إِنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْهُ.

> ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٣].

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ اتَّبَعْنَا مِنْهَاجَهُمْ..

﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ بِإِشْرَاكِ مَنْ أَشْرَكَ مِنْ آبَائِنَا، وَاتِّبَاعِنَا مِنْهَاجَهُمْ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنَّا بِالْحَقِّ؟..

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٣] بِمَا فَعَلَ الَّذِينَ أَبْطَلُوا فِي دَعْوَاهُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَصَّلْنَا يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَبَيَّنَّا فِيهَا مَا فَعَلْنَا بِالْأُمَمِ السَّالِفَةِ قَبْلَ قَوْمِكَ، وَأَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِكُفْرِهِمْ وَإِشْرَاكِهِمْ فِي عِبَادَتِي غَيْرِي، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ غَيْرَهَا وَنُبَيِّنُهَا لِقَوْمِكَ..

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٤] لِيَنْزَجِرُوا وَيَرْتَدِعُوا، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي وَيَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَيَرْجِعُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِي وَإِفْرَادِ الطَّاعَةِ لِي وَتَرْكِ عِبَادَةَ مَا سِوَايَ.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥].

﴿وَٱتْلُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ قَوْمِكَ..

﴿نَبَأَ﴾ خَبَرَ، وَقِصَّةَ..

﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ آتَاهُ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ الَّتِي هِيَ بَعْضُ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، فَتَعَلَّمَهَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَنَاهُ بِهَا..

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خَرَجَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي كَانَ اللهُ آتَاهَا إِيَّاهُ، فَتَبَرَّأَ مِنْهَا..

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَصَيَّرَهُ لِنَفْسِهِ، تَابِعًا يَنْتَهِي إِلَىٰ أَمْرِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيُخَالِفُ أَمْرَ رَبِّهِ فِي مَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ..

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥] فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ لِضَلَالِهِ وَخِلَافَةِ أَمْرِ رَبِّهِ، وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٦].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا هَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا..

﴿بِهَا﴾ بِآيَاتِنَا الَّتِي آتَاهُ إِيَّاهَا، وَالرَّفْعُ يَعُمُّ مَعَانِيَ كَثِيرَةً، مِنْهَا الرَّفْعُ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ، وَمِنْهَا الرَّفْعُ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَمَكَارِمِهَا، وَمِنْهَا الرَّفْعُ فِي الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الرَّفِيعِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَنَىٰ كُلَّ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَرَفَعَهُ فَأَعْطَاهُ كُلَّ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ بِآيَاتِهِ الَّتِي كَانَ آتَاهَا إِيَّاهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ لَا يُخَصَّ مِنْهُ شَيْءٌ؛ إِذْ كَانَ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ خُصُوصِهِ مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ..

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ سَكَنَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَرْضِ وَمَالَ إِلَيْهَا، وَآثَرَ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتِهَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.. وَأَصْلُ الْإِخْلَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِبْطَاءُ وَالْإِقَامَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَأَخْلَدَ نَفْسَهُ إِلَىٰ الْمَكَانِ، إِذَا أَتَاهُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ.. وَكَانَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ يَقُولُ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: أَخْلَدَ: لَزِمَ وَتَقَاعَسَ وَأَبْطَأَ، وَالْمُخْلِدُ أَيْضًا: هُوَ الَّذِي يُبْطِئُ شَيْبُهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُوَ مِنَ الدَّوَابِّ الَّذِي تَبْقَىٰ ثَنَايَاهُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ رَبَاعِيَتَاهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وَرَفَضَ طَاعَةَ اللهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فَمَثَلُ هَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا..

﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ مَثَلُ الْكَلْبِ الَّذِي يَلْهَثُ، طَرَدْتَهُ أَوْ تَرَكْتَهُ.. فَمَثَّلَهُ بِهِ فِي اللهَثِ لِتَرْكِهِ الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللهِ، وَآيَاتِهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ مواعظِ اللهِ الَّتِي فِيهَا، إِعْرَاضُ مَنْ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ: إِذْ كَانَ سَوَاءٌ أَمْرُهُ، وُعِظَ بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ أَوْ لَمْ يُوعَظْ فِي أَنَّهُ لَا يَتَّعِظُ بِهَا، وَلَا يَتْرُكُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ الْكَلْبِ الَّذِي سَوَاءٌ أَمْرُهُ فِي لَهَثِهِ، طُرِدَ أَوْ لَمْ يُطْرَدْ؛ إِذْ كَانَ لَا يَتْرُكُ اللهَثَ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ..

﴿ذَّٰلِكَ﴾ هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبْتُهُ لِهَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا..

﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا، فَسَلَكُوا فِي ذَلِكَ سَبِيلَ هَذَا الْمُنْسَلِخِ مِنْ آيَاتِنَا الَّذِي آتَيْنَاهَا إِيَّاهُ فِي تَرْكِهِ الْعَمَلَ بِمَا آتَيْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقَصَصَ، الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ -مِنْ نَبَإِ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ أَخْبَارَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ وَنَبَأَ أَشْبَاهِهِمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِنَا وَنَزَلَ بِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَنَا مِنْ نِقْمَتِنَا- عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ قِبَلَكَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٦] لِيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِنَا، لِئَلَّا يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ النِّقَمِ وَالْمَثُلَاتِ، وَيَتَدَبَّرَهُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِكَ وَصِحَّةَ نُبُوَّتِكَ؛ إِذْ كَانَ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ، وَمَكْنُونِ

أَخْبَارِهِمْ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَحْبَارُهُمْ، وَمَنْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَدَرَسَهَا مِنْهُمْ، وَفِي عِلْمِكَ بِذَلِكَ وَأَنْتَ أُمِّيٌّ لَا تَكْتُبُ وَلَا تَقْرَأُ وَلَا تَدْرُسُ الْكُتُبَ وَلَمْ تُجَالِسْ أَهْلَ الْعِلْمِ الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ لَكَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَالُكَ الْحَالُ الَّتِي أَنْتَ بِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ فَجَحَدُوهَا.. وَقِيلَ: سَاءَ مَثَلًا مِنَ الشَّرِّ، بِمَعْنَىٰ: بِئْسَ مَثَلًا.. وَأُقِيمَ الْقَوْمُ مَقَامَ الْمَثَلِ، وَحُذِفَ الْمَثَلُ؛ إِذْ كَانَ الْكَلَامُ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ..

﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧] وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَنْقُصُونَ حُظُوظَهَا، وَيَبْخَسُونَهَا مَنَافِعَهَا بِتَكْذِيبِهِمْ بِهَا لَا غَيْرَهَا.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨].

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ﴾ الْهِدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ بِيَدِ اللهِ، وَالْمُهْتَدِي -وَهُوَ السَّالِكُ سَبِيلَ الْحَقِّ، الرَّاكِبُ قَصْدَ الْمَحَجَّةِ فِي دِينِهِ- مَنْ هَدَاهُ اللهُ لِذَلِكَ، فَوَفَّقَهُ لِإِصَابَتِهِ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨] وَالضَّالُّ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِطَاعَتِهِ، وَمَنْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِ فَهُوَ الْخَاسِرُ: يَعْنِي الْهَالِكَ.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا..

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَرَأَهُمُ اللهُ لِجَهَنَّمَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قُلُوبٌ لَا يَتَفَكَّرُونَ بِهَا فِي آيَاتِ اللهِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ بِهَا أَدِلَّتَهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا حُجَجَهُ لِرُسُلِهِ، فَيَعْلَمُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ، وَيَعْرِفُوا حَقِيقَةَ نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَوَصَفَهُمْ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَتَرْكِهِمْ تَدَبُّرَ صِحَّةِ الرُّشْدِ وَبُطْلَانِ الْكُفْرِ..

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَنْظُرُونَ بِهَا إِلَىٰ آيَاتِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيَتَأَمَّلُوهَا وَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، فَيَعْلَمُوا بِهَا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُهُمْ، وَفَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ

بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِتَرْكِهِمْ إِعْمَالَهَا فِي الْحَقِّ بِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا..

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ، فَيَعْتَبِرُوهَا وَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَيَقُولُونَ: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، وَذَلِكَ نَظِيرُ وَصْفِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة: ١٧١]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ ذَلِكَ لِلتَّارِكِ اسْتِعْمَالَ بَعْضِ جَوَارِحِهِ فِيمَا يَصْلُحُ لَهُ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لِجَهَنَّمَ هُمْ..

﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كَالْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْبَهَائِمُ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا، وَلَا تَفْهَمُ مَا أَبْصَرَتْهُ مِمَّا يَصْلُحُ وَمَا لَا يَصْلُحُ، وَلَا تَعْقِلُ بِقُلُوبِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَتُمَيِّزَ بَيْنَهُمَا، فَشَبَّهَهُمُ اللهُ بِهَا؛ إِذْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَرَوْنَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ حُجَجِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا يَسْمَعُونَ مِنْ آيِ كِتَابِهِ..

﴿بَلْ﴾ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لِجَهَنَّمَ..

﴿هُمْ أَضَلُّ﴾ أَشَدُّ ذَهَابًا عَنِ الْحَقِّ، وَأَلْزَمُ لِطَرِيقِ الْبَاطِلِ مِنَ الْبَهَائِمِ؛ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ لَا اخْتِيَارَ لَهَا وَلَا تَمْيِيزَ فَتَخْتَارَ وَتُمَيِّزَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُسَخَّرَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ تَهْرُبُ مِنَ الْمَضَارِّ وَتَطْلُبُ لِأَنْفُسِهَا مِنَ الْغِذَاءِ الْأَصْلَحَ، وَالَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مَعَ مَا أُعْطُوا مِنَ الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ الْمُمَيِّزَةِ بَيْنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَضَارِّ، تَتْرُكُ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهَا وَآخِرَتِهَا، وَتَطْلُبُ مَا فِيهِ مَضَارُّهَا، فَالْبَهَائِمُ مِنْهَا أَسَدُّ، وَهِيَ مِنْهَا أَضَلُّ، كَمَا وَصَفَهَا بِهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ..

﴿هُمُ﴾ الْقَوْمُ..

﴿ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] الَّذِينَ غَفَلُوا، يَعْنِي سَهَوْا عَنْ آيَاتِي وَحُجَجِي، وَتَرَكُوا تَدَبُّرَهَا وَالِاعْتِبَارَ بِهَا وَالِاسْتِدْلَالَ عَلَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهَا، لَا الْبَهَائِمُ الَّتِي قَدْ عَرَّفَهَا رَبُّهَا مَا سَخَّرَهَا لَهُ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾

[الأعراف: ١٨٠].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**..

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يَعْنِي بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ إِلْحَادُهُمْ فِي أَسْمَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ عَدَلُوا

بِهَا عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ، فَسَمُّوا بِهَا آلِهَتَهُمْ وَأَوْثَانَهُمْ، وَزَادُوا فِيهَا وَنَقَصُوا مِنْهَا، فَسَمُّوا بَعْضَهَا اللَّاتَ اشْتِقَاقًا مِنْهُمْ لَهَا مِنَ اسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ اللهُ، وَسَمُّوا بَعْضَهَا الْعُزَّىٰ اشْتِقَاقًا لَهَا مِنَ اسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْعَزِيزُ.. وَأَصْلُ الْإِلْحَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْجَوْرُ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مُعْوَجٍّ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَحْدِ الْقَبْرِ لَحْدٌ؛ لِأَنَّهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ وَلَيْسَ فِي وَسَطِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَلْحَدَ فُلَانٌ يُلْحِدُ إِلْحَادًا، وَلَحَدَ يَلْحَدُ لَحْدًا وَلُحُودًا.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: (إِنَّهُ مَنْسُوخٌ، نَسَخَهُ الْقِتَالُ)، وَلَا مَعْنَىٰ لِمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ مِنْ أَنَّهِ مَنْسُوخٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِتَرْكِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهُ فِي قِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ لِلْمُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ وَوَعِيدٌ مِنْهُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣] الْآيَةَ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ٦٦]، وَهُوَ كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، وَمَعْنَاهُ: إِنْ تُمْهِلِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ..

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٠] فَسَوْفَ يُجْزَوْنَ -إِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُ اللهِ الَّذِي أَجَّلَهُ إِلَيْهِمْ- جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ وَمِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ خَلَقْنَا..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَهْدُونَ﴾ يَهْتَدُونَ..

﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ﴾ وَبِالْحَقِّ..

﴿يَعْدِلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨١] يَقْضُونَ وَيُنْصِفُونَ النَّاسَ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٢].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا، فَجَحَدُوهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا..

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سَنُمْهِلُهُم بِغِرَّتِهِم وَنُزَيِّنُ لَهُم سُوءَ عَمَلِهِم..

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٢] حَتَّىٰ يَحْسِبَ أَنَّهُ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بِآيَاتِ اللهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ مُحْسِنٌ، وَحَتَّىٰ يَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهَلِ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، فَيُجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ، وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللهِ إِيَّاهُ.. وَأَصْلُ الاسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَىٰ الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ، حَتَّىٰ يُوَرِّطَهُ مَكْرُوهًا.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٣].

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وَأُؤَخِّرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِلاوَةً بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَالْفَتْحِ، مِنَ الدَّهْرِ - وَهِيَ الْحِينُ، وَمِنْهُ قِيلَ: انْتَظَرْتُكَ مَلِيًّا -لِيَبْلُغُوا بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمُ الْمِقْدَارَ الَّذِي قَدْ كَتَبَهُ لَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، ثُمَّ يَقْبِضَهُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّ كَيْدِي﴾ وَالْكَيْدُ: هُوَ الْمَكْرُ..

﴿مَتِينٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٣] قَوِيٌّ شَدِيدٌ.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٤].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَيَتَدَبَّرُوا بِعُقُولِهِمْ..

﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ وَيَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَنَا الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، لَا جِنَّةَ بِهِ وَلَا خَبَلَ، وَأَنَّ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الْقَوِيمُ وَالْحَقُّ الْمُبِينُ..

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ مَا هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ، مُنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، إِنْ لَمْ تُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٤] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْذَارَهُ مَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ بَأْسِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿فِي مَلَكُوتِ﴾ فِي مُلْكِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ فِي..

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَفِيمَا خَلَقَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ شَيْءٍ فِيهِمَا، فَيَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ، وَمِنْ فِعْلِ مَنْ

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ وَالدِّينُ الْخَالِصُ إِلَّا لَهُ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُصَدِّقُوا رَسُولَهُ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ وَيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ آجَالُهُمْ قَدِ اقْتَرَبَتْ فَيَهْلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَيَصِيرُوا إِلَىٰ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ..

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ فَبِأَيِّ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ وَتَرْهِيبٍ..

﴿بَعْدَهُۥ﴾ بَعْدَ تَحْذِيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَرْهِيبِهِ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي آيِ كِتَابِهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥] يُصَدِّقُونَ، إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ إِنَّ إِعْرَاضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، التَّارِكِي النَّظَرِ فِي حُجَجِ اللهِ وَالْفِكْرِ فِيهَا؛ لِإِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَلَوْ هَدَاهُمُ اللهُ لَاعْتَبَرُوا وَتَدَبَّرُوا فَأَبْصَرُوا رُشْدَهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ أَضَلَّهُمْ فَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَمَنْ أَضَلَّهُ عَنِ الرَّشَادِ فَلَا هَادِيَ لَهُ..

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يَدَعُهُمْ فِي تَمَادِيهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ فِي شِرْكِهِمْ..

﴿يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦] يَتَرَدَّدُونَ، لِيَسْتَوْجِبُوا الْغَايَةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَأَلِيمِ نَكَالِهِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ إِنَّ قَوْمًا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانُوا مِنْ قُرَيْشٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَجُوزُ قَطْعُ الْقَوْلِ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ كَانَ..

﴿أَيَّانَ﴾ مَتَىٰ..

﴿مُرْسَاهَا﴾ قِيَامُهَا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَرْسَاهَا اللهُ فَهِيَ مُرْسَاةٌ، وَأَرْسَاهَا الْقَوْمُ: إِذَا حَبَسُوهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مُنْتَهَاهَا، وَذَلِكَ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِنْ مَعْنَىٰ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: قِيَامُهَا؛ لِأَنَّ

انْتِهَاءَهَا بُلُوغُهَا وَقْتَهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ الْحَبْسُ وَالْوُقُوفُ..

﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يُجِيبَ سَائِلِيهِ عَنِ السَّاعَةِ بِـ..

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا إِلَّا اللهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ..

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ وَأَنَّهُ لَا يُظْهِرُهَا لِوَقْتِهَا وَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ..

﴿ثَقُلَتْ﴾ خَفِيَتْ..

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَعْرِفُوا وَقْتَهَا وَمَجِيئَهَا؛ لِخَفَائِهَا عَنْهُمْ، وَاسْتِئْثَارِ اللهِ بِعِلْمِهَا، فَلَمْ يَعْلَمْ قِيَامَهَا مَتَىٰ تَقُومُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ..

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ لَا تَجِيءُ السَّاعَةُ إِلَّا فَجْأَةً، لَا تَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَنِ السَّاعَةِ..

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كَأَنَّكَ تَعْلَمُهَا..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِسَائِلِيكَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ وَحِينَ مَجِيئِهَا..

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ لَا عِلْمَ لِي بِذَلِكَ، وَلَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا اللهُ، الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧] أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ يُوجَدُ عِنْدَ بَعْضِ خَلْقِهِ.

> ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِسَائِلِيكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا..

﴿لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِي، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ يَحِلُّ بِهَا عَنْهَا..

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكَهُ مِنْ ذَلِكَ، بِأَنْ يُقَوِّيَنِي عَلَيْهِ وَيُعِينَنِي..

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ..

﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَعْدَدْتُ لِلسَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ مِنَ الْمُخْصِبَةِ، وَلَعَرَفْتُ الْغَلَاءَ مِنَ الرُّخْصِ، وَاسْتَعْدَدْتُ لَهُ فِي الرُّخْصِ..

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ وَمَا مَسَّنِيَ الضُّرُّ..

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ مَا أَنَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، أُنْذِرُ عِقَابَهُ مَنْ عَصَاهُ مِنْكُمْ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَأُبَشِّرُ بِثَوَابِهِ وَكَرَامَتِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ مِنْكُمْ..

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨] يُصَدِّقُونَ بِأَنِّي للهِ رَسُولٌ، وَيُقِرُّونَ بِحَقِّيَّةِ مَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾

[الأعراف: ١٨٩].

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يَعْنِي بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ: آدَمَ..

﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ وَجَعَلَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، وَهُوَ آدَمُ، زَوْجَهَا حَوَّاءَ..

﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ لِيَأْوِيَ إِلَيْهَا لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَلَذَّتِهِ..

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ فَلَمَّا تَدَثَّرَهَا لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ مِنْهَا فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ مِنْهَا..

﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ يَعْنِي بِخِفَّةِ الْحَمْلِ: الْمَاءَ الَّذِي حَمَلَتْهُ حَوَّاءُ فِي رَحِمِهَا مِنْ آدَمَ أَنَّهُ كَانَ حَمْلًا خَفِيفًا، وَكَذَلِكَ هُوَ حَمْلُ الْمَرْأَةِ، مَاءُ الرَّجُلِ خَفِيفٌ عَلَيْهَا..

﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ اسْتَمَرَّتْ بِالْمَاءِ: قَامَتْ بِهِ وَقَعَدَتْ، وَأَتَمَّتِ الْحَمْلَ..

﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ فَلَمَّا صَارَ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي كَانَ خَفِيفًا ثَقِيلًا، وَدَنَتْ وِلَادَتُهَا..

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ نَادَىٰ آدَمُ وَحَوَاءُ رَبَّهُمَا وَقَالَا: يَا رَبَّنَا..

﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَشْمَلُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً، مِنْهَا الصَّلَاحُ فِي اسْتِوَاءِ الْخَلْقِ، وَمِنْهَا الصَّلَاحُ فِي الدِّينِ، وَالصَّلَاحُ فِي الْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عَنِ الرَّسُولِ يُوجِبُ الْحُجَّةَ بِأَنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ مَعَانِي الصَّلَاحِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ دَلِيلٌ وَجَبَ أَنْ يَعُمَّ كَمَا عَمَّهُ اللهُ، فَيُقَالَ إِنَّهُمَا قَالَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا بِجَمِيعِ مَعَانِي الصَّلَاحِ..

﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ [الأعراف: ١٨٩] لَنَكُونَنَّ مِمَّنْ يَشْكُرُكَ عَلَىٰ مَا وَهَبْتَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ صَالِحًا.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللهُ وَلَدًا صَالِحًا كَمَا سَأَلَا..

﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ فِي الِاسْمِ لَا فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِذَلِكَ آدَمُ وَحَوَّاءُ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَمْ يَدِينَا بِأَنَّ وَلَدَهُمَا مِنْ عَطِيَّةِ إِبْلِيسَ ثُمَّ يَجْعَلَا للهِ فِيهِ شِرْكًا لِتَسْمِيَتِهِمَا إِيَّاهُ بِعَبْدِ اللهِ، وَإِنَّمَا كَانَا يَدِينَانِ -لَا شَكَّ- بِأَنَّ وَلَدَهُمَا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَعَطِيَّتِهِ، ثُمَّ سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَجَعَلَا لِإِبْلِيسَ فِيهِ شِرْكًا بِالِاسْمِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ إِنَّمَا سَمَّيَا ابْنَهُمَا عَبْدَ الْحَارِثِ، وَالْحَارِثُ وَاحِدٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿شُرَكَآءَ﴾ جَمَاعَةٌ، فَكَيْفَ وَصَفَهُمَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمَا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ، وَإِنَّمَا أَشْرَكَا وَاحِدًا؟ قِيلَ: قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْخَبَرَ عَنِ الْوَاحِدِ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا لَمْ تَقْصِدْ وَاحِدًا بِعَيْنِهِ وَلَمْ تُسَمِّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَإِنَّمَا كَانَ الْقَائِلُ ذَلِكَ وَاحِدًا، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدْ قَصْدَهُ، وَذَلِكَ مُسْتَفِيضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا..

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وَرَزَقَهُمَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ -إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ- فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾، أَفَكَانَ آدَمُ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْقَوْلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ لَيْسَ بِالَّذِي ظَنَنْتَ، وَإِنَّمَا الْقَوْلُ فِيهِ: فَتَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَأَمَّا الْخَبَرُ عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَقَدِ انْقَضَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، ثُمَّ اسْتُؤْنِفَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾..

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ فَتَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ، وَتَعْظِيمٌ لَهَا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠] عَمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ وَيَدْعُونَ مَعَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١].

﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ فِي عِبَادَةِ اللهِ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ..

﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ وَاللهُ يَخْلُقُهَا وَيُنْشِئُهَا..

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١] وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ الْخَالِصَةُ لِلْخَالِقِ لَا لِلْمَخْلُوقِ.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٢].

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أَيُشْرِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ إِنْ أَرَادَ اللهُ، أَوْ أَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً..

﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٢] وَلَا هُوَ قَادِرٌ إِنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا نَصْرَ نَفْسِهِ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهَا، وَإِنَّمَا الْعَابِدُ يَعْبُدُ مَا يَعْبُدُهُ لِاجْتِلَابِ نَفْعٍ مِنْهُ أَوْ لِدَفْعِ ضُرٍّ مِنْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَآلِهَتُهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَيُشْرِكُونَهَا فِي عِبَادَةِ اللهِ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ، بَلْ لَا تَجْتَلِبُ إِلَىٰ نَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضُرًّا، فَهِيَ مِنْ نَفْعِ غَيْرِ أَنْفُسِهَا أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهَا أَبْعَدُ.. يُعَجِّبُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلْقَهُ مِنْ عَظِيمِ خَطَإِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمُ اللهَ غَيْرَهُ.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف: ١٩٣].

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي وَصْفِهِ وَعَيْبِهِ مَا يُشْرِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ رَبَّهُمْ إِيَّاهُ: وَمِنْ صِفَتِهِ أَنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْأَمْرِ الصَّحِيحِ السَّدِيدِ..

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَعْقِلُ شَيْئًا، فَتَتْرُكَ مِنَ الطُّرُقِ مَا كَانَ عَنِ الْقَصْدِ مُنْعَدِلًا جَائِرًا، وَتَرْكَبَ مَا كَانَ مُسْتَقِيمًا سَدِيدًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِوَصْفِ آلِهَتِهِمْ بِذَلِكَ مِنْ صِفَتِهَا تَنْبِيهَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ خَطَئِهِمْ، وَقُبْحِ اخْتِيَارِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَكَيْفَ يَهْدِيكُمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ مَنْ إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ الرَّشَادِ وَعُرِّفَهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَمْ يَفْهَمْ رَشَادًا مِنْ ضَلَالٍ..

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف: ١٩٣] وَكَانَ سَوَاءً دُعَاءُ دَاعِيهِ إِلَىٰ الرَّشَادِ وَسُكُوتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ دُعَاءَهُ، وَلَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلَا يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ؟ يَقُولُ: فَكَيْفَ يُعْبَدُ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ، أَمْ كَيْفَ يُشْكِلُ عَظِيمُ جَهْلِ مَنِ اتَّخَذَ مَا هَذِهِ صِفَتُهُ إِلَهًا؟ وَإِنَّمَا الرَّبُّ الْمَعْبُودُ هُوَ النَّافِعُ مَنْ يَعْبُدُهُ، الضَّارُّ مَنْ يَعْصِيهِ، النَّاصِرُ وَلِيَّهُ، الْخَاذِلُ عَدُوَّهُ، الْهَادِي إِلَىٰ الرَّشَادِ مَنْ أَطَاعَهُ، السَّامِعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، مُوَبِّخُهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، وتَعْبُدُونَهَا شِرْكًا مِنْكُمْ وَكُفْرًا بِاللهِ..

﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ هُمْ أَمْلَاكٌ لِرَبِّكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ لَهُ مَمَالِيكُ..

﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤] فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّهَا

تَضُرُّ وَتَنفَعُ، وَأَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ مِنكُمُ الْعِبَادَةَ لِنَفْعِهَا إِيَّاكُمْ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِدُعَائِكُمْ إِذَا دَعَوْتُمُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ لِأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ، فَأَيْقِنُوا بِأَنَّهَا لَا تَنفَعُ وَلَا تَضُرُّ؛ لِأَنَّ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِمَّنْ إِذَا سُئِلَ سَمِعَ مَسْأَلَةَ سَائِلٍ وَأَعْطَىٰ وَأَفْضَلَ، وَمَنْ إِذَا شُكِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ سَمِعَ فَضَرَّ مَنِ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، وَنَفَعَ مَنْ لَا يَسْتَوْجِبُ الضُّرَّ.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥].

﴿أَلَهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ مِنْ دُونِهِ مُعَرِّفُهُمْ جَهْلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ: أَلِأَصْنَامِكُمْ هَذِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ فَيَسْعَوْنَ مَعَكُمْ وَلَكُمْ فِي حَوَائِجِكُمْ وَيَتَصَرَّفُونَ بِهَا فِي مَنَافِعِكُمْ..

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ فَيَدْفَعُونَ عَنكُمْ وَيَنْصُرُونَكُمْ بِهَا عِنْدَ قَصْدِ مَنْ يَقْصِدُكُمْ بِشَرٍّ وَمَكْرُوهٍ..

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ فَيُعَرِّفُوكُمْ مَا عَايَنُوا وَأَبْصَرُوا مِمَّا تَغِيبُونَ عَنْهُ فَلَا تَرَوْنَهُ..

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فَيُخْبِرُوكُمْ بِمَا سَمِعُوا دُونَكُمْ مِمَّا لَمْ تَسْمَعُوهُ؟ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَإِنْ كَانَتْ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْآلَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَالْمُعَظَّمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَا يُرْجَىٰ مِنْهُ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْهِ بَعْضُ هَذِهِ الْمَعَانِي عِنْدَكُمْ، فَمَا وَجْهُ عِبَادَتِكُمْ أَصْنَامَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يُوصَلُ إِلَىٰ اجْتِلَابِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ؟..

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أَنْتُمْ وَهُمْ..

﴿فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥] فَلَا تُؤَخِّرُونَ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ، وَلَكِنْ عَجِّلُوا بِذَلِكَ، يُعْلِمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَضُرُّوهُ، وَأَنَّهُ قَدْ عَصَمَهُ مِنْهُمْ، وَيُعَرِّفُ الْكَفَرَةَ بِهِ عَجْزَ أَوْثَانِهِمْ عَنْ نُصْرَةِ مَنْ بَغَىٰ أَوْلِيَاءَهُمْ بِسُوءٍ.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: إِنَّ وَلِيِّيَ نَصِيرِي وَمُعِينِي وَظَهِيرِي عَلَيْكُمْ..

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عَلَيَّ بِالْحَقِّ..

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّىٰ مَنْ صَلُحَ عَمَلُهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ وَقُلْ لَهُمْ، إِنَّ اللهَ نَصِيرِي وَظَهِيرِي، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧] وَلَا هُمْ مَعَ عَجْزِهِمْ عَنْ نُصْرَتِكُمْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ نُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَأَيُّ هَذَيْنِ أَوْلَىٰ بِالْعِبَادَةِ وَأَحَقُّ بِالْأُلُوهَةِ، أَمَّنْ يَنْصُرُ وَلِيَّهُ وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ، أَمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ نَصْرَ وَلِيِّهِ وَيَعْجِزُ عَنْ مَنْعِ نَفْسِهِ مِمَّنْ أَرَادَهُ وَبَغَاهُ بِمَكْرُوهٍ؟

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: وَإِنْ تَدْعُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَتَكُمْ..

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وَهُوَ الِاسْتِقَامَةُ إِلَىٰ السَّدَادِ..

﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ..

﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ آلِهَتَهُمْ..

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَنْظُرُ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يَرَاهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ إِذَا قَابَلَ شَيْئًا أَوْ حَاذَاهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَىٰ كَذَا، وَيُقَالُ: مَنْزِلُ فُلَانٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْزِلِي إِذَا قَابَلَهُ، وَحُكِيَ عَنْهَا: إِذَا أَتَيْتَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، فَنَظَرَ إِلَيْكَ الْجَبَلُ، فَخُذْ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَتَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ آلِهَةَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ يُقَابِلُونَكَ وَيُحَاذُونَكَ، وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَبْصَارَ لَهُمْ.. وَقِيلَ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَتَرَاهَا) أَنَّهَا صُوَرٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَىٰ صُوَرِ بَنِي آدَمَ.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ، وَاتْرُكِ الْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ، أُمِرَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الْمُشْرِكِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَمَنْسُوخٌ ذَلِكَ؟ قِيلَ: لَا دَلَالَةَ عِنْدَنَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ؛ إِذْ كَانَ جَائِزًا أَنْ يَكُونَ فِي تَعْرِيفِهِ عِشْرَةَ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مُرَادًا بِهِ تَأْدِيبُ نَبِيِّ اللهِ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فِي عِشْرَةِ النَّاسِ، وَأَمْرُهُمْ بِأَخْذِ عَفْوِ أَخْلَاقِهِمْ، فَيَكُونُ تَعْلِيمًا مِنَ اللهِ خَلْقَهُ صِفَةَ عِشْرَةِ

بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَمْ يَجِبِ اسْتِعْمَالُ الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ فِي بَعْضِهِمْ، فَإِذَا وَجَبَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِيهِمْ، اسْتُعْمِلَ الْوَاجِبُ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أَمْرًا بِأَخْذِهِ مَا لَمْ يَجِبْ غَيْرُ الْعَفْوِ، فَإِذَا وَجَبَ غَيْرُهُ أَخَذَ الْوَاجِبَ وَغَيْرَ الْوَاجِبِ إِذَا أَمْكَنَ ذَلِكَ..

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ إِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْعُرْفِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ الْعُرْفِ ذَلِكَ، فَمِنَ الْمَعْرُوفِ صِلَةُ رَحِمِ مَنْ قَطَعَ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَ، وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْعُرْفِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَالْحَقُّ فِيهِ أَنْ يُقَالَ: قَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَهُ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّهِ لَا بِبَعْضِ مَعَانِيهِ دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّنْ جَهِلَ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ، فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ مِنْهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ بِاحْتِمَالِ مَنْ ظَلَمَهُمْ أَوِ اعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ، لَا بِالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ جَهِلَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ اللهِ، وَلَا بِالصَّفْحِ عَمَّنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَهِلَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَهُوَ لِلْمُسْلِمِينَ حَرْبٌ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وَإِمَّا يُغْضِبَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ غَضَبٌ يَصُدُّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَيَحْمِلُكَ عَلَىٰ مُجَازَاتِهِمْ.. وَأَصْلُ النَّزْغِ: الْفَسَادُ، يَقُولُ: نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ الْقَوْمِ إِذَا أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ، وَحَمَلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فَاسْتَجِرْ بِاللهِ مِنْ نَزْغِهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي تَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ..

﴿سَمِيعٌ﴾ لِجَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْكَ وَلِاسْتِعَاذَتِكَ بِهِ مِنْ نَزْغِهِ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠] بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ٢٠١﴾

[الأعراف: ٢٠١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ اللهَ مِنْ خَلْقِهِ، فَخَافُوا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إِذَا أَلَمَّ بِهِمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ غَضَبٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا

يُصَدُّ عَنْ وَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عِقَابَ اللهِ وَثَوَابَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ..

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠١] فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ هُدَىٰ اللهِ وَبَيَانَهُ وَطَاعَتَهُ فِيهِ، فَمُنْتَهُونَ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ طَائِفُ الشَّيْطَانِ، وَأَبْصَرُوا الْحَقَّ فَعَمِلُوا بِهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكُوا فِيهِ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ..

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ تَمُدُّهُمُ الشَّيَاطِينُ، وَيَزِيدُونَهُمْ..

﴿فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠٢] عَمَّا قَصُرَ عَنْهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ فَرِيقَيِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، بِأَنَّ فَرِيقَ الْإِيمَانِ وَأَهْلَ تَقْوَىٰ اللهِ إِذَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ تَذَكَّرُوا عَظَمَةَ اللهِ وَعِقَابَهُ، فَكَفَّتْهُمْ رَهْبَتُهُ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَرَدَّتْهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ زَلَّةٍ، وَأَنَّ فَرِيقَ الْكَافِرِينَ يَزِيدُهُمُ الشَّيْطَانُ غَيًّا إِلَىٰ غَيِّهِمْ إِذَا رَكِبُوا مَعْصِيَةً مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَلَا يَحْجُزُهُمْ تَقْوَىٰ اللهِ، وَلَا خَوْفُ الْمَعَادِ إِلَيْهِ عَنِ التَّمَادِي فِيهَا وَالزِّيَادَةِ مِنْهَا، فَهُوَ أَبَدًا فِي زِيَادَةٍ مِنْ رُكُوبِ الْإِثْمِ، وَالشَّيْطَانُ يَزِيدُهُ أَبَدًا، لَا يُقْصِرُ الْإِنْسِيُّ عَنْ شَيْءٍ مِنْ رُكُوبِ الْفَوَاحِشِ وَلَا الشَّيْطَانُ مِنْ مَدِّهِ مِنْهُ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝﴾ بِمَعْنَىٰ: وَلَا الشَّيَاطِينُ يُقْصِرُونَ فِي مَدِّهِمْ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْغَيِّ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّاهُ؛ لِأَنَّ اللهَ وَصَفَ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ وَارْتِدَاعَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمَا يَكْرَهُهُ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ عِنْدَ تَذَكُّرِهِمْ عَظَمَتَهُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ وَرُكُوبِهِمْ مَعَاصِيهِ، وَكَانَ الْأُولَىٰ وَصْفَهُمْ بِتَمَادِيهِمْ فِيهَا؛ إِذْ كَانَ عُقَيْبَ الْخَبَرِ عَنْ تَقْصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهَا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ قَالُوا: هَلَّا اخْتَرْتَهَا وَاصْطَفَيْتَهَا وَافْتَعَلْتَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ وَاخْتَلَقْتَهَا، مِنْ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، يَعْنِي: يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ هَلَّا أَحْدَثْتَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ..

﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِي وَلَا يَجُوزُ لِي فَعَلُهُ، لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَمَرَنِي بِاتِّبَاعِ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، لِأَنِّي عَبْدُهُ وَإِلَىٰ أَمْرِهِ أَنْتَهِي وَإِيَّاهُ أُطِيعُ..

﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ الَّذِي أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ..

﴿بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ عَلَيْكُمْ، وَبَيَانٌ لَكُمْ..

﴿مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدًى﴾ وَبَيَانٌ يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ..

﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ رَحِمَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْقَذَهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْهَلَكَةِ..

﴿لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣] هُوَ بَصَائِرُ مِنَ اللهِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ، يَقُولُ: لِمَنْ صَدَّقَ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ تَنْزِيلُ اللهِ وَوَحْيُهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِهِ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ بِهِ، بَلْ هُوَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ غَمٌّ وَخِزْي.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُصَدِّقِينَ بِكِتَابِهِ الَّذِينَ الْقُرْآنُ لَهُمْ هُدًى وَرَحْمَةٌ: إِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ أَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ، لِتَتَفَهَّمُوا آيَاتِهِ، وَتَعْتَبِرُوا بِمَوَاعِظِهِ..

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ إِلَيْهِ لِتَعْقِلُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ، وَلَا تَلْغَوْا فِيهِ فَلَا تَعْقِلُوهُ.. فَأُمِرُوا بِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ وَكَانَ مَنْ خَلْفَهُ مِمَّنْ يَأْتَمُّ بِهِ يَسْمَعُهُ، وَفِي الْخُطْبَةِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا»، وَإِجْمَاعُ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ الْإِمَامِ مِمَّنْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ، الِاسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ لَهَا، مَعَ تَتَابُعِ الْأَخْبَارِ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا وَقْتَ يَجِبُ عَلَىٰ أَحَدٍ اسْتِمَاعُ الْقُرْآنِ وَالْإِنْصَاتُ لِسَامِعِهِ مِنْ قَارِئِهِ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ عَلَىٰ اخْتِلَافٍ فِي إِحْدَاهُمَا، وَهِيَ حَالَةُ أَنْ يَكُونَ خَلْفَ إِمَامٍ مُؤْتَمٍّ بِهِ، وَقَدْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِ: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا»، فَالْإِنْصَاتُ خَلْفَهُ لِقِرَاءَتِهِ وَاجِبٌ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بِهِ مُؤْتَمًّا سَامِعًا قِرَاءَتَهُ، بِعُمُومِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وهو قَوْلُ ابنِ مَسْعُودٍ، وَعُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وعَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، ومُجَاهِدٍ، وحُمَيدٍ الأَعرجِ، وقَتَادةِ، وعبدِ الرَّحمنِ بنْ زيدٍ، والزُّهْرِيِّ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤] لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاتِّعَاظِكُمْ بِمَوَاعِظِهِ، وَاعْتِبَارِكُمْ بِعِبَرِهِ، وَاسْتِعْمَالِكُمْ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فِي آيِهِ.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿وَٱذۡكُر﴾ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ الْمُنْصِتُ لِلْقُرْآنِ إِذَا قُرِئَ فِي صَلَاةٍ أَوْ خُطْبَةٍ..

﴿رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ اتَّعِظْ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ، وَاعْتَبِرْ بِهِ، وَتَذَكَّرْ مَعَادَكَ إِلَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِكَهُ..

﴿تَضَرُّعٗا﴾ افْعَلْ ذَلِكَ تَخَشُّعًا للهِ وَتَوَاضُعًا لَهُ..

﴿وَخِيفَةٗ﴾ وَخَوْفًا مِنَ اللهِ أَنْ يُعَاقِبَكَ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ يَكُونُ مِنْكَ فِي الِاتِّعَاظِ بِهِ وَالِاعْتِبَارِ، وَغَفْلَةٍ عَمَّا بَيَّنَ اللهُ فِيهِ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وَدُعَاءٌ بِاللِّسَانِ للهِ فِي خَفَاءٍ لَا جِهَارٍ، يَقُولُ: لِيَكُنْ ذِكْرُ اللهِ عِنْدَ اسْتِمَاعِكَ الْقُرْآنَ فِي دُعَاءٍ إِنْ دَعَوْتَ غَيْرَ جِهَارٍ، وَلَكِنْ فِي خَفَاءٍ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ آخِرِ الْفَجْرِ، صَلَاةِ الصُّبْحِ..

﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ آخِرِ الْعَشِيِّ، صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١]، فَقِيلَ: الْعَشِيُّ: مِيلُ الشَّمْسِ إِلَىٰ أَنْ تَغِيبَ، وَالْإِبْكَارُ: أَوَّلُ الْفَجْرِ..

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَلَا تَكُنْ مِنَ اللَّاهِينَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَنْ عِظَاتِهِ وَعِبَرِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِهِ، وَلَكِنْ تَدَبَّرْ ذَلِكَ وَتَفَهَّمْهُ، وَأَشْعِرْهُ قَلْبَكَ بِذِكْرِ اللهِ، وَخُضُوعٍ لَهُ، وَخَوْفٍ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَيْكَ، إِنْ أَنْتَ غَفَلْتَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ لَا تَسْتَكْبِرْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ الْمُنْصِتُ لِلْقُرْآنِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَاذْكُرْهُ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ..

﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ عَنِ التَّوَاضُعِ لَهُ وَالتَّخَشُّعِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعِبَادَةُ..

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ وَيُعَظِّمُونَ رَبَّهم بِتَوَاضُعِهِم لَه فِي عِبَادَتِهِ..

﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وَللهِ يُصَلُّونَ، وَهوَ سُجودُهم، فَصَلُّوا أَنتُم أَيضًا لَه، وَعَظِّموه بِالعِبَادَةِ كَمَا يَفْعَلُه مَنْ عِنْدَه مِنْ مَلَائِكَتِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَعْرَافِ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ (٨)
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْأَنْفَالُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾ [الأنفال: ١].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ.. وَاخْتُلِفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ نَفَّلَ أَقْوَامًا عَلَىٰ بَلَاءٍ، فَأَبْلَىٰ أَقْوَامٌ وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ مَا فَعَلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَاضٍ جَائِزٌ، واستدلوا علىٰ ذلك بما ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» قَالَ: فَتَسَارَعَ فِي ذَلِكَ شُبَّانُ الرِّجَالِ، وَبَقِيَتِ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرَّايَاتِ فَلَمَّا كَانَتِ الْغَنَائِمُ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ، فَقَالَتِ الشُّيُوخُ: لَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْنَا، فَإِنَّا كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ، وَكُنَّا تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَلَوِ انْكَشَفْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَتَنَازَعُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ شَيْئًا قَبْلَ قِسْمَتِهَا، فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ؛ إِذْ كَانَ شِرْكًا بَيْنَ الْجَيْشِ، فَجَعَلَ اللهُ جَمِيعَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، واستدلوا بما جاءَ عَنْ سَعْدِ بنِ مالكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّيْفُ قَدْ شَفَىٰ اللهُ بِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لِي وَلَا لَكَ»، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ، قُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَنْ لَمْ يُبْلِ بَلَائِي، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ، قَالَ: «إِنَّ السَّيْفَ قَدْ صَارَ لِي»، قَالَ: فَأَعْطَانِيهِ، وَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوا قِسْمَةَ الْغَنِيمَةِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ دُونَهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ شَيْءٌ، وَقَالُوا: مَعْنَىٰ: (عَنْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (مِنْ) وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَنْفَالِ، وَقَالُوا: قَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَؤُهُ: (يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ) عَلَىٰ هَذَا

التَّأْوِيلِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ قَوْمٍ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْأَنْفَالَ أَنْ يُعْطِيَهُمُوهَا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّهَا للهِ، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا لِرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، جَازَ أَنْ يَكُونَ نُزُولُهَا كَانَ مِنْ أَجْلِ اخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ مَنْ سَأَلَهُ السَّيْفَ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ سَعْدٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ إِيَّاهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ مَنْ سَأَلَهُ قَسْمَ ذَلِكَ بَيْنَ الْجَيْشِ..

﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ عَنِ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْقِسْمَةُ مِنْ غَنِيمَةِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ لِمَنْ هُوَ.. والْأَنْفَالُ: هِيَ زِيَادَاتٌ يَزِيدُهَا الْإِمَامُ بَعْضَ الْجَيْشِ أَوْ جَمِيعَهُمْ، إِمَّا مِنْ سَلَبِهِ عَلَىٰ حُقُوقِهِمْ مِنَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَّا مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ بِالنَّفَلِ، أَوْ بِبَعْضِ أَسْبَابِهِ، تَرْغِيبًا لَهُ وَتَحْرِيضًا لِمَنْ مَعَهُ مِنْ جَيْشِهِ عَلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَصَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ صَلَاحُ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْفَرَسُ وَالدِّرْعُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا عَادَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَبْدٍ أَوْ فَرَسٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرُهُ إِلَىٰ الْإِمَامِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ لِغَلَبَةٍ وَقَهْرٍ، يَفْعَلُ مَا فِيهِ صَلَاحُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْجَيْشُ بِقَهْرٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ لِأَنَّ النَّفَلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: نَفَلْتُكَ كَذَا، وَأَنْفَلْتُكَ: إِذَا زِدْتُكَ، وَالْأَنْفَالُ: جَمْعُ نَفَلٍ.. فَإِذَا كَانَ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَا، فَكُلُّ مَنْ زِيدَ مِنْ مَقَاتِلَةِ الْجَيْشِ عَلَىٰ سَهْمِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لِبَلَاءٍ أَبْلَاهُ أَوْ لِغَنَاءٍ كَانَ مِنْهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، بِتَنْفِيلِ الْوَالِي ذَلِكَ إِيَّاهُ، فَيَصِيرُ حُكْمُ ذَلِكَ لَهُ كَالسَّلَبِ الَّذِي يَسْلُبُهُ الْقَاتِلُ، فَهُوَ مُنَفَّلٌ مَا زِيدَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْتَوْجَبَةً فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِحَقٍّ، فَلَيْسَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْقِسْمَةُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا رَضَخَ لِمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ فَهُوَ نَفَلٌ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِمَّا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقِسْمَةُ.. فَالْفَصْلُ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالنَّفَلِ، أَنَّ الْغَنِيمَةَ هِيَ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ بِغَلَبَةٍ وَقَهْرٍ، نَفَلَ مِنْهُ مُنَفِّلٌ أَوَلَمْ يُنَفِّلْ، وَالنَّفَلُ: هُوَ مَا أُعْطِيهِ الرَّجُلَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَالْغَنَاءِ عَنِ الْجَيْشِ عَلَىٰ غَيْرِ قِسْمَةٍ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ دُونَكُمْ، يَجْعَلُهُ حَيْثُ شَاءَ.. وَاخْتَلَفُوا فِيهَا، أَمَنْسُوخَةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، وَقَالُوا: نَسَخَهَا قَوْلُهُ: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] الْآيَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةً، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾، وَهِيَ لَا شَكَّ للهِ مَعَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا وَالْآخِرَةِ، وَلِلرَّسُولِ يَضَعُهَا فِي

مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِوَضْعِهَا فِيهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَنْفَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ يُنَفِّلُ مَنْ شَاءَ، فَنَفَّلَ الْقَاتِلَ السَّلَبَ، وَجَعَلَ لِلْجَيْشِ فِي الْبَدَاءَةِ الرُّبُعَ، وَفِي الرَّجْعَةِ الثُّلُثَ بَعْدَ الْخُمُسِ، وَنَفَّلَ قَوْمًا بَعْدَ سُهْمَانِهِمْ بَعِيرًا بَعِيرًا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي، فَجَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حُكْمَ الْأَنْفَالِ إِلَىٰ نَبِيِّهِ -ﷺ- يُنَفِّلُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَىٰ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنْ يَسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فِي ذَلِكَ.. وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ حُكْمَهَا مَنْسُوخٌ؛ لِاحْتِمَالِهَا مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفْتُ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُحْكَمَ بِحُكْمٍ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَقَدْ دَلَّلْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِنَا عَلَىٰ أَنْ لَا مَنْسُوخَ إِلَّا مَا أَبْطَلَ حُكْمَهُ حَادِثُ حُكْمٍ بِخِلَافِهِ يَنْفِيهِ مِنْ كُلِّ مَعَانِيهِ، أَوْ يَأْتِي خَبَرٌ يُوجِبُ الْحُجَّةَ أَنَّ أَحَدَهُمَا نَاسِخٌ الْآخَرَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ لِلْأَئِمَّةِ أَنْ يَتَأَسَّوْا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَغَازِيهِمْ بِفِعْلِهِ، فَيُنَفِّلُوا عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانَ يُنَفِّلُ، إِذَا كَانَ التَّنْفِيلُ صَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ..

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَاتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَصْلِحُوا الْحَالَ بَيْنَكُمْ..

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ، لِلَّذِينَ غَنِمُوا الْغَنِيمَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَشَهِدُوا الْوَقْعَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْغَنِيمَةِ، أَنْ يَرُدُّوا مَا أَصَابُوا مِنْهَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذَا تَحْرِيجٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْقَوْمِ، وَنَهْيٌ لَهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، مِنْ أَمْرِ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهِ..

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ وَانْتَهُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ الطَّالِبُونَ الْأَنْفَالَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ فِيمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ وُجُوهَهُ وَسُبُلَهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ رَسُولَ اللهِ فِيمَا آتَاكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَسَلِّمُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ يَحْكُمَانِ فِيهَا بِمَا شَاءَا، وَيَضَعَانِهَا حَيْثُ أَرَادَا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يُخَالِفُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَتْرُكُ اتِّبَاعَ مَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَالِانْقِيَادَ لِحُكْمِهِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَ قَلْبُهُ، وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ، وَخَضَعَ لِذِكْرِهِ، خَوْفًا مِنْهُ، وَفَرَقًا مِنْ

عِقَابِهِ.. قال السُّدِّيُّ: (هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ أَوْ يَهِمَّ بِمَعْصِيَةٍ فَيَنْزِعَ عَنْهُ)..

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ كِتَابِهِ صَدَّقَ بِهَا، وَأَيْقَنَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَازْدَادَ بِتَصْدِيقِهِ بِذَلِكَ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِ بِمَا كَانَ قَدْ بَلَغَهُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ تَصْدِيقًا، وَذَلِكَ هُوَ زِيَادَةُ مَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ إِيَّاهُمْ إِيمَانًا..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] وَبِاللهِ يُوقِنُونَ فِي أَنَّ قَضَاءَهُ فِيهِمْ مَاضٍ فَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ وَلَا يَرْهَبُونَ سِوَاهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣] وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يُنْفِقُوهَا فِيهِ، مِنْ زَكَاةٍ وَجِهَادٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَنَفَقَةٍ عَلَىٰ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ، فَيُؤَدُّونَ حُقُوقَهُمْ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لَا الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ آمَنَّا وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ خِلَافِهِ نِفَاقًا، لَا يُقِيمُونَ صَلَاةً، وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةً، فَجَعَلَ اللهُ الْمُؤْمِنَ مُؤْمِنًا حَقًّا، وَجَعَلَ الْكَافِرَ كَافِرًا حَقًّا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ دَرَجَاتٌ، وَهِيَ مَرَاتِبُ رَفِيعَةٌ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ أَعْمَالٌ رَفِيعَةٌ وَفَضَائِلُ قَدَّمُوهَا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ مَرَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وَعَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَتَغْطِيَةٌ عَلَيْهَا..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤] قِيلَ: الْجَنَّةُ، وَهُوَ عِنْدِي مَا أَعَدَّ اللهُ فِي الْجَنَّةِ لَهُمْ مِنْ مَزِيدِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَهَنِيءِ الْعَيْشِ.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ [الأنفال: ٥].

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَذَٰلِكَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ؛ لِأَنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ كَانَ، أَعني خُرُوجَ بَعْضِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ كَارِهًا، وَجِدَالَهُمْ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ عِنْدَ دُنُوِّ الْقَوْمِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ..

﴿مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ بَدْرٍ..

﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ [الأنفال: ٥] فَإِنَّ كَرَاهَتَهُمْ كَانَتْ لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ، نَدَبَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ: هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُنَفِّلَكُمُوهَا، فَانْتَدَبَ النَّاسَ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلْقَىٰ حَرْبًا.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفال: ٦].

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ كَرِهُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَكَانَ جِدَالُهُمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَنْ قَالُوا: لَمْ يُعْلِمْنَا أَنَّا نَلْقَىٰ الْعَدُوَّ فَنَسْتَعِدَّ لِقِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْعِيرِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]، فَفِي ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا لِلشَّوْكَةِ كَارِهِينَ، وَأَنَّ جِدَالَهُمْ كَانَ فِي الْقِتَالِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ، كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لَهُ..

﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَكَ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: يُجَادِلُونَكَ فِي الْقِتَالِ بَعْدَ مَا أُمِرْتَ بِهِ..

﴿كَأَنَّمَا﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ لِلِقَائِهِمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ لِقَائِهِمْ لِلْقِتَالِ..

﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفال: ٦] كَرَاهَةً لِلِقَاءِ الْقَوْمِ، وَإِنْكَارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ حِينَ ذُكِرُوا لَهُمْ.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال: ٧].

﴿وَإِذۡ﴾ وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ إِذْ..

﴿يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ إِحْدَىٰ الْفِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْعِيرِ، وَفِرْقَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ لِمَنْعِ عِيرِهِمْ..

﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إِنَّ مَا مَعَهُمْ غَنِيمَةٌ لَكُمْ..

﴿وَتَوَدُّونَ﴾ وَتُحِبُّونَ..

﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الطَّائِفَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا شَوْكَةٌ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهَا حَدٌّ وَلَا فِيهَا قِتَالٌ أَنْ..

﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ تَوَدُّونَ أَنْ تَكُونَ لَكُمُ الْعِيرُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا قِتَالٌ لَكُمْ، دُونَ جَمَاعَةِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ جَاءُوا لِمَنْعِ عِيرِهِمُ الَّذِينَ فِي لِقَائِهِمُ الْقِتَالَ وَالْحَرْبَ.. وَأَصْلُ الشَّوْكَةِ مِنَ الشَّوْكِ..

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْإِسْلَامَ وَيُعْلِيَهُ..

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ الْغَنِيمَةَ وَالْمَالَ..

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧] يُرِيدُ أَنْ يَجُبَّ أَصْلَ الْجَاحِدِينَ تَوْحِيدَ اللهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مَعْنَىٰ (دَابِرٍ)، وَأَنَّهُ الْمُتَأَخِّرُ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ قَطْعِهِ: الْإِتْيَانُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ مِنْهُمْ.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨].

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ كَيْمَا يُحِقَّ الْحَقَّ، كَيْمَا يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَيُعِزَّ الْإِسْلَامَ، وَذَلِكَ هُوَ تَحْقِيقُ الْحَقِّ..

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ وَيُبْطِلَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَالْكُفْرِ..

﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ذَلِكَ..

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨] الَّذِينَ أَجْرَمُوا، فَاكْتَسَبُوا الْمَآثِمَ وَالْأَوْزَارَ مِنَ الْكُفَّارِ.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩].

﴿إِذْ﴾ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ حِينَ..

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تَسْتَجِيرُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَتَدْعُونَهُ لِلنَّصْرِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ بِـ..

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩] وَرَاءَ كُلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ، مُتَتَابِعِينَ،

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ إِثْرِ بَعْضٍ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حدثني عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَعِدَّتِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ نَيِّفًا عَلَىٰ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ، وَأَخَذَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَفَاكَ يَا نَبِيَّ اللهِ -بِأَبِي وَأُمِّي- مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال: ١٠].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ إِرْدَافَ الْمَلَائِكَةِ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَتَتَابُعَهَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَدَدًا لَكُمْ..

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ لَكُمْ، أَيْ: بِشَارَةً لَكُمْ تُبَشِّرُكُمْ بِنَصْرِ اللهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ وَلِتَسْكُنَ قُلُوبُكُمْ بِمَجِيئِهَا إِلَيْكُمْ، وَتُوقِنَ بِنُصْرَةِ اللهِ لَكُمْ..

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا تُنْصَرُونَ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِلَّا أَنْ يَنْصُرَكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، لَا بِشِدَّةِ بَأْسِكُمْ وَقُوَاكُمْ، بَلْ بِنَصْرِ اللهِ لَكُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، يَقُولُ: إِنَّ اللهَ الَّذِي يَنْصُرُكُمْ وَبِيَدِهِ نَصْرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، بَلْ يَقْهَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَغْلِبُهُ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ..

﴿حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال: ١٠] فِي تَدْبِيرِهِ وَنَصْرِهِ مَنْ نَصَرَ، وَخُذْلَانِهِ مَنْ خَذَلَ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ وَهَنٌ وَلَا خَلَلٌ.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١﴾ [الأنفال: ١١].

﴿إِذْ﴾ تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُكُمْ إِذْ..

﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ يُلْقِي عَلَيْكُمُ النُّعَاسَ..

﴿أَمَنَةً﴾ أَمَانًا..

﴿مِّنْهُ﴾ مِنَ اللهِ لَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ، وَكَذَلِكَ النُّعَاسُ فِي الْحَرْبِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: (النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ)..

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ مَطَرٌ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، لِيُطَهِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِصَلَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْبَحُوا يَوْمَئِذٍ مُجْنِبِينَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ اغْتَسَلُوا وَتَطَهَّرُوا..

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وَكَانَ الشَّيْطَانُ وَسْوَسَ لَهُمْ بِمَا حَزَنَهُمْ بِهِ مِنْ إِصْبَاحِهِمْ مُجْنِبِينَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ..

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ فَأَذْهَبَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَطَرِ فَذَلِكَ رَبْطُهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ..

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١﴾ [الأنفال: ١١] وَتَقْوِيَتُهُ أَسْبَابَهُمْ وَتَثْبِيتُهُ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَقْدَامَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْتَقَوْا مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ رَمْلَةٍ هَشَّاءَ فَلَبَّدَهَا الْمَطَرُ حَتَّىٰ صَارَتِ الْأَقْدَامُ عَلَيْهَا ثَابِتَةً لَا تَسُوخُ فِيهَا، تَوْطِئَةً مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَوْلِيَائِهِ أَسْبَابَ التَّمَكُّنِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ أَنْصُرُكُمْ..

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ قَوُّوا عَزْمَهُمْ، وَصَحِّحُوا نِيَّاتِهِمْ فِي قِتَالِ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَثْبِيتَ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ حُضُورَهُمْ حَرْبَهُمْ مَعَهُمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ مَعُونَتَهُمْ إِيَّاهُمْ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ -يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ- يَقُولُونَ: وَاللهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ، قَالُوا: وَذَلِكَ كَانَ وَحْيَ اللهِ إِلَىٰ مَلَائِكَتِهِ..

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ سَأُرْعِبُ قُلُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ، وَأَمْلَؤُهَا فَرَقًا حَتَّىٰ يَنْهَزِمُوا عَنْكُمْ..

﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَلِّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَضَرْبِهِمْ بِالسَّيْفِ، أَنْ يَضْرِبُوا..

﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الرُّءُوسُ، وَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ فَوْقَ جِلْدَةِ الْأَعْنَاقِ، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ: عَلَىٰ الْأَعناقِ..

﴿وَٱضْرِبُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢] كُلَّ طَرَفٍ وَمِفْصَلٍ مِنْ أَطْرَافِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ.. وَالْبَنَانُ: جَمْعُ بَنَانَةٍ، وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٣﴾ [الأنفال: ١٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ ضَرْبِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ فَوْقَ الأَعناقِ، وَضَرْبِ كُلِّ بَنَانٍ مِنْهُمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ جَزَاءٌ لَهُمْ بِشِقَاقِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَعِقَابٌ لَهُمْ عَلَيْهِ..

﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ فَارَقُوا أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَصَوْهُمَا، وَأَطَاعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ..

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وَمَنْ يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَفَارَقَ طَاعَتَهُمَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٣﴾ [الأنفال: ١٣] لَهُ، وَشِدَّةُ عِقَابِهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا: إِحْلَالُهُ بِهِ مَا كَانَ يَحِلُّ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقَمِ، وَفِي الآخِرَةِ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَحَذَفَ (لَهُ) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ [الأنفال: ١٤].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي عَجَّلْتُهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُشَاقُّونَ للهِ وَرَسُولِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الضَّرْبِ فَوْقَ الأَعناقِ مِنْكُمْ، وَضَرْبِ كُلِّ بَنَانٍ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِي الْمُؤْمِنِينَ..

﴿فَذُوقُوهُ﴾ عَاجِلًا..

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ [الأنفال: ١٤] وَاعْلَمُوا، وَأَيْقِنُوا أَنَّ لَكُمْ فِي الآجِلِ وَالْمَعَادِ عَذَابَ النَّارِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥﴾ [الأنفال: ١٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِي الْقِتَالِ..

﴿زَحْفًا﴾ مُتَزَاحِفًا بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَالتَّزَاحُفُ التَّدَانِي وَالتَّقَارُبُ..

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥﴾ [الأنفال: ١٥] فَلَا تُوَلُّوهُمْ ظُهُورَكُمْ، فَتَنْهَزِمُوا عَنْهُمْ، وَلَكِنِ اثْبُتُوا لَهُمْ فَإِنَّ اللهَ مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنكُمْ ظَهْرَهُ..

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ إِلَّا مُسْتَطْرِدًا لِقِتَالِ عَدُوِّهِ، بِطَلَبِ عَوْرَةٍ لَهُ يُمْكِنُهُ إِصَابَتُهَا، فَيَكِرُّ عَلَيْهِ..

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَهُ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ يَقُولُ: صَائِرًا إِلَىٰ حَيِّزِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفِيئُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ، وَيَرْجِعُونَ بِهِ مَعَهُمْ إِلَيْهِمْ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حُكْمُهَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ وَلَّىٰ الدُّبُرَ عَنِ الْعَدُوِّ مُنْهَزِمًا، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ بَدْرٍ، وَحُكْمُهَا ثَابِتٌ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا لَقُوا الْعَدُوَّ أَنْ يُوَلُّوهُمُ الدُّبُرَ مُنْهَزِمِينَ، إِلَّا لِتَحَرُّفِ الْقِتَالِ، أَوْ لِتَحَيُّزٍ إِلَىٰ فِئَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ كَانَتْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ مَنْ وَلَّاهُمُ الدُّبُرَ بَعْدَ الزَّحْفِ لِقِتَالٍ مُنْهَزِمًا بِغَيْرِ نِيَّةٍ إِحْدَىٰ الْخَلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَبَاحَ اللهُ التَّوْلِيَةَ بِهِمَا، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ مِنَ اللهِ وَعِيدَهُ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ..

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَقَدْ رَجَعَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ وَمَصِيرُهُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦] وَبِئْسَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَصِيرَ.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَاتَلَ أَعْدَاءَ دِينِهِ مَعَهُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ: فَلَمْ تَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَتْلَهُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَنَفَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ مُسَبِّبٌ قَتْلَهُمْ، وَعَنْ أَمْرِهِ كَانَ قِتَالُ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُمْ، فَفِي ذَلِكَ أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ الْمُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ للهِ فِي أَفْعَالِ خَلْقِهِ صَنِيعٌ، بِهِ وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فَأَضَافَ الرَّمْيَ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ، ثُمَّ نَفَاهُ عَنْهُ، وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّامِي؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ الْمَوْصِلُ الْمَرْمِيَّ بِهِ إِلَىٰ الَّذِينَ رُمُوا بِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُسَبِّبُ الرَّمْيَةَ لِرَسُولِهِ، فَيُقَالُ لِلْمُنْكِرِينَ مَا ذَكَرْنَا: قَدْ عَلِمْتُمْ إِضَافَةَ اللهِ رَمْيَ نَبِيِّهِ ﷺ

الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، بَعْدَ وَصْفِهِ نَبِيَّهُ بِهِ وَإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ، ذَلِكَ فِعْلٌ وَاحِدٌ كَانَ مِنَ اللهِ بِتَسْبِيبِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَمِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْحَذْفُ وَالْإِرْسَالُ، فَمَا تُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ سَائِرُ أَفْعَالِ الْخَلْقِ الْمُكْتَسَبَةُ، مِنَ اللهِ الْإِنْشَاءُ وَالْإِنْجَازُ بِالتَّسْبِيبِ، وَمِنَ الْخَلْقِ الِاكْتِسَابُ بِالْقُوَىٰ..

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ وَلِيُنْعِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ بِالظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِمْ، وَيُغْنِمَهُمْ مَا مَعَهُمْ، وَيُثْبِتَ لَهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ الْبَلَاءُ الْحَسَنُ رَمْيُ اللهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَعني بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ النِّعْمَةَ الْحَسَنَةَ الْجَمِيلَةَ، وَهِيَ مَا وَصَفْتُ، وَمَا فِي مَعْنَاهُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُنَاشَدَتِهِ رَبَّهُ، وَمَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ إِهْلَاكَ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ، وَلِقِيلِكُمْ، وَلِجَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧] بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ، وَصَلَاحُ عِبَادِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مُحِيطٌ بِهِ، فَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَرَمْيِهِمْ حَتَّىٰ انْهَزَمُوا، وَابْتِلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَلَاءَ الْحَسَنَ بِالظَّفَرِ بِهِمْ، وَإِمْكَانِهِمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، فَعَلْنَا الَّذِي فَعَلْنَا..

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ ذَلِكَ..

﴿مُوهِنُ﴾ مُضْعِفُ..

﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨] يَعْنِي مَكْرَهُمْ، حَتَّىٰ يَذِلُّوا، وَيَنْقَادُوا لِلْحَقِّ وَيَهْلَكُوا.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِبَدْرٍ: إِنْ تَسْتَحْكِمُوا اللهَ عَلَىٰ أَقْطَعِ الْحِزْبَيْنِ لِلرَّحِمِ وَأَظْلَمِ الْفِئَتَيْنِ، وَتَسْتَنْصِرُوهُ عَلَيْهِ..

﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ حُكْمُ اللهِ، وَنَصْرُهُ الْمَظْلُومَ عَلَى الظَّالِمِ، وَالْمُحِقَّ عَلَى الْمُبْطِلِ..

﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَجَمَاعَةَ الْكُفَّارِ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَقِتَالِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لِحَرْبِهِ وَقِتَالِهِ وَقِتَالِ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿نَعُدْ﴾ لِهَلَاكِكُمْ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِي وَهَزِيمَتِكُمْ، بِمِثْلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي أُوقِعَتْ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ﴾ عِنْدَ عَوْدِي لِقَتْلِكُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَسَبْيِكُمْ وَهَزْمِكُمْ..

﴿فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ يَعْنِي جُنْدَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا لَمْ يُغْنُوا عَنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال: ١٩] وَأَنَّ اللهَ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ، يَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَظْهَرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال: ٢٠].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ وَلَا تُدْبِرُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُخَالِفِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال: ٢٠] أَمْرَهُ إِيَّاكُمْ وَنَهْيَهُ، وَأَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١﴾ [الأنفال: ٢١].

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ: وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مُخَالَفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَهُ بِآذَانِكُمْ..

﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا كِتَابَ اللهِ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ، قَالُوا قَدْ..

﴿سَمِعْنَا﴾ بِآذَانِنَا..

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١﴾ [الأنفال: ٢١] وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ مَا يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ، وَتَرْكِهِمْ أَنْ يُوعُوهُ قُلُوبَهُمْ وَيَتَدَبَّرُوهُ، فَجَعَلَهُمُ اللهُ لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ -وَإِنْ كَانُوا قَدْ سَمِعُوهَا بِآذَانِهِمْ- بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا.

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢].

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ اللهِ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ الَّذِينَ يَصْغُونَ عَنِ الْحَقِّ، لِئَلَّا يَسْتَمِعُوهُ فَيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَتَّعِظُوا بِهِ..

﴿ٱلْبُكْمُ﴾ وَيَنْكُصُونَ عَنْهُ إِنْ نَطَقُوا بِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢] عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيَسْتَعْمِلُوا بِهِمَا أَبْدَانَهُمْ.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ خَيْرًا..

﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ وَعِبَرَهُ؛ حَتَّىٰ يَعْقِلُوا عَنِ اللهِ حُجَجَهُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ مِمَّنْ كُتِبَ لَهُمُ الشَّقَاءُ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ..

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وَلَوْ أَفْهَمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا وَيَفْهَمُوا..

﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ..

﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣] عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ مَوَاعِظُ اللهِ وَعِبَرُهُ وَحُجَجُهُ، مُعَانِدُونَ لِلْحَقِّ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِلْحَقِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ مَا فِي الْقُرْآنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ الْحَرْبِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ بِالطَّاعَةِ إِذَا دَعَاكُمُ الرَّسُولُ لِمَا يُحْيِيكُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَعْنَاهُ، كَانَ دَاخِلًا فِيهِ الْأَمْرُ بِإِجَابَتِهِمْ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ وَالْجِهَادِ، وَالْإِجَابَةُ إِذَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ حُكْمِ الْقُرْآنِ، وَفِي الْإِجَابَةِ إِلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ حَيَاةُ الْمُجِيبِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَيُقَالُ: الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَذَلِكَ لَهُ فِيهِ حَيَاةٌ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَحَيَاةُ الْأَبَدِ فِي الْجِنَانِ وَالْخُلُودِ فِيهَا..

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: يَحُولُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَعَقْلِهِ، فَلَا يَدْرِي مَا يَعْمَلُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ قَلْبِهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَظْهَرَهُ أَوْ أَسَرَّهُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ أَمْلَكُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ

يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِذَا شَاءَ، حَتَّىٰ لَا يَقْدِرَ ذُو قَلْبٍ أَنْ يُدْرِكَ بِهِ شَيْئًا مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، أَوْ أَنْ يَعِيَ بِهِ شَيْئًا، أَوْ أَنْ يَفْهَمَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَوْلَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ إِنَّمَا هُوَ الْحَجْزُ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا حَجَزَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ عَبْدٍ وَقَلْبِهِ فِي شَيْءٍ أَنْ يُدْرِكَهُ أَوْ يَفْهَمَهُ، لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ إِلَىٰ إِدْرَاكِ مَا قَدْ مَنَعَ اللهُ قَلْبَهُ إِدْرَاكَهُ سَبِيلٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، دَخَلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلِهِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ حَتَّىٰ لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَكْفُرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا حَالَ بَيْنَ عَبْدٍ وَقَلْبِهِ لَمْ يَفْهَمِ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ الَّذِي قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا مُنِعَ إِدْرَاكُهُ بِهِ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ مُحْتَمِلٌ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَالْخَبَرُ عَلَىٰ الْعُمُومِ حَتَّىٰ يَخُصَّهُ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ..

﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾ وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، أَنَّ اللهَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَهُوَ أَمْلَكُ بِهَا مِنْكُمْ..

﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤] إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيكُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، فَاتَّقُوهُ وَرَاقِبُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ هُوَ وَرَسُولُهُ أَنْ تُضَيِّعُوهُ، وَأَنْ لَا تَسْتَجِيبُوا لِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، فَيُوجِبَ ذَلِكَ سَخَطَهُ، وَتَسْتَحِقُّوا بِهِ أَلِيمَ عَذَابِهِ حِينَ تُحْشَرُونَ إِلَيْهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِتۡنَةٗ﴾ اخْتِبَارًا مِنَ اللهِ يَخْتَبِرُكُمْ، وَبَلَاءً يَبْتَلِيكُمْ..

﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي حَذَّرْتُكُمُوهَا..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ فِعْلُهُ، إِمَّا أَجْرَامٌ أَصَابُوهَا وَذُنُوبٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ رَكِبُوهَا، يُحَذِّرُهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَرْكَبُوا لَهُ مَعْصِيَةً أَوْ يَأْتُوا مَأْثَمًا يَسْتَحِقُّونَ بِذَلِكَ مِنْهُ عُقُوبَةً..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥] إِنَّهُ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ وَوَعِيدٌ لِمَنْ وَاقَعَ الْفِتْنَةَ

الَّتِي حَذَّرَهُ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾، يَقُولُ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنِ افْتُتِنَ بِظُلْمِ نَفْسِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَأَثِمَ بِهِ.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ هَذَا تَذْكِيرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُنَاصَحَةٌ، يَقُولُ: أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاسْتَجِيبُوا لَهُ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ بِمَا فِيهِ عَلَيْكُمُ الْمَشَقَّةُ وَالشِّدَّةُ، فَإِنَّ اللهَ يُهَوِّنُهُ عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ وَيُعَجِّلُ لَكُمْ مِنْهُ مَا تُحِبُّونَ، كَمَا فَعَلَ بِكُمْ..

﴿إِذۡ﴾ آمَنْتُمْ بِهِ وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَ..

﴿أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَسْتَضْعِفُكُمُ الْكُفَّارُ، فَيَفْتِنُونَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَيَنَالُونَكُمْ بِالْمَكْرُوهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ..

﴿تَخَافُونَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ فَيَقْتُلُوكُمْ وَيَصْطَلِمُوا جَمِيعَكُمْ، عُنِيَ بِذَلِكَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُونُوا يَخَافُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَدْنَىٰ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَأَشَدَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ، مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ فَجَعَلَ لَكُمْ مَأْوًىٰ تَأْوُونَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، يَعْنِي: آوَاكُمُ الْمَدِينَةَ..

﴿وَأَيَّدَكُم﴾ وَقَوَّاكُمْ..

﴿بِنَصۡرِهِۦ﴾ عَلَيْهِمْ بِالْأَنْصَارِ، حَتَّىٰ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلْتُمْ بِبَدْرٍ..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَأَطْعَمَكُمْ غَنِيمَتَهُمْ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦] لِكَيْ تَشْكُرُوا عَلَىٰ مَا رَزَقَكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَكُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لَا تَنْقُصُوا اللهَ حُقُوقَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَلَا رَسُولَهُ مِنْ وَاجِبِ طَاعَتِهِ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَطِيعُوهُمَا فِيمَا أَمَرَاكُمْ بِهِ وَنَهَيَاكُمْ عَنْهُ، لَا تَنْقُصُوهُمَا.. وَخِيَانَتُهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَتْ بِإِظْهَارِ مَنْ أَظْهَرَ مِنْهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ فِي الظَّاهِرِ وَالنَّصِيحَةَ،

وَهُوَ يَسْتَسِرُّ الْكُفْرَ وَالْغِشَّ لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ، يَدُلُّونَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَوْرَتِهِمْ، وَيُخْبِرُونَهُمْ بِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْ خَبَرِهِمْ.

﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ وَتُنْقِصُوا.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خِيَانَةٌ لِأَمَانَاتِكُمْ وَهَلَاكٌ لَهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ، فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ: لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ..

﴿أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ أَدْيَانَكُمْ، وَوَاجِبَ أَعْمَالِكُمْ، وَلَازِمَهَا لَكُمْ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَا يَخْفَىٰ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْأَمَانَاتِ هَاهُنَا: الدِّينُ، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ، فَأَمَّنَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَىٰ دِينِهِ فَخَانُوا، أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ**).

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧] أَنَّهَا لَازِمَةٌ عَلَيْكُمْ وَوَاجِبَةٌ، بِالْحُجَجِ الَّتِي قَدْ ثَبَتَتْ لِلهِ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ الَّتِي خَوَّلَكُمُوهَا اللهُ..

﴿وَأَوْلَٰدُكُمْ﴾ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لَكُمْ..

﴿فِتْنَةٌ﴾ اخْتِبَارٌ وَبَلَاءٌ، أَعْطَاكُمُوهَا لِيَخْتَبِرَكُمْ بِهَا وَيَبْتَلِيَكُمْ، لِيَنْظُرَ كَيْفَ أَنْتُمْ عَامِلُونَ مِنْ أَدَاءِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ فِيهَا، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِيهَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عِنْدَهُ خَيْرٌ وَثَوَابٌ..

﴿عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨] عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمُ الَّتِي اخْتَبَرَكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيمَا لَكُمْ فِيهَا، تَنَالُوا بِهِ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِهِ فِي مَعَادِكُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَتَرْكِ خِيَانَتِهِ، وخِيَانَةِ رَسُولِهِ وَخِيَانَةِ أَمَانَاتِكُمْ..

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ يَجْعَلْ لَكُمْ فَصْلًا وَفَرْقًا بَيْنَ حَقِّكُمْ، وَبَاطِلِ مَنْ يَبْغِيكُمُ السُّوءَ مِنْ

أَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، بِنَصْرِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ، وَإِعْطَائِكُمُ الظَّفَرَ بِهِمْ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَخْرَجًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَجَاةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَصْلًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَىٰ وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عنهَا..

﴿وَيُكَفِّرْ﴾ وَيَمْحُو..

﴿عَنكُمْ﴾ مَا سَلَفَ مِنْ..

﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَيُغَطِّيهَا، فَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا..

﴿وَاللَّهُ﴾ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ..

﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩] لَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ، وَفِعْلِ أَمْثَالِهِ، وَإِنَّ فِعْلَهُ جَزَاءٌ مِنْهُ لِعَبْدِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ الْمُوَفِّقُ عَبْدَهُ لِطَاعَتِهِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا حَتَّىٰ اسْتَحَقَّ مِنْ رَبِّهِ الْجَزَاءَ الَّذِي وَعَدَهُ عَلَيْهَا.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَتِي عِنْدَكَ، بِمَكْرِي بِمَنْ حَاوَلَ الْمَكْرَ بِكَ، إِذْ..

﴿يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ لِيُقَيِّدُوكَ وَيَحْبِسُوكَ، وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ..

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أَوْ قَتْلِكَ..

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أَوْ إِخْرَاجِكَ مِنْ وَطَنِكَ، حَتَّىٰ اسْتَنْقَذْتُكَ مِنْهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ..

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ فَامْضِ لِأَمْرِي فِي حَرْبِ مِنْ حَارَبَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَوَلَّىٰ عَنْ إِجَابَةِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ مِنَ الدِّينِ الْقَيِّمِ، وَلَا يُرْعِبَنَّكَ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ..

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] فَإِنَّ رَبَّكَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿ءَايَـٰتُنَا﴾ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ الْوَاضِحَةُ لِمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِفَهْمِهِ..

﴿قَالُواْ﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا لِلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي قِيلِهِمْ..

﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾ الَّذِي تُلِيَ عَلَيْنَا..

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ [الأنفال: ٣١] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.. وَالْأَسَاطِيرُ: جَمْعُ أَسْطُرٍ، وَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ وَاحِدَ الْأَسْطُرِ: سَطْرٌ، ثُمَّ يُجْمَعُ السَّطْرُ، أَسْطُرٌ وَسُطُورٌ، ثُمَّ يُجْمَعُ الْأَسْطُرُ، أَسَاطِيرُ وَأَسَاطِرُ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَسَاطِيرِ: أُسْطُورَةٌ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ الْمُشْرِكُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ إِلَّا مَا سَطَرَ الْأَوَّلُونَ وَكَتَبُوهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ، كَأَنَّهُمْ أَضَافُوهُ إِلَىٰ أَنَّهُ أُخِذَ عَنْ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُوحِهِ اللهُ إِلَيْهِ.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ أَيْضًا مَا حَلَّ بِمَنْ..

﴿قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] إِذْ مَكَرْتُ لَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ قَتْلَهُمْ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُقِيمٌ، حَتَّىٰ أُخْرِجَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِأَنِّي لَا أُهْلِكُ قَرْيَةً وَفِيهَا نَبِيُّهَا..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣] مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُصِرُّونَ عَلَيْهِ، فَهُمْ لِلْعَذَابِ مُسْتَحِقُّونَ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا لِأَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ كَانُوا اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقَّ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: مَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ لَوِ اسْتَغْفَرُوا، وَكَيْفَ لَا أُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ إِخْرَاجِكَ مِنْهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؟! فَأَعْلَمَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ حَائِقٌ بِهِمْ وَنَازِلٌ، وَأَعْلَمَهُمْ حَالَ نُزُولِهِ

بِهِمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.. وَلَا وَجْهَ لِإِيعَادِهِمُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُمْ مُسْتَعْجِلُوهُ فِي الْعَاجِلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْعَذَابِ صَائِرُونَ، بَلْ فِي تَعْجِيلِ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا.. وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤] الْآيَةَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ نَسْخٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّسْخُ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ وَمَا شَأْنُهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ..

﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ مِنْ كُفْرِهِمْ فَيُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ وَلَمْ يَكُونُوا أَوْلِيَاءَ اللهِ..

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ﴾ مَا أَوْلِيَاءُ اللهِ..

﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤] أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الْمُتَّقُونَ، بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي يُصَلُّونَ للهِ فِيهِ وَيَعْبُدُونَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا للهِ أَوْلِيَاءَ، بَلْ أَوْلِيَاؤُهُ الَّذِينَ يَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَيْتَ اللهِ الْعَتِيقَ..

﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ وَهُوَ الصَّفِيرُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَكْوَ: أَنْ يَجْمَعَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يُدْخِلَهُمَا فِي فِيهِ ثُمَّ يَصِيحَ..

﴿وَتَصْدِيَةً﴾ التَّصْدِيَةُ التَّصْفِيقُ، يُقَالُ مِنْهُ: صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيَةً، وَصَفَّقَ وَصَفَّحَ بِمَعْنًى

وَاحِدٍ.. وَقَدْ قِيلَ فِي التَّصْدِيَةِ: إِنَّهَا الصَّدُّ عَنْ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَذَلِكَ قَوْلٌ لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ التَّصْدِيَةَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: صَدَّيْتُ تَصْدِيَةً، وَأَمَّا الصَّدُّ فَلَا يُقَالُ مِنْهُ: صَدَّيْتُ، إِنَّمَا يُقَالُ مِنْهُ صَدَدْتُ..

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ، يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الْآيَةَ، حِينَ أَتَاهُمْ بِمَا اسْتَعْجَلُوهُ مِنَ الْعَذَابِ: ذُوقُوا، أَيِ اطْعَمُوا، وَلَيْسَ بِذَوْقٍ بِفَمٍ، وَلَكِنَّهُ ذَوْقٌ بِالْحِسِّ، وَوُجُودُ طَعْمِ أَلَمِهِ بِالْقُلُوبِ، يَقُولُ لَهُمْ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾ [الأنفال: ٣٥] بِمَا كُنْتُمْ تَجْحَدُونَ أَنَّ اللهَ مُعَذِّبُكُمْ بِهِ عَلَى جُحُودِكُمْ تَوْحِيدَ رَبِّكُمْ، وَرِسَالَةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ فَيُعْطُونَهَا أَمْثَالَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَتَقَوَّوْا بِهَا عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿لِيَصُدُّوا﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ فَسَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ تَصِيرُ نَفَقَتُهُمْ تِلْكَ..

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ نَدَامَةً عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَذْهَبُ، وَلَا يَظْفَرُونَ بِمَا يَأْمُلُونَ وَيَطْمَعُونَ فِيهِ مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ مُعْلِي كَلِمَتِهِ، وَجَاعِلٌ كَلِمَةَ الْكُفْرِ السُّفْلَى..

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ ثُمَّ يَغْلِبُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦] وَيَحْشُرُ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ إِلَى جَهَنَّمَ، فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا، فَأَعْظِمْ بِهَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً لِمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ وَمَنْ هَلَكَ، أَمَّا الْحَيُّ فَحُرِمَ مَالُهُ وَذَهَبَ بَاطِلًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَرَجَعَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا مَحْزُونًا مَسْلُوبًا، وَأَمَّا الْهَالِكُ: فَقُتِلَ وَسُلِبَ وَعُجِّلَ بِهِ إِلَى نَارِ اللهِ يُخَلَّدُ فِيهَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يَحْشُرُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ -وَهُمْ أَهْلُ الْخُبْثِ كَمَا قَالَ، وَسَمَّاهُمْ ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾- وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَهُمُ الطَّيِّبُونَ، كَمَا سَمَّاهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَمَيَّزَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ أَسْكَنَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ جَنَّاتِهِ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْكُفْرِ نَارَهُ..

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فَيَجعَلَ الْكُفَّارَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فَنَجْعَلَهُمْ رُكَامًا، وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ حَتَّىٰ يَكْثُرُوا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي صِفَةِ السَّحَابِ: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [النور: ٤٣] أَيْ مُجْتَمِعًا كَثِيفًا..

﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾ فَيُجْعَلُ الْخَبِيثَ جَمِيعًا..

﴿فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧] الَّذِينَ غُبِنَتْ صَفْقَتُهُمْ وَخَسِرَتْ تِجَارَتُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَرَوْا بِأَمْوَالِهِمْ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَعَجَّلُوا بِإِنْفَاقِهِمْ إِيَّاهَا -فِيمَا أَنْفَقُوا مِنْ قِتَالِ نَبِيِّ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ- الْخِزْيَ وَالذُّلَّ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَقِتَالِكَ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ..

﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وَمَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِهِمْ قَبْلَ إِيمَانِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بِإِيمَانِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ..

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ وَإِنْ يَعُدْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِقِتَالِكَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ الَّتِي أَوْقَعْتَهَا بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨] فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِي فِي الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، إِذْ طَغَوْا وَكَذَّبُوا رُسُلِي وَلَمْ يَقْبَلُوا نُصْحَهُمْ مِنْ إِحْلَالِ عَاجِلِ

النِّقَمِ بِهِمْ، فَأُحِلَّ بِهَؤُلَاءِ إِنْ عَادُوا لِحَرْبِكَ وَقِتَالِكَ مِثْلَ الَّذِينَ أَحْلَلْتُ بِهِمْ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إِنْ يَعُدْ هَؤُلَاءِ لِحَرْبِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ سُنَّتِي فِيمَنْ قَاتَلَكُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا عَائِدٌ بِمِثْلِهَا فِيمَنْ حَارَبَكُمْ مِنْهُمْ، فَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ شِرْكٌ، وَلَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَرْتَفِعَ الْبَلَاءُ عَنْ عِبَادِ اللهِ مِنَ الأَرْضِ، وَهُوَ الْفِتْنَةُ..

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ حَتَّىٰ تَكُونَ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ كُلُّهَا للهِ خَالِصَةً دُونَ غَيْرِهِ..

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عَنِ الْفِتْنَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَصَارُوا إِلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ مَعَكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩] فَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ تَرْكِ الْكُفْرِ وَالدُّخُولِ فِي دِينِ الإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُكُمْ وَيُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ، وَالأَشْيَاءُ كُلُّهَا مُتَجَلِّيَةٌ لَهُ لَا تَغِيبُ عَنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الْقِتَالِ.. وَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الْقِتَالِ، فَإِنَّهُ كَانَ فَرْضًا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالُهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَمَّا دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَرْكِ قِتَالِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا الإِصْرَارَ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَقِتَالِكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ فَقَاتِلُوهُمْ وَأَيْقِنُوا أَنَّ اللهَ مُعِينُكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَاصِرُكُمْ..

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ نِعْمَ الْمُعِينُ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِهِ..

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠] وَهُوَ النَّاصِرُ.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.. هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ قَسْمَ غَنَائِمِهِمْ إِذَا غَنِمُوهَا..

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ مِنْ غَنِيمَةٍ.. وَهِيَ الْمَالُ يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ مَنْ خَوَّلَ اللهُ مَالَهُ أَهْلَ دِينِهِ بِغَلَبَةٍ

عَلَيْهِ وَقَهْرٍ بِقِتَالٍ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مِمَّا خَوَّلَهُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْوَالِ مَنْ غَلَبُوا عَلَىٰ مَالِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْقَسْمُ، حَتَّىٰ الْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ..

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مِفْتَاحُ كَلَامٍ، فَللهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَمَا فِيهِمَا وَكُلُّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَأَنَّ لِلرَّسُولِ خُمُسَهُ، فَجَعَلَ سَهْمَ اللهِ وَسَهْمَ الرَّسُولِ وَاحِدًا، وَيُقْسَمُ مَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَسْهُمٍ.. وَذَٰلِكَ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْخُمُسَ غَيْرُ جَائِزٍ قَسْمُهُ عَلَىٰ سِتَّةِ أَسْهُمٍ، وَلَوْ كَانَ للهِ فِيهِ سَهْمٌ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ خُمُسُ الْغَنِيمَةِ مَقْسُومًا عَلَىٰ سِتَّةِ أَسْهُمٍ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَسْمِهِ عَلَىٰ خَمْسَةٍ فَمَا دُونَهَا، فَأَمَّا عَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَمَا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا قَالَهُ غَيْرَ أَبِي الْعَالِيَةِ..

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فَكَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا غَنِمَ غَنِيمَةً جُعِلَتْ أَخْمَاسًا، فَكَانَ خُمُسٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا، وَكَانَ الْخُمُسُ الَّذِي جُعِلَ للهِ وَلِرَسُولِهِ، يُقْسَمُ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَخْمَاسٍ، فَخُمُسٌ للهِ وَالرَّسُولِ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ مِنْهُ وَيَضَعُ فِيهِ مَا شَاءَ، وَخُمُسٌ لِذَوِي الْقُرْبَىٰ، وَخُمُسٌ لِلْيَتَامَىٰ، وَخُمُسٌ لِلْمَسَاكِينِ، وَخُمُسٌ لِابْنِ السَّبِيلِ..

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً، لِمَا صَحَّ عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ مِنْ خَيْبَرَ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ.. وَحُكْمُ هَاذَيْنِ السَّهْمَيْنِ -أَعْنِي سَهْمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَهْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ- مَرْدُودٌ فِي الْخُمُسِ، وَالْخُمُسُ مَقْسُومٌ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَسْهُمٍ عَلَىٰ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (**لِلْقَرَابَةِ سَهْمٌ، وَلِلْيَتَامَىٰ سَهْمٌ، وَلِلْمَسَاكِينِ سَهْمٌ، وَلِابْنِ السَّبِيلِ سَهْمٌ**)؛ لِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ الْخُمُسَ لِأَقْوَامٍ مُوصُوفِينَ بِصِفَاتٍ، كَمَا أَوْجَبَ الْأَرْبَعَةَ الْأَخْمَاسِ الْآخَرِينَ، وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ حَقَّ الْأَرْبَعَةِ الْأَخْمَاسِ لَنْ يَسْتَحِقَّهُ غَيْرُهُمْ، فَكَذَلِكَ حَقُّ أَهْلِ الْخُمُسِ لَنْ يَسْتَحِقَّهُ غَيْرُهُمْ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَخْرُجَ بَعْضُ السُّهْمَانِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِمَنْ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِفَقْدِ بَعْضِ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِ السُّهْمَانِ الْأُخَرِ..

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ هُمْ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَدْ هَلَكَ آبَاؤُهُمْ...

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ هُمْ أَهْلُ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُجْتَازُ سَفَرًا قَدِ انْقَطَعَ بِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ أَيْقِنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَقْسُومٌ الْقَسْمِ الَّذِي بَيَّنْتُهُ، وَصَدِّقُوا بِهِ إِنْ كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وَبِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾ يَوْمَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِبَدْرٍ، فَأَبَانَ فَلَجَ الْمُؤْمِنِينَ وَظُهُورَهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ: جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَٱللَّهُ﴾ عَلَىٰ إِهْلَاكِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَإِذْلَالِهِمْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿قَدِيرٌ ۝﴾ [الأنفال: ٤١] لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [الانفال: ٤٢].

﴿إِذْ أَنتُم﴾ أَيْقِنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ قَسْمَ الْغَنِيمَةِ عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مِنْ نَصْرِ رَسُولِهِ ﴿إِذْ أَنتُم﴾ حِينَئِذٍ..

﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ..

﴿وَهُم﴾ وَعَدُوُّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ نَزَلَ بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَقْصَىٰ إِلَىٰ مَكَّةَ..

﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ وَالْعِيرُ فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ..

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْۚ﴾ فِي مَوْضِعٍ أَسْفَلَ مِنْكُمْ إِلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ..

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ وَلَوْ كَانَ اجْتِمَاعُكُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اجْتَمَعْتُمْ فِيهِ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَعَدُوُّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ..

﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ لِكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّكُمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ..

﴿وَلَٰكِن﴾ وَلَكِنَّ اللهَ جَمَعَكُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وَذَلِكَ الْقَضَاءُ مِنَ اللهِ كَانَ نَصْرَهُ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَلَاكَ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ بِبَدْرٍ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَجَمَعَهُمُ اللهُ هُنَالِكَ..

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ جَمَعَكُمْ لِيَمُوتَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِهِ عَنْ حُجَّةٍ للهِ قَدْ أُثْبِتَتْ لَهُ، وَقَطَعَتْ عُذْرَهُ، وَعِبْرَةٍ قَدْ عَايَنَهَا وَرَآهَا..

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ﴾ وَلِيَعِيشَ مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَنْ حُجَّةٍ للهِ قَدْ أُثْبِتَتْ لَهُ وَظَهَرَتْ لِعَيْنِهِ فَعَلِمَهَا، جَمَعْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ هُنَالِكَ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَسَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِكُمْ وَقَوْلِ غَيْرِكُمْ حِينَ يُرِي اللهُ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ، وَيُرِيكُمْ عَدُوَّكُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَهُمْ كَثِيرٌ، وَيَرَاكُمْ عَدُوُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلًا..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [الانفال: ٤٢] بِمَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُكُمْ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، حِينَئِذٍ وَفِي كُلِّ حَالٍ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ وَلِعِبَادِهِ: وَاتَّقُوا رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي مَنْطِقِكُمْ أَنْ تَنْطِقُوا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَفِي قُلُوبِكُمْ أَنْ تَعْتَقِدُوا فِيهَا غَيْرَ الرَّشَدِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝﴾ [الأنفال: ٤٣].

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَإِنَّ اللهَ يَا مُحَمَّدُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُ أَصْحَابُكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُضْمِرُونَهُ، إِذْ يُرِيكَ اللهُ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ..

﴿فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ يُرِيكَهُمْ فِي نَوْمِكَ قَلِيلًا، فَتُخْبِرُ أَصْحَابَكَ بِذَلِكَ، حَتَّىٰ قَوِيتْ قُلُوبُهُمْ وَاجْتَرَءُوا عَلَىٰ حَرْبِ عَدُوِّهِمْ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أَيْ فِي عَيْنِكَ الَّتِي تَنَامُ بِهَا، فَصَيَّرَ الْمَنَامَ هُوَ الْعَيْنَ، كَأَنَّهُ أَرَادَ: إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي عَيْنِكَ قَلِيلًا..

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ وَلَوْ أَرَاكَ رَبُّكَ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ..

﴿كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ لَفَشِلَ أَصْحَابُكَ، فَجَبُنُوا وَخَافُوا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ حَرْبِ الْقَوْمِ..

﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَرَاكَ فِي مَنَامِكَ مِنَ الرُّؤْيَا..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝﴾ [الأنفال: ٤٣] إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا تُضْمِرُهُ الْقُلُوبُ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝﴾ [الأنفال: ٤٤].

﴿وَإِذْ﴾ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ يُرِي اللهُ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلًا، وَ..

﴿يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ يُرِيهُمُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ لَقُوهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلًا، وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ..

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وَيُقَلِّلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ، لِيَتْرُكُوا الِاسْتِعْدَادَ لَهُمْ، فَيُهَوِّنَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ شَوْكَتَهُمْ..

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ قَلَّلْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَرَيْتُكُمُوهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَكُمْ مَا قَضَىٰ مِنْ قِتَالِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، وَإِظْهَارِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالظَّفَرِ بِهِمْ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ، وَذَلِكَ أَمْرٌ كَانَ اللهُ فَاعِلَهُ وَبَالِغًا فِيهِ أَمْرُهُ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤] مَصِيرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُجَازِي أَهْلَهَا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ..

﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لِقِتَالِهِمْ وَلَا تَنْهَزِمُوا عَنْهُمْ، وَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ هَارِبِينَ، إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ مِنْكُمْ..

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وَادْعُوا اللهَ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ ذِكْرَهُ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥] كَيْمَا تَنْجَحُوا فَتَظْفَرُوا بِعَدُوِّكُمْ، وَيَرْزُقَكُمُ اللهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَيْهِمْ.. وَهَذَا تعريفٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ السِّيرَةَ فِي حَرْبِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْأَفْعَالَ الَّتِي يُرْجَىٰ لَهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا عِنْدَ لِقَائِهِمُ النُّصْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَالظَّفَرِ بِهِمْ.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ..

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلَا تُخَالِفُوهُمَا فِي شَيْءٍ..

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَفَرَّقُوا وَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ..

﴿فَتَفْشَلُوا﴾ فَتَضْعُفُوا وَتَجْبُنُوا..

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ مُقْبِلًا عَلَيْهِ مَا يُحِبُّهُ وَيُسَرُّ بِهِ: الرِّيحُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ، يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يُحِبُّهُ.. وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَتَذْهَبَ قُوَّتُكُمْ وَبَأْسُكُمْ فَتَضْعُفُوا، وَيُدْخِلَكُمُ الْوَهَنُ وَالْخَلَلُ..

﴿وَاصْبِرُوا﴾ مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَنْهَزِمُوا عَنْهُ وَتَتْرُكُوهُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦] اصْبِرُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْعَمَلِ بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَتَرْكِ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ للهِ وَاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهِ..

﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ كَالْجَيْشِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ..

﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ بِزِيِّهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَشِدَّةِ بِطَانَتِهِمْ.. وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ لَا يَعْمَلُوا عَمَلًا إِلَّا للهِ خَاصَّةً وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ، لَا رِئَاءَ النَّاسِ كَمَا فَعَلَ الْقَوْمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَسِيرِهِمْ إِلَى بَدْرٍ طَلَبَ رِئَاءِ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أُخْبِرُوا بِفَوْتِ الْعِيرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَقِيلَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا فَقَدْ سَلِمَتِ الْعِيرُ الَّتِي جِئْتُمْ لِنُصْرَتِهَا، فَأَبَوْا، وَقَالُوا: نَأْتِي بَدْرًا فَنَشْرَبُ بِهَا الْخَمْرَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَتَحَدَّثُ بِنَا الْعَرَبُ لِمَكَانَتِنَا فِيهَا، فَسُقُوا مَكَانَ الْخَمْرِ كُئُوسَ الْمَنَايَا.. أَيْ لَا يَكُونَنَّ أَمْرُكُمْ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَلَا الْتِمَاسَ مَا عِنْدَ النَّاسِ، وَأَخْلِصُوا للهِ النِّيَّةَ وَالْحِسْبَةَ فِي نَصْرِ دِينِكُمْ، وَمُؤَازَرَةِ نَبِيِّكُمْ، أَيْ لَا تَعْمَلُوا إِلَّا للهِ، وَلَا تَطْلُبُوا غَيْرَهُ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ دِينِ اللهِ وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، بِقِتَالِهِمْ إِيَّاهُمْ وَتَعْذِيبِهِمْ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الرِّيَاءِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ..

﴿مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧] عَالِمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَهُ مُتَجَلِّيَةٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، فَهُوَ لَهُمْ بِهَا مُعَاقِبٌ وَعَلَيْهَا مُعَذِّبٌ.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨].

﴿وَإِذْ﴾ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَحِينَ..

﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ خُرُوجَهُمْ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِحَرْبِكُمْ وَقِتَالِكُمْ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَيْكُمْ..

﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَاطْمَئِنُّوا وَأَبْشِرُوا..

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ كِنَانَةَ أَنْ تَأْتِيَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُغِيرَكُمْ، أُجِيرُكُمْ وَأَمْنَعُكُمْ مِنْهُمْ، وَلَا تَخَافُوهُمْ، وَاجْعَلُوا جَدَّكُمْ وَبَأْسَكُمْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ..

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فَلَمَّا تَزَاحَفَتْ جُنُودُ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجُنُودُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رَجَعَ الْقَهْقَرَىٰ عَلَىٰ قَفَاهُ هَارِبًا..

﴿وَقَالَ﴾ لِلْمُشْرِكِينَ..

﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ مَدَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وَالْمُشْرِكُونَ لَا يَرَوْنَهُمْ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ إِنِّي أَخَافُ عِقَابَ اللهِ، وَكَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، مَا بِهِ مَخَافَةُ اللهِ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا مَنَعَةَ لَهُ، وَتِلْكَ عَادَةُ عَدُوِّ اللهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا الْتَقَىٰ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ أَسْلَمَهُمْ شَرَّ مُسْلَمٍ وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨].

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٩﴾ [الأنفال: ٤٩].

﴿إِذْ﴾ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَإِذْ..

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يَعْنِي: شَكٌّ فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يَصِحَّ يَقِينُهُمْ، وَلَمْ تُشْرَحْ بِالْإِيمَانِ صُدُورُهُمْ..

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿دِينُهُمْ﴾ وَذَلِكَ الْإِسْلَامُ، وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا نَفَرًا مِمَّنْ كَانَ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَلَمْ يَسْتَحْكِمِ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِهِمْ..

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ وَيَثِقْ بِهِ وَيَرْضَ بِقَضَائِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ حَافِظُهُ وَنَاصِرُهُ؛ لِأَنَّهُ..

﴿عَزِيزٌ﴾ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَقْهَرُهُ أَحَدٌ، فَجَارُهُ مَنِيعٌ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَكْفِهِ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ وَغَيْرِهِمْ، أَنْ يُفَوِّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ وَيُسْلِمُوا لِقَضَائِهِ، كَيْمَا يَكْفِيَهُمْ أَعْدَاءَهُمْ، وَلَا يَسْتَذِلَّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ؛ لِأَنَّهُ عَزِيزٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، فَجَارُهُ غَيْرُ مَقْهُورٍ..

﴿حَكِيمٌ ۝٤٩﴾ [الأنفال: ٤٩] فِيمَا يُدَبِّرُ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ، حَكِيمٌ لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ وَلَوْ تُعَايِنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يَتَوَفَّى الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فَتَنْزِعُهَا مِنْ أَجْسَادِهِمْ..

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ تَضْرِبُ الْوُجُوهَ مِنْهُمْ..

﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ وَالْأَسْتَاهَ..

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠] وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي تَحْرِقُكُمْ يَوْمَ وُرُودِكُمْ جَهَنَّمَ.. وَحُذِفَتْ (يَقُولُونَ)، كَمَا حُذِفَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ بِمَعْنَى: يَقُولُونَ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفال: ٥١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهُمْ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ اللهِ الَّذِي يَحْرِقُكُمْ، هَذَا الْعَذَابُ لَكُمْ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ، وَاجْتَرَحْتُمْ مِنْ مَعَاصِي اللهِ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، فَذُوقُوا الْيَوْمَ الْعَذَابَ، وَفِي مَعَادِكُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ وَذَلِكَ لَكُمْ بِأَنَّ اللهَ..

﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥٠] لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا بِجُرْمٍ اجْتَرَمَهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُ إِلَّا بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٢].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ كَعَادَةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَصَنِيعِهِمْ وَفِعْلِهِمْ.. وَ الدَّأْبُ: هُوَ الشَّأْنُ وَالْعَادَةُ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ وَفِعْلِ مَنْ كَذَّبَ بِحُجَجِ اللهِ وَرُسُلِهِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ كَفِعْلِنَا بِأُولَئِكَ..

﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ﴾ فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بِتَكْذِيبِهِمْ حُجَجَهُ وَرُسُلَهُ وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، كَمَا عَاقَبَ أَشْكَالَهُمْ وَالْأُمَمَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، يَنْفُذُ أَمْرُهُ وَيَمْضِي قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ..

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٢] لِمَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَجَحَدَ حُجَجَهُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أَخْذُنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ بِذُنُوبِهِمْ وَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ بِأَنَّهُمْ غَيَّرُوا مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ، مِنَ ابْتِعَاثِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، بِإِخْرَاجِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، وَحَرْبِهِمْ إِيَّاهُ، فَغَيَّرْنَا نِعْمَتَنَا عَلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ، كَفِعْلِنَا ذَلِكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ طَغَىٰ عَلَيْنَا وَعَصَىٰ أَمْرَنَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ، يَسْمَعُ كَلَامَ كُلِّ نَاطِقٍ مِنْهُمْ بِخَيْرٍ نَطَقَ أَوْ بِشَرٍّ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣] بِمَا تُضْمِرُهُ صُدُورُهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ وَمُثِيبُهُمْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾ [الأنفال: ٥٤].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ غَيَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمَقْتُولُونَ بِبَدْرٍ نِعْمَةَ رَبِّهِمُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، بِابْتِعَاثِهِ مُحَمَّدًا مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْهُدَى، بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَحَرْبِهِمْ لَهُ كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَادَتِهِمْ، وَفِعْلِهِمْ بِمُوسَى نَبِيِّ اللهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَتَصَدِّيهِمْ لِحَرْبِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ وَعَادَةِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ..

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كَذَّبُوا رُسُلَهَا..

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بَعْضًا بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضًا بِالْخَسْفِ، وَبَعْضًا بِالرِّيحِ..

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ فِي الْيَمِّ..

﴿وَكُلٌّ﴾ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا..

﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾ [الأنفال: ٥٤] كَانُوا فَاعِلِينَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللهِ وَالْجُحُودِ لِآيَاتِهِ، فَكَذَلِكَ أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِبَدْرٍ؛ إِذْ غَيَّرُوا نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَهُمْ بِالْقَتْلِ بِالسَّيْفِ، وَأَذْلَلْنَا بَعْضَهُمْ بِالْإِسَارِ وَالسِّبَاءِ.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥].

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ اللهِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِرَبِّهِمْ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ..

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥] لَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [الأنفال: ٥٦].

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ: أَخَذْتَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ أَنْ لَا يُحَارِبُوكَ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْكَ مُحَارِبًا لَكَ، كَقُرَيْظَةَ وَنُظَرَائِهِمْ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ وَعَقْدٌ..

﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ وَمَوَاثِيقَهُمْ..

﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ كُلَّمَا عَاهَدُوا دَافَعُوكَ وَحَارَبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ..

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [الأنفال: ٥٦] اللهَ، وَلَا يَخَافُونَ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ أَنْ يُوقِعَ بِهِمْ وَقْعَةً

تَجْتَاحَهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال: ٥٧].

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِمَّا تَلْقَيَنَّ فِي الْحَرْبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ، فَنَقَضُوا عَهْدَكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتَأْسِرْهُمْ..

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ فَافْعَلْ بِهِمْ فِعْلًا يَكُونُ مُشَرِّدًا مَنْ خَلْفَهُمْ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِمَّنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ وَعَقْدٌ.. وَالتَّشْرِيدُ: التَّطْرِيدُ وَالتَّبْدِيدُ وَالتَّفْرِيقُ.. وَإِنَّمَا أُمِرَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ بِالنَّاقِضِ الْعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِذَا قَدِرَ عَلَيْهِمْ فِعْلًا يَكُونُ إِخَافَةً لِمَنْ وَرَاءَهُمْ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، حَتَّىٰ لَا يَجْتَرِئُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي اجْتَرَأَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال: ٥٧] كَيْ يَتَّعِظُوا بِمَا فَعَلْتَ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، فَيَحْذَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، خَوْفَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِنْكَ مَا نَزَلَ بِهَؤُلَاءِ إِذَا هُمْ نَقَضُوهُ.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَوْمٍ﴾ مِنْ عَدُوٍّ لَكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ وَعَقْدٌ..

﴿خِيَانَةً﴾ أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَهُ وَيَنْقُضَ عَقْدَهُ وَيَغْدِرَ بِكَ، وَذَلِكَ هُوَ الْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ..

﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فَنَاجِزْهُمْ بِالْحَرْبِ، وَأَعْلِمْهُمْ قَبْلَ حَرْبِكَ إِيَّاهُمْ أَنَّكَ قَدْ فَسَخْتَ الْعَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ظُهُورِ آثَارِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ مِنْهُمْ..

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ عِلْمُكَ وَعِلْمُهُمْ بِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ حَرْبٌ لِصَاحِبِهِ لَا سِلْمَ، فَتَصِيرَ أَنْتَ وَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِأَنَّكَ لَهُمْ مُحَارِبٌ، فَيَأْخُذُوا لِلْحَرْبِ آلَتَهَا، وَتَبْرَأَ مِنَ الْغَدْرِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨] الْغَادِرِينَ بِمَنْ كَانَ مِنْهُ فِي أَمَانٍ وَعَهْدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَنْ يَغْدِرَ، فَيُحَارِبُهُ قَبْلَ إِعْلَامِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ لَهُ حَرْبٌ، وَأَنَّهُ قَدْ فَاسَخَهُ الْعَقْدَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ نَقْضُ الْعَهْدِ بِخَوْفِ الْخِيَانَةِ، وَالْخَوْفُ ظَنٌّ لَا يَقِينٌ؟ قِيلَ: إِنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِذَا ظَهَرَتْ آثَارُ الْخِيَانَةِ مِنْ عَدُوِّكَ وَخِفْتَ وُقُوعَهُمْ بِكَ، فَأَلْقِ إِلَيْهِمْ مَقَالِيدَ السَّلْمِ وَآذِنْهُمْ بِالْحَرْبِ، وَذَلِكَ كَالَّذِي كَانَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، إِذْ أَجَابُوا أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

إِلَىٰ مُظَاهَرَتِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُحَارَبَتِهِمْ مَعَهُ، بَعْدَ الْعَهْدِ الَّذِي كَانُوا عَاهَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمُسَالَمَةِ، وَلَنْ يُقَاتِلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ إِجَابَتُهُمْ إِيَّاهُ إِلَىٰ ذَلِكَ مُوجِبًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَوْفَ الْغَدْرِ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ مِنْهُمْ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ قَوْمٍ أَهْلِ مُوَادَعَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ظَهَرَ لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مِنْ دَلَائِلِ الْغَدْرِ مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قُرَيْظَةَ مِنْهَا، فَحَقٌّ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ، وَيُؤْذِنَهُمْ بِالْحَرْبِ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا حُجَجَ اللهِ وَكَذَّبُوا بِهَا..

﴿سَبَقُوا﴾ سَبَقُونَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَفَاتُونَا..

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩] إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَنَا: أَيْ يَفُوتُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْهَرَبِ مِنَّا.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ وَأَعِدُّوا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، إِذَا خِفْتُمْ خِيَانَتَهُمْ وَغَدْرَهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ مَا أَطَقْتُمْ أَنْ تُعِدُّوهُ لَهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ قُوَّةً لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السِّلَاحِ..

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وَالْخَيْلِ.. فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعْدَادِ الْجِهَادِ وَآلَةِ الْحَرْبِ وَمَا يَتَقَوَّوْنَ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ السِّلَاحِ وَالرَّمْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَرِبَاطِ الْخَيْلِ. وَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: عَنَىٰ بِالْقُوَّةِ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْقُوَّةِ، وَقَدْ عَمَّ اللهُ الْأَمْرَ بِهَا..

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ بِهِ الْخُصُوصُ بِقَوْلِهِ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْخَبَرَ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ بِذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُرَادٌ بِهَا الرَّمْيُ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ مَعَانِي الْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الرَّمْيَ أَحَدُ مَعَانِي الْقُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ فِي الْخَبَرِ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» وَلَمْ يَقُلْ دُونَ غَيْرِهَا، وَمِنَ الْقُوَّةِ أَيْضًا السَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْحَرْبَةُ، وَكُلُّ مَا كَانَ مَعُونَةً

عَلَىٰ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَعُونَةِ الرَّمْيِ أَوْ أَبْلَغَ مِنَ الرَّمْيِ فِيهِمْ وَفِي النِّكَايَةِ مِنْهُمْ، هَذَا مَعَ وَهْيِ سَنَدِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخِيفُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِإِعْدَادِكُمْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ عَدَاوَتَهُمْ لَكُمْ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ وَتُرْهِبُونَ بِذَلِكَ جِنْسًا آخَرَ مِنْ غَيْرِ بَنِي آدَمَ..

﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ لَا تَعْلَمُونَ أَمَاكِنَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ..

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ دُونَكُمْ؛ لِأَنَّ بَنِي آدَمَ لَا يَرَوْنَهُمْ.. عَنَىٰ بِهِ الْجِنَّ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَدْخَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الْأَمْرَ بِارْتِبَاطِ الْخَيْلِ لِإِرْهَابِ كُلِّ عَدُوٍّ للهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُونَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا عَالِمِينَ بِعَدَاوَةِ قُرَيْظَةَ وَفَارِسَ لَهُمْ؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ وَأَنَّهُمْ لَهُمْ حَرْبٌ، وَلَا مَعْنَىٰ لِأَنْ يُقَالَ: وَهُمْ يَعْلَمُونَهُمْ لَهُمْ أَعْدَاءً، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ مَا عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ، فَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ؟ قِيلَ: فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَكُنْ تَرُوعُهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِلَاحُهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرُوعُهُمْ أَنْ يَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ سَرَائِرِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَسِرُّونَ مِنَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا أُمِرَ الْمُؤْمِنُونَ بِإِعْدَادِ الْقُوَّةِ لِإِرْهَابِ الْعَدُوِّ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُرْهِبْهُ ذَلِكَ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي مَعْنَىٰ مَنْ أُمِرَ بِإِعْدَادِ ذَلِكَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِن شَىْءٍ﴾ مِنْ نَفَقَةٍ..

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي شِرَاءِ آلَةِ حَرْبٍ مِنْ سِلَاحٍ أَوْ حِرَابٍ أَوْ كُرَاعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّفَقَاتِ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يَخْلُفُهُ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَدَّخِرُ لَكُمْ أُجُورَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ عِنْدَهُ، حَتَّىٰ يُوَفِّيكُمُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠] يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ رَبُّكُمْ فَلَا يُضَيِّعُ أُجُورَكُمْ عَلَيْهِ.

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً وَغَدْرًا، فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَآذِنْهُمْ

بِالْحَرْبِ، وَإِنْ مَالُوا إِلَىٰ مُسَالَمَتِكَ وَمُتَارَكَتِكَ الْحَرْبَ، إِمَّا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِمَّا بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَإِمَّا بِمُوادَعَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ السَّلْمِ وَالصُّلْحِ..

﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ فَمِلْ إِلَيْهَا، وَابْذُلْ لَهُمْ مَا مَالُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَسَأَلُوكَهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَتْ هَذِهِ قَبْلَ بَرَاءَةٍ، كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يُوَادِعُ الْقَوْمَ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَإِمَّا أَنْ يُسْلِمُوا وَإِمَّا أَنْ يُقَاتَلُوا، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بَعْدُ فِي بَرَاءَةٌ فَقَالَ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] وَقَالَ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] وَنَبَذَ إِلَىٰ كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُسْلِمُوا، وَأَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، وَكُلُّ عَهْدٍ كَانَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي غَيْرِهَا، وَكُلُّ صُلْحٍ يُصَالِحُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ يَتَوَادَعُونَ بِهِ، فَإِنَّ بَرَاءَةٌ جَاءَتْ بِنَسْخِ ذَلِكَ، فَأُمِرَ بِقِتَالِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).. فَأَمَّا مَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، فَقَوْلٌ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا فِطْرَةِ عَقْلٍ؛ فالنَّاسِخُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا نَفَىٰ حُكْمَ الْمَنْسُوخِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَمَّا مَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَغَيْرُ كَائِنٍ نَاسِخًا، وَقَوْلُ اللهِ فِي بَرَاءَةٍ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] غَيْرُ نَافٍ حُكْمُهُ حُكْمَ قَوْلِهِ ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾ [الأنفال: ٦١] إِنَّمَا عُنِيَ بِهِ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا يَهُودًا أَهْلَ كِتَابٍ، وَقَدْ أَذِنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِصُلْحِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُتَارَكَتِهِمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] فَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، الَّذِينَ لَا يَجُوزُ قَبُولُ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، فَلَيْسَ فِي إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ نَفْيُ حُكْمِ الْأُخْرَىٰ، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُحْكَمَةٌ فِيمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ..

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَوِّضْ إِلَىٰ اللهِ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَكَ، وَاسْتَكْفِهِ وَاثِقًا بِهِ أَنَّهُ يَكْفِيكَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تَقُولُ أَنْتَ، وَمَنْ تُسَالِمُهُ وَتُتَارِكُهُ الْحَرْبَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِكَ عِنْدَ عَقْدِ السَّلْمِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَيَشْرِطُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنَ الشُّرُوطِ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال: ٦١] بِمَا يُضْمِرُهُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ، مِنَ الْوَفَاءِ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ، وَمَنِ الْمُضْمِرُ ذَلِكَ مِنْكُمْ فِي قَلْبِهِ وَالْمُنْطَوِي عَلَىٰ خِلَافِهِ لِصَاحِبِهِ.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾

[الأنفال: ٦٢].

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ وَإِنْ يُرِدْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِأَنْ تَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ، إِنْ خِفْتَ

مِنْهُمْ خِيَانَةً، وَبِمُسَالَمَتِهِمْ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ..

﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ خِداعَكَ وَالْمَكْرَ بِكَ..

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَهُمْ وَكَافِيكَ خِدَاعَهُمْ إِيَّاكَ؛ لِأَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَىٰ الْأَدْيَانِ، وَمُتَضَمِّنٌ أَنْ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا وَكَلِمَةَ أَعْدَائِهِ السُّفْلَىٰ..

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ اللهُ الَّذِي قَوَّاكَ بِنَصْرِهِ إِيَّاكَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ..

﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢] يَعْنِي بِالْأَنْصَارِ.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣].

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشَتُّتِ عَلَىٰ دِينِهِ الْحَقِّ، فَصَيَّرَهُمْ بِهِ جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَشْتَاتًا، وَإِخْوَانًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً..

﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ وَعَرَضٍ..

﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مَا جَمَّعْتَ أَنْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بِحِيَلِكَ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ جَمَّعَهَا عَلَىٰ الْهُدَىٰ، فَائْتَلَفَتْ وَاجْتَمَعَتْ تَقْوِيَةً مِنَ اللهِ لَكَ وَتَأْيِيدًا مِنْهُ وَمَعُونَةً عَلَىٰ عَدُوِّكَ، فَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَسَبَّبَهُ لَكَ حَتَّىٰ صَارُوا لَكَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا وَيَدًا وَاحِدَةً عَلَىٰ مَنْ بَغَاكَ سُوءًا، هُوَ الَّذِي إِنْ رَامَ عَدُوٌّ مِنْكَ مَرَامًا يَكْفِيكَ كَيْدَهُ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِ، فَثِقْ بِهِ وَامْضِ لِأَمْرِهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ تَشَتُّتِ كَلِمَتِهِمَا وَتَعَادِيهِمَا وَجَعَلَهُمْ لَكَ أَنْصَارًا..

﴿عَزِيزٌ﴾ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، وَلَكِنَّهُ يَنْفُذُ فِي خَلْقِهِ حُكْمُهُ، فَعَلَيْهِ فَتَوَكَّلْ، وَبِهِ فَثِقْ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ﴾ وَحَسْبُ مَنِ..

﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤] اللهُ.. يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: نَاهِضُوا عَدُوَّكُمْ، فَإِنَّ

اللهَ كَافِيكُمْ أَمْرَهُمْ، وَلَا يَهُولَنَّكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكُمْ بِنَصْرِهِ.. فَمَعْنَى الْكَلَامِ: يَكْفِيكَ اللهُ، وَيَكْفِي مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾

[الأنفال: ٦٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ حُثَّ مُتَّبِعِيكَ وَمُصَدِّقِيكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ عَلَىٰ قِتَالِ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ رَجُلًا..

﴿صَٰبِرُونَ﴾ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، يَحْتَسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَثْبُتُونَ لِعَدُوِّهِمْ..

﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَيَقْهَرُوهُمْ..

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ عِنْدَ ذَٰلِكَ..

﴿يَغْلِبُوٓاْ﴾ مِنْهُمْ..

﴿أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾ [الأنفال: ٦٥] مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَوْمٌ يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ غَيْرِ رَجَاءِ ثَوَابٍ وَلَا لِطَلَبِ أَجْرٍ وَلَا احْتِسَابٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا أَنَّ اللهَ مُوجِبٌ لِمَنْ قَاتَلَ احْتِسَابًا وَطَلَبَ مَوْعُودَ اللهِ فِي الْمَعَادِ مَا وَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، فَهُمْ لَا يَثْبُتُونَ إِذَا صَدَقُوا فِي اللِّقَاءِ خَشْيَةَ أَنْ يُقْتَلُوا فَتَذْهَبَ دُنْيَاهُمْ.. ثُمَّ خَفَّفَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ عَلِمَ ضَعْفَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ.

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٦٦﴾ [الأنفال: ٦٦].

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ يَعْنِي أَنَّ فِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَنْ لِقَاءِ الْعَشَرَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ ضَعْفًا..

﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ عِنْدَ لِقَائِهِمْ لِلثَّبَاتِ لَهُمْ..

﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ مِنْهُمْ..

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ مِنْهُمْ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي بِتَخْلِيَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ لِغَلَبَتِهِمْ وَمَعُونَتِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٦٦﴾ [الأنفال: ٦٦] لِعَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ اللهِ، احْتِسَابًا فِي صَبْرِهِ وَطَلَبًا لِجَزِيلِ الثَّوَابِ مِنْ رَبِّهِ، بِالْعَوْنِ مِنْهُ لَهُ وَالنَّصْرِ عَلَيْهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ -أعني قوله﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٦٥]- وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهَا مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا الْأَمْرُ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فَلَمْ يَكُنِ التَّخْفِيفُ إِلَّا بَعْدَ التَّثْقِيلِ، وَلَوْ كَانَ ثُبُوتُ الْعَشَرَةِ مِنْهُمْ للمِائَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ كَانَ غَيْرَ فَرْضٍ عَلَيْهِمْ قَبْلَ التَّخْفِيفِ وَكَانَ نَدْبًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّخْفِيفِ وَجْهٌ؛ لِأَنَّ التَّخْفِيفَ إِنَّمَا هُوَ تَرْخِيصٌ فِي تَرْكِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الثُّبُوتَ لِلْعَشَرَةِ مِنَ الْعَدُوِّ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ التَّشْدِيدُ قَدْ كَانَ لَهُ مُتَقَدِّمًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّرْخِيصِ وَجْهٌ؛ إِذْ كَانَ الْمَفْهُومُ مِنَ التَّرْخِيصِ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ التَّشْدِيدِ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ حُكْمَ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ نَاسِخٌ لِحُكْمِ قَوْلِهِ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.. فَإِنَّ كُلَّ خَبَرٍ مِنَ اللهِ وَعَدَ فِيهِ عِبَادَهُ عَلَىٰ عَمَلٍ ثَوَابًا وَجَزَاءً، وَعَلَىٰ تَرْكِهِ عِقَابًا وَعَذَابًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَارِجًا ظَاهِرُهُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَفِي مَعْنَىٰ الْأَمْرِ.

> ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَحْتَبِسَ كَافِرًا قَدَرَ عَلَيْهِ وَصَارَ فِي يَدِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ لِلْفِدَاءِ أَوْ لِلْمَنِّ.. وَالْأَسْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْحَبْسُ، يُقَالُ مِنْهُ: مَأْسُورٌ، يُرَادُ بِهِ: مَحْبُوسٌ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُعَرِّفُهُ أَنَّ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَسَرَهُمْ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ فَادَىٰ بِهِمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهُمْ وَإِطْلَاقِهِمْ..

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ حَتَّىٰ يُبَالِغَ فِي قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا، وَيَقْهَرَهُمْ غَلَبَةً وَقَسْرًا..

﴿تُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ بِأَسْرِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ مَا عُرِضَ لِلْمَرْءِ مِنْهَا مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، يَقُولُ: تُرِيدُونَ بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَتَاعَ الدُّنْيَا..

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾ وَاللهُ يُرِيدُ لَكُمْ زِينَةَ الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ فِي جَنَّاتِهِ بِقَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ وَإِثْخَانِكُمْ فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ لَهُمْ: وَاطْلُبُوا مَا يُرِيدُ اللهُ لَكُمْ وَلَهُ اعْمَلُوا، لَا مَا

تَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَهْوَاءُ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ إِنْ أَنْتُمْ أَرَدْتُمُ الْآخِرَةَ لَمْ يَغْلِبْكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزِيزٌ لَا يُقْهَرُ وَلَا يُغْلَبُ، وَإِنَّهُ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧] فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَ خَلْقِهِ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَىٰ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؟**» قَالَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي الْأَسَارَىٰ؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، وَأَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَىٰ الْكُفَّارِ، وَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَىٰ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» فَقَالَ: لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَرَىٰ الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللهِ، وَلَكِنْ أَرَىٰ أَنَّ تُمَكِّنَنَا مِنْهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبٍ لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوِ مَا قُلْتُ، قَالَ عُمَرُ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَانِ يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عُرِضَ لِأَصْحَابِي مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ [الأنفال: ٦٨].

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ قَضَاءٌ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لَكُمْ أَهْلَ بَدْرٍ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، بِأَنَّ اللهَ مُحِلٌّ لَكُمُ الْغَنِيمَةَ، وَأَنَّ اللهَ قَضَىٰ فِيمَا قَضَىٰ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا شَهِدَ الْمَشْهَدَ الَّذِي شَهِدْتُمُوهُ بِبَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَاصِرًا دِينَ اللهِ..

﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لَنَالَكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ بِأَخْذِكُمُ الْغَنِيمَةَ وَالْفِدَاءَ مِنْ أُسَارَىٰ بَدْرٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْمَرُوا بِهِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ [الأنفال: ٦٨].

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩].

﴿فَكُلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَلَالًا﴾ بِإِحْلَالِهِ لَكُمْ..

﴿طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَنْ تَعُودُوا أَنْ تَفْعَلُوا فِي دِينِكُمْ شَيْئًا بَعْدَ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْهَدَ فِيهِ إِلَيْكُمْ، كَمَا فَعَلْتُمْ فِي أَخْذِ الْفِدَاءِ وَأَكْلِ الْغَنِيمَةِ وَأَخَذْتُمُوهُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحِلَّا لَكُمْ..

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿رَحِيمٌ ۝٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.. وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَاتَّقُوا اللهَ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ قُلْ لِمَنْ فِي يَدَيْكَ وَفِي يَدَيْ أَصْحَابِكَ..

﴿مِنَ الْأَسْرَى﴾ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُخِذَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِدَاءِ مَا أُخِذَ..

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ إِسْلَامًا..

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ مِنَ الْفِدَاءِ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَيَصْفَحْ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِكُمُ الَّذِي اجْتَرَمْتُمُوهُ بِقِتَالِكُمْ نَبِيَّ اللهِ وَأَصْحَابَهُ وَكُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا..

﴿رَحِيمٌ ۝٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾

[الأنفال: ٧١].

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ وَإِنْ يُرِدْ هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى الَّذِينَ فِي أَيْدِيكُمْ..

﴿خِيَانَتَكَ﴾ أَيِ الْغَدْرَ بِكَ وَالْمَكْرَ وَالْخِدَاعَ، بِإِظْهَارِهِمْ لَكَ بِالْقَوْلِ خِلَافَ مَا فِي نُفُوسِهِمْ..

﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ فَقَدْ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ مِنْ قَبْلِ وَقْعَةِ بَدْرٍ..

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ الْمُؤْمِنِينَ..
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُضْمِرُونَهُ فِي نُفُوسِهِمْ..
﴿حَكِيمٌ ٧١﴾ [الأنفال: ٧١] فِي تَدْبِيرِهِمْ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ سِوَاهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..
﴿وَهَاجَرُوا﴾ وهَجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَدُورَهُمْ، وَخَرَجُوا عَنْهُمْ..
﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وَبَالَغُوا فِي إِتْعَابِ نُفُوسِهِمْ وَإِنْصَابِهَا فِي حَرْبِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ..
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي جَعَلَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ رَحْمَتِهِ وَالنَّجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ.
﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ رَسُولَ اللهِ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ، يَعْنِي أَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهُمْ مَأْوًىٰ يَأْوُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمَثْوَىٰ وَالْمَسْكَنُ، يَقُولُ: أَسْكَنُوهُمْ وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ مَسَاكِنَ؛ إِذْ أَخْرَجَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ..
﴿وَنَصَرُوا﴾ وَنَصَرُوهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.
﴿أُولَئِكَ﴾ هَاتَانِ الْفِرْقَتَانِ، يَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ..
﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ، وَأَعْوَانٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَيْدِيهِمْ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَبَعْضُهُمْ إِخْوَانٌ لِبَعْضٍ دُونَ أَقْرِبَائِهِمُ الْكُفَّارِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِ بَعْضٍ، وَأَنَّ اللهَ وَرَّثَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ دُونَ الْقَرَابَةِ وَالْأَرْحَامِ، وَأَنَّ اللهَ نَسَخَ ذَلِكَ بَعْدُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]..
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..
﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ قَوْمَهُمُ الْكُفَّارَ، وَلَمْ يُفَارِقُوا دَارَ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..
﴿مَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُهَاجِرُونَ قَوْمَهُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَرْضَ الْحَرْبِ..
﴿مِنْ وَلَايَتِهِمْ﴾ مِنْ نُصْرَتِهِمْ وَمِيرَاثِهِمْ..
﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ قَوْمَهُمْ وَدُورَهُمْ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ إِنِ اسْتَنْصَرَكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا..

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ وَأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فَعَلَيْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ..

﴿ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ يَعْنِي عَهْدٌ قَدْ وَثِقَ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أَنْ لَا يُحَارِبَهُ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾

[الأنفال: ٧٣].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ بَعْضُهُمْ أَعْوَانُ بَعْضٍ وَأَنْصَارُهُ، وَأَحَقُّ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.. وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بَيَانَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ بَعْضٍ مِنْ قَرَابَتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الْكُفَّارَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِدَارِ الْحَرْبِ وَلَمْ يُهَاجِرْ..

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إِلَّا تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالنُّصْرَةِ عَلَىٰ الدِّينِ..

﴿تَكُن فِتْنَةٌ﴾ يَحْدُثُ بَلَاءٌ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ..

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣] وَمَعَاصِي للهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ وَنَصَرُوهُمْ..

﴿وَّنَصَرُوٓا۟﴾ دِينَ اللهِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أُولَئِكَ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿حَقًّا﴾ لَا مَنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ دَارَ الشِّرْكِ، وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَمْ يَغْزُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ..

﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ سِتْرٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤] لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ طَعَامٌ وَمَشْرَبٌ هَنِيٌّ كَرِيمٌ، لَا يَتَغَيَّرُ فِي أَجْوَافِهِمْ فَيَصِيرُ نَجْوًا، وَلَكِنَّهُ يَصِيرُ رَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إِنَّمَا هُوَ النُّصْرَةُ وَالْمَعُونَةُ دُونَ الْمِيرَاثِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْخَبَرِ عَمَّا لَهُمْ عِنْدَهُ دُونَ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا﴾ الْآيَةَ، وَلَوْ كَانَ مُرَادًا بِالْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ حُكْمِ مِيرَاثِهِمْ، لَمْ يَكُنْ عُقَيْبَ ذَلِكَ إِلَّا الْحَثُّ عَلَىٰ مُضِيِّ الْمِيرَاثِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ، وَفِي صِحَّةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنْ لَا نَاسِخَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِشَيْءٍ وَلَا مَنْسُوخَ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِن بَعْدُ﴾ تِبْيَانِي مَا بَيَّنْتُ مِنْ وَلَايَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَانْقِطَاعِ وَلَايَتِهِمْ مِمَّنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ حَتَّىٰ يُهَاجِرَ..

﴿وَهَاجَرُوا﴾ دَارَ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ فِي الْوَلَايَةِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالنُّصْرَةِ فِي الدِّينِ وَالْمُوَارَثَةِ، مِثْلُ الَّذِي يَجِبُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ وَالْمُتَنَاسِبُونَ بِالْأَرْحَامِ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فِي الْمِيرَاثِ، إِذَا كَانُوا مِمَّنْ قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا وَحَظًّا مِنَ الْحَلِيفِ وَالْوَلِيِّ..

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فِي حُكْمِ اللهِ الَّذِي كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالسَّابِقِ مِنَ الْقَضَاءِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥] إِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِي تَوْرِيثِهِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الْقَرَابَةِ وَالنَّسَبِ دُونَ الْحِلْفِ بِالْعَقْدِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ (٩)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا التَّوْبَةُ

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة: ١].

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ إِلَىٰ الَّذِينَ عَاهَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْعُهُودَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَوَلَّىٰ عَقْدَهَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ مَنْ يَعْقِدُهَا بِأَمْرِهِ، وَلَكِنَّهُ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ لِعِلْمِهِمْ بِمَعْنَاهُ، وَأَنَّ عُقُودَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ كَانَتْ عُقُودَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِكُلِّ أَفْعَالِهِ فِيهِمْ رَاضِينَ، وَلِعُقُودِهِ عَلَيْهِمْ مُسَلِّمِينَ، فَصَارَ عَقْدُهُ عَلَيْهِمْ كَعُقُودِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة: ١] لِأَهْلِ الْعَهْدِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ مُدَّتِهِ.. فَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِإِتْمَامِ الْعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ④﴾ [التوبة: ٤].. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ الْفَرْضَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ قَتْلُ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي تَتْلُو ذَلِكَ تُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَفَسَادِ مَا ظَنَّهُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ انْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ كَانَ يُبِيحُ قَتْلَ كُلِّ مُشْرِكٍ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ عَهْدٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ⑦﴾ [التوبة: ٧]، فَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِقَامَةِ لَهُمْ فِي عَهْدِهِمْ مَا اسْتَقَامُوا لَهُمْ بِتَرْكِ نَقْضِ صُلْحِهِمْ وَتَرْكِ مُظَاهَرَةِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ.. وَبَعْدُ: فَفِي الْأَخْبَارِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِبَرَاءَةَ إِلَىٰ أَهْلِ الْعُهُودِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَرَهُ فِيمَا أَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهِ فِيهِمْ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَعَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ بِنَقْضِ عَهْدِ قَوْمٍ كَانَ عَاهَدَهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَاسْتَقَامُوا عَلَىٰ عَهْدِهِ بِتَرْكِ نَقْضِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَجَّلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مَنْ كَانَ قَدْ نَقَضَ عَهْدَهُ قَبْلَ التَّأْجِيلِ أَوْ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَجَلُ عَهْدِهِ مَحْدُودًا وَلَمْ يَجْعَلْ بِنَقْضِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بِإِتْمَامِ عَهْدِهِ إِلَىٰ غَايَةِ أَجَلِهِ مَأْمُورًا، بِذَلِكَ بَعَثَ مُنَادِيَهُ يُنَادِي بِهِ فِي أَهْلِ الْمَوْسِمِ مِنَ الْعَرَبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه حِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي، فَكَانَ إِذَا صَحِلَ صَوْتُهُ نَادَيْتُ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعٍ: لا يَطُفْ بِالْكَعْبَةِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلا يَحُجُّ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ).. فَقَدْ أَنْبَأَ هَذَا الْخَبَرُ وَنَظَائِرُهُ، عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا، وَأَنَّ أَجَلَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ إِنَّمَا كَانَ لِمَنْ وَصَفْنَا، فَأَمَّا مَنْ كَانَ عَهْدُهُ إِلَىٰ مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ فَلَمْ يَجْعَلْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ لِنَقْضِهِ وَمُظَاهَرَةِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ وَفَّىٰ لَهُ عَهْدَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ دَلَّ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ وَتَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.. وَأَمَّا الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَجَلَ مَنْ ذَكَرْنَا، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَانْقِضَاؤُهَا انْقِضَاءَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مُتَتَابِعَةٌ، جُعِلَ لِأَهْلِ الْعَهْدِ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ فِيهَا السِّيَاحَةُ فِي الْأَرْضِ، يَذْهَبُونَ حَيْثُ شَاءُوا، لا يَعْرِضُ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ بِحَرْبٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَا سَلْبٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَمَا وَصَفْتُ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ انْسِلَاخَهَا انْسِلَاخُ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ تَأْجِيلَ الْقَوْمِ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسُولِهِ كَانَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَإِنَّمَا بَيْنَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَانْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ خَمْسُونَ يَوْمًا أَكْثَرُهُ، فَأَيْنَ الْخَمْسُونَ يَوْمًا مِنَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ؟ قِيلَ: إِنَّ انْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ إِنَّمَا كَانَ أَجَلَ مَنْ لا عَهْدَ لَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ لِمَنْ لَهُ عَهْدٌ، إِمَّا إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ وَإِمَّا إِلَىٰ أَجَلٍ مَحْدُودٍ قَدْ نَقَضَهُ، فَصَارَ بِنَقْضِهِ إِيَّاهُ بِمَعْنَىٰ مَنْ خِيفَ خِيَانَتُهُ، فَاسْتَحَقَّ النَّبْذَ إِلَيْهِ عَلَىٰ سَوَاءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ الِاسْتِعْدَادَ لِنَفْسِهِ وَالِارْتِيَادَ لَهَا مِنَ الْأَجَلِ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ، أَلَا تَرَى اللهَ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، وَيَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ عَهْدٍ ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾، وَوَصَفَ الْمَجْعُولَ لَهُمُ انْسِلَاخُ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ أَجَلًا بِأَنَّهُمْ أَهْلُ

شِرْكٍ لَا أَهْلَ عَهْدٍ، فَقَالَ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]الْآيَةَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤]الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَبِإِتْمَامِ عَهْدِ الَّذِينَ لَهُمْ عَهْدٌ إِذَا لَمْ يَكُونُوا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِدْخَالِ النَّقْصِ فِيهِ عَلَيْهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ التَّأْجِيلِ كَانَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ دُونَ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْ شَوَّالٍ عَلَى مَا قَالَهُ قَائِلُو ذَلِكَ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ قَائِلِي ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ التَّأْجِيلَ كَانَ مِنْ وَقْتِ نُزُولِ بَرَاءَةَ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ الْمَجْعُولَ لَهُ أَجَلُ السِّيَاحَةِ إِلَى وَقْتٍ مَحْدُودٍ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَا جُعِلَ لَهُ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ عَهْدٍ لَهُ قَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ بِخِلَافِهِ، فَكَمَنْ لَمْ يُجْعَلْ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَا لَهُ فِي الْأَجَلِ الَّذِي جُعِلَ لَهُ وَمَا عَلَيْهِ بَعْدَ انْقِضَائِهِ فَهُوَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ مِنَ الْأَجَلِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا حِينَ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْمَوْسِمِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صَحَّ أَنَّ ابْتِدَاءَهُ مَا قُلْنَا وَانْقِضَاءَهُ كَانَ مَا وَصَفْنَا.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢].

﴿فَسِيحُوا۟﴾ فَسِيرُوا..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ، آمِنِينَ غَيْرَ خَائِفِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ..

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يَقُولُ لِأَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿أَنَّكُمْ﴾ إِنْ سِحْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَاخْتَرْتُمْ ذَلِكَ مَعَ كُفْرِكُمْ بِاللهِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيده وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ..

﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ غَيْرُ مُفِيتِيهِ بِأَنْفُسِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ حَيْثُ ذَهَبْتُمْ وَأَيْنَ كُنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَفِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ وَزِيرٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَادَكُمْ بِعَذَابٍ مَعْقِلٌ، وَلَا مَوْئِلٌ، إِلَّا الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالتَّوْبَةَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَبَادِرُوا عُقُوبَتَهُ بِتَوْبَةٍ، وَدَعُوا السِّيَاحَةَ الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢] وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُذِلُّ الْكَافِرِينَ، وَمُوَرِّثُهُمُ الْعَارَ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة: ٣].

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ وَإِعْلَامٌ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ النَّحْرِ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عَلِيًّا نَادَىٰ بِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ بَرَاءَةَ يَوْمَ النَّحْرِ، هَذَا مَعَ الْأَخْبَارِ الَّتِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ النَّحْرِ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ».. وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، كَقَوْلِ النَّاسِ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَذَلِكَ يَوْمُ وُقُوفِ النَّاسِ بِعَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْأَضْحَىٰ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُضَحُّونَ فِيهِ، وَيَوْمُ الْفِطْرِ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُفْطِرُونَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْحَجِّ، يَوْمٌ يَحُجُّونَ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَحُجُّ النَّاسُ وَيَقْضُونَ مَنَاسِكَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ؛ لِأَنَّ فِي لَيْلَةِ نَهَارِ يَوْمِ النَّحْرِ، الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ غَيْرُ فَائِتٍ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ النَّحْرِ، وَالْحَجُّ كُلُّهُ يَوْمَ النَّحْرِ.. وَسُمِّيَ الْحَجُّ الْأَكْبَرُ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْعُمْرَةِ بِزِيَادَةِ عَمَلِهِ عَلَىٰ عَمَلِهَا، فَقِيلَ لَهُ الْأَكْبَرُ لِذَلِكَ، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَالْعُمْرَةُ؛ لِأَنَّ عَمَلَهَا أَقَلُّ مِنْ عَمَلِ الْحَجِّ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا الْأَصْغَرُ لِنُقْصَانِ عَمَلِهَا عَنْ عَمَلِهِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ أَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ بَرِيئَانِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ..

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ مِنْ كُفْرِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَرَجَعْتُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿فَهُوَ﴾ فَالرُّجُوعُ إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ وَإِنْ أَدْبَرْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ فَأَيْقِنُوا..

﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ لَا تُفِيتُونَ اللهَ بِأَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْ يُحِلَّ بِكُمْ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ وَعِقَابَهُ الشَّدِيدَ عَلَىٰ إِقَامَتِكُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ، كَمَا فُعِلَ بِذَوِيكُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، مِنْ إِنْزَالِ نِقَمِهِ بِهِ وَإِحْلَالِهِ الْعَذَابَ عَاجِلًا بِسَاحَتِهِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَأَعْلِمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ..

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ③﴾ [التوبة: ٣] مُوجِعٍ يَحِلُّ بِهِمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ④﴾ [التوبة: ٤].

﴿إِلَّا﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، إِلَّا مِنْ عَهْدٍ..

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ مِنْ عَهْدِكُمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ..

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَيُعِينُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَلَا بِسِلَاحٍ وَلَا خَيْلٍ وَلَا رِجَالٍ..

﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ فَفُوا لَهُمْ بِعَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْصِبُوا لَهُمْ حَرْبًا..

﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ﴾ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَلِ عَهْدِهِمُ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ④﴾ [التوبة: ٤] مَنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑤﴾ [التوبة: ٥].

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ فَإِذَا انْقَضَى وَمَضَى وَخَرَجَ.. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: شَاةٌ مَسْلُوخَةٌ، بِمَعْنَى: الْمَنْزُوعَةُ مِنْ جِلْدِهَا..

﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ انْسِلَاخُ الْمُحَرَّمِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ الْأَذَانَ كَانَ بِـ (بَرَاءَةَ) يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أُجِّلُوا الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ كُلَّهَا -وَقَدْ دَلَلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى- وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُتَّصِلًا بِالشَّهْرَيْنِ الْحَرَامَيْنِ الْآخَرَيْنِ قَبْلَهُ، وَكَانَ هُوَ لَهُمَا ثَالِثًا، وَهِيَ كُلُّهَا مُتَّصِلٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، قِيلَ: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ الثَّلَاثَةُ عَنِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ، أَوْ عَنِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ، فَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِمُظَاهَرَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، أَوْ

كَانَ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ غَيْرِهِ مَعْلُومٍ..

﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فَاقْتُلُوهُمْ..

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْحَرَمِ وَغَيْرِ الْحَرَمِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ..

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وَأْسِرُوهُمْ..

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ وَامْنَعُوهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِ مَكَّةَ..

﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ﴾ بِالطَّلَبِ لِقَتْلِهِمْ أَوْ أَسْرِهِمْ..

﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كُلَّ طَرِيقٍ وَمَرْقَبٍ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ رَصَدْتُ فُلَانًا أَرْصُدُهُ رَصْدًا، بِمَعْنَىٰ: رَقَبْتُهُ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَنْسُوخٍ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ النَّسْخِ هُوَ نَفْيُ حُكْمٍ قَدْ كَانَ ثَبَتَ بِحُكْمٍ آخَرَ غَيْرِهِ، وَلَمْ تَصِحَّ حُجَّةٌ بِوُجُوبِ حُكْمِ اللهِ فِي الْمُشْرِكِينَ بِالْقَتْلِ بِكُلِّ حَالٍ ثُمَّ نَسَخَهُ بِتَرْكِ قَتْلِهِمْ عَلَىٰ أَخْذِ الْفِدَاءِ وَلَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَنِّ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَانَ الْفِدَاءُ وَالْمَنُّ وَالْقَتْلُ لَمْ يَزَلْ مِنْ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ مِنْ أَوَّلِ حَرْبٍ حَارَبَهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ لِلْقَتْلِ أَوِ الْمَنِّ أَوِ الْفِدَاءِ وَاحْصُرُوهُمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ صَحَّ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَجُحُودِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَأَعْطَوُا الزَّكَاةَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ أَهْلَهَا..

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ فَدَعُوهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْصَارِكُمْ وَيَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَنَابَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، سَاتِرٌ عَلَىٰ ذَنْبِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ٥] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ السَّالِفَةِ قَبْلَ تَوْبَتِهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٦].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ وَإِنِ اسْتَأْمَنَكَ يَا مُحَمَّدُ -مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ

بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ- أَحَدٌ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ مِنْكَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿فَأَجِرْهُ﴾ فَأَمِّنْهُ..

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِ..

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ﴾ ثُمَّ رُدَّهُ بَعْدَ سَمَاعِهِ كَلَامَ اللهِ -إِنْ هُوَ أَبَىٰ أَنْ يُسْلِمَ وَلَمْ يَتَّعِظْ لِمَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ اللهِ فَيُؤْمِنَ- إِلَىٰ..

﴿مَأْمَنَهُۥ﴾ حَيْثُ يَأْمَنُ مِنْكَ وَمِمَّنْ فِي طَاعَتِكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ بِدَارِهِ وَقَوْمِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِنْ إِعْطَائِكَ إِيَّاهُمُ الْأَمَانَ، لِيَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَرَدِّكَ إِيَّاهُمْ إِذَا أَبَوْا الْإِسْلَامَ إِلَىٰ مَأْمَنِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۞﴾ [التوبة: ٦] قَوْمٌ جَهَلَةٌ، لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ حُجَّةً، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ لَوْ آمَنُوا، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ بِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞﴾ [التوبة: ٧].

﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ أَنَّىٰ يَكُونُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِأَيِّ مَعْنًىٰ يَكُونُ..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ بِرَبِّهِمْ..

﴿عَهْدٌ﴾ وَذِمَّةٌ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ يُوَفَّىٰ لَهُمْ بِهِ، وَيُتْرَكُوا مِنْ أَجْلِهِ آمِنِينَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْبِلَادِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: لَا عَهْدَ لَهُمْ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلُهُمْ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾ إِلَّا الَّذِينَ أُعْطُوا الْعَهْدَ..

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَالِاسْتِقَامَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ، مَا دَامُوا عَلَيْهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَقِيمِينَ..

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ يَعْنِي أَهْلَ الْعَهْدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. وَهُمْ بَعْضُ بَنِي بَكْرٍ مِنْ كِنَانَةَ، مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ عَلَىٰ عَهْدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِي نَقْضِ مَا كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنَ الْعَهْدِ مَعَ قُرَيْشٍ، حِينَ نَقَضُوهُ بِمَعُونَتِهِمْ حُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي الدُّئْلِ،

عَلَىٰ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُزَاعَةَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنِ اتَّقَىٰ وَرَاقَبَهُ فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لِمَنْ عَاهَدَهُ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَتَرْكَ الْغَدْرِ بِعُهُودِهِ لِمَنْ عَاهَدَهُ.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة: ٨].

﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، أَوْ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ مِنْهُمْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ..

﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ وَهُمْ إِنْ يَغْلِبُوكُمْ..

﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِهِمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَحَصْرِهِمْ وَالْقُعُودِ لَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ مَرْصَدٍ أَنَّهُمْ لَوْ ظَهَرُوا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرْقُبُوا فِيهِمْ..

﴿إِلًّا﴾ وَالْإِلُّ: اسْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مُعَانٍ ثَلَاثَةٍ: وَهِيَ الْعَهْدُ وَالْعَقْدُ، وَالْحِلْفُ، وَالْقَرَابَةُ، وَهُوَ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ اللهِ، فَإِذْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ تَشْمَلُ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ ذَلِكَ كَمَا عَمَّ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَانِيَهَا الثَّلَاثَةَ، فَيُقَالُ: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ، اللهَ، وَلَا قَرَابَةً، وَلَا عَهْدًا، وَلَا مِيثَاقًا..

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ قَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الْإِلَّ وَالْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَالْيَمِينَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الذِّمَّةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّذَمُّمُ مِمَّنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَالْجَمْعُ: ذِمَمٌ، وَكَانَ ابْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ: عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلَ الْعَهْدِ الْعَامِّ.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يُعْطُونَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْقَوْلِ خِلَافَ مَا يُضْمِرُونَهُ لَكُمْ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ..

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ أَيْ: تَأْبَىٰ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ، أَنْ يُذْعِنُوا لَكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا يُبْدُونَهُ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، يُحَذِّرُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُشْحِذُهُمْ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَاجْتِيَاحِهِمْ حَيْثُ وُجِدُوا مِنْ أَرْضِ اللهِ، وَأَلَّا يُقَصِّرُوا فِي مَكْرُوهِهِمْ بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ..

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة: ٨] مُخَالِفُونَ عَهْدَكُمْ، نَاقِضُونَ لَهُ، كَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ.

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩﴾ [التوبة: ٩].

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ ابْتَاعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجِهِ..

﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ يَسِيرًا مِنَ الْعِوَضِ قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ﴾ فَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَحَاوَلُوا رَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ..

﴿إِنَّهُمۡ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَاتِهِمْ..

﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩﴾ [التوبة: ٩] سَاءَ عَمَلُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ اشْتِرَائِهِمُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، وَالضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ، وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْمِنَ.

﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾ [التوبة: ١٠].

﴿لَا يَرۡقُبُونَ﴾ لَا يَتَّقِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..

﴿فِي﴾ قَتْلِ..

﴿مُؤۡمِنٍ﴾ لَوْ قَدَرُوا عَلَيْهِ..

﴿إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ فَلَا تُبْقُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا لَا يُبْقُونَ عَلَيْكُمْ لَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾ [التوبة: ١٠] الْمُتَجَاوِزُونَ فِيكُمْ إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِالظُّلْمِ وَالِاعْتِدَاءِ.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾ [التوبة: ١١].

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ فَإِنْ رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ بِاللهِ، إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَنَابُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ، فَأَدَّوْهَا بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ أَهْلَهَا..

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ الَّذِي أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ وَنُبَيِّنُ حُجَجَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١] مَا بُيِّنَ لَهُمْ، فَنَشْرَحُهَا لَهُمْ مُفَصَّلَةً، دُونَ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ بَيَانَهُ وَمُحْكَمَ آيَاتِهِ.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة: ١٢].

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ فَإِنْ نَقَضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ عُهُودَهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا عَاقَدُوكُمْ، أَنْ لَا يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَطَعَنُوا۟﴾ وَقَدَحُوا..

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ الْإِسْلَامِ، فَثَلَمُوهُ وَعَابُوهُ..

﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ فَقَاتِلُوا رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ..

﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ لَا عَهْدَ لَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة: ١٢] لِكَيْ يَنْتَهُوا عَنِ الطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْمُظَاهَرَةِ عَلَيْكُمْ.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ حَاضًّا لَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَلَا تُقَاتِلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿قَوْمًا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ..

﴿نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ، وَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ..

﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ فَأَخْرَجُوهُ..

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بِالْقِتَالِ، يَعْنِي فِعْلَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقِيلَ: قِتَالُهُمْ حُلَفَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُزَاعَةَ..

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أَتخَافُونَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَتَتْرُكُوا قِتَالَهُمْ خَوْفًا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْهُمْ؟..

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ أَنْ تَخَافُوا عُقُوبَتَهُ بِتَرْكِكُمْ جِهَادَهُمْ، وَتَحْذَرُوا سَخَطَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣] إِنْ كُنْتُمْ مُقِرِّينَ أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ لَكُمْ أَوْلَىٰ مِنْ خَشْيَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ [التوبة: ١٤].

﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ قَاتِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَنَقَضُوا عُهُودَهُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يَقْتُلْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ..

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ وَيُذِلَّهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْقَهْرِ..

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فَيُعْطِيكُمُ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ وَالْغَلَبَةَ..

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ [التوبة: ١٤] وَيُبْرِئْ دَاءَ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِأَيْدِيكُمْ، وَإِذْلَالِكُمْ وَقَهْرِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَذَلِكَ الدَّاءُ هُوَ مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْجِدَةِ بِمَا كَانُوا يَنَالُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٥].

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ وَيُذْهِبُ وَجْدَ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَغَمَّهَا وَكَرْبَهَا، بِمَا فِيهَا مِنَ الْوَجْدِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ﴾ وَيَمُنُّ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْكَافِرِينَ، فَيَقْبَلُ بِهِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُ.. وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ، وَلِذَلِكَ رُفِعَ، وَجُزِمَ الْأَحْرُفُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْمُجَازَاةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَاتِلُوهُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِهِمْ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ﴾، لِأَنَّ الْقِتَالَ غَيْرُ مُوجِبٍ لَهُمُ التَّوْبَةَ مِنَ اللهِ،

وَهُوَ مُوجِبٌ لَهُمُ الْعَذَابَ مِنَ اللهِ، وَالْخِزْيَ وَشِفَاءَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَهَابَ غَيْظِ قُلُوبِهِمْ، فَجُزِمَ ذَلِكَ شَرْطًا وَجَزَاءً عَلَىٰ الْقِتَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مُوجِبًا الْقِتَالُ التَّوْبَةَ، فَابْتُدِئَ الْحُكْمُ بِهِ وَرُفِعَ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ، وَمَنْ هُوَ لِلتَّوْبَةِ أَهْلٌ فَيَتُوبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ مِنْهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لَهَا فَيَخْذُلُهُ..

﴿حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٥] فِي تَصْرِيفِ عِبَادِهِ مِنْ حَالِ كُفْرٍ إِلَىٰ حَالِ إِيمَانٍ بِتَوْفِيقِ مَنْ وَفَّقَهُ لِذَلِكَ، وَمَنْ حَالِ إِيمَانٍ إِلَىٰ كُفْرٍ بِخِذْلَانِهِ مَنْ خَذَلَ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمُ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] الْآيَةَ، حَاضًّا عَلَىٰ جِهَادِهِمْ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.. وَقِيلَ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: أَحَسِبْتُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ الْمُعْتَرِضِ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ، فَأُدْخِلَتْ فِيهِ (أَمْ) لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاسْتِفْهَامِ الْمُبْتَدَأِ..

﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾ أَنْ يَتْرُكَكُمُ اللهُ بِغَيْرِ مِحْنَةٍ يَمْتَحِنُكُمْ بِهَا، وَبِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يَخْتَبِرُكُمْ بِهِ، فَيَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنْكُمْ فِي دِينِهِ مِنَ الْكَاذِبِ فِيهِ..

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟﴾ أَحَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا بِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يُعْرَفُ بِهِ أَهْلُ وِلَايَتِهِ الْمُجَاهِدِينَ..

﴿مِنكُمْ﴾ فِي سَبِيلِهِ، مِنَ الْمُضَيِّعِينَ أَمْرَ اللهِ فِي ذَلِكَ الْمُفَرِّطِينَ..

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا مِنْ دُونِ رَسُولِهِ، وَلَا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَلِيجَةً﴾ هُوَ الشَّيْءُ يَدْخُلُ فِي آخَرَ غَيْرِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: وَلَجَ فُلَانٌ فِي كَذَا يَلِجُهُ فَهُوَ وَلِيجَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْبِطَانَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ يُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦] وَاللهُ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَعْمَلُونَ، مِنَ اتِّخَاذِكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَدُونِ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَوْلِيَاءَ وَبِطَانَةً، بَعْدَ مَا قَدْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، لَا يَخْفَىٰ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَاللهُ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ⑰﴾ [التوبة: ١٧].

﴿مَا كَانَ﴾ مَا يَنْبَغِي..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ إِنَّمَا تُعْمَرُ لِعُبَادَةِ اللهِ فِيهَا، لَا لِلْكُفْرِ بِهِ، فَمَنْ كَانَ بِاللهِ كَافِرًا فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْمُرَ مَسَاجِدَ اللهِ..

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ فَإِنَّ النَّصْرَانِيَّ يُسْأَلُ: مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيُّ، فَيَقُولُ: يَهُودِيٌّ، وَالصَّابِئُ، فَيَقُولُ: صَابِئٌ، وَالْمُشْرِكُ يَقُولُ إِذَا سَأَلْتَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: مُشْرِكٌ، لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْعَرَبُ..

﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطَلَتْ وَذَهَبَتْ أُجُورُهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ للهِ، بَلْ كَانَتْ لِلشَّيْطَانِ..

﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ⑰﴾ [التوبة: ١٧] مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا أَحْيَاءً وَلَا أَمْوَاتًا.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ⑱﴾ [التوبة: ١٨].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الْمُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، الْمُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الَّذِي يُصَدِّقُ بِبَعْثِ اللهِ الْمَوْتَىٰ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ بِحُدُودِهَا..

﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ وَأَدَّىٰ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ إِلَىٰ مَنْ أَوْجَبَهَا اللهُ لَهُ..

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وَلَمْ يَرْهَبْ عُقُوبَةَ شَيْءٍ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ سِوَىٰ اللهِ..

﴿فَعَسَىٰ﴾ فَخَلِيقٌ بِـ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الَّذِينَ هَٰذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَن يَكُونُوا﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِنَ الْمُهْتَدِينَ ⑱﴾ [التوبة: ١٨] مِمَّنْ قَدْ هَدَاهُ اللهُ لِلْحَقِّ وَإِصَابَةِ الصَّوَابِ.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑲﴾ [التوبة: ١٩].

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ﴾ كَإِيمَانِ مَنْ..

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ، وَلَا تَعْتَدِلُ أَحْوَالُهُمَا..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنَازِلُهُمَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ بِغَيْرِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَمَلًا..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ..

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [التوبة: ١٩] مَنْ كَانَ بِهِ كَافِرًا وَلِتَوْحِيدِهِ جَاحِدًا.. وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِقَوْمٍ افْتَخَرُوا بِالسِّقَايَةِ وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ، فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْفَخْرَ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لَا فِي الَّذِي افْتَخَرُوا بِهِ مِنَ السِّدَانَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: (**كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا أُبَالِي أَلَّا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ؛ إِلَّا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: بَلْ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقَالَ آخَرُ: بَلِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾**).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صَدَّقُوا بِتَوْحِيدِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَهَاجَرُوا۟﴾ دُورَ قَوْمِهِمْ..

﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ الْمُشْرِكِينَ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً عِنْدَهُ مِنْ سُقَاةِ الْحَاجِّ، وَعُمَّارِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ...

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا..

﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠] بِالْجَنَّةِ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ.. وَهَذَا قَضَاءٌ مِنَ اللهِ بَيْنَ فِرَقِ الْمُفْتَخِرِينَ الَّذِينَ افْتَخَرَ أَحَدُهُمْ بِالسِّقَايَةِ، وَالْآخَرُ بِالسِّدَانَةِ، وَالْآخَرُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ يُبَشِّرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ لَهُمْ، أَنَّهُ قَدْ رَحِمَهُمْ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ..

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وَبِرِضْوَانٍ مِنْهُ لَهُمْ، بِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ..

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ وَبَسَاتِينَ..

﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١] لَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ، ثَابِتٌ دَائِمٌ أَبَدًا لَهُمْ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٢].

﴿خَالِدِينَ﴾ مَاكِثِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّاتِ..

﴿أَبَدًا﴾ لَا نِهَايَةَ لِذَلِكَ وَلَا حَدَّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَعَتَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّعْتَ الَّذِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أَجْرٌ﴾ ثَوَابٌ عَلَى طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٢] وَذَلِكَ النَّعِيمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بِطَانَةً وَأَصْدِقَاءَ، تُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَكُمْ، وَتُطْلِعُونَهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَتُؤْثِرُونَ الْمُكْثَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ عَلَى الْهِجْرَةِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ إِنِ اخْتَارُوا..

﴿الْكُفْرَ﴾ بِاللهِ..

﴿عَلَى الْإِيمَانِ﴾ عَلَى التَّصْدِيقِ بِهِ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ وَمَنْ يَتَّخِذُهُمْ مِنْكُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْثِرُ الْمُقَامَ مَعَهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَدَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَأُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْكُمْ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [التوبة: ٢٣] الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، فَوَضَعُوا الْوَلَايَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَعَصَوُا اللهَ فِي أَمْرِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ نَهْيًا مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ أَقْرِبَائِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ.

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ الْمُقِيمِينَ بِدَارِ الشِّرْكِ..

﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾ إِنْ كَانَ الْمُقَامُ مَعَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ..

﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ وَكَانَتْ أَمْوَالٌ اكْتَسَبْتُمُوهَا..

﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ بِفِرَاقِكُمْ بَلَدَكُمْ..

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ فَسَكَنْتُمُوهَا..

﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ﴾ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ..

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ..

﴿وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ..

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فَتَنَظَّرُوا..

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ..

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة: ٢٤] الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ وَفِي مَعْصِيَتِهِ.

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة: ٢٥].

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي مَوَاطِنَ﴾ فِي أَمَاكِنَ حَرْبٍ تُوطِّنُونَ فِيهَا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَمَشَاهِدَ..

﴿كَثِيرَةٖ﴾ تَلْتَقُونَ فِيهَا أَنْتُمْ وَهُمْ..

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وَفِي يَوْمَ حُنَيْنٍ أَيْضًا قَدْ نَصَرَكُمْ.. وَحُنَيْنٌ: وَادٍ فِيمَا ذُكِرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ..

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وَكَانُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ -فِيمَا ذُكِرَ- اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا..

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ كَثْرَتُكُمْ..

﴿شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِسِعَتِهَا عَلَيْكُمْ، وَ(الْبَاءُ) هَاهُنَا فِي مَعْنَىٰ (فِي)، وَمَعْنَاهُ: وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ فِي رَحْبِهَا، وَبِرَحْبِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: مَكَانٌ رَحِيبٌ: أَيْ وَاسِعٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الرِّحَابُ رِحَابًا لِسِعَتِهَا..

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ عَنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿مُّدْبِرِينَ ۝﴾ [التوبة: ٢٥] مُنْهَزِمِينَ مُدْبِرِينَ، يَقُولُ: وَلَّيْتُمُوهُمُ الْأَدْبَارَ، وَذَلِكَ الْهَزِيمَةُ، يُخْبِرُهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَأَنَّهُ يَنْصُرُ الْقَلِيلَ عَلَىٰ الْكَثِيرِ إِذَا شَاءَ وَيُخَلِّي الْقَلِيلَ فَيَهْزِمُ الْكَثِيرُ.. فَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: (**لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَوَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، آخِذًا بِغَرْزِ النَّبِيِّ ﷺ، لا يَأْلُو مَا أَسْرَعَ نَحْوَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ حَتَّىٰ أَخَذْتُ بِلِجَامِهِ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ شَهْبَاءَ، فَقَالَ: «يَا عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ» وَكُنْتُ رَجُلًا صَيِّتًا، فَأَذَّنْتُ بِصَوْتِي الْأَعْلَىٰ: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ فَالْتَفَتُوا كَأَنَّهَا الْإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ إِلَىٰ أَوْلَادِهَا، يَقُولُونَ: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَقَوْا هُمْ وَالْمُسْلِمُونَ، وَتَنَادَتِ الْأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَتَنَادَوْا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مِنَ الْحَصْبَاءِ فَرَمَاهُمْ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالَ أَمْرُهُمْ مُدْبِرًا، وَحَدُّهُمْ كَلِيلًا حَتَّىٰ هَزَمَهُمُ اللهُ، فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ**).. وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِي، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: فَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: (**لَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، وَكَانَتْ هَوَازِنُ يَوْمَئِذٍ رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَىٰ الْغَنَائِمِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»**).

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦].

﴿ثُمَّ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَتَوْلِيَتِكُمُ الْأَعْدَاءَ أَدْبَارَكُمْ..

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كَشَفَ اللهُ نَازِلَ الْبَلَاءِ عَنْكُمْ، بِإِنْزَالِهِ السَّكِينَةَ وَهِيَ الْأَمَنَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهَا فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ..

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْأَخْبَارِ..

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَعَذَّبَ اللهُ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ، وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِالْقَتْلِ، وَسَبْيِ الْأَهْلِينَ وَالذَّرَارِيِّ، وَسَلْبِ الْأَمْوَالِ وَالذِّلَّةِ.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ..

﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦] هُوَ ثَوَابُ أَهْلِ جُحُودِ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٧].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ يَتَفَضَّلُ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ عَذَابِهِ الَّذِي بِهِ عذَّبَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ قَتْلًا بِالسَّيْفِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ مِنَ الْأَحْيَاءِ، يُقْبِلُ بِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ أَنَابَ وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٧] بِهِمْ، فَلَا يُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ، وَلَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا بَعْدَ إِنَابَتِهِمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ مَا الْمُشْرِكُونَ إِلَّا نَجَسٌ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: سَمَّاهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُجْنِبُونَ فَلَا يَغْتَسِلُونَ، فَقَالَ: هُمْ نَجَسٌ، وَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ؛ لِأَنَّ الْجُنُبَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ.. وَالنَّبِيُّ ﷺ لَقِيَ حُذَيْفَةَ وَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي جُنُبٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يَنْجُسُ**»..

﴿فَلَا﴾ تَدْعُوهُمْ أَنْ..

﴿يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ: مَنْعَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْحَرَمَ فَقَدْ قَرِبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ..

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ بَعْدَ الْعَامِ الَّذِي نَادَىٰ فِيهِ عَلِيٌّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بِبَرَاءَةَ، وَذَلِكَ عَامَ حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ..

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فَاقَةً وَفَقْرًا، بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ.. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَافُوا بِانْقِطَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ دُخُولِ الْحَرَمِ انْقِطَاعَ تِجَارَاتِهِمْ وَدُخُولَ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ بِانْقِطَاعِ ذَلِكَ..

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ فَأَمَّنَهُمُ اللهُ مِنَ الْعَيْلَةِ، وَعَوَّضَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَكْرَهُونَ انْقِطَاعَهُ عَنْهُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَهُوَ الْجِزْيَةُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩]..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِمَا حَدَّثَتْكُمْ بِهِ أَنْفُسُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ خَوْفِ الْعَيْلَةِ عَلَيْهَا، بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٨﴾ [التوبة: ٢٨] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿قَٰتِلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ..

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ وَلَا يُطِيعُونَ اللهَ طَاعَةَ الْحَقِّ، طَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ الَّذِينَ أُعْطُوا..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ الْخَرَاجَ عَنْ رِقَابِهِمُ الَّذِي يَبْذُلُونَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، دَفْعًا عَنْهَا..

﴿عَن يَدٍ﴾ مِنْ يَدِهِ إِلَىٰ يَدِ مَنْ يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ مُعْطٍ قَاهِرًا لَهُ شَيْئًا

طَائِعًا لَهُ أَوْ كَارِهًا: أَعْطَاهُ عَنْ يَدِهِ وَعَنْ يَدٍ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: كَلَّمْتُهُ فَمَا لِفَمٍ وَلَقِيتُهُ كِفَّةً لِكِفَّةٍ، وَكَذَلِكَ أَعْطَيْتُهُ عَنْ يَدٍ لِيَدٍ..

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩] وَهُمْ أَذِلَّاءُ مَقْهُورُونَ، يُقَالُ لِلذَّلِيلِ الْحَقِيرِ: صَاغِرٌ، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِهِ بِحَرْبِ الرُّومِ، فَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ نُزُولِهَا غَزْوَةَ تَبُوكَ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾

[التوبة: ٣٠].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ كَاذِبِينَ عَلَىٰ اللهِ مُفْتَرِينَ..

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ نِسْبَةُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ..

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ كَكَذِبِ الْيَهُودِ، وَفِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، فِي نِسْبَتِهِمْ عُزَيْرًا إِلَىٰ أَنَّهُ للهِ ابْنٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ، سُبْحَانَهُ، بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ..

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ يَعْنِي النَّصَارَىٰ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ [الذاريات: ١٠]، وَ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البروج: ٤]، وَاحِدٌ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ..

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة: ٣٠] كَيْفَ يَصُدُّونَ عَنِ الْحَقِّ؟!

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾ اتَّخَذَ الْيَهُودُ..

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَاحِدُهُمْ حِبْرٌ وَحَبْرٌ، بِكَسْرِ الْحَاءِ مِنْهُ وَفَتْحِهَا..

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ وَاتَّخَذَ النَّصَارَىٰ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ وَأَهْلَ الِاجْتِهَادِ فِي دِينِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿أَرۡبَابٗا﴾ سَادَةً لَهُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، فَيُحِلُّونَ مَا أَحَلُّوهُ لَهُمْ مِمَّا قَدْ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُونَهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ..

﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ وَمَا أُمِرَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ وَالْمَسِيحَ أَرْبَابًا..

﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا مَعْبُودًا وَاحِدًا، وَأَنْ يُطِيعُوا إِلَّا رَبًّا وَاحِدًا، دُونَ أَرْبَابٍ شَتَّىٰ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَطَاعَةُ كُلِّ خَلْقٍ، الْمُسْتَحِقُّ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ الدَّيْنُونَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِوَاحِدِ الَّذِي أَمَرَ الْخَلْقَ بِعِبَادَتِهِ، وَلَزِمَتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ طَاعَتُهُ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهًا وَتَطْهِيرًا للهِ..

﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١] عَمَّا يُشْرِكُ فِي طَاعَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ الْقَائِلُونَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الْمُتَّخِذُونَ أَحْبَارَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢].

﴿يُرِيدُونَ﴾ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّخِذُونَ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ أَرْبَابًا..

﴿أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يُحَاوِلُونَ بِتَكْذِيبِهِمْ بِدِينِ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ، وَصَدِّهِمُ النَّاسَ عَنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنْ يُبْطِلُوهُ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِخَلْقِهِ ضِيَاءً..

﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ يَعْلُو دِينُهُ، وَتَظْهَرُ كَلِمَتُهُ، وَيَتِمُّ الْحَقُّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَلَوۡ كَرِهَ﴾ إِتْمَامَ اللهِ إِيَّاهُ..

﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢] يَعْنِي: جَاحِدِيهِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِيٓ﴾ يَأْبَىٰ إِلَّا إِتْمَامَ دِينِهِ وَلَوْ كَرِهَ ذَلِكَ جَاحِدُوهُ وَمُنْكِرُوهُ، الَّذِي..

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بِبَيَانِ فَرَائِضِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَجَمِيعِ اللَّازِمِ لَهُمْ..

﴿وَدِينِ﴾ وَبِدِينِ..

﴿ٱلْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ لِيُعْلِيَ الْإِسْلَامَ..

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ عَلَىٰ الْمِلَلِ كُلِّهَا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ عِيسَىٰ حِينَ تَصِيرُ الْمِلَلُ كُلُّهَا وَاحِدَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لِيُعْلِمَهُ شَرَائِعَ الدِّينِ كُلَّهَا فَيُطْلِعَهُ عَلَيْهَا..

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] بِاللهِ ظُهُورَهُ عَلَيْهَا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ..

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ..

﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ وَالْقُرَّاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يَأْخُذُونَ الرُّشَىٰ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَيُحَرِّفُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ كُتُبًا ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَأْخُذُونَ بِهَا ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ سَفَلَتِهِمْ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ وَيَمْنَعُونَ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ الدُّخُولَ فِيهِ بِنَهْيِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ وَيَأْكُلُهَا أَيْضًا مَعَهُمُ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَهُوَ كُلُّ مَالٍ وَجَبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَلَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ..

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاتَهَا.. قال ابْنُ عُمَرَ: (**كُلُّ مَالٍ أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا، وَكُلُّ مَالٍ لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ فَهُوَ الْكَنْزُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ يُكْوَىٰ بِهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا**).. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ: (**هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ كَنْزٍ، غَيْرَ أَنَّهَا خَاصَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ بِهَا**).. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فَأُخْرِجَتِ الْهَاءُ وَالْأَلِفُ مَخْرَجَ الْكِنَايَةِ عَنْ أَحَدِ النَّوْعَيْنِ؟ قِيلَ: يُحْتَمَلُ ذَلِكَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ مُرَادًا بِهَا الْكُنُوزُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ الْكُنُوزَ، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لِأَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ هِيَ الْكُنُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ اسْتَغْنَىٰ بِالْخَبَرِ عَنْ إِحْدَاهُمَا فِي عَائِدِ ذِكْرِهِمَا مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الْأُخْرَىٰ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْخَبَرِ عَنِ الْأُخْرَىٰ مِثْلُ الْخَبَرِ عَنْهَا، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَيْهِمَا..

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ بَشِّرِ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿بِعَذَابٍ﴾ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَإِنَّ كُلَّ -وَإِنْ قَلَّ- مَا لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ إِذَا كَانَ مِمَّا يَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَصَاحِبُهُ مُعَاقَبٌ مُسْتَحِقٌّ وَعِيدَ اللهِ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ..

﴿أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ [التوبة: ٣٤] مُوجِعٍ مِنَ اللهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ، إِلَّا جُعِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، يُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ إِبِلًا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، يَرِدُ أُولَاهَا عَلَىٰ أُخْرَاهَا، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غَنَمًا فَمِثْلُ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا)**.. وَفِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْوَعِيدَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَمْ تُؤَدَّ الْوَظَائِفُ الْمَفْرُوضَةُ فِيهَا لِأَهْلِهَا مِنَ الصَّدَقَةِ، لَا عَلَىٰ اقْتِنَائِهَا وَاكْتِنَازِهَا.. وَالْآيَةُ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ، هِيَ خَاصَّةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ فِيمَنْ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ مِنْهُمْ، وَعَامَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِنْ أَنْفَقُوا.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٥].

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فَبَشِّرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَلَا يُخْرِجُونَ حُقُوقَ اللهِ مِنْهَا يَا مُحَمَّدُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِهِ فِي يَوْمِ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ تَدْخُلُ النَّارَ فَيُوقَدُ عَلَيْهَا، أَيْ عَلَىٰ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي كَنَزُوهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿فَتُكْوَىٰ﴾ يُحْرِقُ اللهُ..

﴿بِهَا﴾ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الْمَكْنُوزَةِ..

﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ جِبَاهَ كَانِزِيهَا وَجُنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ..

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ مَنَعُوا كُنُوزَهُمْ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الْوَاجِبَةِ فِيهَا..

﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿فَذُوقُوا﴾ فَأَطْعِمُوا عَذَابَ اللهِ..

﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٥] بِمَا كُنْتُمْ تَمْنَعُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حُقُوقَ اللهِ، وَتَكْنِزُونَهَا مُكَاثَرَةً وَمُبَاهَاةً.. قال نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا، مَثَلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يَتْبَعُهُ، يَقُولُ: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ، فَلَا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّىٰ يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَهَا ثُمَّ يَتْبَعُهُ سَائِرُ جَسَدِهِ».. وكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: (بَشِّرِ الْكَنَّازِينَ بِكَيٍّ فِي الْجِبَاهِ وَكَيٍّ فِي الْجُنُوبِ وَكَيٍّ فِي الظُّهُورِ، حَتَّىٰ يَلْتَقِيَ الْحَرُّ فِي أَجْوَافِهِمْ).. وقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: (قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي، حَلْقَةٍ فِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الثِّيَابِ، خَشِنُ الْجَسَدِ، خَشِنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَنَّازِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَىٰ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَىٰ حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ).. وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: (وَالَّذِي لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ، لَا يُكْوَىٰ عَبْدٌ بِكَنْزٍ فَيَمَسُّ دِينَارٌ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمٌ دِرْهَمًا، وَلَكِنْ يُوَسَّعُ جِلْدُهُ فَيُوضَعُ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ عَلَىٰ حِدَتِهِ).

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي قَضَائِهِ الَّذِي قَضَىٰ..

﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ هَذِهِ الشُّهُورُ الِاثْنَا عَشَرَ، مِنْهَا..

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تُعَظِّمُهُنَّ، وَتُحَرِّمُهُنَّ، وَتُحَرِّمُ الْقِتَالَ فِيهِنَّ، حَتَّىٰ لَوْ لَقِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِيهِنَّ قَاتِلَ أَبِيهِ لَمْ يَهِجْهُ، وَهُنَّ: رَجَبُ، وَثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَبِذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَقَدْ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًىٰ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ

اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، أَوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ، بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ، وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ»..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ، وَأَنَّ مِنْهَا أَرْبَعَةً حُرُمًا، هُوَ..

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ دِينُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ، لَا مَا يَفْعَلُهُ النَّسِيءُ مِنْ تَحْلِيلِهِ مَا يُحَلِّلُ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ، وَتَحْرِيمِهِ مَا يُحَرِّمُهُ مِنْهَا..

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ﴾ فَلَا تَعْصُوا اللهَ، وَلَا تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فِيهِنَّ﴾ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ دُونَ الِاثْنَي عَشَرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كِنَايَةً عَنِ الِاثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا لَكَانَ: فَلَا تَظْلِمُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ الْعَشَرَةِ إِذَا كَنَّتْ عَنْهُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ، وَلِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بَقِينَ، وَإِذَا أَخْبَرَتْ عَمَّا فَوْقَ الْعَشَرَةِ إِلَىٰ الْعِشْرِينَ، قَالَتْ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ، وَلِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَضَتْ، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ وَإِخْرَاجِهِ كِنَايَةَ عَدَدِ الشُّهُورِ الَّتِي نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ فِيهِنَّ، مَخْرَجَ عَدَدِ الْجَمْعِ الْقَلِيلِ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ الْعَشَرَةِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ الْهَاءَ وَالنُّونَ مِنْ ذِكْرِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، دُونَ الِاثْنَي عَشَرَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا لَنَا ظُلْمُ أَنْفُسِنَا فِي غَيْرِهِنَّ مِنْ سَائِرِ شُهُورِ السَّنَةِ؟ قِيلَ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ، وَلَكِنَّ اللهَ عَظَّمَ حُرْمَةَ هَؤُلَاءِ الْأَشْهُرِ وَشَرَّفَهُنَّ عَلَىٰ سَائِرِ شُهُورِ السَّنَةِ، فَخَصَّ الذَّنْبَ فِيهِنَّ بِالتَّعْظِيمِ كَمَا خَصَّهُنَّ بِالتَّشْرِيفِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنَا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ كُلِّهَا بِقَوْلِهِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وَلَمْ يُبِحْ تَرْكَ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِنَّ بِأَمْرِهِ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ زَادَهَا تَعْظِيمًا، وَعَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا تَوْكِيدًا، وَفِي تَضْيِيعِهَا تَشْدِيدًا، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾..

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فَتَكْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿كَآفَّةً﴾ جَمِيعًا غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ، مُؤْتَلِفِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ..

﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كَمَا يُقَاتِلُكُمُ الْمُشْرِكُونَ..

﴿كَآفَّةً﴾ جَمِيعًا مُجْتَمِعِينَ غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ أَنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، وَاتَّقَيْتُمُ اللهَ فَأَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ وَلَمْ تُخَالِفُوا أَمْرَهُ فَتَعْصُوهُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ [التوبة: ٣٦] كَانَ اللهُ مَعَكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَعَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ اللهَ مَعَ مَنِ اتَّقَاهُ فَخَافَهُ وَأَطَاعَهُ فِيمَا كَلَّفَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٧﴾ [التوبة: ٣٧].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ﴾ مَا النَّسِيءُ إِلَّا، زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ إِلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ.. وَالنَّسِيءُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَسَأْتَ فِي أَيَّامِكَ، وَنَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِكَ، أَيْ زَادَ اللهُ فِي أَيَّامِ عُمُرِكَ وَمَدَّةِ حَيَاتِكَ حَتَّىٰ تَبْقَىٰ فِيهَا حَيًّا، وَكُلُّ زِيَادَةٍ حَدَثَتْ فِي شَيْءٍ، فَالشَّيْءُ الْحَادِثُ فِيهِ تِلْكَ الزِّيَادَةُ بِسَبَبِ مَا حَدَثَ فِيهِ نَسِيءٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَّبَنِ إِذَا كَثُرَ بِالْمَاءِ نَسِيءٌ، وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ الْحُبْلَىٰ نَسُوءٌ، وَنَسِئَتِ الْمَرْأَةُ؛ لِزِيَادَةِ الْوَلَدِ فِيهَا، وَقِيلَ: نَسَأْتِ النَّاقَةُ وَأَنْسَأْتُهَا: إِذَا زَجَرْتُهَا لِيَزْدَادَ سَيْرُهَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّمَا التَّأْخِيرُ الَّذِي يُؤَخِّرُهُ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنْ شُهُورِ الْحُرُمِ الْأَرْبَعَةِ وَتَصْيِيرِهِمُ الْحَرَامَ مِنْهُنَّ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ مِنْهُنَّ حَرَامًا، زِيَادَةٌ فِي كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ أَحْكَامَ اللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿يُضَلُّ﴾ اللهُ..

﴿بِهِ﴾ بِالنَّسِيءِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهُ وَأَحْدَثُوهُ..

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يُحِلُّونَ الَّذِينَ أَخَّرُوا تَحْرِيمَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْحُرُمِ عَامًا..

﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ لِيُوَافِقُوا بِتَحْلِيلِهِمْ مَا حَلَّلُوا مِنَ الشُّهُورِ وَتَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنْهَا..

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يُوَافِقُونَ بِعِدَّةِ الشُّهُورِ الَّتِي يُحَرِّمُونَهَا عِدَّةَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهَا، وَإِنْ قَدَّمُوا وَأَخَّرُوا فَذَلِكَ مُوَاطَأَةُ عِدَّتِهِمْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ..

﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ﴾ حُسِّنَ وَحُبِّبَ..

﴿لَهُمْ﴾ إِلَيْهِمْ..

﴿سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ وَقَبِيحِهَا، وَمَا خُولِفَ بِهِ أَمْرُ اللهِ وَطَاعَتُهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِمَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ وَحِلِّهَا، وَمَا للهِ فِيهِ رِضًا..

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧] الْجَاحِدِينَ تَوْحِيدَهُ، وَالْمُنْكِرِينَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّهُ يَخْذِلُهُمْ عَنِ الْهُدَىٰ كَمَا خَذَلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عَنِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿مَا لَكُمۡ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَمْرُكُمْ..

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ إِذَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ..

﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخْرُجُوا مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَىٰ مَغْزَاكُمْ.. وَأَصْلُ النَّفْرِ: مُفَارَقَةُ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ لِأَمْرٍ هَاجَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمِنْهُ نُفُورُ الدَّابَّةِ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ..

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ تَثَاقَلْتُمْ إِلَىٰ لُزُومِ أَرْضِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ، وَالْجُلُوسِ فِيهَا.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أَرَضِيتُمْ بِحَظِّ الدُّنْيَا وَالدَّعَةِ فِيهَا عِوَضًا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَمَا عِنْدَ اللهِ لِلْمُتَّقِينَ فِي جِنَانِهِ؟..

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فَمَا الَّذِي يُسْتَمْتَعُ بِهِ الْمُتَمَتِّعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَيْشِهَا وَلَذَّاتِهَا..

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨] فَاطْلُبُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَتَرَفَ الْكَرَامَةِ الَّتِي عِنْدَ اللهِ لِأَوْلِيَائِهِ بِطَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، فِي النَّفِيرِ لِجِهَادِ عَدُوِّهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حَثٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ عَلَىٰ غَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ غَزْوَةُ -رَسُولِ اللهِ ﷺ- تَبُوكَ.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة: ٣٩].

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ، مُتَوَعِّدُهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ

النَّفْرِ إِلَىٰ عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّومِ: إِنْ لَمْ تَنْفِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ مَنِ اسْتَنْفَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ..

﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ يُعَذِّبْكُمُ اللهُ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا بِتَرْكِكُمُ النَّفْرَ إِلَيْهِمْ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُوجِعًا..

﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ اللهُ بِكُمْ نَبِيَّهُ..

﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يَنْفِرُونَ إِذَا اسْتُنْفِرُوا، وَيُجِيبُونَهُ إِذَا دُعُوا، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ وَلَا تَضُرُّوا اللهَ بِتَرْكِكُمُ النَّفِيرَ وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿شَيْئًا﴾ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْكُمْ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ..

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [التوبة: ٣٩] وَاللهُ عَلَىٰ إِهْلَاكِكُمْ وَاسْتِبْدَالِ قَوْمٍ غَيْرِكُمْ بِكُمْ، وَعَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدِيرٌ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلَتْهَا: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].. وَلَا خَبَرَ بِالَّذِي ذَكَرُوا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا حُجَّةَ تَأْتِي بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَقَدْ رَأَىٰ ثُبُوتَ الْحُكْمِ بِذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ سَنَذْكُرُهُمْ بَعْدُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لِخَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، وَيَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَنِ اسْتَنْفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَنْفِرْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ قَوْلُهُ: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، نَهْيًا مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِخْلَاءِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ مُؤْمِنٍ مُقِيمٍ فِيهَا، وَإِعْلَامًا مِنَ اللهِ لَهُمْ أَنَّ الْوَاجِبَ النَّفْرُ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ عَلَىٰ مَنِ اسْتُنْفِرَ مِنْهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُسْتَنْفَرْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي إِحْدَى الْآيَتَيْنِ نَسْخٌ لِلْأُخْرَىٰ، وَكَانَ حُكْمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَاضِيًا فِيمَا عُنِيَتْ بِهِ.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَعَ رَسُولِي إِذَا اسْتَنْفَرَكُمْ فَتَنْصُرُوهُ..

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فَاللهُ نَاصِرُهُ وَمُعِينُهُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ، وَمُغْنِيهِ عَنْكُمْ وَعَنْ مَعُونَتِكُمْ وَنُصْرَتِكُمْ، كَمَا نَصَرَهُ..

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ..

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ أَحَدُ الِاثْنَيْنِ، أَيْ وَاحِدٌ مِنَ الِاثْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ يَعْنِي أَحَدَ الِاثْنَيْنِ، وَثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَرَابِعُ أَرْبَعَةٍ، يَعْنِي: أَحَدَ ثَلَاثَةٍ، وَأَحَدَ الْأَرْبَعَةِ، وَذَلِكَ خِلَافُ قَوْلِهِمْ: هُوَ أَخُو سِتَّةٍ وَغُلَامُ سَبْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْأَخَ وَالْغُلَامَ غَيْرُ السِّتَّةِ وَالسَّبْعَةِ، وَثَالِثُ الثَّلَاثَةِ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا اللَّذَيْنِ خَرَجَا هَارِبَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ؛ إِذْ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاخْتَفَيَا فِي الْغَارِ..

﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ إِذْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْغَارِ، وَالْغَارُ: النَّقْبُ الْعَظِيمُ يَكُونُ فِي الْجَبَلِ..

﴿إِذۡ يَقُولُ﴾ رَسُولُ اللهِ..

﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أَبِي بَكْرٍ..

﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ مِنَ الطَّلَبِ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَكَانِهِمَا، فَجَزِعَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَحْزَنْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ لِأَنَّ اللهَ مَعَنَا، وَاللهُ نَاصِرُنَا، فَلَنْ يَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا، وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْخَوْفِ وَقِلَّةِ الْعَدَدِ، فَكَيْفَ يَخْذُلُهُ وَيُحْوِجُهُ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ كَثَّرَ اللهُ أَنْصَارَهُ، وَعَدَدَ جُنُودِهِ؟..

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ..

﴿عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَقَدْ قِيلَ: عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ..

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ وَقَوَّاهُ..

﴿بِجُنُودٖ﴾ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ أَنْتُمْ..

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَهِيَ كَلِمَةُ الشِّرْكِ..

﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ لِأَنَّهَا قُهِرَتْ وَأُذِلَّتْ، وَأَبْطَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ وَمَحَقَ أَهْلَهَا، وَكُلُّ مَقْهُورٍ وَمَغْلُوبٍ فَهُوَ أَسْفَلُ مِنَ الْغَالِبِ، وَالْغَالِبُ هُوَ الْأَعْلَىٰ..

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ وَدِينُ اللهِ وَتَوْحِيدُهُ وَقَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿هِيَ﴾ كَلِمَتُهُ..

﴿ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ عَلَىٰ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، الْغَالِبَةُ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَنْصُرُهُ مَنْ

عَاقِبَةُ نَاصِرٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ أَصْحَابَ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّهُ الْمُتَوَكِّلُ بِنَصْرِ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ دِينِهِ وَإِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ دُونَهُمْ، أَعَانُوهُ أَوْ لَمْ يُعِينُوهُ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ فِعْلَ ذَلِكَ بِهِ، وَهُوَ مِنَ الْعَدَدِ فِي قِلَّةٍ وَالْعَدُوُّ فِي كَثْرَةٍ، فَكَيْفَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْعَدَدِ فِي كَثْرَةٍ وَالْعَدُوُّ فِي قِلَّةٍ؟.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة: ٤١].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ الْخِفَّةِ الَّتِي عَنَاهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الشَّبَابُ، وَمَعْنَىٰ الثِّقَلِ الشَّيْخُوخَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَشَاغِيلُ وَغَيْرُ مَشَاغِيلَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: انْفِرُوا أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: نِشَاطًا وَغَيْرَ نِشَاطٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: رُكْبَانًا وَمُشَاةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ذَا ضَيْعَةٍ، وَغَيْرَ ذِي ضَيْعَةٍ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفْرِ لِجِهَادِ أَعْدَائِهِ فِي سَبِيلِهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْخِفَافِ كُلُّ مَنْ كَانَ سَهْلًا عَلَيْهِ النَّفْرُ لِقُوَّةِ بَدَنِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ وَصِحَّةِ جِسْمِهِ وَشَبَابِهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا تَيَسُّرٍ بِمَالٍ، وَفَرَاغٍ مِنَ الِاشْتِغَالِ، وَقَادِرًا عَلَىٰ الظَّهْرِ وَالرِّكَابِ، وَيَدْخُلُ فِي الثِّقَالِ كُلُّ مَنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ ضَعِيفِ الْجِسْمِ وَعَلِيلِهِ وَسَقِيمِهِ، وَمِنْ مُعَمَّرٍ مِنَ الْمَالِ، وَمُشْتَغِلٍ بِضَيْعَةٍ، وَمَعَاشٍ، وَمَنْ كَانَ لَا ظَهْرَ لَهُ وَلَا رِكَابَ، وَالشَّيْخُ وَذُو السِّنِّ، وَالْعِيَالِ، فَإِذْ كَانَ قَدْ يَدْخُلُ فِي الْخِفَافِ وَالثِّقَالِ مَنْ وَصَفْنَا مِنْ أَهْلِ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ صِنْفًا دُونَ صِنْفٍ فِي الْكِتَابِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا نَصَبَ عَلَىٰ خُصُوصِهِ دَلِيلًا، وَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ بِالنَّفْرِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ خِفَافًا وَثِقَالًا مَعَ رَسُولِهِ ﷺ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْخِفَّةِ وَالثِّقَلِ..

﴿وَجَاهِدُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ..

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ فَأَنْفِقُوهَا فِي مُجَاهَدَتِهِمْ..

﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ وَبِأَنْفُسِكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ يُخْزِهِمُ اللهُ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عَلَىٰ دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ، حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لَكُمْ فَيَدْخُلُوا فِيهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، أَوْ يُعْطُوكُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ صِغَارًا إِنْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، أَوْ تَقْتُلُوهُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي آمُرُكُمْ بِهِ مِنَ النَّفْرِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ التَّثَاقُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، وَالْخُلُودِ إِلَيْهَا، وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عِوَضًا مِنَ الْآخِرَةِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٤١] إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِحَقِيقَةِ مَا بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ فَضْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ الْقُعُودِ عَنْهُ.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝﴾ [التوبة: ٤٢].

﴿لَوْ كَانَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدِ اسْتَأْذَنُوهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ إِلَىٰ تَبُوكَ فَأَذِنَ لَهُمْ: لَوْ كَانَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْكَ وَالْمُسْتَأْذِنِيكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَىٰ مَغْزَاكَ الَّذِي اسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَيْهِ..

﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غَنِيمَةً حَاضِرَةً..

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وَمَوْضِعًا قَرِيبًا سَهْلًا..

﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ وَنَفَرُوا مَعَكَ إِلَيْهِمَا..

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ وَلَكِنَّكَ اسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَىٰ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ، وَكَلَّفْتَهُمْ سَفَرًا شَاقًّا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّكَ اسْتَنْهَضْتَهُمْ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَزَمَانِ الْقَيْظِ وَحِينَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الْكِنِّ..

﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ وَسَيَحْلِفُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُوكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ اعْتِذَارًا مِنْهُمْ إِلَيْكَ بِالْبَاطِلِ، لِتَقْبَلَ مِنْهُمْ عُذْرَهُمْ، وَتَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ..

﴿بِاللَّهِ﴾ كَاذِبِينَ..

﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ لَوْ أَطَقْنَا الْخُرُوجَ مَعَكُمْ بِوُجُودِ السَّعَةِ وَالْمَرَاكِبِ وَالظُّهُورِ، وَمَا لَا بُدَّ لِلْمُسَافِرِ وَالْغَازِي مِنْهُ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقُوَىٰ..

﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ..

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يُوجِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِحَلِفِهِمْ بِاللهِ كَاذِبِينَ الْهَلَاكَ وَالْعَطَبَ؛ لِأَنَّهُمْ يُوَرِّثُونَهَا سَخَطَ اللهِ وَيُكْسِبُونَهَا أَلِيمَ عِقَابِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝﴾ [التوبة: ٤٢] فِي حَلِفِهِمْ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِلْخُرُوجِ مُطِيقِينَ بِوُجُودِ السَّبِيلِ إِلَىٰ ذَلِكَ بِالَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْغَازِي فِي غَزْوِهِ، وَالْمُسَافِرُ فِي سَفَرِهِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَقُوَى الْأَجْسَامِ.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٣].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَا كَانَ مِنْكَ فِي إِذْنِكَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي اسْتَأْذَنُوكَ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ، وَفِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْلَمَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ..

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ لِأَيِّ شَيْءٍ أَذِنْتَ لَهُمْ.. وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَاتَبَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ فِي إِذْنِهِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ شَخَصَ إِلَىٰ تَبُوكَ لِغَزْوِ الرُّومِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٣] مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ؛ إِذْ قَالُوا لَكَ: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكَ، حَتَّىٰ تَعْرِفَ مَنْ لَهُ الْعُذْرُ مِنْهُمْ فِي تَخَلُّفِهِ، وَمَنْ لَا عُذْرَ لَهُ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ إِذْنُكَ لِمَنْ أَذِنْتَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْكَ بِعُذْرِهِ، وَتَعْلَمَ مَنِ الْكَاذِبُ مِنْهُمُ الْمُتَخَلِّفُ نِفَاقًا وَشَكًّا فِي دِينِ اللهِ.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٤].

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ فِي تَرْكِ الْغَزْوِ وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُنَافِقٌ، لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَأَمَّا الَّذِي يُصَدِّقُ بِاللهِ وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَبِالْبَعْثِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَأْذِنُكَ..

﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ فَلَا تَأْذَنَنَّ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا خَرَجْتَ لِغَزْوِ عَدُوِّكَ لِمَنِ اسْتَأْذَنَكَ فِي التَّخَلُّفِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ خَافَهُ، فَاتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِي غَزْوِ عَدُوِّهِ، وَجِهَادِهِمْ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ ﷺ سِيمَا الْمُنَافِقِينَ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِهِمُ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا

تَخَلُّفَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِاسْتِئْذَانِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي تَرْكِهِمُ الْخُرُوجَ مَعَهُ إِذَا اسْتُنْفِرُوا بِالْمَعَاذِيرِ الْكَاذِبَةِ.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥].

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي التَّخَلُّفِ خِلَافَكَ، وَتَرْكِ الْجِهَادِ مَعَكَ، مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ بَيِّنٍ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ وَلَا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾ وَشَكَّتْ..

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فِي حَقِيقَةِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَفِي ثَوَابِ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَعِقَابِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ..

﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ﴾ فِي شَكِّهِمْ..

﴿يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥] مُتَحَيِّرُونَ، وَفِي ظُلْمَةِ الْحِيرَةِ مُتَرَدِّدُونَ، لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، فَيَعْمَلُونَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦].

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟﴾ وَلَوْ أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ لِجِهَادِ عَدُوِّكَ..

﴿ٱلْخُرُوجَ﴾ مَعَكَ..

﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ لِلْخُرُوجِ..

﴿عُدَّةً﴾ وَلَتَأَهَّبُوا لِلسَّفَرِ وَالْعَدُوِّ أُهْبَتَهُمَا..

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ يَعْنِي: خُرُوجَهُمْ لِذَلِكَ..

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فَثَقَّلَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ حَتَّىٰ اسْتَخَفُّوا الْقُعُودَ فِي مَنَازِلِهِمْ خِلَافَكَ، وَاسْتَثْقَلُوا السَّفَرَ وَالْخُرُوجَ مَعَكَ، فَتَرَكُوا لِذَلِكَ الْخُرُوجَ.. وَكَانَ تَثْبِيطُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، لِعِلْمِهِ بِنِفَاقِهِمْ، وَغِشِّهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ خَرَجُوا مَعَهُمْ ضَرُّوهُمْ وَلَمْ يَنْفَعُوا..

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦] اقْعُدُوا مَعَ الْمَرْضَىٰ، وَالضُّعَفَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ، وَمَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَاتْرُكُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِيكُم﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿مَّا زَادُوكُمْ﴾ لَمْ يَزِيدُوكُمْ بِخُرُوجِهِمْ فِيكُمْ..

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إِلَّا فَسَادًا وَضُرًّا، وَلِذَلِكَ ثَبَّطْتُهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ..

﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ وَلَأَسْرَعُوا بِرَكَائِبِهِمُ السَّيْرَ.. وَأَصْلُهُ مِنْ إِيضَاعِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَهُوَ الْإِسْرَاعُ بِهَا فِي السَّيْرِ، يُقَالُ لِلنَّاقَةِ إِذَا أَسْرَعَتِ السَّيْرَ، وَضَعَتِ النَّاقَةُ، وَأَوْضَعَهَا صَاحِبُهَا: إِذَا جَدَّ بِهَا وَأَسْرَعَ..

﴿خِلَالَكُمْ﴾ بَيْنَكُمْ.. وَأَصْلُ الْخِلَالِ: مِنَ الْخَلَلِ، وَهِيَ الْفُرَجُ، تَكُونُ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي الصُّفُوفِ وَغَيْرِهَا..

﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يَطْلُبُونَ لَكُمْ..

﴿الْفِتْنَةَ﴾ مَا تُفْتَنُونَ بِهِ عَنْ مَخْرَجِكُمْ فِي مَغْزَاكُمْ، بِتَثْبِيطِهِمْ إِيَّاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لِحَدِيثِكُمْ لَهُمْ، يُؤَدُّونَهُ إِلَيْهِمْ، عُيُونٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَفِيكُمْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَيُطِيعُ لَهُمْ، فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ: وَفِيكُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ مِنْكُمْ لَوْ صَحِبُوكُمْ أَفْسَدُوهُمْ عَلَيْكُمْ بِتَثْبِيطِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ السَّيْرِ مَعَكُمْ.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لِحَدِيثِكُمْ لَهُمْ، يُبَلِّغُونَهُ عَنْكُمْ عُيُونٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: سَمَّاعٌ، وَصْفُ مَنْ وُصِفَ بِهِ أَنَّهُ سَمَّاعٌ لِلْكَلَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]، وَاصِفًا بِذَلِكَ قَوْمًا بِسَمَاعِ الْكَذِبِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَأَمَّا إِذَا وَصَفُوا الرَّجُلَ بِسَمَاعِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَبُولِهِ مِنْهُ، وَانْتِهَائِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا تَصِفُهُ بِأَنَّهُ لَهُ سَامِعٌ وَمُطِيعٌ، وَلَا تَكَادُ تَقُولُ: هُوَ لَهُ سَمَّاعٌ مُطِيعٌ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ يُوَجِّهُ أَفْعَالَهُ إِلَىٰ غَيْرِ وُجُوهِهَا وَيَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَمَنْ يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِعُذْرٍ، وَمَنْ يَسْتَأْذِنُهُ شَكًّا فِي الْإِسْلَامِ وَنِفَاقًا، وَمَنْ يَسْمَعُ حَدِيثَ الْمُؤْمِنِينَ لِيُخْبِرَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ يَسْمَعُهُ لِيُسَرَّ بِمَا سَرَّ الْمُؤْمِنِينَ

وَيُسَاءُ بِمَا سَاءَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِ خَلْقِهِ وَعَلَانِيَتِهِمْ.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨].

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ﴾ لَقَدِ الْتَمَسَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ لِأَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْتَمَسُوا صَدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَصُوا عَلَىٰ رَدِّهِمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِالتَّخْذِيلِ عَنْهُ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ هَذَا، كَفِعْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ بِكَ وَبِأَصْحَابِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ انْصَرَفَ عَنْكَ بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ..

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ وَأَجَالُوا فِيكَ، وَفِي إِبْطَالِ الدِّينِ -الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ اللهُ- الرَّأْيَ، بِالتَّخْذِيلِ عَنْكَ، وَإِنْكَارِ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ، وَرَدِّهِ عَلَيْكَ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ حَتَّىٰ جَاءَ نَصْرُ اللهِ..

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَظَهَرَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَافْتَرَضَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿وَهُمْ﴾ وَالْمُنَافِقُونَ..

﴿كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨] لِظُهُورِ أَمْرِ اللهِ وَنَصْرِهِ إِيَّاكَ كَارِهُونَ، وَكَذَلِكَ الْآنَ يُظْهِرُكَ اللهُ وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَهُمْ كَارِهُونَ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ أُقِمْ فَلَا أَشْخَصُ مَعَكَ..

﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ وَلَا تَبْتَلِنِي بِرُؤْيَةِ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ وَبَنَاتِهِمْ، فَإِنِّي بِالنِّسَاءِ مُغْرَمٌ، فَأَخْرُجَ وَآثَمَ بِذَلِكَ..

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَعْظَمُ..

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩] وَإِنَّ النَّارَ لَمُطِيفَةٌ بِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَحَدَ آيَاتِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، مُحْدِقَةٌ بِهِمْ، جَامِعَةٌ لَهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠].

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ سُرُورٌ بِفَتْحِ اللهِ عَلَيْكَ أَرْضَ الرُّومِ فِي غَزَاتِكَ هَذِهِ..

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ يَسُؤِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ بِفُلُولِ جَيْشِكَ..

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ حِذْرَنَا بِتَخَلُّفِنَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَتَرْكِ اتِّبَاعِهِ إِلَىٰ عَدُوِّهِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصِيبَهُ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ..

﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ وَيَرْتَدُّوا عَنْ مُحَمَّدٍ..

﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠] بِمَا أَصَابَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُصِيبَةِ بِفُلُولِ أَصْحَابِهِ وَانْهِزَامِهِمْ عَنْهُ وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ – مُؤَدِّبًا إِيَّاه– لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ..

﴿لَّن يُصِيبَنَا﴾ أَيُّهَا الْمُرْتَابُونَ فِي دِينِهِمْ..

﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَقَضَاهُ عَلَيْنَا..

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ هُوَ نَاصِرُنَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ..

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١] فَإِنَّهُمْ إِنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرْجُوا النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَخَافُوا شَيْئًا غَيْرَهُ، يَكْفِهِمْ أُمُورَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُمْ وَكَادَهُمْ.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة: ٥٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ، وَبَيَّنْتُ لَكَ أَمْرَهُمْ..

﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ هَلْ تَنْتَظِرُونَ..

﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الْخَلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِمَا، إِمَّا ظَفَرًا بِالْعَدُوِّ وَفَتْحًا

لَنَا بِغَلَبَتِنَاهُمْ، فَفِيهَا الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ وَالسَّلَامَةُ، وَإِمَّا قَتْلًا مِنْ عَدُوِّنَا لَنَا، فَفِيهِ الشَّهَادَةُ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَكِلْتَاهُمَا مِمَّا نُحِبُّ، وَلَا نَكْرَهُ..

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ..

﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ﴾ بِعُقُوبَةٍ مِنْ عِنْدِهِ عَاجِلَةً تُهْلِكُكُمْ..

﴿مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ فَنَقْتُلُكُمْ..

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ فَانْتَظِرُوا..

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة: ٥٢] إِنَّا مَعَكُمْ مُنْتَظِرُونَ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِنَا، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنَّا وَمِنْكُم.

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾ [التوبة: ٥٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿أَنفِقُوا۟﴾ كَيْفَ شِئْتُمْ أَمْوَالَكُمْ فِي سَفَرِكُمْ هَذَا وَغَيْرِهِ..

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ وَعَلَىٰ أَيِّ حَالٍ شِئْتُمْ مِنْ حَالِ الطَّوْعِ وَالْكُرْهِ..

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُنْفِقُوهَا لَنْ يَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْكُمْ نَفَقَاتِكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِكُمْ، وَجَهْلٍ مِنْكُمْ بِنُبُوَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَسُوءِ مَعْرِفَةٍ مِنْكُمْ بِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾ [التوبة: ٥٣] خَارِجِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرَبِّكُمْ.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ﴾ وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ الَّتِي يُنْفِقُونَهَا فِي سَفَرِهِمْ مَعَكَ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّبُلِ..

﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ إِلَّا كُفْرُهُمْ..

﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ مُتَثَاقِلِينَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ بِأَدَائِهَا ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ بِتَرْكِهَا عِقَابًا، وَإِنَّمَا يُقِيمُونَهَا مَخَافَةً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِتَرْكِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا أَمِنُوهُمْ لَمْ يُقِيمُوهَا..

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا..

﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤] أَنْ يُنْفِقُونَهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يُنْفِقُونَهُ فِيهِ، مِمَّا فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِمَا أَلْزَمَهُمْ فِيهَا مِنْ فَرَائِضِهِ، بِأَخْذِ الزَّكَاةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهِيَ لَهُمْ عَذَابٌ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرٌ، فَمِنْ عَظِيمِ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِيْنَ إِلْزَامُهُم مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُقُوقِهِ وَفَرَائِضِهِ؛ إِذْ كَانَ يَلْزَمُهُم وَيُؤْخَذُ مِنْهُم وَهُم غَيْرُ طَيِّبِي النَّفْسِ، وَلَا راجين مِنَ اللهِ جَزَاءً، وَلَا مِنَ الْآخِذِ مِنْهُم حَمْدًا وَلَا شُكْرًا، بَل عَلَىٰ ضَجَرٍ مِنْهُم وَكُرْهٍ..

﴿وَتَزْهَقَ﴾ وَتَخْرُجَ..

﴿أَنفُسُهُمْ﴾ فَيَمُوتُوا..

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة: ٥٥] عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦﴾ [التوبة: ٥٦].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَيَحلِفُ بِاللهِ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا خَوْفًا مِنْكُمْ..

﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، فيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ مُكَذِّبًا لَهُمْ..

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكٍّ وَنِفَاقٍ..

﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦﴾ [التوبة: ٥٦] وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَخَافُونَكُمْ، فَهُمْ خَوْفًا مِنْكُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ: إِنَّا مِنْكُمْ؛ لِيَأْمَنُوا فِيكُمْ فَلَا يُقْتَلُوا.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ [التوبة: ٥٧].

﴿لَوْ يَجِدُونَ﴾ لَوْ يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿مَلْجَـًٔا﴾ عَصَرًا يَعْتَصِرُونَ بِهِ مِنْ حِصْنٍ، وَمَعْقِلًا يَعْتَقِلُونَ فِيهِ مِنْكُمْ..

﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وَهِيَ الْغِيرَانُ فِي الْجِبَالِ، وَاحِدَتُهَا: مَغَارَةٌ..

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُونَ فِيهِ..

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ لَأَدْبَرُوا إِلَيْهِ هَرَبًا مِنْكُمْ..

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ [التوبة: ٥٧] وَهُمْ يُسَارِعُونَ فِي مَشْيِهِمْ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ، وَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي قَوْمِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَفِي دُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ تَرْكِ ذَلِكَ وَفِرَاقِهِ، فَصَانَعُوا الْقَوْمَ بِالنِّفَاقِ، وَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِالْكُفْرِ وَدَعْوَى الْإِيمَانِ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ مَا فِيهَا مِنَ الْبُغْضِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَدَاوَةِ لَهُمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ بِمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يَعِيبُكَ فِي أَمْرِهَا، وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ فِيهَا..

﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾ لَيْسَ بِهِمْ فِي عَيْبِهِمْ إِيَّاكَ فِيهَا وَطَعْنِهِمْ عَلَيْكَ بِسَبَبِهَا الدِّينُ، وَلَكِنِ الْغَضَبُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَهُمْ مِنْهَا مَا يُرْضِيهِمْ رَضُوا عَنْكَ..

﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨] سَخِطُوا عَلَيْكَ وَعَابُوكَ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلْمِزُونَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الصَّدَقَاتِ..

﴿رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ رَضُوا مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ عَطَاءٍ وَقَسْمٍ لَهُمْ مَنْ قَسَمَ..

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ وَقَالُوا: كَافِينَا اللهُ..

﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ﴾ سَيُعْطِينَا اللهُ..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنْ فَضْلِ خَزَائِنِهِ..

﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ مِنَ الصَّدَقَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾ [التوبة: ٥٩] وَقَالُوا: إِنَّا إِلَىٰ اللهِ نَرْغَبُ فِي أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ، فَيُغْنِيَنَا عَنِ الصَّدَقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ صِلَاتِ النَّاسِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ.

﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾
[التوبة: ٦٠].

﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ لَا تُنَالُ الصَّدَقَاتُ إِلَّا..

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الفقراءُ في هَذا المَوضِعِ هُوَ ذُو الْفَقْرِ أَوِ الْحَاجَةِ، وَمَعَ حَاجَتِهِ يَتَعَفَّفُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُمْ..

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وَالمِسْكِينُ: هُوَ الْمُحْتَاجُ الْمُتَذَلِّلُ لِلنَّاسِ بِمَسْأَلَتِهِمْ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْفَرِيقَانِ لَمْ يُعْطَيَا إِلَّا بِالفَقْرِ وَالْحَاجَةِ دُونَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمِسْكِينَ إِنَّمَا يُعْطَىٰ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ بِالْفَقْرِ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْمَسْكَنَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ: الذِّلَّةُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، يَعْنِي بِذَلِكَ الْهُونَ وَالذِّلَّةَ، لَا الْفَقْرَ، فَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ صَنَّفَ مَنْ قَسَمَ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ قَسْمًا بِالْفَقْرِ فَجَعَلَهُمْ صِنفَيْنِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ غَيْرُ الْآخَرِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة: ٢٧٣]».. وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ**» عَلَىٰ نَحْوِ مَا قَدْ جَرَىٰ بِهِ اسْتِعْمَالُ النَّاسِ مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ أَهْلَ الْفَقْرِ مَسَاكِينَ، لَا عَلَىٰ تَفْصِيلِ الْمِسْكِينِ مِنَ الْفَقِيرِ، وَمِمَّا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، انْتِزَاعُهُ ﷺ بِقَوْلِ اللهِ: «**اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة: ٢٧٣]»، وَذَلِكَ فِي صِفَةِ مَنِ ابْتَدَأَ اللهُ ذِكْرَهُ وَوَصَفَهُ بِالْفَقْرِ، فَقَالَ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]..

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وَهُمُ السُّعَاةُ فِي قَبْضِهَا مِنْ أَهْلِهَا، وَوَضْعِهَا فِي مُسْتَحِقِّيهَا، يُعْطَوْنَ ذَلِكَ بِالسِّعَايَةِ، أَغْنِيَاءَ كَانُوا أَوْ فُقَرَاءَ.. وَقَدْرُ مَا يُعْطَىٰ الْعَامِلُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ عِمَالَتِهِ وَأَجْرِ مِثْلِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَقْسِمْ صَدَقَةَ الْأَمْوَالِ بَيْنَ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَسْهُمٍ، وَإِنَّمَا عَرَّفَ خَلْقَهُ أَنَّ الصَّدَقَاتِ لَنْ تُجَاوِزَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافَ الثَّمَانِيَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ

مَعْلُومًا أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ مِنْهَا حَقًّا، فَإِنَّمَا يُعْطَىٰ عَلَىٰ قَدْرِ اجْتِهَادِ الْمُعْطِي فِيهِ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَيْهَا إِنَّمَا يُعْطَىٰ عَلَىٰ عَمَلِهِ لَا عَلَىٰ الْحَاجَةِ الَّتِي تَزُولُ بِالْعَطِيَّةِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْ ذَٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ عِوَضٌ مِنْ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ، وَأَنَّ ذَٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ قَدْرٌ يَسْتَحِقُّهُ عِوَضًا مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي لَا يَزُولُ بِالْعَطِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَزُولُ بِالْعَزْلِ..

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قَوْمٌ كَانُوا يُتَأَلَّفُونَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، مِمَّنْ لَمْ تَصِحَّ نُصْرَتُهُ، اسْتِصْلَاحًا بِهِ نَفْسَهُ وَعَشِيرَتَهُ، كَأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَنُظَرَائِهِمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ.. قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: (**لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**).. وَقَالَ الزُّهْرِي: (**مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا**).. فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الصَّدَقَةَ فِي مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: سَدُّ خَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْآخَرُ: مَعُونَةُ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَتُهُ، فَمَا كَانَ فِي مَعُونَةِ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَةِ أَسْبَابِهِ فَإِنَّهُ يُعْطَاهُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْطَاهُ مَنْ يُعْطَاهُ بِالْحَاجَةِ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُعْطَاهُ مَعُونَةً لِلدِّينِ، وَذَٰلِكَ كَمَا يُعْطَىٰ الَّذِي يُعْطَاهُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُعْطَىٰ ذَٰلِكَ غَنِيًّا كَانَ أَوْ فَقِيرًا لِلْغَزْوِ لَا لِسَدِّ خَلَّتِهِ، وَكَذَٰلِكَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ يُعْطَوْنَ ذَٰلِكَ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ، اسْتِصْلَاحًا بِإِعْطَائِهِمُوهُ أَمْرَ الْإِسْلَامِ، وَطَلَبَ تَقْوِيَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَقَدْ أَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَعْطَىٰ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ وَفَشَا الْإِسْلَامُ وَعَزَّ أَهْلُهُ، فَلَا حُجَّةَ لِمُحْتَجٍّ بِأَنْ يَقُولَ: لَا يُتَأَلَّفُ الْيَوْمَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ أَحَدٌ، لِامْتِنَاعِ أَهْلِهِ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ، وَقَدْ أَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَعْطَىٰ مِنْهُمْ فِي الْحَالِ الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ هُمُ الْمُكَاتَبُونَ، يُعْطَوْنَ مِنْهَا فِي فَكِّ رِقَابِهِمْ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الزَّكَاةَ حَقًّا وَاجِبًا عَلَىٰ مَنْ أَوْجَبَهَا عَلَيْهِ فِي مَالِهِ يُخْرِجُهَا مِنْهُ، لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهَا نَفْعٌ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَلَا عِوَضٌ، وَالْمُعْتِقُ رَقَبَةً مِنْهَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَلَاءُ مَنْ أَعْتَقَهُ، وَذَٰلِكَ نَفْعٌ يَعُودُ إِلَيْهِ مِنْهَا..

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَدَانُوا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا قَضَاءً فِي عَيْنٍ وَلَا عَرَضٍ..

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَفِي النَّفَقَةِ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ،وَطَرِيقِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَذَٰلِكَ هُوَ غَزْوُ الْكُفَّارِ..

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هُوَ الْمُسَافِرُ الَّذِي يَجْتَازُ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ، وَالسَّبِيلُ: الطَّرِيقُ، وَقِيلَ لِلضَّارِبِ فِيهِ ابْنُ السَّبِيلِ لِلُزُومِهِ إِيَّاهُ، وَكَذَٰلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ، تُسَمِّي اللَّازِمَ لِلشَّيْءِ يُعْرَفُ بِابْنِهِ..

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قَسْمٌ قَسَمَهُ اللهُ لَهُمْ، فَأَوْجَبَهُ فِي أَمْوَالِ أَهْلِ الْأَمْوَالِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ فِيمَا فَرَضَ لَهُمْ وَفِي غَيْرِ ذَٰلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَعَلَىٰ

عِلْمٍ مِنْهُ فَرَضَ مَا فَرَضَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَبِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، لَا يَدْخُلُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١﴾ [التوبة: ٦١].

﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ جَمَاعَةٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُعِيبُونَهُ..

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ سَامِعَةٌ، يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَقُولُ فَيَقْبَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هُوَ..

﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ لَا أُذُنُ شَرٍّ..

﴿لَّكُمْ﴾ يَسْتَمِعُ الْخَبَرَ وَيُصَدِّقُ بِهِ..

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يُصَدِّقُ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ لَا الْكَافِرِينَ وَلَا الْمُنَافِقِينَ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ ﷺ مُسْتَمِعُ خَيْرٍ، يُصَدِّقُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَهْلَ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ اللهَ اسْتَنْقَذَهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَوْرَثَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ جَنَّاتِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ -الَّذِينَ يَعِيبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أُذُنٌ- وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ مُكَذِّبِيهِ، وَالْقَائِلِينَ فِيهِ الْفُحْشَ مِنَ الْكَلَامِ، وَالْبَاطِلَ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١﴾ [التوبة: ٦١] مِنَ اللهِ، مُوجِعٌ لَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [التوبة: ٦٢].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ يَحْلِفُ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بِاللهِ - لِيُرْضُوكُمْ فِيمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُمْ مِنْ أَذَاهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ، بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ وَالْعَيْبِ لَهُ،

وَمُطَابَقَتِهِمْ سِرًّا أَهْلَ الْكُفْرِ عَلَيْكُمْ- وَالْأَيْمَانِ الْفَاجِرَةِ، أَنَّهُمْ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ لَعَلَىٰ دِينِكُمْ، وَمَعَكُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ رِضَاكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ مِمَّا قَالُوا وَنَطَقُوا..

﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [التوبة: ٦٢] إِنْ كَانُوا مُصَدِّقِينَ بِتَوْحِيدِ اللهِ، مُقِرِّينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ [التوبة: ٦٣].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ لِيُرْضُوهُمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ النِّفَاقِ..

﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أَنَّهُ مِنْ يُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَالِفُهُمَا، فَيُنَاوِئُهُمَا بِالْخِلَافِ عَلَيْهِمَا..

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ لَابِثًا فِيهَا، مُقِيمًا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ [التوبة: ٦٣] فَلُبْثُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَخُلُودُهُ فِيهَا، هُوَ الْهَوَانُ وَالذُّلُّ الْعَظِيمُ.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤﴾ [التوبة: ٦٤].

﴿يَحْذَرُ﴾ يَخْشَىٰ..

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ فِيهِمْ..

﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ تُظْهِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا إِذَا عَابُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذَكَرُوا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: لَعَلَّ اللهَ لَا يُفْشِي سِرَّنَا، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ مُتَهَدِّدًا لَهُمْ مُتَوَعِّدًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤﴾ [التوبة: ٦٤] إِنَّ اللهَ مُظْهِرٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ مَا كُنْتُمْ تَحْذَرُونَ أَنْ تُظْهِرُوهُ، فَأَظْهَرَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَفَضَحَهُمْ، فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تُدْعَىٰ الْفَاضِحَةَ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ عَمَّا قَالُوا مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ..

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ لَكَ..

﴿إِنَّمَا﴾ قُلْنَا ذَلِكَ لَعِبًا، وَ..

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ كُنَّا نَخُوضُ فِي حَدِيثٍ لَعِبًا وَهُزُوًا..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥] قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ: (قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]).

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٦].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ بِالْبَاطِلِ، فَتَقُولُوا: كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ..

﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ قَدْ جَحَدْتُمُ الْحَقَّ بِقَوْلِكُمْ مَا قُلْتُمْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ بِهِ وَإِقْرَارِكُمْ بِهِ..

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ إِنْ تَتُبْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَيَعْفُو اللهُ عَنْهُم..

﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ يُعَذِّبِ اللهُ طَائِفَةً مِنْكُمْ بِتَرْكِ التَّوْبَةِ..

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٦] نُعَذِّبُ طَائِفَةً مِنْهُمْ بِاكْتِسَابِهِمُ الْجُرْمَ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، وَطَعْنِهِمْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ هُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ، وَأَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، فِي إِعْلَانِهِمُ الْإِيمَانَ وَاسْتِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ..

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ يَأْمُرُونَ مَنْ قَبِلَ مِنْهُمْ بِالْمُنْكَرِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَتَكْذِيبِهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ وَيُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَكُفُّونَهَا عَنِ الصَّدَقَةِ، فَيَمْنَعُونَ الَّذِينَ فَرَضَ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مَا فَرَضَ مِنَ الزَّكَاةِ حُقُوقَهُمْ..

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تَرَكُوا اللهَ أَنْ يُطِيعُوهُ وَيَتَّبِعُوا أَمْرَهُ..

﴿فَنَسِيَهُمْۗ﴾ فَتَرَكَهُمُ اللهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ..

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِهِمْ لَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَهُمْ لِلْكُفْرِ مُسْتَبْطِنُونَ..

﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧] هُمُ الْمُفَارِقُونَ طَاعَةَ اللهِ، الْخَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾ [التوبة: ٦٨].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾ بِاللهِ..

﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أَنْ يُصْلِيَهُمُوهَا جَمِيعًا..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَحْيَوْنَ فِيهَا وَلَا يَمُوتُونَ..

﴿هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ هِيَ كَافِيَتُهُمْ عِقَابًا وَثَوَابًا عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ وَأَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَسْحَقَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، يَعْنِي مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ عِنْدَ اللهِ..

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨﴾ [التوبة: ٦٨] دَائِمٌ، لَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٩﴾

[التوبة: ٦٩].

﴿كَالَّذِينَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ: أَبِاللهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ كَالَّذِينَ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ فَعَلُوا فِعْلَكُمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَعَجَّلَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا الْخِزْيَ مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ فِي الْآخِرَةِ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَاحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ..

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ وَبَطْشًا..

﴿وَأَكْثَرَ﴾ مِنْكُمْ..

﴿أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ فَتَمَتَّعُوا بِنَصِيبِهِمْ وَحَظِّهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ، وَرَضُوا بِذَلِكَ مِنْ نَصِيبِهِمْ فِي الدُّنْيَا عِوَضًا مِنْ نَصِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ وَقَدْ سَلَكْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ سَبِيلَهُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ..

﴿بِخَلَٰقِكُمْ﴾ بِدِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ..

﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ﴾ الْأُمَمُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَانُوا..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْتُهُمْ بِخِلَافِهِمْ أَمْرِي..

﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِنَصِيبِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ..

﴿وَخُضْتُمْ﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ كَخَوْضِ تِلْكَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ فِي الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ عَلَى اللهِ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: فَمَهْ؟»..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ فِعْلَ الْهَالِكِينَ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ..

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمْ بَاطِلًا، فَلَا ثَوَابَ لَهَا إِلَّا النَّارُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِيمَا يُسْخِطُ اللهَ وَيَكْرَهُهُ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٩﴾ [التوبة: ٦٩] وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَغْبُونُونَ صِفْقَتُهُمْ بِبَيْعِهِمْ نَعِيمَ الْآخِرَةِ بِخَلَاقِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا الْيَسِيرِ الزَّهِيدِ.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧٠﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ أَلَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿نَبَأُ﴾ خَبَرُ الْأُمَمِ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَانُوا..

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ حِينَ عَصَوْا رُسُلَنَا، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا مَاذَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِنَا؟ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ أُولَئِكَ الْأُمَمُ الَّتِي قَالَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُهُمْ، فَقَالَ..

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أَلَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ خَبَرُ قَوْمِ نُوحٍ وَصَنِيعِي بِهِمْ؛ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولِي نُوحًا وَخَالَفُوا أَمْرِي، أَلَمْ أُغْرِقْهُمْ بِالطُّوفَانِ؟..

﴿وَعَادٍ﴾ وَخَبَرُ عَادٍ، إِذْ عَصَوْا رَسُولِي هُودًا، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ؟..

﴿وَثَمُودَ﴾ وَخَبَرُ ثَمُودَ، إِذْ عَصَوْا رَسُولِي صَالِحًا، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِالرَّجْفَةِ، فَأَتْرُكُهُمْ بِأَفْنِيَتِهِمْ خُمُودًا؟..

﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وَخَبَرُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ عَصَوْهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ، أَلَمْ أَسْلُبْهُمُ النِّعْمَةَ وَأُهْلِكْ مَلِكَهُمْ نُمْرُوذَ؟..

﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ وَخَبَرُ أَصْحَابِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَمْ أُهْلِكْهُمْ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ؛ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولِي شُعَيْبًا؟..

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ﴾ وَخَبَرُ الْمُنْقَلِبَةِ بِهِمْ أَرْضُهُمْ، فَصَارَ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا؛ إِذْ عَصَوْا رَسُولِي

لُوطًا وَكَذَّبُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَفَأَمِنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ، أَنْ يُسْلَكَ بِهِمْ فِي الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَتَعْجِيلِ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، سَبِيلُ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَيَحِلَّ بِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولِي مُحَمَّدًا ﷺ، مَا حَلَّ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَنَا؛ إِذْ أَتَتْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ..

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ﴾ أَتَىٰ كُلَّ قَرْيَةٍ مِنَ الْمُؤْتَفِكَاتِ رَسُولٌ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَتَتْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ رُسُلُهُمْ مِنَ اللهِ..

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فَمَا أَهْلَكَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَمَ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَهْلَكَهَا إِلَّا بِإِجْرَامِهَا وَظُلْمِهَا أَنْفُسَهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا مِنَ اللهِ عَظِيمَ الْعِقَابِ، لَا ظُلْمًا مِنَ اللهِ لَهُمْ وَلَا وَضْعًا مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عُقُوبَةً فِي غَيْرِ مَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ.؛ لِأَنَّ اللهَ حَكِيمٌ، لَا خَلَلَ فِي تَدْبِيرِهِ وَلَا خَطَأَ فِي تَقْدِيرِهِ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠﴾ [التوبة: ٧٠] وَلَكِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ، حَتَّىٰ أَسْخَطُوا عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَعُذِّبُوا.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ وَأَمَّا الْمُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ صِفَتَهُمْ..

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ وَأَعْوَانُهُمْ..

﴿يَأْمُرُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ﴾ وَيُؤَدُّونَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ..

﴿وَيُؤْتُونَ﴾ وَيُعْطُونَ..

﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ أَهْلَهَا..

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ فَيَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّذِينَ..

﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ، لَا أَهْلُ النِّفَاقِ وَالتَّكْذِيبِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، النَّاهُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، الْآمِرُونَ بِالْمُنْكَرِ، الْقَابِضُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ذُو عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَكُفْرِهِ بِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْهُ مَانِعٌ وَلَا يَنْصُرُهُ مِنْهُ نَاصِرٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١] فِي انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ..

﴿جَنَّٰتٖ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي تَحْتَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَبَدًا مُقِيمِينَ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا، وَلَا يَبِيدُ..

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ وَمَنَازِلَ يَسْكُنُونَهَا طَيِّبَةً..

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ وَهَذِهِ الْمَسَاكِنُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ؛ لِأَنَّهَا بَسَاتِينُ خُلْدٍ وَإِقَامَةٍ لَا يَظْعَنُ مِنْهَا أَحَدٌ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهَا جَنَّاتُ عَدْنٍ؛ لِأَنَّهَا دَارُ اللهِ الَّتِي اسْتَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: عَدَنَ فُلَانٌ بِأَرْضِ كَذَا، إِذَا أَقَامَ بِهَا وَخَلَدَ بِهَا، وَمِنْهُ الْمَعْدِنُ، وَيُقَالُ: هُوَ فِي مَعْدِنِ صِدْقٍ، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ فِي أَصْلٍ ثَابِتٍ..

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَرِضَا اللهِ عَنْهُمْ..

﴿أَكۡبَرُۚ﴾ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي وَعَدْتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..

﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ وَالنَّجَاءُ الْجَسِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ ظَفَرُوا بِكَرَامَةِ الْأَبَدِ، وَنَجَوْا مِنَ الْهَوَانِ فِي السَّفَرِ، فَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ..

﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بِجِهَادِهِمْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَبِكُلِّ مَا أَطَاقَ جِهَادَهُمْ بِهِ، بِنَحْوِ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ تَرَكَهُمْ ﷺ مُقِيمِينَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِقِتَالِ مَنْ أَظْهَرَ مِنْهُمْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ، ثُمَّ أَقَامَ عَلَىٰ إِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَأُخِذَ بِهَا، أَنْكَرَهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَإِنَّ حُكْمَ اللهِ فِي كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ، أَنْ يُحْقَنَ بِذَلِكَ لَهُ دَمُهُ وَمَالُهُ وَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا غَيْرَ ذَلِكَ، وَتَوَكَّلَ هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِسَرَائِرِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ الْبَحْثَ عَنِ السَّرَائِرِ، فَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ وَاطِّلَاعِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ ضَمَائِرِهِمْ وَاعْتِقَادِ صُدُورِهِمْ، كَانَ يُقِرُّهُمْ بَيْنَ أَظْهُرِ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَسْلُكُ بِجِهَادِهِمْ مَسْلَكَ جِهَادِ مَنْ قَدْ نَاصَبَهُ الْحَرْبَ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ قَالَ قَوْلًا كَفَرَ فِيهِ بِاللهِ ثُمَّ أُخِذَ بِهِ أَنْكَرَهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ، فَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْخُذُهُ إِلَّا بِمَا أَظْهَرَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ حُضُورِهِ إِيَّاهُ وَعَزْمِهِ عَلَىٰ إِمْضَاءِ الْحُكْمِ فِيهِ، دُونَ مَا سَلَفَ مِنْ قَوْلٍ كَانَ نَطَقَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَدُونَ اعْتِقَادِ ضَمِيرِهِ الَّذِي لَمْ يُبِحِ اللهُ لِأَحَدٍ الْأَخْذَ بِهِ فِي الْحُكْمِ وَتَوَلَّىٰ الْأَخْذَ بِهِ هُوَ دُونَ خَلْقِهِ..

﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وَاشْدُدْ عَلَيْهِمْ بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَالْإِرْهَابِ..

﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ وَمَسَاكِنُهُمْ جَهَنَّمُ وَهِيَ مَثْوَاهُمْ وَمَأْوَاهُمْ..

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣] وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يُصَارُ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤].

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ أَخْبَرَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا عَلَىٰ كَلِمَةِ كُفْرٍ تَكَلَّمُوا بِهَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهَا..

﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ﴾ فَإِنْ يَتُبْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ مِنْ قِيلِهِمُ الَّذِي قَالُوهُ فَرَجَعُوا عَنْهُ..

﴿يَكُ﴾ رُجُوعُهُمْ وَتَوْبَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ مِنَ النِّفَاقِ..

﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ وَإِنْ يُدْبِرُوا عَنِ التَّوْبَةِ فَيَأْبَوْهَا، وَيُصِرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ مُوجِعًا..

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ إِمَّا بِالْقَتْلِ، وَإِمَّا بِعَاجِلِ خِزْيٍ لَهُمْ فِيهَا..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ..

﴿وَمَا لَهُمۡ﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِنْ عَذَّبَهُمُ اللهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يُوَالِيهِ عَلَىٰ مَنْعِهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤] يَنْصُرُهُ مِنَ اللهِ، فَيُنْقِذُهُ مِنْ عِقَابِهِ، وَقَدْ كَانُوا أَهْلَ عِزٍّ وَمَنَعَةٍ بِعَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، يَمْتَنِعُونَ بِهِمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَمْنَعُونَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ، لَا يَمْنَعُونَهُمْ مِنَ اللهِ وَلَا يَنْصُرُونَهُمْ مِنْهُ إِذَا احْتَاجُوا إِلَىٰ نَصْرِهِمْ.

﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [التوبة: ٧٥].

﴿۞ وَمِنۡهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أَعْطَىٰ اللهَ عَهْدًا..

﴿لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾ لَئِنْ أَعْطَانَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَرَزَقَنَا مَالًا، وَوَسَّعَ عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِهِ..

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لَنُخْرِجَنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ الَّذِي رَزَقَنَا رَبُّنَا..

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [التوبة: ٧٥] وَلَنَعْمَلَنَّ فِيهَا بِعَمَلِ أَهْلِ الصَّلَاحِ بِأَمْوَالِهِمْ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ بِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: فَرَزَقَهُمُ اللهُ وَآتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦﴾ [التوبة: ٧٦].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم﴾ اللهُ..

﴿مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ بِفَضْلِ اللهِ الذي آتَاهُمْ، فَلَمْ يَصَّدَّقُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَصِلُوا مِنْهُ قَرَابَةً،

وَلَمْ يُنْفِقُوا مِنْهُ فِي حَقِّ اللهِ..

﴿وَتَوَلَّوا﴾ وَأَدْبَرُوا عَنْ عَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدُوهُ اللهَ..

﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة: ٧٦] عَنْهُ.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ اللهُ..

﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بِبُخْلِهِمْ بِحَقِّ اللهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِخْلَافِهِمُ الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدُوا اللهَ، وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ فِي قُلُوبِهِمْ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧] فِي قِيلِهِمْ، وَحَرَمَهُمُ التَّوْبَةَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اشْتَرَطَ فِي نِفَاقِهِمْ أَنَّهُ أَعْقَبَهُمُوهُ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾، وَذَلِكَ يَوْمُ مَمَاتِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ سِرًّا، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ بِهِمَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمَا جَهْرًا..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ الَّذِي يُسِرُّونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ إِذَا تَنَاجَوْا بَيْنَهُمْ بِالطَّعْنِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذِكْرِهِمْ بِغَيْرِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرُوا بِهِ، فَيَحْذَرُوا مِنَ اللهِ عُقُوبَتَهُ أَنْ يُحِلَّهَا بِهِمْ، وَسَطْوَتَهُ أَنْ يُوقِعَهَا بِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَعَيْبِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَيَنْزِعُوا عَنْ ذَلِكَ وَيَتُوبُوا مِنْهُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَّامُ مَا غَابَ عَنْ أَسْمَاعِ خَلْقِهِ وَأَبْصَارِهِمْ وَحَوَاسِّهِمْ مِمَّا أَكَنَّتْهُ نُفُوسُهُمْ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَىٰ جَوَارِحِهِمُ الظَّاهِرَةِ، فَيَنْهَاهُمْ ذَلِكَ عَنْ خِدَاعِ أَوْلِيَائِهِ بِالنِّفَاقِ وَالْكَذِبِ، وَيَزْجُرُهُمْ عَنْ إِضْمَارِ غَيْرِ مَا يُبْدُونَهُ وَإِظْهَارِ خِلَافَ مَا يَعْتَقِدُونَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ فِي الصَّدَقَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ

وَالْحَاجَةِ، بِمَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَيَطْعَنُونَ فِيهَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّمَا تَصَدَّقُوا بِهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَلَمْ يُرِيدُوا وَجْهَ اللهِ..

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ وَيَلْمِزُونَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ إِلَّا جُهْدَهُمْ، وَذَلِكَ طَاقَتَهُمْ، فَيَنْتَقِصُونَهُمْ وَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ اللهُ عَنْ صَدَقَةِ هَؤُلَاءِ غَنِيًّا، سُخْرِيَةً مِنْهُمْ بِهِمْ..

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قَدْ بَيَّنَّا صِفَةَ سُخْرِيَةِ اللهِ بِمَنْ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا..

﴿وَلَهُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [التوبة: ٧٩] مُوجِعٌ مُؤْلِمٌ.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٨٠﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ادْعُ اللهَ -يَا مُحَمَّد- لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَاتِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ..

﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أَوْ لَا تَدْعُ لَهُمْ بِهَا.. وَهَذَا كَلَامٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَتَأْوِيلُهُ الْخَبَرُ، وَمَعْنَاهُ: إِنِ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَوْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ..

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ إِنْ تَسْأَلْ لَهُمْ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِالْعَفْوِ مِنْهُ لَهُمْ عَنْهَا وَتَرْكِ فَضِيحَتِهِمْ بِهَا، فَلَنْ يَسْتُرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يَعْفُوَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هَذَا الْفِعْلُ مِنَ اللهِ بِهِمْ، وَهُوَ تَرْكُ عَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ..

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٨٠﴾ [التوبة: ٨٠] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ مَنْ آثَرَ الْكُفْرَ بِهِ وَالْخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة: ٨١].

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ فَرِحَ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ عَنِ الْغَزْوِ مَعَ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بِجُلُوسِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ..

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ الْخِلَافِ لِرَسُولِ اللهِ فِي جُلُوسِهِ وَمَقْعَدِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالنَّفْرِ إِلَىٰ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ، فَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَجَلَسُوا فِي مَنَازِلِهِمْ..

﴿وَكَرِهُوٓاْ﴾ وَكَرِهَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ..

﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ أَنْ يَغْزُوا الْكُفَّارَ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ لِيَنْصُرُوهُ، مَيْلًا إِلَىٰ الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ، وَإِيثَارًا لِلرَّاحَةِ عَلَىٰ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، وَشُحًّا بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقُوهُ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَنْفَرَهُمْ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَزْوَةِ -وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ- فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَعَصَىٰ رَسُولَهُ..

﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِنْ هَذَا الْحَرِّ الَّذِي تَتَوَاصَوْنَ بَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَنْفِرُوا فِيهِ، يَقُولُ: الَّذِي هُوَ أَشَدُّ حَرًّا أَحْرَىٰ أَنْ يُحْذَرَ وَيُتَّقَىٰ مِنَ الَّذِي هُوَ أَقَلُّهُمَا أَذًىٰ..

﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة: ٨١] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ وَعْظَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَ كِتَابِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ، فَهُمْ يَحْذَرُونَ مِنَ الْحَرِّ أَقَلَّهُ مَكْرُوهًا وَأَخَفَّهُ أَذًىٰ، وَيُوَافِقُونَ أَشَدَّهُ مَكْرُوهًا وَأَعْظَمَهُ عَلَىٰ مَنْ يَصْلَاهُ بَلَاءً.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨٢].

﴿فَلْيَضْحَكُواْ﴾ فَرِحَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ، فَلْيَضْحَكُوا فَرِحِينَ..

﴿قَلِيلًا﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ، وَلَهْوِهِمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ..

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ فَإِنَّهُمْ سَيَبْكُونَ طَوِيلًا فِي جَهَنَّمَ مَكَانَ ضَحِكِهِمُ الْقَلِيلِ فِي الدُّنْيَا..

﴿جَزَآءَۢ﴾ ثَوَابًا مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ بِتَرْكِهِمُ النَّفْرَ إِذِ اسْتُنْفِرُوا إِلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَقُعُودِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨٢] بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنْ رَدَّكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ..

﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ مَعَكَ فِي أُخْرَىٰ غَيْرِهَا..

﴿فَقُل﴾ لَهُمْ..

﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ وَذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ تَبُوكَ..

﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ [التوبة: ٨٣] الَّذِينَ قَعَدُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّكُمْ مِنْهُمْ، فَاقْتَدُوا بِهَدْيِهِمْ وَاعْمَلُوا مِثْلَ الَّذِي عَمِلُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ سَخِطَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة: ٨٤].

﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ عَلَىٰ أَحَدٍ مَاتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ أَبَدًا..

﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ وَلَا تَتَوَلَّ دَفْنَهُ وَتَقْبِرَهُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَامَ فُلَانٌ بِأَمْرِ فُلَانٍ: إِذَا كَفَاهُ أَمْرَهُ..

﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ إِنَّهُمْ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة: ٨٤] وَمَاتُوا وَهُمْ خَارِجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، مُفَارِقُونَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: جَاءَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ، فَقَالَ: أَعْطِنِي قَمِيصَكَ حَتَّىٰ أُكَفِّنَهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَقَالَ: «إِذَا فَرَغْتُمْ فَآذِنُونِي»، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، جَذَبَهُ عُمَرُ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: «بَلْ خَيَّرَنِي، وَقَالَ ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠]»، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾، فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّىٰ قُمْتُ فِي صَدْرِهِ،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُصَلِّي عَلَىٰ عَدُوِّ اللهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ الْقَائِلِ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، أُعَدِّدُ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَبَسَّمُ، حَتَّىٰ إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، وَقَدْ قِيلَ لِي ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ»، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَمَشَىٰ مَعَهُ، فَقَامَ عَلَىٰ قَبْرِهِ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْهُ، قَالَ عُمَرُ: (أَتَعَجَّبُ لِي وَجُرْأَتِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَوَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فَمَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَىٰ مُنَافِقٍ، وَلَا قَامَ عَلَىٰ قَبْرِهِ حَتَّىٰ قَبَضَهُ اللهُ).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٥].

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أَمْوَالُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ فَتُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِهِمْ إِذَا مَاتَ، وَتَقُومَ عَلَىٰ قَبْرِهِ مِنْ أَجْلِ كَثْرَةِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ..

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فَإِنِّي إِنَّمَا أَعْطَيْتُهُ مَا أَعْطَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ لِأُعَذِّبَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِالْغُمُومِ وَالْهُمُومِ، بِمَا أُلْزِمُهُ فِيهَا مِنَ الْمُؤَنِ وَالنَّفَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَبِمَا يَنُوبُهُ فِيهَا مِنَ الرَّزَايَا وَالْمُصِيبَاتِ..

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ وَلِيَمُوتَ فَتَخْرُجَ نَفْسُهُ مِنْ جَسَدِهِ، فَيُفَارِقَ مَا أَعْطَيْتُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَوَبَالًا عَلَيْهِ حِينَئِذٍ، وَوَبَالًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ بِمَوْتِهِ..

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٥] جَاحِدًا تَوْحِيدَ اللهِ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة: ٨٦].

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سُورَةٌ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، بِـ..

﴿أَنْ﴾ يُقَالَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ صَدِّقُوا بِاللهِ..

﴿وَجَـٰهَدُواْ﴾ اغْزُوا الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَعَ رَسُولِهِ﴾ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ اسْتَأْذَنَكَ ذَوُو الْغِنَىٰ وَالْمَالِ مِنْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ وَالْقُعُودِ فِي أَهْلِهِ..

﴿وَقَالُواْ﴾ لَكَ..

﴿ذَرْنَا﴾ دَعْنَا..

﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ۝٨٦﴾ [التوبة: ٨٦] نَكُنْ مِمَّنْ يَقْعُدُ فِي مَنْزِلِهِ مَعَ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، وَمَرْضَاهُمْ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مَعَكَ فِي السَّفَرِ.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٧].

﴿رَضُواْ﴾ رَضِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، اسْتَأْذَنَكَ أَهْلُ الْغِنَىٰ مِنْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ وَالْخُرُوجِ مَعَكَ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بـ..

﴿بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أَنْ يَكُونُوا فِي مَنَازِلِهِمْ كَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَيْسَ عَلَيْهِنَّ فُرِضَ الْجِهَادُ، فَهُنَّ قُعُودٌ فِي مَنَازِلِهِنَّ وَبُيُوتِهِنَّ..

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَخَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٧] عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.

﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨﴾ [التوبة: ٨٨].

﴿لَـٰكِنِ﴾ لَمْ يُجَاهِدْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ قَصَصَهُمُ الْمُشْرِكِينَ، لَكِنِ..

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿مَعَهُۥ﴾ هُمُ الَّذِينَ..

﴿جَـٰهَدُواْ﴾ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فَأَنْفَقُوا فِي جِهَادِهِمْ أَمْوَالَهُمْ، وَأَتْعَبُوا فِي قِتَالِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَبَذَلُوهَا..

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..

﴿لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ خيراتُ الآخِرَةِ، وَذَلِكَ نِسَاؤُهَا وَجَنَّاتُهَا وَنَعِيمُهَا..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: ٨٨] الْمُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّاتِ الْبَاقُونَ فِيهَا الْفَائِزُونَ بِهَا.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٩].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أَعَدَّ اللهُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ..

﴿تَجْرِي﴾ مِنْ..

﴿تَحْتِهَا﴾ تَحْتِ أَشْجَارِهَا..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَا﴾ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٩] ذَلِكَ النَّجَاءُ الْعَظِيمُ وَالْحَظُّ الْجَزِيلُ.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة: ٩٠].

﴿وَجَآءَ﴾ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ الْمُعْتَذِرُونَ، وَلَكِنِ التَّاءُ لَمَّا جَاوَرَتِ الذَّالَ أُدْغِمَتْ فِيهَا، فَصِيرَتَا ذَالًا مُشَدَّدَةً لِتَقَارُبِ مَخْرَجِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَىٰ، كَمَا قِيلَ: يَذَّكَّرُونَ فِي يَتَذَكَّرُونَ، وَيَذَّكَّرُ فِي يَتَذَكَّرُ..

﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فِي التَّخَلُّفِ..

﴿وَقَعَدَ﴾ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْجِهَادِ مَعَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وَقَالُوا الْكَذِبَ، وَاعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ مِنْهُمْ..

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ سَيُصِيبُ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة: ٩٠].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ لَيْسَ عَلَىٰ أَهْلِ الزَّمَانَةِ وَأَهْلِ الْعَجْزِ عَنِ السَّفَرِ وَالْغَزْوِ..

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ وَلَا عَلَىٰ الْمَرْضَىٰ، وَلَا عَلَىٰ مَنْ لَا

يَجِدُ نَفَقَةً يَتَبَلَّغُ بِهَا إِلَىٰ مَغْزَاهُ..

﴿حَرَجٌ﴾ لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِثْمٌ..

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فِي مَغِيبِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ لَيْسَ عَلَىٰ مَنْ أَحْسَنَ فَنَصَحَ للهِ وَرَسُولِهِ فِي تَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ جِهَادٍ مَعَهُ لِعُذْرٍ يُعْذَرُ بِهِ طَرِيقٌ يُتَطَرَّقُ عَلَيْهِ فَيُعَاقَبَ مِنْ قِبَلِهِ..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ ذُنُوبِ الْمُحْسِنِينَ، يَتَغَمَّدُهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿رَحِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ٩١] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٢].

﴿وَلَا﴾ سَبِيلَ أَيْضًا..

﴿عَلَى﴾ النَّفَرِ..

﴿الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ جَاءُوكَ..

﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يَسْأَلُونَكَ الْحُمْلَانَ لِيَبْلُغُوا إِلَىٰ مَغْزَاهُمْ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قُلْتَ﴾ لَهُمْ..

﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ لا أَجِدُ حَمُولَةً أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهَا..

﴿تَوَلَّوا﴾ أَدْبَرُوا عَنْكَ..

﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ وَهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَزَنٍ..

﴿أَلَّا يَجِدُوا﴾ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لا يَجِدُونَ..

﴿مَا يُنفِقُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٢] وَيَتَحَمَّلُونَ بِهِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٣].

﴿۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ مَا السَّبِيلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْعُذْرِ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنَّهَا..

﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ فِي التَّخَلُّفِ خِلَافَكَ، وَتَرْكِ الْجِهَادِ مَعَكَ..

﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ وَهُمْ أَهْلُ غِنًىٰ وَقُوَّةٍ وَطَاقَةٍ لِلْجِهَادِ وَالْغَزْوِ، نِفَاقًا وَشَكًّا فِي وَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ رَضُوا بِأَنْ يَجْلِسُوا بَعْدَكَ مَعَ النِّسَاءِ، وَهُنَّ الْخَوَالِفُ

خَلْفَ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتْرُكُوا الْغَزْوَ مَعَكَ..

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَخَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٣] سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ بِتَخَلُّفِهِمْ عَنْكَ وَتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ مَعَكَ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَبِيحِ الثَّنَاءِ فِي الدُّنْيَا وَعَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي الْآخِرَةِ

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٤].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، التَّارِكُونَ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِالْأَبَاطِيلِ وَالْكَذِبِ..

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ مِنْ سَفَرِكُمْ وَجِهَادِكُمْ..

﴿قُل﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لَنْ نُصَدِّقَكُمْ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ..

﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾ قَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَأَعْلَمَنَا مِنْ أَمْرِكُمْ مَا قَدْ عَلِمْنَا بِهِ كَذِبَكُمْ..

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ وَسَيَرَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ فِيمَا بَعْدُ عَمَلَكُمْ، أَتَتُوبُونَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَمْ تُقِيمُونَ عَلَيْهِ..

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ..

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ بَوَاطِنُ أُمُورِكُمْ وَظَوَاهِرُهَا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فَيُخْبِرُكُمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٤] بِأَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا سَيِّئِهَا وَحَسَنِهَا، فَيُجَازِيكُمْ بِهَا الْحَسَنُ مِنْهَا بِالْحَسَنِ، وَالسَّيِّئُ مِنْهَا بِالسَّيِّئِ.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝﴾ [التوبة: ٩٥].

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ سَيَحْلِفُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ لَكُمْ، هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فَرِحُوا

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ..

﴿إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إِذَا انْصَرَفْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْوِكُمْ..

﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فَلَا تُؤَنِّبُوهُمْ..

﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فَدَعُوا تَأْنِيبَهُمْ وَخَلُّوهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ..

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ إِنَّهُمْ نَجَسٌ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، وَهِيَ مَسْكَنُهُمُ الَّذِي يَأْوُونَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥﴾ [التوبة: ٩٥] ثَوَابًا بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة: ٩٦].

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ يَحْلِفُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ اعْتِذَارًا بِالْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ..

﴿لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ رَضِيتُمْ عَنْهُمْ وَقَبِلْتُمْ مَعْذِرَتَهُمْ، إِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ صِدْقَهُمْ مِنْ كَذِبِهِمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة: ٩٦] فَإِنَّ رِضَاكُمْ عَنْهُمْ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنْ سَرَائِرِ أَمْرِهِمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَمِنْ خَفِيِّ اعْتِقَادِهِمْ مَا تَجْهَلُونَ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ، يَعْنِي أَنَّهُمُ الْخَارِجُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ بِاللهِ، وَمِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ [التوبة: ٩٧].

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ جُحُودًا لِتَوْحِيدِ اللهِ..

﴿وَنِفَاقًا﴾ وَأَشَدُّ نِفَاقًا مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ لِجَفَائِهِمْ، وَقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقِلَّةِ مُشَاهَدَتِهِمْ لِأَهْلِ الْخَيْرِ، فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْسَى قُلُوبًا، وَأَقَلُّ عِلْمًا بِحُقُوقِ اللهِ..

﴿وَأَجْدَرُ﴾ وَأَخْلَقُ..

﴿أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ هُمْ أَقَلُّ عِلْمًا بِالسُّنَنِ.. قال إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: (جَلَسَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتْ يَدُهُ قَدْ أُصِيبَتْ يَوْمَ نَهَاوَنْدَ،

فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ حَدِيثَكَ لَيُعْجِبُنِي، وَإِنَّ يَدَكَ لَتَرِيبُنِي، فَقَالَ زَيْدٌ: وَمَا يَرِيبُكَ مِنْ يَدِي، إِنَّهَا الشِّمَالُ؟ فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللهِ مَا أَدْرِي الْيَمِينَ يَقْطَعُونَ أَمِ الشِّمَالَ؟ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ: صَدَقَ اللهُ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يَعْلَمُ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَالْمُنَافِقِ مِنْ خَلْقِهِ وَالْكَافِرِ مِنْهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ [التوبة: ٩٧] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَفِي حِلْمِهِ عَنْ عِقَابِهِمْ مَعَ عَلْمِهِ بِسَرَائِرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨﴾ [التوبة: ٩٨].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَعُدُّ نَفَقَتَهُ الَّتِي يُنْفِقُهَا فِي جِهَادِ مُشْرِكٍ، أَوْ فِي مَعُونَةِ مُسْلِمٍ أَوْ فِي بَعْضِ مَا نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ..

﴿مَغْرَمًا﴾ غُرْمًا لَزِمَهُ، لَا يَرْجُو لَهُ ثَوَابًا، وَلَا يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ عِقَابًا..

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ وَيَنْتَظِرُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ أَنْ تَدُورَ بِهَا الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي إِلَىٰ مَكْرُوهٍ وَنَفْيِ مَحْبُوبٍ، وَغَلَبَةِ عَدُوٍّ لَكُمْ..

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ جَعَلَ اللهُ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ، وَنُزُولَ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ، لَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا بِكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِدُعَاءِ الدَّاعِينَ..

﴿عَلِيمٌ ۝٩٨﴾ [التوبة: ٩٨] بِتَدْبِيرِهِمْ وَمَا هُوَ بِهِمْ نَازِلٌ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾

[التوبة: ٩٩].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُصَدِّقُ اللهَ وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ وَيَنْوِي بِمَا يُنْفِقُ مِنْ نَفَقَةٍ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَفِي سَفَرِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الْقُرُبَاتُ: جَمْعُ قُرْبَةٍ، وَهُوَ مَا قَرَّبَهُ مِنْ رِضَا اللهِ وَمَحَبَّتِهِ..

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ وَيَبْتَغِي بِنَفَقَةِ مَا يُنْفِقُ مَعَ طَلَبِ قُرْبَتِهِ مِنَ اللهِ دُعَاءَ الرَّسُولِ وَاسْتِغْفَارَهُ لَهُ..

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ﴾ أَلَا إِنَّ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ قُرْبَةٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَلَا إِنَّ نَفَقَتَهُ الَّتِي يُنْفِقُهَا كَذَلِكَ قُرْبَةٌ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ..

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ﴾ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِيمَنْ رَحِمَهُ، فَأَدْخَلَهُ بِرَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَا اجْتَرَمُوا..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٩] بِهِمْ مَعَ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ وَالَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ أَوَّلًا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الْحُدَيْبِيَةِ، أَوْ أَدْرَكُوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ الَّذِينَ هَاجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ..

﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ وَالَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْهِجْرَةِ، مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، طَلَبَ رِضَا اللهِ..

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ لِمَا أَطَاعُوهُ وَأَجَابُوا نَبِيَّهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، لِمَا أَجْزَلَ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَإِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يَدْخُلُونَهَا..

﴿خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ وَمِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ حَوْلَ مَدِينَتِكُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أَيْضًا أَمْثَالُهُمْ أَقْوَامٌ مُنَافِقُونَ..

﴿مَرَدُوا۟﴾ مَرَنُوا.. وَمِنْهُ قِيلَ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَىٰ رَبِّهِ: أَيْ عَتَا وَمَرَدَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَاعْتَادَهَا..

﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ وَدَرِبُوا بِهِ.. وَقَالَ عبدُ الرحمن بْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ: (أَقَامُوا عَلَيْهِ، لَمْ يَتُوبُوا كَمَا تَابَ الْآخَرُونَ)..

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لَا تَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّا..

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: (فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَكَلَّفُونَ عِلْمَ النَّاسِ، فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ لَا أَدْرِي، لَعَمْرِي أَنْتَ بِنَفْسِكَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِأَعْمَالِ النَّاسِ، وَلَقَدْ تَكَلَّفْتَ شَيْئًا مَا تَكَلَّفَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَكُمْ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢]، وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبٌ عليه السلام: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: ٨٦]، وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾)..

﴿سَنُعَذِّبُهُم﴾ سَنُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ إِحْدَاهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَالْأُخْرَىٰ فِي الْقَبْرِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ فَضِيحَتُهُمْ، فَضَحَهُمُ اللهُ بِكَشْفِ أُمُورِهِمْ وَتَبْيِينِ سَرَائِرِهِمْ لِلنَّاسِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. وقالَ آخرونَ: هي مَا يصيبُ الإنسانَ مِن الخوفِ والجوعِ والقتلِ والسِّباءِ وغيرِ ذلك وعذابِ القبرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَنُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ عَذَابُهُمْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ مَصَائِبَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَالْمَرَّةُ الْأُخْرَىٰ فِي جَهَنَّمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ: الْحُدُودُ، وَالْأُخْرَىٰ: عَذَابُ الْقَبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ: أَخْذُ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَالْأُخْرَىٰ: عَذَابُ الْقَبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ عَذَابُهُمْ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَيْظِ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ مَرَّتَيْنِ، وَلَمْ يَضَعْ لَنَا دَلِيلًا نَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ عِلْمِ صِفَةِ ذَيْنِكَ الْعَذَابَيْنِ؛ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَا ذَكَرْنَا عَنِ الْقَائِلِينَ مَا أَنْبَأْنَا عَنْهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا

عِلْمٌ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، عَلَىٰ أَنَّ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ الْعَذَابَ فِي الْمَرَّتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَالْأَغْلَبُ مِنْ إِحْدَى الْمَرَّتَيْنِ أَنَّهَا فِي الْقَبْرِ..

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ ثُمَّ يُرَدُّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بَعْدَ تَعْذِيبِ اللهِ إِيَّاهُمْ مَرَّتَيْنِ..

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١] وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢].

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقُونَ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ، وَمِنْهُمْ آخَرُونَ..

﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ.. فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُعْتَرِفِينَ بِخَطَأِ فِعْلِهِمْ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ مَعَهُ، وَالْخُرُوجِ لِغَزْوِ الرُّومِ حِينَ شَخَصَ إِلَىٰ تَبُوكَ، وَأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ جَمَاعَةٌ أَحَدُهُمْ أَبُو لُبَابَةَ..

﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ اعْتِرَافُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَتَوْبَتُهُمْ مِنْهَا..

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ غَازِيًا، وَتَرْكُهُمُ الْجِهَادَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَعَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: سَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو صَفْحٍ وَعَفْوٍ لِمَنْ تَابَ عَنْ ذُنُوبِهِ وَسَاتِرٌ لَهُ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢] أَنْ يُعَذِّبَهُ بِهَا.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿خُذْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ مِنْ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَتَابُوا مِنْهَا..

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وَتُنَمِّيهِمْ وَتَرْفَعُهُمْ عَنْ خَسِيسِ مَنَازِلِ أَهْلِ النِّفَاقِ بِهَا، إِلَىٰ مَنَازِلِ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ..

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وَادْعُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ مِنْهَا..

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ إِنَّ دُعَاءَكَ وَاسْتِغْفَارَكَ طُمَأْنِينَةٌ لَهُمْ بِأَنَّ اللهَ قَدْ عَفَا عَنْهُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِدُعَائِكَ إِذَا دَعَوْتَ لَهُمْ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣] بِمَا تَطْلُبُ بِهِمْ بِدُعَائِكَ رَبَّكَ لَهُمْ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوثِقُو أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، الْقَائِلُونَ لَا نُطْلِقُ أَنْفُسَنَا حَتَّىٰ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنَا، السَّائِلُو رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْذَ صَدَقَةِ أَمْوَالِهِمْ، أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ، وَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ أَوْ يَرُدُّهَا.. قَالَ عبدُ الرحمنِ بْنُ زَيْدٍ: (قَالَ الْآخَرُونَ -يَعْنِي: الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ-: هَؤُلَاءِ -يَعْنِي: الَّذِينَ تَابُوا- كَانُوا بِالْأَمْسِ مَعَنَا، لا يُكَلَّمُونَ، وَلا يُجَالَسُونَ، فَمَا لَهُمْ؟! فَقَالَ اللهُ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾)..

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وَيَأْخُذُ صَدَقَةَ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدُّهَا عَلَيْهِ دُونَ مُحَمَّدٍ، فَيُوَجِّهُوا تَوْبَتَهُمْ وَصَدَقَتَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَيَقْصُدُوا بِذَلِكَ قَصْدَ وَجْهِهِ دُونَ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ، وَيُخْلِصُوا التَّوْبَةَ لَهُ وَيُرِيدُوهُ بِصَدَقَتِهِمْ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمْ يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ»، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وَ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ وَيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُرْجِعُ بِعَبِيدِهِ إِلَىٰ الْعَفْوِ عَنْهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤] بِهِمْ إِذَا هُمْ أَنَابُوا إِلَىٰ رِضَاهُ مِنْ عِقَابِهِ.. فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّ قَبُولَ تَوْبَةِ مَنْ تَابَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخْذَ الصَّدَقَةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِذَا أَعْطُوهَا، لَيْسَا إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ نَبِيَّ اللهِ حِينَ أَبَىٰ أَنْ يُطْلِقَ مَنْ رَبَطَ نَفْسَهُ بِالسَّوَارِي مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْغَزْوِ مَعَهُ، وَحِينَ تَرَكَ قَبُولَ صَدَقَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ اللهُ عَنْهُمْ حِينَ أَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَيْهِ ﷺ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ دُونَ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنْ تَرْكٍ وَإِطْلَاقٍ، وَأَخْذِ صَدَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ بِأَمْرِ اللهِ.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا لَكَ بِذُنُوبِهِمْ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَكَ..

﴿ٱعْمَلُواْ﴾ للهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ إِنْ عَمِلْتُمْ..

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ﴾ وَيَرَاهُ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إِلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ سَرَائِرَكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَاطِنِ أُمُورِكُمْ وَظَوَاهِرِهَا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فَيُخْبِرُكُم..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥] وما مِنه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصيةً، فَيُجَازِيكُم علىٰ ذلكَ كلِّه جزاءَكم، المُحسِنَ بِإِحْسَانِه، وَالمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦﴾

[التوبة: ١٠٦].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْكُمْ حِينَ شَخَصْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مُرْجَئُونَ، يُقَالُ مِنْهُ أَرْجَأْتُهُ أُرْجِئُهُ إِرْجَاءً وَهُوَ مُرْجَأٌ، بِالْهَمْزِ وَتَرْكُ الْهَمْزِ، وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَقَدْ قَرَأَتِ الْقُرَّاءُ بِهِمَا جَمِيعًا.. وَقِيلَ: عَنِيَ بِهَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ نَفَرًا مِمَّنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَنَدِمُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَلَمْ يَعْتَذِرُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَقْدِمِهِ، وَلَمْ يُوثِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، فَأَرْجَأَ اللهُ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ أَنْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُمْ، فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ، وَهُمُ الثَّلَاثَةُ - هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ- الَّذِينَ خُلِّفُوا، عَنِ التَّوْبَةِ، غَيْرَ أَبِي لُبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ عُذْرَهُمْ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: هَلَكُوا حِينَ لَمْ يُنْزِلِ اللهُ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَتَقُولُ فِرْقَةٌ أُخْرَىٰ: عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَكَانُوا مُرْجَئِينَ لِأَمْرِ اللهِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ رَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، فَقَالَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [التوبة: ١١٧].. الْآيَةَ، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] الْآيَةَ..

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وَقَضَائِهِ..

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إِمَّا أَنْ يَحْجِزَهُمُ اللهُ عَنِ التَّوْبَةِ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، فَيُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمُ الَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِمَّا يُوَفِّقُهُمْ لِلتَّوْبَةِ، فَيَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ ذُو عِلْمٍ بِأَمْرِهِمْ، وَمَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ، وَالْمُقَامِ عَلَى الذَّنْبِ..

﴿حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٦] فِي تَدْبِيرِهِمْ وَتَدْبِيرِ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

[التوبة: ١٠٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ وَالَّذِينَ ابْتَنَوْا..

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَكُفْرًا﴾ بِاللهِ لِمُحَادَّتِهِمْ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَتَفْرِيقًا﴾ وَيُفَرِّقُوا بِهِ..

﴿بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيُصَلِّيَ فِيهِ بَعْضُهُمْ دُونَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَخْتَلِفُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَيَفْتَرِقُوا..

﴿وَإِرْصَادًا﴾ وَإِعْدَادًا..

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ خَالَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَفَرَ بِهِمَا وَقَاتَلَ رَسُولَ اللهِ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ بِنَائِهِمْ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ..

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ بَانُوهُ..

﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ بِبِنَائِنَا..

﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إِلَّا الرِّفْقَ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمَنْفَعَةَ، وَالتَّوْسِعَةَ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعِلَّةِ وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ فِيهِ، وَتِلْكَ هِيَ الْفَعْلَةُ الْحَسَنَةُ..

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧] فِي حَلِفِهِمْ ذَلِكَ، وَقِيلِهِمْ مَا بَنَيْنَاهُ إِلَّا وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحُسْنَى، وَلَكِنَّهُمْ بَنَوْهُ يُرِيدُونَ بِبِنَائِهِ السُّوأَى، ضِرَارًا لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُفْرًا بِاللهِ، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

﴿لَا تَقُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِيهِ﴾ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَالَ..

﴿أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ ابْتُدِئَ أَسَاسُهُ وَأَصْلُهُ.. وَهُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي فِيهِ مِنْبَرُهُ وَقَبْرُهُ الْيَوْمَ..

﴿عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ابْتُدِئَ فِي بِنَائِهِ..

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ﴾ أَنْتَ..

﴿فِيهِ﴾ مُصَلِّيًا..

﴿فِيهِ﴾ فِي حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ..

﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يُنَظِّفُوا مَقَاعِدَهُمْ بِالْمَاءِ، إِذَا أَتَوْا الْغَائِطَ..

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨] وَاللهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ﴾ أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَسَاجِدَ خَيْرٌ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَكُمْ، الَّذِينَ ابْتَدَءُوا..

﴿بُنْيَانَهُ﴾ بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ..

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ عَلَىٰ اتِّقَاءِ اللهِ بِطَاعَتِهِمْ فِي بِنَائِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ..

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وَرِضًا مِنَ اللهِ لِبِنَائِهِمْ مَا بَنَوْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَفِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوهُ..

﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أَمِ الَّذِينَ ابْتَدَءُوا بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ..

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ عَلَىٰ حَرْفٍ..

﴿جُرُفٍ﴾ الرَّكِيِّ -الْبئر- مَا لَمْ يُبْنَ لَهُ جُولٌ -جدار-..

﴿هَارٍ﴾ مُتَهَوِّرٌ، مُتَصَدِّعٌ.. وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَيُّ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ، وَأَيُّ هَذَيْنِ الْبِنَاءَيْنِ أَثْبَتُ، أَمَّنِ ابْتَدَأَ أَسَاسَ بِنَائِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّ بِنَاءَهُ للهِ طَاعَةٌ، وَاللهُ بِهِ

رَاضٍ، أَمْ مَّنِ ابْتَدَأَهُ بِنِفَاقٍ وَضَلَالٍ، وَعَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْهُ بِصَوَابِ فِعْلِهِ مِنْ خَطَئِهِ، فَهُوَ لَا يَدْرِي، مَتَىٰ يَتَبَيَّنُ لَهُ خَطَأُ فِعْلِهِ وَعَظِيمُ ذَنْبِهِ، فَيَهْدِمَهُ، كَمَا بَانِي الْبِنَاءِ عَلَىٰ جُرُفٍ رَكِيَّةٍ، لَا حَابِسَ لِمَاءِ السُّيُولِ عَنْهَا وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ، ثَرِيَةِ التُّرَابِ مُتَنَاثِرَتِهِ، لَا تُلْبِثُهُ السُّيُولُ وَالنَّدَىٰ أَنْ تَهْدِمَهُ وَتَنْثُرَهُ؟..

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فَانْتَثَرَ الْجُرُفُ الْهَارِي بِبِنَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلرَّشَادِ فِي أَفْعَالِهِ مَنْ كَانَ بَانِيًا بِنَاءَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَمَوْضِعِهِ، وَمَنْ كَانَ مُنَافِقًا مُخَالِفًا بِفِعْلِهِ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

> ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾ [التوبة: ١١٠].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا..

﴿رِيبَةً﴾ شَكًّا وَنِفَاقًا..

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي بِنَائِهِ مُحْسِنِينَ..

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ﴾ إِلَّا أَنْ تَتَصَدَّعَ قُلُوبُهُمْ فَيَمُوتُوا..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضِّرَارِ، مِنْ شَكِّهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَمَا قَصَدُوا فِي بِنَائِهِمْ وَأَرَادُوهُ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي الْحَيَاةِ مَا عَاشُوا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ غَيْرِهِمْ..

﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ [التوبة: ١١٠] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

> ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾
>
> [التوبة: ١١١].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّ اللهَ ابْتَاعَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِهِ..

﴿فِي﴾ كُتُبِهِ الْمُنْزَلَةِ..

﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إِذَا هُمْ وَفَّوا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ أَعْدَاءَهُ، فَقَتَلُوا وَقُتِلُوا..

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ وَفَاءً بِمَا ضَمِنَ وَشَرَطَ مِنَ اللهِ؟.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ فِيمَا عَاهَدُوا..

﴿بِبَيْعِكُمُ﴾ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ بِـ..

﴿ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ..

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١] فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.. وَمَعْنَىٰ التَّائِبِينَ: الرَّاجِعُونَ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيُسْخِطُهُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ..

﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الَّذِينَ ذَلُّوا خَشْيَةً للهِ وَتَوَاضُعًا لَهُ، فَجَدُّوا فِي خِدْمَتِهِ..

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ مَا امْتَحَنَهُمْ بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصَّائِمُونَ..

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يَعْنِي: الْمُصَلِّينَ الرَّاكِعِينَ فِي صَلَاتِهِمُ، السَّاجِدِينَ فِيهَا..

﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْحَقِّ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَاتِّبَاعِ الرُّشْدِ وَالْهُدَىٰ وَالْعَمَلِ..

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَذَلِكَ نَهْيُهُمُ النَّاسَ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ نَهَىٰ اللهُ عِبَادَهُ عَنْهُ..

﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ الْمُؤَدُّونَ فَرَائِضَ اللهِ، الْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الَّذِينَ لَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا أَلْزَمَهُمُ الْعَمَلَ بِهِ وَلَا يَرْتَكِبُونَ شَيْئًا نَهَاهُمْ عَنِ ارْتِكَابِهِ..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢] الْمُصَدِّقِينَ بِمَا وَعَدَهُمُ اللهُ، إِذَا هُمْ وَفَّوا اللهَ بِعَهْدِهِ، أَنَّهُ مُوفٍ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنْ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿مَا كَانَ﴾ يَنْبَغِي..

﴿لِلنَّبِيِّ﴾ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِهِ..

﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ﴾ أَنْ يَدْعُوا بِالْمَغْفِرَةِ..

﴿لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾ وَلَوْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ..

﴿أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَةٍ لَهُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا﴾ مَاتُوا عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣] تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ قَضَىٰ أَنْ لَا يَغْفِرَ لِمُشْرِكٍ فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَفْعَلَ مَا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ.. فَإِنْ قَالُوا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدِ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَلَمْ يَكُنِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ للهِ عَدُوٌّ، خَلَّاهُ وَتَرَكَ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَآثَرَ اللهَ وَأَمْرَهُ عَلَيْهِ، فَتَبَرَّأَ مِنْهُ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهُ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَنَهَاهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ أُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهَا فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لِمَوْتَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ تَأَوَّلَ البعضُ الِاسْتِغْفَارَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الصَّلَاةِ.. وَتَأَوَّلَهُ آخَرُونَ بِمَعْنَىٰ الِاسْتِغْفَارِ الَّذِي هُوَ دُعَاءٌ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الِاسْتِغْفَارِ: مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ غَفْرَ الذُّنُوبِ؛ وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ذَلِكَ قَدْ تَكُونُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا فَاسِدًا؛ لِأَنَّ اللهَ عَمَّ بِالنَّهْيِ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ حَالًا أَبَاحَ فِيهَا الِاسْتِغْفَارَ لَهُ..

﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَوْعِدَةٍ، كَمَا يُقَالُ: مَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا عَنْ سَبَبِ كَذَا، بِمَعْنَىٰ: مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ السَّبَبِ أَوْ مِنْ أَجْلِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ﴾، مِنْ أَجْلِ مَوْعِدَةٍ وَبَعْدَهَا..

﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ بِمَوْتِهِ مُشْرِكًا بِاللهِ..

﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَتَرَكَ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ..

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ لَدَعَّاءٌ لِرَبِّهِ، شَاكٍ لَهُ..

﴿حَلِيمٞ ١١٤﴾ [التوبة: ١١٤] عَمَّنْ سَبَّهُ وَنَالَهُ بِالْمَكْرُوهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَدَ أَبَاهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَدُعَاءِ اللهِ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ، عِنْدَ وَعِيدِ أَبِيهِ إِيَّاهُ وَتَهَدُّدِهِ لَهُ بِالشَّتْمِ بَعْدَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ نَصِيحَتَهُ فِي اللهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦]، فَقَالَ لَهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم: ٤٧-٤٨]، فَوَفَّىٰ لِأَبِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ حَتَّىٰ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ، فَوَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ دَعَّاءٌ لِرَبِّهِ حَلِيمٌ عَمَّنْ سَفِهَ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّأَوُّهِ وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالْمَسْأَلَةُ بِالْحُزْنِ وَالْإِشْفَاقِ؛ قَالَ البعضُ: كان ذلكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ وَجْهِ الرِّقَّةِ عَلَىٰ أَبِيهِ وَالرَّحْمَةِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.. قَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ لِصِحَّةِ يَقِينِهِ وَحُسْنِ مَعْرِفَتِهِ بِعَظَمَةِ اللهِ وَتَوَاضُعِهِ لَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ لِصِحَّةِ إِيمَانِهِ بِرَبِّهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ تَنْزِيلَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عِنْدَ ذِكْرِ رَبِّهِ.. وَكُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَىٰ مَا قُلْتُ، وَتَقَارَبَ مَعْنَىٰ بَعْضِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ الْحَزِينَ الْمُتَضَرِّعَ إِلَىٰ رَبِّهِ الْخَاشِعَ لَهُ بِقَلْبِهِ، يَنُوبُهُ ذَلِكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ وَدُعَائِهِ إِيَّاهُ فِي حَاجَاتِهِ، وَتَعْتَوِرُهُ هَذِهِ الْخِلَالُ الَّتِي وَجَّهَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَيْهَا تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [التوبة: ١١٥].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا﴾ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوْتَاكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ..

﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾ بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الْهِدَايَةَ وَوَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ حَتَّىٰ يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، فَتَتْرُكُونَ الِانْتِهَاءَ عَنْهُ؛ فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، ثُمَّ تَتَعَدَّوْا نَهْيَهُ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ

بِالضَّلَالِ، لِأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ وَلَمْ يُنْهَ،فَغَيْرُ كَائِنٍ مُطِيعًا أَوْ عَاصِيًا فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ وَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ١١٥] إنَّ اللهَ ذُو علمٍ بما خَالطَ أنفسَكُم عندَ نَهيِ اللهِ إيَّاكم عن الاستغفارِ لموتاكمُ المشركينَ، مِنَ الجَزَعِ علىٰ ما سَلفَ منكم من الاستغفارِ لهم قبلَ تَقدُّمِهِ إليكم بالنهيِ عنه، وبغيرِ ذلكَ من سَرائرِ أمورِكم وأمورِ عبادِه وظواهرِها، فبيَّن لكم حِلمَه في ذلكَ عليكم؛ ليَضَعَ عنكم ثِقَل الوَجْدِ بذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾ [التوبة: ١١٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهُمَا، وَكُلُّ مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُلُوكِ فَعَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ، بِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ..

﴿يُحْيِۦ﴾ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ..

﴿وَيُمِيتُ﴾ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، فَلَا تَجْزَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قِتَالِ مَنْ كَفَرَ بِي مِنَ الْمُلُوكِ، مُلُوكِ الرُّومِ كَانُوا أَوْ مُلُوكِ فَارِسٍ وَالْحَبَشَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ، وَاغْزُوهُمْ وَجَاهِدُوهُمْ فِي طَاعَتِي، فَإِنِّي الْمُعِزُّ مَنْ أَشَاءُ مِنْهُمْ وَمِنْكُمْ، وَالْمُذِلُّ مَنْ أَشَاءُ، وَهَذَا حَضٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ قِتَالِ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْمَمَالِيكِ، وَإِغْرَاءٌ مِنْهُ لَهُمْ بِحَرْبِهِمْ..

﴿وَمَا لَكُم﴾ مِنْ أَحَدٍ هُوَ لَكُمْ حَلِيفٌ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يُظَاهِرُكُمْ عَلَيْهِ، إِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ اللهِ فَعَاقَبَكُمْ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾ [التوبة: ١١٦] يَنْصُرُكُمْ مِنْهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا، يَقُولُ: فَبِاللهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْهَبُوا، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ مَنْ كَفَرَ بِهِ، فَإِنَّهُ قَدِ اشْتَرَىٰ مِنْكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ بِأَنَّ لَكُمُ الْجَنَّةَ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ فَتَقْتُلُونَ وَتُقْتَلُونَ.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ لَقَدْ رَزَقَ اللهُ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ دِيَارَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ وَأَنْصَارِ رَسُولِهِ فِي اللهِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ..

﴿فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ مِنْهُمْ، مِنَ النَّفَقَةِ وَالظَّهْرِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ مِنْ بَعْدَ مَا كَادَ يَمِيلُ..

﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَيَشُكُّ فِي دِينِهِ، وَيَرْتَابُ بِالَّذِي نَالَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشِّدَّةِ فِي سَفَرِهِ وَغَزْوِهِ..

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ رَزَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْإِنَابَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِهِ، وَإِبْصَارِ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ قَدْ كَادَ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ..

﴿بِهِمْ﴾ بِالَّذِينَ خَالَطَ قُلُوبَهُمْ ذَلِكَ لِمَا نَالَهُمْ فِي سَفَرِهِمْ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْمَشَقَّةِ..

﴿رَءُوفٌ﴾ بِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧] أَنْ يُهْلِكَهُمْ، فَيَنْزِعَ مِنْهُمُ الْإِيمَانَ بَعْدَ مَا قَدْ أَبْلَوْا فِي اللهِ مَا أَبْلَوْا مَعَ رَسُولِهِ، وَصَبَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[التوبة: ١١٨].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِيمَا قَبْلُ، هُمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٦]، فَتَابَ عَلَيْهِمْ عَزَّ ذِكْرُهُ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا: وَلَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ عَنِ التَّوْبَةِ، فَأَرْجَأَهُمْ عَمَّنْ تَابَ عَلَيْهِ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ...

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ بِسِعَتِهَا، غَمًّا وَنَدَمًا عَلَىٰ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ الْوَجْدِ وَالْكَرْبِ بِذَلِكَ..

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وَأَيْقَنُوا بِقُلُوبِهِمَ..

﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أَنْ لَا شَيْءَ لَهُمْ يَلْجَئُون إِلَيْهِ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ مِنَ الْبَلَاءِ - بِتَخَلُّفِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يُنْجِيهِمْ مِنْ كَرْبِهِ، وَلَا مِمَّا يَحْذَرُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا اللهَ..

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ رَزَقَهُمُ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ..

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ لِيُنِيبُوا إِلَيْهِ وَيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الْوَهَّابُ لِعِبَادِهِ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، الْمُوَفِّقُ مَنْ أَحَبَّ تَوْفِيقَهُ مِنْهُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨﴾ [التوبة: ١١٨] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ، أَوْ يَخْذُلَ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ.. قَالَ الزُّهْرِيُّ: (غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَىٰ الْعَرَبِ بِالشَّامِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ تَبُوكَ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَلَقِيَهُ بِهَا وَفْدُ أَذْرَحَ، وَوَفْدُ أَيْلَةَ، صَالَحَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ، ثُمَّ قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يُجَاوِزْهَا، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] الآيَةَ).. وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا: رَهْطٌ مِنْهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ، وَمُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي وَاقِفٍ، وَكَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فِي بِضْعَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا؛ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، صَدَقَهُ أُولَئِكَ حَدِيثَهُمْ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَكَذَبَ سَائِرُهُمْ، فَحَلَفُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا حَبَسَهُمْ إِلَّا الْعُذْرُ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَبَايَعَهُمْ، وَوَكَّلَهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَقَالَ لَهُمْ حِينَ حَدَّثُوهُ حَدِيثَهُمْ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ: «قَدْ صَدَقْتُمْ فَقُومُوا حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكُمْ» فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ، تَابَ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة: ٩٥- ٩٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُعَرِّفَهُمْ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْخَلَاصِ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنُّبِ حُدُودِهِ..

﴿وَكُونُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ وِلَايَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، تَكُونُوا فِي الْآخِرَةِ..

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] فِي الْجَنَّةِ، يَعْنِي: مَعَ مَنْ صَدَقَ اللهَ الْإِيمَانَ بِهِ، فَحَقَّقَ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فِيهِ، الَّذِينَ يَكْذِبُ قِيلَهُمْ فِعْلُهُمْ، وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فِي الْآخِرَةِ بِاتِّقَاءِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ مَعْنَى الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْمُنَافِقِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ نَافِعُهُ بِأَيِّ وُجُوهِ الْكَوْنِ كَانَ مَعَهُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَامِلًا عَمَلَهُمْ، وَإِذَا عَمِلَ عَمَلَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ مِنْهُمْ كَانَ لَا وَجْهَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وَلِتَوْجِيهِ الْكَلَامِ إِلَى مَا وَجَّهْنَا مِنْ تَأْوِيلِهِ فَسَّرَ ذَلِكَ مَنْ فَسَّرَهُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِأَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: وَكُونُوا مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، أَوْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠].

﴿مَا كَانَ﴾ لَمْ يَكُنْ..

﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سُكَّانِ الْبَوَادِي، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾ فِي أَهَالِيهِمْ وَلَا دَارِهِمْ..

﴿عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فِي صِحْبَتِهِ فِي سَفَرِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَمُعَاوَنَتِهِ عَلَى مَا يُعَانِيهِ فِي غَزْوِهِ ذَلِكَ، يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ وَبِسَبَبِ أَنَّهُمْ..

﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾ فِي سَفَرِهِمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ..

﴿ظَمَأٌ﴾ وَهُوَ الْعَطَشُ..

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وَلَا تَعَبٌ..

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وَلَا مَجَاعَةٌ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَنُصْرَتِهِ، وَهَدْمِ مَنَارِ الْكُفْرِ..

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ وَلَا يَطَئُونَ أَرْضًا..

﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وَطْؤُهُمْ إِيَّاهَا..

﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ وَلَا يُصِيبُونَ..

﴿مِنْ عَدُوٍّ﴾ لِلهِ وَعَدُوِّهِمْ..

﴿نَّيْلًا﴾ شَيْئًا فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ..

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾ بِذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ ثَوَابُ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدِ ارْتَضَاهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠] إِنَّ اللهَ لَا يَدَعُ مُحْسِنًا مِنْ خَلْقِهِ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ فَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ وَيُثِيبَهُ عَلَىٰ صَالِحِ عَمَلِهِ؛ فَلِذَلِكَ كَتَبَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ -مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ- الثَّوَابَ عَلَىٰ كُلِّ مَا فَعَلَ، فَلَمْ يُضَيِّعْ لَهُ أَجْرَ فِعْلِهِ ذَلِكَ.. وَاللهُ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَةِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٠]..الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَلَا لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا خِلَافَهُ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ نَدَبَ فِي غَزْوَتِهِ تِلْكَ كُلَّ مِنْ أَطَاقَ النُّهُوضَ مَعَهُ إِلَىٰ الشُّخُوصِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ أَوْ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بَعْدَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الشُّخُوصِ التَّخَلُّفُ، فَعَدَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ، فَأَظْهَرَ نِفَاقَ مَنْ كَانَ تُخَلُّفُهُ مِنْهُمْ نِفَاقًا، وَعَذَرَ مَنْ كَانَ تُخَلُّفُهُ لِعُذْرٍ، وَتَابَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ تُخَلُّفُهُ تَفْرِيطًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ فِي أَمْرِ اللهِ، فَأَمَّا التَّخَلُّفُ عَنْهُ فِي حَالِ اسْتِغْنَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ كَرَاهَتِهِ مِنْهُ ﷺ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ إِزَاءَ إِمَامِهِمْ، فَلَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَىٰ جَمِيعِهِمُ النُّهُوضُ مَعَهُ، إِلَّا فِي حَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ لِمَا لَا بُدَّ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ حُضُورِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَاسْتِنْهَاضِهِ إِيَّاهُمْ، فَيَلْزَمُهُمْ حِينَئِذٍ طَاعَتُهُ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢١﴾ [التوبة: ١٢١].

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وَسَائِرُ مَا ذَكَرَ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ﴾ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوِهِ..

﴿وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أَجْرَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جَزَاءً لَهُمْ عَلَيْهِ كَـ..

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢١] أَحْسَنِ مَا يَجْزِيهِمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةَ: (مَا ازْدَادَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ بُعْدًا إِلَّا ازْدَادُوا مِنَ اللهِ قُرْبًا).

﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

﴿۞ وَمَا كَانَ﴾ وَلَمْ يَكُنْ..

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ جَمِيعًا وَيَتْرُكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ.. فَإِنَّ اللهَ نَهَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنْ يَخْرُجُوا فِي غَزْوٍ وَجِهَادٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَيَدَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحِيدًا..

﴿فَلَوْلَا﴾ وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ إِذَا سَرَىٰ رَسُولُ اللهِ سَرِيَّةً..

﴿نَفَرَ﴾ أَنْ يَنْفِرَ مَعَهَا..

﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ طَائِفَةٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا الْقَوْلَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ حَظَرَ التَّخَلُّفَ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنَ الْأَعْرَابِ، لِغَيْرِ عُذْرٍ يُعْذَرُونَ بِهِ، إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ لِغَزْوٍ وَجِهَادِ عَدُوٍّ، قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ -إِذْ كَانَ قَدْ عَرَّفَهُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا اللَّازِمَ لَهُمْ: مِنْ فَرْضِ النَّفْرِ، وَالْمُبَاحَ لَهُمْ مِنْ تَرْكِهِ فِي حَالِ غَزْوِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَشُخُوصِهِ عَنْ مَدِينَتِهِ لِجِهَادِ عَدُوٍّ، وَأَعْلَمَهُمْ: أَنَّهُ لَا يَسَعُهُمُ التَّخَلُّفُ خِلَافَهُ إِلَّا لِعُذْرٍ، بَعْدَ اسْتِنْهَاضِهِ بَعْضَهُمْ وَتَخْلِيفِهِ بَعْضَهُمْ- أَنْ يَكُونَ عَقِيبَ تَعْرِيفِهِمْ ذَلِكَ تَعْرِيفُهُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مُقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَدِينَتِهِ، وَإِشْخَاصِ غَيْرِهِ عَنْهَا، كَمَا كَانَ الِابْتِدَاءُ بِتَعْرِيفِهِمُ الْوَاجِبَ عِنْدَ شُخُوصِهِ وَتَخْلِيفِهِ بَعْضَهُمْ..

﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ لِيَتَفَقَّهَ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ..

﴿فِي الدِّينِ﴾ بِمَا تُعَايِنُ مِنْ نَصْرِ اللهِ أَهْلَ دِينِهِ وَأَصْحَابَ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَهْلِ عَدَاوَتِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ،

فَيَفْقَهُ بِذَلِكَ مِنْ مُعَايَنَتِهِ حَقِيقَةَ عِلْمِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِهَهُ..

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ فَيُحَذِّرُوهُمْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ بِمَنْ شَاهَدُوا وَعَايَنُوا مِمَّنْ ظَفِرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ..

﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ إِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْوِهِمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢] لَعَلَّ قَوْمَهُمْ إِذَا هُمْ حَذَّرُوهُمْ مَا عَايَنُوا مِنْ ذَلِكَ يَحْذَرُونَ، فَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، حَذَرًا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِالَّذِينَ أُخْبِرُوا خَبَرَهُمْ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ النَّفْرَ إِذَا كَانَ مُطْلَقًا بِغَيْرِ صِلَةٍ بِشَيْءٍ، أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ فِي الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنَ الْمَعَانِي فِيهِ، وَكَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، عُلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ إِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ لِلنَّفْرِ لَا لِغَيْرِهِ، إِذْ كَانَ يَلِيهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: لِيَتَفَقَّهَ الْمُتَخَلِّفُونَ فِي الدِّينِ؟ قِيلَ: نُنْكِرُ ذَلِكَ لِاسْتِحَالَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَفْرَ الطَّائِفَةِ النَّافِرَةِ لَوْ كَانَ سَبَبًا لِتَفَقُّهِ الْمُتَخَلِّفَةِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُقَامُهَا مَعَهُمْ سَبَبًا لِجَهْلِهِمْ وَتَرْكِ التَّفَقُّهِ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُقَامَهُمْ -لَوْ أَقَامُوا وَلَمْ يَنْفِرُوا- لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لِمَنْعِهِمْ مِنَ التَّفَقُّهِ.. وَبَعْدُ، فَإِنَّهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ عَطْفًا بِهِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ لَمْ تَنْفِرْ إِلَّا وَالْإِنْذَارُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ اللهِ إِلَيْهَا، وَلِلْإِنْذَارِ وَخَوْفِ الْوَعِيدِ نَفَرَتْ، فَمَا وَجْهُ إِنْذَارِ الطَّائِفَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ، وَقَدْ تَسَاوَتَا فِي الْمَعْرِفَةِ بِإِنْذَارِ اللهِ إِيَّاهُمَا؟ وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا جَائِزَةٌ أَنْ تُوصَفَ بِإِنْذَارِ الْأُخْرَى، لَكَانَ أَحَقَّهُمَا بِأَنْ يُوصَفَ بِهِ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ؛ لِأَنَّهَا قَدْ عَايَنَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَنُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مَا لَمْ تُعَايِنِ الْمُقِيمَةُ، وَلَكِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ كَمَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّهَا تُنْذِرُ مِنْ حَيِّهَا وَقَبِيلَتِهَا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ، إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ، أَنْ يَنْزِلَ بِهِ مَا أُنْزِلَ بِمَنْ عَايَنَتْهُ، مِمَّنْ أَظْفَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ نُظَرَائِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة: ١٢٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ قَاتِلُوا مَنْ وَلِيَكُمْ..

﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ دُونَ مَنْ هو أَبْعَدُ مِنْهُمْ، يَقُولُ لَهُمْ: ابْدَءُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إِلَيْكُمْ

دَارًا، دُونَ الْأَبْعَدِ فَالْأَبْعَدِ، وَكَانَ الَّذِي يَلُونَ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَوْمَئِذٍ الرُّومُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا سُكَّانَ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ، وَالشَّامُ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْعِرَاقِ، فَأَمَّا بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْبِلَادَ، فَإِنَّ الْفَرْضَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ نَاحِيَةٍ قِتَالُ مَنْ وَلِيَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُونَ الْأَبْعَدِ مِنْهُمْ، مَا لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ نَوَاحِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، فَإِنِ اضْطُرُّوا إِلَيْهِمْ لَزِمَهُم عَوْنُهُمْ وَنَصْرُهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ..

﴿وَلْيَجِدُوا﴾ وَلْيَجِدْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ تُقَاتِلُونَهُمْ..

﴿فِيكُمْ﴾ مِنْكُمْ..

﴿غِلْظَةً﴾ شِدَّةً عَلَيْهِمْ..

﴿وَاعْلَمُوا﴾ وَأَيْقِنُوا عِنْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ..

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝١٢٣﴾ [التوبة: ١٢٣] أَنَّ اللهَ مَعَكُمْ وَهُوَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِنِ اتَّقَيْتُمُ اللهَ وَخِفْتُمُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُ مَنِ اتَّقَاهُ وَمُعِينُهُ.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ﴾ وَإِذَا أَنْزَلَ اللهُ..

﴿سُورَةٌ﴾ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿فَمِنْهُم﴾ فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مَّن يَقُولُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ تَصْدِيقًا بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ..

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَقُولُ اللهُ: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ..

﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السُّورَةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ..

﴿إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤] وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ الْإِيمَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ؟ قِيلَ: بَلَى. فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ زَادَتْهُمُ السُّورَةُ تَصْدِيقًا وَإِقْرَارًا؟ قِيلَ: زَادَتْهُمْ إِيمَانًا حِينَ نَزَلَتْ؛ لِأَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ السُّورَةُ لَمْ يَكُنْ لَزِمَهُمْ فَرْضُ الْإِقْرَارِ بِهَا وَالْعَمَلُ بِهَا بِعَيْنِهَا، إِلَّا فِي جُمْلَةِ إِيمَانِهِمْ بِأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَحَقٌّ؛ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ، لَزِمَهُمْ فَرْضُ الْإِقْرَارِ بِأَنَّهَا بِعَيْنِهَا

مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ فَرْضُ الْإِيمَانِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامِ اللهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الزِّيَادَةَ الَّتِي زَادَهَمْ نُزُولُ السُّورَةِ حِينَ نَزَلَتْ، مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهَا.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفَاقٌ وَشَكٌّ فِي دِينِ اللهِ..

﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السُّورَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ..

﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَكُّوا فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَمْ يُصَدِّقُوا، فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةَ شَكٍّ حادثةً فِي تَنْزِيلِ اللهِ، لَزِمَهُمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَوَجَبَ عَلَيهم فرضُ العمل بِهِ، فَلَم يُصَدِّقوا بِهِ، وَلم يُوقِنُوا بِوُجُوبِ فَرْضِ الإيمانِ بِهِ عَلَيْهِم، بَلْ ارْتَابُوا بِذَلِكَ، فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةُ نَتْنٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ إِلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ نَظِيرِهِ مِنَ النَّتْنِ وَالنِّفَاقِ..

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥] بِاللهِ وَآيَاتِهِ.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أَوَلَا يَرَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضُ النِّفَاقِ، عَلَىٰ وَجْهِ التَّوْبِيخِ مِنَ اللهِ لَهُمْ..

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ أَنَّ اللهَ يَخْتَبِرُهُمْ..

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ مَرَّةً، وَفِي بَعْضِهَا مَرَّتَيْنِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يُفْتَنُونَ بِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ اخْتِبَارُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِالْقَحْطِ وَالشِّدَّةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ بِمَا يَشِيعُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَيَفْتَتِنَ بِذَلِكَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَجَّبَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَوَبَّخَ الْمُنَافِقِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِقِلَّةِ تَذَكُّرِهِمْ وَسُوءِ تَنَبُّهِهِمْ لِمَوَاعِظِ اللهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَوَاعِظُ الشَّدَائِدَ الَّتِي يُنْزِلُهَا بِهِمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْقَحْطِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يُرِيهِمْ مِنْ نُصْرَةِ رَسُولِهِ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَيَرْزُقُهُ مِنْ إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ عَلَىٰ كَلِمَتِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يَظْهَرُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ

نِفَاقِهِمْ وَخُبْثِ سَرَائِرِهِمْ بِرُكُونِهِمْ إِلَىٰ مَا يَسْمَعُونَ مِنْ أَرَاجِيفِ الْمُشْرِكِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَلَا خَبَرَ يُوجِبُ صِحَّةَ بَعْضٍ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ قَوْلِ اللهِ، وَهُوَ: أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِمَا يَكُونُ زَاجِرًا لَهُمْ، ثُمَّ لَا يَنْزَجِرُونَ وَلَا يَتَّعِظُونَ..

﴿ثُمَّ﴾ هُمْ مَعَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ اللهِ، وَالِاخْتِبَارِ الَّذِي يَعْرِضُ لَهُمْ..

﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَلَا يَتُوبُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ..

﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [التوبة: ١٢٦] وَلَا هُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ حُجَجِ اللهِ، وَيُعَايِنُونَ مِنْ آيَاتِهِ، فَيَتَّعِظُوا بِهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ مُصِرُّونَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا عَيْبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ فَتَنَاظَرُوا..

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إِنْ تَكَلَّمْتُمْ أَوْ تَنَاجَيْتُمْ بِمَعَايِبِ الْقَوْمِ يُخْبِرُهُمْ بِهِ..

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَسْتَمِعُوا قِرَاءَةَ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا مَعَايِبُهُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَوْلَهُ..

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ﴾ عَنِ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿قُلُوبَهُم﴾ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ؛ ذَلِكَ..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧] فَعَلَ اللهُ بِهِمْ هَذَا الْخِذْلَانَ، وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ، اسْتِكْبَارًا وَنِفَاقًا.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿رَسُولٌ﴾ رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ..

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تَعْرِفُونَهُ، لَا مِنْ غَيْرِكُمْ فَتَتَّهِمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي النَّصِيحَةِ لَكُمْ..

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وَهُوَ دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ وَالْمَكْرُوهِ وَالْأَذَىٰ..

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حَرِيصٌ عَلَىٰ هُدىٰ ضُلَّالِكُمْ، وَتَوْبَتِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، فَعَمَّ بِالْخَبَرِ عَنْ نَبِيِّ اللهِ أَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنَتَ قَوْمُهُ، وَلَمْ يُخَصِّصْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، فَكَانَ ﷺ كَمَا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ عَزِيزًا عَلَيْهِ عَنَتُ جَمِيعِهِمْ..

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ رفيق..

﴿رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [الأنفال: ١٢٨] فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ ﷺ بِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ عَنَتُ جَمِيعِهِمْ وَهُوَ يَقْتُلُ كُفَّارَهُمْ، وَيَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، وَيَسْلُبُهُمْ أَمْوَالَهُمْ؟ قِيلَ: إِنَّ إِسْلَامَهُمْ لَوْ كَانُوا أَسْلَمُوا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ إِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ يَسْتَحِقُّوا ذَلِكَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتُوا مَا يُعْنِتُهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنْ يَضِلُّوا فَيَسْتَوجِبُوا الْعَنَتَ مِنَ اللهِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ.

> ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾
> [التوبة: ١٢٩].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جِئْتَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ قَوْمِكَ، فَأَدْبَرُوا عَنْكَ وَلَمْ يَقْبَلُوا مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي اللهِ وَمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النُّورِ وَالْهُدَىٰ..

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ يَكْفِينِي رَبِّي..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ سِوَاهُ..

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وَبِهِ وَثِقْتُ، وَعَلَىٰ عَوْنِهِ اتَّكَلْتُ، وَإِلَيْهِ وَإِلَىٰ نَصْرِهِ اسْتَنَدْتُ، فَإِنَّهُ نَاصِرِي وَمُعِينِي عَلَىٰ مَنْ خَالَفَنِي وَتَوَلَّىٰ عَنِّي مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩] الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ مَا دُونَهُ، وَالْمُلُوكُ كُلُّهُمْ مَمَالِيكُهُ وَعَبِيدُهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِوَصْفِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْخَبَرَ عَنْ جَمِيعِ مَا دُونَهُ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَفِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمُلُوكِ، فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ذُو الْعَرْشِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ مَنْ دُونَه فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ جَارٍ عَلَيْهِ حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ.. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ

سُورَةُ يُونُسَ (١٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَمِائَةٌ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا يُونُسُ ﷺ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١].

﴿الٓر﴾ وَالرَّحْمَنُ..

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ﴾ أَعْلَامُ..

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْقُرْآنِ، وَالْكِتَابُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ..

﴿ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١] الْمُحْكَمُ، كَمَا قِيلَ عَذَابٌ أَلِيمٌ، بِمَعْنَىٰ مُؤْلِمٌ، فَمَعْنَاهُ: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ الَّذِي أَحْكَمَهُ اللهُ وَبَيَّنَهُ لِعِبَادِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ②﴾ [يونس: ٢].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ أَوْحَىٰ مِنْ قَبْلِهِ إِلَىٰ مِثْلِهِ مِنَ الْبَشَرِ، فَتَعَجَّبُوا، مِنْ وَحِينَا الْقُرْآنَ..

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِإِنْذَارِهِمْ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَأَنْ بَشِّرْ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا بِمَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا مِنْهُ الثَّوَابَ..

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قَالَ الْمُنْكِرُونَ تَوْحِيدَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ، لَمَّا بَشَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْوَحْيَ..

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ..

﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ٢] لَسِحْرٌ مُبِينٌ؛ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَنْهُ أَنَّهُ مُبْطِلٌ فِيمَا يَدَّعِيهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ..

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وَانْفَرَدَ بِخَلْقِهَا بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا ظَهِيرٍ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ مُدَبِّرًا لِلْأُمُورِ وَقَاضِيًا فِي خَلْقِهِ مَا أَحَبَّ، لَا يُضَادُّهُ فِي قَضَائِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَقَّبُ تَدْبِيرَهُ مُتَعَقِّبٌ، وَلَا يَدْخُلُ أُمُورَهُ خَلَلٌ..

﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَحَدٍ..

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ فِيهِ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ سَيِّدُكُمْ وَمَوْلَاكُمْ، لَا مَنْ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يُدَبِّرُ، وَلَا يَقْضِي مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ فَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ، بِالذِّلَّةِ مِنْكُمْ لَهُ دُونَ أَوْثَانِكُمْ، وَسَائِرِ مَا تُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣] أَفَلَا تَتَّعِظُونَ وَتَعْتَبِرُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ، فَتُنِيبُونَ إِلَىٰ الْإِذْعَانِ بِتَوْحِيدِ رَبِّكُمْ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَتَخْلَعُونَ الْأَنْدَادَ، وَتَبَرَّءُونَ مِنْهَا.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ [يونس: ٤].

﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ رَبِّكُمُ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الْآيَةِ قَبْلَ هَذِهِ..

﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ﴾ مَعَادُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ يَعِدُكُمُ اللهُ أَنْ يُحْيِيَكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ وَعْدًا حَقًّا..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ..

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ يَبْدَأُ إِنْشَاءَ الْخَلْقِ وَإِحْدَاثَهُ وَإِيجَادَهُ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فَيُوجِدُهُ حَيًّا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ ابْتَدَأَهُ بَعْدَ فَنَائِهِ وَبَلَائِهِ..

﴿لِيَجْزِيَ﴾ لِيُثِيبَ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ الْحَسَنِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا الْحَسَنَ مِنَ الثَّوَابِ وَالصَّالِحَ مِنَ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقِسْطُ، وَالْقِسْطُ الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ..

﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ فِي جَهَنَّمَ..

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وَذَلِكَ شَرَابٌ قَدْ أُغْلِيَ، وَاشْتَدَّ حَرُّهُ، حَتَّىٰ أَنَّهُ فِيمَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَيَتَسَاقَطُ مِنْ أَحَدِهِمْ حِينَ يُدْنِيهِ مِنْهُ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، وَكَمَا وَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]..

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُوجِعٌ سِوَىٰ الشَّرَابِ مِنَ الْحَمِيمِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ [يونس: ٤] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

﴿هُوَ﴾ رَبُّكُمُ اللهُ..

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ بِالنَّهَارِ..

﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ بِاللَّيْلِ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: هُوَ الَّذِي أَضَاءَ الشَّمْسَ وَأَنَارَ الْقَمَرَ..

﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ قَضَاهُ فَسَوَّاهُ..

﴿مَنَازِلَ﴾ لَا يُجَاوِزُهَا، وَلَا يَقْصُرُ دُونَهَا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا.. وَقَالَ: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ فَوَحَّدَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ لِلْقَمَرِ خَاصَّةً، لِأَنَّ بِالْأَهِلَّةِ يُعْرَفُ انْقِضَاءُ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ لَا بِالشَّمْسِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ اكْتَفَىٰ بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]..

﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾ وَقَدَّرَ ذَلِكَ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ دُخُولَ مَا يَدْخُلُ مِنْهَا، وَانْقِضَاءَ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا..

﴿وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ وَحِسَابَ أَوْقَاتِ السِّنِينَ، وَعَدَدَ أَيَّامِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ أَيَّامِهَا..

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَمَنَازِلَهُمَا..

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ وَحْدِي بِغَيْرِ عَوْنٍ وَلَا شَرِيكٍ..

﴿يُفَصِّلُ﴾ يُبَيِّنُ..

﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ..

﴿لِقَوۡمٖ﴾ إِذَا تَدَبَّرُوهَا..

﴿يَعۡلَمُونَ ٥﴾ [يونس: ٥] حَقِيقَةَ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَصِحَّةَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ.

> ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس: ٦].

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهًا عِبَادَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَا دُونَهُ: إِنَّ فِي اعْتِقَابِ اللَّيْلِ النَّهَارَ، وَاعْتِقَابِ النَّهَارِ اللَّيْلَ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا..

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وَفِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ، مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ لَهَا صَانِعًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..

﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لَأَدِلَّةً وَحُجَجًا وَأَعْلَامًا وَاضِحَةً..

﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس: ٦] اللهَ، فَيَخَافُونَ وَعِيدَهُ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَا دَلَالَةَ فِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَىٰ صَانِعِهِ إِلَّا لِمَنِ اتَّقَى اللهَ؟ قِيلَ: فِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صَانِعِهِ لِكُلِّ مَنْ صَحَّتْ فِطْرَتُهُ، وَبَرِئَ مِنَ الْعَاهَاتِ قَلْبُهُ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّ فِيهِ الدَّلَالَةَ لِمَنْ كَانَ قَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ تَقْوَى اللهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنِ اتَّقَىٰ عِقَابَ اللهِ فَلَمْ يَحْمِلْهُ هَوَاهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا وَضَحَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ كُلَّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْإِذْعَانُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لَا يَخَافُونَ..

﴿لِقَآءَنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُمْ لِذَلِكَ مُكَذِّبُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مُتَنَافِسُونَ فِي زَيْنِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (فُلَانٌ لَا يَرْجُو فُلَانًا) إِذَا كَانَ لَا يَخَافُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣]..

﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ عِوَضًا مِنَ الْآخِرَةِ..

﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ مُطْمَئِنِّينَ إِلَيْهَا سَاكِنِينَ..

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَهِيَ أَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَحُجَجُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧] مُعْرِضُونَ عَنْهَا لَاهُونَ، لَا يَتَأَمَّلُونَهَا تَأَمُّلَ نَاصِحٍ لِنَفْسِهِ، فَيَعْلَمُوا بِهَا حَقِيقَةَ مَا دَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُوا بِهَا بُطُولَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مَصِيرُهُم إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٨] فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ وَالْأَجْرَامِ، وَيَجْتَرِحُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ.. قال مجاهد: (هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥]الآية).. وَقَالَ قتادة: (إِذَا شِئْتَ رَأَيْتَ صَاحِبَ دُنْيَا لَهَا يَفْرَحُ، وَلَهَا يَحْزَنُ، وَلَهَا يَسْخَطُ، وَلَهَا يَرْضَىٰ).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾ يُرْشِدُهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بِإِيمَانِهِمْ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ لِدِينِهِ، يَقُولُ: بِتَصْدِيقِهِمْ هَدَاهُمْ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ مِنْ تَحْتِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ..

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩] فِي بَسَاتِينِ النَّعِيمِ، الَّذِي نَعَّمَ اللهُ بِهَا أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ أَنَّهَا تَجْرِي تَحْتَ الْجَنَّاتِ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ الْأَنْهَارُ أَنْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا فَوْقَ أَرْضِهَا، وَالْأَنْهَارُ تَجْرِي تَحْتَ أَرْضِهَا؟، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ صِفَتَهَا أَنَّهَا تَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: تَجْرِي مِنْ دُونِهِمُ الْأَنْهَارُ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي بَسَاتِينِ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾ [مريم: ٢٤]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ السَّرِيَّ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَيْهِ قَاعِدَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ جَعَلَ دُونَهَا: بَيْنَ يَدَيْهَا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، بِمَعْنَىٰ: مِنْ دُونِي بَيْنَ يَدَيَّ.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠].

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ دُعَاؤُهُمْ..

﴿فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ مِمَّا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِكَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَيْكَ وَالْفِرْيَةِ..

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ وَتَحِيَّةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أَيْ سَلِمْتَ وَأَمِنْتَ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ أَهْلُ النَّارِ..

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وَآخِرُ دُعَائِهِمْ..

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠] أَنْ يَقُولُوا: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَلِذَلِكَ خُفِّفَتْ (أَن) وَلَمْ تُشَدَّدْ؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا الْحِكَايَةُ.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١﴾ [يونس: ١١].

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ فِي..

﴿ٱلشَّرَّ﴾ وَذَلِكَ فِيمَا عَلَيْهِمْ مَضَرَّةٌ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ.. قال قَتَادَةُ: (**هُوَ دُعَاءُ الرَّجُلِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ**)..

﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم﴾ كَاسْتِعْجَالِهِ لَهُمْ..

﴿بِٱلۡخَيۡرِ﴾ بِالْإِجَابَةِ إِذَا دَعَوهُ بِهِ..

﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ لَفَرَغَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجَلِهِمْ فَهَلَكُوا، وَعَجَّلَ لَهُمُ الْمَوْتَ.. قال مُجَاهِد: (**قَوْلُ الْإِنْسَانِ لِوَلَدِهِ وَمَالِهِ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ: اللهُمَّ لا تُبَارِكْ فِيهِ وَالْعَنْهُ، فَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ الاسْتِجَابَةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا يُسْتَجَابُ فِي الْخَيْرِ لأَهْلَكَهُمْ**)..

﴿فَنَذَرُ﴾ فَنَدَعُ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عِقَابَنَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا بِالنُّشُورِ..

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ فِي تَمَرُّدِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ..

﴿يَعۡمَهُونَ ١١﴾ [يونس: ١١] يَتَرَدَّدُونَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ بِالْبَعْثِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ، مِنْ طُغْيَانِهِمْ، وَتَرَدُّدِهِمْ فِيهِ عِنْدَ تَعْجِيلِهِ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ فِي الشَّرِّ لَوِ اسْتَجَابَ لَهُمْ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّقَرُّبِ إِلَىٰ الْوَثَنِ الَّذِي يُشْرِكُ بِهِ أَحَدُهُمْ، أَوْ يُضِيفُ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢﴾ [يونس: ١٢].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الشِّدَّةُ وَالْجَهْدُ..

﴿دَعَانَا﴾ اسْتَغَاثَ بِنَا فِي كَشْفِ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ مُضْطَجِعًا لِجَنْبِهِ..

﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ الْحَالَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا عِنْدَ نُزُولِ ذَلِكَ الضُّرِّ بِهِ..

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾ فَلَمَّا فَرَّجْنَا عَنْهُ الْجَهْدَ الَّذِي أَصَابَهُ..

﴿مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ الْأُولَىٰ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الضُّرُّ، وَنَسِيَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْبَلَاءِ، أَوْ تَنَاسَاهُ، وَتَرَكَ الشُّكْرَ لِرَبِهِ الَّذِي فَرَّجَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ حِينَ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَعَادَ لِلشِّرْكِ وَدَعْوَىٰ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ أَرْبَابًا مَعَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا زُيِّنَ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بَعْدَ كَشْفِ اللهِ عَنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضُّرِّ، كَذَلِكَ..

﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، فَتَجَاوَزُوا فِي الْقَوْلِ فِيهِمْ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِهِ..

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢﴾ [يونس: ١٢] مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: ١٣].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْأُمَمَ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَ اللهِ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ لَمَّا أَشْرَكُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ..

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وَهِيَ الْآيَاتُ وَالْحُجَجُ الَّتِي تُبِينُ عَنْ صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِهَا..

﴿وَمَا كَانُوا﴾ فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُمَمُ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا..

﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ بِرُسُلِهِمْ وَيُصَدِّقُوهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَهْلَكْنَا هَذِهِ الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ وَرَدِّهِمْ نَصِيحَتَهُمْ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: ١٣] أَفْعَلُ بِكُمْ فَأُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَظُلْمِكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِشِرْكِكُمْ بِرَبِّكُمْ، إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تُنِيبُوا وَتَتُوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ شِرْكِكُمْ، فَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْكَافِرِ بِي عَلَىٰ كُفْرِهِ عِنْدِي أَنْ أُهْلِكَهُ بِسَخَطِي فِي الدُّنْيَا، وَأُورِدُهُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: ١٤].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَلَائِفَ﴾ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا تَخْلُفُونَهُمْ..

﴿فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾ وَتَكُونُونَ فِيهَا بَعْدَهُمْ..

﴿لِنَنظُرَ﴾ لِيَنْظُرَ رَبُّكُمْ..

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: ١٤] أَيْنَ عَمَلُكُمْ مِنْ عَمَلِ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، تَحْذُونَ مِثَالَهُمْ فِيهِ، فَتَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْعِقَابِ مَا اسْتَحَقُّوا، أَمْ تُخَالِفُونَ سَبِيلَهُمْ، فَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، فَتَسْتَحِقُّونَ مِنْ رَبِّكُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ وَإِذَا قُرِئَ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ءَايَاتُنَا﴾ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ عَلَىٰ الْحَقِّ دَالَّاتٍ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قَالَ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عِقَابَنَا، وَلَا يُوقِنُونَ بِالْمِعَادِ إِلَيْنَا، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ..

﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بِقَوْلٍ، أَوْ غَيْرِهِ.. وَالتَّبْدِيلُ الَّذِي سَأَلُوهُ فِيمَا ذُكِرَ، أَنْ يُحَوِّلَ آيَةَ الْوَعِيدِ آيَةَ وَعْدٍ، وَآيَةَ الْوَعْدِ وَعِيدًا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ حَرَامًا، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ مَنْ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ وَلَا يُتَعَقَّبُ قَضَاؤُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ وَمَأْمُورٌ مُتَّبِعٌ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ أَيْ: مِنْ عِنْدِي..

﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَا أَتَّبِعُ فِي كُلِّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ إِلَّا مَا يُنْزِلُهُ إِلَيَّ رَبِّي وَيَأْمُرُنِي بِهِ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إِنِّي أَخْشَىٰ مِنَ اللهِ..

﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ إِنْ خَالَفْتُ أَمْرَهُ، وَغَيَّرْتُ أَحْكَامَ كِتَابِهِ، وَبَدَّلْتُ وَحْيَهُ، فَعَصَيْتُهُ بِذَلِكَ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥] هَوْلُهُ، وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢].

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

﴿قُل﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُعَرِّفَهُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ ائْتِ

بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ مَا تَلَوْتُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، بِأَنْ كَانَ لَا يَنْزِلُ عَلَيَّ فَيَأْمُرَنِي بِتِلَاوَتِهِ عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ وَلَا أَعْلَمَكُمْ بِهِ..

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ فقدْ مَكَثْتُ فِيكُم أَرْبَعينَ سنةً..

﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ مِن قَبْلِ أَنْ أَتْلُوَه عَلَيْكُمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يُوْحِيْهِ إِلَيَّ رَبِّي..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦] أَنِّي لَو كُنْتُ مُنْتَحِلًا مَا ليسَ لِي مِنَ القَولِ، كنتُ قد انتحلتُه في أَيَّامِ شَبَابِي وَحَداثَتِي، وَقبلَ الوقتِ الَّذي تَلوتُه عليكم، فقد كانَ لي اليومُ -لو لم يُوحَ إليَّ وأُومَرُ بتلاوتِه عليكم- مندوحةٌ عن مُعَادَاتِكِم، ومُتَّسَعٌ في الحال التي كنتُ بها مِنكُم قَبْلَ أنْ يُوحىٰ إليَّ، وَأُومَرُ بتلاوتِه عليكم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٧].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قُلْ -يا محمد- لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَسَبُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ إِلَىٰ الْكَذِبِ: أَيُّ خَلْقٍ أَشَدُّ تَعَدِّيًا، وَأَوْضَعُ لِقِيلِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ مِمَّنْ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَافترَىٰ عَلَيْهِ بَاطِلًا..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ يَعْنِي: بِحُجَجِهِ وَرُسُلِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ، يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قُلْ لَهُمْ لَيْسَ الَّذِي أَضَفْتُمُونِي إِلَيْهِ بِأَعْجَبَ مِنْ كَذِبِكُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ وَافْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبِكُمْ بِآيَاتِهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٧] إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ الَّذِينَ اجْتَرَمُوا الْكُفْرَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا لَقُوا رَبَّهُمْ، وَلَا يَنَالُونَ الْفَلَاحَ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ شَيْئًا..

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْآلِهَةُ وَالْأَصْنَامُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا..

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا رَجَاءَ شَفَاعَتِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾ أَتُخْبِرُونَ..

﴿ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ بِمَا لَا يَكُونُ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْآلِهَةَ لَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: أَتُخْبِرُونَ اللهَ أَنَّ مَا لَا يَشْفَعُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، يَشْفَعُ لَكُمْ فِيهِمَا، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهُ وَصِحَّتُهُ، بَلْ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافَ مَا تَقُولُونَ، وَأَنَّهَا لَا تَشْفَعُ لِأَحَدٍ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهًا للهِ..

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨] وَعُلُوًّا عَمَّا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ إِشْرَاكِهِمْ فِي عِبَادَةِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ الْكَذِبَ.

> ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس: ١٩].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ..

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فِي دِينِهِمْ، فَافْتَرَقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ فِي ذَلِكَ..

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وَلَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنَ اللهِ أَنَّهُ لَا يُهْلِكُ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ..

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس: ١٩] بِأَنْ يُهْلِكَ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنْهُمْ وَيُنْجِي أَهْلَ الْحَقِّ.

> ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا..

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ عِلْمٌ وَدَلِيلٌ نَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا مُحِقٌّ فِيمَا يَقُولُ، قَالَ اللهُ لَهُ..

﴿فَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِفِعْلِ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَهُوَ السِّرُّ وَالْخَفِيُّ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا اللهُ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ قَضَاءَ اللهِ بَيْنَنَا بِتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِ لِلْمُبْطِلِ مِنَّا وَإِظْهَارِهِ الْمُحِقَّ عَلَيْهِ..

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠] إِنِّي مَعَكُمْ مِمَّنْ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِأَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [يونس: ٢١].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ وَإِذَا رَزَقْنَا الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ فَرَجًا بَعْدَ كَرْبٍ، وَرَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ أَصَابَتْهُمْ..

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ اسْتِهْزَاءٌ وَتَكْذِيبٌ..

﴿قُلِ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ مِنْ حُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ اللهُ أَسْرَعُ مِحَالًا بِكُمْ وَاسْتِدْرَاجًا لَكُمْ وَعُقُوبَةً مِنْكُمْ مِنَ الْمَكْرِ فِي آيَاتِ اللهِ..

﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ إِنَّ حَفَظَتَنَا الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يَكْتُبُونَ﴾ عَلَيْكُمْ..

﴿مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [يونس: ٢١] فِي آيَاتِنَا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس: ٢٢].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي ٱلۡبَرِّ﴾ عَلَىٰ الظَّهْرِ..
﴿وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ فِي الْفُلْكِ..
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ وَهِيَ السُّفُنُ..
﴿وَجَرَيۡنَ﴾ وَجَرَتِ الْفُلْكُ..
﴿بِهِم﴾ بِالنَّاسِ..
﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ فِي الْبَحْرِ..
﴿وَفَرِحُواْ﴾ وَفَرِحَ رُكْبَانُ الْفُلْكِ..
﴿بِهَا﴾ بِالرِّيحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَسِيرُونَ بِهَا..
﴿جَآءَتۡهَا﴾ جَاءَتِ الْفُلْكَ..
﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شَدِيدَةٌ..
﴿وَجَآءَهُمُ﴾ وَجَاءَ رُكْبَانَ السَّفِينَةِ..
﴿ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ وَظَنُّوا أَنَّ الْهَلَاكَ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ وَأَحْدَقَ..
﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَخْلَصُوا الدُّعَاءَ للهِ هُنَالِكَ دُونَ أَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ، وَكَانَ مَفْزَعُهُمْ حِينَئِذٍ إِلَىٰ اللهِ دُونَهَا..
﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الشِّدَّةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..
﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢] لَكَ عَلَىٰ نِعَمِكَ، وَتَخْلِيصِكَ إِيَّانَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، بِإِخْلَاصِنَا الْعِبَادَةَ لَكَ، وَإِفْرَادِ الطَّاعَةَ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: ٢٣].

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ فَلَمَّا أَنْجَىٰ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَنُّوا فِي الْبَحْرِ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ، مِنَ الْجَهْدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ..
﴿إِذَا هُمۡ﴾ أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ، وَ..
﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَتَجَاوَزُوا فِيهَا..
﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ، مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، يَقُولُ اللهُ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ إِنَّمَا اعْتِدَاؤُكُمُ الَّذِي تَعْتَدُونَهُ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وَإِيَّاهَا تَظْلِمُونَ، وَهَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ..

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بَلَاغٌ تُبَلَّغُونَ بِهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ.. كَمَا قَالَ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، بِمَعْنَىٰ: هَذَا بَلَاغٌ..

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا﴾ بَعْدَ ذَلِكَ..

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾ فَنُخْبِرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٣﴾ [يونس: ٢٣] فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَنُجَازِيكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إِنَّمَا مَثَلُ مَا تُبَاهُونَ فِي الدُّنْيَا وَتَفَاخَرُونَ بِهِ مِنْ زِينَتِهَا وَأَمْوَالِهَا، مَعَ مَا قَدْ وُكِّلَ بِذَلِكَ مِنَ التَّكْدِيرِ وَالتَّنْغِيصِ وَزَوَالِهِ بِالْفَنَاءِ وَالْمَوْتِ..

﴿كَمَآءٍ﴾ كَمَثَلِ مَطَرٍ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَرْسَلْنَاهُ..

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فَنَبَتَ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّبَاتِ، مُخْتَلِطٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ..

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَسَائِرِ حُبُوبِ الْأَرْضِ وَالْبُقُولِ وَالثِّمَارِ..

﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وَمَا يَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ وَالْبَهَائِمُ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْمَرَاعِي..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ ظَهَرَ حُسْنُهَا وَبَهَاؤُهَا..

﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وَتَزَيَّنَتْ..

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ الْأَرْضِ.. وَخَرَجَ الْخَبَرُ عَنِ الْأَرْضِ، وَالْمَعْنَىٰ لِلنَّبَاتِ؛ إِذَ كَانَ مَفْهُومًا بِالْخِطَابِ مَا عَنَىٰ بِهِ..

﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ عَلَىٰ مَا أَنْبَتَتْ..

﴿أَتَىٰهَآ﴾ جَاءَ الْأَرْضَ..

﴿أَمْرُنَا﴾ قَضَاؤُنَا بِهَلَاكِ مَا عَلَيْهَا مِنَ النَّبَاتِ..

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ إِمَّا لَيْلًا وَإِمَّا نَهَارًا..

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فَجَعَلْنَا مَا عَلَيْهَا..

﴿حَصِيدًا﴾ مَقْطُوعَةً مَقْلُوعَةً مِنْ أُصُولِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مَحْصُودَةٌ صُرِفَتْ إِلَىٰ حَصِيدٍ..

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الزُّرُوعُ وَالنَّبَاتُ عَلَىٰ ظَهْرٍ ثَابِتَةً قَائِمَةً عَلَى الْأَرْضِ..

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ فَكَذَلِكَ يَأْتِي الْفَنَاءُ عَلَىٰ مَا تَتَبَاهُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَزَخَارِفِهَا، فَيُفْنِيهَا وَيُهْلِكُهَا كَمَا أَهْلَكَ أَمْرُنَا وَقَضَاؤُنَا نَبَاتَ هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا حَتَّىٰ صَارَتْ ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾، كَأَنْ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ ذَلِكَ نَبَاتًا عَلَىٰ ظَهْرِهَا، فَكَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَثَلَ الدُّنْيَا، وَعَرَّفْنَاكُمْ حُكْمَهَا وَأَمْرَهَا، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ﴾ نُبَيِّنُ..

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ حُجَجَنَا وَأَدِلَّتَنَا..

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [يونس: ٢٤] لِمَنْ تَفَكَّرَ وَاعْتَبَرَ وَنَظَرَ، وَخَصَّ بِهِ أَهْلَ الْفِكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأُمُورِ وَالْفَحْصِ عَنْ حَقَائِقِ مَا يَعْرِضُ مِنَ الشُّبَهِ فِي الصُّدُورِ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾ [يونس: ٢٥].

﴿وَٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطْلُبُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَإِنَّ مَصِيرَهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، كَمَا مَصِيرُ النَّبَاتِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لَهَا مَثَلًا إِلَىٰ هَلَاكٍ وَبَوَارٍ، وَلَكِنِ اطْلُبُوا الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، وَلَهَا فَاعْمَلُوا، وَمَا عِنْدَ اللهِ فَالْتَمِسُوا بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ..

﴿يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ دَارِهِ، وَهِيَ جَنَّاتُهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ، تَسْلَمُوا مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ فِيهَا وَتَأْمَنُوا مِنْ فَنَاءِ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ دَخَلَهَا..

﴿وَيَهْدِي﴾ وَهُوَ يَهْدِي..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فَيُوَفِّقُهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾ [يونس: ٢٥] لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَبَبًا لِلْوُصُولِ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَطَرِيقًا لِمَنْ رَكِبَهُ وَسَلَكَ فِيهِ إِلَىٰ جَنَّاتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ عِبَادَةَ اللهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَلْقِهِ فَأَطَاعُوهُ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْحُسْنَىٰ هِيَ الْجَنَّةُ، جَعَلَهَا اللهُ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْ خَلْقِهِ جَزَاءً، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهَا النَّظَرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحُسْنَىٰ وَاحِدَةٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ بِوَاحِدَةٍ، وَالزِّيَادَةُ: التَّضْعِيفُ إِلَىٰ تَمَامِ الْعَشْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحُسْنَىٰ حَسَنَةٌ مِثْلُ حَسَنَةٍ، وَالزِّيَادَةُ: زِيَادَةٌ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الزِّيَادَةُ مَا أُعْطُوا فِي الدُّنْيَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَٰلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمُ الْحُسْنَىٰ أَنْ يَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ تَبْيَضَّ وُجُوهُهُمْ، وَوَعَدَهُمْ مَعَ الْحُسْنَىٰ الزِّيَادَةَ عَلَيْهَا، وَمِنَ الزِّيَادَةِ عَلَىٰ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةِ أَنْ يُكْرِمَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ غُرَفًا مِنْ لَآلِئٍ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ غُفْرَانًا وَرِضْوَانًا؛ كُلُّ ذَٰلِكَ مِنْ زِيَادَاتِ عَطَاءِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْحُسْنَىٰ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِأَهْلِ جَنَّاتِهِ، وَعَمَّ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ الزِّيَادَاتِ عَلَىٰ الْحُسْنَىٰ، فَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ أَنْ يَجْمَعَ ذَٰلِكَ لَهُمْ، بَلْ ذَٰلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَٰلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَعُمَّ كَمَا عَمَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ لَا يَغْشَىٰ..

﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ كَآبَةٌ وَلَا كُسُوفٌ حَتَّىٰ تَصِيرَ مِنَ الْحُزْنِ كَأَنَّمَا عَلَاهَا قَتَرٌ.. وَالْقَتَرُ: الْغُبَارُ وَهُوَ جَمْعُ قَتَرَةٍ..

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ وَلَا هَوَانٌ..

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، هُمْ..

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَسُكَّانُهَا وَمَنْ هُمْ فِيهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس: ٢٦] مَاكِثُونَ أَبَدًا، لَا تَبِيدُ فَيَخَافُوا زَوَالَ نَعِيمِهِمْ، وَلَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ فَتَتَنَغَّصُ عَلَيْهِمْ لَذَّتُهُمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٧﴾ [يونس: ٢٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا..

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فِي الدُّنْيَا، فَعَصُوا اللهَ فِيهَا، وَكَفَرُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ..
﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّئِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا..
﴿بِمِثۡلِهَا﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..
﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ﴾ وَتَغْشَاهُمْ..
﴿ذِلَّةٞ﴾ وَهَوَانٌ بِعِقَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ..
﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ مَانِعٍ يَمْنَعُهُمْ إِذَا عَاقَبَهُمْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ..
﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ..
﴿وُجُوهُهُمۡ﴾ وَجْهُ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ وُجُوهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ..
﴿قِطَعٗا﴾ جَمْعُ قِطْعَةٍ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (ظُلْمَةٌ)..
﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ..
﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..
﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ﴾ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا..
﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: ٢٧] هُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ وَيَوْمَ نَجْمَعُ الْخَلْقَ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ جَمِيعًا..
﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ حِينَئِذٍ..
﴿لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ..
﴿مَكَانَكُمۡ﴾ امْكُثُوا مَكَانَكُمْ، وَقِفُوا فِي مَوْضِعِكُمْ..
﴿أَنتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..
﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..
﴿فَزَيَّلۡنَا﴾ فَفَرَّقْنَا، وهُو مِن قَولِهِم: زِلْتُ الشَّيءَ أُزِيلُهُ، إِذَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَأَبَنْتَهُ مِنْهُ.. وَقَالَ: ﴿فَزَيَّلۡنَا﴾ إِرَادَةَ تَكْثِيرِ الْفِعْلِ وَتَكْرِيرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: (فَزِلْنَا بَيْنَهُمْ)..
﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَمَا أَشْرَكُوهُ بِهِ..
﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾ [يونس: ٢٨] وَذَلِكَ حِينَ ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]، لَمَّا قِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ اتَّبِعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَنُصِبَتْ لَهُمْ آلِهَتُهُمْ، قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ هَؤُلَاءِ، فَقَالَتِ الْآلِهَةُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ شُرَكَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -إِذْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ لَهَا: إِيَّاكُمْ كُنَّا نَعْبُدُ-: حَسْبُنَا اللهُ..

﴿شَهِيدًۢا﴾ شَاهِدًا..

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّا مَا عَلِمْنَا مَا تَقُولُونَ..

﴿إِن كُنَّا﴾ مَا كُنَّا..

﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إِيَّانَا دُونَ اللهِ..

﴿لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩] إِلَّا غَافِلِينَ، لَا نَشْعُرُ بِهِ، وَلَا نَعْلَمُ.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠].

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ تُخْتَبَرُ بِمَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ: (تَتْلُو) بِالتَّاءِ، وَاخْتَلَفَ قَارِئُو ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُنَالِكَ تَتْبَعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَتْلُو كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، يَعْنِي تَقْرَأُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].. وَقَالَ آخَرُونَ: تَبْلُو: تُعَايِنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ تَبِعَ فِي الْآخِرَةِ مَا أَسْلَفَ مِنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا، هَجَمَ بِهِ عَلَىٰ مَوْرِدِهِ، فَيُخْبَرُ هُنَالِكَ مَا أَسْلَفَ مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ مَنْ خَبَرَ مَا أَسْلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا يُخْبَرُ بَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَىٰ حَيْثُ أَحَلَّهُ مَا قَدَّمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِهِ، فَهُوَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مُتَّبِعٌ مَا أَسْلَفَ مِنْ عَمَلِهِ، مُخْتَبَرٌ لَهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ، كَمَا وَصَفْنَا، فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ..

﴿وَرُدُّوٓاْ﴾ وَرَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾ الَّذِي هُوَ رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ..

﴿ٱلْحَقِّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ دُونَ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَهُمْ أَرْبَابٌ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَضَلَّ﴾ وَبَطَلَ..

﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس: ٣٠] مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللهِ، بِدَعْوَاهِمْ أَوْثَانَهُمْ أَنَّهَا للهِ شُرَكَاءُ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ زُلْفَىٰ.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الْغَيْثَ وَالْقَطْرَ، وَيُطْلِعُ لَكُمْ شَمْسَهَا وَيُغْطِشُ لَيْلَهَا، وَيُخْرِجُ ضُحَاهَا..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمِنَ أَقْوَاتِكُمْ، وَغِذَاءِكُمُ الَّذِي يُنْبِتُهُ لَكُمْ، وَثِمَارِ أَشْجَارِهَا..

﴿أَمَّن﴾ ذَا الَّذِي..

﴿يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ أَسْمَاعَكُمُ الَّتِي تَسْمَعُونَ بِهَا أَنْ يَزِيدَ فِي قُوَاهَا، أَوْ يُسْلِبُكُمُوهَا فَيَجْعَلَكُمْ صُمًّا..

﴿وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وَأَبْصَارَكُمُ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا، أَنْ يُضِيئَهَا لَكُمْ وَيُنِيرَهَا، أَوْ يَذْهَبَ بِنُورِهَا فَيَجْعَلُكُمْ عُمْيًا لَا تُبْصِرُونَ..

﴿وَمَن يُخْرِجُ﴾ الشَّيْءَ..

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ﴾ الشَّيْءَ..

﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ وَقُلْ لَهُمْ: مِنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَأَمْرَكُمْ وَأَمْرَ الْخَلْقِ..

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فَسَوْفَ يُجِيبُونَكَ بِأَنْ يَقُولُوا الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ اللهُ..

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١] أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ، وَادِّعَائِكُمْ رَبًّا غَيْرَ مَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ صِفَتُهُ، وَعِبَادَتِكُمْ مَعَهُ مَنْ لَا يَرْزُقُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣٢].

﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَالَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، فَيَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَيَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ..

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَمَاذَا﴾ فَأَيُّ شَيْءٍ..

﴿بَعۡدَ﴾ سِوَىٰ..

﴿ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ إِلَّا الْجَوْرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوَ ذَا، فَادِّعَاؤُكُمْ غَيْرَهُ إِلَهًا وَرَبًّا هُوَ الضَّلَالُ وَالذَّهَابُ عَنِ الْحَقِّ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣٢] فَأَيُّ وَجْهٍ عَنِ الْهُدَىٰ وَالْحَقِّ تُصْرَفُونَ، وَسِوَاهُمَا تَسْلُكُونَ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الَّذِي تُصْرَفُونَ عَنْهُ هُوَ الْحَقُّ.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [يونس: ٣٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَدْ صُرِفَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الضَّلَالِ كَذَلِكَ..

﴿حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وَجَبَ عَلَيْهِمْ قَضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ فَخَرَجُوا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَكَفَرُوا بِهِ..

﴿أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [يونس: ٣٣] لَا يُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَلَا بِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ [يونس: ٣٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ مَنْ يُنْشِئُ خَلْقَ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، فَيُحْدِثُ خَلْقَهُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يُفْنِيهِ بَعْدَ إِنْشَائِهِ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْنِيهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَعْوَىٰ ذَلِكَ لَهَا، وَفِي ذَلِكَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ وَالدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهَا أَرْبَابٌ، وَهِيَ للهِ فِي الْعِبَادَةِ شُرَكَاءُ كَاذِبُونَ مُفْتَرُونَ، فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ حِينَئِذٍ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ فَيُنْشِئُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَيُحْدِثُهُ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ثُمَّ يُفْنِيهِ إِذَا شَاءَ..

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إِذَا أَرَادَ، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ الْفَنَاءِ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ [يونس: ٣٤] فَأَيُّ وَجْهٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَطَرِيقِ الرُّشْدِ تُصْرَفُونَ وَتُقْلَبُونَ.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَذَلِكَ آلِهَتُهُمْ وَأَوْثَانُهُمْ..

﴿مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ﴾ مَنْ يُرْشِدُ ضَالًّا مِنْ ضَلَالَتِهِ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَيُسَدِّدُ جَائِرًا عَنِ الْهُدَىٰ إِلَىٰ وَاضِحِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ آلِهَتَهُمْ وَأَوْثَانَهُمْ تُرْشِدُ ضَالًّا أَوْ تَهْدِي حَائِرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنِ ادَّعُوا ذَلِكَ لَهَا أَكْذَبَتْهُمُ الْمُشَاهَدَةُ وَأَبَانَ عَجْزَهَا عَنْ ذَلِكَ الِاخْتِبَارِ بِالْمُعَايَنَةِ، فَإِذَا قَالُوا لَا وَأَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: فَـ..

﴿ٱللَّهُ يَهْدِي﴾ الضَّالَّ عَنِ الْهُدَىٰ..

﴿لِلْحَقِّۗ﴾ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ﴾ ضَالًّا وَجَائِرًا عَنِ الرُّشْدِ..

﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ إِلَىٰ الرُّشْدِ..

﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ إِلَىٰ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ..

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أَمْ مَنْ لَا يَهْتَدِي..

﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهِ هَادٍ غَيْرُهُ..

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥] أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنَ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ مِنَ الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهِ هَادٍ غَيْرُهُ، فَتَتْرُكُوا اتِّبَاعَ مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ شَيْءٍ وَعِبَادَتَهُ، وَتَتَّبِعُوا مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ فَتُفْرِدُوهُ بِهَا وَحْدَهُ دُونَ مَا تُشْرِكُونَهُ فِيهَا مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ؟.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [يونس: ٣٦].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ إِلَّا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِحَقِيقَتِهِ وَصِحَّتِهِ، بَلْ هُمْ مِنْهُ فِي شَكٍّ وَرِيبَةٍ..

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ إِنَّ الشَّكَّ..

﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ لَا يُغْنِي مِنَ الْيَقِينِ شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ فِي شَيْءٍ مَقَامَهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ حَيْثُ يُحْتَاجُ إِلَىٰ الْيَقِينِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [يونس: ٣٦] بِمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، مِنِ اتِّبَاعِهِمُ الظَّنَّ، وَتَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ الْيَقِينَ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، حَيْثُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ ظَنُّهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ [يونس: ٣٧].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْقُرْآنِ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ، يَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَخَرَّصَهُ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، بِمَعْنَىٰ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَتَكْذِيبًا مِنْهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: هُوَ شِعْرٌ وَكَهَانَةٌ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُهُ مُحَمَّدٌ مِنْ يَعِيشَ الرُّومِيِّ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ لِيَخْتَلِقَهُ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وَلَكِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَنْزَلَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ أَيْ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَتِبْيَانَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ..

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ [يونس: ٣٧] مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا افْتِرَاءٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَلَا اخْتِلَاقٌ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [يونس: ٣٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَمْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ نَفْسِهِ، فَاخْتَلَقَهُ وَافْتَعَلَهُ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ أَنِّي اخْتَلَقْتُهُ وَافْتَرَيْتُهُ، فَإِنَّكُمْ مِثْلِي مِنَ الْعَرَبِ، وَلِسَانِي وَكَلَامِي مِثْلُ لِسَانِكُمْ..

﴿فَأْتُوا۟﴾ فَجِيئُوا..

﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ.. وَلَمْ يَقُلْ: (مِثْلِهَا، **لِأَنَّ الْكِنَايَةَ أُخْرِجَتْ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، أَعْنِي مَعْنَىٰ السُّورَةِ، لا عَلَىٰ لَفْظِهَا؛ لِأَنَّهَا لَوْ أُخْرِجَتْ عَلَىٰ لَفْظِهَا لَقِيلَ: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهَا**)..

﴿وَٱدْعُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهَا..

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ مَنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَدْعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ وَشُرَكَائِكُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَأَجْمِعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاجْتَهِدُوا، فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أَبَدًا..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [يونس: ٣٨] فِي أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، مِنْ جَمِيعِ مَنْ يُعِينُكُمْ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ كَذَبَةٌ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَنْ يَعْدُو أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ، فَإِذَا عَجَزَ الْجَمِيعُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، فَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ أَعْجَزُ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: ٣٩].

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ مَا بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ تَكْذِيبُكَ، وَلَكِنْ بِهِمُ التَّكْذِيبُ..

﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ وَعِيدِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدُ بَيَانُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَعِيدُ الَّذِي تَوَعَّدَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِوَعِيدِ اللهِ، كَذَلِكَ..

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَذَّبَ الْأُمَمُ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَهُمْ بِوَعِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: ٣٩] كَيْفَ كَانَ عُقْبَىٰ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، أَلَمْ نُهْلِكْ

بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالْخَسْفِ وَبَعْضَهُمْ بِالْغَرَقِ؟ فَإِنَّ عَاقِبَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ، وَيَجْحَدُونَ بِآيَاتِي مِنْ كُفَّارِ قَوْمِكَ، كَالَّتِي كَانَتْ عَاقِبَةَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ كَفَرَةِ الْأُمَمِ، إِنْ لَمْ يُنِيبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَيُسَارِعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس: ٤٠].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ مَنْ سَوْفَ يُؤْمِنُ بِهِ، وَيُصَدِّقُ بِالْقُرْآنِ، وَيَقِرُّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ﴾ أبدًا، وَلَا يُصَدِّقُ بِهِ، وَلَا يَقِرُّ أَبَدًا..

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ..

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس: ٤٠] بِالْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْهُمْ، الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ أَبَدًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ عِقَابِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَتَبْتُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ مِنْهُمْ فَإِنِّي سَأَتُوبُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾

[يونس: ٤١].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ وَإِنْ كَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَرَدُّوا عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَقُل﴾ لَهُمْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لِّي عَمَلِي﴾ وَدِينِي..

﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ﴾ وَدِينُكُمْ، لَا يَضُرُّنِي عَمَلُكُمْ، وَلَا يَضُرُّكُمْ عَمَلِي، وَإِنَّمَا يُجَازَىٰ كُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ..

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ﴾ لَا تُؤَاخَذُونَ بِجَرِيرَتِهِ..

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس: ٤١] لَا أُؤَاخَذُ بِجَرِيرَةِ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون: ١-٢-٣]، وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، نَسَخَهَا الْجِهَادُ وَالْأَمْرُ بِالْقِتَالِ، قَالَ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ زَيْدٍ: أَمَرَهُ بِهَذَا ثُمَّ نَسَخَهُ، وَأَمَرَهُ بِجِهَادِهِمْ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢﴾ [يونس: ٤٢].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ﴾ نْ يَسْتَمِعُونَ إِلَىٰ قَوْلِكَ..

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢] أَفَأَنْتَ تَخْلُقُ لَهُمُ السَّمْعَ وَلَوْ كَانُوا لَا سَمْعَ لَهُمْ يَعْقِلُونَ بِهِ، أَمْ أَنَا؟ وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ، أَنَّ التَّوْفِيقَ لِلْإِيمَانِ بِهِ بِيَدِهِ لَا إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَاهُ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: كَمَا أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ سَلَبْتُهُ السَّمْعَ، فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ أَمْرِي وَنَهْيِي قَلْبًا سَلَبْتُهُ فَهْمَ ذَلِكَ، لِأَنِّي خَتَمْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣].

﴿وَمِنْهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَيَرَىٰ أَعْلَامَكَ وَحُجَجَكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ قَدْ سَلَبَهُ التَّوْفِيقَ فَلَا يَهْتَدِي، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَهْدِيَهُ، كَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُحْدِثَ لِلْأَعْمَىٰ بَصَرًا يَهْتَدِي بِهِ..

﴿أَفَأَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣] تُحْدِثُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَدِلَّتِكَ وَحُجَجِكَ فَلَا يُوَفَّقُونَ لِلتَّصْدِيقِ بِكَ أَبْصَارًا، لَوْ كَانُوا عُمْيًا يَهْتَدُونَ بِهَا وَيُبْصِرُونَ؟ فَكَمَا أَنَّكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا غَيْرُكَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ، فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ تُبَصِّرَهُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ غَيْرِي، لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِي وَإِلَيَّ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَسْلِيَةٌ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَنْ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَدْبَرَ عَنْهُ فَكَذَّبَ، وَتَعْزِيَةٌ لَهُ عَنْهُمْ، وَأَمْرًا بِرَفْعِ طَمَعِهِ مِنْ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْهُ، لَا يُعَاقِبُهُمْ إِلَّا بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُمْ إِلَّا بِكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] وَلَكِنَّ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاجْتِرَامِهِمْ مَا يُورِثُهَا غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ.. وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّهُ لَمْ يَسْلُبْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الْإِيمَانَ ابْتِدَاءً مِنْهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ سَلَفَ مِنْهُمْ، وَإِخْبَارٌ أَنَّهُ إِنَّمَا سَلَبَهُمْ ذَلِكَ بِاسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ، سَلَبَهُ لِذُنُوبٍ اكْتَسَبُوهَا، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُ رَبِّهِمْ، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فَنَجْمَعُهُمْ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿كَأَن﴾ كَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ﴾ فِيمَا..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ثُمَّ انْقَطَعَتِ الْمَعْرِفَةُ، وَانْقَضَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، يَقُولُ اللهُ..

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قَدْ غُبِنَ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا ثَوَابَ اللهِ، وَعِقَابَهُ، وَحُظُوظَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَهَلَكُوا..

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥] وَمَا كَانُوا مُوَفَّقِينَ لِإِصَابَةِ الرُّشْدِ، مِمَّا فَعَلُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِلِقَاءِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْسَبَهُمْ ذَلِكَ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦].

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ..

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ نُرِيَكَ ذَلِكَ فِيهِمْ..

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فَمَصِيرُهُمْ بِكُلِّ حَالٍ إِلَيْنَا وَمُنْقَلَبُهُمْ..

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦] ثُمَّ أَنَا شَاهِدٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا عَالِمٌ بِهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهَا، وَأَنَا مُجَازِيهِمْ بِهَا -عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيَّ وَمَرْجِعِهِمْ- جَزَاءَهُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ خَلَتْ قَبْلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَّسُولٌ﴾ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَرْسَلْتُ مُحَمَّدًا إِلَيْكُمْ يَدْعُونَ مَنْ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ حِينَئِذٍ..

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٧] مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، وَلَكِنْ يُجَازَىٰ الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِمَّا أَنْ يُعَاقِبَهُ اللهُ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَالْكَافِرُ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ؛ فَذَلِكَ قَضَاءُ اللهِ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ عَدْلٌ لَا ظُلْمٌ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [يونس: ٤٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الَّذِي تَعِدُنَا أَنَّهُ يَأْتِينَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ وَذَلِكَ قِيَامُ السَّاعَةِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [يونس: ٤٨] أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٩].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُسْتَعْجِلِيكَ وَعِيدَ اللهِ، الْقَائِلِينَ لَكَ: مَتَىٰ يَأْتِينَا الْوَعْدُ الَّذِي تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..

﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَيْ لَا أَقْدِرُ لَهَا عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ فِي دُنْيَا وَلَا دِينٍ..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكَهُ فَأَجْلِبَهُ إِلَيْهَا بِإِذْنِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: فَإِذَا كُنْتُ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَأَنَا عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَمَعْرِفَةِ قِيَامِ السَّاعَةِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ، إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِذْنِهِ لِي فِي ذَلِكَ..

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لِكُلِّ قَوْمٍ مِيقَاتٌ لِانْقِضَاءِ مُدَّتِهِمْ وَأَجَلِهِمْ، فَـ

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ إِذَا جَاءَ وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَلِهِمْ، وَفَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ، فَـ

﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عَنْهُ..

﴿سَاعَةً﴾ فَيُمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٤٩] قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ قَضَىٰ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ ذَلِكَ قَبْلَ الْحِينِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ عَذَابُ اللهِ..

﴿بَيَٰتًا﴾ لَيْلًا..

﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وَجَاءَتِ السَّاعَةُ، وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ أَتَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِ ذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ؟ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ..

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ؟ وَهُمُ الصَّالُونَ بِحَرِّهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝﴾ [يونس: ٥١].

﴿أَثُمَّ﴾ أَهُنَالِكَ..

﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾ إِذَا وَقَعَ عَذَابُ اللهِ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ءَامَنتُم﴾ صَدَّقْتُمْ..

﴿بِهِۦٓ﴾ فِي حَالٍ لَا يَنْفَعُكُمْ فِيهَا التَّصْدِيقُ، وَقِيلَ لَكُمْ حِينَئِذٍ..

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تُصَدِّقُونَ بِهِ..

﴿وَقَدْ كُنتُم﴾ قَبْلَ الْآنَ..

﴿بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝﴾ [يونس: ٥١] وَأَنْتُمْ بِنُزُولِهِ مُكَذِّبُونَ، فَذُوقُوا الْآنَ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٢].

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿ذُوقُوا۟﴾ تَجَرَّعُوا..

﴿عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ عَذَابَ اللهِ الدَّائِمَ لَكُمْ أَبَدًا، الَّذِي لَا فَنَاءَ لَهُ وَلَا زَوَالَ..

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ هَلْ تُثَابُونَ..

﴿إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٢] إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ مِنْ مَعَاصِي اللهِ.

﴿* وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣].

﴿* وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ﴾ وَيَسْتَخْبِرُكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فَيَقُولُونَ لَكَ..

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أَحَقٌّ مَا تَقُولُ وَمَا تَعِدُنَا بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَزَاءً عَلَىٰ مَا كُنَّا نَكْسِبُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ فِي الدُّنْيَا؟..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣] وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِي اللهَ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ بِكُمْ بِهَرَبٍ أَوْ امْتِنَاعٍ، بَلْ أَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ، إِذْا أَرَادَ فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٥٤﴾ [يونس: ٥٤].

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ كَفَرَتْ بِاللهِ..

﴿ظَلَمَتْ﴾ ظُلْمُهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: عِبَادَتُهَا غَيْرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عِبَادَةً، وَتَرْكُهَا طَاعَةَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهَا طَاعَتُهُ..

﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ..

﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لَافْتَدَتْ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَايَنَتْهُ..

﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ وَأَخْفَتْ رُؤَسَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وُضَعَائِهِمْ وَسَفَلَتِهِمْ..

﴿ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟﴾ حِينَ أَبْصَرُوا..

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ عَذَابَ اللهِ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ..

﴿وَقُضِىَ﴾ وَقَضَىٰ اللهُ يَوْمَئِذٍ..

﴿بَيْنَهُم﴾ بَيْنَ الْأَتْبَاعِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْهُمْ..

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٥٤﴾ [يونس: ٥٤] وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِجَرِيرَتِهِ، وَلَا يَأْخُذُهُ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْذَرَ وَتَابَعَ عَلَيْهِ الْحُجَجَ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٥٥﴾ [يونس: ٥٥].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ أَلَا إِنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ للهِ مِلْكٌ، لَا شَيْءَ فِيهِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، يَقُولُ: فَلَيْسَ لِهَذَا الْكَافِرِ بِاللهِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يَمْلِكُهُ فَيَفْتَدِي بِهِ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِ، وَإِنَّمَا الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لِلَّذِي إِلَيْهِ عِقَابُهُ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ الَّتِي هِيَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ افْتَدَىٰ بِمَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ بَدَلًا مِنْ عَذَابِهِ فَيُصْرَفُ بِهَا عَنْهُ الْعَذَابُ، فَكَيْفَ وَهُوَ لَا شَيْءَ لَهُ يَفْتَدِي بِهِ مِنْهُ، وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ اللهِ..

﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يَعْنِي أَنَّ عَذَابَهُ الَّذِي أَوْعَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ حَقٌّ، فَلَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَسْتَعْجِلُوا بِهِ فَإِنَّهُ بِهِمْ وَاقِعٌ لَا شَكَّ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٥٥﴾ [يونس: ٥٥] حَقِيقَةَ وُقُوعِ ذَلِكَ بِهِمْ، فَهُمْ مِنْ أَجْلِ جَهْلِهِمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ.

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٥٦﴾ [يونس: ٥٦].

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ مِنْ إِحْيَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَرَادَ إِحْيَاءَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَلَا إِمَاتَتَهُمْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٥٦﴾ [يونس: ٥٦] وَهُمْ إِلَيْهِ يَصِيرُونَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ فَيُعَايِنُونَ مَا كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ مِنْ وَعِيدِ اللهِ وَعِقَابِهِ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ يَعْنِي ذِكْرَىٰ تُذَكِّرُكُمْ عِقَابَ اللهِ وَتُخَوِّفُكُمْ وَعِيدَهُ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، لَمْ يَخْتَلِقْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَفْتَعِلْهَا أَحَدٌ، فَتَقُولُوا: لَا نَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَا صِحَّةَ لَهَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ الْمَوْعِظَةُ مِنَ اللهِ..

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ وَدَوَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْجَهْلِ، يَشْفِي بِهِ اللهُ جَهْلَ الْجُهَّالِ، فَيُبْرِئُ بِهِ دَاءَهُمْ وَيَهْدِي بِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ بِهِ..

﴿وَهُدًى﴾ وَهُوَ بَيَانٌ لِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَنْقِذُهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيُنْجِيهِ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالرَّدَىٰ، فَجَعَلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَحْمَةً..

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [يونس: ٥٧] بِهِ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ، لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ بِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ عَمًى، وَفِي الْآخِرَةِ جَزَاؤُهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ الْخُلُودُ فِي لَظَىٰ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِكَ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَبَيَّنَهُ لَكُمْ وَدَعَاكُمْ إِلَيْهِ..

﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ الَّتِي رَحِمَكُمْ بِهَا، فَأَنْزَلَهَا إِلَيْكُمْ، فَعَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَصَّرَكُمْ بِهَا مَعَالِمَ دِينِكُمْ؛ وَذَلِكَ الْقُرْآنُ..

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٨] فَإِنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَالْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ، خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَأَمْوَالِهَا وَكُنُوزِهَا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝﴾ [يونس: ٥٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَرَأَيْتُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ مَا خَلَقَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ فَخَوَّلَكُمُوهُ، وَذَلِكَ مَا تَتَغَذُّونَ بِهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ..

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ فَحَلَّلْتُمْ بَعْضَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ، وَحَرَّمْتُمْ بَعْضَهُ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ كَتَحْرِيمِهِمْ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ مِنْ حُرُوثِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِأَوْثَانِهِمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وَمِنَ الْأَنْعَامِ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ بِالتَّبْحِيرِ وَالتَّسْيِيبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بِأَنْ تُحَرِّمُوا مَا حَرَّمْتُمْ مِنْهُ..

﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ [يونس: ٥٩] أَيْ تَقُولُونَ الْبَاطِلَ وَتَكْذِبُونَ؟

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس: ٦٠].

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ يَتَخَرَّصُونَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ، وَالْأَقْوَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ غِذَاءً..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ أَنَّ اللهَ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَذِبِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، أَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَصْفَحُ عَنْهُمْ وَيَغْفِرُ؟ كَلَّا بَلْ يُصْلِيهِمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ اللهَ لَذُو تَفَضُّلٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَةَ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَيْهِ الْكَذِبَ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِمْهَالِهِ إِيَّاهُ إِلَىٰ وُرُودِهِ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس: ٦٠] ـهُ عَلَىٰ تَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ نِعَمِهِ.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١].

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِى شَأْنٍ﴾ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ وَمَا تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مِنْ قُرْآنٍ..

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ إِلَّا وَنَحْنُ شُهُودٌ لِأَعْمَالِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ..

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ إِذْ تَعْمَلُونَهَا وَتَأْخُذُونَ فِيهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ عَمَلًا، إِلَّا وَهُوَ لَهُ شَاهِدٌ يُحْصِي عَلَيْهِ وَيَعْلَمُهُ، فَهُوَ خَبَرٌ مِنْهُ عَنْ وَقْتِ عَمَلِ الْعَامِلِينَ أَنَّهُ لَهُ شَاهِدٌ، لَا عَنْ وَقْتِ تِلَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ التَّنْزِيلُ: (إِذْ تُفِيضُ فِيهِ)؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَاحِدٌ لَا جَمْعٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١] فَأَفْرَدَهُ بِالْخِطَابِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ فِي

ابْتِدَائِهِ خِطَابَهُ ﷺ بِالْإِفْرَادِ، ثُمَّ عَوْدِهِ إِلَىٰ إِخْرَاجِ الْخِطَابِ عَلَىٰ الْجَمْعِ، نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].. ولَو كَانَتْ خَبَرًا عَنْ شُهُودِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَقْتَ إِفَاضَةِ الْقَوْمِ فِي الْقُرْآنِ، لَكَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِالْيَاءِ: (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ) خَبَرًا مِنْهُ عَنِ الْمُكَذِّبِينَ فِيهِ..

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَمَلُ خَلْقِهِ، وَلَا يَذْهَبُ عَلَيْهِ عِلْمُ شَيْءٍ.. وَأَصْلُهُ مِنْ عُزُوبِ الرَّجُلِ عَنْ أَهْلِهِ فِي مَاشِيَتِهِ، وَذَلِكَ غَيْبَتُهُ عَنْهُمْ فِيهَا، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَبَ الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِهِ يَعْزُبُ، وَيَعْزِبُ، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، لِاتِّفَاقِ مَعْنَيَيْهِمَا وَاسْتِفَاضَتِهِمَا فِي مَنْطِقِ الْعَرَبِ، غَيْرَ أَنِّي أَمِيلُ إِلَىٰ الضَّمِّ فِيهِ لِأَنَّهُ أَغْلَبُ عَلَىٰ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الْقُرَّاءِ..

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ مِنْ زِنَةِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ.. يُحْكَىٰ عَنِ الْعَرَبِ: خُذْ هَذَا فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِثْقَالًا مِنْ ذَاكِ؛ أَيْ أَخَفُّ وَزْنًا.. وَالذَّرَّةُ وَاحِدَةُ الذَّرِّ، وَالذَّرُّ: صِغَارُ النَّمْلِ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ حَيْثُ كَانَ مِنْ أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ..

﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ وَذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَصْغَرُ الْأَشْيَاءِ، وَإِنْ خَفَّ فِي الْوَزْنِ كُلَّ الْخِفَّةِ، وَمَقَادِيرُ ذَلِكَ وَمَبْلَغُهُ، وَلَا أَكْبَرُهَا وَإِنْ عَظُمَ وَثَقُلَ وَزْنُهُ، وَكَمْ مَبْلَغُ ذَلِكَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ: فَلْيَكُنْ عَمَلُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَإِنَّا شُهُودٌ لِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْهَا، وَنَحْنُ مُحْصُوهَا وَمُجَازُوكُمْ بِهَا..

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ وَمَا ذَاكَ كُلُّهُ إِلَّا فِي كِتَابٍ عِنْدَ اللهِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١] عَنْ حَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنِ اللهِ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أَلَا إِنَّ أَنْصَارَ اللهِ.. وَالْأَوْلِيَاءُ جَمْعُ وَلِيٍّ، وَهُوَ النَّصِيرُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ قَوْمٌ يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤْيَتِهِمْ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سِيمَا الْخَيْرِ وَالْإِخْبَاتِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: فِي ذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ**، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، **فَلَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ**؟ قَالَ: **هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**، وَقَرَأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾

[يونس: ٦٢]».. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: الْوَلِيُّ -أَعْنِي: وَلِيَّ اللهِ- هُوَ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ اللهُ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي آمَنَ وَاتَّقَى، كَمَا قَالَ اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، كَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] (أَبَى أَنْ يَتَقَبَّلَ الإِيمَانَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)..

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَضِيَ عَنْهُمْ فَآمَنَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢] عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣] اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.. وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مِنْ نَعْتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٤].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ﴾ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنَ الْبِشَارَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، ومِنْهَا بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ: «اخْرُجِي إِلَى رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ»، وَمِنْهَا: بُشْرَى اللهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]..الْآيَةَ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ بُشْرَى اللهِ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَشَّرَهُ بِهَا، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، فَذَلِكَ مِمَّا عَمَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ..

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ إِنَّ اللهَ لَا خُلْفَ لِوَعْدِهِ، وَلَا تَغْيِيرَ لِقَوْلِهِ عَمَّا قَالَ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْضِي

لِخَلْقِهِ مَوَاعِيدَهُ، وَيُنْجِزُهَا لَهُمْ.. قَالَ نَافِعٌ: (أَطَالَ الْحَجَّاجُ الْخُطْبَةَ، فَوَضَعَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَدَّلَ كِتَابَ اللهِ فَقَعَدَ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ: لا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ ذَاكَ، وَلا ابْنُ الزُّبَيْرِ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَقَدْ أُوتِيتَ عِلْمًا إِنْ نَفَعَكَ)..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ هِيَ..

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٤] الظَّفَرُ بِالْحَاجَةِ وَالطَّلِبَةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَوْلُهُمْ﴾ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي رَبِّهِمْ مَا يَقُولُونَ، وَإِشْرَاكِهِمْ مَعَهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ؛ فَـ..

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِعِزَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا، وَهُوَ الْمُنْتَقِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ مَا يَقُولُونَ، فَلَا يَنْصُرُهُمْ عِنْدَ انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَازُّهُ شَيْءٌ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ ذُو السَّمْعِ لِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥] وَذُو عِلْمٍ بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيُعْلِنُونَهُ، مُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُلَّهُ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس: ٦٦].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ يَا مُحَمَّدُ كُلُّ..

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَعَبِيدًا، لَا مَالِكَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سِوَاهُ، يَقُولُ: فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَعْبُودًا مَنْ يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَهِيَ للهِ مِلْكٌ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ لِلْمَالِكِ دُونَ الْمَمْلُوكِ، وَلِلرَّبِّ دُونَ الْمَرْبُوبِ..

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ، يَعْنِي غَيْرَ اللهِ وَسِوَاهُ شُرَكَاءَ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ مَنْ يَقُولُ للهِ شُرَكَاءُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ كَاذِبًا، وَاللهُ الْمُنْفَرِدُ بِمِلْكِ كُلِّ شَيْءٍ فِي سَمَاءٍ كَانَ أَوْ أَرْضٍ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مَا يَتَّبِعُونَ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ وَدَعْوَاهُمْ إِلَّا الظَّنَّ، يَقُولُ: إِلَّا الشَّكَّ لَا الْيَقِينَ..

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝﴾ [يونس: ٦٦] وَإِنْ هُمْ يَتَقَوَّلُونَ الْبَاطِلَ تَظَنُّنًا وَتَخَرُّصًا لِلْإِفْكِ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَا يَقُولُونَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝﴾ [يونس: ٦٧].

﴿هُوَ﴾ الرَّبُّ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ وَفَصَلَهُ مِنَ النَّهَارِ..

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي نَهَارِكُمْ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَتَهْدَءُوا فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ لِلْمَعَاشِ وَالْعَنَاءِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ بِالنَّهَارِ..

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا، فَأَضَافَ الْإِبْصَارَ إِلَى النَّهَارِ، وَإِنَّمَا يُبْصَرُ فِيهِ، وَلَيْسَ النَّهَارُ مِمَّا يُبْصِرُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَفْهُومًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ، خَاطَبَهُمْ بِمَا فِي لُغَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَهَذَا الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، لَا مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ حَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَحَالِ أَهْلِهِمَا فِيهِمَا..

﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ دَلَالَةً وَحُجَجًا عَلَى أَنَّ الَّذِيَ لَهُ الْعِبَادَةُ خَالِصًا بِغَيْرِ شَرِيكٍ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَخَالَفَ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ جَعَلَ هَذَا لِلْخَلْقِ سَكَنًا، وَهَذَا لَهُمْ مَعَاشًا، دُونَ مَنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ..

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝﴾ [يونس: ٦٧] لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ: الَّذِينَ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الْحُجَجَ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَتَّعِظُونَ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ، ثُمَّ يُعْرِضُونَ عَنْ عِبَرِهِ وَعِظَاتِهِ.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [يونس: ٦٨].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، يَقُولُ اللهُ مُنَزِّهًا نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا وَافْتَرَوْا

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ سُبْحَانَ اللهُ، تَنْزِيهًا للهِ عَمَّا قَالُوا وَادَّعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ اللهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ وَلَدٍ، لِأَنَّ الْوَلَدَ إِنَّمَا يَطْلُبُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ لِيَكُونَ عَوْنًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَذِكْرًا لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَاللهُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ غَنِيٌّ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ مُعِينٍ يُعِينُهُ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ، وَلَا يَبِيدُ فَيَكُونُ بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ خَلَفٍ بَعْدَهُ..

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مِلْكًا، وَالْمَلَائِكَةُ عِبَادُهُ وَمِلْكُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَبْدُ الرَّجُلِ وَمِلْكُهُ لَهُ وَلَدًا؟! يَقُولُ: أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ خَطَأَ مَا تَقُولُونَ؟..

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِمَا تَقُولُونَ وَتَدَّعُونَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللهِ مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ بِهَا، وَهِيَ السُّلْطَانُ..

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يونس: ٦٨] حَقِيقَتَهُ وَصِحَّتَهُ، وَتُضِيفُونَ إِلَيْهِ مَا لَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ جَهْلًا مِنْكُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [يونس: ٦٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فَيَقُولُونَ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ، وَيَدَّعُونَ لَهُ وَلَدًا..

﴿لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [يونس: ٦٩] لَا يَبْقُونَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَهُمْ.

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ [يونس: ٧٠].

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يُمَتَّعُونَ بِهِ، وَبَلَاغٌ يَتَبَلَّغُونَ بِهِ إِلَىٰ الْأَجَلِ الَّذِي كُتِبَ فَنَاؤُهُمْ فِيهِ..

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ثُمَّ إِذَا انْقَضَىٰ أَجَلُهُمُ الَّذِي كُتِبَ لَهُمْ، إِلَيْنَا مَصِيرُهُمْ وَمُنْقَلَبُهُمْ..

﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ وَذَلِكَ إِصْلَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ [يونس: ٧٠] بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، فَيُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ.

﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس: ٧١].

﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وَاتْلُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي قَالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مِنْ قَوْمِكَ..

﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خَبَرَ نُوحٍ..

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ إِنْ كَانَ عَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ..

﴿وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وَوَعْظِي إِيَّاكُمْ بِحُجَجِ اللهِ، وَتَنْبِيهِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ إِنْ كَانَ شَقَّ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ، فَعَزَمْتُمْ عَلَىٰ قَتْلِي أَوْ طَرْدِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَعَلَىٰ اللهِ اتِّكَالِي وَبِهِ ثِقَتِي وَهُوَ سَنَدِي وَظَهْرِي..

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ فَأَعِدُّوا أَمْرَكُمْ وَاعْزِمُوا عَلَىٰ مَا تُقْدِمُونَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِي، يُقَالُ مِنْهُ: أَجْمَعْتُ عَلَىٰ كَذَا، بِمَعْنَىٰ: عَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَىٰ الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ**» بِمَعْنَىٰ: مَنْ لَمْ يَعْزِمْ..

﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ..

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ مُلْتَبِسًا مُشْكَلًا مُبْهَمًا؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: غُمَّ عَلَىٰ النَّاسِ الْهِلَالُ، وَذَلِكَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتَبَيَّنُوهُ..

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ ثُمَّ امْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَافْرُغُوا مِنْهُ..

﴿وَلَا تُنْظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس: ٧١] وَلَا تُؤَخِّرُونَ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْظَرْتُ فُلَانًا بِمَا لِي عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ نَبِيِّهِ نُوحٍ ﷺ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ بِنُصْرَةِ اللهِ لَهُ عَلَيْهِمْ وَاثِقٌ وَمِنْ كَيْدِهِمْ غَيْرُ خَائِفٍ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، يَقُولُ لَهُمْ: امْضُوا مَا تُحَدِّثُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ فِيَّ عَلَىٰ عَزْمٍ مِنْكُمْ صَحِيحٍ، وَاسْتَعِينُوا مَنْ شَايَعَكُمْ عَلَيَّ بِآلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَا تُؤَخِّرُوا ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَا بِهِ وَاثِقٌ أَنَّكُمْ لَا تَضُرُّونِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ نُوحٍ، فَإِنَّهُ حَثٌّ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ التَّأَسِّي بِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ فِيمَا قَلَّدَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْبَلَاغِ عَنْهُ.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٢].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نَبِيِّهِ نُوحٍ ﷺ لِقَوْمِهِ: فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَنِّي بَعْدَ دُعَائِي إِيَّاكُمْ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةَ رَبِّي إِلَيْكُمْ مُدْبِرِينَ، فَأَعْرَضْتُمْ عَمَّا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ إِشْرَاكِ الْآلِهَةِ فِي عِبَادَتِهِ، فَبِتَضْيِيعٍ مِنْكُمْ، وَتَفْرِيطٍ فِي وَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ، لَا بِسَبَبٍ مِنْ قِبَلِي..

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فَإِنِّي لَمْ أَسْأَلْكُمْ عَلَىٰ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ أَجْرًا، وَلَا عِوَضًا أَعْتَاضُهُ مِنْكُمْ بِإِجَابَتِكُمْ إِيَّايَ إِلَىٰ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَلَا طَلَبْتُ مِنْكُمْ عَلَيْهِ ثَوَابًا وَلَا جَزَاءً..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ إِنْ جَزَائِيَ، وَأَجْرُ عَمَلِي، وَثَوَابُهُ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَلَا عَلَىٰ غَيْرِكُمْ..

﴿وَأُمِرْتُ﴾ وَأَمَرَنِي رَبِّي..

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٢] الْمُذْعِنِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، الْمُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الْمُذَلَّلِينَ لَهُ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبِأَمْرِهِ آمُرُكُمْ بِتَرْكِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٣].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَكَذَّبَ نُوحًا قَوْمُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ عَنِ اللهِ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ..

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ مِمَّنْ حَمَلَ مَعَهُ..

﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ فِي السَّفِينَةِ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ نَجَّيْنَا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ..

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ..

﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بَعْدَ أَنْ أَغْرَقْنَا..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يَعْنِي حُجَجَنَا وَأَدِلَّتَنَا عَلَىٰ تَوْحِيدِنَا، وَرِسَالَةِ رَسُولِنَا نُوحٍ..

﴿فَٱنظُرْ﴾ يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٣] وَهُمُ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ نُوحٌ عِقَابَ اللهِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ

إِيَّاهُ، وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: انْظُرْ مَاذَا أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ رَسُولَهُمْ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ إِنْ تَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ نَحْوُ الَّذِي كَانَ مِنْ عَاقِبَةِ قَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلْيَحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ..

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم﴾ فَأَتَوْهُمْ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَأَنَّهُمْ للهِ رُسُلٌ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ حَقٌّ..

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ لِيُصَدِّقُوا بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ..

﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ بِمَا كَذَّبَ بِهِ قَوْمُ نُوحٍ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا طَبَعْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ أُولَئِكَ فَخَتَمْنَا عَلَيْهَا، فَلَمْ يَكُونُوا يَقْبَلُونَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ نَصِيحَتَهُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِدُعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِمَا اجْتَرَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَاكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، كَذَلِكَ..

﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤] نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ مَنِ اعْتَدَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَتَجَاوَزَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَخَالَفَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُهُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس: ٧٥].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ..

﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ابْنَيْ عِمْرَانَ..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ مِصْرَ..

﴿وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ وَسَادَتِهِمْ..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ الْإِذْعَانِ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُمَا بِالرِّسَالَةِ..

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَنِ الْإِقْرَارِ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ..

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٥] آثِمِينَ بِرَبِّهِمْ؛ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [يونس: ٧٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيَانُ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ، وَذَلِكَ الْحُجَجُ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [يونس: ٧٦] يَعْنُونَ: أَنَّهُ يَبِينُ لِمَنْ رَآهُ وَعَايَنَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝﴾ [يونس: ٧٧].

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ لَهُمْ..

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي أَتَاهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، سِحْرٌ..

﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ الْحَقُّ الَّذِي تَرَوْنَهُ؟.. فَيَكُونُ السِّحْرُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفًا اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِ مُوسَىٰ ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] وَالْمَعْنَىٰ: بَعَثْنَاهُمْ لِيَسُوؤُوا وجُوهَكُمْ، فَتَرَكَ ذَلِكَ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، فِي أَشْبَاهٍ لِمَا ذَكَرْنَا كَثِيرَةٍ يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا..

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝﴾ [يونس: ٧٧] وَلَا يَنْجَحُ السَّاحِرُونَ وَلَا يَبْقُونَ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [يونس: ٧٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لِتَصْرِفَنَا وَتَلْوِيَنَا.. يُقَالُ مِنْهُ: لَفَتَ فُلَانٌ عُنُقَ فُلَانٍ إِذَا لَوَاهَا..

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِكَ مِنَ الدِّينِ..

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يَعْنِي الْعَظَمَةَ، والْمُلْكَ، والسُّلْطَانَ فِي الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا مُتَقَارِبَاتِ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ سُلْطَانٌ، وَالطَّاعَةَ مُلْكٌ؛ غَيْرَ أَنَّ مَعْنَى الْكِبْرِيَاءِ هُوَ مَا ثَبَتَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ عَظَمَةً بِمُلْكٍ وَسُلْطَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا﴾ يَا مُوسَى وَهَارُونَ..

﴿بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾ [يونس: ٧٨] بِمُقِرِّينَ بِأَنَّكُمَا رَسُولَانِ أُرْسِلْتُمَا إِلَيْنَا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِقَوْمِهِ..

﴿ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ مَنْ يَسْحَرُ مِنَ السَّحَرَةِ..

﴿عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩] بِالسِّحْرِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ [يونس: ٨٠].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ [يونس: ٨٠] مِنْ حِبَالِكُمْ وَعِصِيِّكُمْ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ، وَهُوَ: فَأَتَوْهُ بِالسَّحَرَةِ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ، وَلَكِنِ اكْتَفَى بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ عَلَى ذَلِكَ، فَتُرِكَ ذِكْرُهُ.. وَكَذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾ مَحْذُوفٌ أَيْضًا قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ: فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ﴾، وَلَكِنِ اكْتُفِي بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، فَتُرِكَ ذِكْرُهُ.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس: ٨١].

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ مَا هُمْ مُلْقُوهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ﴾ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ أَيُّهَا السَّحَرَةُ هُوَ السِّحْرُ الَّذِي وَصَفْتُمْ بِهِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، هُوَ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ أَنْتُمْ لَا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَنَا، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سَيُذْهِبُ بِهِ، فَذَهَبَ بِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِ عَصَا مُوسَى، قَدْ حَوَّلَهَا ثُعْبَانًا يَتَلَقَّفُهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس: ٨١] أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ مَنْ سَعَىٰ فِي أَرْضِ اللهِ بِمَا يَكْرَهُهُ وَعَمِلَ فِيهَا بِمَعَاصِيهِ.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: ٨٢].

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ مُوسَىٰ أَنَّهُ قَالَ لِلسَّحَرَةِ: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾، يَقُولُ: وَيُثْبِتُ اللهُ الْحَقَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُعْلِيهِ عَلَىٰ بَاطِلِكُمْ، وَيُصَحِّحُهُ..

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِأَمْرِهِ..

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: ٨٢] الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْإِثْمَ بِرَبِّهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٨٣﴾ [يونس: ٨٣].

﴿فَمَآ ءَامَنَ﴾ فَلَمْ يُؤْمِنْ..

﴿لِمُوسَىٰٓ﴾ مَعَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ..

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِطُولِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ الْآبَاءَ مَاتُوا وَبَقِيَ الْأَبْنَاءُ، فَقِيلَ لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ذُرِّيَّةَ مَنْ هَلَكَ مِمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ ﷺ.. وَبَعْدُ، فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ لَا مِنْ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ لَكَانَ الْكَلَامُ: (عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْهُ)، وَلَمْ يَكُنْ ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾..

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ عَلَىٰ حَالِ خَوْفٍ مِمَّنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمِ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ..

﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الْمَلَأُ: الْأَشْرَافُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَمِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ عَنَىٰ بِهَا الذُّرِّيَّةَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ، عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَمَلَأِ الذُّرِّيَّةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي ذُرِّيَّةِ الْقَرْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ مَنْ كَانَ أَبُوهُ قِبْطِيًّا وَأُمُّهُ إِسْرَائِيلِيَّةً، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْهُمْ كَانَ مَعَ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ كَانَ إِيمَانُ مَنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ بِالْعَذَابِ، فَيَصُدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَحْمِلَهُمْ عَلَىٰ الرُّجُوعِ عَنْ إِيمَانِهِمْ، وَالْكُفْرِ بِاللهِ، وَقَالَ: ﴿أَن

﴿يَفْتِنَهُمْ﴾ فَوَحَّدَ وَلَمْ يَقُلْ: (أَنْ يَفْتِنُوهُمْ)، لِدَلِيلِ الْخَبَرِ عَنْ فِرْعَوْنَ بِذَلِكَ، أَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ لِمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾..

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَجَبَّارٌ مُسْتَكْبِرٌ عَلَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٨٣﴾ [يونس: ٨٣] الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَذَلِكَ كُفْرُهُ بِاللهِ، وَتَرْكُهُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَجُحُودُهُ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَادِّعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ الْأُلُوهَةَ، وَسَفْكُهُ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حِلِّهَا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ نَبِيِّهِ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ إِنْ كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَصَدَّقْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ فَبِهِ فَثِقُوا، وَلِأَمْرِهِ فَسَلِّمُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْذُلَ وَلِيَّهُ، وَلَنْ يُسْلِمَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤] مُذْعِنِينَ للهِ بِالطَّاعَةِ، فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥﴾ [يونس: ٨٥].

﴿فَقَالُواْ﴾ فَقَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وَبِهِ وَثِقْنَا، وَإِلَيْهِ فَوَّضْنَا أَمْرَنَا..

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥﴾ [يونس: ٨٥] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ دَعَوْا رَبَّهُمْ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا لَا تَخْتَبِرْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، وَلَا تَمْتَحِنْهُمْ بِنَا؛ يَعْنُونَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي سَأَلُوهُ رَبَّهُمْ مِنْ إِعَاذَتِهِ ابْتِلَاءِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ بِهِمْ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَأَلُوهُ أَنْ لَا يُظْهِرَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَيَظُنُّوا أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سُلِّطُوا عَلَيْهِمْ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ، وَهَوَانِ الْآخَرِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ فِي أَنْ يُجِيرَهُمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مِحْنَةً لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ وَبَلَاءً، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ كَانَ لَهُمْ مَصَدَّةٌ عَنِ اتِّبَاعِ مُوسَىٰ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ ذلكَ أَنْ يُسَلَّطُوا عليهم، فإنَّ ذلكَ كان لا شكَّ -لو كان- مِن أعظمِ الْأُمُورِ لَهُمْ إِبْعَادًا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْمَصَدَّةِ كَانَ لَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، أَنْ لَوْ كَانَ قَوْمُ مُوسَىٰ عَاجَلَتْهُمْ مِنَ اللهِ مِحْنَةٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِنْ بَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِهِمْ، فَاسْتَعَاذَ الْقَوْمُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ مَعْنَىٰ يَكُونُ صَادًّا لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ بِأَسْبَابِهِمْ.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٦﴾ [يونس: ٨٦].

﴿وَنَجِّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿بِرَحْمَتِكَ﴾ فَخَلِّصْنَا..

﴿مِنَ﴾ أَيْدِي..

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٦﴾ [يونس: ٨٦] قَوْمِ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْبِدُونَهُمْ، وَيَسْتَعْمِلُونَهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ الْقَذِرَةِ مِنْ خِدْمَتِهِمْ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٧﴾ [يونس: ٨٧].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتَّخِذَا..

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَسَاجِدَ تُصَلُّونَ فِيهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاجْعَلُوا مَسَاجِدَكُمْ قِبَلَ الْكَعْبَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ يُقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي قَدَّمْنَا بَيَانَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِي الْبُيُوتِ - وَإِنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتًا - الْبُيُوتُ الْمَسْكُونَةُ إِذَا ذُكِرَتْ بِاسْمِهَا الْمُطْلَقِ دُونَ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهَا اسْمٌ هِيَ بِهِ مَعْرُوفَةٌ خَاصٌّ لَهَا، وَذَلِكَ الْمَسَاجِدُ، فَأَمَّا الْبُيُوتُ الْمُطْلَقَةُ بِغَيْرِ وَصْلِهَا بِشَيْءٍ، وَلَا إِضَافَتِهَا إِلَىٰ شَيْءٍ، فَالْبُيُوتُ الْمَسْكُونَةُ، وَكَذَلِكَ الْقِبْلَةُ الْأَغْلَبُ مِنَ اسْتِعْمَالِ النَّاسِ إِيَّاهَا فِي قِبَلِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَوَاتِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَّا إِلَىٰ الْأَغْلَبِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، دُونَ الْخَفِيِّ الْمَجْهُولِ، مَا لَمْ تَأْتِ دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ دَلَالَةٌ تَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّ مَعْنَاهُ غَيْرُ الظَّاهِرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، لَمْ يَجُزْ لَنَا تَوْجِيهُهُ إِلَىٰ غَيْرِ الظَّاهِرِ الَّذِي وَصَفْنَا..

﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ وَأَدُّوا..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٧﴾ [يونس: ٨٧] وَبَشِّرْ مُقِيمِي الصَّلَاةِ الْمُطِيعِي اللهِ يَا مُحَمَّدُ، الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْهُ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

[يونس: ٨٨].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ يَا..

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ﴾ أَعْطَيْتَ..

﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ﴾ وَكُبَرَاءَ قَوْمِهِ، وَأَشْرَافَهُمْ، وَهُمُ الْمَلأُ..

﴿زِينَةً﴾ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَأَثَاثِهَا..

﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ مِنْ أَعْيَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ يَقُولُ مُوسَىٰ لِرَبِّهِ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَهُمْ مَا أَعْطَيْتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيَصُدُّوا عِبَادَكَ عَنْ دِينِكَ عُقُوبَةً مِنْكَ..

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ هَذَا دُعَاءٌ مِنْ مُوسَىٰ، دَعَا اللهَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَنْ يُغَيِّرَ أَمْوَالَهُمْ عَنْ هَيْئَتِهَا، وَيُبْدِلَهَا إِلَىٰ غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي هِيَ بِهَا، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]، يَعْنِي بِهِ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نُغَيِّرَهَا عَنْ هَيْئَتِهَا الَّتِي هِيَ بِهَا، وَقَدْ تَسْتَعْمِلُ الْعَرَبُ الطَّمْسَ فِي الْعَفْوِ وَالدُّثُورِ وَفِي الِانْدِقَاقِ وَالدُّرُوسِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (بَلَغَنَا أَنَّ زُرُوعَهُمْ تَحَوَّلَتْ حِجَارَةً).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَدْ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ؛ طَمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، فَصَارَتْ حِجَارَةً، ذَهَبُهُمْ، وَدَرَاهِمُهُمْ، وَعَدَسُهُمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ).

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَاطْبَعْ عَلَيْهَا حَتَّىٰ لَا تَلِينَ وَلَا تَنْشَرِحَ بِالْإِيمَانِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وَحَالَ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ الْإِيمَانُ..

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ فَلَا يُصَدِّقُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَيُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨] حَتَّىٰ يَرَوُا الْغَرَقَ.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُمَا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ إِجَابَتِهِ لِمُوسَىٰ ﷺ وَهَارُونَ دُعَاءَهُمَا عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فِي فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَأَمْوَالِهِمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ نُسِبَتِ الْإِجَابَةُ إِلَىٰ اثْنَيْنِ، وَالدُّعَاءُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ وَاحِدٍ قِيلَ: إِنَّ الدَّاعِيَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا، فَإِنَّ الثَّانِيَ كَانَ مُؤَمِّنًا وَهُوَ هَارُونُ،

فَلِذَلِكَ نُسِبَتِ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِمَا، لِأَنَّ الْمُؤَمِّنَ دَاعٍ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ الْعَرَبَ تُخَاطِبُ الْوَاحِدَ خِطَابَ الِاثْنَيْنِ.. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: (**يَقُولُونَ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مَكَثَ بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**)..

﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ فَامْضِيَا لِأَمْرِي..

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ وَلَا تَسْلُكَانِ..

﴿سَبِيلَ﴾ طَرِيقَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾ [يونس: ٨٩] الَّذِينَ يَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ وَعْدِي، فَتَسْتَعْجِلَانِ قَضَائِي، فَإِنَّ وَعْدِيَ لَا خَالِفَ لَهُ، وَإِنَّ وَعِيدِيَ نَازِلٌ بِفِرْعَوْنَ، وَعَذَابِي وَاقِعٌ بِهِ وَبِقَوْمِهِ.

﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠].

﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا﴾ وَقَطَعْنَا..

﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ حَتَّى جَاوَزُوهُ..

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ فَتَبِعَهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: اتَّبَعْتُهُ وَتَبِعْتُهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ..

﴿فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا﴾ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَعَدۡوًاۖ﴾ وَاعْتِدَاءً عَلَيْهِمْ، فَغَرَّقْنَاهُ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ حَتَّى إِذَا أَحَاطَ بِهِ الْغَرَقُ..

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ..

﴿ءَامَنتُ﴾ أَقْرَرْتُ..

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس: ٩١].

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا فِرْعَوْنَ قُبْحَ صَنِيعِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَإِسَاءَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ أَيَّامَ صِحَّتِهِ، بِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ وَمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ حِينَ فَزِعَ إِلَيْهِ فِي حَالِ حُلُولِ سَخَطِهِ بِهِ وَنُزُولِ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ لَمَّا نَادَاهُ وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ وَغَشِيَتْهُ كَرْبُ الْمَوْتِ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠] لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ بِالْعُبُودِيَّةِ: الْآنَ تُقِرُّ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ..

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ـه..

﴿قَبْلُ﴾ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ..

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس: ٩١] فِي الْأَرْضِ الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ؟ فَهَلَّا وَأَنْتَ فِي مَهْلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ أَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ الْآنَ مُقِرٌّ.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٢].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِفِرْعَونَ: فَالْيَوْمَ نَجْعَلُكَ عَلَىٰ نَجْوَةِ الْأَرْضِ بِبَدَنِكَ، يَنْظُرُ إِلَيْكَ هَالِكًا مَنْ كَذَّبَ بِهَلَاكِكَ.. وَالنَّجْوَةُ: الْمَوْضِعُ الْمُرْتَفِعُ عَلَىٰ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: بِبَدَنِكَ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُنَجِّيَهُ بِغَيْرِ بَدَنِهِ، فَيَحْتَاجُ الْكَلَامُ إِلَىٰ أَنْ يُقَالَ فِيهِ بِبَدَنِكَ؟ قِيلَ: كَانَ جَائِزًا أَنْ يُنَجِّيَهُ بِهَيْئَتِهِ حَيًا كَمَا دَخَلَ البحرَ، فَلَمَّا كانَ جائزًا ذلك، قِيلَ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، ليُعلَم أَنَّهُ يُنَجِّيهِ بِالْبَدَنِ بِغَيْرِ رَوْحٍ، وَلَكِنْ مَيِّتًا..

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ لِمَنْ بَعْدَكَ مِنَ النَّاسِ..

﴿ءَايَةً﴾ عِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِكَ، فَيَنْزَجِرُونَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَالسَّعْيِ فِي أَرْضِهِ بِالْفَسَادِ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**لَمَّا جَاوَزَ مُوسَىٰ الْبَحْرَ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ، الْتَقَىٰ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ يَعْنِي عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهُ فَأَغْرَقَهُمْ، فَقَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ لا يَكُونَ فِرْعَوْنُ غَرِقَ، وَلا نُؤْمِنُ بِهَلَاكِهِ، فَدَعَا رَبَّهُ فَأَخْرَجَهُ، فَنَبَذَهُ الْبَحْرُ حَتَّىٰ اسْتَيْقَنُوا بِهَلَاكِهِ**)..

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ حُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ أَنَّ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ لَنَا خَالِصَةً..

﴿لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٢] لَسَاهُونَ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٩٣﴾ [يونس: ٩٣].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أَنْزَلْنَا..

﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ مَنَازِلَ صِدْقٍ، قِيلَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ الشَّامَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ الشَّامَ وَمِصْرَ..

﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾ وَرَزَقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ وَهُوَ الطَّيِّبُ..

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ فَمَا اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلْنَا بِهِمْ هَذَا الْفِعْلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا بِهِ عَالِمِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ ﷺ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِمَبْعَثِهِ، غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ فِيهِ بِالنَّعْتِ الَّذِي كَانُوا يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَآمَنَ بِهِ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْهُمْ كَانُوا عَدَدًا قَلِيلًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْمَعْلُومُ الَّذِي كَانُوا يَعْلَمُونَهُ نَبِيًّا لِلهِ، فَوَضَعَ الْعِلْمَ مَكَانَ الْمَعْلُومِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيكَ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: ٩٣] مِنْ أَمْرِي فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُدْخِلَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ مِنْهُمُ النَّارَ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْهُمُ الْجَنَّةَ، فَذَلِكَ قَضَاؤُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

﴿فَإِن كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ فِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْنَاكَ، وَأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي نُبُوَّتِكَ قَبْلَ أَنْ تُبْعَثَ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَكَ عِنْدَهُمْ مَكْتُوبًا وَيَعْرِفُونَكَ بِالصِّفَةِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مَوْصُوفٌ فِي كِتَابِهِمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿فَسْـَٔلِ﴾ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَنَحْوِهِ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ بِكَ مِنْهُمْ، دُونَ أَهْلِ الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ بِكَ مِنْهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَكٍّ مِنْ خَبَرِ اللهِ أَنَّهُ حَقٌّ يَقِينٌ حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾؟ قِيلَ: لَا، لَمْ يَشُكَّ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَسْأَلْ.. فَإِنْ قَالَ: فَمَا وَجْهُ مَخْرَجِ هَذَا الْكَلَامِ إِذَنْ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ؟ قِيلَ: قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا اسْتِجَازَةَ الْعَرَبِ قَوْلَ الْقَائِلِ مِنْهُمْ لِمَمْلُوكِهِ: إِنْ كُنْتَ مَمْلُوكِي فَانْتَهِ إِلَىٰ أَمْرِي؛ وَالْعَبْدُ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَشُكُّ سَيِّدُهُ الْقَائِلُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ عَبْدُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ لِابْنِهِ: إِنْ كُنْتَ ابْنِي فَبَرَّنِي؛ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي

ابْنِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ فِيهِمْ، وَأَنَّ مِنْهُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ ﷺ شَاكًّا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ وَصِحَّتِهِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ كَانَ عَالِمًا، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَهُ خِطَابَ قَوْمِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِذْ كَانَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ..

﴿لَقَدْ﴾ أُقْسِمُ لَقَدْ..

﴿جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الْيَقِينُ..

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مِنَ الْخَبَرِ بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَ نَعْتَكَ عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝﴾ [يونس: ٩٤] الشَّاكِينَ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ وَحَقِيقَتِهِ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ خُوطِبَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهَا بَعْضُ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَحَّتْ بَصِيرَتُهُ بِنُبُوَّتِهِ ﷺ، مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ، تَنْبِيهًا لَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ تَعَرُّفِ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ، الَّذِي يُزِيلُ اللَّبْسَ عَنْ قَلْبِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ١]، كَانَ قَوْلًا غَيْرَ مَدْفُوعَةٍ صِحَّتُهُ.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [يونس: ٩٥].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [يونس: ٩٥] فَتَكُونَ مِمَّنْ غَبَنَ حَظَّهُ وَبَاعَ رَحْمَةَ اللهِ وَرِضَاهُ بِسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [يونس: ٩٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وَهِيَ لَعْنَتُهُ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [هود: ١٨]، فَثَبَتَتْ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ مِنْهُ: حَقَّ عَلَىٰ فُلَانٍ كَذَا يَحِقُّ عَلَيْهِ: إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَوَجَبَ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [يونس: ٩٦] لَا يُصَدِّقُونَ بِحُجَجِ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ وَلَا بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٧].

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ وَمَوْعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ فَعَايَنُوهَا..

﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ﴾ حَتَّىٰ يُعَايِنُوا..

﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس: ٩٧] كَمَا لَمْ يُؤْمِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ، إِذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ حَتَّىٰ عَايَنُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، فَحِينَئِذٍ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُ قِيلُه، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ مِنْ قَوْمِكَ، مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ فَيَتَّبِعُونَكَ إِلَّا فِي الْحِينِ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨﴾ [يونس: ٩٨].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فَمَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ عِنْدَ مُعَايَنَتِهَا الْعَذَابَ وَنُزُولَ سَخَطِ اللهِ بِهَا بِعِصْيَانِهَا رَبَّهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا عِقَابَهُ..

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَمَا لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ إِيمَانُهُ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ بَعْدَ تَمَادِيهِ فِي غَيِّهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ سَخَطَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ..

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ فَإِنَّهُمْ نَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْعُقُوبَةِ وَحُلُولِ السَّخَطِ بِهِمْ، فَاسْتَثْنَىٰ اللهُ قَوْمَ يُونُسَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّذِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ إِيمَانُهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِسَاحَتِهِمْ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهُ، وَأَخْبَرَ خَلْقَهُ أَنَّهُ نَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (لَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، لَمْ يَنْفَعْ قَرْيَةٌ كَفَرَتْ ثُمَّ آمَنَتْ حِينَ حَضَرَهَا الْعَذَابُ فَتُرِكَتْ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، لَمَّا فَقَدُوا نَبِيَّهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ دَنَا مِنْهُمْ، قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ، وَلَبِسُوا الْمُسُوحَ، وَأَلْهَوْا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُم عَجُّوا إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا عَرَفَ اللهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَالتَّوْبَةَ وَالنَّدَامَةَ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْهُمْ، كَشَفَ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بَعْدَ أَنْ تَدَلَّىٰ عَلَيْهِمْ)..

﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ لَمَّا صَدَّقُوا رَسُولَهُمْ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ بَعْدَ مَا أَظَلَّهُمُ الْعَذَابُ وَغَشِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَنَزَلَ بِهِمُ الْبَلَاءُ..

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْهَوَانِ وَالذُّلِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَآ﴾ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا..

﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾ وَأَخَّرْنَا فِي آجَالِهِمْ وَلَمْ نُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَرَكْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا يَسْتَمْتِعُونَ فِيهَا بِآجَالِهِمْ..

﴿إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨] مَمَاتِهِمْ وَوَقْتِ فَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ فَصَدَّقوكَ أَنَّكَ لِي رَسُولٌ، وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ وَمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعُبُودَةِ لَهُ حَقٌّ، وَلَكِنْ لَا يَشَاءُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَسُولًا أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِكَ وَلَا يَتَّبِعُكَ فَيُصَدِّقُوكَ بِمَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ، إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَجِبُوا مِنْ صِدْقِ إِيحَائِنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، لِتُنْذِرَ بِهِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِإِنْذَارِهِ، مِمَّنْ قَدْ سَبَقَ لَهُ عِنْدِي أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ.. وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَحْرِصُ أَنْ يُؤْمِنَ جَمِيعُ النَّاسِ، وَيُتَابِعُوهُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، فَأَخْبَرَهُ اللهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وَلَا يَضِلُّ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ الشَّقَاءُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾، فَالْكُلُّ يَدُلُّ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَالْجَمِيعُ عَلَىٰ الْكُلِّ، فَمَا وَجْهُ تَكْرَارِ ذَلِكَ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُغْنِي عَنِ الْأُخْرَىٰ؟ قِيلَ: قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي أَهْلِ الْبَصْرَةِ: جَاءَ بِقَوْلِهِ ﴿جَمِيعًاۚ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوْكِيدًا كَمَا قَالَ: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١]، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الِاثْنَيْنِ.. وَقَالَ بَعْضُهُم: وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا لِيُعْلَمَ أَنَّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ لَجَازَ هَهُنَا..

﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّهُ لَنْ يُصَدِّقَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَنْ يَتَّبِعَكَ وَيَقِرَّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا مَنْ شَاءَ رَبُّكَ أَنْ يُصَدِّقَكَ، لَا بِإِكْرَاهِكَ إِيَّاهُ وَلَا بِحِرْصِكَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ لَكَ، مُصَدِّقِينَ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ؟ يَقُولُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]، وَ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس: ٩٦].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾

[يونس: ١٠٠].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ خَلَقْتُهَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ تَصْدِيقِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إِلَّا بِأَنْ آذَنَ لَهَا فِي ذَٰلِكَ، فَلَا تُجْهِدَنَّ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ هُدَاهَا، وَبَلِّغْهَا وَعِيدَ اللهِ، وَعَرِّفْهَا مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ بِتَعْرِيفِهَا، ثُمَّ خَلِّهَا، فَإِنَّ هُدَاهَا بِيَدِ خَالِقِهَا..

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ وَهُوَ الْعَذَابُ، وَغَضَبُ اللهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: ١٠٠] عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَمَوَاعِظَهُ، وَآيَاتِهِ الَّتِي دَلَّ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَحَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾

[يونس: ١٠١].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، السَّائِلِيكَ الْآيَاتِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿ٱنظُرُوا۟﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ مِنْ شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا، وَاخْتِلَافِ لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا، وَنُزُولِ الْغَيْثِ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ مِنْ سَحَابِهَا..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ جِبَالِهَا، وَتَصَدُّعِهَا بِنَبَاتِهَا، وَأَقْوَاتِ أَهْلِهَا، وَسَائِرِ صُنُوفِ عَجَائِبِهَا؛ فَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَكُمْ إِنْ عَقَلْتُمْ وَتَدَبَّرْتُمْ مَوْعِظَةً وَمُعْتَبَرًا، وَدَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ ذَٰلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي مُلْكِهِ شَرِيكٌ وَلَا لَهُ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ وَحِفْظِهِ ظَهِيرٌ يُغْنِيكُمْ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآيَاتِ..

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾ وَمَا تُغْنِي الْحُجَجُ، وَالْعِبَرُ..

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ وَالرُّسُلُ الْمُنْذِرَةُ عِبَادَ اللهِ عِقَابَهُ..

﴿عَن قَوْمٍ﴾ قَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ الشَّقَاءُ، وَقَضَىٰ لَهُمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ..

﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس: ١٠١] بِشَيْءٍ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِهِ، ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس: ٩٧].

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠٢].

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُحَذِّرًا مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنْ حُلُولِ عَاجِلِ نِقْمِهِ بِسَاحَتِهِمْ، نَحْوَ الَّذِي حَلَّ بِنُظَرَائِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ، السَّالِكَةِ فِي تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَجُحُودِ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ سَبِيلَهُمْ: فَهَلْ يَنْتَظِرُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ الْمُكَذِّبُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ إِلَّا يَوْمًا يُعَايِنُونَ فِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، مِثْلَ أَيَّامِ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ، الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ فَخَلَوْا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ كَانُوا كَذَلِكَ يَنْتَظِرُونَ..

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عِقَابَ اللهِ إِيَّاكُمْ، وَنُزُولَ سَخَطِهِ بِكُمْ..

﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠٢] هَلَاكَكُمْ، وَبَوَارَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي تَحِلُّ بِكُمْ مِنَ اللهِ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: انْتَظِرُوا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، الَّذِينَ هَلَكُوا بِعَذَابِ اللهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ لَمْ يَهْلِكْ بِهِ سِوَاهُمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِكَ، ثُمَّ نُنَجِّي هُنَالِكَ..

﴿رُسُلَنَا﴾ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَاتَّبَعَهُ عَلَىٰ دِينِهِ، كَمَا فَعَلْنَا قَبْلَ ذَلِكَ بِرُسُلِنَا الَّذِينَ أَهْلَكْنَا أُمَمَهُمْ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مَعَهُمْ مِنْ عَذَابِنَا، حِينَ حَقَّ عَلَىٰ أُمَمِهَا..

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣] كَمَا فَعَلْنَا بِالْمَاضِينَ مِنْ رُسُلِنَا فَأَنْجَيْنَاهَا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهَا، وَأَهْلَكْنَا أُمَمَهَا، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، فَنُنْجِيكَ وَنُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ بِكَ حَقًّا عَلَيْنَا غَيْرَ شَكٍّ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس: ١٠٤].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ عَجِبُوا أَنْ أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ..

﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَلَا﴾ فَإِنِّي لَا..

﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تُغْنِي عَنْ شَيْءٍ، فَتَشُكُّوا فِي صِحَّتِهِ.. وَهَذَا تَعْرِيضٌ وَلَحْنٌ مِنَ الْكَلَامِ لَطِيفٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي، فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِيهِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِي الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ شَيْئًا، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَأَمَّا دِينِي فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشُكُّوا فِيهِ؛ لِأَنِّي أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَقْبِضُ الْخَلْقَ فَيُمِيتُهُمْ إِذْ شَاءَ، وَيَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّ مَنْ يَشَاءُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عِبَادَةَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِرُهَا ذُو فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ، وَأَمَّا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ فَيُنْكِرُهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ صَحِيحٍ..

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، فَيُمِيتُكُمْ عِنْدَ آجَالِكُمْ..

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس: ١٠٤] وَهُوَ الَّذِي أَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَنِي مِنْ عِنْدِهِ.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٥].

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ أَقِمْ نَفْسَكَ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ غَيْرَ مِعْوَجٍ عَنْهُ إِلَىٰ يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ وَلَا عِبَادَةِ وَثَنٍ..

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٥] وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يُشْرِكُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مَعْبُودِكَ، وَخَالِقِكَ..

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، يَعْنِي بِذَلِكَ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، يَقُولُ: لَا تَعْبُدْهَا رَاجِيًا نَفْعَهَا أَوْ خَائِفًا ضُرَّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فَدَعَوْتَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦] الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾ وَإِنْ يُصِبْكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِضُرٍّ﴾ بِشِدَّةٍ أَوْ بَلَاءٍ..

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ فَلَا كَاشِفَ لِذَلِكَ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا رَبُّكَ الَّذِي أَصَابَكَ بِهِ، دُونَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿وَإِن يُرِدْكَ﴾ رَبُّكَ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ بِرَخَاءٍ، أَوْ نِعْمَةٍ، وَعَافِيَةٍ، وَسُرُورٍ..

﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَلَا يَرُدَّكَ عَنْهُ، وَلَا يُحْرِمُكَهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَدُونَ مَا سِوَاهُ..

﴿يُصِيبُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالرَّخَاءِ وَالْبَلَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ مَنْ يَشَاءُ، وَيُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧] بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ وَأَطَاعَهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يَعْنِي: كِتَابَ اللهِ، فِيهِ بَيَانُ كُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ..

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ فَمَنِ اسْتَقَامَ فَسَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْبَيَانِ..

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ عَلَى الْهُدَى، وَيَسْلُكُ قَصْدَ السَّبِيلِ..

﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ فَإِيَّاهَا يَبْغِي الْخَيْرَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ لَا غَيْرَهَا..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ اعْوَجَّ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وخَالَفَ دِينَهُ، وَمَا بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا، وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَإِنَّ ضَلَالَةَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجْنِي بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ لَا عَلَىٰ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِذَلِكَ غَيْرُهَا، وَلَا يُورِدُ بِضَلَالِهِ ذَلِكَ الْمَهَالِكَ سِوَىٰ نَفْسِهِ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٨] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُسَلَّطٍ عَلَىٰ تَقْوِيمِكُمْ، إِنَّمَا أَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَوِّمُ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبَلِّغٌ، أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ وَحْيَ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَتَنْزِيلَهُ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ، فَاعْمَلْ بِهِ..

﴿وَٱصْبِرْ﴾ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ فِي اللهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنَ الْأَذَىٰ، وَالْمَكَارِهِ، وَعَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنْهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ﴾ يَقْضِيَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ فِيهِمْ، وَفِيكَ أَمْرَهُ بِفِعْلٍ فَاصِلٍ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩] وَهُوَ خَيْرُ الْقَاضِينَ، وَأَعْدَلُ الْفَاصِلِينَ، فَحَكَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَهُمْ بِالسَّيْفِ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ، فِيمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْلُكَ بِهِمْ سَبِيلَ مَنْ أُهْلِكَ مِنْهُمْ أَوْ يَتُوبُوا وَيَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ.. قَالَ عبدُ الرحمنِ بْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾: (هَذَا مَنْسُوخٌ، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾، حَكَمَ اللهُ بِجِهَادِهِمْ، وَأَمَرَهُ بِالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُونُسَ عليه السلام

سُورَةُ هُودٍ (١١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

﴿الٓر﴾ قَدْ ذَكَرْنَا تَأْوِيلَه، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿كِتَٰبٌ﴾ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْقُرْآنُ..

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أَحْكَمَ اللهُ آيَاتَهُ مِنَ الدَّخَلِ، وَالْخَلَلِ، وَالْبَاطِلِ، وَذَلِكَ أَنَّ إِحْكَامَ الشَّيْءِ إِصْلَاحُهُ وَإِتْقَانُهُ، وَإِحْكَامُ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِحْكَامُهَا مِنْ خَلَلٍ يَكُونُ فِيهَا أَوْ بَاطِلٍ يَقْدِرُ ذُو زَيْغٍ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا مِنْ قِبَلِهُ..

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ثُمَّ فَصَّلَهَا، ومَيَّزَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَبُيِّنَ مِنْهَا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يُفَسِّرُ قَوْلَهُ: ﴿فُصِّلَتْ﴾ بِمَعْنَىٰ: (فُسِّرَتْ)، وَذَلِكَ نَحْوُ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ: (بُيِّنَتْ)، وَهُوَ شَبِيهُ الْمَعْنَىٰ بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ..

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ بِتَدْبِيرِ الْأَشْيَاءِ وَتَقْدِيرِهَا..

﴿خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١] بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُهَا.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ②﴾ [هود: ٢].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ثُمَّ فُصِّلَتْ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿نَذِيرٌ﴾ يُنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ..

﴿وَبَشِيرٌ ②﴾ [هود: ٢] يُبَشِّرُكُمْ بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ.

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ [هود: ٣].

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وَأَنِ اعْمَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَيَسْتُرُ عَلَيْكُمْ عَظِيمَ ذُنُوبِكُمُ الَّتِي رَكِبْتُمُوهَا بِعِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَإِشْرَاكِكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فِي عِبَادَتِهِ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ثُمَّ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَبِأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، بَعْدَ خَلْعِكُمُ الْأَنْدَادَ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْ عِبَادَتِهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَتُوبُوا إِلَيْهِ)؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ مَعْنَاهَا الرُّجُوعُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالِاسْتِغْفَارُ: اسْتِغْفَارٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، وَالْعَمَلُ للهِ لَا يَكُونُ عَمَلًا لَهُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الشِّرْكِ بِهِ، فَأَمَّا الشِّرْكُ فَإِنَّ عَمَلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلشَّيْطَانِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللهَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ مُقِيمُونَ..

﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بَسَطَ عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَرَزَقَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا، وَأَنْسَأَ لَكُمْ فِي آجَالِكُمْ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي قَضَىٰ فِيهِ عَلَيْكُمُ الْمَوْتَ..

﴿وَيُؤۡتِ﴾ وَيُثِيبُ..

﴿كُلَّ ذِي فَضۡلٖ﴾ كُلَّ مَنْ تَفَضَّلَ بِفَضْلِ مَالِهِ، أَوْ قُوَّتِهِ، أَوْ مَعْرُوفِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، مُحْتَسِبًا مُرِيدًا بِهِ وَجْهَ اللهِ، أَجْزَلَ..

﴿فَضۡلَهُۥۖ﴾ ثَوَابَهُ وَفَضْلَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ، وَامْتَنَعُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ للهِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ فَأَدْبَرُوا مُوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنِّيٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ [هود: ٣] كَبِيرٌ شَأْنُهُ، عَظِيمٌ هَوْلُهُ، وَذَلِكَ ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية: ٢٢].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ④﴾ [هود: ٤].

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مَآبُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ، فَاحْذَرُوا عِقَابَهُ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُ مُخَلِّدُكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ، إِنْ هَلَكْتُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ قَبْلَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ④﴾ [هود: ٤] وَهُوَ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَعِقَابِكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ بِهِ الْأَوْثَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَرَادَ بِكُمْ وَبِغَيْرِكُمْ قَادِرٌ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ⑤﴾ [هود: ٥].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ بعضَ الْمُنافِقِيْن..

﴿يَثْنُونَ﴾ يَحْنُونَ..

﴿صُدُورَهُمْ﴾ وَيَكْنُونَهَا..

﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ مِنَ اللهِ، كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ أَنَّهُ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُهُمْ، أَوْ تَنَاجُوهُ بَيْنَهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سِرُّ أُمُورِهِمْ وَعَلَانِيَتِهَا عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانُوا، تَغَشُّوا بِالثِّيَابِ أَوْ أَظْهَرُوا بِالْبَراز..

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يَتَغَطُّونَهَا وَيَلْبِسُونَها، يُقَالُ مِنْهُ: اسْتَغْشَىٰ ثَوْبَهُ وَتَغَشَّاهُ، قَالَ اللهُ: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]..

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ بِرَبِّهِمْ، الظَّانُّونَ أَنَّ اللهَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا أَضْمَرَتْهُ صُدُورُهُمْ إِذَا حَنَوْهَا عَلَىٰ مَا فِيهَا وَثَنَوْهُ، وَمَا تَنَاجَوْهُ بَيْنَهُمْ فَأَخْفَوهُ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ سَوَاءٌ عِنْدَهُ سَرَائِرُ عِبَادِهِ وَعَلَانِيَتُهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ⑤﴾ [هود: ٥] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ مَا أَخْفَتْهُ صُدُورُ خَلْقِهِ مِنْ إِيمَانٍ، وَكُفْرٍ وَحَقٍّ وَبَاطِلٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، وَمَا تَسْتَجِنُّهُ مِمَّا لَمْ تُجِنَّهُ بَعْدُ، فَاحْذَرُوا أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَنْتُمْ مُضْمِرُونَ فِي صُدُورِكُمُ الشَّكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ تَوْحِيدِهِ أَوْ أَمْرِهِ أَوْ نَهْيِهِ، أَوْ فِيمَا أَلْزَمَكُمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَالتَّصْدِيقَ، فَتَهْلِكُوا بِاعْتِقَادِكُمْ ذَلِكَ.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وَمَا تَدِبُّ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ إِلَّا وَمِنَ اللهِ رِزْقُهَا الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهَا هُوَ بِهِ مُتَكَفِّلٌ، وَذَلِكَ قُوتُهَا وَغِذَاؤُهَا وَمَا بِهِ عَيْشُهَا..

﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ حَيْثُ تَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَذَلِكَ مَأْوَاهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا..

﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُودِعُهَا، إِمَّا بِمَوْتِهَا فِيهِ أَوْ دَفْنِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مُسْتَقَرَّهَا فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعَهَا فِي الصُّلْبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَقَرُّ: فِي الرَّحِمِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: حَيْثُ تَمُوتُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مُسْتَقَرَّهَا أَيَّامَ حَيَاتِهَا، وَمُسْتَودَعَهَا حَيْثُ تَمُوتُ فِيهِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِيهِ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّ مَا رُزِقَتِ الدَّوَابُّ مِنْ رِزْقٍ فَمِنْهُ، فَأَوْلَىٰ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ مَثْوَاهَا وَمُسْتَقَرَّهَا دُونَ الْخَبَرِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَصْلَابُ وَالْأَرْحَامُ..

﴿كُلٌّ﴾ عَدَدُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَمَبْلَغُ أَرْزَاقِهَا، وَقَدْرُ قَرَارِهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، وَمُدَّةُ لُبْثِهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا، كُلُّ ذَلِكَ..

﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ مُثْبَتٌ مَكْتُوبٌ..

﴿مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦] يُبَيِّنُ لِمَنْ قَرَأَهُ أَنَّ ذَلِكَ مُثْبَتٌ مَكْتُوبٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا، وَيُوجِدَهَا.. وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ، أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَأَثْبَتَهَا فِي كِتَابٍ عِنْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا وَيُوجِدَهَا؛ يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَمَنْ كَانَ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُوجِدَهُمْ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ إِذَا ثَنَوْا بِهِ صُدُورَهُمْ وَاسْتَغْشَوْا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمْ؟!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [هود: ٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ وَاللهُ الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، أَفَيَعْجَزُ مَنْ خَلَقَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَنْ يُعِيدَكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ يُمِيتَكُمْ؟!..

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَخَلَقَكُمْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لِيَخْتَبِرَكُمْ، أَيُّكُمْ أَحْسَنُ لَهُ طَاعَةً..

﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾ أَحْيَاءً..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، فَتَلَوْتَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ تَنْزِيلِي وَوَحْيِي..

﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ لَيَقُولَنَّ مَا هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِمَّا تَقُولُ..

﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ لِسَامِعِهِ..

﴿مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧] حَقِيقَتُهُ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ [هود: ٨].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ فَلَمْ نُعَجِّلْهُ لَهُمْ، وَأَنْسَأْنَا فِي آجَالِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ وَوَقْتٍ مَحْدُودٍ وَسِنِينَ مَعْلُومَةٍ.. وَأَصْلُ الْأُمَّةِ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، أَنَّهَا الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ تَجْتَمِعُ عَلَىٰ مَذْهَبٍ وَدِينٍ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي مُعَانٍ كَثِيرَةٍ تَرْجِعُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسِّنِينَ الْمَعْدُودَةِ وَالْحِينِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَنَحْوِهِ أُمَّةٌ، لِأَنَّ فِيهَا تَكُونُ الْأُمَّةُ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ مَجِيءِ أُمَّةٍ وَانْقِرَاضِ أُخْرَىٰ قَبْلَهَا..

﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُهُ مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ الَّذِي يَتَوَعَّدُنَا بِهِ؟ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهِ، وَظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا أُخِّرَ عَنْهُمْ لِكَذِبِ الْمُتَوَعِّدِ..

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَحْقِيقًا لِوَعِيدِهِ وَتَصْحِيحًا لِخَبَرِهِ: أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي يُكَذِّبُونَ بِهِ..

﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لَيْسَ يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارِفٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ، وَلَكِنَّهُ يَحِلُّ بِهِمْ فَيُهْلِكُهُمْ..

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وَنَزَلَ بِهِمْ وَأَصَابَهُمْ..

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ [هود: ٨] الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْخَرُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَكَانَ اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ قِيلَهُمْ قَبْلَ نُزُولِهِ ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: ٩].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ رَخَاءً وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ وَالْعَيْشِ، فَبَسَطْنَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا..

﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ ثُمَّ سَلَبْنَاهُ ذَلِكَ، فَأَصَابَتْهُ مَصَائِبُ أَجَاحَتْهُ فَذَهَبَتْ بِهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: ٩] يَظَلُّ قَنِطًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، آيِسًا مِنَ الْخَيْرِ.. وَقَوْلُهُ: (يَئُوسٌ) إِذَا كَانَ ذَلِكَ صِفَةً لَهُ.. وَقَوْلُهُ: ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾، هُوَ كَفُورٌ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، قَلِيلُ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَيْهِ بِمَا كَانَ وَهَبَ لَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ١٠].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ وَلَئِنْ نَحْنُ بَسَطْنَا لِلْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ، وَرَزَقْنَاهُ رَخَاءً فِي عَيْشِهِ، وَوَسَّعْنا عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ..

﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ بَعْدَ ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ كَانَ فِيهِ، وَعُسْرَةٍ كَانَ يُعَالِجُهَا..

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ..

﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾ ذَهَبَ الضِّيقُ وَالْعُسْرَةُ عَنِّي، وَزَالَتِ الشَّدَائِدُ وَالْمَكَارِهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ..

﴿لَفَرِحٌ﴾ بِالنِّعَمِ الَّتِي يُعْطَاهَا مَسْرُورٌ بِهَا..

﴿فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ١٠] ذُو فَخْرٍ بِمَا نَالَ مِنَ السَّعَةِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا بُسِطَ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ، وَيَنْسَىٰ صُرُوفَهَا وَنَكَدَ الْعَوَائِصِ -الشدائد- فِيهَا، وَيَدَعُ طَلَبَ النَّعِيمِ الَّذِي يَبْقَىٰ، وَالسُّرُورَ الَّذِي يَدُومُ فَلَا يَزُولُ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود: ١١].

﴿إِلَّا﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَصَفَهُ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ.. وَإِنَّمَا جَازَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَىٰ الْجِنْسِ، وَمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١- ٢-٣]..

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأْتِيَهُمْ شِدَّةٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَعُسْرَةٌ فِيهَا، لَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ، فَإِنْ نَالُوا فِيهَا رَخَاءً وَسَعَةً شَكَرُوهُ وَأَدُّوا حُقُوقَهُ بِمَا آتَاهُمْ مِنْهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ يَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَلَا يَفْضَحُهُمْ بِهَا فِي مَعَادِهِمْ..

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾ [هود: ١١] وَلَهُمْ مِنَ اللهِ مَعَ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثَوَابٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا جَزِيلٌ، وَجَزَاءٌ عَظِيمٌ.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ۝﴾ [هود: ١٢].

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ فَلَعَلَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ مِنْ رَبِّكَ أَنْ تُبَلِّغَهُ مَنْ أَمَرَكَ بِتَبْلِيغِهِ ذَلِكَ..

﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ﴾ وَضَائِقٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ..

﴿صَدْرُكَ﴾ فَلَا تُبَلِّغُهُ إِيَّاهُمْ مَخَافَةَ..

﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ مُصَدِّقٌ بِأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَبَلِّغْهُمْ مَا أَوْحَيْتُهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾ تُنْذِرُهُمْ عِقَابِي وَتُحَذِّرُهُمْ بَأْسِي عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِي، وَإِنَّمَا الْآيَاتُ الَّتِي يَسْأَلُونَكَهَا عِنْدِي، وَفِي سُلْطَانِي أُنْزِلُهَا إِذَا شِئْتُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ۝﴾ [هود: ١٢] وَاللهُ الْقَيِّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَبِيَدِهِ تَدْبِيرُهُ، فَانْفُذْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَلَا يَمْنَعُكَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاكَ الْآيَاتِ، مِنْ تَبْلِيغِهِمْ وَحْيِي، وَالنُّفُوذِ لِأَمْرِي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٖ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٖ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [هود: ١٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾ أَيَقُولُونَ افْتَرَاهُ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: كَفَاكَ حُجَّةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَدَلَالَةً عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، هَذَا الْقُرْآنُ، مِنْ سَائِرِ الْآيَاتِ غَيْرِهِ، إِذْ كَانَتِ الْآيَاتُ إِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ أُعْطِيَهَا دَلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ، لِعَجْزِ جَمِيعِ الْخَلْقِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وَهَذَا الْقُرْآنُ جَمِيعُ الْخَلْقِ عَجَزَةٌ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فَإِنْ هُمْ قَالُوا: افْتَرَيْتَهُ: أَيِ اخْتَلَقْتَهُ وَتَكَذَّبْتَهُ، فَـ

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: إِنْ كَانَ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ مُفْتَرًى، وَلَيْسَ بِآيَةٍ مُعْجِزَةٍ كَسَائِرِ مَا سُئِلْتُهُ مِنَ الْآيَاتِ، كَالْكَنْزِ الَّذِي قُلْتُمْ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، أَوْ الْمَلَكِ الَّذِي قُلْتُمْ: هَلَّا جَاءَ مَعَهُ نَذِيرٌ لَهُ مُصَدِّقًا..

﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مُفْتَعَلَاتٍ مُخْتَلَقَاتٍ.. فَإِنَّكُمْ قَوْمِي وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ لِسَانِي، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ وَمُحَالٌ أَنْ أَقْدِرَ أَخْلُقُ وَحْدِي مِئَةَ سُورَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةٍ، وَلَا تَقْدِرُوا بِأَجْمَعِكُمْ أَنْ تَفْتَرُوا وَتَخْتَلِقُوا عَشْرَ سُوَرٍ مِثْلِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا اسْتَعَنْتُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْ شِئْتُمْ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ لَافْتِرَاءِ ذَلِكَ وَاخْتِلَاقِهِ، مِنَ الْآلِهَةِ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى أَنْ تَفْتَرُوا عَشْرَ سُوَرٍ مِثْلَهُ، فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّكُمْ كَذَبَةٌ فِي قَوْلِكُمُ افْتَرَاهُ، وَصَحَّتْ عِنْدَكُمْ حَقِيقَةُ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَنْ تَتَخَيَّرُوا الْآيَاتِ عَلَى رَبِّكُمْ، وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى حَقِيقَةِ مَا تُكَذِّبُونَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِثْلُ الَّذِي تَسْأَلُونَ مِنَ الْحُجَّةِ وَتَرْغَبُونَ أَنَّكُمْ تُصَدِّقُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣] أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ، فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

> ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ مُفْتَرَيَاتٍ، وَلَمْ تُطِيقُوا أَنْتُمْ وَهُمْ أَنْ تَأْتُوا بِذَلِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يَا مُحَمَّدُ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلٌ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفْهُومِ..

﴿فَاعْلَمُوا﴾ وَأَيْقِنُوا، أَنَّهُ..

﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وَإِذْنِهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَفْتَرِهْ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَرِيَهُ..

﴿وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَأَيْقِنُوا أَيْضًا أَنْ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهَةَ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا اللهُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَاخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤] فَهَلْ أَنْتُمْ مُذْعِنُونَ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَمُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ؟.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ [هود: ١٥].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ، يَطْلُبُ بِهِ..
﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ وَأَثَاثَهَا..
﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ فِيهَا وَثَوَابَهَا..
﴿وَهُمۡ فِيهَا﴾ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا..
﴿لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ [هود: ١٥] لَا يُنْقَصُونَ أَجْرَهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُوَفَّونَهُ فِيهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّا نُوَفِّيهُمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا..
﴿ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ يَصْلَوْنَهَا..
﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ وَذَهَبَ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا..
﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٦] لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبْطَلَهُ اللهُ وَأَحْبَطَ عَامِلَهُ أَجْرَهُ.. وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، أَنَّ شُفَيًّا الْأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ بِحَقِّي لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَىٰ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَاشْتَدَّ بِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَىٰ الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ، يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي ﷺ؟، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**

لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَىٰ بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّىٰ لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ؟ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَىٰ بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّىٰ قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ عُقْبَةُ: إِنَّ شُفَيًّا دَخَلَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ -قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْوَلِيدُ وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ- قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ مِثْلُ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَىٰ مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ، وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قَدْ بَيَّنَ لَهُ دِينَهُ فَتَبَيَّنَهُ..

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هو مُحَمَّد ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جِبْرَئِيلُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَلَكٌ يَحْفَظُهُ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ جِبْرَئِيلُ، لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتْلُ قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابَ مُوسَىٰ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ، أَوْ عَلِيٌّ، عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ عَلِيٌّ، وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا كَانَ تَلَا ذَلِكَ قَبْلَ الْقُرْآنِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِمَّنْ ذَكَرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ غَيْرُ جِبْرَئِيلَ عليه السلام..

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا﴾ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْتَمُّونَ بِهِ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَ اللهِ تَلَاهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ كَمَنْ هُوَ فِي الضَّلَالَةِ مُتَرَدِّدٌ، لَا يَهْتَدِي لِرُشْدٍ، وَلَا يَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا؟ وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ عَقِيبُ قَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: ١٥] الْآيَةَ، ثُمَّ قِيلَ: أَهَذَا خَيْرٌ أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ؟ وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا إِذَا كَانَ فِيمَا ذَكَرَتْ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مُرَادِهَا عَلَىٰ مَا حَذَفَتْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ يُصَدِّقُونَ وَيُقِرُّونَ بِهِ إِنْ كَفَرَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَيَجْحَدَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ وَهُمُ الْمُتَحَزِّبَةُ عَلَىٰ مِلَلِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**الْكُفَّارُ أَحْزَابٌ كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ**)..

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ﴾ يَصِيرُ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ بِتَكْذِيبِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، أَوْ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**».. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ»، فَقُلْتُ أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ حَتَّىٰ أَتَيْتُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ:** ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ﴾ **مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهَا**)..

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ﴾ فَلَا تَكُ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ مَوْعِدَ مَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْزَابِ النَّارُ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ..

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ: فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ؟ قِيلَ: هَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ هُنَالِكَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧﴾ [هود: ١٧] لَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وَأَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ تَعْذِيبًا مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا فَكَذَبَ عَلَيْهِ..

﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ..

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ شَهِدُوهُمْ وَحَفِظُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَهُمْ جَمْعُ شَاهِدٍ، مِثْلُ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ صَاحِبٍ..

﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ شَهِدَ هَؤُلَاءِ الْأَشْهَادُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ رَبِّهِمْ. يَقُولُ اللهُ:..

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨] أَلَا غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ الْمُعْتَدِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ..

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَيْتِ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَهُوَ يَطُوفُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، مَرَّتَيْنِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: أَلَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ».

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝١٩﴾ [هود: ١٩].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ..

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَفْتِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ فِيهِ..

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ وَيَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ اللهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ..

﴿عِوَجًا﴾ زَيْغًا وَمَيْلًا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ..

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ وَهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مَعَ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَبَغْيِهِمْ إِيَّاهَا عِوَجًا كَافِرُونَ..

﴿هُمْ كَافِرُونَ ۝١٩﴾ [هود: ١٩] جَاحِدُونَ ذَلِكَ مُنْكِرُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ٢٠﴾ [هود: ٢٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِالَّذِينَ يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ بِهَرَبِهِمْ مِنْهُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ وَالِانْتِقَامَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَمُلْكِهِ، لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُ إِذَا أَرَادَهُمْ، وَلَا يَفُوتُونَهُ هَرَبًا إِذَا طَلَبَهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَهُمْ مِنَ اللهِ، وَيَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا هُوَ عَذَّبَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنَعَةٌ يَمْتَنِعُونَ بِهَا مِمَّنْ أَرَادَهُمْ مِنَ النَّاسِ بِسُوءٍ..

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يُزَادُ فِي عَذَابِهِمْ، فَيُجْعَلُ لَهُمْ مَكَانَ الْوَاحِدِ اثْنَانِ..

﴿مَا كَانُواْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا الْحَقَّ سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ..

﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ٢٠﴾ [هود: ٢٠] وَلَا يُبْصِرُونَهُ إِبْصَارَ مُهْتَدٍ، لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْكُفْرِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، عَنِ اسْتِعْمَالِ جَوَارِحِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ.. قَدْ خَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ، وَلَا يُبْصِرُونَ حُجَجَ اللهِ سَمَاعَ مُنْتَفِعٍ، وَلَا إِبْصَارَ مُهْتَدٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١﴾ [هود: ٢١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ غَبَنُوا..

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١﴾ [هود: ٢١] وَبَطَلَ كَذِبُهُمْ وَإِفْكُهُمْ وَفِرْيَتُهُمْ عَلَىٰ اللهِ، بِادِّعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ، فَسَلَكَ مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ غَيْرَ مَسْلَكِهِمْ، وَأَخَذَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ، فَضَلَّ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ سَلَكَ بِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَصَارَتْ آلِهَتُهُمْ عَدَمًا لَا شَيْءَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا حِجَارَةً أَوْ خَشَبًا أَوْ نُحَاسًا، أَوْ كَانَ لِلهِ وَلِيًّا، فَسَلَكَ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ مَسْلَكِهِمْ، وَذَلِكَ أَيْضًا ضَلَالٌ عَنْهُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝٢٢﴾ [هود: ٢٢].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ، الَّذِينَ قَدْ بَاعُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجِنَانِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ، جَرَمْتُ: كَسَبْتُ الذَّنْبَ وَجَرَّمْتُهُ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَا مَنَعَ عَنْ أَنَّهُمْ، وَلَا صَدَّ عَنْ أَنَّهُمْ..

﴿أَنَّهُمْ﴾ عَنْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝٢٢﴾ [هود: ٢٢] الَّذِينَ قَدْ بَاعُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجِنَانِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٣﴾ [هود: ٢٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُوا﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْإِخْبَاتِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَأَنَابُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: وَخَافُوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: اطْمَأَنُّوا.. وَقَالَ آخَرُونَ: خَشَعُوا.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا؛ لِأَنَّ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَمِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْخُشُوعِ لَهُ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسَ الْإِخْبَاتِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَخْبَتُوا لِرَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَضَعُ (اللَّامَ) مَوْضِعَ (إِلَىٰ) و (إِلَىٰ) مَوْضِعَ (اللَّامِ) كَثِيرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥] بِمَعْنَىٰ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ عَمَدُوا بِإِخْبَاتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هُمْ سُكَّانُ الْجَنَّةِ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٣﴾ [هود: ٢٣] لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا لَابِثُونَ إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ.

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤].

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ مَثَلُ فَرِيقَيِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ..

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾ كَمَثَلِ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يَرَىٰ بِعَيْنِهِ شَيْئًا..

﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئًا؛ فَكَذَلِكَ فَرِيقُ الْكُفْرِ لَا يُبْصِرُ الْحَقَّ، فَيَتْبَعُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ؛ لِشُغْلِهِ بِكُفْرِهِ بِاللهِ، وَغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِ، لَا يَسْمَعُ دَاعِيَ اللهِ إِلَىٰ الرَّشَادِ، فَيُجِيبُهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَيَهْتَدِيَ بِهِ، فَهُوَ مُقِيمٌ فِي ضَلَالَتِهِ، يَتَرَدَّدُ فِي حِيرَتِهِ..

﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ فَكَذَلِكَ فَرِيقُ الْإِيمَانِ أَبْصَرَ حُجَجَ اللهِ، وَأَقَرَّ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَنُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَسَمِعَ دَاعِيَ اللهِ فَأَجَابَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ.. وَقِيلَ: كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ، وَالْمَعْنَىٰ: كَالْأَعْمَىٰ الْأَصَمِّ، وَكَذَلِكَ قِيلَ، وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ، وَالْمَعْنَىٰ: الْبَصِيرُ السَّمِيعُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: قَامَ الظَّرِيفُ وَالْعَاقِلُ، وَهُوَ يَنْعَتُ بِذَلِكَ شَخْصًا وَاحِدًا.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ هَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ الْفَرِيقَانِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ حَالَتَيْهِمَا فِي أَنْفُسِهِمَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ؟ فَإِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَكُمْ، فَكَذَلِكَ حَالُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَ اللهِ.. فَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمُّ وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ فِي اللَّفْظِ أَرْبَعَةٌ، وَفِي الْمَعْنَىٰ اثْنَانِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤] أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَتَتَفَكَّرُونَ، فَتَعْلَمُوا حَقِيقَةَ اخْتِلَافِ أَمْرَيْهِمَا، فَتَنْزَجِرُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿نَذِيرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ بَأْسَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، فَآمِنُوا بِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ..

﴿مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥] يُبِينُ لَكُمْ عَمَّا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، بـ.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٦].

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ وَأَفْرِدُوا اللهَ بِالتَّوْحِيدِ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، فَإِنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ...

﴿إِنِّيٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنْ لَمْ تَخُصُّوا اللهَ بِالْعِبَادَةِ، وَتُفْرِدُوهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَخْلَعُوا مَا دُونَهُ مِنَ

الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٦] مُؤْلِمٍ عِقَابُهُ وَعَذَابُهُ لِمَنْ عُذِّبَ فِيهِ، وَجَعَلَ الْأَلِيمَ مِنْ صِفَةِ الْيَوْمِ وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْعَذَابِ، إِذْ كَانَ الْعَذَابُ فِيهِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَإِنَّمَا السَّكَنُ مِنْ صِفَةِ مَا سَكَنَ فِيهِ دُونَ اللَّيْلِ.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ فَقَالَ الْكُبَرَاءُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَأَشْرَافِهِمْ، وَهُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّهِمْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿مَا نَرَاكَ﴾ يَا نُوحُ..

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ آدَمِيٌّ مِثْلُهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالصُّورَةِ وَالْجِنْسِ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا مُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُرْسِلُ مِنَ الْبَشَرِ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ سَفِلَتُنَا مِنَ النَّاسِ دُونَ الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ..

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ فِيمَا يُرَىٰ وَيَظْهَرُ لَنَا..

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ وَمَا نَتَبَيَّنُ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ نِلْتُمُوهُ بِمُخَالَفَتِكُمْ إِيَّانَا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ، فَنَتَّبِعُكُمْ طَلَبَ ذَلِكَ الْفَضْلِ، وَابْتِغَاءَ مَا أَصَبْتُمُوهُ بِخِلَافِكُمْ إِيَّانَا..

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧] وَهَذَا خِطَابٌ مِنْهُمْ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَذَّبُوا نُوحًا دُونَ أَتْبَاعِهِ؛ لِأَنَّ أَتْبَاعَهُ لَمْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَأَخْرَجَ الْخِطَابَ وَهُوَ وَاحِدٌ مَخْرَجَ خِطَابِ الْجَمِيعِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: بَلْ نَظُنُّكَ يَا نُوحُ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللهَ ابْتَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا كَاذِبًا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٨].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، إِذْ كَذَّبُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ

عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَبَيَانٍ مِنَ اللهِ لِي مَا يُلْزِمُنِي لَهُ، وَيَجِبُ عَلَيَّ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ إِشْرَاكِ الْأَوْثَانِ مَعَهُ فِيهَا..

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ وَرَزَقَنِي مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالنُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ، فَآمَنْتُ بِهِ وَأَطَعْتُهُ فِيمَا أَمَرَنِي وَنَهَانِي..

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ فَعَمَاهَا اللهُ عَلَيْكُمْ، لِقُرْبِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾، فَأَضَافَ الرَّحْمَةَ إِلَىٰ اللهِ، فَكَذَلِكَ تَعْمِيَتُهُ عَلَىٰ الْآخَرِينَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِمَّا حَوَّلَتِ الْعَرَبُ الْفِعْلَ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي يَعْمَىٰ عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ، إِذْ يَعْمَىٰ عَنْ إِبْصَارِهِ، وَالْحَقُّ لَا يُوصَفُ بِالْعَمَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الِاسْتِعْمَالِ الَّذِي قَدْ جَرَىٰ بِهِ الْكَلَامُ، وَهُوَ فِي جَوَازِهِ لِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ، نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: دَخَلَ الْخَاتَمُ فِي يَدِي، وَالْخُفُّ فِي رِجْلِي، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّجْلَ هِيَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْخُفِّ، وَالْأُصْبُعَ فِي الْخَاتَمِ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا الْمُرَادُ فِيهِ..

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أَنَأْخُذُكُمْ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَقَدْ عَمَّاهُ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨﴾ [هود: ٢٨] وَأَنْتُمْ لِإِلْزَامِنَاكُمُوهَا كَارِهُونَ، يَقُولُ: لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ نَكِلُ أَمْرَكُمْ إِلَىٰ اللهِ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَقْضِي فِي أَمْرِكُمْ مَا يَرَىٰ وَيَشَاءُ.

> ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩﴾ [هود: ٢٩].

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ هَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ..

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿مَالًاۖ﴾ أَجْرًا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتَتَّهِمُونِي فِي نَصِيحَتِي، وَتَظُنُّونَ أَنَّ فِعْلِي ذَلِكَ طَلَبُ عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ مَا ثَوَابُ نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُجَازِينِي، وَيُثِيبُنِي عَلَيْهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ وَمَا أَنَا بِمُقْصٍ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَأَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَخَلَعَ الْأَوْثَانَ وَتَبَرَّأَ مِنْهَا بِأَنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عِلْيَتِكُمْ وَأَشْرَافِكُمْ..

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَسْأَلُونِي طَرْدَهُمْ، صَائِرُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهُ سَائِلُهُمْ عَمَّا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ، لَا عَنْ شَرَفِهِمْ وَحَسَبِهِمْ.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩﴾ [هود: ٢٩] الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ، وَاللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ جَهْلِكُمْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَطْرُدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾ [هود: ٣٠].

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ فَيَمْنَعَنِي..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إِنْ هُوَ عَاقَبَنِي عَلَىٰ طَرْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ اللهَ..

﴿إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾ [هود: ٣٠] أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا تَقُولُونَ، فَتَعْلَمُونَ خَطَأَهُ فَتَنْتَهُوا عَنْهُ.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١﴾ [هود: ٣١].

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ..

﴿عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي لَا يُفْنِيهَا شَيْءٌ، فَأَدْعُوكُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِي عَلَيْهَا..

﴿وَلَآ أَعْلَمُ﴾ أَيْضًا..

﴿ٱلْغَيْبَ﴾ مَا خَفِيَ مِنْ سَرَائِرِ الْعِبَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَأَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِي..

﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ أَيْضًا..

﴿إِنِّي مَلَكٌ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ، فَأَكُونُ كَاذِبًا فِي دَعْوَايَ ذَلِكَ، بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كَمَا تَقُولُونَ، أُمِرْتُ بِدُعَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ..

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ﴾ اتَّبَعُونِي وَآمَنُوا بِاللهِ وَوَحَّدُوهُ الَّذِينَ..

﴿تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ تَسْتَحْقِرُهُمْ أَعْيُنُكُمْ، وَقُلْتُمْ إِنَّهُمْ أَرَاذِلُكُمْ..

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾ وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِاللهِ..

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِضَمَائِرِ صُدُورِهِمْ، وَاعْتِقَادِ قُلُوبِهِمْ، وَهُوَ وَلِيُّ أَمْرِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا لِي مِنْهُمْ مَا ظَهَرَ وَبَدَا، وَقَدْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَاتَّبَعُونِي، فَلَا أَطْرُدُهُمْ وَلَا أَسْتَحِلُّ ذَلِكَ..

﴿إِنِّيٓ﴾ إِنْ قُلْتُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَتَصْدِيقِي: لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا، وَقَضَيْتُ عَلَىٰ سَرَائِرِهِمْ، بِخِلَافِ مَا أَبْدَتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ لِي، عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ مِنِّي بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَطَرَدْتُهُمْ، أَكُونُ بِفِعْلِي ذَلِكَ..

﴿إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١] لَمِنَ الْفَاعِلِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ فِعْلُهُ، الْمُعْتَدِينَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الظُّلْمُ.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾

[هود: ٣٢].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ قَدْ خَاصَمْتَنَا..

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ فَأَكْثَرْتَ خُصُومَتَنَا..

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾ [هود: ٣٢] فِي عِدَاتِكَ، وَدَعْوَاكَ أَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ [هود: ٣٣].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ لِقَوْمِهِ حِينَ اسْتَعْجَلُوهُ الْعَذَابَ: يَا قَوْمِ لَيْسَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الْعَذَابِ إِلَيَّ..

﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، هُوَ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ..

﴿وَمَآ أَنتُم﴾ وَلَسْتُمْ إِذَا أَرَادَ تَعْذِيبَكُمْ..

﴿بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ [هود: ٣٣] بِفَائِتِيهِ هَرَبًا مِنْهُ؛ لِأَنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، حُكْمُهُ عَلَيْكُمْ جَارٍ.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ [هود: ٣٤].

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ تَحْذِيرِي عُقُوبَتَهُ، وَنُزُولَ سَطْوَتِهِ بِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ فِي تَحْذِيرِي إِيَّاكُمْ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ نُصْحِيَ لَا يَنْفَعُكُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْبَلُونَهُ..

﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُهْلِكَكُمْ بِعَذَابِهِ..

﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ [هود: ٣٤] وَإِلَيْهِ تُرَدُّونَ بَعْدَ الْهَلَاكِ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾ [هود: ٣٥].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ أَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْخَبَرَ عَنْ نُوحٍ..

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ فَتَخَرَّصْتُهُ وَاخْتَلَقْتُهُ..

﴿فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ فَعَلَيَّ إِثْمِي فِي افْتِرَائِي مَا افْتَرَيْتُ عَلَىٰ رَبِّي دُونَكُمْ، لَا تُؤَاخَذُونَ بِذَنْبِي وَلَا إِثْمِي، وَلَا أُؤَاخَذُ بِذَنْبِكُمْ..

﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾ [هود: ٣٥] وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُذْنِبُونَ، وَتَأْثَمُونَ بِرَبِّكُمْ مِنَ افْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [هود: ٣٦].

﴿وَأُوحِيَ﴾ وَأَوْحَىٰ اللهُ..

﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾ لَمَّا حَقَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ الْقَوْلُ وَأَظَلَّهُمْ أَمْرُ اللهِ..

﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ﴾ يَا نُوحُ بِاللهِ، فَيُوَحِّدُهُ وَيَتَّبِعُكَ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ..

﴿مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ فَصَدَّقَ بِذَلِكَ وَاتَّبَعَكَ..

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فَلَا تَسْتَكِنْ، وَلَا تَحْزَنْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [هود: ٣٦] فَإِنِّي مُهْلِكُهُمْ، وَمُنْقِذُكَ مِنْهُمْ، وَمَنْ اتَّبَعَكَ، وَأَوْحَىٰ اللهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا دَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ بِالْهَلَاكِ، فَقَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود: ٣٧].

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، وَأَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ، وَهُوَ السَّفِينَةُ..

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بِعَيْنِ اللهِ..

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وَوَحْيِهِ كَمَا يَأْمُرُكَ..

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ وَلَا تَسْأَلْنِي..

﴿فِي﴾ الْعَفْوِ عَنْ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَوْمِكَ، فَأَكْسِبُوهَا تَعَدِّيًا مِنْهُمْ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ الْهَلَاكَ بِالْغَرَقِ..

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود: ٣٧] بِالطُّوفَانِ.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: ٣٨].

﴿وَيَصۡنَعُ﴾ نُوحُ..

﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ السَّفِينَةَ..

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ..

﴿مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ هَزِئُوا مِنْ نُوحٍ، وَيَقُولُونَ لَهُ: أَتَحَوَّلْتَ نَجَّارًا بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَتَعْمَلُ السَّفِينَةَ فِي الْبَرِّ..

﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ..

﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ إِنْ تَهْزَءُوا مِنَّا الْيَوْمَ..

﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ فَإِنَّا نَهْزَأُ مِنْكُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: ٣٨] كَمَا تَهْزَءُونَ مِنَّا فِي الدُّنْيَا.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾ [هود: ٣٩].

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ إِذَا عَايَنْتُمْ عَذَابَ اللهِ، مَنِ الَّذِي كَانَ إِلَى نَفْسِهِ مُسِيئًا مِنَّا..

﴿مَن يَأۡتِيهِ﴾ الَّذِي يَأْتِيهِ..

﴿عَذَابٌ﴾ عَذَابُ اللهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿يُخْزِيهِ﴾ يُهِينُهُ وَيُذِلُّهُ..

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وَيَنْزِلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مَعَ ذَلِكَ..

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝﴾ [هود: ٣٩] دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، مُقِيمٌ عَلَيْهِ أَبَدًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝﴾ [هود: ٤٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وَيَصْنَعُ نُوحٌ الْفُلْكَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُ أَنْ يَجِيءَ قَوْمَهُ مِنَ الطُّوفَانِ الَّذِي يُغْرِقُهُمْ..

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ..

﴿قُلْنَا﴾ لِنُوحٍ حِينَ جَاءَ عَذَابُنَا قَوْمَهُ الَّذِي، وَعَدْنَا نُوحًا أَنْ نُعَذِّبَهُمْ بِهِ، وَفَارَ التَّنُّورُ الَّذِي جَعَلْنَا فَوَرَانَهُ بِالْمَاءِ آيَةَ مَجِيءِ عَذَابِنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ لِهَلَاكِ قَوْمِهِ..

﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ يَعْنِي فِي الْفُلْكِ..

﴿مِن كُلٍّ﴾ صِنْفٍ..

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ..

﴿وَأَهْلَكَ﴾ وَاحْمِلْ أَهْلَكَ أَيْضًا فِي الْفُلْكِ، يَعْنِي بِالْأَهْلِ: وَلَدَهُ وَنِسَاءَهُ وَأَزْوَاجَهُ..

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ إِلَّا مَنْ قُلْتُ فِيهِمْ إِنِّي مُهْلِكُهُ مَعَ مَنْ أُهْلِكُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ﴾ وَاحْمِلْ مَعَهُمْ مَنْ صَدَّقَكَ وَاتَّبَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝﴾ [هود: ٤٠] وَمَا أَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ مَعَ نُوحٍ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَحَمَلَهُمْ نُوحٌ فِيهَا.

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [هود: ٤١].

﴿۞ وَقَالَ﴾ نُوحٌ لَهُم..

﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فِي الْفُلْكِ..

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ﴾ بِسْمِ اللهِ حِينَ تَجْرِي وَتَسِيرُ، وَحِينَ تُرْسِي وَتَقِفُ..

﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ لَسَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [هود: ٤١] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ وَالْفُلْكُ تَجْرِي بِنُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِيهَا..

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ يَامَ..

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عَنْهُ لَمْ يَرْكَبْ مَعَهُ الْفُلْكَ..

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ الْفُلْكَ..

﴿وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

﴿قَالَ﴾ ابْنُ نُوحٍ لَمَّا دَعَاهُ نُوحٌ إِلَىٰ أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ السَّفِينَةَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿سَآوِي﴾ سَأَصِيرُ..

﴿إِلَىٰ جَبَلٍ﴾ أَتَحَصَّنُ بِهِ..

﴿يَعْصِمُنِي﴾ فَيَمْنَعُنِي..

﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ أَنْ يُغْرِقَنِي..

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ﴾ لَا مَانِعَ..

﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِالْخَلْقِ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْهَلَاكِ..

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَنَا، فَأَنْقَذَنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَمْنَعُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَيَعْصِمُ، فَـ (مَنْ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَا عَاصِمَ يَعْصِمُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا اللهُ.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ..

﴿الْمَوْجُ﴾ مَوْجُ الْمَاءِ..

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣] فَغَرِقَ، فَكَانَ مِمَّنْ أَهْلَكَهُ اللهُ بِالْغَرَقِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ﷺ.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

﴿وَقِيلَ﴾ وَقَالَ اللهُ لِلْأَرْضِ بَعْدَ مَا تَنَاهَىٰ أَمْرُهُ فِي هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ بِمَا أَهْلَكَهُمْ بِهِ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي﴾ تَشَرَّبِي..

﴿مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أَمْسِكِي عَنِ الْمَطَرِ..

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ ذَهَبَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَنَشَّفَتْهُ..

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ قُضِيَ أَمْرُ اللهِ، فَمَضَىٰ بِهَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ..

﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ وأَرْسَتْ الْفُلْكَ..

﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ وَهُوَ جَبَلٌ -فِيمَا ذُكِرَ- بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ أَوْ الْجَزِيرَةِ..

﴿وَقِيلَ﴾ وَقَالَ اللهُ..

﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: ٤٤] أَبْعَدَ اللهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود: ٤٥].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ تُنْجِيَنِي مِنَ الْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ وَأَهْلِي..

﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ وَقَدْ هَلَكَ ابْنِي، وَابْنِي مِنْ أَهْلِي..

﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ..

﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود: ٤٥] بِالْحَقِّ، فَاحْكُمْ لِي بِأَنْ تَفِي بِمَا وَعَدْتَنِي مِنْ أَنْ تُنْجِيَ لِي أَهْلِي، وَتُرْجِعَ إِلَيَّ ابْنِي.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ يَا نُوحُ إِنَّ الَّذِي غَرَّقْتُهُ فَأَهْلَكْتُهُ، الَّذِي تَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِكَ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُكَ أَنْ أُنْجِيَهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِدِينِكَ مُخَالِفًا وَبِي كَافِرًا، وَكَانَ ابْنَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ ابْنُهُ، فَقَالَ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّهُ ابْنُهُ فَيَكُونَ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ بِابْنِهِ، إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ مُحْتَمِلًا مِنَ الْمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَمُحْتَمِلًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ، ثُمَّ يَحْذِفُ (الدِّينَ) فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ سُؤَالَكَ إِيَّايَ مَا تَسْأَلُنِيهِ فِي ابْنِكَ الْمُخَالِفِ دِينَكَ، الْمُوَالِي أَهْلَ الشِّرْكِ بِي مِنَ النَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ، وَقَدْ مَضَتْ إِجَابَتِي إِيَّاكَ فِي دُعَائِكَ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦] مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءِ أَحَدٍ مِنْهُمْ..

﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ لِأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ مِنْكَ إِلَيَّ أَنْ لَا أَفْعَلَ مَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي الْقَوْلُ بِأَنِّي أَفْعَلُهُ فِي إِجَابَتِي مَسْأَلَتَكَ إِيَّايَ فِعْلَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْعَمَلُ غَيْرُ الصَّالِحِ..

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ نُوحًا أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ أَسْبَابِ أَفْعَالِهِ الَّتِي قَدْ طَوَىٰ عِلْمَهَا عَنْهُ، وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ..

﴿إِنِّىٓ﴾ يَا نُوحُ قَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنْ سُؤَالِكَ سَبَبَ إِهْلَاكِي ابْنَكَ الَّذِي أَهْلَكْتُهُ، فَلَا تَسْأَلْنِ بَعْدَهَا عَمَّا قَدْ طَوَيْتُ عِلْمَهُ عَنْكَ مِنْ أَسْبَابِ أَفْعَالِي، وَلَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي..

﴿أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ [هود: ٤٦] فِي مَسْأَلَتِكَ إِيَّايَ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾: (أَنْ تَبْلُغَ الْجَهَالَةُ بِكَ أَنْ لَا أَفِي لَكَ بِوَعْدٍ وَعَدْتُكَ حَتَّىٰ تَسْأَلَنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧]).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ إِنَابَةِ نُوحٍ ﷺ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنْ زَلَّتِهِ فِي مَسْأَلَتِهِ الَّتِي سَأَلَهَا رَبَّهُ فِي ابْنِهِ..

﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ أَسْتَجِيرُ بِكَ..

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ أَنْ أَتَكَلَّفَ مَسْأَلَتَكَ..

﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِمَّا قَدِ اسْتَأْثَرْتَ بِعِلْمِهِ، وَطَوَيْتَ عِلْمَهُ عَنْ خَلْقِكَ، فَاغْفِرْ لِي زَلَّتِي فِي مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ مَا سَأَلْتُكَ فِي ابْنِي..

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْهَا لِي..

﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ فَتُنْقِذْنِي مِنْ غَضَبِكَ..

﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧] الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا وَهَلَكُوا.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨].

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ مِنَ الْفُلْكِ إِلَىٰ الأَرْضِ..

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بِأَمْنٍ..

﴿مِّنَّا﴾ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ إِهْلَاكِنَا..

﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ وَبِبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ..

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وَعَلَىٰ قُرُونٍ تَجِيءُ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ مَعَكَ مِنْ وَلَدِكَ، فَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ، وَبَارَكَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَأَصْلَابِ آبَائِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نُوحًا عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِأَهْلِ الشَّقَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ لَهُ..

﴿وَأُمَمٌ﴾ وَقُرُونٌ وَجَمَاعَةٌ..

﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ نَرْزُقُهُمْ فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغُوا آجَالَهُمْ..

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾ ثُمَّ نُذِيقُهُمْ..

﴿مِّنَّا﴾ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْنَا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨] عَذَابًا مُؤْلِمًا مُوجِعًا.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي أَنْبَأْتُكَ بِهَا -يَا مُحَمَّد- مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ وَخَبَرِهِ وَخَبَرِ قَوْمِهِ هِيَ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ مِنْ أَخْبَارِ..

﴿ٱلْغَيْبِ﴾ الَّتِي لَمْ تَشْهَدْهَا فَتَعْلَمُهَا..

﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ نَحْنُ فَنُعَرِّفُكَهَا..

﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ الْوَحْيِ الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ..

﴿فَٱصْبِرْ﴾ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَمَا تَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، كَمَا صَبَرَ نُوحٌ..

﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْ عَوَاقِبِ الأُمُورِ..

﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، فَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ، فَهُمُ الْفَائِزُونَ بِمَا يُؤَمِّلُونَ مِنَ النَّعِيمِ فِي الآخِرَةِ، وَالظَّفَرِ فِي الدُّنْيَا بِالطَّلْبَةِ، كَمَا كَانَتْ عَاقِبَةُ نُوحٍ إِذْ صَبَرَ لِأَمْرِ

اللهِ أَنْ نَجَّاهُ مِنَ الْهَلَكَةِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَعْطَاهُ فِي الْآخِرَةِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَغَرَّقَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعَهُمْ.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

﴿وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ..

﴿عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ لَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ عَلَيْكُمْ غَيْرُهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوهُ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠] مَا أَنْتُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ إِلَّا أَهْلُ فِرْيَةٍ مُكَذِّبُونَ، تَخْتَلِقُونَ الْبَاطِلَ؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١].

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هُودٍ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهَا جَزَاءً وَثَوَابًا..

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ إِنْ ثَوَابِي وَجَزَائِي عَلَىٰ نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَدُعَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي خَلَقَنِي..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١] أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَبْتَغِي بِدِعَايَتِكُمْ إِلَىٰ اللهِ غَيْرَ النَّصِيحَةِ لَكُمْ، وَطَلَبَ الْحَظِّ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَلْتَمَسْتُ مِنْكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْضَ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَطَلَبْتُ مِنْكُمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ آمِنُوا بِهِ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.. وَالِاسْتِغْفَارُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ هُودًا ﷺ، إِنَّمَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ:

﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣- ٤]..

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ مِنْ سَالِفِ ذُنُوبِكُمْ، وَعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ آمَنْتُمْ بِاللهِ، وَتُبْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ بِهِ، أَرْسَلَ قَطْرَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ يُدِرُّ لَكُمُ الْغَيْثَ فِي وَقْتِ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ، وَتَحْيَا بِلَادُكُمْ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ..

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ شِدَّةً إِلَىٰ شِدَّتِكُمْ إِنْ آمَنْتُم..

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ وَلَا تُدْبِرُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿مُجْرِمِينَ ۝﴾ [هود: ٥٢] كَافِرِينَ بِاللهِ.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [هود: ٥٣].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ قَوْمُ هُودٍ لِهُودٍ..

﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ مَا أَتَيْتَنَا بِبَيَانٍ، وَلَا بُرْهَانٍ عَلَىٰ مَا تَقُولُ، فَنُسَلِّمُ لَكَ، وَنُقِرُّ بِأَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا لِقَوْلِكَ، أَوْ مِنْ أَجْلِ قَوْلِكَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ بِمَا تَدَّعِي مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ إِلَيْنَا..

﴿بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [هود: ٥٣] بِمُصَدِّقِينَ.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾ [هود: ٥٤].

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ قَوْلِ قَوْمِ هُودٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ، إِذْ نَصَحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِهِ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهَا: لَا نَتْرُكُ عِبَادَةَ آلِهَتِنَا، وَمَا نَقُولُ إِلَّا أَنَّ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَمِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَتِهَا، أَنَّهُ أَصَابَكَ مِنْهَا خَبْلٌ مِنْ جُنُونٍ..

﴿قَالَ﴾ فَقَالَ هُودٌ لَهُمْ..

﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ عَلَىٰ نَفْسِي..

﴿وَاشْهَدُوا﴾ وَأُشْهِدُكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾ [هود: ٥٤] فِي عِبَادَةِ اللهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ.

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥].

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾ فَاحْتَالُوا أَنْتُمْ..

﴿جَمِيعًا﴾ وَآلِهَتُكُمْ فِي ضَرِّي وَمَكْرُوهِي..

﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥] ثُمَّ لَا تُؤَخِّرُونَ ذَلِكَ، فَانْظُرُوا هَلْ تَنَالُونَنِي أَنْتُمْ وَهُمْ بِمَا زَعَمْتُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمْ نَالَتْنِي بِهِ مِنَ السُّوءِ.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦].

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ إِنِّي عَلَى اللهِ الَّذِي هُوَ مَالِكِي وَمَالِكُكُمْ وَالْقَيِّمُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، تَوَكَّلْتُ مِنْ أَنْ تُصِيبُونِي أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ مِنَ الْخَلْقِ بِسُوءٍ..

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يَدُبُّ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَاللهُ مَالِكُهُ وَهُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ذَلِيلٌ لَهُ خَاضِعٌ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، فَخَصَّ بِالْأَخْذِ النَّاصِيَةَ دُونَ سَائِرِ أَمَاكِنِ الْجَسَدِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ فِي وَصْفِهَا مَنْ وَصَفَتْهُ بِالذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، فَتَقُولُ: مَا نَاصِيَةُ فُلَانٍ إِلَّا بِيَدِ فُلَانٍ، أَيْ أَنَّهُ لَهُ مُطِيعٌ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ شَاءَ؛ وَكَانُوا إِذَا أَسَرُوا الْأَسِيرَ فَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنَّ عَلَيْهِ جَزُّوا نَاصِيَتَهُ لِيَعْتَدُّوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ فَخْرًا عِنْدَ الْمُفَاخَرَةِ، فَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَعْرِفُونَ فِي كَلَامِهِمْ..

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦] إِنَّ رَبِّي عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، يُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْ خَلْقِهِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ بِهِ.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ..

﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يُهْلِكُكُمْ رَبِّي، ثُمَّ يَسْتَبْدِلُ رَبِّي مِنْكُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، يُوَحِّدُونَهُ وَيُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ وَلَا تَقْدِرُونَ لَهُ عَلَىٰ ضَرٍّ إِذَا أَرَادَ إِهْلَاكَكُمْ أَوْ أَهْلَكَكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ: لَا يَضُرُّهُ هَلَاكُكُمْ إِذَا أَهْلَكَكُمْ لَا تَنْقُصُونَهُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سَوَاءٌ عِنْدَهُ كُنْتُمْ أَوْ لَمْ تَكُونُوا..

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧] إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ ذُو حِفْظٍ وَعِلْمٍ، يَقُولُ: هُوَ الَّذِي يَحْفَظُنِي مِنْ أَنْ تَنَالُونِي بِسُوءٍ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨].

﴿وَلَمَّا جَآءَ﴾ قَوْمَ هُودٍ..

﴿أَمْرُنَا﴾ عَذَابُنَا..

﴿نَجَّيْنَا﴾ مِنْهُ..

﴿هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بِفَضْلٍ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَنِعْمَةٍ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُم﴾ أَيْضًا..

﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا نَجَّيْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّخْطَةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا بِعَادٍ.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩﴾ [هود: ٥٩].

﴿وَتِلْكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحْلَلْنَا بِهِمْ نِقْمَتَنَا وَعَذَابَنَا..

﴿عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ عَادٌ جَحَدُوا بِأَدِلَّةِ اللهِ وَحُجَجِهِ..

﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ..

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩﴾ [هود: ٥٩] مُسْتَكْبِرٍ عَلَىٰ اللهِ، حَائِدٍ عَنِ الْحَقِّ لَا يُذْعِنُ لَهُ، وَلَا يَقْبَلُهُ.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ [هود: ٦٠].

﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ وَأُتْبِعَ عَادٌ قَوْمُ هُودٍ..

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ غَضَبًا مِنَ اللهِ..

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَسَخَطَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِثْلَهَا لَعْنَةٌ إِلَىٰ اللَّعْنَةِ الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ [هود: ٦٠] أَبْعَدَهُمُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: ٦١].

﴿۞ وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ..

﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ، فَـ..

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجُوزُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ هُوَ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ، فَخَرَجَ الْخِطَابُ لَهُمْ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِعْلَهُ بِمَنْ هُمْ مِنْهُ..

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وَجَعَلَكُمْ عُمَّارًا فِيهَا، أَسْكَنَكُمْ فِيهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ..

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ اعْمَلُوا عَمَلًا يَكُونُ سَبَبًا لِسِتْرِ اللهِ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ، لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ صَالِحٍ..

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ اتْرُكُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَكْرَهُهُ رَبُّكُمْ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ وَيُحِبُّهُ..

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ مِمَّنْ أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي التَّوْبَةِ..

﴿مُجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: ٦١] لَهُ إِذَا دَعَاهُ.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢﴾ [هود: ٦٢].

﴿قَالُوا﴾ قَالَتْ ثَمُودُ لِصَالِحٍ نَبِيِّهِمْ..

﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ كُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا سَيِّدًا..

﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَهُ لَنَا، مِنْ أَنَّهُ مَالَنَا إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ..

﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الْآلِهَةَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا تَعْبُدُ..

﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ صِحَّةَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ

اللهِ، وَأَنَّ الْأُلُوهَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لَهُ خَالِصًا..

﴿مُرِيبٍ ۝﴾ [هود: ٦٢] يُوجِبُ التُّهْمَةَ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ۝﴾ [هود: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ..

﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بُرْهَانٍ وَبَيَانٍ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ مِنَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتُهُ وَأَيْقَنْتُهُ..

﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ وَآتَانِي مِنْهُ النُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْإِسْلَامَ..

﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ﴾ فَمَنِ الَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي عِقَابَهُ إِذَا عَاقَبَنِي إِنْ أَنَا عَصَيْتُهُ، فَيُخَلِّصُنِي مِنْهُ..

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بِعُذْرِكُمُ الَّذِي تَعْتَذِرُونَ بِهِ مِنْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ..

﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ۝﴾ [هود: ٦٣] لَكُمْ يُخَسِّرُكُمْ حُظُوظَكُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ۝﴾ [هود: ٦٤].

﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ مِنْ ثَمُودَ، إِذْ قَالُوا لَهُ ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۝﴾ [هود: ٦٢]، وَسَأَلُوهُ الْآيَةَ عَلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ: يَا قَوْمِ..

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ حُجَّةً وَعَلَامَةً، وَدَلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ رِزْقُهَا وَلَا مُؤْنَتُهَا..

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ لَا تَقْتُلُوهَا وَلَا تَنَالُوهَا بِعَقْرٍ..

﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ۝﴾ [هود: ٦٤] فَإِنَّكُمْ إِنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ يَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ مِنَ اللهِ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيُهْلِكَكُمْ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ۝﴾ [هود: ٦٥].

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فَعَقَرَتْ ثَمُودُ نَاقَةَ اللهِ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ

الظَّاهِرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ صَالِحٌ..

﴿تَمَتَّعُوا﴾ اسْتَمْتِعُوا..

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِحَيَاتِكُمْ..

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ﴾ هَذَا الأَجَلُ الَّذِي أَجَّلْتُكُمْ..

﴿وَعْدٌ﴾ مِنَ اللهِ، وَعَدَكُمْ بِانْقِضَائِهِ الْهَلَاكَ، وَنُزُولَ الْعَذَابِ بِكُمْ..

﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥﴾ [هود: ٦٥] لَمْ يَكْذِبْكُمْ فِيهِ مَنْ أَعْلَمَكُمْ ذَلِكَ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هود: ٦٦].

﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ ثَمُودَ..

﴿أَمْرُنَا﴾ عَذَابُنَا..

﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِهِ..

﴿مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ بِنِعْمَةٍ وَفَضْلٍ..

﴿مِّنَّا﴾ مِنَ اللهِ..

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ هَوَانِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذُلِّهِ بِذَلِكَ الْعَذَابِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هود: ٦٦] فِي بَطْشِهِ إِذَا بَطَشَ بِشَيْءٍ أَهْلَكَهُ، كَمَا أَهْلَكَ ثَمُودَ حِينَ بَطَشَ بِهَا الْعَزِيزُ، فَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، بَلْ يَغْلِبُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَقْهَرُهُ.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٦٧﴾ [هود: ٦٧].

﴿وَأَخَذَ﴾ وَأَصَابَ..

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ، مِنْ عَقْرِ نَاقَةِ اللهِ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٦٧﴾ [هود: ٦٧] قَدْ جَثَمَتْهُمُ الْمَنَايَا، وَتَرَكَتْهُمْ خُمُودًا بِأَفْنِيَتِهِمْ.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ [هود: ٦٨].

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كَأَنْ لَمْ يَعِيشُوا فِيهَا، وَلَمْ يَعْمُرُوا بِهَا..

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَجَحَدُوهَا..

﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ [هود: ٦٨] أَلَا أَبْعَدَ اللهُ ثَمُودَ؛ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هود: ٦٩].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ كَانُوا جِبْرَئِيلَ وَمَلَكَيْنِ آخَرَيْنِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ الْآخَرَيْنِ كَانَا مِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ مَعَهُ..

﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَ اللهِ..

﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بِالْبِشَارَةِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ الْبِشَارَةِ الَّتِي أَتَوْهُ بِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْبِشَارَةُ بِإِسْحَاقَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْبِشَارَةُ بِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ سَلَامًا.. كَأَنَّهُ قِيلَ: قَالُوا قَوْلًا وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..

﴿سَلَٰمٞۖ﴾ بِمَعْنَىٰ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ، أَوْ بِمَعْنَىٰ: سَلَامٌ مِنْكُمْ..

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هود: ٦٩] مَحْنُوذٍ، وَالْمَحْنُوذُ: الْمَشْوِي.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ [هود: ٧٠].

﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾ إِلَىٰ الْعِجْلِ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ، وَالطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمَ إِلَيْهِمْ..

﴿نَكِرَهُمۡ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ طَعَامَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ -فِيمَا ذُكِرَ- كَفُّوا عَنْ أَكْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَأْكُلُهُ، وَكَانَ إِمْسَاكُهُمْ عَنْ أَكْلِهِ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ ضِيفَانُهُ مُسْتَنْكَرًا، وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ مَعْرِفَةٌ، وَرَاعَهُ أَمْرُهُمْ..

﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ خِيفَةً وَأَضْمَرَهَا.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (**كَانَ إِنْكَارُهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ، فَلَمْ يَطْعَمْ مِنْ طَعَامِهِمْ، ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَجِيءْ بِخَيْرٍ، وَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِشَرٍّ**)..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَمَّا رَأَتْ مَا بِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ..

﴿لَا تَخَفۡ﴾ لَا تَخَفْ مِنَّا وَكُنْ آمِنًا، فَـ..

﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ [هود: ٧٠] إِنَّا مَلَائِكَةُ رَبِّكَ، أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١].

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ سَارَةُ..

﴿قَآئِمَةٞ﴾ كَانَتْ قَائِمَةً مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ، تَسْتَمِعُ كَلَامَ الرُّسُلِ، وَكَلَامَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَقِيلَ: كَانَتْ قَائِمَةً تَخْدُمُ الرُّسُلَ، وَإِبْرَاهِيمُ جَالِسٌ مَعَ الرُّسُلِ..

﴿فَضَحِكَتۡ﴾ فَعَجِبَتْ مِنْ غَفْلَةِ قَوْمِ لُوطٍ عَمَّا قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ عُقِيبَ قَوْلِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾، وَكَانَ لَا وَجْهَ لِلْضَحِكِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا تَخَفۡ﴾، كَانَ الضَّحِكُ وَالتَّعَجُّبِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَمْرِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾ فَبَشَّرْنَا سَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ ثَوَابًا مِنَّا لَهَا عَلَىٰ نَكِيرِهَا وَعَجَبِهَا مِنْ فِعْلِ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿بِإِسۡحَٰقَ﴾ وَلَدًا لَهَا..

﴿وَمِن وَرَآءِ﴾ وَمِنْ خَلْفِ.. وَالْوَرَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: وَلَدُ الْوَلَدِ..

﴿إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١] مِنَ ابْنِهَا إِسْحَاقَ.

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هود: ٧٢].

﴿قَالَتۡ﴾ سَارَةُ لَمَّا بُشِّرَتْ بِإِسْحَاقَ أَنَّهَا تَلِدُ، تَعَجُّبًا مِمَّا قِيلَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ، إِذْ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتِ السِّنَّ الَّتِي لَا يَلِدُ مَنْ كَانَ قَدْ بَلَغَهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ يَوْمَئِذٍ ابْنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ..

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنَ الشَّيْءِ، وَالِاسْتِنْكَارِ لِلشَّيْءِ..

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ..

﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ وَالْبَعْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الزَّوْجُ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَيِّمُ أَمْرِهَا، كَمَا سَمَّوْا مَالِكَ الشَّيْءِ: بَعْلَهُ، وَكَمَا قَالُوا لِلْنخلِ الَّتِي تَسْتَغْنِي بِمَاءِ السَّمَاءِ عَنْ سَقْيِ مَاءِ الْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ الْبَعْلَ، لِأَنَّ مَالِكَ الشَّيْءِ الْقَيِّمُ بِهِ، وَالنَّخْلَ الْبَعْلَ بِمَاءِ السَّمَاءِ حَيَاتُهُ..

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ [هود: ٧٢] إِنَّ كَوْنَ الْوَلَدِ مِنْ مِثْلِي وَمِثْلِ بَعْلِي عَلَىٰ السِّنِّ الَّتِي بِهَا نَحْنُ لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: ٧٣].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الرُّسُلُ لَهَا..

﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يَكُونَ، وَقَضَاءٍ قَضَاهُ اللهُ فِيكِ، وَفِي بَعْلِكِ؟..

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ وَسَعَادَتُهُ..

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ لَكُمْ..

﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أَهْلَ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿حَمِيدٞ﴾ مَحْمُودٌ فِي تَفَضُّلِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: ٧٣] ذُو مَجْدٍ وَمَدْحٍ وَثَنَاءٍ كَرِيمٍ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: ٧٤].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوْفُ الَّذِي أَوْجَسَهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ رُسُلِنَا حِينَ رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَىٰ طَعَامِهِ، وَأَمِنَ أَنْ يَكُونَ قُصِدَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ بِسُوءٍ..

﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بِإِسْحَاقَ، وَقَدْ قِيلَ: وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ أَنَّهُمْ لَيْسُوا إِيَّاهُ يُرِيدُونَ..

﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: ٧٤] ظَلَّ يُخَاصِمُنَا بِجِدَالِ رُسُلِنَا.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود: ٧٥].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ لَبَطِيءُ الْغَضَبِ..

﴿أَوَّٰهٞ﴾ مُتَذَلِّلٌ لِرَبِّهِ خَاشِعٌ لَهُ، مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ..

﴿مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود: ٧٥] رَجَّاعٌ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود: ٧٦].

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ وَذَلِكَ قِيلُهُمْ لَهُ حِينَ جَادَلَهُمْ فِي قَوْمِ لُوطٍ، فَقَالُوا: دَعْ عَنْكَ الْجِدَالَ فِي أَمْرِهِمْ وَالْخُصُومَةِ فِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بِعَذَابِهِمْ، وَحَقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَمَضَىٰ فِيهِمْ بِهَلَاكِهِمُ الْقَضَاءُ..

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ قَوْمَ لُوطٍ..

﴿ءَاتِيهِمْ﴾ نَازِلٌ بِهِمْ..

﴿عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٦] غَيْرُ مَدْفُوعٍ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٧٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ مَلَائِكَتُنَا..

﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ..

﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ وَضَاقَ بِمَجِيئِهِمْ..

﴿ذَرْعًا﴾ وَضَاقَتْ نَفْسُهُ غَمًّا بِمَجِيئِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ فِي حَالِ مَا سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ، وَعَلِمَ مِنْ قَوْمِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِهِمُ الْفَاحِشَةَ، وَخَافَ عَلَيْهِمْ، فَضَاقَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِمَجِيئِهِمْ ذَرْعًا، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيَحْتَاجُ إِلَىٰ الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَضْيَافِهِ..

﴿وَقَالَ﴾ وَلِذَلِكَ قَالَ لُوطٌ..

﴿هَٰذَا﴾ الْيَوْمُ..

﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٧٧] شَدِيدٌ شَرُّهُ، عَظِيمٌ بَلَاؤُهُ.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨].

﴿وَجَآءَهُۥ﴾ وَجَاءَ لُوطًا..

﴿قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يَسْتَحِثُّونَ إِلَيْهِ، يَرْعَدُونَ مَعَ سُرْعَةِ الْمَشْيِ، مِمَّا بِهِمْ مِنْ طَلَبِ الْفَاحِشَةِ..

﴿وَمِن قَبْلُ﴾ مَجِيئِهِمْ إِلَىٰ لُوطٍ..

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ..

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ لَمَّا جَاءُوا يُرَاوِدُونَهُ عَنْ ضَيْفِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ نِسَاءَ أُمَّتِهِ فَانْكِحُوهُنَّ فَـ..

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ بَنَاتِي أَطْهَرُ لَكُمْ مِمَّا تُرِيدُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَاخْشَوُا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ فِي إِتْيَانِكُمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي تَأْتُونَهَا وَتَطْلُبُونَهَا..

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ وَلَا تُذِلُّونِي بِأَنْ تَرْكَبُوا مِنِّي..

﴿فِي ضَيْفِي﴾ مَا يَكْرَهُونَ أَنْ تَرْكَبُوهُ مِنْهُمْ، وَالضَّيْفُ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ جَمْعٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ (ضَيْفًا) بِلَفْظٍ وَاحِدٍ كَمَا قَالُوا: رَجُلٌ عَدْلٌ، وَقَوْمٌ عَدْلٌ..

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾ [هود: ٧٨] ذُو رَشَدٍ، يَنْهَىٰ مَنْ أَرَادَ رُكُوبَ الْفَاحِشَةِ مِنْ ضَيْفِي، فَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ؟!

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود: ٧٩].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ قَوْمُ لُوطٍ لِلُوطٍ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يَا لُوطُ..

﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ لِأَنَّهُنَّ لَسْنَ لَنَا أَزْوَاجًا..

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا لُوطُ..

﴿لَتَعْلَمُ﴾ أَنَّ حَاجَتَنَا فِي غَيْرِ بَنَاتِكَ..

﴿مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود: ٧٩] وَأَنَّ الَّذِي نُرِيدُ هُوَ مَا تَنْهَانَا عَنْهُ.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ حِينَ أَبَوْا إِلَّا الْمُضِيَّ لِمَا قَدْ جَاءُوا لَهُ مِنْ طَلَبِ الْفَاحِشَةِ وَأَيِسَ مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا عَرَضَ عَلَيْهِمْ..

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ بِأَنْصَارٍ تَنْصُرُنِي عَلَيْكُمْ وَأَعْوَانٍ تُعِينُنِي..

﴿أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠] أَوْ أَنْضَمُّ إِلَىٰ عَشِيرَةٍ مَانِعَةٍ تَمْنَعُنِي مِنْكُمْ، لَحُلْتُ بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ مَا جِئْتُمْ تُرِيدُونَهُ مِنِّي فِي أَضْيَافِي، وَحُذِفَ جَوَابُ ﴿لَوْ﴾ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ مَفْهُومٌ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ لُوطٍ؛ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ، إِذْ قَالَ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾، مَا بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»**..

وَالثَّرْوَةُ: الْكَثْرَةُ وَالْمَنَعَةُ.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١﴾ [هود: ٨١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلُوطٍ لَمَّا قَالَ لُوطٌ لِقَوْمِهِ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠]، وَرَأَوْا مَا لَقِيَ مِنَ الْكَرْبِ بِسَبَبِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أُرْسِلْنَا لِإِهْلَاكِهِمْ..

﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ﴾ وَإِنَّهُمْ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ، وَإِلَىٰ ضَيْفِكَ بِمَكْرُوهٍ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ..

﴿فَأَسْرِ﴾ فَاخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿بِأَهْلِكَ﴾ أَنْتَ وَأَهْلُكَ..

﴿بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بِبَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ، وَعَلَىٰ أَنَّ لُوطًا أُمِرَ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ سِوَىٰ زَوْجَتِهِ، فَإِنَّهُ نُهِيَ أَنْ يَسْرِيَ بِهَا، وَأُمِرَ بِتَخْلِيفِهَا مَعَ قَوْمِهَا..

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا﴾ إِنَّهُ مُصِيبٌ امْرَأَتَكَ..

﴿مَآ أَصَابَهُمْ﴾ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ إِنَّ مَوْعِدَ قَوْمِكَ لِلْهَلَاكِ الصُّبْحُ، فَاسْتَبْطَأَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لُوطٌ، وَقَالَ لَهُمْ: بَلَىٰ عَجِّلُوا لَهُمُ الْهَلَاكَ فَقَالُوا..

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١﴾ [هود: ٨١] أَيْ عِنْدَ الصُّبْحِ نُزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢﴾ [هود: ٨٢].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِالْعَذَابِ وَقَضَاؤُنَا فِيهِمْ بِالْهَلَاكِ..

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ عَالِيَ قَرْيَتِهِمْ..

﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهَا..

﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ مِنْ طِينٍ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوْضِعٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤﴾ [الذاريات: ٣٣- ٣٤]..

﴿مَّنضُودٖ ۝٨٢﴾ [هود: ٨٢] صِفَةُ ذَلِكَ الطِّينِ أَنَّهُ نُضِدَ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيَصِيرُ حِجَارَةً.. وَلَوْ كَانَ التَّنْزِيلُ بِالنَّصْبِ (مَنْضُودَةً) لَكَانَ مِنْ نَعْتِ الْحِجَارَةِ حِينَئِذٍ.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود: ٨٣].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُعَلَّمَةً.. وَالْمُسَوَّمَةُ مِنْ نَعْتِ الْحِجَارَةِ، وَلِذَلِكَ نُصِبَتْ وَنُعِتَ بِهَا..

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عِنْدَ اللهِ، أَعْلَمَهَا اللهُ..

﴿وَمَا هِيَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُتَهَدِّدًا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ: وَمَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمْطَرْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود: ٨٣] أَنْ يُمْطِرُوهَا إِنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤﴾

[هود: ٨٤].

﴿۞ وَإِلَىٰ﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ وَلَدِ..

﴿مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ..

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَطِيعُوهُ، وَتَذَلَّلُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ لِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ..

﴿وَلَا تَنقُصُوا۟﴾ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ فِي..

﴿ٱلْمِكْيَالَ﴾ مِكْيَالِكُمْ..

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ مِيزَانِكُمْ..

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم﴾ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ فِي الدُّنْيَا، من الْمَالِ، وَالزِينَة، وَرُخْصِ السِّعْرِ..وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا فِي سَعَةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ، وَرُخْصٍ مِنْ أَسْعَارِهِمْ، كَثِيرَةٌ أَمْوَالِهِمْ..

﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ بِمُخَالَفَتِكُمْ أَمْرَ اللهِ وَبَخْسِكُمُ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَكَايِيلِكُمْ وَمَوَازِينِكُمْ أَنْ يُنْزِلَ بِكُمْ..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤﴾ [هود: ٨٤] فَجَعَلَ الْمُحِيطَ نَعْتًا لِلْيَوْمِ، وَهُوَ مِنْ نَعْتِ الْعَذَابِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ، وَكَانَ الْعَذَابُ فِي الْيَوْمِ.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥﴾ [هود: ٨٥].

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ﴾ النَّاسَ..

﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُوَفُّوا أَهْلَ الْحُقُوقِ الَّتِي هِيَ مِمَّا يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ حُقُوقَهُمْ عَلَىٰ مَا وَجَبَ لَهُمْ مِنَ التَّمَامِ بِغَيْرِ بَخْسٍ وَلَا نَقْصٍ..

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ تُنْقِصُوا، وتَظْلِمُوا..

﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ حُقُوقَهُمُ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَفُّوهُمْ كَيْلًا أَوْ وَزْنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ..

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ وَلَا تَسِيرُوا، وتَسْعَوْا..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥﴾ [هود: ٨٥] تَعْمَلُونَ فِيهَا بِمَعَاصِي اللهِ..كَنُقْصَانَ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾ [هود: ٨٦].

﴿بَقِيَّتُ﴾ مَا أَبْقَاهُ..

﴿ٱللَّهِ﴾ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَفُّوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ، فَأَحَلَّهُ لَكُمْ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الَّذِي يَبْقَىٰ لَكُمْ بِبَخْسِكُمُ النَّاسَ مِنْ حُقُوقِهِمْ بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ﴾ مُصَدِّقِينَ بُوعِدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾ [هود: ٨٦] بِرَقِيبٍ أَرْقُبُكُمْ عِنْدَ كَيْلِكُمْ، وَوَزْنِكُمْ هَلْ تُوَفُّونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ أَمْ تَظْلِمُونَهُمْ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمُوهَا.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ [هود: ٨٧].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ..

﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ﴾ عِبَادَةَ..

﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ مِنْ كَسْرِ الدَّرَاهِمِ وَقَطْعِهَا، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾ الَّذِي لَا يَحْمِلُهُ الْغَضَبُ أَنْ يَفْعَلَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهُ فِي حَالِ الرِّضَا..

﴿ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ [هود: ٨٧] فِي أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ..فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ قَالُوا ذَلِكَ لَهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ؛ وَإِنَّمَا سَفَّهُوهُ وَجَهَّلُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بَيَانٍ وَبُرْهَانٍ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَفِيمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ إِفْسَادِ الْمَالِ..

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ بَلْ لَا أَفْعَلُ إِلَّا بِمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَلَا أَنْتَهِي إِلَّا عَمَّا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِنْ﴾ مَا..

﴿أُرِيدُ﴾ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ إِلَّا إِصْلَاحَكُمْ وَإِصْلَاحَ أَمْرِكُمْ..

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾ مَا قَدَرْتُ عَلَىٰ إِصْلَاحِهِ لِئَلَّا يَنَالَكُمْ مِنَ اللهِ عُقُوبَةٌ مُنَكِّلَةٌ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ وَمَعْصِيَتِكُمْ رَسُولَهُ..

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ إِصَابَتِي الْحَقَّ فِي مُحَاوَلَتِي إِصْلَاحَكُمْ وَإِصْلَاحَ أَمْرِكُمْ..

﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ لَا يُعِنِّي عَلَيْهِ لَمْ أُصِبِ الْحَقَّ فِيهِ..

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ إِلَىٰ اللهِ أُفَوِّضُ أَمْرِي، فَإِنَّهُ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي أُمُورِي..

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨] أُقْبِلُ بِالطَّاعَةِ وَأَرْجِعُ بِالتَّوْبَةِ.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝٨٩﴾ [هود: ٨٩].

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شِقَاقِيٓ﴾ عَدَاوَتِي وَبُغْضِي وَفِرَاقِ الدِّينِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، عَلَىٰ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَبَخْسِ النَّاسِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَتَرْكِ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ..

﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ فَيُصِيبُكُمْ..

﴿مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ مِنَ الْغَرَقِ..

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ﴾ مِنَ الرَّجْفَةِ..

﴿وَمَا﴾ دَارُ..

﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ الَّذِينَ ائْتَفَكَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ..

﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝٨٩﴾ [هود: ٨٩] هَلَاكُهُمْ، أَفَلَا تَتَّعِظُونَ بِهِ وَتَعْتَبِرُونَ؟ فَاعْتَبِرُوا بِهَؤُلَاءِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ بِشِقَاقِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠].

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَبَخْسِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ..

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ..

﴿وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠] ذُو مَحَبَّةٍ لِمَنْ أَنَابَ وَتَابَ إِلَيْهِ يَوَدُّهُ وَيُحِبُّهُ.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١﴾ [هود: ٩١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لِشُعَيْبٍ..

﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نَعْلَمُ..

﴿كَثِيرًا﴾ حَقِيقَةَ كَثِيرٍ..

﴿مِّمَّا تَقُولُ﴾ وَتُخْبِرُنَا بِهِ..

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ ضَرِيرًا..

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ وَيَقُولُونَ: لولا أَنْ نَتَّقِيَ قومَكَ وعَشِيرَتَكَ..

﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ لَسَبَبْنَاكَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَتَلْنَاكَ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هود: ٩١] مِمَّنْ يُكْرَمُ، فَيَعْظُمُ عَلَيْنَا إِذْلَالُهُ وَهَوَانُهُ، بَلْ ذَلِكَ عَلَيْنَا هَيِّنٌ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ [هود: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أَعَزَزْتُمْ قَوْمَكُمْ، فَكَانُوا أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ..

﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ وَاسْتَخْفَفْتُمْ بِرَبِّكُمْ، فَجَعَلْتُمُوهُ خَلْفَ ظُهُورِكُمْ، لَا تَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَلَا تُعَظِّمُونَهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ.. يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَقْضِ حَاجَةَ الرَّجُلِ: نَبَذَ حَاجَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ: أَيْ تَرَكَهَا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَإِذَا قَضَاهَا قِيلَ: جَعَلَهَا أَمَامَهُ وَنُصْبَ عَيْنَيْهِ؛ وَيُقَالُ: ظَهَرْتَ بِحَاجَتِي وَجَعَلْتَهَا ظِهْرِيَّةً: أَيْ خَلْفَ ظَهْرِكَ..

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ [هود: ٩٢] عِلْمُهُ بِعَمَلِكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ [هود: ٩٣].

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ عَلَىٰ تَمَكُّنِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ..

﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي أَعْمَلُهُ..

﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ أَيُّنَا الْجَانِي عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَالْمُخْطِئُ عَلَيْهَا، وَالْمُصِيبُ فِي فِعْلِهِ، الْمُحْسِنُ إِلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يَأۡتِيهِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يُذِلُّهُ وَيُهِينُهُ..

﴿وَمَنۡ﴾ وَيَخْزِي أَيْضًا الَّذِي..

﴿هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ فِي قِيلِهِ وَخَبَرِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ انْتَظِرُوا وَتَفَقَّدُوا..

﴿إِنِّي﴾ أَيْضًا ذُو رِقْبَةٍ لِذَلِكَ الْعَذَابِ..

﴿مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣] وَنَاظِرٌ إِلَيْهِ بِمَنْ هُوَ نَازِلٌ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤].

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ قَضَاؤُنَا فِي قَوْمِ شُعَيْبٍ بِعَذَابِنَا..

﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ رَسُولَنَا..

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ فَصَدَّقُوهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿مَعَهُ﴾ مَعَ شُعَيْبٍ، مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي بَعَثْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لَهُ، وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ مِنَ السَّمَاءِ أَخْمَدَتْهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ، صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً أَخْرَجَتْ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ..

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤] عَلَىٰ رُكَبِهِمْ وَصَرْعَىٰ بِأَفْنِيَتِهِمْ.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: ٩٥].

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا﴾ يَعِشْ قَوْمُ شُعَيْبٍ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ حِينَ أَصْبَحُوا جَاثِمِينَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي دِيَارِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾ أَبْعَدَ اللهُ مَدْيَنَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِحْلَالِ نَقْمَتِهِ..

﴿كَمَا بَعِدَتْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: ٩٥] مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِنْزَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ [هود: ٩٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِنَا عَلَىٰ تَوْحِيدِنَا..

﴿وَسُلْطَانٍ﴾ وَحُجَّةٍ..

﴿مُبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ [هود: ٩٦] تُبِينُ لِمَنْ عَايَنَهَا، وَتَأَمَّلَهَا بِقَلْبٍ صَحِيحٍ، أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَكَذِبِ كُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ الرُّبُوبِيَّةَ دُونَهُ، وَبُطُولِ قَوْلِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْأُلُوهَةِ غَيْرَهُ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود: ٩٧].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يَعْنِي إِلَىٰ أَشْرَافِ جُنْدِهِ وَتُبَّاعِهِ.. فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ مُوسَىٰ، وَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَأَبَوْا قَبُولَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ مَلَأُ فِرْعَوْنَ..

﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ دُونَ أَمْرِ اللهِ، وَأَطَاعُوهُ فِي تَكْذِيبِ مُوسَىٰ وَرَدِّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود: ٩٧] لَا يَرْشُدُ أَمْرُ فِرْعَوْنَ مَنْ قَبِلَهُ مِنْهُ، فِي تَكْذِيبِ مُوسَىٰ، إِلَىٰ خَيْرٍ، وَلَا يَهْدِيهِ إِلَىٰ صَلَاحٍ، بَلْ يُورِدُهُ نَارَ جَهَنَّمَ.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

﴿يَقْدُمُ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿قَوْمَهُۥ﴾ يَقُودُهُمْ.. يَمْضِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ فَيَمْضِي بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ حَتَّىٰ يُورِدُهُمُوهَا، وَيَصْلِيهِمْ سَعِيرُهَا..

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨] الَّذِي يَرِدُونَهُ.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٩].

﴿وَأُتْبِعُواْ﴾ وَأَتْبَعَهُمُ اللهُ..

﴿فِى هَـٰذِهِۦ﴾ الدُّنْيَا مَعَ الْعَذَابِ الَّذِي عَجَّلَهُ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ..

﴿لَعْنَةً﴾ وَفِي..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أَيْضًا، يُلْعَنُونَ لَعْنَةً أُخْرَىٰ..

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ الْعَوْنُ..

﴿ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٩] الْمُعَانُ.. يعني: اللَّعْنَةُ الْمَزِيدَةُ فِيهَا أُخْرَىٰ مِنْهَا، تَرَادَفَتْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَتَانِ مِنَ اللهِ لَعْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَعْنَةٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: ١٠٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْقَصَصُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَكَ يا مُحَمَّد ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَالنَّبَأُ الَّذِي أَنْبَأْنَاكَهُ فِيهَا..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أَخْبَارِ..

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ فَنُخْبِرُكَ بِهِ..

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ بُنْيَانُهُ عامرٌ غيرُ منهدِم، بَائِدٌ أَهْلِهِ..

﴿وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾ وَمِنْهَا حَصِيدٌ خرَّ بُنْيَانُهُ، فلا يُرَىٰ لَهُ أَثَرٌ، فهو مُلْزَقٌ بِالْأَرْضِ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠١﴾ [هود: ١٠١].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ وما عاقَبْنَا أَهْلَ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْنَا نَبَأَهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ عُقُوبَتَنَا، فَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ وَضَعْنَا عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا..

﴿وَلَٰكِن﴾ ـنَهم..

﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ فأَوْجَبُوا لِـ..

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ بِمَعْصِيَتِهِمُ الله، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، عُقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ، فَأَحَلُّوا بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَحُلُّوهُ بِهَا، وَأَوْجَبُوا لَهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يُوجِبُوهُ لَهَا..

﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعَتْ..

﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَيَدْعُونَهَا أَرْبَابًا مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَعَذَابِهِ إِذَا أَحَلَّهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ وَلَا رَدَّتْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْهُ..

﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ﴾ قَضَاءُ..

﴿رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَذَابِهِمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ، وَنَزَلَ بِهِمْ سَخَطُهُ..

﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ وَمَا زَادَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ رَبِّكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِعِقَابِ اللهِ..

﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠١﴾ [هود: ١٠١] تَخْسِيرٍ وَتَدْمِيرٍ وَإِهْلَاكٍ.. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ: تَبًّا لَكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَخَذْتُ أَيُّهَا النَّاسُ أَهْلَ هَذِهِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَ أَهْلِهَا بِمَا أَخَذْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، عَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرِي، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلِي، وَجُحُودِهِمْ آيَاتِي فكَذَلِكَ..

﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ وَأَهْلَهَا إِذَا أَخَذْتُهُمْ بِعِقَابِي..

﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ وَهُمْ ظَلَمَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ، بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَإِشْرَاكِهِمْ بِهِ غَيْرَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ..

﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ﴾ إِنَّ أَخْذَ رَبِّكُمْ بِالْعِقَابِ مَنْ أَخَذَهُ..

﴿أَلِيمٞ﴾ مُوجِعٌ..

﴿شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود: ١٠٢] الْإِيجَاعِ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ، تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْلُكُوا فِي مَعْصِيَتِهِ طَرِيقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْفَاجِرَةِ، فَيَحِلُّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ..قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣﴾ [هود: ١٠٣].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أَخْذِنَا مَنْ أَخَذْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّتِي اقْتَصَصْنَا خَبَرَهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَأٓيَةٗ﴾ لَعِبْرَةً وَعِظَةً..

﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ﴾ عِقَابَ اللهِ، وَعَذَابَهُ فِي..

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ مِنْ عِبَادِهِ، وَحُجَّةً عَلَيْهِ لِرَبِّهِ، وَزَاجِرًا يَزْجُرُهُ عَنْ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ، وَيُخَالِفُهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ.. وَقِيلَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ بِأَنَّ اللهَ سَيَفِي لَهُ بِوَعْدِهِ..

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ﴾ الْقِيَامَةِ..

﴿مَّجۡمُوعٞ لَّهُ﴾ يَحْشُرُ اللهُ..

﴿ٱلنَّاسُ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَجْمَعُهُمْ فِيهِ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣﴾ [هود: ١٠٣] تَشْهَدُهُ الْخَلَائِقُ لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيَنْتَقِمُ حِينَئِذٍ مِمَّنْ عَصَىٰ اللهَ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ۝١٠٤﴾ [هود: ١٠٤].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ أَنْ نَجِيئَكُمْ بِهِ..

﴿إِلَّا لِأَجَلٖ﴾ لِأَنْ يُقْضَىٰ..

﴿مَّعۡدُودٖ ۝١٠٤﴾ [هود: ١٠٤] فَعَدَّهُ وَأَحْصَاهُ، فَلَا يَأْتِي إِلَّا لِأَجَلِهِ ذَلِكَ، لَا يَتَقَدَّمُ مَجِيئُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ۝١٠٥﴾ [هود: ١٠٥].

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ إِنَّمَا هِيَ (لا تَتَكَلَّمُ)، فَحَذَفَ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ اجْتِزَاءً بِدَلَالَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْهُمَا عَلَيْهَا..

﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهَا..

﴿فَمِنْهُمْ﴾ فَمِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الَّتِي لَا تَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهَا..

﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥﴾ [هود: ١٠٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ١٠٦﴾ [هود: ١٠٦].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ فِي الْحَلْقِ، وَهُوَ أَوَّلُ نُهَاقِ الْحِمَارِ وَشِبْهُهُ، وهو صَوْتٌ شَدِيدٌ..

﴿وَشَهِيقٌ ١٠٦﴾ [هود: ١٠٦] فِي الصَّدْرِ، وَهُوَ آخِرُ نَهِيقِهِ إِذَا رَدَّدَهُ فِي الْجَوْفِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ نُهَاقِهِ، وَهو صَوْتٌ ضَعِيفٌ.. وعَنْ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥﴾ [هود: ١٠٥] سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَعَلَامَ عَمِلْنَا؟ عَلَىٰ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«عَلَىٰ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ يَا عُمَرُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود: ١٠٧].

﴿خَٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أَبَدًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَصِفَ الشَّيْءَ بِالدَّوَامِ أَبَدًا، قَالَتْ: هَذَا دَائِمٌ دَوَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ دَائِمٌ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: هُوَ بَاقٍ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَخَاطَبَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وَالْمَعْنَىٰ فِي ذَلِكَ: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ اسْتَثْنَاهُ اللهُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ إِذَا شَاءَ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود: ١٠٧] لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلِ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ بِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ مِنَ الانْتِقَامِ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَيُمْضِي فِعْلَهُ فِيهِمْ وَفِيمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ فعلَهُ وَقَضَاهُ.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨].

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ رُزِقُوا السَّعَادَةَ بِرَحْمَةِ اللهِ..

﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ هُمْ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَبَدًا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ مِنْ قَدْرِ مَا مَكَثُوا فِي النَّارِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ فِيمَنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ..

﴿عَطَآءً﴾ مِنَ اللهِ..

﴿غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨] غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ [هود: ١٠٩].

﴿فَلَا تَكُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي مِرۡيَةٖ﴾ فِي شَكٍّ..

﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ، وَأَنَّهُ بِاللهِ شِرْكٌ..

﴿مَا يَعۡبُدُونَ﴾ الْأَوْثَانِ..

﴿إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ اتِّبَاعًا مِنْهُمْ مِنْهَاجَ آبَائِهِمْ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمُوهَا، لَا عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَلَا بِحُجَّةٍ تَبَيَّنُوهَا تُوجِبُ عَلَيْهِمْ عِبَادَتَهَا..

﴿مِّن قَبۡلُۚ﴾ عِبَادَتِهِمْ لَهَا..

﴿وَإِنَّا﴾ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ لِعِبَادَتِهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ حَظَّهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ أَنْ أُوَفِّيَهُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ [هود: ١٠٩] لَا أُنْقِصُهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ، بَلْ أُتَمِّمُ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠﴾ [هود: ١١٠].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ فِي تَكْذِيبِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ إِيَّاهُ

فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِفِعْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمُوسَىٰ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَلَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَكَ، وَامْضِ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، فَإِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ بِكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَدِّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ فِعْلِ ضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَسُنَّةٍ مَنْ سُنَنِهِم، ثُمَّ أَخْبَرَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَىٰ بِهِ، فَقَالَ: لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ، كَمَا آتَيْنَاكَ الْفُرْقَانَ..

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ قَوْمُ مُوسَىٰ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَصَدَّقَ بِهِ بَعْضُهُمْ، كَمَا قَدْ فَعَلَ قَوْمُكَ بِالْفُرْقَانِ مِنْ تَصْدِيقِ بَعْضٍ بِهِ وَتَكْذِيبِ بَعْضٍ..

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بِأَنَّهُ لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنْ يَتَأَنَّىٰ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ..

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لَقُضِيَ بَيْنَ الْمُكَذِّبِ مِنْهُمْ بِهِ وَالْمُصَدِّقِ، بِإِهْلَاكِ اللهِ الْمُكَذِّبَ بِهِ مِنْهُمْ وَإِنْجَائِهِ الْمُصَدِّقَ بِهِ..

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْهُمْ..

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ لَفِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَتِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُرِيبٍ ۝١١٠﴾ [هود: ١١٠] يُرِيبُهُمْ فَلَا يَدْرُونَ أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، وَلَكِنَّهُمْ فِيهِ مُمْتَرُونَ.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١١﴾ [هود: ١١١].

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ وَإِنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ بِالصَّالِحِ مِنْهَا بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ، وَبِالطَّالِحِ مِنْهَا بِالشَّدِيدِ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿خَبِيرٌ ۝١١١﴾ [هود: ١١١] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِمْ بَلْ يَخْبُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَعْلَمُهُ وَيُحِيطُ بِهِ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود: ١١٢].

﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّكَ وَالدِّينِ الَّذِي ابْتَعَثَكَ بِهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ..

﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ.. وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾:

(اسْتَقِمْ عَلَىٰ الْقُرْآنِ)..

﴿وَمَن تَابَ﴾ رَجَعَ..

﴿مَعَكَ﴾ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ..

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ وَلَا تَعْدُوا أَمْرَهُ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا..

﴿بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢] ذُو عِلْمٍ بِهَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ لِجَمِيعِهَا مُبْصِرٌ.. فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ بِخِلَافِ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَهُوَ لَكُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ وَلَا تَمِيلُوا أَيُّهَا النَّاسُ.. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: (الرُّكُونُ: الإِدْهَانُ، وَقَرَأَ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩])، قَالَ: (تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُنْكِرُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، وَقَدْ قَالُوا الْعَظِيمَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ)، قَالَ: (وَإِنَّمَا هَذَا لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، أَمَا أَهْلُ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَاللهُ أَعْلَمُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَالِحَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَلَا يَرْكَنُ إِلَيْهِ فِيهَا)..

﴿إِلَى﴾ قَوْلِ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَتَرْضَوْا أَعْمَالَهُمْ..

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ وَوَلِيٍّ يَلِيكُمْ..

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣] فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ، بَلْ يُخَلِّيكُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ وَيُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

﴿وَأَقِمِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الفجر، والمغرب..

﴿وَزُلَفًا﴾ جَمْع زُلْفَةَ، كَمَا تَجْمَعُ غُرْفَةَ غُرَف، وَحُجْرَةَ حُجَر، وهي سَاعَاتُ الْمَنْزِلَةِ وَالْقُرْبَةِ..

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ صَلَاةِ الْعِشَاءِ؛ لِأَنَّها تُصَلَّىٰ بَعْدَ مُضِيِّ زُلَفٌ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾ الْإِنَابَةَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا يُرْضِيهِ، والمقصود الصَّلَوَاتُ الْخَمْسِ الْمَكْتُوبَاتُ؛ لِصِحَّةِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَوَاتُرِهَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَنْغَمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَاذَا يُبْقِينَ مِنْ دَرَنِهِ**»، وَإِنَّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ أَمْرِ اللهِ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ، وَالْوَعْدُ عَلَىٰ إِقَامَتِهَا الْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ عَقِيبِهَا أَوْلَىٰ مِنَ الْوَعْدِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنْ صَالِحَاتِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ إِذَا خَصَّ بِالْقَصْدِ بِذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ..

﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ آثَامَ مَعْصِيَةِ اللهِ وَيُكَفِّرُ الذُّنُوبَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَوْعَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرُّكُونِ إِلَىٰ الظُّلْمِ وَتَهَدَّدْتُ فِيهِ، وَالَّذِي وَعَدْتُ فِيهِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ اللَّوَاتِي يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..

﴿ذِكۡرَىٰ﴾ تَذْكِرَةً ذَكَّرْتُ بِهَا..

﴿لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤] وَعْدَ اللهِ، فَيَرْجُونَ ثَوَابَهُ، وَوَعِيدَهُ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، لَا مَنْ قَدْ طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا وَلَا يَسْمَعُ زَاجِرًا..وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ رَجُلٍ نَالَ مِنْ غَيْرِ زَوْجَتِهِ وَلَا مِلْكِ يَمِينِهِ بَعْضَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ، فَتَابَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ.

﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود: ١١٥].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا تَلْقَىٰ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ مِنَ الْأَذَىٰ فِي اللهِ وَالْمَكْرُوهِ رَجَاءَ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ﴾ ثَوَابَ..

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود: ١١٥] فَأَطَاعُوا اللهَ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، فَيَذْهَبْ بِهِ، بَلْ يُوَفِّرُهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُوا إِلَيْهِ.

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: ١١٦].

﴿فَلَوۡلَا﴾ فَهَلَّا..

﴿كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْتُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ وَكُفْرِهِمْ بِرُسُلِي..

﴿أُوْلُواْ﴾ ذُو..

﴿بَقِيَّةٖ﴾ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللهِ وَيَتَدَبَّرُونَ حُجَجَهُ، فَيَعْرِفُونَ مَا لَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَعَلَيْهِمْ فِي الْكُفْرِ بِهِ..

﴿يَنۡهَوۡنَ﴾ أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عَنْ مَعَاصِيهِمْ وكُفْرِهِمْ بِهِ فِي أَرْضِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا يَسِيرًا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ..

﴿مِّمَّنۡ﴾ وَهُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ..

﴿أَنجَيۡنَا﴾ فَنَجَّاهُمُ اللهُ مِنْ عَذَابِهِ، حِينَ أَخَذَ..

﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ بعَذَابِهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ، فَكَفَرُوا بِاللهِ..

﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ مَا أُنْظِرُوا فِيهِ مِنْ لِذَاتِ الدُّنْيَا، فَكَفَرُوا واسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَتَجَبَّرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: ١١٦] وَكَانُوا مُكْتَسِبِي الْكُفْرَ بِاللهِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ الَّتِي أَهْلَكَهَا، الَّتِي قَصَّ عَلَيْكَ نَبَأَهَا..

﴿بِظُلۡمٖ﴾ فَيَكُونُ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ ظُلْمًا..

﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧] فِي أَعْمَالِهِمْ، غَيْرُ مُسِيئِينَ، وَلَكِنَّهُ أَهْلَكَهَا بِكُفْرِ أَهْلِهَا بِاللهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي غَيِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ وَرُكُوبِهِمُ السَّيِّئَاتِ.. وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿بِظُلۡمٖ﴾، يَعْنِي: بِشِرْكٍ، وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا يَتَظَالَمُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَعَاطَوْنَ الْحَقَّ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا يُهْلِكُهُمْ إِذَا تَظَالَمُوا.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾ [هود: ١١٨].

﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ﴾ كُلَّهَا..

﴿أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً..

﴿وَٰحِدَةً﴾ عَلَىٰ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَدِينٍ وَاحِدٍ.. مُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ النَّاسُ..

﴿مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨] فِي أَدْيَانِهِمْ، وَأَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ أَدْيَانٍ وَمِلَلٍ وَأَهْوَاءٍ شَتَّىٰ مِنْ بَيْنِ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَمَجُوسِيٍّ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩].

﴿إِلَّا﴾ اسْتَثْنَىٰ اللهُ مِنْ ذَٰلِكَ..

﴿مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ فَآمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ وَعَلَىٰ عِلْمِهِ النَّافِذِ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ، وَلِلِاخْتِلَافِ بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ..

﴿خَلَقَهُمْ ۗ﴾ فَأَخْبَرَ عَنْ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ..

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ يَسْتَوْجِبُونَ العذاب..

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ..

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ وَهِيَ مَا اجْتَنَّ عَنْ أَبْصَارِ بَنِي آدَمَ..

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩] بَنِي آدَمَ.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ..

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ﴾ فَلَا تَجْزَعْ مِنْ تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ فَتَتْرُكَ بَعْضَ مَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ قَالُوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ﴾ [هود: ١٢] إِذَا عَلِمْتَ مَا لَقِيَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِي مِنْ أُمَمِهَا..

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السُّورَةِ..

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مَعَ مَا جَاءَكَ فِي سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ..

﴿وَمَوۡعِظَةٞ﴾ وَجَاءَكَ مَوْعِظَةٌ تَعِظُ الْجَاهِلِينَ بِاللهِ وَتُبَيِّنُ لَهُمْ عِبرَةُ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ..

﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ وَتَذْكِرَةٌ تُذَكِّرُ..

﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٢٠﴾ [هود: ١٢٠] بِاللهِ وَرُسُلِهِ كَيْ لَا يَغْفَلُوا عَنِ الْوَاجِبِ للهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١﴾ [هود: ١٢١].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَكَ وَلَا يُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ عَلَىٰ هَيْئَتِكُمْ وَتَمَكُّنِكُمْ مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ..

﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١﴾ [هود: ١٢١] مَا نَحْنُ عَامِلُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ بِهَا.

﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ [هود: ١٢٢].

﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مَا وَعَدَكُمُ الشَّيْطَانُ، فَـ..

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ [هود: ١٢٢] مَا وَعَدَنَا اللهُ مِنْ حَرْبِكُمْ وَنُصْرَتِنَا عَلَيْكُمْ.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

﴿وَلِلَّهِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿غَيۡبُ﴾ مُلْكُ كُلِّ مَا غَابَ عَنْكَ فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فَلَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْلَمْهُ، كُلُّ ذَٰلِكَ بِيَدِهِ وَبِعِلْمِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ وَمَا إِلَيْهِ مَصِيرُ أَمْرِهِمْ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَىٰ الشِّرْكِ أَوْ إِقْلَاعٍ عَنْهُ وَتَوْبَةٍ..

﴿وَإِلَيۡهِ﴾ وَإِلَىٰ اللهِ..

﴿يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ مُعَادُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَهُوَ مَجَازٍ جَمِيعِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ بِالْعَدْلِ..

﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ فَاعْبُدْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ وَثِقْ بِهِ وَبِكِفَايَتِهِ، فَإِنَّهُ كَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ..

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِغَٰفِلٍ﴾ بِسَاهٍ..

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود: ١٢٣] عَمَّا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِهِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، فَلَا يَحْزُنْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْكَ، وَلَا تَكْذِيبُهُمْ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَامْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا.. قال كَعْبُ الأحبار: (خَاتِمَةُ التَّوْرَاةِ، خَاتِمَةُ هُودَ).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ هُودٍ

سُورَةُ يُوسُفَ (١٢)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا يُوسُفُ ﷺ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾ [يوسف: ١].

﴿الٓر تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾ [يوسف: ١] لِمَنْ تَلَاهُ، وَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَنَهْيِهِ، وَسَائِرِ مَا حَوَاهُ مِنْ صُنُوفِ مَعَانِيهِ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ②﴾ [يوسف: ٢].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ هَذَا الْكِتَابَ الْمُبِينَ..

﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ عَلَى الْعَرَبِ، لِأَنَّ لِسَانَهُمْ وَكَلَامَهُمْ عَرَبِيٌّ، فَأَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ بِلِسَانِهِمْ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ②﴾ [يوسف: ٢] وَتَفْقَهُوا مِنْهُ.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ③﴾ [يوسف: ٣].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ فَنُخْبِرُكَ فِيهِ عَنِ الْأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنْبَاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا فِي الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ..

﴿وَإِن كُنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُوحِيَهُ إِلَيْكَ..

﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ③﴾ [يوسف: ٣] عَنْ ذَلِكَ، لَا تَعْلَمُهُ وَلَا شَيْئًا مِنْهُ.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ④﴾ [يوسف: ٤].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ..

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ فِيَ مَنَامِي.. ورُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ كَانَتْ وَحْيًا..
﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ كَانَتْ إِخْوَتَهُ..
﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أَبَوَيْهِ.. وَرُوِي مِنْ وَجْهٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ..
﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فِي مَنَامِي.. فَكَرَّرَ الْفِعْلَ تَوْكِيدًا بِالتَّكْرِيرِ..
﴿لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: ٤] وَالْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِنَّمَا يُخْبَرُ عَنْهَا بِفَاعِلَةٍ وَفَاعِلَاتٍ، لَا بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، أو الياءِ والنُّونِ، إِنَّمَا هِيَ عَلَامَةُ جَمْعِ أَسْمَاءِ ذُكُورِ بَنِي آدَمَ أَوِ الْجِنِّ أَوِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ السُّجُودَ مِنْ أَفْعَالِ مَنْ يُجْمَعُ أَسْمَاءُ ذُكُورِهِمْ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، أَوِ الْوَاوِ وَالنُّونِ، فَأَخْرَجَ جَمْعَ أَسْمَائِهَا مَخْرَجَ جَمْعِ أَسْمَاءِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف: ٥].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِابْنِهِ يُوسُفَ..
﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ هَذِهِ..
﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فَيَحْسُدُوكَ..
﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ﴾ فَيَبْغُوكَ الْغَوَائِلَ، وَيُنَاصِبُوكَ الْعَدَاوَةَ، وَيُطِيعُوا فِيكَ الشَّيْطَانَ..
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ﴾ لِآدَمَ وَبَنِيهِ..
﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف: ٥] أَبَانَ لَهُمْ عَدَاوَتَهُ وَأَظْهَرَهَا، فَاحْذَرِ الشَّيْطَانَ أَنْ يُغْرِيَ إِخْوَتَكَ بِكَ بِالْحَسَدِ مِنْهُمْ لَكَ، إِنْ أَنْتَ قَصَصْتَ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا، كَمَا أَرَاكَ رَبُّكَ الْكَوَاكِبَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكَ سُجُودًا، فَكَذَلِكَ..
﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يَصْطَفِيكَ..
﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾ رَبُّكَ..
﴿مِن﴾ عِلْمِ..
﴿تَأْوِيلِ﴾ مَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ..
﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أَحَادِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَرَوْنَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَذَلِكَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا..

﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بِاجْتِبَائِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَتَعْلِيمِهِ إِيَّاكَ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ..

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ وَعَلَىٰ أَهْلِ دِينِ يَعْقُوبَ وَمِلَّتِهِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بِاتِّخَاذِهِ خَلِيلًا، وَتَنْجِيَتِهِ مِنَ النَّارِ..

﴿وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بِمَوَاضِعِ الْفَضْلِ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلاجْتِبَاءِ وَالنِّعْمَةِ..

﴿حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: ٦] فِي تَدْبِيرِهِ لِخَلْقِه.

﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يوسف: ٧].

﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ الْأَحَدَ عَشَرَ..

﴿ءَايَٰتٞ﴾ عِبَرٌ..

﴿لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يوسف: ٧] عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَقَصَصِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ يُعْلِمُهُ فِيهَا مَا لَقِيَ يُوسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَإِذَايَتَهُ مِنَ الْحَسَدِ، مَعَ تَكْرِمَةِ اللهِ إِيَّاهُ، تَسْلِيَةً لَهُ بِذَلِكَ مِمَّا يَلْقَىٰ مِنْ إِذَايَتِهِ وَأَقَارِبِهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِمَنْ سَأَلَ عَنْ شَأْنِهِمْ.

﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ [يوسف: ٨].

﴿إِذۡ﴾ حِينَ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ مِنْ أُمِّهِ..

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ذَوُ عَدَدٍ، أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا..

﴿إِنَّ أَبَانَا﴾ يَعْقُوبَ..

﴿لَفِي ضَلَٰلٖ﴾ خَطَأٍ مِنْ فِعْلِهِ فِي إِيثَارِهِ يُوسُفَ وَأَخَاهُ مِنْ أُمِّهِ عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ..

﴿مُّبِينٍ ٨﴾ [يوسف: ٨] يُبَيِّنُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ خَطَأٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ.

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: ٩].

﴿ٱقۡتُلُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْتُلُوا..

﴿يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ مَكَانًا مِنَ الْأَرْضِ..

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ مِنْ شُغْلِهِ بِيُوسُفَ، فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ عَنَّا، وَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنَّا إِلَيْهِ..

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: ٩] يَعْنُونَ أَنَّهُمْ يَتُوبُونَ مِنْ قَتْلِهِمْ يُوسُفَ، وَذَنْبِهِمُ الَّذِي يَرْكَبُونَهُ فِيهِ، فَيَكُونُونَ بِتَوْبَتِهِمْ مِنْ قَتْلِهِ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ يُوسُفَ قَوْمًا صَالِحِينَ.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف: ١٠].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ..

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ﴾ قَعْرِ..

﴿الْجُبِّ﴾ الْبِئْرِ غَيْرِ الْمَطْوِيَّةِ، حَيْثُ يَغِيبُ خَبَرُهُ..

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يَأْخُذُهُ..

﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ مَارَّةِ الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ..

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف: ١٠] مَا أَقُولُ لَكُمْ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝١١﴾ [يوسف: ١١].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِذْ تَآمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْفُرْقَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ يَعْقُوبَ لِوَالِدِهِمْ يَعْقُوبَ..

﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ فَتَتْرُكُهُ مَعَنَا إِذَا نَحْنُ خَرَجْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى الصَّحْرَاءِ..

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝١١﴾ [يوسف: ١١] نَحُوطُهُ وَنَكْلَؤُهُ.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١٢﴾ [يوسف: ١٢].

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ يَسْعَ..

﴿وَيَلْعَبْ﴾ ويَلْهُو، وَيَنْشَطْ فِي الصَّحْرَاءِ..

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١٢﴾ [يوسف: ١٢] مِنْ أَنْ يَنَالَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝١٣﴾ [يوسف: ١٣].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لَهُمْ..

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ مَعَكُمْ إِلَىٰ الصَّحْرَاءِ..

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ [يوسف: ١٣] لَا تَشْعُرُونَ.

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف: ١٤].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِوَالِدِهِمْ يَعْقُوبَ..

﴿لَئِنْ أَكَلَهُ﴾ لَئِنْ أَكَلَ يُوسُفَ..

﴿ٱلذِّئْبُ﴾ فِي الصَّحْرَاءِ..

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مَعَهُ نَحْفَظُهُ..

﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف: ١٤] لَعَجَزَةٌ هَالِكُونَ.. فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: ١٥].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ رَأْيَهُمْ وَعَزَمُوا عَلَىٰ..

﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ يُوسُفَ..

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ لَتُخْبِرَنَّ إِخْوَتَكَ..

﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بِفِعْلِهِمْ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي فَعَلُوهُ بِكَ..

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: ١٥] وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ يُوسُفَ أَنْ يُوسُفَ سَيُنَبِّئُ إِخْوَتَهُ بِفِعْلِهِمْ بِهِ مَا فَعَلُوهُ مِنْ إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِمْ إِيَّاهُ، وَسَائِرِ مَا صَنَعُوا بِهِ مِنْ صَنِيعِهِمْ.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ١٦﴾ [يوسف: ١٦].

﴿وَجَآءُوٓ﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ١٦﴾ [يوسف: ١٦] بَعْدَ مَا أَلْقُوا يُوسُفَ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: ١٧].

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ وَمَا

أَنْتَ بِمُصَدِّقِنَا عَلَىٰ قِيلِنَا إِنَّ يُوسُفَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ..

﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: ١٧] وَلَوْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ الَّذِينَ لَا يُتَّهَمُونَ لِسُوءِ ظَنِّكَ بِنَا، وَتُهْمَتِكَ لَنَا.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٨].

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ وَسَمَّاهُ اللهُ كَذِبًا لِأَنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْقَمِيصِ وَهُوَ فِيهِ كَذَبُوا، فَقَالُوا لِيَعْقُوبَ: هُوَ دَمُ يُوسُفَ، وَلَمْ يَكُنْ دَمَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ دَمُ سَخْلَةٍ فِيمَا قِيلَ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ الَّذِينَ أَخْبَرُوهُ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ يُوسُفَ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي خَبَرِهِمْ ذَلِكَ..مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ..

﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زَيَّنَتْ..

﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ﴾ فِي يُوسُفَ وَحَسَّنَتْهُ فَفَعَلْتُمُوهُ..

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ﴾ فَصَبْرِي عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ بِي فِي أَمْرِ يُوسُفَ صَبْرٌ جَمِيلٌ، لَا جَزَعَ فِيهِ..

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ وَاللهُ أَسْتَعِينُ..

﴿عَلَىٰ﴾ كِفَايَتِي شَرَّ..

﴿مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٨] مِنَ الْكَذِبِ.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ [يوسف: ١٩].

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ وَجَاءَتْ مَارَّةُ الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ..

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَرِدُ الْمَنْهَلَ وَالْمَنْزِلَ، وَوُرُودُهُ إِيَّاهُ: مَصِيرُهُ إِلَيْهِ وَدُخُولُهُ..

﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أَرْسَلَ..

﴿دَلْوَهُۥۖ﴾ فِي الْبِئْرِ، فَتَعَلَّقَ بِهِ يُوسُفُ فَخَرَجَ..

﴿قَالَ﴾ الْمُدَلِّي..

﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ﴾ وَأَسَرَّ وَارِدُ الْقَوْمِ الْمُدَلِّي دَلْوَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ رِفْقَتِهِ السَّيَّارَةِ أَمْرَ يُوسُفَ أَنَّهُمُ اشْتَرَوهُ خِيفَةً مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَشْرِكُوهُمْ، وَقَالُوا لَهُمْ: هُوَ..

﴿بِضَٰعَةٗۚ﴾ أَبْضَعَهَا مَعَنَا أَهْلُ الْمَاءِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ﴾ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [يوسف: ١٩] بِمَا يَعْمَلُهُ بَاعَةُ يُوسُفَ وَمُشْتَرُوهُ فِي أَمْرِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ لِيَمْضِيَ فِيهِ وَفِيهِمْ حُكْمُهُ السَّابِقُ فِي عَلْمِهِ، وَلِيَرَىٰ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَيُوسُفُ وَأَبُوهُ قُدْرَتَهُ فِيهِ.. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ يُوسُفَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ تَذْكِيرٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَسْلِيَةٌ مِنْهُ لَهُ عَمَّا كَانَ يَلْقَىٰ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَنْسَبَائِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَذَىٰ فِيهِ، يَقُولُ لَهُ: فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا نَالَكَ فِي اللهِ، فَإِنِّي قَادِرٌ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَنَالُكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونِ، كَمَا كُنْتُ قَادِرًا عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا لَقِيَ يُوسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ فِي حَالِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِ مَا فَعَلُوا، وَلَمْ يَكُنْ تَرْكِي ذَلِكَ لِهَوَانِ يُوسُفَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِمَاضِيَ عِلْمِي فِيهِ وَفِي إِخْوَتِهِ، فَكَذَلِكَ تَرْكِي تَغْيِيرِ مَا يَنَالُكَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِغَيْرِ هَوَانٍ بِكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِسَابِقِ عِلْمِي فِيكَ وَفِيهِمْ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ إِلَىٰ عُلُوِّكَ عَلَيْهِمْ، وَإِذْعَانِهِمْ لَكَ، كَمَا صَارَ أَمْرُ إِخْوَةِ يُوسُفَ إِلَىٰ الْإِذْعَانِ لِيُوسُفَ بِالسُّؤْدُدِ عَلَيْهِمْ، وَعُلُوِّ يُوسُفَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف: ٢٠].

﴿وَشَرَوۡهُ﴾ وَبَاعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ يُوسُفَ..

﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ بِثَمَنٍ مَبْخُوسٍ مَنْقُوصٍ قليلٍ، حَرَامٌ عَلَيْهِمْ..

﴿دَرَٰهِمَ﴾ بَاعُوهُ بِدَرَاهِمَ..

﴿مَعۡدُودَةٖ﴾ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ، نَاقِصَةٍ غَيْرِ وَافِيَةٍ، قليلةٍ لِزُهْدِهِمْ فِيهِ.. وَلَيْسَ فِي الْعِلْمِ بِمَبْلَغِ وَزْنِ ذَلِكَ فَائِدَةٌ تَقَعُ فِي دِينٍ، وَلَا فِي الْجَهْلِ بِهِ دُخُولُ ضُرٍّ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ فَرْضٌ، وَمَا عَدَاهُ فَمَوضُوعٌ عَنَّا تَكَلُّفُ عِلْمِهِ..

﴿وَكَانُواْ﴾ وَكَانَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿فِيهِ﴾ فِي يُوسُفَ..

﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف: ٢٠] لَا يَعْلَمُونَ كَرَامَتَهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَهُ، فَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُحِبُّونَ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ لِيَخْلُو لَهُمْ وَجْهُهُ مِنْهُ، وَيَقْطَعُوهُ عَنِ الْقُرْبِ مِنْهُ، لِتَكُونَ الْمَنَافِعُ الَّتِي كَانَتْ مَصْرُوفَةً إِلَىٰ يُوسُفَ دُونَهُمْ مَصْرُوفَةً إِلَيْهِمْ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ اشْتَرَىٰ يُوسُفَ..

﴿مِن مِّصْرَ﴾ مِنْ بَائِعِهِ بِمِصْرَ..

﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أَكْرِمِي مَوْضِعَ مَقَامِهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَثْوِي وَيُقِيمُ فِيهِ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ ذُكِرَ أَنَّ مُشْتَرِيَ يُوسُفَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لِامْرَأَتِهِ حِينَ دَفَعَهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ يَأْتِ النِّسَاءَ، فَقَالَ لَهَا: أَكْرِمِيهِ عَسَىٰ أَنْ يَكْفِينَا بَعْضَ مَا نُعَانِي مِنْ أُمُورِنَا إِذَا فَهِمَ الْأُمُورَ الَّتِي نُكَلِّفُهَا وَعَرَفَهَا..

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ نَتَبَنَّاهُ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْقَذْنَا يُوسُفَ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ، وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْجُبِّ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ فِيهِ، فَصَيَّرْنَاهُ إِلَىٰ الْكَرَامَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ عَزِيزِ مِصْرَ، كَذَلِكَ..

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَجَعَلْنَاهُ عَلَىٰ خَزَائِنِهَا..

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ وَكَيْ نُعَلِّمَ يُوسُفَ..

﴿مِن تَأْوِيلِ﴾ مِنْ عِبَارَةِ..

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ الرُّؤْيَا..

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ﴾ مُسْتَوْلٍ..

﴿عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ عَلَىٰ أَمْرِ يُوسُفَ يَسُوسُهُ وَيُدَبِّرُهُ وَيَحُوطُهُ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الَّذِينَ زَهِدُوا فِي يُوسُفَ فَبَاعُوهُ بِثَمَنٍ خَسِيسٍ، وَالَّذِي صَارَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حِينَ بِيعَ فِيهِمْ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١] مَا اللهُ بِيُوسُفَ صَانِعٌ، وَإِلَيْهِ يُوسُفُ مِنْ أَمْرِهِ صَائِرٌ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ يُوسُفُ..

﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾ مُنْتَهَىٰ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ فِي شَبَابِهِ، وَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ ثَمَانِي عَشْرَةَ إِلَىٰ سِتِّينَ سَنَةً، وَقِيلَ

إِلَىٰ أَرْبَعِينَ سَنَةً.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ ذَلِكَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَا دَلَالَةَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا أَثَرَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا فِي إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ كَانَ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَوْجُودًا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ، فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ كَمَا قَالَ ﷻ، حَتَّىٰ تَثْبُتَ حُجَّةٌ بِصِحَّةِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ فَيُسَلِّمُ لَهَا حِينَئِذٍ..

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ أَعْطَيْنَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿حُكْمًا﴾ عَقْلًا..

﴿وَعِلْمًا﴾ وفَهْمًا، قَبْلَ النُّبُوَّةِ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكَمَا جَزَيْتُ يُوسُفَ فَآتَيْتُهُ بِطَاعَتِهِ إِيَّايَ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ، وَمَكَّنْتُهُ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَنْقَذْتُهُ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ الَّذِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾ [يوسف: ٢٢] نَجْزِي مَنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ، فَأَطَاعَنِي فِي أَمْرِي وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْتُهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيَّ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ كُلِّ مُحْسِنٍ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، يَقُولُ لَهُ ﷻ: كَمَا فَعَلْتُ هَذَا بِيُوسُفَ مِنْ بَعْدِ مَا لَقِيَ مِنْ إِخْوَتِهِ مَا لَقِيَ وَقَاسَىٰ مِنَ الْبَلَاءِ مَا قَاسَىٰ، فَمَكَّنْتُهُ فِي الْأَرْضِ، وَوَطَّأْتُ لَهُ فِي الْبِلَادِ، فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِكَ فَأُنْجِيكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يَقْصِدُونَكَ بِالْعَدَاوَةِ، وَأُمَكِّنُ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَأُوتِيكَ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ، لِأَنَّ ذَلِكَ جَزَائِي أَهْلَ الْإِحْسَانِ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ وَرَاوَدَت امْرَأَةُ الْعَزِيزِ..

﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ الَّتِي كَانَ يُوسُفُ..

﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أَنْ يُوَاقِعَهَا..

﴿وَغَلَّقَتِ﴾ الْمَرْأَةُ..

﴿ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ أَبْوَابَ الْبُيُوتِ، عَلَيْهَا وَعَلَىٰ يُوسُفَ لَمَّا أَرَادَتْ مِنْهُ وَرَاوَدَتْهُ عَلَيْهِ، بَابًا بَعْدَ بَابٍ..

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ هَلُمَّ لَكَ وَادْنُ وَتَقَرَّبْ..

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ إِذْ دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ إِلَىٰ نَفْسِهَا، وَقَالَتْ لَهُ هَلُمَّ إِلَيَّ..

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أَعْتَصِمُ بِاللهِ مِنَ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَسْتَجِيرُ بِهِ مِنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ صَاحِبَكِ وَزَوْجَكِ..

﴿رَبِّيٓ﴾ سَيِّدِي..

﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أَحْسَنَ مَنْزِلَتِي، وَأَكْرَمَنِي وَائْتَمَنَنِي، فَلَا أَخُونُهُ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ إِنَّهُ لَا يُدْرِكُ الْبَقَاءَ، وَلَا يَنْجَحُ..

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] مَنْ ظَلَمَ فَفَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ، وَهَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنَ الْفُجُورِ ظُلْمٌ وَخِيَانَةٌ لِسَيِّدِي الَّذِي ائْتَمَنَنِي عَلَىٰ مَنْزِلِهِ.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ جَعَلَتْ تَذْكُرُ لَهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ، وَتُشَوِّقُهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا..

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ بِحَدِيثِ الْمَرْءِ نَفْسِهِ بِمُوَاقَعَتِهِ مَا لَمْ يُوَاقِعْ..

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ يُوسُفُ..

﴿بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ زَجَرَتْهُ عَنْ رُكُوبِ مَا هَمَّ بِهِ يُوسُفُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَةُ صُورَةُ يَعْقُوبَ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ صُورَةَ الْمَلِكِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْوَعِيدُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ الزِّنَا، وَلَا حُجَّةَ لِلْعُذْرِ قَاطِعَةً بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَىٰ عَالِمِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرَيْنَا يُوسُفَ بُرْهَانَنَا عَلَىٰ الزَّجْرِ عَمَّا هَمَّ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ، كَذَلِكَ نُسَبِّبُ لَهُ فِي كُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ مِنْ هَمٍّ يَهِمُّ بِهِ فِيمَا لَا يَرْضَاهُ مَا يَزْجُرُهُ وَيَدْفَعُهُ عَنْهُ..

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾ كَيْ نَصْرِفَ عَنْهُ..

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ رُكُوبَ مَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِ..

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ وَإِتْيَانَ الزِّنَا، لِنُطَهِّرَهُ مِنْ دَنَسِ ذَلِكَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ يُوسُفَ..

﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] الَّذِينَ أَخْلَصْنَاهُمْ لِأَنْفُسِنَا، وَاخْتَرْنَاهُمْ لِنُبُوَّتِنَا وَرِسَالَتِنَا..وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ:﴿ٱلْمُخْلِصِينَ ٢٤﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: أَنْ يُوسُفَ مِنْ عِبَادِنَا الَّذِينَ أَخْلَصُوا تَوْحِيدَنَا وَعِبَادَتَنَا، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِنَا شَيْئًا، وَلَمْ يَعْبُدُوا شَيْئًا غَيْرَنَا..وَهُمَا

قَرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِهِمَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَخْلَصَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فَاخْتَارَهُ، فَهُوَ مُخْلِصٌ للهِ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ، وَمَنْ أَخْلَصَ تَوْحِيدَ اللهِ وَعِبَادَتَهُ فَلَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا، فَهُوَ مَنْ أَخْلَصَهُ اللهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ الصَّوَابُ مُصِيبٌ.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ [يوسف: ٢٥].

﴿وَٱسْتَبَقَا﴾ يُوسُفُ وَامْرَأَةُ الْعَزِيزِ، أَمَا يُوسُفُ فَفِرَارًا مِنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ لَمَّا رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ فَزَجَرَهُ عَنْهَا، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَطَلَبَهَا يُوسُفَ لِتَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَلَيْهَا..

﴿ٱلْبَابَ﴾ بَابَ الْبَيْتِ..فَأَدْرَكَتْهُ..

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾ فَتَعَلَّقَتْ بِقَمِيصِهِ، فَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا مَانِعَةً لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ، فَقَدَّتْهُ..

﴿مِن دُبُرٍ﴾ شَقَّتْهُ مِنْ خَلْفٍ لَا مِنْ قُدَّامٍ، لِأَنَّ يُوسُفَ كَانَ هُوَ الْهَارِبُ وَكَانَتْ هِيَ الطَّالِبَةُ..

﴿وَأَلْفَيَا﴾ وَصَادَفَا..

﴿سَيِّدَهَا﴾ وَهُوَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ..

﴿لَدَا﴾ عِنْدَ..

﴿ٱلْبَابِۚ قَالَتْ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِزَوْجِهَا لَمَّا أَلْفَيَاهُ عِنْدَ الْبَابِ، فَخَافَتْ أَنْ يَتَّهِمَهَا بِالْفُجُورِ..

﴿مَا جَزَآءُ﴾ مَا ثَوَابُ..

﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ﴾ بِامْرَأَتِكَ..

﴿سُوٓءًا﴾ الزِّنَا..

﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ فِي السِّجْنِ..

﴿أَوْ﴾ إِلَّا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ [يوسف: ٢٥] مُوجِعٌ.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦﴾ [يوسف: ٢٦].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لَمَّا قَذَفَتْهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِمَا قَذَفَتْهُ مِنْ إِرَادَتِهِ الْفَاحِشَةَ مِنْهَا مُكَذِّبًا لَهَا فِيمَا قَذَفَتْهُ بِهِ، وَدَفْعًا لِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ..

﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ مَا أَنَا رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، بَلْ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ لَمْ يُرِدْ ذِكْرَ ذَلِكَ لَوْ لَمْ تَقْذِفْهُ عِنْدَ سَيِّدِهَا بِمَا قَذَفَتْهُ بِهِ..

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ كَانَ صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ؛ لِلْخَبَرِ الَّذِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، فَذَكَرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ صَاحِبُ يُوسُفَ..

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ﴾ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِذَا كَانَ هَارِبًا فَإِنَّمَا يُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ دُبُرِهِ، فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الشَّقَّ لَوْ كَانَ مِنْ قُبُلٍ لَمْ يَكُنْ هَارِبًا مَطْلُوبًا، وَلَكِنْ كَانَ يَكُونُ طَالِبًا مَدْفُوعًا..

﴿وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦﴾ [يوسف: ٢٦] وَيَكُونُ ذَلِكَ شَهَادَةً عَلَىٰ كَذِبِهِ.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾ [يوسف: ٢٧].

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَأْتِي الْمَرْأَةَ مِنْ دُبُرٍ..

﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾ [يوسف: ٢٧].

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٨].

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زَوْجُ الْمَرْأَةِ..

﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ كَيْدِهَا..

﴿قَالَ﴾ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وقِيلَ: الْقَائِلُ هُوَ الشَّاهِدُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ هَذَا الْفِعْلَ..

﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ أَيْ صَنِيعُكُنَّ، يَعْنِي مِنْ صَنِيعِ النِّسَاءِ..

﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٨].

﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩].

﴿يُوسُفُ﴾ يَا يُوسُفُ..

﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ أَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ مَا كَانَ مِنْهَا إِلَيْكَ، فِيمَا رَاوَدَتْكَ عَلَيْهِ فَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ..

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ أَنْتِ زَوْجَكِ..

﴿لِذَنۢبِكِۖ﴾ فَسَلِيهِ أَنْ لَا يُعَاقِبَكِ عَلَىٰ ذَنْبِكِ الَّذِي أَذْنَبْتِ، وَأَنْ يَصْفَحَ عَنْهُ فَيَسْتُرُهُ عَلَيْكِ..

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝٢٩﴾ [يوسف: ٢٩] الْمُذْنِبِينَ فِي مُرَاوَدَةِ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ..ولَمْ يَقُلْ: مِنَ الْخَاطِئَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ قَصْدَ الْخَبَرِ عَنِ النِّسَاءِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ بِهِ الْخَبَرَ عَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَيُخْطِئُ.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [يوسف: ٣٠].

﴿۞ وَقَالَ﴾ وَتَحَدَّثَ..

﴿نِسْوَةٌ﴾ النِّسَاءُ بِأَمْرِ يُوسُفَ وَأَمْرِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ..

﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ فِي مَدِينَةِ مِصْرَ، وَشَاعَ مِنْ أَمْرِهِمَا فِيهَا مَا كَانَ، فَلَمْ يَنْكَتِمْ، وَقُلْنَ..

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ امرأةُ الْمَلِكِ..

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ عَبْدَهَا..

﴿عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ قَدْ وَصَلَ حُبُّ يُوسُفَ إِلَىٰ شَغَافِ قَلْبِهَا، فَدَخَلَ تَحْتَهُ حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهَا، وَشَغَافُ الْقَلْبِ حِجَابُهُ وَغِلَافُهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ..

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا﴾ قُلْنَ: إِنَّا لَنَرَىٰ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ فِي مُرَاوَدَتِهَا فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَبَةِ حُبِّهِ عَلَيْهَا..

﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ فِي خَطَأٍ مِنَ الْفِعْلِ وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [يوسف: ٣٠] لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَلِمَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَخَطَأٌ غَيْرُ صَوَابٍ وَلَا سَدَادَ، وَإِنَّمَا كَانَ قِيلُهُنَّ مَا قُلْنَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَحَدُّثُهُنَّ بِمَا تَحَدَّثْنَ بِهِ مِنْ شَأْنِهَا وَشَأْنِ يُوسُفَ مَكْرًا مِنْهُنَّ، فِيمَا ذُكِرَ لِتُرِيهِنَّ يُوسُفَ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: ٣١].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ..

﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ بِمَكْرِ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قُلْنَ فِي الْمَدِينَةِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ عز وجل عَنْهُنَّ، وَبِقَوْلِهِنَّ وحَدِيثِهِنَّ: تُرَاوِدُ عَبْدَهَا، مَكْرًا بِهَا لِتُرِيَهُنَّ يُوسُفَ، وَكَانَ يُوصَفُ لَهُنَّ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ..

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أَرْسَلَتْ إِلَىٰ النِّسْوَةِ اللَّاتِي تَحَدَّثْنَ بِشَأْنِهَا وَشَأْنِ يُوسُفَ..

﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾ أَعَدَّتْ..

﴿لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ مَجْلِسًا لِلطَّعَامِ، وَمَا يَتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنَ النَّمَارِقِ وَالْوَسَائِدِ..

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي حَضَرْنَهَا سِكِّينًا لِتَقْطَعَ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ مَا تَقْطَعُ بِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْأُتْرُجِّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُقْطَعُ بِالسِّكِّينِ..

﴿وَقَالَتِ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ..

﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ فَخَرَجَ عَلَيْهِنَّ يُوسُفُ..

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ﴾ فَلَمَّا رَأَيْنَ يُوسُفَ..

﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أَعْظَمْنَهُ وَأَجْلَلْنَهُ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحُسْنِ**»..

﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ وَهُنَّ لَا يَشْعُرْنَ، لِإِعْظَامِ يُوسُفَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ قَطْعًا بِإِبَانَةٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ قَطْعَ حَزٍّ وَخَدْشٍ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصْوَبُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.

﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ التَّنْزِيهِ للهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَعَاذَ اللهِ..

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ قُلْنَ مَا هَذَا بَشَرًا؛ لِأَنَّهُنَّ لَمْ يَرَيْنَ فِي حُسْنِ صُورَتِهِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا، فَقُلْنَ: لَوْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ لَكَانَ كَبَعْضِ مَا رَأَيْنَا مِنْ صُورَةِ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا مِنَ الْبَشَرِ..

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف: ٣١] قُلْنَ مَا هَذَا إِلَّا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف: ٣٢].

﴿قَالَتۡ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِلنِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ..

﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ فَهَذَا أَصَابَكُنَّ فِي رُؤْيَتِكُنَّ إِيَّاهُ، وَفِي نَظْرَةٍ مِنْكُنَّ نَظَرْتُنَّ إِلَيْهِ مَا أَصَابَكُنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَعُزُوبِ الْفَهْمِ، وَلَهًا إِلَيْهِ حَتَّى قَطَّعْتُنَّ أَيْدِيَكُنَّ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ لُمْتُنَّنِي فِي حِبِّي إِيَّاهُ، وَشَغَفُ فُؤَادِي بِهِ، فَقُلْتُنَّ: قَدْ شَغَفَ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ فَتَاهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، ثُمَّ أَقَرَّتْ لَهُنَّ بِأَنَّهَا قَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّ الَّذِي تَحَدَّثْنَ بِهِ عَنْهَا فِي أَمْرِهِ حَقٌّ، فَقَالَتْ..

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ فَامْتَنَعَ مِمَّا رَاوَدَتْهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ وَلَئِنْ لَمْ يُطَاوِعْنِي عَلَى مَا أَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ حَاجَتِي إِلَيْهِ..

﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾ لَيُحْبَسَنَّ فِي السِّجْنِ..

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف: ٣٢] وَلَيَكُونًا مِنْ أَهْلِ الصَّغَارِ وَالذِّلَّةِ بِالْحَبْسِ وَالسِّجْنِ، وَلَأُهِينَنَّهُ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿قَالَ رَبِّ﴾ قَالَ يُوسُفُ يَا رَبِّ..

﴿ٱلسِّجْنُ﴾ الْحَبْسُ فِي السِّجْنِ..

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ﴾ مِنْ مَعْصِيَتِكَ وَيُرَاوِدْنَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ قَدْ عَاوَدَتْ يُوسُفَ فِي الْمُرَاوَدَةِ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَوَعَّدَتْهُ بِالسِّجْنِ وَالْحَبْسِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَاخْتَارَ السِّجْنَ عَلَىٰ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ عَاوَدَتْهُ وَتَوَعَّدَتْهُ بِذَلِكَ، كَانَ مُحَالًا أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ﴾ وَهُوَ لَا يُدْعَىٰ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يُخَوَّفُ بِحَبْسٍ، وَالسِّجْنُ هُوَ الْحَبْسُ نَفْسُهُ، وَهُوَ بَيْتُ الْحَبْسِ..

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ وَإِنْ لَمْ تَدْفَعْ عَنِّي يَا رَبِّ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**إِلَّا يَكُنْ مِنْكَ أَنْتَ الْعَوْنُ وَالْمَنْعَةُ، لا يَكُنْ مِنِّي وَلا عِنْدِي**)..

﴿كَيْدَهُنَّ﴾ فِعْلَهُنَّ الَّذِي يَفْعَلْنَ بِي فِي مُرَاوَدَتِهِنَّ إِيَّايَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِنَّ..

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أَمِيلُ إِلَيْهِنَّ، وَأُتَابِعُهُنَّ عَلَىٰ مَا يُرِدْنَ مِنِّي، وَيَهْوِينَ..

﴿وَأَكُن﴾ بِصَبْوَتِي إِلَيْهِنَّ..

﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣] الَّذِينَ جَهِلُوا حَقَّكَ وَخَالَفُوا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف: ٣٤].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ فَاسْتَجَابَ اللهُ لِيُوسُفَ دُعَاءَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وَلَا مَسْأَلَةَ تَقَدَّمَتْ مِنْ يُوسُفَ لِرَبِّهِ، وَلَا دَعَا بِصَرْفِ كَيْدِهِنَّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ رَبَّهُ أَنَّ السِّجْنَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؟ قِيلَ: إِنَّ فِي إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ شِكَايَةً مِنْهُ إِلَىٰ رَبِّهِ مِمَّا لَقِيَ مِنْهُنَّ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، مَعْنَىٰ دُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ مِنْهُ رَبَّهُ صَرْفَ كَيْدِهِنَّ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾..

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ﴾ فَصَرَفَ عَنْهُ مَا أَرَادَتْ مِنْهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَصَوَاحِبَاتُهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ دُعَاءَ يُوسُفَ حِينَ دَعَاهُ بِصَرْفِ كَيْدِ النِّسْوَةِ عَنْهُ، وَدُعَاءَ كُلِّ دَاعٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٣٤﴾ [يوسف: ٣٤] بِمَطْلَبِهِ وَحَاجَتِهِ، وَمَا يُصْلِحُهُ، وَبِحَاجَةِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾ [يوسف: ٣٥].

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ ثُمَّ بَدَا لِلْعَزِيزِ زَوْجِ الْمَرْأَةِ الَّتِي رَاوَدَتْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ.. وَقِيلَ: ﴿بَدَا لَهُم﴾، وَهُوَ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ بِاسْمِهِ، وَيُقْصَدُ بِعَيْنِهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَقِيلَ: إِنَّ قَائِلَ ذَلِكَ كَانَ وَاحِدًا.. وَقِيلَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ فِي الرَّأْيِ الَّذِي كَانُوا رَأَوْهُ مِنْ تَرْكِ يُوسُفَ مُطْلَقًا، وَرَأَوْا أَنْ يَسْجُنُوهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ بِبَرَاءَتِهِ مِمَّا قَذَفَتْهُ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ كَانَتْ: قَدَّ الْقَمِيصِ مِنْ دُبُرٍ، وَخَمْشًا فِي الْوَجْهِ، وَقَطْعَ أَيْدِيهِنَّ..

﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾ [يوسف: ٣٥] لَيَسْجُنُنَّهُ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ رَأْيَهُمْ، فَسَجَنُوهُ وَأَدْخَلُوهُ السِّجْنَ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ وَدَخَلَ مَعَ يُوسُفَ..

﴿ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ وَكَانَ الْفَتَيَانُ فِيمَا ذُكِرَ: غُلَامَيْنِ مِنْ غِلْمَانِ مَلِكِ مِصْرَ الْأَكْبَرِ: أَحَدُهُمَا صَاحِبُ شَرَابِهِ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ، وَكَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمَلِكِ الْفَتَيَيْنِ فِيمَا ذُكِرَ أَنَّ الْمَلِكَ غَضِبَ عَلَىٰ خَبَّازِهِ؛ بَلَغَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسُمَّهُ، فَحَبَسَهُ وَحَبَسَ صَاحِبَ شَرَابِهِ، ظَنَّ أَنَّهُ مَالَأَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَحَبَسَهُمَا جَمِيعًا..

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ فِي نَوْمِي..

﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أَعْصِرُ عِنَبًا..

﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ﴾ مِنَ الْفَتَيَيْنِ..

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ فِي مَنَامِي..

﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾ أَحْمِلُ عَلَىٰ رَأْسِي، فَوُضِعَتْ «فَوْقَ» مَكَانَ «عَلَىٰ»..

﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ مِنَ الْخُبْزِ..

﴿نَبِّئْنَا﴾ أَخْبِرْنَا..

﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ مَا أَخْبَرْنَاكَ أَنَّا رَأَيْنَاهُ فِي مَنَامِنَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦] نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِ رُؤْيَانَا مُحْسِنًا إِلَيْنَا فِي إِخْبَارِكَ إِيَّانَا بِذَلِكَ، كَمَا نَرَاكَ تُحْسِنُ فِي سَائِرِ أَفْعَالِكَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُعَزِّي حَزِينَهُمْ، وَإِذَا احْتَاجَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ جَمَعَ لَهُ.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِلْفَتَيَيْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ الرُّؤْيَا..

﴿لَا يَأْتِيكُمَا﴾ أَيُّهَا الْفَتَيَانُ فِي مَنَامِكُمَا..

﴿طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ وَيَصِيرُ مَا رَأَيَا فِي مَنَامِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي رَأَيَا أَنَّهُ أَتَاهُمَا فِيهِ..

﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ فِي يَقَظَتِكُمَا..

﴿ذَٰلِكُمَا﴾ هَذَا الَّذِي أَذْكُرُ أَنِّي أَعْلَمُهُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا..

﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ فَعَلِمْتُهُ..

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِنِّي بَرِئْتُ مِنْ مِلَّةِ مَنْ لَا يُصَدِّقُ بِاللهِ، وَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَهُم﴾ مَعَ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧] لَا يُقِرُّونَ بِالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ وَلَا بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وَاتَّبَعْتُ دِينَهُمْ لَا دِينَ أَهْلِ الشِّرْكِ..

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ مَا جَازَ لَنَا أَنْ نَجْعَلَ للهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، بَلِ الَّذِي عَلَيْنَا إِفْرَادُهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالْعِبَادَةِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ اتِّبَاعِي مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَتَرْكِي ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧]..

﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ مِنْ فَضْلِ اللهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا، فَأَنْعَمَ إِذْ أَكْرَمَنَا بِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ النَّاسِ إِذْ أَرْسَلَنَا إِلَيْهِمْ دُعَاةً إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾ [يوسف: ٣٨] وَلَكِنَّ مَنْ يَكْفُرُ بِاللهِ لَا يَشْكُرُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ الْمُتَفَضِّلَ بِهِ.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يَا مَنْ هُوَ فِي السِّجْنِ، وَجَعَلَهُمَا صَاحِبَيْهِ لِكَوْنِهِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِسُكَّانِ الْجَنَّةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِ النَّارِ، وَسَمَّاهُمْ أَصْحَابَهَا لِكَوْنِهِمْ فِيهَا..

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ أَعِبَادَةُ أَرْبَابٍ شَتَّىٰ مُتَفَرِّقِينَ، وَآلِهَةٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ خَيْرٌ..

﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ أَمْ عِبَادَةُ الْمَعْبُودِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ..

﴿ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩] الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ فَذَلَّلَهُ وَسَخَّرَهُ فَأَطَاعَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَقَالَ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْخِطَابَ بِخِطَابِ اثْنَيْنِ، فَقَالَ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾؛ لِأَنَّهُ قَصَدَ الْمُخَاطَبَ بِهِ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ مُقِيمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَ لِلْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ: مَا تَعْبُدُ أَنْتَ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ وَذَلِكَ تَسْمِيَتُهُمْ أَوْثَانَهُمْ آلِهَةً أَرْبَابًا، شِرْكًا مِنْهُمْ وَتَشْبِيهًا لَهَا فِي أَسْمَائِهَا الَّتِي سَمُّوهَا بِهَا بِاللهِ، تَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ شَبِيهٌ..

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ سَمُّوهَا بِأَسْمَاءٍ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهَا، وَلَا وَضَعَ لَهُمْ عَلَىٰ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ أَسْمَاؤُهَا دَلَالَةً وَلَا حُجَّةً، وَلَكِنَّهَا اخْتِلَاقٌ مِنْهُمْ لَهَا وَافْتِرَاءٌ.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا أَنْتُمْ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَّا اللهَ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ خَالِصَةً دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي دَعَوْتُكُمَا إِلَيْهِ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ تُخْلِصَا

الْعِبَادَةَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [يوسف: ٤٠] وَلَكِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ.

> ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝﴾ [يوسف: ٤١].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ يُوسُفَ لِلَّذَيْنِ دَخَلَا مَعَهُ السِّجْنَ..

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وَهُوَ الَّذِي رَأَىٰ أَنَّهُ يَعْصِرُ خَمْرًا..

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾ يَعْنِي سَيِّدَهُ، وَهُوَ مَلِكُهُمْ..

﴿خَمْرًا﴾ فَيَكُونُ صَاحِبَ شَرَابِهِ..

﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ وَهُوَ الَّذِي رَأَىٰ أَنَّ عَلَىٰ رَأْسِهِ خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ..

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا عَبَّرَ مَا أَخْبَرَاهُ بِهِ أَنَّهُمَا رَأَيَاهُ فِي مَنَامِهِمَا، قَالَا لَهُ: مَا رَأَيْنَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهُمَا..

﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝﴾ [يوسف: ٤١] فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ اسْتَفْتَيْتُمَا، وَوَجَبَ حُكْمُ اللهِ عَلَيْكُمَا بِالَّذِي أَخْبَرْتُكُمَا بِهِ.

> ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝﴾ [يوسف: ٤٢].

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ عَلِمَ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ الظَّنِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ الظَّنِّ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْيَقِينِ: (**وَإِنَّمَا عِبَارَةُ الرُّؤْيَا بِالظَّنِّ، فَيَحِقُّ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيَبْطُلُ مَا يَشَاءُ**)، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ مِنْ أَنَّ عِبَارَةَ الرُّؤْيَا ظَنٌّ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَغَيْرُ جَائِزٍ مِنْهَا أَنْ تُخْبِرَ بِخَبَرٍ عَنْ أَمْرٍ أَنَّهُ كَائِنٌ ثُمَّ لَا يَكُونُ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ ثُمَّ يَكُونُ مَعَ شَهَادَتِهَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ أَنَّهُ كَائِنٌ أَوْ غَيْرُ كَائِنٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ جَازَ عَلَيْهَا فِي إِخْبَارِهَا لَمْ يُؤْمَنْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَخْبَارِهَا، وَإِذَا لَمْ يُؤْمَنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِهَا سَقَطَتْ حُجَّتُهَا عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ

كَذَلِكَ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهَا أَنْ تُخْبِرَ بِخَبَرٍ إِلَّا وَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ أَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقْطَعِ الشَّهَادَةَ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ الْفَتَيَيْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ أَنَّهُ كَائِنٌ، فَيَقُولُ لِأَحَدِهِمَا: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٤١] ثُمَّ يُؤَكِّدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١] عِنْدَ قَوْلِهِمَا: لَمْ نَرَ شَيْئًا، إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّ مَا أَخْبَرَهُمَا بِحُدُوثِهِ، وَكَوْنِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلِيَقِينِهِ بِكَوْنِ ذَلِكَ قَالَ لِلنَّاجِي مِنْهُمَا: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾..

﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ مِنْ صَاحِبَيْهِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَاهُ الرُّؤْيَا..

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ اذْكُرْنِي عِنْدَ سَيِّدِكَ، وَأَخْبِرْهُ بِمَظْلَمَتِي وَأَنِّي مَحْبُوسٌ بِغَيْرِ جُرْمٍ..

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ غَفْلَةٍ عَرَضَتْ لِيُوسُفَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ نَسِيَ لَهَا ذِكْرَ رَبِّهِ الَّذِي لَوْ بِهِ اسْتَغَاثَ لَأَسْرَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ خَلَاصُهُ، وَلَكِنَّهُ زَلَّ بِهَا، فَأَطَالَ مِنْ أَجْلِهَا فِي السِّجْنِ حَبْسَهُ، وَأَوْجَعَ لَهَا عُقُوبَتَهُ..

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢] وَالصَّوَابُ فِي الْبِضْعِ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَىٰ التِّسْعِ إِلَىٰ الْعَشْرِ، وَلَا يَكُونُ دُونَ الثَّلَاثِ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ..

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ فِي الْمَنَامِ..

﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ مِنَ الْبَقَرِ..

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ﴾ وَقَالَ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ فِي مَنَامِي.. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ وَلَا فِي غَيْرِهِ، لِتَعَارُفِ الْعَرَبِ بَيْنَهَا فِي كَلَامِهَا إِذَا قَالَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: أَرَىٰ أَنِّي أَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، أَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ رُؤْيَتِهِ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ النَّوْمَ..

﴿وَأُخَرَ﴾ وَسَبْعًا أُخَرَ مِنَ السُّنْبُلِ..

﴿يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى﴾ يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ مِنْ رِجَالِي وَأَصْحَابِي..

﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ﴾ فَاعْبُرُوهَا..

﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣] إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا عَبَرَةً.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: ٤٤].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ سَأَلَهُمْ مَلِكُ مِصْرَ عَنْ تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ..

﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ﴾ يَعْنُونَ أَنَّهَا أَخْلَاطُ رُؤْيَا كَاذِبَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.. وَهِيَ جَمْعُ ضِغْثٍ، وَالضِّغْثُ: أَصْلُهُ الحِزْمَةُ مِنَ الحَشِيشِ، يُشَبَّهُ بِهَا الْأَحْلَامَ الْمُخْتَلَطَةَ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لَهَا.. وَالْأَحْلَامُ جَمْعُ حُلْمٍ، وَهُوَ مَا لَمْ يُصَدَّقْ مِنَ الرُّؤْيَا..

﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: ٤٤] وَمَا نَحْنُ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ الْأَحْلَامُ الْكَاذِبَةُ بِعَالِمِينَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾ [يوسف: ٤٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا﴾ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿مِنۡهُمَا﴾ مِنْ صَاحِبَيِ السِّجْنِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَرَا يُوسُفَ الرُّؤْيَا..

﴿وَٱدَّكَرَ﴾ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ نَسِيَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ، وَذَكَرَ حَاجَتَهُ لِلْمَلِكِ الَّتِي كَانَ سَأَلَهُ عِنْدَ تَعْبِيرِهِ رُؤْيَاهُ أَنْ يَذْكُرَهَا لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]..

﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ بَعْدَ حِينٍ..

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أَنَا أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ..

﴿فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾ [يوسف: ٤٥] فَأَطْلِقُونِي أَمْضِي لِآتِيَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ مِنْ عِنْدِ الْعَالِمِ بِهِ، فَأَرْسَلُوهُ فَأَتَى يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ: يَا.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾ [يوسف: ٤٦].

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ رُئِينَ فِي الْمَنَامِ.. وَهِيَ السُّنُونَ الْمُخْصِبَةُ..

﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ﴾ مِنْهَا..

﴿عِجَافٞ﴾ جَمْعُ عَجَفٍ، وَهِيَ الْمَهَازِيلُ..

﴿وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ وَفِي سَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ رُئِينَ أَيْضًا.. وَهُنَّ السُّنُونَ الْمَخَاصِيبُ..

﴿وَأُخَرَ﴾ وَسَبْعًا أُخَرَ مِنْهُنَّ..

﴿يَابِسَٰتٖ﴾ وَهُنَّ الْجُدُوبُ الْمُحُولُ..

﴿لَعَلِّيٓ﴾ كَيْ..
﴿أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ فَأُخْبِرَهُمْ..
﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٤٦﴾ [يوسف: ٤٦] لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ مِنَ الرُّؤْيَا.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۝٤٧﴾ [يوسف: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِسَائِلِهِ عَنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ..
﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ﴾ تَزْرَعُونَ هَذِهِ السَّبْعَ السِّنِينَ..
﴿دَأَبٗا﴾ كَمَا كُنْتُمْ تَزْرَعُونَ سَائِرَ السِّنِينَ قَبْلَهَا عَلَىٰ عَادَتِكُمْ فِيمَا مَضَىٰ، وَالدَّأْبُ: الْعَادَةُ..
﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۝٤٧﴾ [يوسف: ٤٧] وَهَذِه مَشُورَةٌ أَشَارَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَوْمِ، وَرَأْيٌ رَآهُ لَهُمْ صَلَاحًا يَأْمُرُهُمْ بِاسْتِبْقَاءِ طَعَامِهِمْ.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ۝٤٨﴾ [يوسف: ٤٨].

﴿ثُمَّ يَأۡتِي﴾ ثُمَّ يَجِيءُ..
﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ السِّنِينَ السَّبعِ الَّتِي تَزْرَعُونَ فِيهَا دَأَبًا..
﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ سِنُونَ سَبْعٌ شِدَادٌ؛ يَقُولُ: جُدُوبٌ قَحْطَةٌ..
﴿يَأۡكُلۡنَ﴾ يُؤْكَلُ فِيهِنَّ، فَوَصَفَ السِّنِينَ بِأَنَّهُنَّ يَأْكُلُهُنَّ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَىٰ: أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَأْكُلُونَ فِيهِنَّ..
﴿مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ مَا قَدَّمْتُمْ فِي إِعْدَادِ مَا أَعْدَدْتُمْ لَهُنَّ فِي السِّنِينَ السَّبْعَةِ الْخَصْبَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَقْوَاتِ..
﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ إِلَّا يَسِيرًا..
﴿مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ۝٤٨﴾ [يوسف: ٤٨] مِمَّا تُحْرِزُونَهُ، ومِمَّا تَدَّخِرُونَ.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ۝٤٩﴾ [يوسف: ٤٩].

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْقَوْمِ عَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي رُؤْيَا مَلِكِهِمْ، وَلَكِنَّهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَحُجَّةً عَلَىٰ صِدْقِهِ..
﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بِالْمَطَرِ وَالْغَيْثِ..

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ [يوسف: ٤٩] الْعِنَبَ وَالسِّمْسِمَ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ.. وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِمَّنْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ عَلَىٰ مَذْهَبِ كَلَامِ الْعَرَبِ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ إِلَىٰ: وَفِيهِ يَنْجُونَ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ بِالْغَيْثِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَ الْعَصْرِ، وَالْعَصَرُ الَّتِي بِمَعْنَىٰ الْمَنْجَاةِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلٌ يَكْفِي مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ خَطَئِهِ، خِلَافُهُ قَوْلَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلُوهُ إِلَىٰ يُوسُفَ، الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥﴾ [يوسف: ٤٥]، فَأَخْبَرَهُمْ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَا الْمَلِكِ عَنْ يُوسُفَ، عَلِمَ الْمَلِكُ حَقِيقَةَ مَا أَفْتَاهُ بِهِ مِنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ، وَصِحَّةَ ذَلِكَ، وَقَالَ الْمَلِكُ: ائْتُونِي بِالَّذِي عَبَّرَ رُؤْيَايَ هَذِهِ..

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْمَلِكِ..

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قَالَ يُوسُفُ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إِلَىٰ سَيِّدِكَ..

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وَأَبَىٰ أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الرَّسُولِ، وَإِجَابَةَ الْمَلِكِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ صِحَّةَ أَمْرِهِ عِنْدَهُمْ مِمَّا كَانُوا قَذَفُوهُ بِهِ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: سَلِ الْمَلِكَ مَا شَأْنُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَالْمَرْأَةِ الَّتِي سُجِنْتُ بِسَبَبِهَا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِي**»..

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠] إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذُو عِلْمٍ بِصَنِيعِهِنَّ وَأَفْعَالِهِنَّ الَّتِي فَعَلْنَ بِي، وَيَفْعَلْنَ بِغَيْرِي مِنَ النَّاسِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ جَزَائِهِنَّ عَلَىٰ ذَلِكَ.. فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَىٰ الْمَلِكِ مِنْ عِنْدِ يُوسُفَ بِرِسَالَتِهِ، فَدَعَا الْمَلِكُ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ، فَقَالَ لَهُنَّ:.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ مَا كَانَ أَمْرُكُنَّ، وَمَا كَانَ شَأْنُكُنَّ..

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فَأَجَبْنَهُ..

﴿قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ﴾ تَبَيَّنَ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ وَانْكَشَفَ فَظَهَرَ.. وَأَصْلُ حَصْحَصَ: حَصَّ؛ وَلَكِنْ قِيلَ: حَصْحَصَ، كَمَا قِيلَ: ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ [الشعراء: ٩٤]، فِي (كُبُّوا)، وَقِيلَ: (كَفْكَفَ) فِي (كَفَّ)، وَأَصْلُ الْحَصِّ: اسْتِئْصَالُ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: حَصَّ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَهُ جَزًّا، وَإِنَّمَا أُرِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حَصْحَصَ الْحَقُّ: ذَهَبَ الْبَاطِلُ وَالْكَذِبُ، فَانْقَطَعَ، وَتَبَيَّنَ الْحَقُّ فَظَهَرَ..

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ..

﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١] فِي قَوْلِهِ «هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي»[يوسف: ٢٦].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُهُ مِنْ رَدِّي رَسُولَ الْمَلِكِ إِلَيْهِ، وَتَرْكِي إِجَابَتَهُ وَالْخُرُوجَ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِي إِيَّاهُ أَنْ يَسْأَلَ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، عَنْ شَأْنِهِنَّ إِذْ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، إِنَّمَا فَعَلْتُهُ..

﴿لِيَعْلَمَ﴾ سَيِّدِي..

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ فِي زَوْجَتِهِ..

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ لَمْ أَرْكَبْ مِنْهَا فَاحِشَةً فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنِّي، وَإِذَا لَمْ يَرْكَبْ ذَلِكَ بِمَغِيبِهِ، فَهُوَ فِي حَالِ مَشْهَدِهِ إِيَّاهُ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنْ رُكُوبِهِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢] وَإِنَّ اللهَ لَا يُسَدِّدُ صَنِيعَ مَنْ خَانَ الْأَمَانَاتِ، وَلَا يُرْشِدُ فِعَالَهُمْ فِي خِيَانَتِهِمُوهَا.. وَاتَّصَلَ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ بِقَوْلِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف: ٥١]، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ، كَاتِّصَالِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤﴾ [النمل: ٣٤] بِقَوْلِ الْمَرْأَةِ: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤].

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٣﴾

[يوسف: ٥٣].

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ يَقُولُ يُوسُفُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ فَأُزَكِّيهَا..

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ إِنَّ نُفُوسَ الْعِبَادِ..

﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾ تَأْمُرُهُمْ..

﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بِمَا تَهْوَاهُ، وَإِنْ كَانَ هَوَاهَا فِي غَيْرِ مَا فِيهِ رِضَا اللهِ..

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَ رَبِّي مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُنْجِيَهِ مِنِ اتِّبَاعِ هَوَاهَا وَطَاعَتِهِ فِيمَا تَأْمُرُهُ بِهِ مِنَ السُّوءِ..

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ ذُو صَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهَا وَفَضِيحَتَهُ بِهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٣] بِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهَا.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٤].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ حِينَ تَبَيَّنَ عُذْرَ يُوسُفَ، وَعَرَفَ أَمَانَتَهُ وَعِلْمَهُ..

﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أَجْعَلْهُ مِنْ خُلَصَائِي دُونَ غَيْرِي..

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ فَلَمَّا كَلَّمَ الْمَلِكُ يُوسُفَ، وَعَرَفَ بَرَاءَتَهُ وَعِظَمَ أَمَانَتِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّكَ﴾ يَا يُوسُفُ..

﴿ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ مُتَمَكِّنٌ مِمَّا أَرَدْتَ، وَعُرِضَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ قِبَلَنَا، لِرِفْعَةِ مَكَانِكَ وَمَنْزِلَتِكَ لَدَيْنَا..

﴿أَمِينٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٤] عَلَىٰ مَا اؤْتُمِنْتَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٥].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِلْمَلِكِ..

﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ﴾ جَمْعُ خِزَانَةٍ..

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أَرْضِكَ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ دَخَلَتَا فِي الْأَرْضِ خَلَفًا مِنَ الْإِضَافَةِ.. وَهَذَا مِنْ يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ مِنْهُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُوَلِّيَهُ أَمْرَ طَعَامِ بَلَدِهِ وَخَرَاجِهَا، وَالْقِيَامَ بِأَسْبَابِ بَلَدِهِ..

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ إِنِّي حَافِظٌ لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٥] عَالِمٌ بِمَا أَوْلَيْتَنِي.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [يوسف: ٥٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا..

﴿مَكَّنَّا﴾ وَطَّأْنَا..

﴿لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أَرْضَ مِصْرَ..

﴿يَتَبَوَّأُ﴾ يَتَّخِذُ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مَنْزِلًا..

﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ بَعْدَ الْحَبْسِ وَالضِّيقِ..

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِنَا، كَمَا أَصَبْنَا يُوسُفَ بِهَا، فَمَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْعُبُودَةِ وَالْإِسَارِ، وَبَعْدَ الْإِلْقَاءِ فِي الْجُبِّ..

﴿وَلَا نُضِيعُ﴾ وَلَا نُبْطِلُ..

﴿أَجْرَ﴾ جَزَاءَ عَمَلِ..

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [يوسف: ٥٦] مَنْ أَحْسَنَ فَأَطَاعَ رَبَّهُ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، كَمَا لَمْ نُبْطِلْ جَزَاءَ عَمَلِ يُوسُفَ إِذْ أَحْسَنَ فَأَطَاعَ اللهَ.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يوسف: ٥٧].

﴿وَلَأَجْرُ﴾ وَلَثَوَابُ اللهِ فِي..

﴿ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِمَّا أَعْطَىٰ يُوسُفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَمْكِينِهِ لَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ..

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يوسف: ٥٧] اللهَ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ فِي خِلَافِ أَمْرِهِ وَاسْتِحْلَالِ مَحَارِمِهِ، فَيُطِيعُونَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝﴾ [يوسف: ٥٨].

﴿وَجَآءَ﴾ يُوسُفَ..

﴿إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ يُوسُفَ..

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝﴾ [يوسف: ٥٨] لَا يَعْرِفُونَهُ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝﴾ [يوسف: ٥٩].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وَلَمَّا حَمَلَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ أَبَاعِرَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَوْقَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ

مِنْهُمْ بَعِيرَهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ كَيْمَا أَحْمِلَ لَكُمْ بَعِيرًا آخَرَ فَتَزْدَادُوا بِهِ حِمْلَ بَعِيرٍ آخَرَ..

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ فَلَا أَبْخَسُهُ أَحَدًا..

﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف: ٥٩] وَأَنَا خَيْرُ مَنْ أَنْزَلَ ضَيْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، فَأَنَا أُضَيِّفُكُمْ.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٦٠].

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ﴾ بِأَخِيكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ..

﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي طَعَامٌ أَكِيلَهُ لَكُمْ..

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٦٠] وَلَا تَقْرَبُوا بِلَادِي.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف: ٦١].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ..

﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُخَلِّيَهُ مَعَنَا حَتَّىٰ نَجِيءَ بِهِ إِلَيْكَ..

﴿وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف: ٦١] مَا قُلْنَا لَكَ أَنَّا نَفْعَلُهُ مِنْ مُرَاوَدَةِ أَبِينَا عَنْ أَخِينَا مِنْهُ وَلَنَجْتَهِدَنَّ.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ وَهُمْ غِلْمَانُهُ..

﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ﴾ اجْعَلُوا أَثْمَانَ الطَّعَامِ الَّذِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُمْ..

﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢] فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِأَيَّةِ عِلَّةٍ أَمَرَ يُوسُفُ فِتْيَانَهُ أَنْ يَجْعَلُوا بِضَاعَةَ إِخْوَتِهِ فِي رِحَالِهِمْ؟ قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَشِيَ أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَ أَبِيهِ دَرَاهِمَ، إِذْ كَانَتِ السَّنَةُ سَنَةَ جَدْبٍ وَقَحْطٍ، فَيَضُرُّ أَخْذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَّسِعَ بِهَا أَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ

مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ سَبَبَ رَدِّهِ تَكَرُّمًا وَتَفَضُّلًا، أو أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ لَا يُخْلِفُوهُ الْوَعْدَ فِي الرُّجُوعِ، إِذَا وَجَدُوا فِي رِحَالِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبَضُوهُ وَمَلَكَهُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ عِوَضًا مِنْ طَعَامِهِمْ، وَيَتَحَرَّجُوا مِنْ إِمْسَاكِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبَضُوهُ حَتَّىٰ يُؤَدُّوهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَىٰ لَهُمْ إِلَىٰ الْعَوْدِ إِلَيْهِ.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [يوسف: ٦٣].

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ﴾ فَلَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ فَوْقَ الْكَيْلِ الَّذِي كِيلَ لَنَا، وَلَمْ يُكَلْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا إِلَّا كَيْلَ بَعِيرٍ..

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بِنْيَامِينَ..

﴿نَكۡتَلۡ﴾ يَكْتَلْ لِنَفْسِهِ كَيْلَ بَعِيرٍ آخَرَ زِيَادَةً عَلَىٰ كَيْلِ أَبَاعِرِنَا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: (يَكْتَلْ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ يَكْتَلْ هُوَ لِنَفْسِهِ كَمَا نَكْتَالُ لِأَنْفُسِنَا)..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [يوسف: ٦٣] مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي سَفَرِهِ فـ.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤].

﴿قَالَ﴾ لهم أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ..

﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ أَخِيكُمْ مِنْ أَبِيكُمُ الَّذِي تَسْأَلُونِي أَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ..

﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يُوسُفَ..

﴿مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِهِ..

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ فَاللهُ خَيْرُكُمْ حَافِظًا..

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤] أَرْحَمُ رَاحِمٍ بِخَلْقِهِ، يَرْحَمُ ضَعْفِي عَلَىٰ كِبَرِ سِنِّي، وَوِحْدَتِي بِفَقْدِ وَلَدِي، فَلَا يُضَيِّعُهُ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ عَلَيَّ لِرَحْمَتِهِ.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ٦٥﴾ [يوسف: ٦٥].

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ﴾ لِأَبِيهِمْ..

﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ﴾ تَطْيِيبًا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ بِمَا صَنَعَ بِهِمْ فِي رَدِّ بِضَاعَتِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ وَنَطْلُبُ لِأَهْلِنَا طَعَامًا فَنَشْتَرِيَهُ لَهُمْ..

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ الَّذِي تُرْسِلُهُ مَعَنَا..

﴿وَنَزْدَادُ﴾ عَلَىٰ أَحْمَالِنَا مِنَ الطَّعَامِ..

﴿كَيْلَ﴾ حِمْلَ..

﴿بَعِيرٍۖ﴾ يُكَالُ لَنَا مَا حَمَلَ بَعِيرٌ آخَرَ مِنْ إِبِلِنَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا..

﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ ٦٥﴾ [يوسف: ٦٥] حِمْلٌ يَسِيرٌ.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٦٦﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ..

﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ﴾ لَنْ أُرْسِلَ أَخَاكُمْ..

﴿مَعَكُمْ﴾ إِلَىٰ مَلِكِ مِصْرَ..

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾ تُعْطُونِ..

﴿مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَهُوَ مَا يُوثَقُ بِهِ مِنْ يَمِينٍ وَعَهْدٍ..

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ لَتَأْتُنَّنِي بِأَخِيكُمْ..

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ﴾ إِلَّا أَنْ يُحِيطَ بِجَمِيعِكُمْ مَا لَا تَقْدِرُونَ مَعَهُ عَلَىٰ أَنْ تَأْتُونِي بِهِ..

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ﴾ أَعْطَوْهُ..

﴿مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدَهُمْ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أَنَا وَأَنْتُمْ..

﴿وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦] شَهِيدٌ عَلَيْنَا بِالْوَفَاءِ بِمَا نَقُولُ جَمِيعًا.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

﴿وَقَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى مِصْرَ لِيَمْتَارُوا الطَّعَامَ..

﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ﴾ مِصْرَ..

﴿مِنۢ بَابٖ﴾ طَرِيقٍ..

﴿وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ وَذُكِرَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا لَهُمْ جَمَالٌ وَهَيْبَةٌ، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ إِذَا دَخَلُوا جَمَاعَةً مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُمْ وَلَدُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَرِقُوا فِي الدُّخُولِ إِلَيْهَا..

﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم﴾ وَمَا أَقْدِرُ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكُمْ..

﴿مِّنَ﴾ قَضَاءِ..

﴿ٱللَّهِ﴾ الَّذِي قَدْ قَضَاهُ عَلَيْكُمْ..

﴿مِن شَيْءٍۖ﴾ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ، لِأَنَّ قَضَاءَهُ نَافِذٌ فِي خَلْقِهِ..

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ مَا الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ..

﴿إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَيَنْفُذُ فِيهِمْ حُكْمُهُ، وَيَقْضِي فِيهِمْ، وَلَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَى اللهِ..

﴿تَوَكَّلْتُۖ﴾ فَوَثِقْتُ بِهِ فِيكُمْ، وَفِي حِفْظِكُمْ عَلَيَّ حَتَّى يَرُدَّكُمْ إِلَيَّ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ مُعَافُونَ، لَا عَلَى دُخُولِكُمْ مِصْرَ إِذَا دَخَلْتُمُوهَا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ..

﴿وَعَلَيْهِ﴾ وَإِلَى اللهِ..

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ فَلْيُفَوِّضْ أُمُورَهُمْ..

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧] الْمُفَوِّضُونَ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ وَلَمَّا دَخَلَ وَلَدُ يَعْقُوبَ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ وَذَلِكَ دُخُولُهُمْ مِصْرَ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ..

﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾ دُخُولُهُمْ إِيَّاهَا كَذَلِكَ..

﴿عَنْهُم﴾ قَضَاءٍ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي قَضَاهُ فِيهِمْ فَحَتَمَهُ..

﴿مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ قَضَوْا وَطَرًا لِيَعْقُوبَ بِدُخُولِهِمْ لَا مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ عَلَيْهِمْ، فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ أَنْ يَكُونُوا أُوتُوا مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ، أَوْ نَالَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ مَكْرُوهٌ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ يَعْقُوبَ..

﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لذو علم لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: وَإِنَّهُ لَذُو حِفْظٍ لِمَا اسْتَوْدَعْنَا صَدْرَهُ مِنَ الْعِلْمِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ غَيْرِ يَعْقُوبَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يوسف: ٦٨] مَا يَعْلَمُهُ، لِأَنَّا حَرَمْنَاهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَعْلَمْهُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾ [يوسف: ٦٩].

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾ وَلَمَّا دَخَلَ وَلَدُ يَعْقُوبَ..

﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضَمَّ..

﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَكُلٌّ أَخُوهُ لِأَبِيهِ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ..

﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يُوسُفُ..

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَسْتَكِنْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾ [يوسف: ٦٩] لِشَيْءٍ سَلَفَ مِنْ إِخْوَتِكَ إِلَيْكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي أَخِيكَ مِنْ أُمِّكَ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَ الْيَوْمِ بِكَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَلَا تُعْلِمْهُمْ شَيْئًا مِمَّا أَعْلَمْتُكَ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وَلَمَّا حَمَّلَ يُوسُفُ إِبِلَ إِخْوَتِهِ وحَمَّلَهَا مِنَ الْمِيرَةِ وَقَضَى حَاجَتَهُمْ..

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ جَعَلَ الإِنَاءَ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ الْمَلِكُ وَيَكِيلُ بِهِ الطَّعَامَ..

﴿فِي رَحْلِ﴾ فِي مَتَاعِ..

﴿أَخِيهِ﴾ ابْنِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَهُوَ بِنْيَامِينَ..

﴿ثُمَّ أَذَّنَ﴾ ثُمَّ نَادَى..

﴿مُؤَذِّنٌ﴾ مُنَادٍ..

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ وَهِيَ الْقَافِلَةُ فِيهَا الْأَحْمَالُ..

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠] فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ جَازَ لِيُوسُفَ أَنْ يَجْعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ يُسَرِّقَ قَوْمًا أَبْرِيَاءَ مِنَ السَّرَقِ، وَيَقُولُ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾؟! قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ مُؤَذِّنٍ أَذَّنَ بِهِ، لَا خَبَرٌ عَنْ يُوسُفَ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَذِّنُ أَذَّنَ بِذَلِكَ أَنْ فُقِدَ الصُّوَاعُ وَلَا يَعْلَمُ بِصَنِيعِ يُوسُفَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ بِذَلِكَ عَنْ أَمْرِ يُوسُفَ، وَاسْتَجَازَ الْأَمْرُ بِالنِّدَاءِ بِذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا سَرَقُوا سَرِقَةً فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِوَصْفِهِمْ بِالسَّرَقِ، وَيُوسُفُ يَعْنِي ذَلِكَ السَّرَقَ، لَا سَرَقَهُمُ الصُّوَاعَ.

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾ [يوسف: ٧١].

﴿قَالُواْ﴾ بَنُو يَعْقُوبَ..

﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُنَادِي وَمَنْ بِحَضْرَتِهِمْ يَقُولُونَ لَهُمْ..

﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾ [يوسف: ٧١] مَا الَّذِي تَفْقِدُونَ؟

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ [يوسف: ٧٢].

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ مَشْرَبَةَ..

﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ بِالصُّوَاعِ..

﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ وَأَنَا بِأَنْ أُوَفِّيَهُ حِمْلَ بَعِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ إِذَا جَاءَنِي بِصُوَاعِ الْمَلِكِ..

﴿زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ [يوسف: ٧٢] كَفِيلٌ.. وَأَصْلُ الزَّعِيمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْقَوْمِ، وَكَذَلِكَ الْكَفِيلُ وَالْحَمِيلُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: رَئِيسُ الْقَوْمِ زَعِيمُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿تَٱللَّهِ﴾ وَاللهِ، وَهَذِهِ التَّاءُ فِي ﴿تَٱللَّهِ﴾ إِنَّمَا هِيَ وَاوٌ قُلِبَتْ تَاءً، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي التَّوْرِيَةِ وَهِيَ مِنْ وَرَّيْتُ، وَالتُّرَاثُ وَهِيَ مِنْ وَرِثْتُ، وَالتُّخْمَةُ وَهِيَ مِنَ الْوَخَامَةِ، قُلِبَتِ الْوَاوُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَاءً، وَالْوَاوُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ كُلِّهَا مِنَ الأَسْمَاءِ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ فِي ﴿تَٱللَّهِ﴾؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ وَاوُ الْقَسَمِ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ تَاءً لِكَثْرَةِ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْعَرَبِ فِي الأَيْمَانِ فِي قَوْلِهِمْ (وَاللهِ)، فَخُصَّتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِأَنْ قُلِبَتْ تَاءً، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فِي اسْمِ اللهِ، فَقَالَ: ﴿تَٱللَّهِ﴾ لَمْ يَقُلْ تَالرَّحْمَنِ، وَتَالرَّحِيمِ، وَلَا مَعَ شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَا مَعَ شَيْءٍ مِمَّا يُقْسَمُ بِهِ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي ﴿تَٱللَّهِ﴾ وَحْدَهُ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ﴾ لِنَعْصِيَ اللهَ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي أَرْضِكُمْ..

﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣] فَلَوْ كُنَّا سُرَّاقًا لَمْ نَرُدَّ عَلَيْكُمُ الْبِضَاعَةَ الَّتِي وَجَدْنَاهَا فِي رِحَالِنَا.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٧٤].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ أَصْحَابُ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ..

﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ فَمَا ثَوَابُ السَّرَقِ..

﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٧٤] فِي قَوْلِكُمْ.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥].

﴿قَالُوا۟﴾ إِخْوَةُ يُوسُفَ..

﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ ثَوَابُ السَّرَقِ..

﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ بِأَنْ يُسَلَّمَ بِسَرِقَتِهِ إِلَىٰ مَنْ سَرَقَ مِنْهُ حَتَّىٰ يَسْتَرِقَّهُ..

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ نَفْعَلُ بِـ..

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥] الَّذِي فَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ مِنْ أَخْذِهِ مَالَ غَيْرِهِ سَرَقًا.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فَفَتَّشَ يُوسُفُ أَوْعِيَتَهُمْ وَرِحَالَهُمْ طَالِبًا بِذَلِكَ صُوَاعَ الْمَلِكِ، فَبَدَأَ فِي تَفْتِيشِهِ بِأَوْعِيَةِ إِخْوَتِهِ مِنْ أَبِيهِ، فَجَعَلَ يُفَتِّشُهَا وِعَاءً وِعَاءً..

﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِنَّهُ أَخَّرَ تَفْتِيشَهُ..

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ثُمَّ فَتَّشَ آخِرَهَا وِعَاءَ أَخِيهِ، فَاسْتَخْرَجَ الصُّوَاعَ مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿كِدْنَا﴾ صَنَعْنَا..

﴿لِيُوسُفَ﴾ حَتَّىٰ يُخَلِّصَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مِنْ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ، بِإِقْرَارٍ مِنْهُمْ أَنَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُمْ وَيَحْتَبِسَهُ فِي يَدَيْهِ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَكَادَ اللهُ لِيُوسُفَ كَمَا وَصَفَ لَنَا حَتَّىٰ أَخَذَ أَخَاهُ مِنْهُمْ، فَصَارَ عِنْدَهُ بِحُكْمِهِمْ وَصُنْعِ اللهِ لَهُ..

﴿مَا كَانَ﴾ يُوسُفُ..

﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ﴾ فِي حُكْمِ..

﴿الْمَلِكِ﴾ مَلِكِ مِصْرَ وَقَضَائِهِ وَطَاعَتِهِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ حُكْمِ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَقَضَائِهِ أَنْ يُسْتَرَقَّ أَحَدٌ بِالسَّرَقِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيُوسُفَ أَخْذُ أَخِيهِ فِي حُكْمِ مَلِكِ أَرْضِهِ..

﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بِكَيْدِهِ الَّذِي كَادَهُ لَهُ، حَتَّىٰ أَسْلَمَ مَنْ وُجِدَ فِي وِعَائِهِ الصُّوَاعُ إِخْوَتُهُ وَرُفَقَاؤُهُ بِحُكْمِهِمْ عَلَيْهِ وَطَابَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالتَّسْلِيمِ..

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ فِي الْعِلْمِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، كَمَا رَفَعْنَا يُوسُفَ، وقرأ آخرون (**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ**) بِإِضَافَةِ الدَّرَجَاتِ إِلَىٰ ﴿مَّن﴾ بِمَعْنَىٰ: نَرْفَعُ مَنَازِلَ مَنْ نَشَاءُ، وَرَفْعُ مَنَازِلِهِ وَمَرَاتِبِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْعِلْمِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، كَمَا رَفَعْنَا مَرْتَبَةَ يُوسُفَ فِي ذَلِكَ وَمَنْزِلَتَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنَازِلِ إِخْوَتِهِ وَمَرَاتِبِهِمْ..

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ مَنْ هُوَ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦] أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَنْتَهِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ أَعْلَمُ إِخْوَتِهِ، وَأَنَّ فَوْقَ يُوسُفَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ يُوسُفَ، حَتَّىٰ يَنْتَهِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧].

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَهُوَ يُوسُفُ..

﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّرَقِ الَّذِي وَصَفُوا بِهِ يُوسُفَ: فقال بعضهم: كَانَ صَنَمًا لِجَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ كَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ.. وقال بعضهم: كَانَ بَنُو يَعْقُوبَ عَلَىٰ طَعَامٍ، اضْطَرَّ يُوسُفُ إِلَىٰ عِرْقٍ فَخَبَّأَهُ، فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ.. وقال بعضهم: أَنَّ عَمَّتَهُ ابْنَةَ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ وَلَدِ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ إِلَيْهَا مِنْطَقَةُ إِسْحَاقَ، وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهَا بِالْكِبَرِ، فَكَانَ مَنِ اخْتُصَّ بِهَا مِمَّنْ وَلِيَهَا كَانَ لَهُ سَلَمًا لا يُنَازَعُ فِيهِ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ وَكَانَ يَعْقُوبُ حِينَ وُلِدَ لَهُ يُوسُفُ، كَانَ قَدْ حَضَنَتْهُ عَمَّتُهُ، فَكَانَ مَعَهَا وَإِلَيْهَا، فَلَمْ يُحِبَّ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ حُبَّهَا إِيَّاهُ، حَتَّىٰ إِذَا تَرَعْرَعَ وَبَلَغَ سَنَوَاتٍ، وَوَقَعَتْ نَفْسُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ، أَتَاهَا فَقَالَ: يَا أُخَيَّةُ، سَلِّمِي إِلَيَّ يُوسُفَ، فَوَاللهِ مَا أَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَنَا بِتَارِكَتِهِ، وَاللهِ مَا أَقْدِرُ أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنَا بِتَارِكِهِ قَالَتْ: فَدَعْهُ عِنْدِي أَيَّامًا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَسْكُنُ عَنْهُ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُسَلِّينِي عَنْهُ أَوْ كَمَا قَالَتْ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا يَعْقُوبُ عَمَدَتْ إِلَىٰ مِنْطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَّمَتْهَا عَلَىٰ يُوسُفَ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَقَدْ فَقَدْتُ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ، فَانْظُرُوا مَنْ أَخَذَهَا وَمَنْ أَصَابَهَا فَالْتُمِسَتْ، ثُمَّ قَالَتِ: اكْشِفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ فَكَشَفُوهُمْ، فَوَجَدُوهَا مَعَ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: وَاللهِ إِنَّهُ لِي لَسَلْمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ، قَالَ: وَأَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ وَذَاكِ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلْمٌ لَكِ، مَا أَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَمْسَكَتْهُ، فَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَهُوَ الَّذِي تَقُولُ إِخْوَةُ يُوسُفَ حِينَ صَنَعَ بِأَخِيهِ مَا صَنَعَ حِينَ أَخَذَهُ... فَلَمَّا سَمِعَهَا يُوسُفُ..

﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فَأَضْمَرَهَا.. وأَنَّثَ؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهَا الْكَلِمَةَ، وَهِيَ ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، فَقَالَ: ﴿بَعۡدِهَا﴾ وَلَمْ يَجْرِ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِاسْمٍ مُؤَنَّثٍ، وَلَوْ كَانَتْ جَاءَتْ بِالتَّذْكِيرِ كَانَ جَائِزًا، كَمَا قِيلَ: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [هود: ٤٩]، وَ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٠]، وَكَنَّىٰ عَنِ الْكَلِمَةِ، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ مُتَقَدِّمٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، إِذَا كَانَ مَفْهُومًا الْمَعْنَىٰ الْمُرَادُ عِنْدَ سَامِعِي الْكَلَامِ..

﴿يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مَنْزِلًا مِمَّنْ وَصَفْتُمُوهُ بِأَنَّهُ سَرَقَ، وَأَخْبَثُ مَكَانًا بِمَا سَلَفَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ..

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: ٧٧] وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْذِبُونَ فِيمَا تَصِفُونَ بِهِ أَخَاهُ بِنْيَامِينَ.. وَإِنْ جَهِلَهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ حَضَرَ مِنَ النَّاسِ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

﴿قَالُوا﴾ قَالَتْ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ..

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ..

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ كَلِفًا بِحُبِّهِ، يَعْنُونَ يَعْقُوبَ..

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بَدَلًا مِنْ بِنْيَامِينَ، وَخَلِّ عَنْهُ..

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨] فِي أَفْعَالِكَ.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٩].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ..

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أَعُوذُ بِاللهِ، يَقُولُ: أَسْتَجِيرُ بِاللهِ مِنْ..

﴿أَن نَّأْخُذَ﴾ بَرِيئًا بِسَقِيمٍ..

﴿إِلَّا﴾ غَيْرَ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٩] إِنَّا إِذًا نَفْعَلُ مَا لَيْسَ لَنَا فِعْلُهُ، وَنَجُورُ عَلَى النَّاسِ.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ مِنْ أَنْ يُخَلِّيَ يُوسُفُ عَنْ بِنْيَامِينَ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ وَاحِدًا مَكَانَهُ، وَأَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَا يَخْتَلِطُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: مَاذَا تَرَوْنَ؟..
﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فِي السِّنِّ..
﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..
﴿أَنَّ أَبَاكُمْ﴾ يَعْقُوبَ..
﴿قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لَتَأْتِيَنَّهُ بِهِ جَمِيعًا، إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ..
﴿وَمِن قَبْلُ﴾ فِعْلَتِكُمْ هَذِهِ..
﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ تَفْرِيطُكُمْ فِي يُوسُفَ..
﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ الَّتِي أَنَا بِهَا وَهِيَ مِصْرُ فَأُفَارِقُهَا..
﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا..
﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَتَرْكِ أَخِي بِنْيَامِينَ، وَإِلَّا فَإِنِّي غَيْرُ خَارِجٍ..
﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾ [يوسف: ٨٠] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ حَكَمَ وَأَعْدَلُ مَنْ فَصَلَ بَيْنَ النَّاسِ.

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يوسف: ٨١].

﴿ٱرْجِعُوٓاْ﴾ يا إِخْوَتِي..
﴿إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾ يَعْقُوبَ..
﴿فَقُولُواْ﴾ لَهُ..
﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ﴾ بِنْيَامِينَ..
﴿سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ﴾ وَمَا قُلْنَا إِنَّهُ سَرَقَ..
﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ إِلَّا بِظَاهِرِ عِلْمِنَا بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ صُوَاعَ الْمَلِكِ أُصِيبَ فِي وِعَائِهِ دُونَ أَوْعِيَةِ غَيْرِهِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ لَا عِلْمَ لَنَا بِالْغَيْبِ..
﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يوسف: ٨١] وَمَا كُنَّا نَرَىٰ أَنَّ ابْنَكَ يَسْرِقُ وَيَصِيرُ أَمْرُنَا إِلَىٰ هَذَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، مِمَّا لَنَا إِلَىٰ حِفْظِهِ مِنْهُ السَّبِيلُ.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢﴾ [يوسف: ٨٢].

﴿وَسْـَٔلِ﴾ وَإِنْ كُنْتَ مُتَّهِمًا لَنَا لَا تُصَدِّقُنَا عَلَىٰ مَا نَقُولُ مِنْ أَنَّ ابْنَكَ سَرَقَ، فَاسْأَلِ..

﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ وَهِيَ مِصْرُ، سَلْ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا..

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وَهِيَ الْقَافِلَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، الَّتِي أَقْبَلْنَا مَعَهَا، عَنْ خَبَرِ ابْنِكَ، وَحَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْنَاكَ عَنْهُ مِنْ سَرَقِهِ، فَإِنَّكَ تُخْبَرُ مِصْدَاقَ ذَلِكَ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨٢] فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ مِنْ خَبَرِهِ.. فَرَجَعَ إِخْوَةُ بِنْيَامِينَ إِلَىٰ أَبِيهِمْ، وَتَخَلَّفَ أكبرُهم، فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُ، فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ أَنَّهُ سَرَقَ.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ بَلْ زَيَّنَتْ..

﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ هَمَمْتُمْ بِهِ وَأَرَدْتُمُوهُ..

﴿فَصَبْرٌ﴾ فَصَبْرِي عَلَىٰ مَا نَالَنِي مِنْ فَقْدِ وَلَدِي صَبْرٌ..

﴿جَمِيلٌ﴾ لَا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شِكَايَةَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بِأَوْلَادِي، بِيُوسُفَ، وَأَخِيهِ بنيامين، وأخيهم الأكبر رُوبِيلَ..

﴿جَمِيعًا﴾ فَيَرُدُّهُمْ عَلَيَّ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِوَحْدَتِي وَبِفَقْدِهِمْ وَحُزْنِي عَلَيْهِمْ، وَصِدْقِ مَا يَقُولُونَ مِنْ كَذِبِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَه.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ يَعْقُوبُ..

﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يَا حُزْنًا عَلَيْهِ، يُقَالُ: إِنَّ الْأَسَفَ هُوَ أَشَدُّ الْحُزْنِ وَالتَّنَدُّمِ..

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ وَابْيَضَّتْ عَيْنَا يَعْقُوبَ..

﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤] فَهُوَ مَكْظُومٌ عَلَىٰ الْحُزْنِ، يَعْنِي أَنَّهُ مَمْلُوءٌ مِنْهُ، مُمْسِكٌ عَلَيْهِ، لَا يُبَيِّنُهُ.. قَالَ قَتَادَةَ: **(يُرَدِّدُ حُزْنَهُ فِي جَوْفِهِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِسُوءٍ)**.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(الْكَظِيمُ: الَّذِي لا يَتَكَلَّمُ، بَلَغَ بِهِ الْحُزْنُ حَتَّىٰ كَانَ لا يُكَلِّمُهُمْ)**.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥﴾

[يوسف: ٨٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ وَلَدُ يَعْقُوبَ -الَّذِينَ انصَرَفُوا إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ- لَهُ حِينَ قَالَ ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]..

﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ لَا تَزَالُ مَا تَفْتُرُ مِنْ حُبِّهِ..

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ حَتَّىٰ تَكُونَ دَنِفَ الْجِسْمِ، مَخْبُولَ الْعَقْلِ.. وَأَصْلُ الْحَرَضِ: الْفَسَادُ فِي الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ مِنَ الْحُزْنِ أَوِ الْعِشْقِ.. والْحَرَضُ: الشَّيْءُ الْبَالِي الْفَانِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَرَضُ: الَّذِي قَدْ رُدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ حَتَّىٰ لَا يَعْقِلَ، أَوْ تَهْلِكَ فَتَكُونَ هَالِكًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥﴾ [يوسف: ٨٥] أَوْ تَكُونُ مِمَّنْ هَلَكَ بِالْمَوْتِ.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾

[يوسف: ٨٦].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِلْقَائِلِينَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥﴾ [يوسف: ٨٥]..

﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لَسْتُ إِلَيْكُمْ أَشْكُو هَمِّي وَحُزْنِي، وَإِنَّمَا أَشْكُو ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْبَثَّ أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ بَثِّ الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ: إِنَّمَا أَشْكُو خَبَرِي الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الْهَمِّ، وَأَبُثُّ حَدِيثِي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف: ٨٦] أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنِّي سَأَسْجُدُ لَهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ يَعْقُوبَ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ بَلَاءٌ قَطُّ إِلَّا أَتَىٰ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللهِ مِنْ وَرَائِهِ).

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿يَٰبَنِيَّ﴾ حِينَ طَمِعَ يَعْقُوبُ فِي يُوسُفَ قَالَ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ..

﴿ٱذۡهَبُواْ﴾ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي جِئْتُمْ مِنْهُ، وَخَلَّفْتُمْ أَخَوَيْكُمْ بِهِ..

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ الْتَمِسُوا يُوسُفَ وَتَعَرَّفُوا مِنْ خَبَرِهِ..

﴿وَأَخِيهِ﴾ بِنْيَامِينَ..

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ أَنْ يُرَوِّحَ اللهُ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَخِيهِ بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُرِيَنِيهِمَا..

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ لَا يَقْنَطُ مِنْ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ وَيَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْهُ..

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] الَّذِينَ يَجْحَدُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا شَاءَ تَكْوِينَهُ.. فَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ مِصْرَ حَتَّىٰ صَارُوا إِلَيْهَا، فَدَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ [يوسف: ٨٨].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أَيِ الشِّدَّةُ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، رَجَاءَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ فِي شَأْنِ أَخِيهِمْ..

﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ﴾ قَلِيلَةٍ، لَا تَبْلُغُ مَا كَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِهِ، إِلَّا أَنْ يُتَجَاوَزَ لَهُمْ فِيهَا.. وَأَصْلُ الْإِزْجَاءِ: السَّوْقُ بِالدَّفْعِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ﴾؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ نَافِقَةٍ، وَإِنَّمَا تَجُوزُ تَجْوِيزًا عَلَىٰ نَفْعٍ مِنْ آخِذِيهَا..

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ بِهَا، وَأَعْطِنَا بِهَا مَا كُنْتَ تُعْطِينَا قَبْلُ بِالثَّمَنِ الْجَيِّدِ وَالدَّرَاهِمِ الْجَائِزَةِ الْوَافِيَةِ الَّتِي لَا تُرَدُّ..

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ﴾ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِمَا بَيْنَ سِعْرِ الْجِيَادِ وَالرَّدِيَّةِ، فَلَا تُنْقِصْنَا مِنْ سِعْرِ طَعَامِكَ لِرَدِيِّ بِضَاعَتِنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ﴾ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا إِلَيْنَا، وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ، فَلَيْسَ بِالْقَوْلِ الْمُخْتَارِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ﴾؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي الْمُتَعَارَفِ إِنَّمَا هِيَ إِعْطَاءُ الرَّجُلِ ذَا الْحَاجَةِ بَعْضَ أَمْلَاكِهِ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةً، فَتَوْجِيهُ تَأْوِيلِ كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْنَاهُ فِي كَلَامِ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي﴾ يُثِيبُ..

﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ [يوسف: ٨٨] الْمُتَفَضِّلِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَاجَةِ بِأَمْوَالِهِمْ.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف: ٨٩].

﴿قَالَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾ [يوسف: ٨٨] أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ وَبَاحَ لَهُمْ بِمَا كَانَ يَكْتُمُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَقَالَ لَهُمْ..

﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾ هَلْ تَذْكُرُونَ..

﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ إِذْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَصَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ..

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف: ٨٩] يَعْنِي فِي حَالِ جَهْلِكُمْ بِعَاقِبَةِ مَا تَفْعَلُونَ بِيُوسُفَ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُ أَمْرِهِ وَأَمْرِكُمْ؟.

﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠].

﴿قَالُوٓا۟﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ حِينَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ يُوسُفُ..

﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ فَـ..

﴿قَالَ﴾ نَعَمْ..

﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بِأَنْ جَمَعَ بَيْنَنَا بَعْدَ مَا فَرَّقْتُمْ بَيْنَنَا..

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ اللهَ فَيُرَاقِبُهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَيَصْبِرْ﴾ وَيَكُفُّ نَفْسَهُ، فَيَحْبِسُهَا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠] فَإِنَّ اللهَ لَا يُبْطِلُ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ وَجَزَاءَ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ [يوسف: ٩١].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ..

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾ فَضَّلَكَ..

﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وَآثَرَكَ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ..

﴿وَإِن كُنَّا﴾ وَمَا كُنَّا فِي فِعْلِنَا الَّذِي فَعَلْنَا بِكَ فِي تَفْرِيقِنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَغَيْرِ

ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِنَا الَّذِي صَنَعْنَا بِكَ..

﴿لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [يوسف: ٩١] إِلَّا خَاطِئِينَ، يَعْنُونَ: مُخْطِئِينَ.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ..

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ لَا تَغْيِيرَ عَلَيْكُمْ وَلَا إِفْسَادَ لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْحُرْمَةِ وَحَقِّ الْأُخُوَّةِ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي الصَّفْحُ وَالْعَفْوُ..

﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ بِأَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَنْبَهُمْ فِيمَا أَتَوْا إِلَيْهِ، وَرَكِبُوا مِنْهُ مِنَ الظُّلْمِ، يَقُولُ: عَفَا اللهُ لَكُمْ عَنْ ذَنْبِكُمْ وَظُلْمِكُمْ، فَسَتَرَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢] وَاللهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِمَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَنَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف: ٩٣].

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ ذُكِرَ أَنَّ يُوسُفَ ﷺ لَمَّا عَرَّفَ نَفْسَهُ إِخْوَتَهُ، سَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِمْ، فَقَالُوا: ذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْحُزْنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَعْطَاهُمْ قَمِيصَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾..

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يَعُدْ بَصِيرًا..

﴿وَأْتُونِى﴾ وَجِيئُونِي..

﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف: ٩٣] بِجَمِيعِ أَهْلِكُمْ.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسف: ٩٤].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ وَلَمَّا فَصَلَتْ عِيرُ بَنِي يَعْقُوبَ مِنْ عِنْدِ يُوسُفَ مُتَوَجِّهَةً إِلَى يَعْقُوبَ..

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ الرِّيحَ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تَأْتِيَ يَعْقُوبَ بِرِيحِ يُوسُفَ

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْبَشِيرُ، فَأَذِنَ لَهَا، فَأَتَتْهُ بِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**هَاجَتْ رِيحٌ، فَجَاءَتْ بِرِيحِ يُوسُفَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَمَانِ لَيَالٍ**)..

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝﴾ [يوسف: ٩٤] لَوْلَا أَنْ تُعَنِّفُونِي، وَتُعَجِّزُونِي، وَتَلُومُونِي، وَتُكَذِّبُونِي.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَصْلَ التَّفْنِيدِ الْإِفْسَادُ.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝﴾ [يوسف: ٩٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ وَلَدِهِ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝﴾ [يوسف: ٩٤]..

﴿تَاللَّهِ﴾ أَيُّهَا الرَّجُلُ..

﴿إِنَّكَ﴾ مِنْ حُبِّ يُوسُفَ وَذِكْرِهِ..

﴿لَفِي ضَلَٰلِكَ﴾ لَفِي خَطَئِكَ وَزَلَلِكَ..

﴿ٱلْقَدِيمِ ۝﴾ [يوسف: ٩٥] لَا تَنْسَاهُ، وَلَا تَتَسَلَّىٰ عَنْهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**قَالُوا لِوَالِدِهِمْ كَلِمَةً غَلِيظَةً، لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوهَا لِوَالِدِهِمْ وَلَا لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ**).

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [يوسف: ٩٦].

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ﴾ يَعْقُوبَ..

﴿ٱلْبَشِيرُ﴾ مِنْ عِنْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ، وَهُوَ الْمُبَشِّرُ بِرِسَالَةِ يُوسُفَ، وَذَلِكَ بَرِيدٌ فِيمَا ذُكِرَ كَانَ يُوسُفُ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ الْبَرِيدُ فِيمَا ذُكِرَ وَالْبَشِيرُ يَهُوذَا بْنُ يَعْقُوبَ أَخَا يُوسُفَ لِأَبِيهِ..

﴿أَلْقَىٰهُ﴾ أَلْقَىٰ الْبَشِيرُ قَمِيصَ يُوسُفَ..

﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ عَلَىٰ وَجْهِ يَعْقُوبَ..

﴿فَٱرْتَدَّ﴾ رَجَعَ وَعَادَ..

﴿بَصِيرًا﴾ مُبْصِرًا بِعَيْنَيْهِ بَعْدَ مَا قَدْ عَمِيَ..

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لِمَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ حِينَئِذٍ مِنْ وَلَدِهِ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يَا بَنِيَّ..

﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ سَيَرُدُّ عَلَيَّ يُوسُفَ، وَيَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [يوسف: ٩٦] وَكُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُهُ، لِأَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ كَانَتْ صَادِقَةً، وَكَانَ اللهُ قَدْ قَضَىٰ أَنْ أَخِرَّ أَنَا وَأَنْتُمْ لَهُ سُجُودًا، فَكُنْتُ مُوقِنًا بِقَضَائِهِ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۝﴾ [يوسف: ٩٧].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ وَلَدُ يَعْقُوبَ الَّذِينَ كَانُوا فَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ يُوسُفَ..

﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ سَلْ لَنَا رَبَّكَ يَعْفُ عَنَّا، وَيَسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا الَّتِي أَذْنَبْنَاهَا فِيكَ وَفِي يُوسُفَ، فَلَا يُعَاقِبْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۝﴾ [يوسف: ٩٧] فِيمَا فَعَلْنَا بِهِ، فَقَدِ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [يوسف: ٩٨].

﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ سَوْفَ أَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَعْفُوَ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمُ الَّتِي أَذْنَبْتُمُوهَا فِيَّ وَفِي يُوسُفَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبِّي..

﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ السَّاتِرُ عَلَىٰ ذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [يوسف: ٩٨] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾ فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأَهْلُوهُمْ..

﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ ضَمَّ إِلَيْهِ..

﴿أَبَوَيْهِ﴾ قِيلَ: عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ، وَقَالَ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ: كَانَتْ أُمُّ يُوسُفَ قَدْ مَاتَتْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عِنْدَ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ خَالَتُهُ أُخْتُ أُمِّهِ، كَانَ نَكَحَهَا بَعْدَ أُمِّهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَهُوَ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ وَالْمُتَعَارَفِ بَيْنَهُمْ فِي (أَبَوَيْنِ)، إِلَّا أَنْ يَصِحَّ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ أُمَّ يُوسُفَ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَيُسَلَّمُ حِينَئِذٍ لَهَا..

﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي بَادِيَتِكُمْ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بَعْدَمَا دَخَلُوهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوهَا عَلَىٰ يُوسُفَ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ قَالَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ قِيلَ: إِنَّ يَعْقُوبَ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَىٰ يُوسُفَ هُوَ وَوَلَدُهُ، وَآوَىٰ يُوسُفُ أَبَوَيْهِ إِلَيْهِ قَبْلَ دُخُولِ مِصْرَ، وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ تَلَقَّىٰ أَبَاهُ -تَكْرِمَةً لَهُ- قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ، فَآوَاهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ.. فَإِنَّ ذَلِكَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ كَذَلِكَ.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ عَلَىٰ السَّرِيرِ..

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ وَخَرَّ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأُمُّهُ لِيُوسُفَ سُجَّدًا، وَكَانَتْ تِلْكَ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (وَكَانَتْ تَحِيَّةَ مَنْ قَبْلَكُمْ، كَانَ بِهَا يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَعْطَىٰ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ السَّلَامَ، تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَرَامَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَجَّلَهَا لَهُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (ذَلِكَ السُّجُودُ تَشْرِفَةٌ، كَمَا سَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ تَشْرِفَةً، لَيْسَ بِسُجُودِ عِبَادَةٍ)..

﴿وَقَالَ﴾ يُوسُفُ لِأَبِيهِ..

﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا﴾ السُّجُودُ الَّذِي سَجَدْتَ أَنْتَ وَأُمِّي وَإِخْوَتِي لِي..

﴿تَأْوِيلُ﴾ مَا آلَتْ إِلَيْهِ..

﴿رُءْيَٰىَ﴾ الَّتِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا..

﴿مِن قَبْلُ﴾ وَهِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي كَانَ رَآهَا قَبْلَ صَنِيعِ إِخْوَتِهِ مَا صَنَعُوا، أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَهُ سَاجِدُونَ..

﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ قَدْ حَقَّقَهَا رَبِّي لِمَجِيءِ تَأْوِيلِهَا عَلَىٰ الصِّحَّةِ.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ يُوسُفَ: وَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ بِي..

﴿إِذْ أَخْرَجَنِى﴾ فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّايَ..

﴿مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مَحْبُوسًا..

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ وَفِي مَجِيئِهِ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَسْكَنَ يَعْقُوبَ وَوَلَدِهِ فِيمَا ذُكِرَ

كَانَ بِبَادِيَةِ فِلَسْطِينَ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَفْسَدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَجَهِلَ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، يُقَالُ مِنْهُ: نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، يَنْزِغُ نَزْغًا وَنُزُوغًا..

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ إِنَّ رَبِّي ذُو لُطْفٍ وَصُنْعٍ لِمَا يَشَاءُ، وَمِنْ لُطْفِهِ وَصُنْعِهِ أَنَّهُ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِأَهْلِي مِنَ الْبَدْوِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ بُعْدِ الدَّارِ، وَبَعْدَ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْعُبُودَةِ، وَالرِّقِّ، وَالْإِسَارِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَبَادِي الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠] فِي تَدْبِيرِهِ.. ثم قَالَ يُوسُفُ بَعْدَ مَا جَمَعَ اللهُ لَهُ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتَهُ، وَبَسَطَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ، مُتَشَوِّقًا إِلَىٰ لِقَاءِ آبَائِهِ الصَّالِحِينَ.

﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ مُلْكِ مِصْرَ..

﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ مِنْ عِبَارَةِ الرُّؤْيَا، تَعْدِيدًا لِنِعَمِ اللهِ وَشُكْرًا لَهُ عَلَيْهَا..

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا خَالِقَهَا وَبَارِئَهَا..

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أَنْتَ وَلِيِّي فِي دُنْيَايَ عَلَىٰ مَنْ عَادَانِي وَأَرَادَنِي بِسُوءٍ بِنَصْرِكَ، وَتَغْذُونِي فِيهَا بِنِعْمَتِكَ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ وَتَلِينِي فِي الْآخِرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ..

﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ مُسْلِمًا..

﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١] وَأَلْحِقْنِي بِصَالِحِ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَتَمَنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَ قَبْلَ يُوسُفَ.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ [يوسف: ١٠٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي أَخْبَرْتُكَ بِهِ مِنْ خَبَرِ يُوسُفَ وَوَالِدِهِ يَعْقُوبَ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرَ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾ مِنْ أَخْبَارِ..

﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ الَّذِي لَمْ تُشَاهِدْهُ، وَلَمْ تُعَايِنْهُ، وَلَكِنَّا..

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾ وَنُعَرِّفُكَهُ، لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَنُشَجِّعَ بِهِ قَلْبَكَ، وَتَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنَ الْأَذَىٰ مِنْ قَوْمِكَ فِي ذَاتِ اللهِ، وَتَعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِ اللهِ إِذْ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ فِيهِ، وَأَخَذُوا بِالْعَفْوِ، وَأَمَرُوا بِالْعُرْفِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْجَاهِلِينَ، فَازُوا بِالظَّفَرِ، وَأُيِّدُوا بِالنَّصْرِ، وَمُكِّنُوا فِي الْبِلَادِ، وَغَلَبُوا مَنْ قَصَدُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ دِينِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَبِهِمْ يَا مُحَمَّدُ فَتَأَسَّ، وَآثَارَهُمْ فَقُصَّ..

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ وَمَا كُنْتَ حَاضِرًا عِنْدَ إِخْوَةِ يُوسُفَ..

﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ وَاتَّفَقَتْ آرَاؤُهُمْ، وَصَحَّتْ عَزَائِمُهُمْ..

﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ [يوسف: ١٠٢] عَلَىٰ أَنْ يُلْقُوا يُوسُفَ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ، وَذَلِكَ كَانَ مَكْرُهُمْ.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ وَمَا أَكْثَرُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ عَلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكَ فَيُصَدِّقُوكَ، وَيَتَّبِعُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣] بِمُصَدِّقِيكَ وَلَا مُتَّبِعِيكَ.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ وَمَا تَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَكَ وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ تَصْدِيقِكَ وَالْإِقْرَارِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿عَلَيۡهِ﴾ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّكَ، وَهَجْرِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ..

﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ مِنْ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ مِنْهُمْ، بَلْ إِنَّمَا ثَوَابُكَ وَأَجْرُ عَمَلِكَ عَلَىٰ اللهِ.. مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ ثَوَابًا، فَيَقُولُوا لَكَ: إِنَّمَا تُرِيدُ بِدُعَائِكَ إِيَّانَا إِلَىٰ اتِّبَاعِكَ لِنَنْزِلَ لَكَ عَنْ أَمْوَالِنَا إِذَا سَأَلْتَنَا ذَلِكَ، وَإِذْ كُنْتَ لَا تَسْأَلُهُمْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اتِّبَاعًا مِنْكَ لِأَمْرِ رَبِّكَ، وَنَصِيحَةً مِنْكَ لَهُمْ، وَأَنْ لَا يَسْتَغْشُوكَ..

﴿إِنۡ هُوَ﴾ مَا هَذَا الَّذِي أَرْسَلَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ..

﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إِلَّا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ..

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤] لِيَتَّعِظُوا وَيَتَذَكَّرُوا بِهِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ للهِ، وَعِبْرَةٍ وَحُجَّةٍ، وَذَلِكَ كَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ السَّمَوَاتِ، وَكَالْجِبَالِ، وَالْبِحَارِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَشْجَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْأَرْضِ..

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يُعَايِنُونَهَا فَيَمُرُّونَ بِهَا مُعْرِضِينَ عَنْهَا..

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥] لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهَا، وَفِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهَا، وَأَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ لَا تَبْتَغِي إِلَّا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الَّذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَدَبَّرَهَا.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

﴿وَمَا يُؤْمِنُ﴾ وَمَا يُقِرُّ..

﴿أَكْثَرُهُم﴾ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ ﷻ صِفَتَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥]..

﴿بِٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿إِلَّا وَهُم﴾ بِهِ..

﴿مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَاتِّخَاذِهِمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا، وَزَعْمِهِمْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ فِي إِيمَانِهِمْ هَذَا، إِنَّكَ لَسْتَ تَلْقَى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْبَأَكَ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَرَزَقَهُ، وَهُوَ مُشْرِكٌ فِي عِبَادَتِهِ).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ، وَيَعْرِفُ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، وَهُوَ يُشْرِكُ بِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧] قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَعَ مَا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ يُشْرِكُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ كَانَتِ الْعَرَبُ تُلَبِّي، تَقُولُ: لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ؟ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا).

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾

[يوسف: ١٠٧].

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ﴾ أَفَأَمِنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ غَيْرَهُ..

﴿أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ تَغْشَاهُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَعَذَابِهِ، عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِاللهِ..

﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الْقِيَامَةُ..

﴿بَغۡتَةٗ﴾ فَجْأَةً وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَيُخَلِّدُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي نَارِهِ..

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [يوسف: ١٠٧] وَهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَجِيئِهَا وَقِيَامِهَا.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ..

﴿سَبِيلِيٓ﴾ وَطَرِيقَتِي وَدَعْوَتِي..

﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بِذَلِكَ وَيَقِينِ عِلْمٍ مِنِّي بِهِ..

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَيْضًا مَنِ اتَّبَعَنِي وَصَدَّقَنِي وَآمَنَ بِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(هَذِهِ سَبِيلِي، هَذَا أَمْرِي وَسُنَّتِي وَمِنْهَاجِي، وَحَقُّ اللهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيُذَكِّرُ بِالْقُرْآنِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ مَعَاصِي اللهِ)**..

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، تَنْزِيهًا للهِ، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، أَوْ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فِي سُلْطَانِهِ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

[يوسف: ١٠٩].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ لَا نِسَاءَ وَلَا مَلَائِكَةَ..

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ آيَاتِنَا بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِنَا وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَنَا..

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، دُونَ أَهْلِ الْبَوَادِي..

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ، وَيُنْكِرُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَنَا، أَلَمْ نَحِلَّ بِهِمْ عُقُوبَتَنَا، فَنُهْلِكَهُمْ بِهَا، وَنُنْجِ مِنْهَا رُسُلَنَا وَأَتْبَاعَنَا، فَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا؟..

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ هَذَا فِعْلُنَا فِي الدُّنْيَا بِأَهْلِ وِلَايَتِنَا وَطَاعَتِنَا، إِنَّ عُقُوبَتَنَا إِذَا نَزَلَتْ بِأَهْلِ مَعَاصِينَا وَالشِّرْكِ بِنَا أَنْجَيْنَاهُمْ مِنْهَا، وَمَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهُمْ خَيْرٌ، وَتَرَكَ ذِكْرَ مَا ذَكَرْنَا اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ عَلَيْهِ، وَأُضِيفَتِ الدَّارُ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْآخِرَةُ، لِاخْتِلَافِ لَفْظِهِمَا، كَمَا قِيلَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]، وَكَمَا قِيلَ: أَتَيْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَارِحَةَ الْأُولَىٰ، وَلَيْلَةَ الْأُولَىٰ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ..

﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ حَقِيقَةَ مَا نَقُولُ لَهُمْ وَنُخْبِرُهُمْ بِهِ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكُفْرِ، وَغِبِّ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُ أَهْلِهِ مَعَ مَا قَدْ عَايَنُوا وَرَأَوْا وَسَمِعُوا مِمَّا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ رَبِّهَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، فَدَعَوْا مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ، وَرَدُّوا مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَيُصَدِّقُوهُمْ فِيمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وَظَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ..

﴿أَنَّهُمۡ﴾ أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ..

﴿قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ قَدْ كَذَبُوهُمْ فِيمَا كَانُوا أَخْبَرُوهُمْ عَنِ اللهِ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ، فَنَصْرَهُمْ عَلَيْهِمْ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَمَّا أَيِسَتِ الرُّسُلُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ

الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوهُمْ، جَاءَهُمُ النَّصْرُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ).. وقَالَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ حِينَ أَبْطَأَ الْأَمْرُ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا، بِالتَّخْفِيفِ).. وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أَنْ يُسْلِمَ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُ الرُّسُلِ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوا، جَاءَهُمْ نَصْرُنَا).. قَالَ مُجَاهِد: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوا، جَاءَ الرُّسُلَ نَصْرُنَا).. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُمْ بِهِمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمُ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كُذِبُوا مَا وَعَدَهُمُ اللهُ مِنْ نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِمْ، وَخُلِفُوا، جَاءُ الرُّسُلَ النَّصْرُ حِينَئِذٍ).. وَالْقِرَاءَةُ عَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿كُذِبُواْ﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ الذَّالِ، وَذَلِكَ أَيْضًا قِرَاءَةُ بَعْضِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا هَذَا التَّأْوِيلَ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةَ، لِأَنَّ ذَلِكَ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩]، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّ إِيَاسَ الرُّسُلِ كَانَ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ أُهْلِكُوا، وَأَنَّ الْمُضْمَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ إِنَّمَا هُوَ مِنْ ذِكْرِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ، وَزَادَ ذَلِكَ وُضُوحًا أَيْضًا إِتْبَاعُ اللهِ فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ عَنِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ، قَوْلَهُ: ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ﴾؛ إِذِ الَّذِينَ أُهْلِكُوا هُمُ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبَتْهُمْ، فَكَذَّبُوهُمْ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوهُمْ.. وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ إِلَىٰ غَيْرِ التَّأْوِيلِ الَّذِي اخْتَرْنَا، وَوَجَّهُوا مَعْنَاهُ إِلَىٰ: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا فِيمَا وُعِدُوا مِنَ النَّصْرِ.. فَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ قَالَ: (كَانُوا بَشَرًا، ضَعُفُوا وَيَئِسُوا).. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (أَلَمْ يَكُونُوا بَشَرًا).. وَقَوْلُ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَوْلَىٰ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَخِلَافُهُ مِنَ الْقَوْلِ أَشْبَهُ بِصِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، إِنْ جَازَ أَنْ يَرْتَابُوا بِوَعْدِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَيَشُكُّوا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِهِ، مَعَ مُعَايَنَتِهِمْ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ مَا لَا يُعَايِنُهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيُعْذَرُوا فِي ذَلِكَ؛ إِنَّ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَأَوْلَىٰ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْعُذْرِ، وَذَلِكَ قَوْلٌ إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ لَا يَخْفَىٰ أَمْرُهُ.. وَقَدْ ذُكِرَ هَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَخِيرًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِعَائِشَةَ، فَأَنْكَرَتْهُ أَشَدَّ النُّكْرَةِ، فَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ

﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ فَقَالَ: (كَانُوا بَشَرًا ضَعُفُوا وَيَئِسُوا)، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُرْوَةَ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (مَعَاذَ اللهِ، مَا حَدَّثَ اللهُ رَسُولَهُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ، حَتَّىٰ ظَنَّ الْأَنْبِيَاءُ أَنَّ مَنْ تَبِعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ)، فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا: (قَدْ كُذِّبُوا تُثَقِّلُهَا).. فَهَذَا مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقْرَأُ: (كُذِّبُوا) بِالتَّشْدِيدِ وَضَمِّ الْكَافِ، بِمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْنَا عَنْهَا، مِنْ أَنَّ الرُّسُلَ ظَنَّتْ بِأَتْبَاعِهَا الَّذِينَ قَدْ آمَنُوا بِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، فَارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، اسْتِبْطَاءً مِنْهُمْ لِلنَّصْرِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الَّذِي نَخْتَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ وَالتَّأْوِيلِ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْحَرْفِ خَاصَّةً.. وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ قَوْلَهُ: (كُذِّبُوا) بِضَمِّ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ، مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ وَيُصَدِّقُوهُمْ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ: بِمَعْنَىٰ وَاسْتَيْقَنَتْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبَهُمْ أُمَمُهُمْ، جَاءَتِ الرُّسُلَ نُصْرَتُنَا، وَقَالُوا: الظَّنُّ فِي هَذَا بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، وَهُوَ مَرْوِي عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ.. وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ كَانَتْ تَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ، أَعْنِي بِتَشْدِيدِ الذَّالِ مِنْ (كُذِّبُوا)، وَضَمِّ كَافِهَا، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ فِي ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ بِتَشْدِيدِ الذَّالِ وَضَمِّ الْكَافِ خِلَافٌ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَقْوَالِ جَمِيعِ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوَجِّهِ الظَّنَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، مَعَ أَنَّ الظَّنَّ إِنَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْعَرَبُ فِي مَوْضِعِ الْعِلْمِ فِيمَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ أُدْرِكَ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ أُدْرِكَ مِنْ وَجْهِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ فَإِنَّهَا لَا تَسْتَعْمِلُ فِيهِ الظَّنَّ، لَا تَكَادُ تَقُولُ: أَظُنُّنِي حَيًّا وَأَظُنُّنِي إِنْسَانًا، بِمَعْنَىٰ: أَعْلَمُنِي إِنْسَانًا وَأَعْلَمُنِي حَيًّا، وَالرُّسُلُ الَّذِينَ كَذَّبَتْهُمْ أُمَمُهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ لِأُمَمِهَا شَاهِدَةً وَلِتَكْذِيبِهَا إِيَّاهَا مِنْهَا سَامِعَةً، فَيُقَالُ فِيهَا: ظَنَّتْ بِأُمَمِهَا أَنَّهَا كَذَّبَتْهَا..

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ فَنُنَجِّي الرُّسُلَ وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَاءَ نَصْرُنَا..

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ وَلَا تُرَدُّ عُقُوبَتُنَا وَبَطْشُنَا بِمَنْ بَطَشْنَا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا..

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف: ١١٠] عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَخَالَفُوا رُسُلَهُ، وَمَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾ [يوسف: ١١١].

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ..

﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ عِبْرَةٌ لِأَهْلِ الْحِجَا وَالْعُقُولِ، يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَمَوْعِظَةٌ يَتَّعِظُونَ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ يُوسُفُ فِي الْجُبِّ لِيَهْلِكَ، ثُمَّ بِيعَ بَيْعَ الْعَبِيدِ بِالْخَسِيسِ مِنَ الثَّمَنِ، وَبَعْدَ الْإِسَارِ وَالْحَبْسِ الطَّوِيلِ، مَلَّكَهُ مِصْرَ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ سُوءًا مِنْ إِخْوَتِهِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الشُّقَّةِ النَّائِيَةِ الْبَعِيدَةِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ قَوْمِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَوِ اعْتَبَرْتُمْ بِهِ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ بِيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ يُظْهِرُهُ عَلَيْكُمْ وَيُمَكِّنُ لَهُ فِي الْبِلَادِ، وَيُؤَيِّدُهُ بِالْجُنْدِ وَالرِّجَالِ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ، وَإِنْ مَرَّتْ بِهِ شَدَائِدُ، وَأَتَتْ دُونَهُ الْأَيَّامُ، وَاللَّيَالِي، وَالدُّهُورُ، وَالْأَزْمَانُ..

﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ مَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ حَدِيثًا يُخْتَلَقُ وَيُتَكَذَّبُ وَيُتَخَرَّصُ..

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ وَلَكِنَّهُ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا قَبْلَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، كَالتَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ جَمِيعَهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وَهُوَ أَيْضًا تَفْصِيلُ كُلِّ مَا بِالْعِبَادِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ بَيَانِ أَمْرِ اللهِ، وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿وَهُدٗى﴾ وَهُوَ بَيَانُ أَمْرِهِ، وَرَشَادُ مَنْ جَهِلَ سَبِيلَ الْحَقِّ فَعَمِيَ عَنْهُ إِذَا تَبِعَهُ، فَاهْتَدَىٰ بِهِ مِنْ ضَلَالَتِهِ..

﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، يُنْقِذُهُ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، وَيُورِثُهُ فِي الْآخِرَةِ جِنَانَهُ، وَالْخُلُودَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ..

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: ١١١] لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ وَعْدِ اللهِ، وَوَعِيدِهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَهْيِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُوسُفَ

سُورَةُ الرَّعْدِ (١٣)
مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الرَّعْدُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾ [الرعد: ١].

﴿الٓمٓر تِلْكَ﴾ الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ خَبَرَهَا..

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، إِلَىٰ مَنْ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِي قَبْلَكَ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ..

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ وَاعْتَصِمْ بِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾ [الرعد: ١] لَا يُصَدِّقُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَلَا يُقِرُّونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنْ مُحْكَمِ آيِهِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ②﴾ [الرعد: ٢].

﴿ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ هُوَ..

﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السَّبْعَ..

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا مَسْمُوكًا، وَالْعَمَدُ جَمْعُ عَمُودٍ، وَهِيَ السَّوَارِي، وَمَا يُعْمَدُ بِهِ الْبِنَاءُ، فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ بِغَيْرِ عَمَدٍ نَرَاهَا..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ عَلَا..

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الِاسْتِوَاءِ وَاخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيمَا قَالُوا فِيهِ بِشَوَاهِدِهِ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَسَخَّرَ﴾ وَأَجْرَىٰ..

﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ فِي السَّمَاءِ فَسَخَّرَهُمَا فِيهَا لِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَذَلَّلَهُمَا لِمَنَافِعِهِمْ، لِيَعْلَمُوا بِجَرْيِهِمَا فِيهَا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَيَفْصِلُوا بِهِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..

﴿كُلّٞ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ﴾ لِوَقْتٍ..

﴿مُّسَمّٗىۚ﴾ مَعْلُومٍ، وَذَلِكَ إِلَىٰ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَقِيَامِ الْقِيَامَةِ الَّتِي عِنْدَهَا تُكَوَّرُ الشَّمْسُ، وَيُخْسَفُ الْقَمَرُ، وَتَنْكَدِرُ النُّجُومُ، وَحُذِفَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ لِفَهْمِ السَّامِعِينَ مِنْ أَهْلِ لِسَانِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ الْقُرْآنُ مَعْنَاهُ..

﴿يُدَبِّرُ﴾ يَقْضِي اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا..

﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلَّهَا، وَيُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحْدَهُ، بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ سُبْحَانَهُ..

﴿يُفَصِّلُ﴾ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ آيَاتِ كِتَابِهِ، فَيُبَيِّنُهَا لَكُمُ احْتِجَاجًا بِهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ٢] لِتُوقِنُوا بِلِقَاءِ اللهِ، وَالْمَعَادِ إِلَيْهِ، فَتُصَدِّقُوا بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَتَنْزَجِرُوا عَنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ ذَلِكَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وَاللهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ فَبَسَطَهَا طُولًا وَعَرْضًا..

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَةً.. وَالرَّوَاسِي: جَمْعُ رَاسِيَةٍ وَهِيَ الثَّابِتَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَرْسَيْتُ الْوَتَدَ فِي الْأَرْضِ: إِذَا أَثْبَتُّهُ..

﴿وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾ وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارًا مِنْ مَاءٍ..

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَعَنَىٰ بِزَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ: مِنْ كُلِّ ذَكَرٍ اثْنَانِ، وَمِنْ كُلِّ أُنْثَىٰ اثْنَانِ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ، مِنَ الذُّكُورِ اثْنَانِ، وَمِنَ الْإِنَاثِ اثْنَانِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الِاثْنَيْنِ زَوْجَيْنِ، وَالْوَاحِدُ مِنَ الذُّكُورِ زَوْجًا لِأُنْثَاهُ، وَكَذَلِكَ الْأُنْثَىٰ الْوَاحِدَةُ زَوْجًا وَزَوْجَةً لِذَكَرِهَا، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَيَزِيدُ ذَلِكَ إِيضَاحًا قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم: ٤٥]، فَسَمَّىٰ الِاثْنَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ زَوْجَيْنِ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [هود: ٤٠]: نَوْعَيْنِ وَضَرْبَيْنِ..

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُجَلِّلُ اللَّيْلَ النَّهَارَ فَيُلْبِسُهُ ظُلْمَتَهُ، وَالنَّهَارَ اللَّيْلَ بِضِيَائِهِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا وَصَفْتُ وَذَكَرْتُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ..

﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَحُجَجًا وَعِظَاتٍ..

﴿لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣] فِيهَا، فَيَسْتَدِلُّونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ، وَلَا تَجُوزُ، إِلَّا لِمَنْ خَلَقَهَا، وَدَبَّرَهَا، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضُرٍّ، وَلَا نَفْعٍ، وَلَا لِشَيْءٍ غَيْرِهَا، إِلَّا لِمَنْ أَنْشَأَ ذَلِكَ فَأَحْدَثَهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَبْدَعَ بِهَا ذَلِكَ هِيَ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ مَنْ هَلَكَ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِعَادَةِ مَا فَنِيَ مِنْهُ، وَابْتِدَاعِ مَا شَاءَ ابْتِدَاعَهُ بِهَا.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٤].

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مِنْهَا مُتَقَارِبَاتٌ مُتَدَانِيَاتٌ، يَقْرُبُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ بِالْجِوَارِ، وَتَخْتَلِفُ بِالتَّفَاضُلِ مَعَ تَجَاوُرِهَا وَقُرْبِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا قِطْعَةٌ سَبِخَةٌ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، فِي جِوَارِ قِطْعَةٍ طَيِّبَةٍ تُنْبِتُ وَتَنْفَعُ..

﴿وَجَنَّٰتٞ﴾ وَفِي الْأَرْضِ مَعَ الْقِطَعِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمَعَانِي مِنْهَا بِالْمُلُوحَةِ وَالْعُذُوبَةِ، وَالْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ، مَعَ تَجَاوُرِهَا وَتَقَارُبِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ..

﴿مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ﴾ وَبَسَاتِينُ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ أَيْضًا، مُتَقَارِبَةٌ فِي الْخِلْقَةِ مُخْتَلِفَةٌ فِي الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، مَعَ اجْتِمَاعِ جَمِيعِهَا عَلَىٰ شِرْبٍ وَاحِدٍ، فَمِنْ طَيِّبٍ طَعْمُهُ مِنْهَا حَسَنٌ مَنْظَرُهُ طَيِّبَةٌ رَائِحَتُهُ، وَمِنْ حَامِضٍ طَعْمُهُ وَلَا رَائِحَةَ لَهُ..

﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ جَمْعُ صِنْوٍ، وَهِيَ النَّخَلَاتُ يَجْمَعُهُنَّ أَصْلٌ وَاحِدٌ..

﴿يُسۡقَىٰ﴾ تُسْقَىٰ الْجَنَّاتُ وَالنَّخْلُ وَالزَّرْعُ..

﴿بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ عَذْبٍ دُونَ الْمَالِحِ..

﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ وَيُخَالِفُ اللهُ بَيْنَ طُعُومِ ذَلِكَ، فَيُفَضِّلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الطَّعْمِ، فَهَذَا حُلْوٌ وَهَذَا حَامِضٌ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مُخَالَفَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بَيْنَ هَذِهِ الْقِطَعِ مِنَ الْأَرْضِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَثِمَارِ

جَنَّاتِهَا وَزُرُوعِهَا عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا وَبَيَّنَّا..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لَدَلِيلًا وَاضِحًا وَعِبْرَةً..

﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [الرعد: ٤] اخْتِلَافَ ذَلِكَ، أَنَّ الَّذِيَ خَالَفَ بَيْنَهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَهُ، هُوَ الْمُخَالِفُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ هِدَايَةٍ وَضَلَالٍ وَتَوْفِيقٍ وَخِذْلَانٍ، فَوَفَّقَ هَذَا وَخَذَلَ هَذَا، وَهَدَىٰ ذَا وَأَضَلَّ ذَا، وَلَوْ شَاءَ لَسَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ، كَمَا لَوْ شَاءَ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِ أُكُلِ ثِمَارِ الْجَنَّةِ الَّتِي تَشْرَبُ شُرْبًا وَاحِدًا، وَتُسْقَىٰ سَقْيًا وَاحِدًا، وَهِيَ مُتَفَاضِلَةٌ فِي الْأُكُلِ.

﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد: ٥].

﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَّخِذِينَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِي..

﴿فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ وَبَلِينَا فَعَدِمْنَا..

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ أَئِنَّا لَمُجَدَّدٌ إِنْشَاؤُنَا وَإِعَادَتُنَا خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِنَا؟! تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَجُحُودًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَجَحَدُوا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَقَالُوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا قُدْرَةَ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْأَغْلَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ هُمْ سُكَّانُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد: ٥] هُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾ [الرعد: ٦].

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بِالْبَلَاءِ وَالْعُقُوبَةِ..

﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قَبْلَ الرَّخَاءِ وَالْعَافِيَةِ، فَيَقُولُونَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢]..

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا حَلَّ بِمَنْ خَلَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي عَصَتْ رَبَّهَا، وَكَذَّبَتْ رُسُلَهَا، مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ وَعَظِيمِ بَلَائِهِ، فَمِنْ بَيْنَ أُمَّةٍ مُسِخَتْ قِرَدَةً وَأُخْرَىٰ خَنَازِيرَ، وَمِنْ بَيْنَ أُمَّةٍ أُهْلِكَتْ بِالرَّجْفَةِ، وَأُخْرَىٰ بِالْخَسْفِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَثُلَاتُ.. وَالْمَثُلَاتُ: الْعُقُوبَاتُ الْمُنْكِلَاتُ، وَالْوَاحِدَةُ مِنْهَا: مَثُلَةٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ الثَّاءِ، ثُمَّ تُجْمَعُ مَثُلَاتٍ، كَمَا وَاحِدَةُ الصَّدَقَاتِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ تَجْمَعُ صَدَقَاتٍ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لَذُو سِتْرٍ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ..

﴿لِّلنَّاسِ﴾ مِنَ النَّاسِ، فَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، وَصَافِحٌ لَهُ عَنْ عِقَابِهِ عَلَيْهَا عَاجِلًا وَآجِلًا..

﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ لَهُمْ بِفِعْلِهِ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ٦] لِمَنْ هَلَكَ مُصِرًّا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ فِي الْقِيَامَةِ، إِنْ لَمْ يُعَجِّلْ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ يَجْمَعُهُمَا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرُ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا وَيَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ قَبْلَ حُلُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِهِمْ.

> ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، يَعْنُونَ: عَلَامَةً وَحُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]، يَقُولُ اللهُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ لَهُمْ، تُنْذِرُهُمْ بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ..

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧] وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِمَامٌ يَأْتَمُّونَ بِهِ وَهَادٍ يَتَقَدَّمُهُمْ، فَيَهْدِيهِمْ إِمَّا إِلَىٰ خَيْرٍ وَإِمَّا إِلَىٰ شَرٍّ، وَأَصْلُهُ مِنْ هَادِي الْفَرَسِ، وَهُوَ عُنُقُهُ الَّذِي يَهْدِي سَائِرَ جَسَدِهِ.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ وَمَا تَنْقُصُ الْأَرْحَامُ مِنْ حَمْلِهَا فِي الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ، بِإِرْسَالِهَا دَمَ الْحَيْضِ..

﴿وَمَا تَزْدَادُۖ﴾ فِي حَمْلِهَا عَلَىٰ الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ، لِتَمَامِ مَا نَقَصَ مِنَ الْحَمْلِ فِي الْأَشْهُرِ التِّسْعَةِ بِإِرْسَالِهَا دَمَ الْحَيْضِ، قال ابْنُ عَبَّاسٍ: (مَا رَأَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ يَوْمٍ دَمًا عَلَىٰ حَمْلِهَا زَادَ فِي الْحَمْلِ يَوْمًا).. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ﴾ [الرعد: ٥]، مُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِعَادَتِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ فَنَائِهِمْ وَبَلَائِهِمْ، وَلَا يُنْكِرُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ ابْتِدَائِهِمْ وَتَصْوِيرِهِمْ فِي الْأَرْحَامِ وَتَدْبِيرِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَابْتَدَأَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، وَالْمَعْنَىٰ فِيهِ مَا وَصَفْتُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ﴾..

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨] لَا يُجَاوِزُ شَيْءٌ مِنْ قَدَرِهِ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَقْصُرُ أَمْرٌ أَرَادَهُ فَدَبَّرَهُ عَنْ تَدْبِيرِهِ، كَمَا لَا يَزْدَادُ حَمْلُ أُنْثَىٰ عَلَىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْحَمْلِ، وَلَا يَقْصُرُ عَمَّا حَدَّ لَهُ مِنَ الْقَدْرِ.. وَالْمِقْدَارُ: مِفْعَالٌ مِنَ الْقَدْرِ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وَاللهُ عَالِمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ، وَعَنْ أَبْصَارِكُمْ، فَلَمْ تَرَوْهُ..

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وَمَا شَاهَدْتُمُوهُ، فَعَايَنْتُمْ بِأَبْصَارِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَتَدْبِيرُهُ..

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ..

﴿ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩] الْمُسْتَعْلِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ، وَهُوَ الْمُتَفَاعِلُ مِنَ الْعُلُوِّ مِثْلُ الْمُتَقَارِبِ مِنَ الْقُرْبِ، وَالْمُتَدَانِي مِنَ الدُّنُوِّ.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠].

﴿سَوَآءٌ﴾ مُعْتَدِلٌ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِّنكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّنْ﴾ الَّذِي..

﴿أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن﴾ وَالَّذِي..

﴿جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ﴾ وَالَّذِي..

﴿هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ بِفِسْقِهِ وَرِيبَتِهِ..

﴿بِٱلَّيْلِ﴾ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿وَسَارِبٌۢ﴾ وَظَاهِرٌ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ.. يُقَالُ مِنْهُ: سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا إِذَا ظَهَرَ..

﴿بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠] فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، مُمْتَنِعًا بِجُنْدِهِ وَحَرَسِهِ.. لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ سِرُّ خَلْقِهِ وَعَلَانِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَتِرُ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْفَىٰ.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾

[الرعد: ١١].

﴿لَهُۥ﴾ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ﴾ مِنْ ذِكْرِ ﴿مَنْ﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ [الرعد: ١٠]..

﴿مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ حَرَسُهُ وَجَلَاوِزَتُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ قَوْمًا أَهْلَ مَعْصِيَةٍ لَهُ وَأَهْلَ رِيبَةٍ، يَسْتَخْفُونَ بِاللَّيْلِ وَيَظْهَرُونَ بِالنَّهَارِ، وَيَمْتَنِعُونَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بِحَرَسٍ يَحْرُسُهُمْ، وَمَنَعَةٍ تَمْنَعُهُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِذَا أَرَادَ بِهِمْ سُوءًا لَمْ يَنْفَعْهُمْ حَرَسُهُمْ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ حِفْظُهُمْ.. وَالتَّعْقِيبَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْعَوْدُ بَعْدَ الْبَدْءِ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ الشَّيْءِ بَعْدَ الِانْصِرَافِ عَنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]، أَيْ لَمْ يَرْجِعْ، وَأَتَاهَا التَّأْنِيثُ وَهِيَ مِنْ صِفَةِ الْحَرَسِ الَّذِي يَحْرُسُونَ الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ عُنِيَ بِهَا حَرَسٌ مُعَقِّبَةٌ، ثُمَّ جُمِعَتِ الْمُعَقِّبَةُ، فَقِيلَ: مُعَقِّبَاتٌ، فَذَلِكَ جَمْعُ جَمْعِ الْمُعَقِّبِ، وَالْمُعَقِّبُ: وَاحِدُ الْمُعَقِّبَةِ، وَالْمُعَقِّبَاتُ جَمْعُهَا، ثُمَّ قَالَ: يَحْفَظُونَهُ، فَرَدَّ الْخَبَرَ إِلَىٰ تَذْكِيرِ الْحَرَسِ وَالْجُنْدِ..

﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ أُولَئِكَ الْحَرَسُ الَّذِينَ يَتَعَقَّبُونَ هَذَا الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ، وَهِيَ تَحْرُسُهُ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُ..

﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللهِ، أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُقِيمُوا حَدَّ اللهِ عَلَيْهِ.. فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ حَرَسَهُ ذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا إِذَا جَاءَ أَمْرُهُ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ مِنْ عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ فَيُزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَيُهْلِكَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ مِنْ ذَلِكَ، بِظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَاعْتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَتَحِلَّ بِهِمْ حِينَئِذٍ عُقُوبَتُهُ وَتَغْيِيرُهُ..

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَخْفُونَ بِاللَّيْلِ وَيَسْرَبُونَ بِالنَّهَارِ، لَهُمْ جُنْدٌ وَمَنَعَةٌ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ..

﴿سُوٓءٗا﴾ هَلَاكًا وَخِزْيًا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ فَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّ ذَلِكَ عَنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ..

﴿وَمَا لَهُم﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي ﴿لَهُم﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١] يَلِيهِمْ وَيَلِي أَمْرَهُمْ وَعُقُوبَتَهُمْ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: ١٢].

﴿هُوَ﴾ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِي يُرِيكُمُ﴾ يُرِي عِبَادَهُ..

﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾ الْمَاءَ.. كَذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿خَوۡفٗا﴾ لِلْمُسَافِرِ فِي أَسْفَارِهِ، يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ..

﴿وَطَمَعٗا﴾ لِلْمُقِيمِ أَنْ يُمْطَرَ فَيَنْتَفِعَ، وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللهِ..

﴿وَيُنشِئُ﴾ وَيُثِيرُ، وَيُبْدِئُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْشَأَ اللهُ السَّحَابَ: إِذَا أَبْدَأَهُ، وَنَشَأَ السَّحَابُ: إِذَا بَدَأَ يَنْشَأُ نَشْأً..

﴿ٱلسَّحَابَ﴾ بِالْمَطَرِ..

﴿ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: ١٢] الَّذِي فِيهِ الْمَاءُ.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٣].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ وَيُعَظِّمُ اللهَ الرَّعْدُ وَيُمَجِّدُهُ، فَيُثْنِي عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ، وَيُنَزِّهُهُ مِمَّا أَضَافَ إِلَيْهِ أَهْلُ الشِّرْكِ بِهِ، وَمِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ مِنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ..

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَةِ اللهِ وَرَهْبَتِهِ.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ اللهُ بِالصَّوَاعِقِ أَصَابَهُمْ فِي حَالِ خُصُومَتِهِمْ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣] وَاللهُ شَدِيدَةٌ مُمَاحَلَتُهُ فِي عُقُوبَةِ مَنْ طَغَىٰ عَلَيْهِ وَعَتَا وَتَمَادَىٰ فِي كُفْرِهِ.. وَالْمِحَالُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَاحَلْتُ فُلَانًا فَأَنَا أُمَاحِلُهُ، إِذَا عَرَّضَ رَجُلٌ رَجُلًا لِمَا يُهْلِكُهُ.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

﴿لَهُۥ﴾ للهِ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ الدَّعْوَةُ الْحَقُّ، وَالدَّعْوَةُ هِيَ الْحَقُّ كَمَا أُضِيفَتِ الدَّارُ إِلَىٰ الْآخِرَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالدَّعْوَةِ الْحَقِّ: تَوْحِيدَ اللهِ، وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا الْمُشْرِكُونَ أَرْبَابًا وَآلِهَةً..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ لَا تُجِيبُ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُوهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً..

﴿لَهُم بِشَىْءٍ﴾ يُرِيدُونَهُ مِنْ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ..

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ لَا يَنْفَعُ دَاعِي الْآلِهَةِ دُعَاؤُهُ إِيَّاهَا، إِلَّا كَمَا يَنْفَعُ بَاسِطَ كَفَّيْهِ إِلَىٰ الْمَاءِ بَسْطُهُ إِيَّاهُمَا إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَيْهِ فِي إِنَاءٍ، وَلَكِنْ لِيَرْتَفِعَ إِلَيْهِ بِدُعَائِهِ إِيَّاهُ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ وَقَبْضِهِ عَلَيْهِ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ لِمَنْ سَعَىٰ فِيمَا لَا يُدْرِكُهُ مَثَلًا بِالْقَابِضِ عَلَىٰ الْمَاءِ.. فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ، أَيْ هَذَا الَّذِي يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ هَذَا الْوَثَنَ وَهَذَا الْحَجَرَ، لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْهِ خَيْرًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ سُوءًا، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، كَمَثَلِ هَذَا الَّذِي بَسَطَ ذِرَاعَيْهِ إِلَىٰ الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَلَا يَبْلُغُ فَاهُ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَطَشًا..

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وَمَا دُعَاءُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مَا يَدْعُو مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ..

﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤] إِلَّا فِي غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَلَا هُدًىٰ؛ لِأَنَّهُ يُشْرِكُ بِاللهِ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فَإِنِ امْتَنَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ للهِ شُرَكَاءَ مِنْ إِفْرَادِ الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، فَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..

﴿طَوْعًا﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ..

﴿وَكَرْهًا﴾ فَأَمَّا الْكَافِرُونَ بِهِ فَإِنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ كَرْهًا، حِينَ يُكْرَهُونَ عَلَىٰ السُّجُودِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَسْجُدُ طَائِعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْجُدُ كَارِهًا..

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ وَيَسْجُدُ أَيْضًا ظِلَالُ كُلِّ مَنْ سَجَدَ للهِ طَوْعًا وَكَرْهًا..

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ١٥﴾ [الرعد: ١٥] بِالْغَدَوَاتِ وَالْعَشَايَا، وَذَلِكَ أَنَّ ظِلَّ كُلِّ شَخْصٍ فَإِنَّهُ يَفِيءُ بِالْعَشِيِّ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨].. وَالْآصَالُ: جَمْعُ أُصُلٍ، وَالْأُصُلُ: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَالْأَصِيلُ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمُدَبِّرُهَا، فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ اللهُ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: اللهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: رَبُّهَا الَّذِي خَلَقَهَا وَأَنْشَأَهَا، هُوَ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: فَإِذَا أَجَابُوكَ بِذَلِكَ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا﴾ أَوْلِيَاءَ لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا تَجْلِبُهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا..

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تَدْفَعُهُ عَنْهَا، وَهِيَ إِذْ لَمْ تَمْلِكْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهَا، فَمِنْ مِلْكِهِ لِغَيْرِهَا أَبْعَدُ، فعَبَدْتُمُوهَا وَتَرَكْتُمْ عِبَادَةَ مَنْ بِيَدِهِ النَّفْعُ، وَالضَّرُّ، وَالْحَيَاةُ، وَالْمَوْتُ، وَتَدْبِيرُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَثَلًا، فَقَالَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعُهُمْ وَضَرُّهُمْ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ..

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَلَا يَهْتَدِي لِمَحَجَّةٍ يَسْلُكُهَا إِلَّا بِأَنْ يُهْدَىٰ..

﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الَّذِي يَهْدِي الأَعْمَىٰ لِمَحَجَّةِ الطَّرِيقِ الَّذِي لَا يُبْصِرُ؟ إِنَّهُمَا لَا شَكَّ لَغَيْرُ مُسْتَوِيَيْنِ يَقُولُ: فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُبْصِرُ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُهُ، وَيَعْرِفُ الْهُدَىٰ فَيَسْلُكُهُ؛ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا تَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا تُبْصِرُونَ رُشْدًا..

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ وَهَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ الَّتِي لَا تُرَىٰ فِيهَا الْمَحَجَّةُ فَتُسْلَكُ وَلَا يُرَىٰ فِيهَا السَّبِيلُ فَيُرْكَبُ..

﴿وَٱلنُّورُ﴾ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ الْأَشْيَاءَ وَيَجْلُو ضَوْءُهُ الظَّلَامَ؟ يَقُولُ: إِنَّ هَذَيْنِ لَا شَكَّ لَغَيْرُ مُسْتَوِيَيْنِ، فَكَذَلِكَ الْكُفْرُ بِاللهِ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي حِيرَةٍ يَضْرِبُ أَبَدًا فِي غَمْرَةٍ لَا يَرْجِعُ مِنْهُ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ، وَالْإِيمَانُ بِاللهِ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي ضِيَاءٍ يَعْمَلُ عَلَىٰ عِلْمٍ بِرَبِّهِ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِأَنَّ لَهُ مُثِيبًا يُثِيبُهُ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَمُعَاقِبًا يُعَاقِبُهُ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، وَرَازِقًا يَرْزُقُهُ، وَنَافِعًا يَنْفَعُهُ..

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَخَلَقَ أَوْثَانُكُمُ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ كَخَلْقِ اللهِ، فَاشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهَا فِيمَا خَلَقَتْ وَخَلَقَ اللهُ، فَجَعَلْتُمُوهَا لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، أَمْ إِنَّمَا بِكُمُ الْجَهْلُ وَالذَّهَابُ عَنِ الصَّوَابِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَشْكِلُ عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ أَنَّ عِبَادَةَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ مِنَ الْفِعْلِ جَهْلٌ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا تَصْلُحُ لِلَّذِي يُرْجَىٰ نَفْعُهُ، وَيُخْشَىٰ ضَرُّهُ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُشْكِلٍ خَطَؤُهُ وَجَهْلُ فَاعِلِهِ، كَذَلِكَ لَا يُشْكِلُ جَهْلُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ وَيَكْفُلُهُ وَيَمُونُهُ، عِبَادَةَ مَنْ لَا يَقْدِرُ لَهُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ..

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَقَرُّوا لَكَ أَنَّ أَوْثَانَهُمُ الَّتِي أَشْرَكُوهَا فِي عِبَادَةِ اللهِ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، فَـ..

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ اللهُ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ أَوْثَانِكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا وَجْهُ إِشْرَاكِكُمْ مَا لَا تَخْلُقُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الْفَرْدُ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ..

﴿ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦] الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهَةَ وَالْعِبَادَةَ، لَا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ وَالْكُفْرِ، فَمَثَلُ الْحَقِّ

فِي ثَبَاتِهِ وَالْبَاطِلِ فِي اضْمِحْلَالِهِ مَثَلُ مَاءٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ فَاحْتَمَلَتْهُ الْأَوْدِيَةُ بِمِلْئِهَا، الْكَبِيرُ بِكِبَرِهِ، وَالصَّغِيرُ بِصِغَرِهِ..

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ الَّذِي حَدَثَ عَنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ زَبَدًا عَالِيًا فَوْقَ السَّيْلِ، فَهَذَا أَحَدُ مَثَلَي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَالْحَقُّ هُوَ الْمَاءُ الْبَاقِي الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالزَّبَدُ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ بِهِ هُوَ الْبَاطِلُ..

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ وَالْمَثَلُ الْآخَرُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَثَلُ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ يُوقِدُ عَلَيْهَا النَّاسُ فِي النَّارِ..

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ طَلَبَ حِلْيَةٍ يَتَّخِذُونَهَا..

﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ وَذَلِكَ مِنَ النُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ، يُوقَدُ عَلَيْهِ لِيُتَّخَذَ مِنْهُ مَتَاعٌ يُنْتَفَعُ بِهِ..

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ زَبَدٌ مِثْلُهُ، بِمَعْنَىٰ: مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ، لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيَذْهَبُ بَاطِلًا، كَمَا لَا يُنْتَفَعُ بِزَبَدِ السَّيْلِ وَيَذْهَبُ بَاطِلًا، فَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ زَبَدٌ مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ فِي بِطُولِ زَبَدِهِ، وَبَقَاءِ خَالِصِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا مَثَّلَ اللهُ الْإِيمَانَ وَالْكُفْرَ فِي بِطُولِ الْكُفْرِ وَخَيْبَةِ صَاحِبِهِ عِنْدَ مُجَازَاةِ اللهِ بِالْبَاقِي النَّافِعِ مِنْ مَاءِ السَّيْلِ وَخَالِصِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، كَذَلِكَ..

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ يُمَثِّلُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ الَّذِي عَلَا السَّيْلَ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالرَّصَاصُ عِنْدَ الْوَقُودِ عَلَيْهَا..

﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ بِدَفْعِ الرِّيَاحِ، وَقَذْفِ الْمَاءِ بِهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِالْأَشْجَارِ وَجَوَانِبِ الْوَادِي..

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ الْمَاءِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالرَّصَاصِ وَالنُّحَاسِ..

﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَالْمَاءُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ فَتَشْرَبُهُ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ تَمْكُثُ لِلنَّاسِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا مَثَّلَ هَذَا الْمَثَلَ لِلْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ..

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝١٧﴾ [الرعد: ١٧] كَذَلِكَ يُمَثِّلُ الْأَمْثَالَ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٨﴾ [الرعد: ١٨].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ فَآمَنُوا بِهِ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ، وَأَطَاعُوهُ فَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنَّ لَهُمْ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ وَهِيَ الْجَنَّةُ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَلَمْ يُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رَسُولَهُ فَيُصَدِّقُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَـ..

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ مِلْكًا لَهُمْ، ثُمَّ مِثْلُ ذَلِكَ، وَقُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَدَلًا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَعِوَضًا..

﴿لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا للهِ..

﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ كُلِّهَا، فَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ يُعَذِّبُهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا..

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وَمَسْكَنُهُمُ الَّذِي يَسْكُنُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٨﴾ [الرعد: ١٨] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْوِطَاءُ جَهَنَّمُ، الَّتِي هِيَ مَأْوَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد: ١٩].

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ أَهَذَا الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ حَقٌّ، فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُصَدِّقُ وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهِ..

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ كَالَّذِي هُوَ أَعْمَىٰ فَلَا يَعْرِفُ مَوْقِعَ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِ بِهِ وَلَا يَعْلَمُ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد: ١٩] إِنَّمَا يَتَّعِظُ بِآيَاتِ اللهِ، وَيَعْتَبِرُ بِهَا ذَوُو الْعُقُولِ، وَهِيَ الْأَلْبَابُ، وَاحِدُهَا: لُبٌّ.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرعد: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّمَا يَتَّعِظُ وَيَعْتَبِرُ بِآيَاتِ اللهِ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِوَصِيَّةِ اللهِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ..

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرعد: ٢٠] وَلَا يُخَالِفُونَ الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ خِلَافِهِ، فَيَعْمَلُوا بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَيُخَالِفُوا إِلَىٰ مَا نَهَىٰ عَنْهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**فَعَلَيْكُمْ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَلَا تَنْقُضُوا هَذَا الْمِيثَاقَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ نَهَىٰ وَقَدَّمَ فِيهِ أَشَدَّ التَّقْدِمَةِ، فَذَكَرَهُ فِي بِضْعٍ وَعِشْرِينَ**

مَوْضِعًا، نَصِيحَةً لَكُمْ وَتَقْدِمَةً إِلَيْكُمْ وَحُجَّةً عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا يَعْظُمُ الأَمْرُ بِمَا عَظَّمَهُ اللهُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، فَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللهُ).

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد: ٢١].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا فَلَا يَقْطَعُونَهَا..

﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ وَيَخَافُونَ اللهَ فِي قَطْعِهَا أَنْ يَقْطَعُوهَا، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ قَطْعِهَا وَعَلَىٰ خِلَافِهِمْ أَمْرِهِ فِيهَا..

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد: ٢١] وَيَحْذَرُونَ مُنَاقَشَةَ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْحِسَابِ، ثُمَّ لَا يَصْفَحُ لَهُمْ عَنْ ذَنْبٍ، فَهُمْ لِرَهْبَتِهِمْ ذَلِكَ جَادُّونَ فِي طَاعَتِهِ، مُحَافِظُونَ عَلَىٰ حُدُودِهِ.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي: (سُوءُ الْحِسَابِ أَنْ يُحَاسَبَ مَنْ لا يَغْفِرُ لَهُ، يُحَاسَبُ الْعَبْدُ بِذَنْبِهِ كُلِّهِ، لا يُغْفَرُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ).

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد: ٢٢].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ وَتَرْكِ نَقْضِ الْمِيثَاقِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (فَصَبْرٌ للهِ عَلَىٰ مَا أَحَبَّ وَإِنْ ثَقُلَ عَلَىٰ الأَنْفُسِ وَالأَبْدَانِ، وَصَبْرٌ عَمَّا يَكْرَهُ وَإِنْ نَازَعَتْ إِلَيْهِ الأَهْوَاءُ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَقَرَأَ: ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾)..

﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ طَلَبَ تَعْظِيمِ اللهِ، وَتَنْزِيهًا لَهُ أَنْ يُخَالِفَ فِي أَمْرِهِ، أَوْ يَأْتِيَ أَمْرًا كَرِهَ إِتْيَانَهُ فَيَعْصِيهِ بِهِ..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأَدَّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ وَأَدَّوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ زَكَاتَهَا الْمَفْرُوضَةَ، وَأَنْفَقُوا مِنْهَا فِي السُّبُلِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِالنَّفَقَةِ فِيهَا، سِرًّا فِي خَفَاءٍ، وَعَلَانِيَةً فِي الظَّاهِرِ..

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وَيَدْفَعُونَ إِسَاءَةَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ، بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد: ٢٢] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ هُمُ الَّذِينَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ، يَقُولُ: هُمُ الَّذِينَ أَعْقَبَهُمُ اللهُ دَارَ الْجِنَانِ مِنْ دَارِهِمِ الَّتِي لَوْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ كَانَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَعْقَبَهُمُ اللهُ مِنْ تِلْكَ هَذِهِ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ تَرْجَمَةٌ عَنْ عُقْبَىٰ الدَّارِ، كَمَا يُقَالُ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، فَعَبْدُ اللهِ هُوَ الرَّجُلُ الْمَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: أُولَئِكَ لَهُمْ عَقِيبَ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمُ الدَّارُ الَّتِي هِيَ جَنَّاتُ عَدْنٍ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَدۡنٖ﴾، وَأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْإِقَامَةِ الَّتِي لَا ظَعْنَ مَعَهَا..

﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَفَعَلُوا الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَزْوَاجِهِمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَصَلَاحُهُمْ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ، وَاتِّبَاعُهُمْ أَمْرَهُ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم﴾ وَتَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: ٢٣] مِنْهَا، يَقُولُونَ لَهُمْ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكُمْ فِي الدُّنْيَا.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(صَبَرُوا عَمَّا كَرِهَ اللهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِمْ وَأَحَبَّهُ اللهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ)**..

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤] وَذُكِرَ أَنَّ لِجَنَّاتِ عَدْنٍ خَمْسَةَ آلَافِ بَابٍ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: **(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا يُقَالُ لَهُ عَدْنٌ، حَوْلَهُ الْبُرُوجُ وَالْمُرُوجُ، فِيهِ خَمْسَةُ آلَافِ بَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ خَمْسَةُ آلَافِ حِبَرَةٍ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ)**.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ.. وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ: خِلَافُهُمْ أَمْرَ اللهِ، وَعَمَلُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا وَثَّقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ للهِ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِمْ..

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَيَقْطَعُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا..

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَسَادُهُمْ فِيهَا: عَمَلُهُمْ بِمَعَاصِي اللهِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ اللَّعْنَةُ، وَهِيَ الْبُعْدُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَالْإِقْصَاءُ مِنْ جِنَانِهِ..

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] وَلَهُمْ مَا يَسُوءُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.. وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: (سَأَلْتُ أَبِي عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤] أَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنَّ الْحَرُورِيَّةَ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾، فَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ).

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ اللهُ يُوَسِّعُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فِي رِزْقِهِ، فَيَبْسُطُ لَهُ مِنْهُ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ذَلِكَ..

﴿وَيَقْدِرُ﴾ وَيَقْتُرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فِي رِزْقِهِ وَعَيْشِهِ، فَيُضَيِّقُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْإِقْتَارُ..

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَفَرِحَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَسَطَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّزْقِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا بَسَطَ لَهُمْ فِيهَا، وَجَهِلُوا مَا عِنْدَ اللهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قَدْرِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا فِيمَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ قِلَّتَهُ، فَقَالَ..

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦] وَمَا جَمِيعُ مَا أَعْطَىٰ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّعَةِ، وَبَسَطَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَشَيْءٌ حَقِيرٌ ذَاهِبٌ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ [الرعد: ٢٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَيَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ، إِمَّا مَلَكٌ يَكُونُ مَعَكَ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ كَنْزٌ، فَـ..

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مِنْكُمْ مَنْ يَشَاءُ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَيَخْذُلُهُ عَنْ تَصْدِيقِي وَالْإِيمَانِ بِمَا جِئْتُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي..

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] فَرَجَعَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَيُوَفِّقُهُ لِاتِّبَاعِي وَتَصْدِيقِي بِهِ عَلَىٰ مَا جِئْتُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَلَيْسَ ضَلَالُ مَنْ يَضِلَّ مِنْكُمْ بِأَنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ آيَةٌ مِنْ رَبِّي، وَلَا هِدَايَةُ مَنْ يَهْتَدِي مِنْكُمْ بِأَنَّهَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ فَلَا يُؤْمِنُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ بِالتَّوْبَةِ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وَتَسْكُنُ قُلُوبُهُمْ وَتَسْتَأْنِسُ بِذِكْرِ اللهِ..

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَسْكُنُ وَتَسْتَأْنِسُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نِعْمَ مَا لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ غِبْطَةٌ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: فَرَحٌ وَقُرَّةُ عَيْنٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: حُسْنَىٰ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: خَيْرٌ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَنَّةِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: الْجَنَّةُ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩] وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِىٓ أُمَّةٍ﴾ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، يَعْنِي إِلَىٰ جَمَاعَةٍ..

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا جَمَاعَاتٌ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، فَمَضَتْ..

﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لِتُبَلِّغَهُمْ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِي الَّذِي أَوْحَيْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وَهُمْ يَجْحَدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَيُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ إِنْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ بِالرَّحْمَنِ فَقُلْ: أَنْتَ اللهُ رَبِّي..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: ٣٠] وَإِلَيْهِ مَرْجِعِي وَأَوْبَتِي، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: تُبْتُ مَتَابًا وَتَوْبَةً.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد: ٣١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ سِوَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ كَانَ..

﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ لَسُيِّرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ لَقُطِّعَتْ بِهَذَا..

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لَكُلِّمَ بِهَذَا، وَلَوْ يُفْعَلُ بِقُرْآنٍ قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ لَفُعِلَ بِهَذَا..

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ فَيُوَفِّقُهُ لَهُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ..

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِذْ طَمِعُوا فِي إِجَابَتِي مَنْ سَأَلَ نَبِيَّهُمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ عَنْهُمْ وَتَقْرِيبِ أَرْضِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ وَإِحْيَاءِ مَوْتَاهُمْ..

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِيجَادِ آيَةٍ وَلَا إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِمَّا سَأَلُوا إِحْدَاثَهُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَمَا مَعْنَىٰ مَحَبَّتِهِمْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْهِدَايَةَ وَالْإِهْلَاكَ إِلَيَّ وَبِيَدِي، أَنْزَلْتُ آيَةً أَوْ لَمْ أُنْزِلْهَا، أَهْدِي مَنْ أَشَاءُ بِغَيْرِ إِنْزَالِ آيَةٍ، وَأُضِلُّ مَنْ أَرَدْتُ مَعَ إِنْزَالِهَا..

﴿وَلَا يَزَالُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَإِخْرَاجِهِمْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿قَارِعَةٌ﴾ وَهِيَ مَا يُقْرِعُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ وَالنِّقَمِ، بِالْقَتْلِ أَحْيَانًا، وَبِالْحُرُوبِ أَحْيَانًا، وَالْقَحْطِ أَحْيَانًا..

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ وتَنْزِلُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ بِجَيْشِكَ وَأَصْحَابِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ فِيهِمْ، وَذَلِكَ ظُهُورُكَ عَلَيْهِمْ، وَفَتْحُكَ أَرْضَهُمْ، وَقَهْرُكَ إِيَّاهُمْ بِالسَّيْفِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد: ٣١] إِنَّ اللهَ مُنْجِزُكَ يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدَكَ مِنَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢﴾ [الرعد: ٣٢].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ يَسْتَهْزِئْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، وَيَطْلُبُوا مِنْكَ الْآيَاتِ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَاصْبِرْ عَلَىٰ أَذَاهُمْ لَكَ، وَامْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ فِي إِعْذَارِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَلَقَدِ اسْتَهْزَأَتْ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكَ قَدْ خَلَتْ فَمَضَتْ بِرُسُلِي..

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فَأَطَلْتُ لَهُمْ فِي الْمَهَلِ، وَمَدَدْتُ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ.. وَالْإِمْلَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِطَالَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: تَمَلَّيْتُ حِينًا، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ: (الْمَلَوَانِ) لِطُولِهِمَا..

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمْ عَذَابِي وَنِقْمَتِي حِينَ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ..

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢﴾ [الرعد: ٣٢] فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابِي إِيَّاهُمْ حِينَ عَاقَبْتُهُمْ، أَلَمْ أُذِقْهُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ، وَأَجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [الرعد: ٣٣].

﴿أَفَمَنْ هُوَ﴾ أَفَالرَّبُّ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ لَا يَبِيدُ وَلَا يَهْلِكُ..

﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ قَائِمٌ بِحِفْظِ أَرْزَاقِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، مُتَضَمِّنٌ لَهَا، عَالِمٌ بِهِمْ وَبِمَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ أَيْنَمَا كَانُوا، كَمَنْ هُوَ هَالِكٌ بَائِدٌ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَفْهَمُ شَيْئًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا عَمَّنْ يَعْبُدُهُ ضَرًّا، وَلَا يَجْلِبُ إِلَيْهِمَا نَفْعًا؟ كِلَاهُمَا سَوَاءٌ؟ وَحُذِفَ الْجَوَابُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يُقَلْ، وَقَدْ قِيلَ ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾

كَكَذَا وَكَذَا، اكْتِفَاءً بِعِلْمِ السَّامِعِ بِمَا ذُكِرَ عَمَّا تُرِكَ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ عُلِمَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ كَشُرَكَائِهِمُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا آلِهَةً..

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَنَا الْقَائِمُ بِأَرْزَاقِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ، وَالْحَافِظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَجَعَلُوا لِي شُرَكَاءَ مِنْ خَلْقِي يَعْبُدُونَهَا دُونِي، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: سَمُّوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكْتُمُوهُمْ فِي عِبَادَةِ اللهِ..

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَتُخْبِرُونَهُ بِأَنَّ فِي الْأَرْضِ إِلَهًا، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ..

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ قَالُوا آلِهَةً فَقَدْ كَذَبُوا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ مَا للهِ مِنْ شَرِيكٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ زُيِّنَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا مَكْرُهُمْ، وَذَلِكَ افْتِرَاؤُهُمْ وَكَذِبُهُمْ عَلَىٰ اللهِ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: (مَعْنَىٰ الْمَكْرُ هَهُنَا: الْقَوْلُ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَوْلُهُمْ بِالشِّرْكِ بِاللهِ)..

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فَإِنَّ الْقُرَّاءَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الرعد: ٣٣] بِضَمِّ الصَّادِ، بِمَعْنَىٰ: وَصَدَّهُمُ اللهُ عَنْ سَبِيلِهِ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، ثُمَّ جُعِلَتِ الصَّادُ مَضْمُومَةً، إِذْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَأَمَّا عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ، فَقَرَءُوهُ بِفَتْحِ الصَّادِ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ صَدُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ كَانُوا مَصْدُودِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦]..

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ بِخُذْلَانِهِ إِيَّاهُ، فَمَا لَهُ أَحَدٌ يَهْدِيهِ لِإِصَابَتِهِمَا، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ وَمَعُونَتِهِ، وَذَلِكَ بِيَدِ اللهِ وَإِلَيْهِ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد: ٣٤].

﴿لَّهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْإِسَارِ وَالْآفَاتِ الَّتِي يُصِيبُهُمُ اللهُ بِهَا..

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ وَلَتَعْذِيبُ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ تَعْذِيبِهِ إِيَّاهُمْ فِي

الدُّنْيَا وَأَشَقُّ..

﴿وَمَا لَهُم﴾ وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ أَحَدٍ يَقِيهِمْ..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَذَّبَهُمْ..

﴿مِن وَاقٍ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٤] لَا حَمِيمٌ وَلَا وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا يُعَادِهِ أَحَدٌ فَيَقْهَرَهُ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ عَذَابِهِ بِالْقَهْرِ، وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَيْسَ يَأْذَنُ لِأَحَدٍ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ فَمَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْهُ.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد: ٣٥].

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، مَعْنَاهُ: وَللهِ الصِّفَةُ الْعُلْيَا..

﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا﴾ مَا يُؤْكَلُ فِيهَا..

﴿دَآئِمٌ﴾ هُوَ دَائِمٌ لِأَهْلِهَا، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ، وَلَكِنَّهُ ثَابِتٌ إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ..

﴿وَظِلُّهَا ۚ﴾ أَيْضًا دَائِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَمْسَ فِيهَا.

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ﴾ عَاقِبَةَ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ، فَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيهِ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ..

﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد: ٣٥] وَعَاقِبَةُ الْكَافِرِينَ بِاللهِ النَّارُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَالَّذِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكِتَابَ مِمَّنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ﴾ مِنْهُ..

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُتَحَزِّبِينَ عَلَيْكَ، وَهُمْ أَهْلُ أَدْيَانٍ شَتَّىٰ..

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ﴾ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ..

﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ فَأَجْعَلَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِي، فَأَعْبُدُ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، بَلْ أُخْلِصُ لَهُ الدِّينَ حَنِيفًا مُسْلِمًا..

﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ أَدْعُو النَّاسَ..

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد: ٣٦] وَإِلَيْهِ مَصِيرِي، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: آبَ يَئُوبُ أَوْبًا وَمَآبًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧﴾ [الرعد: ٣٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْكَرَهُ بَعْضُ الْأَحْزَابِ، كَذَلِكَ أَيْضًا..

﴿أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أَنْزَلْنَا الْحُكْمَ وَالدِّينَ حُكْمًا عَرَبِيًّا، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَرَبِيًّا، وَوَصَفَهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ عَرَبِيٌّ، فَنُسِبَ الدِّينُ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ عَلَيْهِ أُنْزِلَ، فَكَذَّبَ بِهِ الْأَحْزَابُ، ثُمَّ نَهَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ تَرْكِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَاتِّبَاعِ الْأَحْزَابِ، وَتَهَدَّدَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِنْ فَعَلَهُ، فَقَالَ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْوَآءَهُم﴾ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابِ وَرِضَاهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ، وَانْتَقَلْتَ مِنْ دِينِكَ إِلَىٰ دِينِهِمْ..

﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ﴾ مَا لَكَ مَنْ يَقِيكَ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ عَذَّبَكَ عَلَىٰ اتِّبَاعِكَ أَهْوَاءَهُمْ..

﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧﴾ [الرعد: ٣٧] وَمَا لَكَ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكَ فَيَسْتَنْقِذَكَ مِنَ اللهِ إِنْ هُوَ عَاقَبَكَ، يَقُولُ: فَاحْذَرْ أَنْ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ إِلَىٰ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِكَ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ بَشَرًا مِثْلَكَ، لَهُمْ أَزْوَاجٌ يَنْكِحُونَ..

﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أَنْسَلُوهُمْ، وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلَائِكَةً لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْكِحُونَ، فَنَجْعَلُ الرَّسُولَ إِلَىٰ قَوْمِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِثْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مَنْ

قَبْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ بَشَرًا مِثْلَهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ وَمَا يَقْدِرُ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ..

﴿أَن يَأْتِيَ﴾ أُمَّتَهُ..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ وَعَلَامَةٍ، مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ، وَنَقْلِ بَلْدَةٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ الْجِبَالَ بِالسَّيْرِ، وَالْأَرْضَ بِالِانْتِقَالِ، وَالْمَيِّتَ بِأَنْ يَحْيَا..

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨] لِكُلِّ أَجَلٍ أَمْرٌ قَضَاهُ اللهُ كِتَابٌ قَدْ كَتَبَهُ، فَهُوَ عِنْدَهُ، وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَجَلٌ، وَهَذَا عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ يَقْرَأُهَا: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ)، وَذَلِكَ أَنَّ سَكْرَةَ الْمَوْتِ تَأْتِي بِالْحَقِّ، وَالْحَقُّ يَأْتِي بِهَا، فَكَذَلِكَ الْأَجَلُ لَهُ كِتَابٌ، وَلِلْكِتَابِ أَجَلٌ.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ تَوَعَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْآيَاتِ بِالْعُقُوبَةِ وَتَهَدَّدَهُمْ بِهَا وَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨]، يُعْلِمُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ لِقَضَائِهِ فِيهِمْ أَجَلًا مُثْبَتًا فِي كِتَابٍ هُمْ مُؤَخَّرُونَ إِلَىٰ وَقْتِ مَجِيءِ ذَلِكَ الْأَجَلِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ يَجِيءُ اللهُ بِمَا شَاءَ مِمَّنْ قَدْ دَنَا أَجَلُهُ، وَانْقَطَعَ رِزْقُهُ، أَوْ حَانَ هَلَاكُهُ، أَوِ اتِّضَاعُهُ مِنْ رِفْعَةٍ، أَوْ هَلَاكِ مَالٍ، فَيَقْضِي ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ، فَذَلِكَ مَحْوُهُ..

﴿وَيُثْبِتُ﴾ مَا شَاءَ مِمَّنْ بَقِيَ أَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَأُكْلُهُ، فَيَتْرُكُهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يَمْحُوهُ..

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] وَعِنْدَهُ أَصْلُ الْكِتَابِ وَجُمْلَتُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ فَكَانَ بَيِّنًا أَنَّ مَعْنَاهُ: وَعِنْدَهُ أَصْلُ الْمُثْبَتِ مِنْهُ وَالْمَمْحُوِّ وَجُمْلَتُهُ، فِي كِتَابٍ لَدَيْهِ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

[الرعد: ٤٠].

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ..

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنَ الْعِقَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ نُرِيَكَ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكَ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَتَهُ، لَا طَلَبُ صَلَاحِهِمْ وَلَا فَسَادِهِمْ..

﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠] وَعَلَيْنَا مُحَاسَبَتُهُمْ فَمُجَازَاتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤١﴾ [الرعد: ٤١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بِظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَيْهَا، وَقَهْرِهِمْ أَهْلَهَا، أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَيَخَافُونَ ظُهُورَهُمْ عَلَىٰ أَرْضِهِمْ وَقَهْرَهُمْ إِيَّاهُمْ؟ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَوَعَّدَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَهُ الْآيَاتِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠]، ثُمَّ وَبَّخَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِسُوءِ اعْتِبَارِهِمْ مَا يُعَايِنُونَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْأَلُونَ الْآيَاتِ، فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بِقَهْرِ أَهْلِهَا، وَالْغَلَبَةِ عَلَيْهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَجَوَانِبِهَا، وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهُ﴾ هُوَ الَّذِي..

﴿يَحْكُمُ﴾ فَيُنَفِّذُ حُكْمَهُ، وَيَقْضِي فَيَمْضِي قَضَاؤُهُ، وَإِذَا جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حُكْمُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا رَدَّهُ..

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَالْمُعَقِّبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الَّذِي يَكُرُّ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤١﴾ [الرعد: ٤١] يُحْصِي أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ جَزَائِهِمْ عَلَيْهَا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٤٢﴾ [الرعد: ٤٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَفَتْ بِأَنْبِيَاءَ اللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾ فَلِلهِ أَسْبَابُ الْمَكْرِ جَمِيعًا، وَبِيَدِهِ وَإِلَيْهِ، لَا يَضُرُّ مَكْرُ مَنْ مَكَرَ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ ضُرَّهُ بِهِ، يَقُولُ: فَلَمْ يَضُرَّ الْمَاكِرُونَ بِمَكْرِهِمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ضَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَسْخَطُوا رَبَّهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمْ وَنَجَّىٰ رُسُلَهُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ يَمْكُرُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَاللهُ مُنْجِيكَ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَمُلْحِقٌ ضَرَّ مَكْرِهِمْ بِهِمْ دُونَكَ..

﴿يَعْلَمُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾ مَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، وَمَا يَسْعَوْنَ فِيهِ مِنَ الْمَكْرِ بِكَ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا..

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ وَسَيَعْلَمُونَ إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد: ٤٢] لِمَنْ عَاقِبَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ حِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْجَنَّةَ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلٗاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَسْتَ مُرْسَلٗاۚ﴾ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لَكَ، وَجُحُودًا لِنُبُوَّتِكَ، فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ إِذَا قَالُوا ذَلِكَ..

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ..

﴿شَهِيدَۢا﴾ شَاهِدًا..

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِصِدْقِي وَكَذِبِكُمْ..

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ وَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ..

﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣] الْكُتُبُ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ وَيُقِرُّونَ بِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ).**

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرَّعْدِ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ (١٤)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ [إبراهيم: ١].

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ لِتَهْدِيهِمْ بِهِ.. وَأَضَافَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِخْرَاجَ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ لَهُمْ بِذَلِكَ، إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَهُوَ الْهَادِي خَلْقَهُ وَالْمُوَفِّقُ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ؛ إِذْ كَانَ مِنْهُ دُعَاؤُهُمْ إِلَيْهِ، وَتَعْرِيفُهُمْ مَا لَهُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِمْ، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ صِحَّةَ قَوْلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ الَّذِينَ أَضَافُوا أَفْعَالَ الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَسْبًا، وَإِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنْشَاءً وَتَدْبِيرًا، وَفَسَادُ قَوْلِ أَهْلِ الْقَدَرِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ للهِ فِي ذَلِكَ صُنْعٌ..

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مِنْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ..

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إِلَىٰ نُورِ الْإِيمَانِ وَضِيَائِهِ، وَتُبَصِّرُ بِهِ أَهْلَ الْجَهْلِ وَالْعَمَىٰ سُبُلَ الرَّشَادِ وَالْهُدَىٰ..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بِتَوْفِيقِ رَبِّهِمْ لَهُمْ بِذَلِكَ وَلُطْفِهِ بِهِمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ [إبراهيم: ١] إِلَىٰ طَرِيقِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَشَرَعَهُ لِخَلْقِهِ.. وَالْحَمِيدُ: الْمَحْمُودُ بِآلَائِهِ.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ②﴾ [إبراهيم: ٢].

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ اللهُ الَّذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ لِتَدْعُوَ عِبَادِي إِلَىٰ عِبَادَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَيَدَعُوا عِبَادَةَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، ثُمَّ تَوَعَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ

كَفَرَ بِهِ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَاءِ رَسُولِهِ إِلَىٰ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، فَقَالَ..

﴿وَوَيْلٌ﴾ الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ..

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لِمَنْ جَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ..

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم: ٢] مِنْ عَذَابِ اللهِ الشَّدِيدِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ..

﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وَمَتَاعَهَا، وَمَعَاصِي اللهِ فِيهَا..

﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ رِضَاهُ، مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ﴾ وَيَمْنَعُونَ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ..

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ وَيَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ اللهِ، وَهِيَ دِينُهُ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ..

﴿عِوَجًاۚ﴾ تَحْرِيفًا وَتَبْدِيلًا بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ..

﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٣] هُمْ فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ بَعِيدٍ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِكَ وَمِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ..

﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ إِلَّا بِلِسَانِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهَا وَلُغَتِهِمْ..

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ لِيُفْهِمَهُمْ مَا أَرْسَلَهُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيُثْبِتَ حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ بِيَدِ اللهِ..

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ فَيَخْذِلَ عَنْ قَبُولِ مَا أَتَاهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ..

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وَيُوَفِّقُ لِقَبُولِهِ مَنْ شَاءَ..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ مِمَّا أَرَادَهُ مِنْ ضَلَالٍ أَوْ هِدَايَةِ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ④﴾ [إبراهيم: ٤] فِي تَوْفِيقِهِ لِلْإِيمَانِ مَنْ وَفَّقَهُ لَهُ وَهِدَايَتُهُ لَهُ مَنْ هَدَاهُ إِلَيْهِ، وَفِي إِضْلَالِهِ مَنْ أَضَلَّ عَنْهُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ⑤﴾ [إبراهيم: ٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بِأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ قَوْمِكَ بِمِثْلِهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ..

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ، لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ..

﴿وَذَكِّرْهُم﴾ وَعِظْهُمْ..

﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بِمَا سَلَفَ مِنْ نِعَمِي عَلَيْهِمْ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَتْ، فَاجْتُزِئَ بِذِكْرِ الْأَيَّامِ مِنْ ذِكْرِ النِّعَمِ الَّتِي عَنَاهَا؛ لِأَنَّهَا أَيَّامٌ كَانَتْ مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُمْ، أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا نِعَمًا جَلِيلَةً، أَنْقَذَهُمْ فِيهَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ مَا كَانُوا فِيمَا كَانُوا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَغَرَّقَ عَدُوَّهُمْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي سَلَفَتْ بِنِعَمِي عَلَيْهِمْ، يَعْنِي عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ..

﴿لَـَٔايَٰتٍ﴾ لَعِبَرًا وَمَوَاعِظَ..

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ⑤﴾ [إبراهيم: ٥] لِكُلِّ ذِي صَبْرٍ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَشُكْرٍ لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ⑥﴾ [إبراهيم: ٦].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ..

﴿إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ حِينَ أَنْجَاكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِ فِرْعَوْنَ وَطَاعَتِهِ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يُذِيقُونَكُمْ شَدِيدَ الْعَذَابِ..

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أُدْخِلَتِ الْوَاوُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ الْخَبَرُ عَنْ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ غَيْرِ التَّذْبِيحِ وَبِالتَّذْبِيحِ، وَأَمَّا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِغَيْرِ الْوَاوِ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، فِي مَوْضِعٍ، وَفِي مَوْضِعٍ: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وَلَمْ تَدْخُلِ الْوَاوُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْ فِيهَا لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِقَوْلِهِ: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وَبِقَوْلِهِ: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ تَبْيِينُهُ صِفَاتِ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَسُومُونَهُمْ، وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ فِي كُلِّ جُمْلَةٍ أُرِيدَ تَفْصِيلُهَا فَبِغَيْرِ (الْوَاوِ) تَفْصِيلُهَا، وَإِذَا أُرِيدَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِغَيْرِهَا وَغَيْرِ تَفْصِيلِهَا فَبِـ(الْوَاوُ)..

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ وَيُبْقُونَ نِسَاءَكُمْ فَيَتْرُكُونَ قَتْلَهُنَّ، وَذَلِكَ اسْتِحْيَاؤُهُمْ كَانَ إِيَّاهُنَّ..

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ وَفِيمَا يَصْنَعُ بِكُمْ آلُ فِرْعَوْنَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ..

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ⑥﴾ [إبراهيم: ٦] ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَلَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَعْمَاءَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي قَدْ يُصِيبُ النَّاسَ فِي الشَّدَائِدِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ⑦﴾
[إبراهيم: ٧].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرُوا أَيْضًا حِينَ..

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ آذَنَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فِي أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، عَلَىٰ مَا قَدْ أَعْطَاكُمْ مِنَ النَّجَاةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَالْخَلَاصِ مِنْ عَذَابِهِمْ..

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ نِعْمَةَ اللهِ، فَجَحَدْتُمُوهَا، بِتَرْكِ شُكْرِهِ عَلَيْهَا، وَخِلَافِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَرُكُوبِكُمْ مَعَاصِيهِ..

﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ⑦﴾ [إبراهيم: ٧] أُعَذِّبُكُمْ كَمَا أُعَذِّبُ مَنْ كَفَرَ بِي مِنْ خَلْقِي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾

[إبراهيم: ٨].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لِقَوْمِهِ..

﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿أَنتُمْ﴾ أَنْتُمْ، وَيَفْعَلُ فِي ذَلِكَ مِثْلَ فِعْلِكُمْ..

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عَنْكُمْ وَعَنْهُمْ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ شُكْرِكُمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عِنْدَ جَمِيعِكُمْ..

﴿حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم: ٨] ذُو حَمْدٍ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩﴾ [إبراهيم: ٩].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ خَبَرُ..

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي مَضَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ وَثَمُودَ..

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ وَلَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهُمْ إِلَّا اللهُ..

﴿جَآءَتْهُمْ﴾ جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ..

﴿رُسُلُهُم﴾ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهِمْ بِدُعَائِهِمْ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ، وَالدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَاتِ الظَّاهِرَاتِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ مُعْجِزَاتٍ..

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فَعَضُّوا عَلَيْهَا غَيْظًا عَلَىٰ الرُّسُلِ، كَمَا وَصَفَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ﴾ [آل عمران: ١١٩]، فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ وَالْمَعْنَىٰ الْمَفْهُومُ مِنْ رَدِّ الْيَدِ إِلَىٰ الْفَمِ، وَهُوَ قَوْلُ ابنِ مَسْعُودٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدٍ..

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لِرُسُلِهِمْ..

﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلَكُمْ بِهِ مَنْ أَرْسَلَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِنْ حَقِيقَةِ مَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿مُرِيبٍ ۝٩﴾ [إبراهيم: ٩] يُرِيبُنَا ذَلِكَ الشَّكُّ، أَيْ يُوجِبُ لَنَا الرِّيبَةَ وَالتُّهَمَةَ فِيهِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَرَابَ الرَّجُلُ: إِذَا أَتَىٰ بِرِيبَةٍ، يَرِيبُ إِرَابَةً.

﴿* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿* قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ قَالَتْ رُسُلُ الْأُمَمِ الَّتِي أَتَتْهَا رُسُلُهَا..

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أَفِي اللهِ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، شَكٌّ؟..

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فَيَسْتُرَ عَلَيْكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ بِالْعَفْوِ عَنْهَا، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ وَيُنْسِئُ فِي آجَالِكُمْ، فَلَا يُعَاقِبُكُمْ فِي الْعَاجِلِ فَيُهْلِكَكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُكُمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي كَتَبَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَنَّهُ يَقْبِضُكُمْ فِيهِ، وَهُوَ الْأَجَلُ الَّذِي سَمَّىٰ لَكُمْ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ فَقَالَتِ الْأُمَمُ لَهُمْ..

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فِي الصُّورَةِ وَالْهَيْئَةِ، وَلَسْتُمْ مَلَائِكَةً، وَإِنَّمَا..

﴿تُرِيدُونَ﴾ بِقَوْلِكُمْ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ لَنَا..

﴿أَن تَصُدُّونَا﴾ أَنْ تَصْرِفُونَا بِقَوْلِكُمْ..

﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ عَنْ عِبَادَةِ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ مِنَ الْأَوْثَانِ آبَاؤُنَا..

﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [إبراهيم: ١٠] فَأْتُونَا بِحُجَّةٍ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ تُبَيِّنُ لَنَا حَقِيقَتَهُ وَصِحَّتَهُ، فَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ مُحِقُّونَ.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ قَالَتْ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْهُمُ لَهُمْ..

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ صَدَقْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، فَمَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِنْسٌ مِثْلُكُمْ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَهْدِيهِ وَيُوَفِّقُهُ لِلْحَقِّ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَىٰ مَا نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ لَنَا بِذَلِكَ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١] وَبِاللهِ فَلْيَثِقْ بِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ، فَإِنَّا بِهِ نَثِقُ، وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الرُّسُلِ لِأُمَمِهَا: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ، فَنَثِقُ بِهِ وَبِكِفَايَتِهِ وَدِفَاعِهِ إِيَّاكُمْ عَنَّا..

﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ وَقَدْ بَصَّرَنَا طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِهِ، فَبَيَّنَ لَنَا..

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ فِي اللهِ وَعَلَىٰ مَا نَلْقَىٰ مِنْكُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ بِسَبَبِ دُعَائِنَا إِلَيْكُمْ إِلَىٰ مَا نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢] وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ مَنْ كَانَ بِهِ وَاثِقًا مِنْ خَلْقِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهِ كَافِرًا فَإِنَّ وَلِيَّهُ الشَّيْطَانَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: ١٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ حِينَ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَفِرَاقِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ مِنْ بِلَادِنَا، فَنَطْرُدُكُمْ عَنْهَا..

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إِلَّا أَنْ تَعُودُوا فِي دِينِنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ..

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣﴾ [إبراهيم: ١٣] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَوْجَبُوا لَهَا عِقَابَ اللهِ بِكُفْرِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُمُ الظَّالِمُونَ؛ لِعِبَادَتِهِمْ مَنْ لَا تَجُوزُ عِبَادَتُهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ، فَيَكُونُ بِوَضْعِهِمُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا إِذْ كَانَ ظُلْمًا سُمُّوا بِذَلِكَ ظَالِمِينَ.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾

[إبراهيم: ١٤].

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ مَنْ وَعَدَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ النَّصْرَ عَلَىٰ الْكَفَرَةِ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، يَقُولُ: لَمَّا تَمَادَتْ أُمَمُ الرُّسُلِ فِي الْكُفْرِ، وَتَوَعَّدُوا رُسُلَهُمْ بِالْوُقُوعِ بِهِمْ، أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ مِنْ أُمَمِهِمْ، وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ اللهِ وَعِيدًا وَتَهْدِيدًا لِمُشْرِكِي قَوْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، وَتَثْبِيتًا لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، كَمَا صَبَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِهِ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِ مَنْ كَفَرَ بِهِ الْهَلَاكُ، وَعَاقِبَتَهُ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ [الأحزاب: ٣٨]..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا فِعْلِي..

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ لِمَنْ خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيَّ..

﴿وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم: ١٤] وَخَافَ وَعِيدِي، فَاتَّقَانِي بِطَاعَتِهِ وَتَجَنَّبَ سَخَطِي، أَنْصُرُهُ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا وَبَغَاهُ مَكْرُوهًا مِنْ أَعْدَائِي، أُهْلِكُ عَدُوَّهُ وَأُخْزِيهِ، وَأُورِّثُهُ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: ١٥].

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ وَاسْتَفْتَحَتِ الرُّسُلُ عَلَىٰ قَوْمِهَا، أَيِ اسْتَنْصَرَتِ اللهَ عَلَيْهَا..

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: ١٥] وَهَلَكَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ جَائِرٍ حَائِدٍ عَنِ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾ [إبراهيم: ١٦].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ مِنْ أَمَامِ كُلِّ جَبَّارٍ.. وَ(وَرَاء) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: يَعْنِي أَمَامَ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ الْمَوْتَ مِنْ وَرَائِكَ: أَيْ قُدَّامِكَ، وَقَوْلُهُ ﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف: ٧٩] مِنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ يَرِدُونَهَا..

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ الْمَاءَ وَمَا هُوَ، فَقَالَ: هُوَ..

﴿صَدِيدٖ ١٦﴾ [إبراهيم: ١٦] هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٧].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يَتَحَسَّاهُ..

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ وَلَا يَكَادُ يَزْدَرِدُهُ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِ، وَهُوَ يُسِيغُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ.. وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ (لا يَكَادُ) فِيمَا قَدْ فُعِلَ، وَفِيمَا لَمْ يُفْعَلْ، فَأَمَّا مَا قَدْ فُعِلَ فَمِنْهُ هَذَا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ شَرَابًا، وَأَمَّا مَا لَمْ يُفْعَلْ وَقَدْ دَخَلَتْ فِيهِ (كَادَ) فَقَوْلُهُ: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ النور: ٤٠] فَهُوَ لَا يَرَاهَا..

﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَمِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ..

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾ لِأَنَّهُ لَا تَخْرُجُ نَفْسُهُ فَيَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا، لِتَعَلُّقِ نَفْسِهِ بِالْحَنَاجِرِ، فَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِهَا..

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٧] وَمِنْ وَرَاءِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، يَعْنِي أَمَامَهُ وَقُدَّامَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: ١٨].

﴿مَّثَلُ﴾ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: مَثَلُ أَعْمَالِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ اللهَ بِهَا..

﴿كَرَمَادٍ﴾ مَثَلُ رَمَادٍ..

﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ عَصَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ، فَنَسَفَتْهُ وَذَهَبَتْ بِهِ، فَكَذَلِكَ أَعْمَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَقِيلَ: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الرِّيحِ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ تَكُونُ فِيهِ، كَمَا يُقَالُ: يَوْمٌ بَارِدٌ، وَيَوْمٌ حَارٌّ، لِأَنَّ الْبَرْدَ وَالْحَرَارَةَ يَكُونَانِ فِيهِ..

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لَا يَجِدُونَ مِنْهَا شَيْئًا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ فَيُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَهَا للهِ خَالِصًا، بَلْ كَانُوا يُشْرِكُونَ فِيهَا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨] أَيِ الْخَطَأُ الْبَيِّنُ الْبَعِيدُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، يَعْنِي أَعْمَالَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، الَّتِي يُشْرِكُونَ فِيهَا مَعَ اللهِ شُرَكَاءَ، هِيَ أَعْمَالٌ عُمِلَتْ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى وَاسْتِقَامَةٍ، بَلْ عَلَىٰ جَوْرٍ عَنِ الْهُدَىٰ بَعِيدٍ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ شَدِيدٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ﴾ أَنْشَأَ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ مُنْفَرِدًا بِإِنْشَائِهَا بِغَيْرِ ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ..

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ إِنَّ الَّذِي تَفَرَّدَ بِخَلْقِ ذَلِكَ وَإِنْشَائِهِ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا شَرِيكٍ، إِنْ هُوَ شَاءَ أَنْ يُذْهِبَكُمْ فَيُفْنِيَكُمْ أَذْهَبَكُمْ وَأَفْنَاكُمْ..

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ﴾ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ..

﴿جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩] فَيُجَدِّدَ خَلْقَهُمْ.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٠].

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ وَمَا إِذْهَابُكُمْ، وَإِفْنَاؤُكُمْ، وَإِنْشَاءُ خَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٠] عَلَىٰ اللهِ بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُتَعَذِّرٍ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ وَظَهَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ فَصَارُوا بِالْبَرَازِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿جَمِيعًا﴾ كُلُّهُمْ..

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ التُّبَّاعُ مِنْهُمْ..

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ لِلْمَتْبُوعِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ فِي الدُّنْيَا عَنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَاتِّبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ..

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَعُ: جَمْعُ تَابِعٍ، كَمَا الْغَيَبُ جَمْعُ غَائِبٍ، وَإِنَّمَا عَنَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَأْتَمِرُونَ لِمَا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَوْهُمْ عَنْهُ مِنِ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللهِ..

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ دَافِعُونَ عَنَّا الْيَوْمَ..

﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ﴾ الْقَادَةُ عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ لِتُبَّاعِهَا..

﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ لَوْ بَيَّنَ لَنَا شَيْئًا نَدْفَعُ بِهِ عَذَابَهُ عَنَّا الْيَوْمَ..

﴿لَهَدَيْنَٰكُمْۖ﴾ لَبَيَّنَّا ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى تَدْفَعُوا الْعَذَابَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَكِنَّا قَدْ جَزِعْنَا مِنَ الْعَذَابِ..

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ فَلَمْ يَنْفَعْنَا جَزَعُنَا مِنْهُ وَصَبْرُنَا عَلَيْهِ..

﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١] مَا لَهُمْ مِنْ مَزَاغٍ يَزُوغُونَ عَنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: حَاصَ عَنْ كَذَا إِذَا زَاغَ عَنْهُ.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَقَالَ إِبْلِيسُ..

﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ لَمَّا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَاسْتَقَرَّ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ قَرَارُهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْأَتْبَاعُ..

﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ النَّارَ..

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ النُّصْرَةَ..

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وَعْدِي، وَوَفَّىٰ اللهُ لَكُمْ بِوَعْدِهِ..

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم﴾ فِيمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النُّصْرَةِ..

﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾ مِنْ حُجَّةٍ تَثْبُتُ لِي عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ قَوْلِي..

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وَهَذَا الِاسْتِثْنَاءُ الْمُنْقَطِعُ عَنِ الْأَوَّلِ كَمَا تَقُولُ: مَا ضَرَبْتُهُ إِلَّا أَنَّهُ أَحْمَقُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ دَعَوْتُكُمْ، يقول: إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِي وَمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ فَاسْتَجَبْتُمْ لِدُعَائِي..

﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ عَلَىٰ إِجَابَتِكُمْ إِيَّايَ..

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ عَلَيْهَا..

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ..

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ وَلَا أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ مِنْ عَذَابِ اللهِ فَمُنَجِّيَّ مِنْهُ..

﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ إِنِّي جَحَدْتُ..

﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا للهِ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إِنَّ الْكَافِرِينَ بِاللهِ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢] مُوجِعٌ.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقٌّ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ادْخُلُوهَا بِأَمْرِ اللهِ لَهُمْ بِالدُّخُولِ..

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣] وَذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: (الْمَلَائِكَةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ كَيْفَ مَثَّلَ اللهُ مَثَلًا وَشَبَّهَ شَبَهًا..

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وَيَعْنِي بِالطَّيِّبَةِ: الْإِيمَانَ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ الثَّمَرَةِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ الثَّمَرَةِ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ عَنْ ذِكْرِهَا بِذِكْرِ الشَّجَرَةِ.. والشَّجَرَةُ الَّتِي جُعِلَتْ مَثَلًا لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ هِيَ النَّخْلَةُ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ، فَقَالَ: «مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُّ)..

﴿أَصْلُهَا﴾ هَذِهِ الشَّجَرَةِ..

﴿ثَابِتٌ﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَفَرْعُهَا﴾ وَهُوَ أَعْلَاهَا..

﴿فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] مُرْتَفِعٌ عُلُوًّا نَحْوَ السَّمَاءِ.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٥].

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ تُطْعِمُ مَا يُؤْكَلُ مِنْ ثَمَرِهَا..

﴿كُلَّ حِينٍۭ﴾ كُلَّ غَدَاةٍ وَعَشِيَّةٍ، وَكُلَّ سَاعَةٍ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ضَرَبَ مَا تُؤْتِي هَذِهِ الشَّجَرَةُ كُلَّ حِينٍ مِنَ الْأُكُلِ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ وَكَلَامِهِ مَثَلًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُرْفَعُ لَهُ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَالِحٌ مِنَ الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيُّ نَخْلَةٍ تُؤْتِي فِي كُلِّ وَقْتٍ أُكُلًا صَيْفًا وَشِتَاءً؟ قِيلَ: أَمَّا فِي الشِّتَاءِ فَإِنَّ الطَّلْعَ مِنْ أُكُلِهَا، وَأَمَّا فِي الصَّيْفِ فَالْبَلَحُ، وَالْبُسْرُ، وَالرُّطَبُ، وَالتَّمْرُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أُكُلِهَا..

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾ وَيُمَثِّلُ اللهُ..

﴿ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وَيُشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٥] لِيَتَذَكَّرُوا حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَتَّعِظُوا، فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ۝٢٦﴾

[إبراهيم: ٢٦].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وَمَثَلُ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ..

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: هِيَ الْحَنْظَلُ، وَهُوَ الثَّابِتُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، وَإِلَّا فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَا..

﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ اسْتُؤْصِلَتْ، يُقَالُ مِنْهُ: اجْتَثَثْتُ الشَّيْءَ أَجْتَثُّهُ اجْتِثَاثًا: إِذَا اسْتَأْصَلْتَهُ...

﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا﴾ مَا لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ..

﴿مِن قَرَارٖ ۝٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٦] وَلَا أَصْلَ فِي الْأَرْضِ تَنْبُتُ عَلَيْهِ وَتَقُومُ، وَإِنَّمَا ضُرِبَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِكُفْرِ الْكَافِرِ وَشِرْكِهِ بِهِ مَثَلًا، يَقُولُ: لَيْسَ لِكُفْرِ الْكَافِرِ وَعَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ ثَبَاتٌ، وَلَا لَهُ فِي السَّمَاءِ مَصْعَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يُحَقِّقُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ..

﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ، وَهُوَ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ..

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وَذَلِكَ تَثْبِيتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ بِمِثْلِ الَّذِي ثَبَّتَهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ حِينَ يُسْأَلُونَ عَنِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ ﷺ.. فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾**»..

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ وَلَا يُوَفِّقُ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ، لِمَا هُدِيَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧] وَبِيَدِ اللهِ الْهِدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ، فَلَا تُنْكِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ قُدْرَتَهُ وَلَا اهْتِدَاءَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ضَالًّا، وَلَا ضَلَالَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُهْتَدِيًا، فَإِنَّ بِيَدِهِ تَصْرِيفَ خَلْقِهِ وَتَقْلِيبَ قُلُوبِهِمْ، يَفْعَلُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟﴾ غَيَّرُوا..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، فَجَعَلُوهَا..

﴿كُفْرًا﴾ بِهِ، وَكَانَ تَبْدِيلُهُمْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا فِي نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهُمْ وَابْتَعَثَهُ فِيهِمْ رَسُولًا، رَحْمَةً لَهُمْ وَنِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِمْ، فَكَفَرُوا بِهِ، وَكَذَّبُوهُ، فَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِهِ كُفْرًا..

﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ وَأَنْزَلُوا..

﴿قَوْمَهُمْ﴾ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨] وَهِيَ دَارُ الْهَلَاكِ، يُقَالُ مِنْهُ: بَارَ الشَّيْءُ يَبُورُ بَوْرًا: إِذَا هَلَكَ وَبَطَلَ.. وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَسَأَلَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾؟ قَالَ: (هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ).. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾، قَالَ: (هُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ).

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٩].

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٩] وَبِئْسَ الْمُسْتَقَرُّ هِيَ جَهَنَّمُ لِمَنْ صَلَاهَا.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠].

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا..

﴿لِلَّهِ﴾ لِرَبِّهِمْ..

﴿أَندَادًا﴾ وَهِيَ جِمَاعُ نِدٍّ، وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ النِّدِّ فِيمَا مَضَىٰ بِشَوَاهِدِهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ..

﴿لِيُضِلُّواْ﴾ كَيْ يُضِلُّوا النَّاسَ..

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِمَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿تَمَتَّعُواْ﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعِيدًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، لَا إِبَاحَةَ لَهُمُ التَّمَتُّعَ بِهَا، وَلَا أَمْرًا عَلَىٰ وَجْهِ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنْ تَوْبِيخًا وَتَهَدُّدًا وَوَعِيدًا، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ..

﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠] اسْتَمْتِعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الزَّوَالِ عَنْكُمْ، وَإِلَىٰ النَّارِ تَصِيرُونَ عَنْ قَرِيبٍ، فَتَعْلَمُونَ هُنَالِكَ غِبَّ تَمَتُّعِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَعَاصِي اللهِ وَكُفْرِكُمْ فِيهَا بِهِ.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم: ٣١].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِكَ وَصَدَّقُوا أَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قُلْ لَهُمْ: فَلْيُقِيمُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَيُنفِقُواْ﴾ وَلْيُنْفِقُوا..

﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ فَخَوَّلْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِنَا..

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فَلْيُؤَدُّوا مَا أَوْجَبْتُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ فِيهَا سِرًّا وَإِعْلَانًا..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لَا يُقْبَلُ فِيهِ فِدْيَةٌ وَعِوَضٌ مِنْ نَفْسٍ وَجَبَ عَلَيْهَا عِقَابُ اللهِ، بِمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَقْبَلُ مِنْهَا الْفِدْيَةَ، وَتُتْرَكُ فَلَا تُعَاقَبُ، فَسَمَّىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْفِدْيَةَ عِوَضًا، إِذْ كَانَ أَخْذَ عِوَضٍ مِنْ مُعْتَاضٍ مِنْهُ..

﴿وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم: ٣١] وَلَيْسَ هُنَاكَ مُخَالَّةُ خَلِيلٍ، فَيَصْفَحُ عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ الْعُقُوبَةَ عَنِ الْعِقَابِ لِمُخَالَّتِهِ، بَلْ هُنَالِكَ الْعَدْلُ وَالْقِسْطُ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أَنْشَأَ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غَيْثًا..

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أَحْيَا بِهِ الشَّجَرَ وَالزَّرْعَ، فَأَثْمَرَتْ..

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ وَهِيَ السُّفُنُ..

﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لَكُمْ تَرْكَبُونَهَا، وَتَحْمِلُونَ فِيهَا أَمْتِعَتَكُمْ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢] مَاؤُهَا شَرَابٌ لَكُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ وَإِخْلَاصَ الطَّاعَةِ لَهُ، مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ، مِنْ أَوْثَانِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ وَآلِهَتِكُمْ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَفَعَلَ الْأَفْعَالَ الَّتِي وَصَفَ، وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِصَلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ..

﴿دَآئِبَيْنِ﴾ فِي اخْتِلَافِهِمَا عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا دَائِبَانِ فِي طَاعَةِ اللهِ..

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٣] يَخْتَلِفَانِ عَلَيْكُمْ بِاعْتِقَابٍ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا بِمَنَافِعِكُمْ وَصَلَاحِ أَسْبَابِكُمْ، فَهَذَا لَكُمْ لِتَصَرُّفِكُمْ فِيهِ لِمَعَاشِكُمْ، وَهَذَا لَكُمْ لِلسَّكَنِ تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَرَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ وَأَعْطَاكُمْ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ تَسْخِيرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكُمْ، وَالرِّزْقَ الَّذِي رَزَقَكُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَغُرُوسِهَا..

﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وَرَغِبْتُمْ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَحَذَفَ الشَّيْءَ الثَّانِي اكْتِفَاءً بِمَا الَّتِي أُضِيفَتْ إِلَيْهَا ﴿كُلِّ﴾، وَإِنَّمَا جَازَ حَذْفُهُ، لِأَنَّ (مِنْ) تُبَعِّضُ مَا بَعْدَهَا، فَكَفَتْ بِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ التَّبْعِيضِ مِنَ الْمَفْعُولِ، فَلِذَلِكَ جَازَ حَذْفُهُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، يَعْنِي بِهِ: وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي زَمَانِهَا شَيْئًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا قِيلَ عَلَىٰ التَّكْثِيرِ، نَحْوَ قَوْلِ الْقَائِلِ: فُلَانٌ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَتَاهُ كُلُّ النَّاسِ، وَهُوَ يَعْنِي بَعْضَهُمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ، فَقِيلَ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

مَاسَأَلْتُمُوهُۚ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أَيْ قَدْ آتَىٰ بَعْضَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا، وَآتَىٰ آخَرَ شَيْئًا مِمَّا قَدْ سَأَلَهُ..

﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ..

﴿لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ لَا تُطِيقُوا إِحْصَاءَ عَدَدِهَا، وَالْقِيَامَ بِشُكْرِهَا، إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ لَكُمْ عَلَيْهَا..

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الَّذِي بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا..

﴿لَظَلُومٌ﴾ لَشَاكِرٌ غَيْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ وَاضِعُ الشُّكْرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِمَا أَنْعَمَ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَذَلِكَ هُوَ ظُلْمُهُ..

﴿كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] هُوَ جُحُودٌ نِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ؛ لِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَتَرْكِهِ طَاعَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ.

> ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾
> [إبراهيم: ٣٥].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ الْحَرَمَ..

﴿ءَامِنًا﴾ بَلَدًا آمِنًا أَهْلُهُ وَسُكَّانُهُ..

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] أَبْعِدْنِي وَبَنِيَّ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.. وَالْأَصْنَامُ: جَمْعُ صَنَمٍ، وَالصَّنَمُ: هُوَ التِّمْثَالُ الْمُصَوَّرُ.. قال مُجَاهِد: (**فَاسْتَجَابَ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ فِي وَلَدِهِ، فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ صَنَمًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ**)، وَالصَّنَمُ: التِّمْثَالُ الْمُصَوَّرُ، مَا لَمْ يَكُنْ مُصَوَّرًا فَهُوَ وَثَنٌ، قَالَ: (**وَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وَجَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَجَعَلَهُ إِمَامًا، وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ، فَأَرَاهُ مَنَاسِكَهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ**).

> ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
> ۝٣٦﴾ [إبراهيم: ٣٦].

﴿رَبِّ﴾ يَا رَبِّ..

﴿إِنَّهُنَّ﴾ إِنَّ الْأَصْنَامَ..

﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ وَسَبِيلِ الْحَقِّ حَتَّىٰ عَبَدُوهُنَّ، وَكَفَرُوا بِكَ..

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَكَ وَفِرَاقِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ فَإِنَّهُ مُسْتَنٌّ بِسُنَّتِي، وَعَامِلٌ بِمِثْلِ عَمَلِي..

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ وَمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي مَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، وَأَشْرَكَ بِكَ..

﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ الْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ بِفَضْلِكَ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦] بِعِبَادِكَ، تَعْفُو عَمَّنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**اسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ، لا وَاللهِ مَا كَانُوا طَعَّانِينَ وَلا لَعَّانِينَ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ أَشَرِّ عِبَادِ اللهِ كُلُّ طَعَّانٍ لَعَّانٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾** [المائدة: ١١٨]).

> ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ بَعْضَ وَلَدِي..

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ يَوْمَئِذٍ مَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَاءٌ لَمْ يَصِفْهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ ذِي..

﴿زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ عِنْدَ بَيْتِكَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ يَسْتَحِلُّوهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ أَسْكَنَ ابْنَهُ مَكَّةَ ﴿إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وَقَدْ بَنَىٰ إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ؟ قِيلَ: قَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِنْهَا أَنَّ مَعْنَاهُ: عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ حِينَ رَفَعْتَهُ أَيَّامَ الطُّوفَانِ، وَمِنْهَا: عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ الَّذِي قَدْ مَضَىٰ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنَّهُ يَحْدُثُ فِي هَذَا الْبَلَدِ.. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ هَذَا الْقَوْلَ حِينَ أَسْكَنَ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ مَكَّةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ**

رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» (فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ - تُرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّىٰ ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: (فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَىٰ مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَلْفَىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ».. الحديث..

﴿ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ مِنِ اسْتِحْلَالِ حُرُمَاتِ اللهِ فِيهِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِحَقِّهِ..

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فَعَلْتُ ذَلِكَ يَا رَبَّنَا كَيْ تُؤَدَّىٰ فَرَائِضُكَ مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي أَوْجَبْتَهَا عَلَيْهِمْ فِي بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ..

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ يُخْبِرُ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَأَلَهُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَجْعَلَ قُلُوبَ بَعْضِ خَلْقِهِ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَسَاكِنِ ذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ، وَذَلِكَ مِنْهُ دُعَاءٌ لَهُمْ بِأَنْ يَرْزُقَهُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: (لَوْ كَانَتْ أَفْئِدَةُ النَّاسِ، لَازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ فَارِسُ وَالرُّومُ، وَلَكِنَّهُ ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾)..

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَارْزُقْهُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ مَا رَزَقْتَ سُكَّانَ الْأَرْيَافِ وَالْقُرَىٰ الَّتِي هِيَ ذَوَاتُ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ، وَإِنْ كُنْتَ أَسْكَنْتَهُمْ وَادِيًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ وَلَا مَاءٍ، فَرَزَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧] لِيَشْكُرُوكَ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ وَتُنْعِمُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٣٨﴾ [إبراهيم: ٣٨].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي قُلُوبُنَا عِنْدَ مَسْأَلَتِنَا مَا نَسْأَلُكَ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِنَا..

﴿وَمَا نُعْلِنُ ۗ﴾ مِنْ دُعَائِنَا، فَنَجْهَرُ بِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِنَا..

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ يَا رَبَّنَا..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ يَكُونُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٣٨﴾ [إبراهيم: ٣٨] لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ ظَاهِرٌ لَكَ مُتَجَلٍّ بَادٍ، لِأَنَّكَ مُدَبِّرُهُ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْكَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ اسْتِشْهَادِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا نَوَىٰ وَقَصَدَ بِدُعَائِهِ وَقِيلِهِ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، الْآيَةَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِذَلِكَ رِضَا اللهِ عَنْهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُوَ لَهُ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي عَلَىٰ كِبَرٍ مِنَ السِّنِّ وَلَدًا..

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩] إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ دُعَائِيَ الَّذِي أَدْعُوهُ بِهِ، وَقَوْلِي: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ دُعَائِي وَدُعَاءِ غَيْرِي، وَجَمِيعِ مَا نَطَقَ بِهِ نَاطِقٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُؤَدِّيًا مَا أَلْزَمْتَنِي مِنْ فَرِيضَتِكَ الَّتِي فَرَضْتَهَا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وَاجْعَلْ أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّتِي مُقِيمِي الصَّلَاةِ لَكَ..

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠] رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ عَمَلِي الَّذِي أَعْمَلُهُ لَكَ، وَعِبَادَتِي إِيَّاكَ، وَهَذَا نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]».

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَاسْتِغْفَارٌ مِنْهُ لَهُمَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ﴿ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]، وَقَدْ بَيَّنَّا وَقْتَ تَبَرُّئِهِ مِنْهُ فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِكَ مِمَّنْ تَبِعَنِي عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، فَأَطَاعَكَ فِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ..

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١] يَقُومُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْحِسَابِ مِنْ ذِكْرِ النَّاسِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿غَٰفِلًا﴾ سَاهِيًا..

﴿عَمَّا يَعْمَلُ﴾ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، بَلْ هُوَ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ، مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ، لِيَجْزِيَهُمْ جَزَاءَهُمْ فِي الْحِينِ الَّذِي قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَجْزِيهِمْ فِيهِ..

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ..

﴿لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إِنَّمَا يُؤَخِّرُ عِقَابَهُمْ وَإِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِلَىٰ يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ أَبْصَارُ الْخَلْقِ، وَذَٰلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. قَالَ قَتَادَةَ: (**شَخُصَتْ فِيهِ وَاللهِ أَبْصَارُهُمْ، فَلَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ**).

﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مُسْرِعِينَ.. قَالَ قَتَادَةَ: (**مُنْطَلِقِينَ عَامِدِينَ إِلَىٰ الدَّاعِي**).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مُدِيمِي النَّظَرِ.. وَالإِهْطَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَعْنَىٰ الإِسْرَاعِ أَشْهَرُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ إِدَامَةِ النَّظَرِ..

﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ رَافِعِي رُءُوسِهِمْ وَإِقْنَاعُ الرَّأْسِ: رَفْعُهُ.. قَالَ الْحَسَنُ: (**وُجُوهُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ لا يَنْظُرُ أَحَدٌ إِلَىٰ أَحَدٍ**).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (**الْمُقْنِعُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ شَاخِصًا بَصَرُهُ، لا يَطْرِفُ**)..

﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ﴾ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ لِشِدَّةِ النَّظَرِ أَبْصَارُهُمْ..

﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣] خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا تَعْقِلُ شَيْئًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ أَجْوَفَ خَاوٍ: هَوَاءً.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الأَفْئِدَةُ: الْقُلُوبُ، هَوَاءٌ كَمَا قَالَ اللهُ، لَيْسَ فِيهَا عَقْلٌ وَلا مَنْفَعَةٌ**).

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

﴿وَأَنذِرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ دَاعِيًا إِلَىٰ الإِسْلَامِ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِمْ..

﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ عَذَابُ اللهِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَظَلَمُوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ..

﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ أَخِّرْ عَنَّا عَذَابَكَ، وَأَمْهِلْنَا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾ الْحَقَّ، فَنُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا نُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا..

﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ وَنُصَدِّقُ رُسُلَكَ فَنَتَّبِعُهُمْ عَلَىٰ مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ..

﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ﴾ وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا النَّارَ، بِإِنْكَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَقُولُ لَهُمْ إِذْ سَأَلُوهُ رَفْعَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَتَأْخِيرَهُمْ لِيُنِيبُوا

وَيَتُوبُوا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] مَا لَكُمْ مِنِ انْتِقَالٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكُمْ إِنَّمَا تَمُوتُونَ، ثُمَّ لَا تُبْعَثُونَ.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ كَفَرُوا بِاللهِ، فَظَلَمُوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ وَعَلِمْتُمْ كَيْفَ أَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ عَتَوْا عَلَى رَبِّهِمْ، وَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥] وَمَثَّلْنَا لَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ مُقِيمِينَ الْأَشْبَاهَ، فَلَمْ تُنِيبُوا، وَلَمْ تَتُوبُوا مِنْ كُفْرِكُمْ، فَالْآنَ تَسْأَلُونَ التَّأْخِيرَ لِلتَّوْبَةِ حِينَ نَزَلَ بِكُمْ مَا قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، إِنَّ ذَلِكَ لَغَيْرُ كَائِنٍ.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ قَدْ مَكَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَسَكَنْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ..

﴿مَكْرَهُمْ﴾ فَأَشْرَكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِرَبِّهِمْ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ فِرْيَتَهُمْ عَلَيْهِ..

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ وَعِنْدَ اللهِ عِلْمُ شِرْكِهِمْ بِهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُعَاقِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ عُقُوبَتَهُمُ الَّتِي هُمْ أَهْلُهَا..

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وَمَا كَانَ شِرْكُهُمْ وَفِرْيَتُهُمْ عَلَى اللهِ..

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦] بَلْ مَا ضَرُّوا بِذَلِكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا عَادَتْ بُغْيَةٌ مَكْرُوهَةٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَجَحَدَ مَا أَتَوْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَإِنَّمَا قَالَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ تَثْبِيتًا وَتَشْدِيدًا لِعَزِيمَتِهِ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّهُ مُنَزِّلٌ مِنْ سَخَطِهِ بِمَنْ كَذَّبَهُ وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِثْلَ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، وَجُحُودِ نُبُوَّتِهِمْ، وَرَدِّ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾ لَا يُمَانِعُ مِنْهُ شَيْءٌ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ، قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ، لَا يَفُوتُهُ بِالْهَرَبِ مِنْهُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧] مِمَّنْ كَفَرَ بِرُسُلِهِ وَكَذَّبَهُمْ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُمْ، وَأَشْرَكَ بِهِ وَاتَّخَذَ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو انْتِقَامٍ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَسَائِرِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَحَدَ نُبُوَّتَكَ وَنُبُوَّةَ رُسُلِهِ مِنْ قَبْلِكَ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَهَا، وَكَذَلِكَ السَّمَوَاتُ الْيَوْمَ تُبَدَّلُ غَيْرَهَا.. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «**عَلَىٰ الصِّرَاطِ**».. وَعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: سَأَلَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»..

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ وَظَهَرُوا للهِ..

﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾ الْمُنْفَرِدِ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨] الَّذِي يَقْهَرُ كُلَّ شَيْءٍ فَيَغْلِبُهُ وَيُصَرِّفُهُ لِمَا يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَيُحْيِي خَلْقَهُ إِذَا شَاءَ، وَيُمِيتُهُمْ إِذَا شَاءَ، لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩].

﴿وَتَرَى﴾ وَتُعَايِنُ..

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، فَاجْتَرَمُوا فِي الدُّنْيَا الشِّرْكَ..

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ..

﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩] مُقَرَّنَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَىٰ رِقَابِهِمْ بِالْأَصْفَادِ، وَهِيَ الْوَثَاقُ مِنْ غُلٍّ وَسِلْسِلَةٍ، وَاحِدُهَا: صَفَدٌ، وَالصَّفَادُ: الْقَيْدُ.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝﴾ [إبراهيم: ٥٠].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قُمُصُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا، وَاحِدُهَا: سِرْبَالٌ..

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ الَّذِي يَهْنَأُ بِهِ الْإِبِلُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْقَطِرَانُ: النُّحَاسُ..

﴿وَتَغْشَىٰ﴾ وَتَلْفَحُ..

﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝﴾ [إبراهيم: ٥٠] فَتَحْرِقُهَا.

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾ [إبراهيم: ٥١].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ جَزَاءً لَهُمْ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ فِي الدُّنْيَا، كَيْمَا يُثِيبَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾ [إبراهيم: ٥١] إِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِعَمَلِ كُلِّ عَامِلٍ، فَلَا يَحْتَاجُ فِي إِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ عَقْدِ كَفٍّ وَلَا مُعَانَاةٍ، وَهُوَ سَرِيعٌ حِسَابُهُ لِأَعْمَالِهِمْ، قَدْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمًا، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ [إبراهيم: ٥٢].

﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ..

﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أَبْلَغَ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَنْزَلَ فِيهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَعِبَرِهِ..

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ وَلِيُنْذَرُوا عِقَابَ اللهِ، وَيَحْذَرُوا بِهِ نِقْمَاتِهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ..

﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بِمَا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ فِيهِ..

﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لَا آلِهَةٌ شَتَّىٰ، كَمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَهُمْ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَهُمُ الْأَنْهَارَ..

﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ وَلْيَتَذَكَّرَ فَيَتَّعِظَ بِمَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ حُجَجِهِ الَّتِي فِي هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَنْزَجِرَ

عَنْ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرُهُ، وَيُشْرِكَ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] أَهْلُ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الِاعْتِبَارِ وَالِادِّكَارِ، دُونَ الَّذِينَ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَلَا أَفْهَامَ، فَإِنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

سُورَةُ الحِجْرِ (١٥)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحِجْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر: ١].

﴿الٓرۚ تِلۡكَ﴾ هَذِهِ الآيَاتُ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ آيَاتُ الْكُتُبِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ..

﴿وَقُرۡءَانٖ﴾ وَآيَاتُ قُرْآنٍ..

﴿مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر: ١] يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ رُشْدَهُ وَهُدَاهُ.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحجر: ٢].

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ..

﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحجر: ٢] لَوْ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مُسْلِمِينَ.. قال إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي: (**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَقُولُونَ: كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ وَكُفْرٍ، فَمَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُ؟ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ** ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾).

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [الحجر: ٣].

﴿ذَرۡهُمۡ﴾ ذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَأۡكُلُواْ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا هُمْ آكِلُوهُ..

﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ مِنْ لَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهِمْ فِيهَا إِلَىٰ أَجَلِهِمُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُمْ..

﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ﴾ عَنِ الأَخْذِ بِحَظِّهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيهَا، وَتَزَوُّدِهِمْ لِمَعَادِهِمْ مِنْهَا بِمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ..

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [الحجر: ٣] غَدًا إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ وَقَدْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَشِرْكِهِمْ، حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تَمَتُّعِهِمْ بِمَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ كَانُوا فِي خَسَارٍ وَتَبَابٍ.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾ [الحجر: ٤].

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن﴾ أَهْلِ..

﴿قَرۡيَةٍ﴾ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا فِيمَا مَضَىٰ..

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾ [الحجر: ٤] إِلَّا وَلَهَا أَجَلٌ مُؤَقَّتٌ وَمُدَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، لَا نُهْلِكُهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغُوهَا، فَإِذَا بَلَغُوهَا أَهْلَكْنَاهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَكَذَلِكَ أَهْلُ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَنْتَ مِنْهَا وَهِيَ مَكَّةُ، لَا نُهْلِكُ مُشْرِكِي أَهْلِهَا إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ كِتَابِهِمْ أَجَلَهُ، لِأَنَّ مِنْ قَضَائِي أَنْ لَا أُهْلِكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ كِتَابِهِمْ أَجَلَهُ.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾ [الحجر: ٥].

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ مَا يَتَقَدَّمُ هَلَاكُ أُمَّةٍ قَبْلَ أَجَلِهَا الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ أَجَلًا لِهَلَاكِهَا..

﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾ [الحجر: ٥] وَلَا يَسْتَأْخِرُ هَلَاكُهَا عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي جُعِلَ لَهَا أَجَلًا.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر: ٦].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَكَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِيهِ مَوَاعِظَ خَلْقِهِ..

﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر: ٦] فِي دُعَائِكَ إِيَّانَا إِلَىٰ أَنْ نَتَّبِعَكَ وَنَذَرَ آلِهَتَنَا.

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٧].

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ شَاهِدَةً لَكَ عَلَىٰ صِدْقِ مَا تَقُولُ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ مَوْضِعَ (لَوْ مَا) (لَوْلَا)، وَمَوْضِعَ (لَوْلَا) (لَوْ مَا).

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٧] إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا، فَإِنَّ الرَّبَّ الَّذِي فَعَلَ مَا تَقُولُ بِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِرْسَالُ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَعَكَ، حُجَّةً لَكَ عَلَيْنَا، وَآيَةً لَكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ وَصِدْقِ مَقَالَتِكَ.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجر: ٨].

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالرِّسَالَةِ إِلَىٰ رُسُلِنَا، أَوْ بِالْعَذَابِ لِمَنْ أَرَدْنَا تَعْذِيبَهُ..

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجر: ٨] وَلَوْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ مَا يَسْأَلُونَ إِرْسَالَهُمْ مَعَكَ آيَةً فَكَفَرُوا، لَمْ يُنْظَرُوا فَيُؤَخَّرُوا بِالْعَذَابِ، بَلْ عُوجِلُوا بِهِ كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ حِينَ سَأَلُوا الْآيَاتِ، فَكَفَرُوا حِينَ أَتَتْهُمُ الْآيَاتِ، فَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ وَإِنَّا لِلْقُرْآنِ..

﴿لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩] مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ بَاطِلٌ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ يُنْقَصُ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْهُ، مِنْ أَحْكَامِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: ١٠].

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: ١٠] مِنْ قَبْلِكَ فِي الْأُمَمِ الْأَوَّلِينَ رُسُلًا، وَتَرَكَ ذِكْرَ الرُّسُلِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ عَلَيْهِ، وَعَنَىٰ بِشِيَعِ الْأَوَّلِينَ: أُمَمَ الْأَوَّلِينَ، وَاحِدَتُهَا شِيعَةٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا لِأَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ: شِيعَتُهُ.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ [الحجر: ١١].

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم﴾ وَمَا يَأْتِي شِيَعَ الْأَوَّلِينَ..

﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ مِنَ اللهِ يُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالْإِذْعَانِ بِطَاعَتِهِ..

﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ [الحجر: ١١] إِلَّا كَانُوا يَسْخَرُونَ بِالرَّسُولِ الَّذِي يُرْسِلُهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، عُتُوًّا مِنْهُمْ وَتَمَرُّدًا عَلَىٰ رَبِّهِمْ؟

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر: ١٢].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا سَلَكْنَا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِ شِيَعِ الْأَوَّلِينَ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ، كَذَلِكَ..

﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ نَفْعَلُ ذَلِكَ.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ مِنْ ذِكْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ وَالتَّكْذِيبِ بِهِمْ..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر: ١٢] فِي قُلُوبِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِالْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجر: ١٣].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالذِّكْرِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: إِذَا كَذَّبُوا سَلَكَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ..

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجر: ١٣] لا يُؤْمِنُ بِهَذَا الْقُرْآنِ قَوْمُكَ الَّذِينَ سَلَكْتُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّكْذِيبَ، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٢٠١﴾ [الشعراء: ٢٠١] أَخْذًا مِنْهُمْ سُنَّةَ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَهُمْ، مِنْ قَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَضُرَبَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، فَلَمْ تُؤْمِنْ بِمَا جَاءَهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، حَتَّىٰ حَلَّ بِهَا سَخَطُ اللهِ فَهَلَكَتْ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ [الحجر: ١٤].

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ [الحجر: ٧]..

﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ [الحجر: ١٤] فَظَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ فِيهِ وَهُمْ يَرَوْنَهُمْ عِيَانًا، ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ بَنُو آدَمَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا هُمْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥].. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: يَرْقَوْنَ فِيهِ وَيَصْعَدُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: عَرَجَ يَعْرُجُ عُرُوجًا إِذَا رَقِيَ وَصَعِدَ، وَوَاحِدَةُ الْمَعَارِجِ: مَعْرَجٌ وَمِعْرَاجٌ.

﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].

﴿لَقَالُوٓا۟﴾ لَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ..

﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ مَا هَذَا بِحَقٍّ إِنَّمَا أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا وَسُحِرَتْ، فَلَا تُبْصِرُ الشَّيْءَ عَلَىٰ مَا هُوَ بِهِ، وَذَهَبَ حَدُّ أَبْصَارِنَا وَانْطَفَأَ نُورُهُ، كَمَا يُقَالُ لِلشَّيْءِ الْحَارِّ إِذَا ذَهَبَتْ فَوْرَتُهُ وَسَكَنَ حَدُّ حَرِّهِ: قَدْ سَكَرَ يَسْكُرُ..

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ١٥].

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦﴾ [الحجر: ١٦].

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الدُّنْيَا..

﴿بُرُوجًا﴾ مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ كَوَاكِبُ يَنْزِلُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ بِالْكَوَاكِبِ..

﴿لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦﴾ [الحجر: ١٦] لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَبْصَرَهَا.

﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٧].

﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ وَحَفِظْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا..

﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٧] لَعِينٍ قَدْ رَجَمَهُ اللهُ وَلَعَنَهُ.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر: ١٨].

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ لَكِنْ قَدْ يَسْتَرِقُ مِنَ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ مِمَّا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ بَعْضُهَا..

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ فَيَتْبَعُهُ شِهَابٌ مِنَ النَّارِ..

﴿مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر: ١٨] يَبِينُ أَثَرُهُ فِيهِ، إِمَّا بِإِخْبَالِهِ وَإِفْسَادِهِ، أَوْ بِإِحْرَاقِهِ.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩﴾ [الحجر: ١٩].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ وَالْأَرْضَ دَحَوْنَاهَا فَبَسَطْنَاهَا..

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ وَأَلْقَيْنَا فِي ظُهُورِهَا..

﴿رَوَٰسِيَ﴾ جِبَالًا ثَابِتَةً..

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩﴾ [الحجر: ١٩] مُقَدَّرٍ، وَبِحَدٍّ مَعْلُومٍ.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠﴾ [الحجر: ٢٠].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿مَعَٰيِشَ﴾ جَمْعُ مَعِيشَةٍ..

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠﴾ [الحجر: ٢٠] مِنَ الْعَبِيدِ، وَالْإِمَاءِ، وَالدَّوَابِّ، وَالْأَنْعَامِ، فَمَعْنَى

ذَلِكَ: وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَالْعَبِيدَ، وَالْإِمَاءَ، وَالدَّوَابَّ، وَالْأَنْعَامَ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، حَسُنَ أَنْ تُوضَعَ حِينَئِذٍ مَكَانَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالدَّوَابِّ (مَنْ) وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَتِ الْخَبَرَ عَنِ الْبَهَائِمِ مَعَهَا بَنُو آدَمَ.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَإِن﴾ وَمَا..

﴿مِّن شَيْءٍ﴾ مِنَ الْأَمْطَارِ..

﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ إِلَّا بِقَدَرٍ، لِكُلِّ أَرْضٍ..

﴿مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١] عِنْدَنَا حَدُّهُ وَمَبْلَغُهُ.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢﴾ [الحجر: ٢٢].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تُلْقِحُ السَّحَابَ وَالْأَشْجَارَ، فَهِيَ لَاقِحَةٌ مُلْقِحَةٌ، وَلَقْحُهَا: حَمْلُهَا الْمَاءَ، وَإِلْقَاحُهَا السَّحَابَ وَالشَّجَرَ عَمَلُهَا فِيهِ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (**يُرْسِلُ اللهُ الرِّيَاحَ فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، فَتَجْرِي السَّحَابَ، فَتُدِرُّ كَمَا تُدِرُّ اللِّقْحَةُ ثُمَّ تُمْطِرُ**).. فَقَدْ بَيَّنَ عَبْدُ اللهِ بِقَوْلِهِ: يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، أَنَّهَا هِيَ اللَّاقِحَةُ بِحَمْلِهَا الْمَاءَ، وَإِنْ كَانَتْ مُلْقِحَةً بِإِلْقَاحِهَا السَّحَابَ وَالشَّجَرَ.

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَسْقَيْنَاكُمْ ذَلِكَ الْمَطَرَ لِشُرْبِ أَرْضِكُمْ وَمَوَاشِيكُمْ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ: أَنْزَلْنَاهُ لِتَشْرَبُوهُ، لَقِيلَ: فَسَقَيْنَاكُمُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ إِذَا سَقَتِ الرَّجُلُ مَاءً شَرِبَهُ أَوْ لَبَنًا أَوْ غَيْرَهُ: (سَقَيْتُهُ) بِغَيْرِ أَلِفٍ إِذَا كَانَ لِسَقْيِهِ، وَإِذَا جَعَلُوا لَهُ مَاءً لِشُرْبِ أَرْضِهِ أَوْ مَاشِيَتِهِ، قَالُوا: أَسْقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُ أَرْضَهُ وَمَاشِيَتَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا اسْتَسْقَتْ لَهُ، قَالُوا: أَسْقَيْتُهُ وَاسْتَسْقَيْتُهُ..

﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢﴾ [الحجر: ٢٢] وَلَسْتُمْ بِخَازِنِي الْمَاءَ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ، فَتَمْنَعُوهُ مَنْ أُسْقِيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِي وَإِلَيَّ، أَسْقِيهِ مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنَعُهُ مَنْ أَشَاءُ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝٢٣﴾ [الحجر: ٢٣].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ مَنْ كَانَ مَيِّتًا إِذَا أَرَدْنَا..

﴿وَنُمِيتُ﴾ مَنْ كَانَ حَيًّا إِذَا شِئْنَا..

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ [الحجر: ٢٣] وَنَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا بِأَنْ نُمِيتَ جَمِيعَهُمْ، فَلَا يَبْقَىٰ حَيٌّ سِوَانَا إِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ٢٤﴾ [الحجر: ٢٤].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الْأَمْوَاتَ..

﴿مِنكُمْ﴾ يَا بَنِي آدَمَ فَتَقَدَّمَ مَوْتُهُ..

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ٢٤﴾ [الحجر: ٢٤] الَّذِينَ اسْتَأْخَرَ مَوْتُهُمْ مِمَّنْ هُوَ حَيٌّ، وَمَنْ هُوَ حَادِثٌ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَحْدُثْ بَعْدُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَمَّ بِالْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنْهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: قَدْ عَلِمْنَا مَا مَضَىٰ مِنَ الْخَلْقِ وَأَحْصَيْنَاهُمْ، وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ مِنْكُمْ وَمَنْ هُوَ حَادِثٌ بَعْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَعْمَالَ جَمِيعِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَأَحْصَيْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَحْشُرُ جَمِيعَهُمْ، فَنُجَازِي كُلًّا بِأَعْمَالِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِكُلِّ مَنْ تَعَدَّىٰ حَدَّ اللهِ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ لَهُ بِهِ، وَوَعْدًا لِمَنْ سَارَعَ إِلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ فِي أَفْعَالِهِ كُلِّهَا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٢٥﴾ [الحجر: ٢٥].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ هُوَ يَجْمَعُ جَمِيعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَهْلُ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ وَالْمَعْصِيَةِ، وَكُلُّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ فِي إِحْيَائِهِمْ إِذَا أَحْيَاهُمْ، وَفِي إِمَاتَتِهِمْ إِذَا أَمَاتَهُمْ..

﴿عَلِيمٌ ٢٥﴾ [الحجر: ٢٥] بِعَدَدِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَبِالْحَيِّ مِنْهُمْ، وَالْمَيِّتِ، وَالْمُسْتَقْدِمِ مِنْهُمْ، وَالْمُسْتَأْخِرِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٦﴾ [الحجر: ٢٦].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ وَهُوَ الْإِنْسَانُ..

﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ هُوَ الطِّينُ الْيَابِسُ لَمْ تُصِبْهُ نَارٌ، فَإِذَا نَقَرْتَهُ صَلَّ فَسُمِعَتْ لَهُ صَلْصَلَةٌ، وَذَلِكَ

أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤]، فَشَبَّهَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنَّهُ كَانَ كَالْفَخَّارِ فِي يُبْسِهِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْمُنْتِنَ لَمْ يُشَبِّهْهُ بِالْفَخَّارِ، لِأَنَّ الْفَخَّارَ لَيْسَ بِمُنْتِنٍ، فَيُشَبَّهُ بِهِ فِي النَّتْنِ غَيْرُهُ..

﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ جَمْعُ حَمْأَةٍ، وَهُوَ الطِّينُ الْمُتَغَيِّرُ إِلَىٰ السَّوَادِ..

﴿مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦] هُوَ الْمُتَغَيِّرُ، كَأَنَّهُ أُخِذَ مِنْ سَنَنْتُ الْحَجَرَ عَلَىٰ الْحَجَرِ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَكَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، يُقَالُ مِنْهُ: سَنَنْتُهُ أَسُنُّهُ سَنًّا فَهُوَ مَسْنُونٌ، قَالَ: وَيُقَالُ لِلَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا: سَنِينَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مُنْتِنًا، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمِسَنُّ، لِأَنَّ الْحَدِيدَ يُسَنُّ عَلَيْهِ.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: ٢٧].

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ عَنَىٰ بِالْجَانِّ هَهُنَا: إِبْلِيسَ أَبَا الْجِنِّ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِبْلِيسُ..

﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ إِبْلِيسُ خُلِقَ قَبْلَ آدَمَ..

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: ٢٧] الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨].

﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، إِذْ..

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٩].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فَإِذَا صَوَّرْتُهُ فَعَدَلْتُ صُورَتَهُ..

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فَصَارَ بَشَرًا حَيًّا..

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٩] سُجُودُ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِمَةٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر: ٣٠].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ الْبَشَرَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ بَعْدَ أَنْ سَوَّاهُ سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر: ٣١].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ..

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾ [الحجر: ٣١] فِي سُجُودِهِمْ لِآدَمَ حِينَ سَجَدُوا، فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ مَعَهُمْ تَكَبُّرًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾ [الحجر: ٣٢].

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾ مَا مَنَعَكَ مِنْ..

﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾ [الحجر: ٣٢].

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾ [الحجر: ٣٣].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾ [الحجر: ٣٣] وَهُوَ مِنْ طِينٍ وَأَنَا مِنْ نَارٍ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الطِّينَ.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ [الحجر: ٣٤].

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِإِبْلِيسَ..

﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ [الحجر: ٣٤] وَالرَّجِيمُ الْمَرْجُومُ، وَهُوَ الْمَشْتُومُ.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ [الحجر: ٣٥].

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ وَإِنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْكَ بِإِخْرَاجِهِ إِيَّاكَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَطَرْدِكَ عَنْهَا..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ [الحجر: ٣٥] إِلَىٰ يَوْمِ الْمُجَازَاةِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْلِيسُ..

﴿رَبِّ﴾ فَإِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السَّمَوَاتِ وَلَعَنْتَنِي..

﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ فَأَخِّرْنِي..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [الحجر: ٣٦] إِلَىٰ يَوْمِ تَبْعَثُ خَلْقَكَ مِنْ قُبُورِهِمْ فَتَحْشُرُهُمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧﴾ [الحجر: ٣٧].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ٣٧﴾ [الحجر: ٣٧] فَإِنَّكَ مِمَّنْ أُخِّرَ هَلَاكُهُ.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ٣٨﴾ [الحجر: ٣٨].

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ٣٨﴾ [الحجر: ٣٨] لِهَلَاكِ جَمِيعِ خَلْقِي، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ دَيَّارٌ.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩﴾ [الحجر: ٣٩].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ بِإِغْوَائِكَ.. وَكَأَنَّ قَوْلَهُ: «بِمَا أَغْوَيْتَنِي» خَرَجَ مَخْرَجَ الْقَسَمِ، كَمَا يُقَالُ: بِاللهِ، أَوْ بِعِزَّةِ اللهِ لَأُغْوِيَنَّهُمْ..

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لَأُحَسِّنَنَّ لَهُمْ مَعَاصِيكَ، وَلَأُحَبِّبَنَّهَا إِلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩﴾ [الحجر: ٣٩] وَلَأُضِلَّنَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٤٠].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٤٠] إِلَّا مَنْ أَخْلَصْتَهُ بِتَوْفِيقِكَ فَهَدَيْتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ لَا سُلْطَانَ لِي عَلَيْهِ، وَلَا طَاقَةَ لِي بِهِ.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحجر: ٤١].

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحجر: ٤١] هَذَا طَرِيقٌ مَرْجِعُهُ إِلَيَّ فَأُجَازِي كُلًّا بِأَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤]، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ لِمَنْ يَتَوَعَّدُهُ وَيَتَهَدَّدُهُ: (طَرِيقُكَ عَلَيَّ)، وَ(أَنَا عَلَىٰ طَرِيقِكَ)، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ مَعْنَاهُ: هَذَا طَرِيقٌ عَلَيَّ، وَهَذَا طَرِيقٌ إِلَيَّ.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ٤٢﴾ [الحجر: ٤٢].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لَكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ عَلَىٰ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ..

﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ٤٢﴾ [الحجر: ٤٢] مِنَ الضَّلَالَةِ مِمَّنْ غَوَىٰ وَهَلَكَ.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٣﴾ [الحجر: ٤٣].

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٣﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِإِبْلِيسَ: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُ مَنْ

تَبِعَكَ أَجْمَعِينَ.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤].

﴿لَهَا﴾ لِجَهَنَّمَ..

﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ سَبْعَةُ أَطْبَاقٍ..

﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ لِكُلِّ طَبَقٍ مِنْهُمْ..

﴿جُزْءٌ﴾ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ..

﴿مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤] قِسْمًا وَنَصِيبًا مَقْسُومًا.. وَذُكِرَ أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ طَبَقَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، قال حِطَّانُ البَصْرِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: (**إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ هَكَذَا، وَوَضَعَ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ**).. قَالَ قَتَادَةُ: (**وَهِيَ وَاللهِ مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ**).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِطَاعَتِهِ وَخَافُوهُ، فَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيهِ..

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥] يُقَالُ لَهُمْ.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦].

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦] أَنْ تُسْلَبُوا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ وَكَرَامَةً أَكْرَمَكُمْ بِهَا.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وَأَخْرَجْنَا..

﴿مَا فِى صُدُورِهِم﴾ مَا فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ مِنْ حِقْدٍ وَضَغِينَةٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**»..

﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جَمْعُ سَرِيرٍ..

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧] يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ وَجْهَ بَعْضٍ، لَا يَسْتَدْبِرُهُ فَيَنْظُرَ فِي قَفَاهُ.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ لَا يَمَسُّ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ..

﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ تَعَبٌ..

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا﴾ وَمَا هُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ فِيهَا..

﴿بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] بَلْ ذَلِكَ دَائِمٌ أَبَدًا.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩].

﴿۞ نَبِّئْ﴾ أَخْبِرْ..

﴿عِبَادِيٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ﴾ الَّذِي أَسْتُرُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ إِذَا تَابُوا مِنْهَا وَأَنَابُوا، بِتَرْكِ فَضِيحَتِهِمْ بِهَا وَعُقُوبَتِهِمْ عَلَيْهَا..

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩] بِهِمْ أَنْ أُعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا عَلَيْهَا.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠].

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ وَأَخْبِرْهُمْ أَيْضًا أَنَّ عَذَابِي لِمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ مَعَاصِيَّ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا..

﴿هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠] الْمُوجِعُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ عَذَابٌ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَحْذِيرٌ لِخَلْقِهِ التَّقَدُّمَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهُمْ بِالْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٥١].

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ وَأَخْبِرْ عِبَادِي يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٥١] يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ حِينَ أَرْسَلَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ لِيُهْلِكُوهُمْ.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر: ٥٢].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ فَقَالَ الضَّيْفُ لِإِبْرَاهِيمَ.. فَجَمَعَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ وَهُمْ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ الضَّيْفَ اسْمٌ لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ مِثْلَ الْوَزْنِ وَالْقَطْرِ وَالْعَدْلِ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ خَبَرَهُ وَهُوَ لَفْظٌ وَاحِدٌ..

﴿سَلَٰمٗا قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٢] خَائِفُونَ.

﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝﴾ [الحجر: ٥٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الضَّيْفُ لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿لَا تَوۡجَلۡ﴾ لَا تَخَفْ..

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝﴾ [الحجر: ٥٣].

﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ..

﴿أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٤] فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَ.

﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝﴾ [الحجر: ٥٥].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ لَهُ..

﴿بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بَشَّرْنَاكَ بِحَقٍّ يَقِينٍ، وَعِلْمٍ مِنَّا بِأَنَّ اللهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ غُلَامًا عَلِيمًا..

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝﴾ [الحجر: ٥٥] الَّذِينَ يَقْنَطُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ فَيَيْأَسُونَ مِنْهُ، وَلَكِنْ أَبْشِرْ بِمَا بَشَّرْنَاكَ بِهِ وَاقْبَلِ الْبُشْرَىٰ.

﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلضَّيْفِ..

﴿وَمَن يَقۡنَطُ﴾ وَمَنْ يَيْأَسُ..

﴿مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٦] إِلَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ قَدْ أَخْطَئُوا سَبِيلَ الصَّوَابِ، وَتَرَكُوا قَصْدَ السَّبِيلِ فِي تَرْكِهِمْ رَجَاءَ اللهِ، وَلَا يَخِيبُ مَنْ رَجَاهُ، فَضَلُّوا بِذَلِكَ عَنْ دِينِ اللهِ.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٧].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلَائِكَةِ..

﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾ فَمَا شَأْنُكُمْ؟..

﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٧﴾ [الحجر: ٥٧] مَا أَمْرُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨﴾ [الحجر: ٥٨].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ..

﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨﴾ [الحجر: ٥٨] قَدِ اكْتَسَبُوا الْكُفْرَ بِاللهِ.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: ٥٩].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إِلَّا أَتْبَاعَ لُوطٍ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، فَـ..

﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: ٥٩] إِنَّا لَنْ نُهْلِكَهُمْ، بَلْ نُنْجِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُعَذِّبَ بِهِ قَوْمَ لُوطٍ.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: ٦٠].

﴿إِلَّا﴾ سِوَىٰ..

﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ امْرَأَةَ لُوطٍ..

﴿قَدَّرۡنَآ﴾ قَضَىٰ اللهُ فِيهَا..

﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: ٦٠] الْبَاقِينَ، ثُمَّ هِيَ مُهْلَكَةٌ بَعْدُ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٦١﴾ [الحجر: ٦١].

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ رُسُلُ اللهِ..

﴿ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٦١﴾ [الحجر: ٦١] أَنْكَرَهُمْ لُوطٌ فَلَمْ يَعْرِفْهُمْ وَ.

﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: ٦٢].

﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: ٦٢] نُنْكِرُكُمْ لَا نَعْرِفُكُمْ.

﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۝٦٣﴾ [الحجر: ٦٣].

﴿قَالُواْ﴾ فَقَالَتْ لَهُ الرُّسُلُ..

﴿بَلۡ﴾ نَحْنُ رُسُلُ اللهِ..

﴿جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ جِئْنَاكَ بِمَا كَانَ فِيهِ قَوْمُكَ..

﴿يَمْتَرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٣] يَشُكُّونَ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ.

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٤].

﴿وَأَتَيْنَٰكَ﴾ وَقَالَتِ الرُّسُلُ لِلُوطٍ: وَجِئْنَاكَ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الْيَقِينِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَذَلِكَ الْحَقُّ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي عَذَّبَ اللهُ بِهِ قَوْمَ لُوطٍ، وَقَدْ ذَكَرْتُ خَبَرَهُمْ وَقَصَصَهُمْ فِي سُورَةِ هُودٍ وَغَيْرِهَا، حِينَ بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهِ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٤] فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا لُوطُ مِنْ أَنَّ اللهَ مُهْلِكُ قَوْمِكَ.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٥].

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ رُسُلِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلُوطٍ: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِبَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ..

﴿وَٱتَّبِعْ﴾ وَاتَّبِعْ يَا لُوطُ..

﴿أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أَدْبَارَ أَهْلِكَ الَّذِينَ تَسْرِي بِهِمْ، وَكُنْ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَسِرْ خَلْفَهُمْ وَهُمْ أَمَامَكَ..

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ﴾ وَرَاءَهُ..

﴿أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٥] وَامْضُوا حَيْثُ يَأْمُرُكُمُ اللهُ.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۝﴾ [الحجر: ٦٦].

﴿وَقَضَيْنَآ﴾ وَفَرَغْنَا..

﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ لُوطٍ مِنْ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وَأَوْحَيْنَا..

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إِنَّ آخِرَ قَوْمِكَ وَأَوَّلَهُمْ..

﴿مَقْطُوعٌ﴾ مَجْذُوذٌ مُسْتَأْصَلٌ..

﴿مُّصْبِحِينَ ۝﴾ [الحجر: ٦٦] صَبَاحَ لَيْلَتِهِمْ.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝﴾ [الحجر: ٦٧].

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ وَجَاءَ أَهْلُ مَدِينَةِ سَدُومٍ وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ ضَيْفًا قَدْ ضَافَ لُوطًا..

﴿يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧﴾ [الحجر: ٦٧] مُسْتَبْشِرِينَ بِنُزُولِهِمْ مَدِينَتِهِمْ، طَمَعًا مِنْهُمْ فِي رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحجر: ٦٨].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ..

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ جِئْتُمُوهُمْ تُرِيدُونَ مِنْهُمُ الْفَاحِشَةَ..

﴿ضَيۡفِي﴾ وَحَقٌّ عَلَىٰ الرَّجُلِ إِكْرَامُ ضَيْفِهِ..

﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحجر: ٦٨] أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي ضَيْفِي، وَأَكْرِمُونِي فِي تَرْكِكُمُ التَّعَرُّضَ لَهُمْ بِالْمَكْرُوهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ۝٦٩﴾ [الحجر: ٦٩].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيَّ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عِقَابُهُ..

﴿وَلَا تُخۡزُونِ ۝٦٩﴾ [الحجر: ٦٩] وَلَا تُذِلُّونِي وَلَا تُهِينُونِي فِيهِمْ بِالتَّعَرُّضِ لَهُمْ بِالْمَكْرُوهِ.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر: ٧٠].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ لِلُوطٍ قَوْمُهُ..

﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر: ٧٠] أَوَلَمْ نَنْهَكَ أَنْ تُضَيِّفَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ؟

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٧١﴾ [الحجر: ٧١].

﴿قَالَ﴾ لُوطٌ لِقَوْمِهِ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ فَأْتُوهُنَّ، وَلَا تَفْعَلُوا مَا قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ..

﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٧١﴾ [الحجر: ٧١] مَا آمُرُكُمْ بِهِ وَمُنْتَهِينَ إِلَىٰ أَمْرِي.

﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

﴿لَعَمۡرُكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّهُمۡ﴾ إِنَّ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾ لَفِي ضَلَالَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ..

﴿يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢] يَتَرَدَّدُونَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ٧٣﴾ [الحجر: ٧٣].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ.. يُقَالُ مِنْهُ: صِيحَ بِهِمْ، إِذَا أُهْلِكُوا..

﴿مُشْرِقِينَ ٧٣﴾ [الحجر: ٧٣] إِذْ أَشْرَقُوا، وَمَعْنَاهُ: إِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَنَصَبَ ﴿مُشْرِقِينَ ٧٣﴾ وَ﴿مُّصْبِحِينَ ٦٦﴾ [الحجر: ٦٦] عَلَىٰ الْحَالِ، بِمَعْنَىٰ: إِذَا أَصْبَحُوا، وَإِذْ أَشْرَقُوا.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾ [الحجر: ٧٤].

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَ أَرْضِهِمْ سَافِلَهَا..

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾ [الحجر: ٧٤] مِنْ طِينٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر: ٧٥].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلْنَا بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ، وَأَحْلَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ لَعَلَامَاتٌ وَدَلَالَاتٌ..

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر: ٧٥] لِلْمُتَفَرِّسِينَ الْمُعْتَبِرِينَ بِعَلَامَاتِ اللهِ، وَعِبْرَةً عَلَىٰ عَوَاقِبِ أُمُورِ أَهْلِ مَعَاصِيهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ قَوْمَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، يَقُولُ: فَلِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فِي قَوْمِ لُوطٍ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُعْتَبَرٌ.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ٧٦﴾ [الحجر: ٧٦].

﴿وَإِنَّهَا﴾ وَإِنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ، مَدِينَةَ سَدُومٍ..

﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ لَبِطَرِيقٍ وَاضِحٍ..

﴿مُّقِيمٍ ٧٦﴾ [الحجر: ٧٦] يَرَاهَا الْمُجْتَازُ بِهَا، لَا خَفَاءَ بِهَا، وَلَا يَبْرَحُ مَكَانَهَا، فَيَجْهَلُ ذُو لُبٍّ أَمْرَهَا، وَغِبَّ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧﴾ [الحجر: ٧٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي صَنِيعِنَا بِقَوْمِ لُوطٍ مَا صَنَعْنَا بِهِمْ..

﴿لَأٓيَةً﴾ لَعَلَامَةً وَدَلَالَةً بَيِّنَةً..

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧﴾ [الحجر: ٧٧] لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ عَلَىٰ انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَإِنْقَاذِهِ مِنْ عَذَابِهِ،

إِذَا نَزَلَ بِقَوْمٍ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْهُمْ.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر: ٧٨].

﴿وَإِن﴾ وَقَدْ..

﴿كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ كَانَ أَصْحَابُ الْغَيْضَةِ.. وَالْأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ الْمُجْتَمِعُ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ فِي الصَّيْفِ الْفَاكِهَةَ الرَّطْبَةَ، وَفِي الشِّتَاءِ الْيَابِسَةَ..

﴿لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ [الحجر: ٧٨] كَانُوا بِاللهِ كَافِرِينَ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**وَكَانَ رَسُولُهُمْ فِيمَا بَلَغَنَا شُعَيْبٌ ﷺ، أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، أُرْسِلَ إِلَىٰ أُمَّتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَعُذِّبَتَا بِعَذَابَيْنِ شَتَّىٰ، أَمَّا أَهْلُ مَدْيَنَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ، فَكَانُوا أَهْلَ شَجَرٍ مُتَكَاوِسٍ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، لا يُظِلُّهُمْ مِنْهُ ظِلٌّ، وَلا يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَحَابَةً، فَحَلُّوا تَحْتَهَا يَلْتَمِسُونَ الرَّوْحَ فِيهَا، فَجَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا، بَعَثَ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاضْطَرَمَتْ عَلَيْهِمْ فَأَكَلَتْهُمْ، فَذَٰلِكَ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**).

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾ [الحجر: ٧٩].

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْ ظَلَمَةِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ..

﴿وَإِنَّهُمَا﴾ وَإِنَّ مَدِينَةَ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ وَمَدِينَةَ قَوْمِ لُوطٍ..

﴿لَبِإِمَامٍ﴾ لَبِطَرِيقٍ يَأْتَمُّونَ بِهِ فِي سَفَرِهِمْ وَيَهْتَدُونَ بِهِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٧٩﴾ [الحجر: ٧٩] يَبِينُ لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ اسْتِقَامَتُهُ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الطَّرِيقُ إِمَامًا لِأَنَّهُ يُؤَمُّ وَيُتَّبَعُ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: ٨٠].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ سُكَّانُ الْحِجْرِ، وَجُعِلُوا لِسُكْنَاهُمْ فِيهَا وَمَقَامُهُمْ بِهَا أَصْحَابُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابَهَا لِسُكْنَاهُمْ فِيهَا وَمَقَامُهُمْ بِهَا، وَالْحِجْرِ: مَدِينَةُ ثَمُودَ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ الْحِجْرِ: (**أَصْحَابُ الْوَادِي**)..

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: ٨٠] قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّىٰ خَلَّفَهَا**».

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٨١﴾ [الحجر: ٨١].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وَأَرَيْنَاهُمْ..

﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أَدِلَّتَنَا وَحُجَجِنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولَنَا صَالِحًا..

﴿فَكَانُواْ عَنْهَا﴾ فَكَانُوا عَنْ آيَاتِنَا الَّتِي آتَيْنَاهُمُوهَا..

﴿مُعْرِضِينَ ۝٨١﴾ [الحجر: ٨١] لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا وَلَا يَتَّعِظُونَ.

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر: ٨٢].

﴿وَكَانُواْ﴾ وَكَانَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ، وَهُمْ ثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ..

﴿يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر: ٨٢] مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَقِيلَ: آمِنِينَ مِنَ الْخَرَابِ أَنْ تُخَرَّبَ بُيُوتُهُمُ الَّتِي نَحَتُوهَا مِنَ الْجِبَالِ، وَقِيلَ: آمِنِينَ مِنَ الْمَوْتِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝٨٣﴾ [الحجر: ٨٣].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ الْهَلَاكِ..

﴿مُصْبِحِينَ ۝٨٣﴾ [الحجر: ٨٣] حِينَ أَصْبَحُوا مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي وُعِدُوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ لَهُمْ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٤﴾ [الحجر: ٨٤].

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ فَمَا دَفَعَ..

﴿عَنْهُم﴾ عَذَابَ اللهِ..

﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨٤﴾ [الحجر: ٨٤] مَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وَمَا خَلَقْنَا الْخَلَائِقَ كُلَّهَا، سَمَاءَهَا وَأَرْضَهَا، مَا فِيهِمَا..

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ مِمَّا فِي أَطْبَاقِ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، لَا بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي اقْتَصَّ قَصَصَهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَصَصَ إِهْلَاكِهِ إِيَّاهَا بِمَا فَعَلَ بِهِ

مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ لَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ، فَيُعَذِّبُهُ وَيُهْلِكُهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَلَكِنَّهُ خَالِقُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ..

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَإِنَّ السَّاعَةَ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ..

﴿لَآتِيَةٌ﴾ لَجَائِيَةٌ، فَارْضَ بِهَا لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ وَرَدُّوا عَلَيْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥] فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلًا، وَاعْفُ عَنْهُمْ عَفْوًا حَسَنًا.. قَالَ قَتَادَةُ: (**نَسَخَ ذَلِكَ بَعْدُ، فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ**).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦] وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِمْ وَمَا يَأْتُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَ آيَاتٍ مِمَّا يَثْنِي بَعْضُ آيِهِ بَعْضًا، هُنَّ آيَاتُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُنَّ سَبْعُ آيَاتٍ؛ وَلِصِحَّةِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً، لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاةِ؟**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**».. وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَصَلَّىٰ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟**» قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ؟**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِي؛ لِأَنَّهَا تُثْنَىٰ فِي كُلِّ صَلاةٍ، أَوْ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اسْتَثْنَاهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِ، فَادَّخَرَهَا لَهُ..

﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ جَمْعُ مَثْنَاةٍ، وَهِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ، مَوْصُوفَةٌ بِذَلِكَ، لِأَنَّ بَعْضَهَا يَثْنِي بَعْضًا،

وَبَعْضَهَا يَتْلُو بَعْضًا بِفُصُولٍ تَفْصِلُ بَيْنَهَا، فَيُعْرَفُ انْقِضَاءُ الْآيَةِ وَابْتِدَاءُ الَّتِي تَلِيهَا، كَمَا وَصَفَهَا بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُ مَثَانِي؛ لِأَنَّ الْقَصَصَ وَالْأَخْبَارَ كُرِّرَتْ فِيهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ..

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] الْقُرْآنَ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ السَّبْعِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْقُرْآنِ.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ لَا تَتَمَنَّيَنَّ يَا مُحَمَّدُ مَا جَعَلْنَا مِنْ زِينَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعًا لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابًا غَلِيظًا..

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ مَا مُتِّعُوا بِهِ فَعُجِّلَ لَهُمْ، فَإِنَّ لَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، مَعَ الَّذِي قَدْ عَجَّلْنَا لَكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَرَامَةِ بِإِعْطَائِنَا السَّبْعَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.. وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، أَيْ مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِهِ، وَيَقُولُ: أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧- ٨٨]، فَأَمَرَهُ بِالِاسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ عَنِ الْمَالِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ الْآخَرِ: مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَىٰ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ عَظِيمًا..

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وَأَلِنْ لِمَنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ وَاتَّبَعَ كَلَامَكَ، وَقَرِّبْهُمْ مِنْكَ، وَلَا تَجْفُ بِهِمْ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ يَأْمُرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْجَنَاحَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ: جَنْبَاهُ، وَالْجَنَاحَانِ: النَّاحِيَتَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]، قِيلَ: مَعْنَاهُ: إِلَىٰ نَاحِيَتِكَ وَجَنْبِكَ.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩].

﴿وَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ..

﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩] الَّذِي قَدْ أَبَانَ إِنْذَارَهُ لَكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعِقَابِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِنَ اللهِ عَلَىٰ تَمَادِيكُمْ فِي غَيِّكُمْ.

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾ [الحجر: ٩٠].

﴿كَمَآ﴾ مِثْلَ الَّذِي..

﴿أَنزَلۡنَا﴾ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعِقَابِ..

﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾ [الحجر: ٩٠] جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِالْمُقْتَسِمِينَ: أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ لِأَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا كِتَابَ اللهِ، فَأَقَرَّتِ الْيَهُودُ بِبَعْضِ التَّوْرَاةِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضِهَا، وَكَذَّبَتْ بِالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، وَأَقَرَّتِ النَّصَارَىٰ بِبَعْضِ الْإِنْجِيلِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضِهِ وَبِالْفُرْقَانِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ؛ لِأَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْقُرْآنَ، فَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ شِعْرًا وَبَعْضٌ كَهَانَةً، وَبَعْضٌ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِهِ الْفَرِيقَانِ.. فَإِذْ لَمْ يَكُنْ فِي التَّنْزِيلِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عُنِيَ بِهِ أَحَدٌ دُونَ الْآخَرَيْنِ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا فِي فِطْرَةِ عَقْلٍ، وَكَانَ ظَاهِرُ الْآيَةِ مُحْتَمِلًا مَا وَصَفْتُ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُقْتَضِيًا بِأَنَّ كُلَّ مَنِ اقْتَسَمَ كِتَابًا للهِ بِتَكْذِيبِ بَعْضٍ وَتَصْدِيقِ بَعْضٍ، وَاقْتَسَمَ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ مِمَّنْ حَلَّ بِهِ عَاجِلُ نِقْمَةِ اللهِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَدَاخِلٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لِأَشْكَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ كَانُوا عِبْرَةً، وَلِلْمُتَّعِظِينَ بِهِمْ مِنْهُمْ عِظَةً.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحجر: ٩١].

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ﴾ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا..

﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فَجَعَلُوهُ..

﴿عِضِينَ ٩١﴾ [الحجر: ٩١] كَانَ عَضْهُهُمْ إِيَّاهُ: قَذْفُهُمُوهُ بِالْبَاطِلِ، وَقِيلِهِمْ إِنَّهُ شِعْرٌ وَسِحْرٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ [الحجر: ٩٢].

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ فَوَرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ لَنَسْأَلَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا عِضِينَ..

﴿أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ [الحجر: ٩٢] فِي الْآخِرَةِ.

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر: ٩٣].

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر: ٩٣] فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَفِيمَا بَعَثْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِمْ، وَفِيمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ، وَمِنْ تَوْحِيدِي، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٤].

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فَأَمْضِ وَافْرُقْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يُوحَىٰ إِلَيْكَ فَبَلِّغْهُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٤] بَلِّغْ قَوْمَكَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَاكْفُفْ عَنْ حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ وَقِتَالِهِمْ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِ جِهَادُهُمْ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٥].

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٥] يَا مُحَمَّدُ، الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ وَيَسْخَرُونَ مِنْكَ، فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللهِ، وَلَا تَخَفْ شَيْئًا سِوَىٰ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَ مَنْ نَاصَبَكَ وَآذَاكَ كَمَا كَفَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩٦].

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾ هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَتَهْدِيدٌ لِلْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ قَدْ كَفَاهُ أَمْرَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّا كَفَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ السَّاخِرِينَ مِنْكَ، الْجَاعِلِينَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ..

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩٦] مَا يَلْقَوْنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩٧].

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] بِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُحْرِجُكَ.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٨].

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٨] فَافْزَعْ فِيمَا نَابَكَ مِنْ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الشُّكْرِ للهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ، يَكْفِكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَهَذَا نَحْوُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ «كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ».

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، الَّذِي هُوَ مُوقَنٌ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْيَقِينُ: الْمَوْتُ؛ إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ جَاءَهُ تَصْدِيقُ مَا قَالَ اللهُ لَهُ وَحَدَّثَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ**).. وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ -امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ- أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْمُهَاجِرِينَ قُرْعَةً، قَالَتْ: وَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ -يعني: أمَّ العَلاءِ-: يَا عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَهْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ**».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورةِ الحِجْرِ

سُورَةُ النَّحْلِ (١٦)
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيْرُ سُوْرَةِ النَّحْلِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ①﴾ [النحل: ١].

﴿أَتَىٰٓ﴾ فَقَرُبَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَدَنَا..

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، أَخْبَرَهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَرُبَتْ، وَأَنَّ عَذَابَهُمْ قَدْ حَضَرَ أَجَلُهُ فَدَنَا..

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا وقُوعَهُ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَعُلُوًّا لَهُ..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ①﴾ [النحل: ١] عَنِ الشِّرْكِ الَّذِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ عَلَىٰ مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ يَدِينُ بِهِ.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ②﴾ [النحل: ٢].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ يُنَزِّلُ اللهُ مَلَائِكَتَهُ..

﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بِمَا يَحْيَا بِهِ الْحَقُّ وَيَضْمَحِلُّ بِهِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ، بِـ..

﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ عِبَادِي سَطْوَتِي عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِي وَإِشْرَاكِهِمْ فِي اتِّخَاذِهِمْ مَعِي الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، فَـ..

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِي، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ شَيْءٌ سِوَايَ..

﴿فَٱتَّقُونِ ②﴾ [النحل: ٢] فَاحْذَرُونِي بِأَدَاءِ فَرَائِضِي، وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِ الرُّبُوبِيَّةِ لِي، فَإِنَّ ذَلِكَ نَجَاتُكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾ [النحل: ٣].

﴿خَلَقَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَرِّفًا خَلْقَهُ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ: خَلَقَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ الْحَقُّ، مُنْفَرِدًا بِخَلْقِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي إِنْشَائِهَا وَإِحْدَاثِهَا شَرِيكٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَيْهِ مُعِينٌ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ..

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾ [النحل: ٣] عَلَا رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَنْ شِرْكِكُمْ وَدَعْوَاكُمْ إِلَهًا دُونَهُ، فَارْتَفَعَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ شَرِيكٌ أَوْ ظَهِيرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ يَخْلُقُ وَيُنْشِئُ بِقُدْرَتِهِ مِثْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَبْتَدِعُ الْأَجْسَامَ فَيُحْدِثُهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْأُلُوهَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤﴾ [النحل: ٤].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ، فَأَحْدَثَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ خَلْقًا عَجِيبًا، قَلَبَهُ تَارَاتٍ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَىٰ ضِيَاءِ الدُّنْيَا بَعْدَ مَا تَمَّ خَلْقُهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَغَذَّاهُ وَرَزَقَهُ الْقُوتَ وَنَمَّاهُ.. عَنَىٰ بِالْإِنْسَانِ: جَمِيعَ النَّاسِ، أُخْرِجَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَهُوَ فِي مَعْنَىٰ الْجَمِيعِ..

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ كَفَرَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، وَجَحَدَ مُدَبِّرَهُ، وَعَبَدَ مَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَخَاصَمَ إِلَهَهُ، فَقَالَ ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨﴾ [يس: ٧٨]، وَنَسِيَ الَّذِي خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ خَلْقًا سَوِيًّا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ..

﴿مُّبِينٌ ٤﴾ [النحل: ٤] يُبِينُ عَنْ خُصُومَتِهِ بِمَنْطِقِهِ، وَيُجَادِلُ بِلِسَانِهِ، فَذَلِكَ إِبَانَتُهُ.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥﴾ [النحل: ٥].

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ﴾ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، فَسَخَّرَهَا لَكُمْ..

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا مَلَابِسَ تَدْفَئُونَ بِهَا..

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَظُهُورِهَا تَرْكَبُونَهَا..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ مَا.. وَحُذِفَتْ (مَا) مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ مِنْ عَلَيْهَا..

﴿تَأْكُلُونَ ٥﴾ [النحل: ٥] لَحْمَهُ كَالْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَسَائِرِ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل: ٦].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ وَلَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَنْعَامِ وَالْمَوَاشِي الَّتِي خَلَقَهَا لَكُمْ..

﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تَرُدُّونَهَا بِالْعَشِيِّ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَىٰ مَرَاحِهَا وَمَنَازِلِهَا الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا..

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل: ٦] وَفِي وَقْتِ إِخْرَاجِكُمُوهَا غُدْوَةً مِنْ مَرَاحِهَا إِلَىٰ مَسَارِحِهَا.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل: ٧].

﴿وَتَحْمِلُ﴾ هَذِهِ الْأَنْعَامُ..

﴿أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ آخَرَ..

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ إِلَّا بِجَهْدٍ مِنْ أَنْفُسِكُمْ شَدِيدٍ، وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ..

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَرَءُوفٌ﴾ ذُو رَأْفَةٍ بِكُمْ وَرَحْمَةٍ..

﴿رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل: ٧] وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ، خَلَقَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَدِلَّةً لَكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ وَمَعْرِفَةِ إِلَهِكُمْ، لِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، فَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ وَخَلَقَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَكُمْ أَيْضًا..

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ وَجَعَلَهَا لَكُمْ زِينَةً تَتَزَيَّنُونَ بِهَا مَعَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا لَكُمْ، لِلرُّكُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَيَخْلُقُ﴾ رَبُّكُمْ مَعَ خَلْقِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا لَكُمْ..

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨] مِمَّا أَعَدَّ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا، وَفِي النَّارِ لِأَهْلِهَا، مِمَّا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَا سَمِعَتْهُ أُذُنٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٩].

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ بَيَانُ طَرِيقِ الْحَقِّ لَكُمْ، فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ، فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَالسَّبِيلُ: هِيَ الطَّرِيقُ، وَالْقَصْدُ مِنَ الطَّرِيقِ: الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ..

﴿وَمِنْهَا﴾ وَمِنَ السَّبِيلِ..

﴿جَآئِرٌ﴾ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ مُعْوَجٌّ، فَالْقَاصِدُ مِنَ السَّبِيلِ: الْإِسْلَامُ، وَالْجَائِرُ مِنْهَا: الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مِلَلِ الْكُفْرِ، كُلُّهَا جَائِرٌ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَقَصْدِهَا، سِوَىٰ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَقِيلَ: وَمِنْهَا جَائِرٌ، لِأَنَّ السَّبِيلَ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ، فَأُنِّثَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَمِنْهَا﴾ لِأَنَّ السَّبِيلَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهَا لَفْظُ وَاحِدٍ فَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [النحل: ٩] وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَلَطَفَ بِجَمِيعِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَوْفِيقِهِ، فَكُنْتُمْ تَهْتَدُونَ وَتَلْزَمُونَ قَصْدَ السَّبِيلِ، وَلَا تَجُورُونَ عَنْهُ فَتَتَفَرَّقُونَ فِي سُبُلٍ عَنِ الْحَقِّ جَائِرَةٍ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠].

﴿هُوَ﴾ وَالَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمِ وَخَلَقَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ وَالْخَيْلَ وَسَائِرَ الْبَهَائِمِ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، هُوَ الرَّبُّ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿لَّكُم مِّنْهُ﴾ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ..

﴿شَرَابٌ﴾ تَشْرَبُونَهُ..

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ وَمِنْهُ شَرَابُ أَشْجَارِكُمْ، وَحَيَاةُ غُرُوسِكُمْ وَنَبَاتِهَا..

﴿فِيهِ﴾ فِي الشَّجَرِ الَّذِي يَنْبُتُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿تُسِيمُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠] تُرْعُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: أَسَامَ فُلَانٌ إِبِلَهُ يُسِيمُهَا إِسَامَةً إِذَا أَرْعَاهَا، وَسَوَّمَهَا أَيْضًا يُسَوِّمُهَا، وَسَامَتْ هِيَ: إِذْ رَعَتْ، فَهِيَ تَسُومُ، وَهِيَ إِبِلٌ سَائِمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْمَوَاشِي الْمُطْلَقَةِ فِي الْفَلَاةِ وَغَيْرِهَا لِلرَّعْيِ سَائِمَةٌ، وَقَدْ وَجَّهَ بَعْضُهُمْ مَعْنَىٰ السَّوْمِ فِي الْبَيْعِ إِلَىٰ أَنَّهُ مِنْ هَذَا، وَأَنَّهُ ذَهَابُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ فِيمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ زِيَادَةِ ثَمَنٍ وَنُقْصَانِهِ، كَمَا تَذْهَبُ سَوَائِمُ الْمَوَاشِي حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ مَرَاعِيهَا.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [النحل: ١١].

﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِهِ﴾ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ زَرْعَكُمْ، وَزَيْتُونَكُمْ، وَنَخِيلَكُمْ، وَأَعْنَابَكُمْ..

﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وَمِنْ كُلِّ الْفَوَاكِهِ غَيْرِ ذَلِكَ أَرْزَاقًا لَكُمْ وَأَقْوَاتًا وَإِدَامًا وَفَاكِهَةً، نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَتَفَضُّلًا، وَحُجَّةً عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْكُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِخْرَاجِ اللهِ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ مَا وَصَفَ لَكُمْ..

﴿لَآيَةً﴾ لَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَعَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ⑪﴾ [النحل: ١١] لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللهِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ، فَيَتَذَكَّرُونَ وَيُنِيبُونَ.

> ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑫﴾ [النحل: ١٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلُ أَنْ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ، هَذَا لِتَصَرُّفِكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَهَذَا لِسَكَنِكُمْ فِيهِ..

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ أَزْمِنَتِكُمْ، وَشُهُورِكُمْ، وَسِنِينِكُمْ، وَصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ..

﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ لَكُمْ، تَجْرِي فِي فَلَكِهَا لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿بِأَمْرِهِ﴾ بِأَمْرِ اللهِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللهِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا سَخَّرَهُ..

﴿لَآيَاتٍ﴾ لَدَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑫﴾ [النحل: ١٢] حُجَجَ اللهِ وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ تَنْبِيهَهُ إِيَّاهُمْ.

> ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ⑬﴾ [النحل: ١٣].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا خَلَقَ لَكُمْ..

﴿فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ مِنَ الدَّوَابِّ وَمِنَ الشَّجَرِ وَالثِّمَارِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ⑬﴾ [النحل: ١٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَهُوَ﴾ وَالَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ النِّعَمَ..

﴿ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ وَهُوَ كُلُّ نَهْرٍ مِلْحًا مَاؤُهُ أَوْ عَذْبًا..

﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وَهُوَ السَّمَكُ الَّذِي يُصْطَادُ مِنْهُ..

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وَهُوَ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ..

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ السُّفُنَ..

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ مَوَاخِرُ: جَمْعُ مَاخِرَةٍ، وَالْمَخْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: صَوْتُ هُبُوبِ الرِّيحِ إِذَا اشْتَدَّ هُبُوبُهَا، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: صَوْتُ جَرْيِ السَّفِينَةِ بِالرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ وَشَقَّهَا الْمَاءَ حِينَئِذٍ بِصَدْرِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: مَخَرَت السَّفِينَةُ تَمْخُرُ مَخْرًا وَمُخُورًا، وَهِيَ مَاخِرَةٌ، وَيُقَالُ: امْتَخَرْتَ الرِّيحَ وَتَمَخَّرْتُهَا: إِذَا نَظَرْتَ مِنْ أَيْنَ هُبُوبُهَا، وَتَسَمَّعْتَ صَوْتَ هُبُوبِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ وَاصِلٍ مَوْلَىٰ ابْنِ عُيَيْنَةَ:(**كَانَ يُقَالُ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْبَوْلَ فَلْيَتَمَخَّرِ الرِّيحَ**)، يُرِيدُ بِذَلِكَ: لِيَنْظُرْ مِنْ أَيْنَ مَجْرَاهَا وَهُبُوبُهَا لِيَسْتَدْبِرَهَا فَلَا تُرْجِعُ عَلَيْهِ الْبَوْلَ وَتَرُدُّهُ عَلَيْهِ..

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَلْتَتَصَرَّفُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ بِالتِّجَارَةِ سَخَّرَ لَكُمْ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤] وَلِتَشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، سَخَّرَ لَكُمْ مَا سَخَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَدَّدَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٥].

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيْضًا، أَنْ أَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ، جَمْعُ رَاسِيَةٍ، وَهِيَ الثَّوَابِتُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ..

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا﴾ أَنْ لَا تَمِيدَ بِكُمْ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، وَالْمَعْنَىٰ: أَنْ لَا تَضِلُّوا، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَرْسَىٰ الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ لِئَلَّا يَمِيدَ خَلْقُهُ الَّذِي عَلَىٰ ظَهْرِهَا، بَلْ وَقَدْ كَانَتْ مَائِدَةً قَبْلَ أَنْ تُرْسَىٰ بِهَا، كَمَا قال الحَسَنُ: (**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمُورُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمُقِرَّةٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَحَدًا فَأَصْبَحَتْ صُبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا**).. وَالْمَيْدُ: هُوَ الِاضْطِرَابُ وَالتَّكَفُّؤُ، يُقَالُ: مَادَتِ السَّفِينَةُ تَمِيدُ مَيْدًا: إِذَا تَكَفَّأَتْ بِأَهْلِهَا وَمَالَتْ، وَمِنْهُ الْمَيْدُ الَّذِي يَعْتَرِي رَاكِبَ الْبَحْرِ، وَهُوَ الدُّوَارُ..

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا، فَعَطَفَ بِالْأَنْهَارِ عَلَىٰ الرَّوَاسِي، وَأَعْمَلَ فِيهَا مَا أَعْمَلَ فِي الرَّوَاسِي، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ..

﴿وَسُبُلًا﴾ جَمْعُ سَبِيلٍ، كَمَا الطُّرُقُ جَمْعُ طَرِيقٍ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَجَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الْأَرْضِ سُبُلًا وَفِجَاجًا تَسْلُكُونَهَا وَتَسِيرُونَ فِيهَا فِي حَوَائِجِكُمْ، وَطَلَبِ مَعَايِشِكُمْ، رَحْمَةً بِكُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ عَمَّاهَا عَلَيْكُمْ لَهَلَكْتُمْ ضَلَالًا وَحِيرَةً..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ⑮﴾ [النحل: ١٥] لِكَيْ تَهْتَدُوا بِهَذِهِ السُّبُلِ الَّتِي جَعَلَهَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقْصِدُونَ، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تُرِيدُونَ، فَلَا تَضِلُّوا وَتَتَحَيَّرُوا.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ⑯﴾ [النحل: ١٦].

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِالْعَلَامَاتِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا مَعَالِمُ الطُّرُقِ بِالنَّهَارِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهَا النُّجُومُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهَا الْجِبَالُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَدَّدَ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي يَهْتَدُونَ بِهَا فِي مَسَالِكِهِمْ وَطُرُقِهِمُ الَّتِي يَسِيرُونَهَا، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ بَعْضَ الْعَلَامَاتِ دُونَ بَعْضٍ، فَكُلُّ عَلَامَةٍ اسْتَدَلَّ بِهَا النَّاسُ عَلَىٰ طُرُقِهِمْ وَفِجَاجِ سُبُلِهِمْ فَدَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ﴾، فَالطُّرُقُ الْمَسْبُولَةِ الْمَوْطُوءَةِ، عَلَامَةٌ لِلنَّاحِيَةِ الْمَقْصُودَةِ، وَالْجِبَالُ عَلَامَاتٌ يُهْتَدَىٰ بِهِنَّ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ بِاللَّيْلِ.. غَيْرَ أَنَّ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ الْعَلَامَاتُ مِنْ أَدِلَّةِ النَّهَارِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ قَدْ فَصَلَ مِنْهَا أَدِلَّةَ اللَّيْلِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ⑯﴾، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَشْبَهُ وَأَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْعَلَامَاتِ مَعَالِمُ الطُّرُقِ وَأَمَارَاتُهَا الَّتِي يُهْتَدَىٰ بِهَا إِلَىٰ الْمُسْتَقِيمِ مِنْهَا نَهَارًا، وَأَنْ يَكُونَ النَّجْمُ الَّذِي يُهْتَدَىٰ بِهِ لَيْلًا هُوَ الْجَدْيُ وَالْفَرْقَدَانِ؛ لِأَنَّ بِهَا اهْتِدَاءُ السَّفَرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النُّجُومِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَجَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَامَاتٍ تَسْتَدِلُّونَ بِهَا نَهَارًا عَلَىٰ طُرُقِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ..

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ⑯﴾ [النحل: ١٦] وَنُجُومًا تَهْتَدُونَ بِهَا لَيْلًا فِي سُبُلِكُمْ.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ⑰﴾ [النحل: ١٧].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ: أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَذِهِ الْخَلَائِقَ الْعَجِيبَةَ الَّتِي عَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ وَيُنْعِمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ..

﴿كَمَن﴾ وَ (مَنْ) لِذَوِي التَّمْيِيزِ خَاصَّةً، فَجُعِلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِغَيْرِهِمْ لِلتَّمْيِيزِ، إِذْ وَقَعَ تَفْصِيلًا بَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ وَمَنْ لَا يَخْلُقُ، وَمَحْكِيٌّ عَنِ الْعَرَبِ: اشْتَبَهَ عَلَيَّ الرَّاكِبُ وَجَمَلُهُ، فَمَا أَدْرِي مَنْ ذَا وَمَنْ ذَا، حَيْثُ جُمِعَا وَأَحَدُهُمَا إِنْسَانٌ، حَسُنَتْ (مَنْ) فِيهِمَا جَمِيعًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]..

﴿لَا يَخْلُقُ﴾ شَيْئًا وَلَا يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً؟ يَقُولُ: أَتُشْرِكُونَ هَذَا فِي عِبَادَةِ هَذَا؟ يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ عِظَمَ جَهْلِهِمْ، وَسُوءِ نَظَرِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَقِلَّةِ شُكْرِهِمْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي عَدَّدَهَا عَلَيْهِمْ، الَّتِي لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ، قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُوَبِّخُهُمْ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل: ١٧] أَيُّهَا النَّاسُ، أَفَلَا تَذْكُرُونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا شَاءَ، وَعَجْزِ أَوْثَانِكُمْ، وَضَعْفِهَا، وَمَهَانَتِهَا، وَأَنَّهَا لَا تَجْلِبُ إِلَىٰ نَفْسِهَا نَفْعًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا، فَتَعْرِفُوا بِذَلِكَ خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمُوهَا، وَإِقْرَارِكُمْ لَهَا بِالْأُلُوهَةِ؟

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨].

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ لَا تُطِيقُوا أَدَاءَ شُكْرِهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي شُكْرِ بَعْضِ ذَلِكَ إِذَا تُبْتُمْ وَأَنَبْتُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨] بِكُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوْبَةِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النحل: ١٩].

﴿وَٱللَّهُ﴾ الَّذِي هُوَ إِلَهُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ، فَتُخْفُونَهُ عَنْ غَيْرِكُمْ..

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النحل: ١٩] وَمَا تُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ، وَمَا تُعْلِنُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَهُوَ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِهِ، وَمُسَائِلِكُمْ عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الشُّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، مِنْهَا الَّتِي أَحْصَيْتُمْ وَالَّتِي لَمْ تُحْصُوا.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾ [النحل: ٢٠].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَأَوْثَانُكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا..

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾ [النحل: ٢٠] وَهِيَ تُخْلَقُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَا كَانَ مَصْنُوعًا مُدَبَّرًا لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؟

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢١].

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ، أَمْوَاتًا غَيْرَ أَحْيَاءٍ، إِذْ كَانَتْ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وَمَا تَدْرِي أَصْنَامُكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الْكُفَّارَ، أَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ..

﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢١] مَتَىٰ يُبْعَثُونَ.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢﴾ [النحل: ٢٢].

﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ مَعْبُودُكُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ، وَإِفْرَادَ الطَّاعَةِ لَهُ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ..

﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ شَرِيكًا سِوَاهُ..

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فَالَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَلَا يُقِرُّونَ بِالْمَعَادِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ مُسْتَنْكِرَةٌ لِمَا نَقُصُّ عَلَيْهِمْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَمِيلِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ، وَالْأُلُوهَةُ لَيْسَتْ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢﴾ [النحل: ٢٢] عَنْ إِفْرَادِ اللهِ بِالْأُلُوهَةِ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ أَسْلَافُهُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ إِنْكَارِهِمْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَنْبَاءِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَاعْتِقَادِهِمْ نَكِيرَ قَوْلِنَا لَهُمْ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٢٢]، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَلَى اللهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوهُ، وَيَخْلَعُوا مَا دُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ؟..

﴿قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤] قَالُوا: الَّذِي أَنْزَلَ مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْأَبَاطِيلِ.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِتَكُونَ لَهُمْ ذُنُوبُهُمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ مِنْ تَكْذِيبِهِمُ اللهَ، وَكُفْرِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ..

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَمِنْ ذُنُوبِ الَّذِينَ يَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ يَضِلُّونَ يُفْتَنُونَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥] أَلَا سَاءَ الْإِثْمُ الَّذِي يَأْثَمُونَ، وَالثِّقَلُ الَّذِي يَتَحَمَّلُونَ.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل: ٢٦].

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ دِينِ اللهِ، فَرَامُوا مُغَالَبَةَ اللهِ بِبِنَاءِ بَنَوْهُ، يُرِيدُونَ بِزَعْمِهِمُ الِارْتِفَاعَ إِلَى السَّمَاءِ لِحَرْبِ مَنْ فِيهَا..

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ هَدَمَ اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنْ أَصْلِهِ.. وَالْقَوَاعِدُ: جَمْعُ قَاعِدَةٍ، وَهِيَ الْأَسَاسُ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذَا مَثَلٌ لِلِاسْتِئْصَالِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّ اللهَ اسْتَأْصَلَهُمْ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تَقُولُ ذَلِكَ إِذَا اسْتُؤْصِلَ الشَّيْءُ..

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ تَسَاقَطَتْ عَلَيْهِمْ سُقُوفُ بُيُوتِهِمْ، إِذْ أَتَى أُصُولَهَا وَقَوَاعِدَهَا أَمْرُ اللهِ، فَانْتَفَكَتْ بِهِمْ مَنَازِلُهُمْ..

﴿وَأَتَىٰهُمُ﴾ وَأَتَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿ٱلْعَذَابُ﴾ عَذَابُ اللهِ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [النحل: ٢٦] مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرُونَ، فَإِنَّهُ أَتَاهُمْ مِنْ مَأْمَنِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ أَسَاسِ الصَّرْحِ.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل: ٢٧].

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فَعَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَهُمْ مَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَالِانْتِقَامِ بِكُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ وَحْدَانِيَّتَهُ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿يُخْزِيهِمْ﴾ مُخْزِيهِمْ فَمُذِلُّهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ..

﴿وَيَقُولُ﴾ وَقَائِلٌ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْرِيعًا لِلْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ: أَيْنَ شُرَكَائِي؟ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي الْيَوْمَ؟ مَا لَهُمْ لَا يَحْضُرُونَكُمْ فَيَدْفَعُوا عَنْكُمْ مَا أَنَا مُحِلٌّ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَالْوَلِيُّ يَنْصُرُ وَلِيَّهُ؟ وَكَانَتْ مُشَاقَّتُهُمُ اللهَ فِي أَوْثَانِهِمْ مُخَالَفَتَهُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِمْ.. وَ﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾ أَصْلُهُ: مِنْ شَاقَقْتُ فُلَانًا فَهُوَ يُشَاقُّنِي، وَذَلِكَ إِذَا فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ﴾ الذِّلَّةَ وَالْهَوَانَ..

﴿ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ يَعْنِي: عَذَابَ اللهِ..

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل: ٢٧] عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ فَجَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل: ٢٨].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ بِاللهِ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ وَقَدْ أُخْرِجَ إِلَيْهَا كَرْهًا..

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ فَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ، وَانْقَادُوا لَهُ حِينَ عَايَنُوا الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ..

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اسْتُغْنِيَ بِفَهْمِ سَامِعِيهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ: (قَالُوا) مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، يُخْبِرُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا وَقَالُوا: مَا كُنَّا نَعْصِي اللهَ، اعْتِصَامًا مِنْهُمْ بِالْبَاطِلِ، رَجَاءَ أَنْ يَنْجُوا بِذَلِكَ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فَقَالَ..

﴿بَلَىٰٓ﴾ بَلْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ السُّوءَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل: ٢٨] فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِيهِ، وَتَأْتُونَ فِيهَا مَا يُسْخِطُهُ.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل: ٢٩].

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ أَنْفُسِهِمْ حِينَ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ، يَعْنِي: طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا..

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل: ٢٩] فَلَبِئْسَ مَنْزِلُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَىٰ اللهِ، وَلَمْ يُقِرَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَيُصَدِّقْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ جَهَنَّمُ.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ [النحل: ٣٠].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ وَقِيلَ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ وَتَقْوَىٰ للهِ..

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ قَالُوا: أَنْزَلَ خَيْرًا.. فَالْكُفَّارُ جَحَدُوا التَّنْزِيلَ، فَقَالُوا حِينَ سَمِعُوهُ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾، أَيْ هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَلَمْ يُنَزِّلِ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا،

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَصَدَّقُوا التَّنْزِيلَ، فَـ ﴿قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ أَنْزَلَ خَيْرًا.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرُ، فَقَالَ..

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَطَاعُوهُ..

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَدَعَوْا عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ كَرَامَةٌ مِنَ اللهِ..

﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَكَرَامَةُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ كَرَامَتِهِ الَّتِي عَجَّلَهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٠﴾ [النحل: ٣٠] الَّذِينَ خَافُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقَوْا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيهِ، دَارُ الْآخِرَةِ.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣١].

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بَسَاتِينُ لِلْمَقَامِ..

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿فِيهَا﴾ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿مَا يَشَآءُونَۚ﴾ مِمَّا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّ أَعْيُنُهُمْ...

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا يَجْزِي اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا وَصَفَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ جَزَاهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَذَلِكَ..

﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣١] يَجْزِي الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ مَلَائِكَةُ اللهِ، وَهُمْ طَيِّبُونَ بِتَطْيِيبِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِنَظَافَةِ الْإِيمَانِ، وَطُهْرِ الْإِسْلَامِ، فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ وَحَالِ مَمَاتِهِمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ وَهِيَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُم..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ صِيرُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، بِشَارَةً مِنَ اللهِ تُبَشِّرُهُمْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ..

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢] بِمَا كُنْتُمْ تُصِيبُونَ فِي الدُّنْيَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ فِيهَا طَاعَةَ اللهِ طَلَبَ مَرْضَاتِهِ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ [النحل: ٣٣].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ..

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ بِحَشْرِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ كَمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ مِنِ انْتِظَارِهِمْ مَلَائِكَةَ اللهِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، أَوْ إِتْيَانِ أَمْرِ اللهِ، فَعَلَ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ بِاللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِي كُلِّ مُشْرِكٍ بِاللهِ..

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بِإِحْلَالِ سَخَطِهِ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ [النحل: ٣٣] بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ، حَتَّىٰ اسْتَحَقُّوا عِقَابَهُ، فَعَجَّلَ لَهُمْ.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾ [النحل: ٣٤].

﴿فَأَصَابَهُمۡ﴾ فَأَصَابَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِعْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ عُقُوبَاتُ ذُنُوبِهِمْ، وَنِقَمِ مَعَاصِيهِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا..

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾ [النحل: ٣٤] مِنْهُ، وَيَسْخَرُونَ عِنْدَ إِنْذَارِهِمْ ذَلِكَ رُسُلُ اللهِ، وَنَزَلَ ذَلِكَ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل: ٣٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ مَا نَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَّا لِأَنَّ اللهَ قَدْ رَضِيَ عِبَادَتَنَا هَؤُلَاءِ، وَلَا نُحَرِّمُ مَا حَرَّمْنَا مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ إِلَّا

أَنَّ اللهَ شَاءَ مِنَّا وَمِنْ آبَائِنَا تَحْرِيمِنَاهَا وَرَضِيَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ لَقَدْ غَيَّرَ ذَلِكَ بِبَعْضِ عُقُوبَاتِهِ، أَوْ بِهِدَايَتِهِ إِيَّانَا إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ..

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمُشْرِكَةِ الَّذِينَ اسْتَنَّ هَؤُلَاءِ سُنَّتَهُمْ، فَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ، وَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَفْعَالِ آبَائِهِمُ الضُّلَّالِ..

﴿فَهَلۡ﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا..

﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ بِإِنْذَارِكُمْ عُقُوبَتَنَا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ..

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل: ٣٥] إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَكُمْ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ ﴿ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ الَّذِي يُبِينُ عَنْ مَعْنَاهُ لِمَنْ أُبَلِغَهُ، وَيُفْهِمُهُ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ..

﴿رَّسُولًا﴾ كَمَا بَعَثْنَا فِيكُمْ بِـ..

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وَابْعِدُوا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُغْوِيَكُمْ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَتَضِلُّوا..

﴿فَمِنۡهُم﴾ فَمِمَّنْ بَعَثْنَا فِيهِمْ رُسُلَنَا..

﴿مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فَوَفَّقَهُ لِتَصْدِيقِ رُسُلِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهَا وَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، فَفَازَ وَأَفْلَحَ وَنَجَا مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَمِنۡهُم﴾ وَمِمَّنْ بَعَثْنَا رُسُلَنَا إِلَيْهِ..

﴿مَّنۡ﴾ الْأُمَمِ آخَرُونَ..

﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ، فَجَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا الطَّاغُوتَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ..

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرَ مُصَدِّقِي رَسُولِنَا فِيمَا يُخْبِرُكُمْ بِهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ مِنْ بَأْسِنَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ

رَسُولَهُ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي كَانُوا يَسْكُنُونَهَا وَالْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا يَعْمُرُونَهَا..

﴿فَانظُرُواْ﴾ إِلَىٰ آثَارِ اللهِ فِيهِمْ وَآثَارِ سَخَطِهِ النَّازِلِ بِهِمْ..

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦] كَيْفَ أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبَهُمْ رُسُلَ اللهِ مَا أَعْقَبَهُمْ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، وَتَعْلَمُونَ بِهِ صِحَّةَ الْخَبَرِ الَّذِي يُخْبِرُكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ [النحل: ٣٧].

﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ عَلَىٰ هُدَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ فَإِنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَلَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ، وَبَلِّغْهُ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، لِتَتِمَّ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ [النحل: ٣٧] وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ، فَيَحُولُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ مِنْ عُقُوبَتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [النحل: ٣٨].

﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ وَحَلَفَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ حَلِفُهُمْ..

﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَكَذَبُوا وَأَبْطَلُوا فِي أَيْمَانِهِمُ الَّتِي حَلَفُوا بِهَا كَذَلِكَ..

﴿بَلَىٰ﴾ بَلْ سَيَبْعَثُهُ اللهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ..

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وَعْدًا عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَهُمْ، وَعَدَ عِبَادَهُ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [النحل: ٣٨] وَلَكِنَّ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ لَا يَعْلَمُونَ وَعْدَ اللهِ عِبَادَهُ أَنَّهُ بَاعِثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ أَحْيَاءً.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ [النحل: ٣٩].

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ بَلْ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ مَنْ يَمُوتُ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا، لِيُبَيِّنَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ وَلِغَيْرِهِمْ..

﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ خَلْقَهُ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ جَحَدُوا صِحَّةَ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهُ..

﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ۝٣٩﴾ [النحل: ٣٩] فِي قِيلِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] إِنَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَبْعَثَ مَنْ يَمُوتُ فَلَا تَعَبَ عَلَيْنَا وَلَا نَصَبَ فِي إِحْيَائِنَاهُمْ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَخْلُقُ وَنُكَوِّنُ وَنُحْدِثُ، لِأَنَّا إِذَا أَرَدْنَا خَلْقَهُ وَإِنْشَاءَهُ فَإِنَّمَا نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، لَا مُعَانَاةَ فِيهِ وَلَا كُلْفَةَ عَلَيْنَا.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [النحل: ٤١].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ وَالَّذِينَ فَارَقُوا قَوْمَهُمْ وَدُورَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ عَدَاوَةً لَهُمْ..

﴿فِى ٱللَّهِ﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ إِلَىٰ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا نِيلَ مِنْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَكَارِهِ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ لَنُسْكِنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَسْكَنًا يَرْضَوْنَهُ صَالِحًا..

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾ وَلَثَوَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ هِجْرَتِهِمْ فِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، لِأَنَّ ثَوَابَهُ إِيَّاهُمْ هُنَالِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي يَدُومُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ..

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [النحل: ٤١].

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾ [النحل: ٤٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، وَآتَيْنَاهُمُ الثَّوَابَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ الَّذِينَ..

﴿صَبَرُواْ﴾ فِي اللهِ عَلَىٰ مَا نَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾ [النحل: ٤٢] وَبِاللهِ يَثِقُونَ فِي أُمُورِهِمْ، وَإِلَيْهِ يَسْتَنِدُونَ فِي نَوَائِبِ الْأُمُورِ الَّتِي تَنُوبُهُمْ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِنَا وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا..

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ وَحْيَنَا، لَا مَلَائِكَةً، يَقُولُ: فَلَمْ نُرْسِلْ إِلَىٰ قَوْمِكَ إِلَّا مِثْلَ الَّذِي كُنَّا نُرْسِلُ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ جِنْسِهِمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ..

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣] يَقُولُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ: وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ كُنَّا نُرْسِلُ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقُلْتُمْ هُمْ مَلَائِكَةٌ، أَيْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ قَدْ قَرَءُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِمْ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، أَبَشَرًا كَانَتِ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْكُمْ أَمْ مَلَائِكَةً؟ فَإِنْ كَانُوا مَلَائِكَةً أَنْكَرْتُمْ، وَإِنْ كَانُوا بَشَرًا فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾

[النحل: ٤٤].

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ.. وَالْبَيِّنَاتِ: هِيَ الْأَدِلَّةُ وَالْحُجَجُ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ رُسُلَهُ أَدِلَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ شَاهِدَةً لَهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَتَوْا بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ.. وَالزُّبُرُ: هِيَ الْكُتُبُ، وَهِيَ جَمْعُ زَبُورٍ، مِنْ زَبَرْتُ الْكِتَابَ وَزَبَرْتُهُ: إِذَا كَتَبْتُهُ..

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ تَذْكِيرًا لِلنَّاسِ وَعِظَةً لَهُمْ..

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ لِتُعَرِّفَهُمْ..

﴿مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤] وَلِيَتَذَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، أَيْ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، وَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾، قَالَ: (يُطِيعُونَ).

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥﴾ [النحل: ٤٥].

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَامُوا أَنْ يَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، صَدًّا مِنْهُمْ لِمَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥﴾ [النحل: ٤٥] مِنْ مَكَانٍ لَا يَشْعُرُ بِهِ وَلَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهُ؟.. وَذَلِكَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللهِ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ، وَهُوَ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، فَكَانَ تَهْدِيدُ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِحُجَّةِ اللهِ الَّذِي جَرَىٰ الْكَلَامُ بِخِطَابِهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٤٦﴾ [النحل: ٤٦].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ أَوْ يُهْلِكَهُمْ..

﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ فِي تَصَرُّفِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَتَرَدُّدِهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ..

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٤٦﴾ [النحل: ٤٦] فَإِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ اللهَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ أَرَادَ أَخْذَهُمْ كَذَلِكَ.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٤٧﴾ [النحل: ٤٧].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أَوْ يُهْلِكَهُمْ بِتَخَوُّفٍ، وَذَلِكَ بِنَقْصٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ وَنَوَاحِيهِمُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، حَتَّىٰ يُهْلِكَ جَمِيعَهُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: تَخَوَّفَ مَالَ فُلَانٍ الْإِنْفَاقُ: إِذَا انْتَقَصَهُ، وَنَحْوُ تَخَوُّفِهِ مِنَ التَّخَوُّفِ بِمَعْنَىٰ التَّنَقُّصِ..

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾ إِنْ لَمْ يَأْخُذْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ بِعَذَابٍ مُعَجَّلٍ لَهُمْ، وَأَخَذَهُمْ بِمَوْتٍ وَتَنَقَّصَ بَعْضَهُمْ فِي أَثَرِ بَعْضٍ..

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٤٧﴾ [النحل: ٤٧] لَرَءُوفٌ بِخَلْقِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ لَمْ يَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَلَمْ يُعَجِّلْ لَهُمُ الْعَذَابَ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُهُمْ وَيُنْقِصُهُمْ بِمَوْتٍ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝٤٨﴾ [النحل: ٤٨].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ..

﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جِسْمٍ قَائِمٍ، شَجَرٍ، أَوْ جَبَلٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ يَرْجِعُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، فَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ عَلَىٰ حَالٍ، ثُمَّ يَتَقَلَّصُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ حَالٍ أُخْرَىٰ فِي آخِرِ النَّهَارِ..

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ ظِلَالُ الْأَشْيَاءِ هِيَ الَّتِي تَسْجُدُ، وَسُجُودُهَا: مَيَلَانُهَا وَدَوَرَانُهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَىٰ جَانِبٍ، وَنَاحِيَةٍ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: سَجَدَتِ النَّخْلَةُ إِذَا مَالَتْ، وَسَجَدَ الْبَعِيرُ وَأَسْجَدَ: إِذَا أُمِيلَ لِلرُّكُوبِ..

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٨] وَهُمْ صَاغِرُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: دَخَرَ فُلَانٌ للهِ يَدْخُرُ دَخَرًا وَدُخُورًا: إِذَا ذَلَّ لَهُ وَخَضَعَ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٩].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ وَللهِ يَخْضَعُ وَيَخْشَعُ وَيَسْتَسْلِمُ لأَمْرِهِ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ تَدِبُّ عَلَيْهَا..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ..

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [النحل: ٤٩] عَنِ التَّذَلُّلِ لَهُ بِالطَّاعَةِ ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [النحل: ٢٢]، وَظِلَالُهُمْ تَتَفَيَّأُ عَنِ الْيَمِينِ، وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝﴾ [النحل: ٥٠].

﴿يَخَافُونَ﴾ يَخَافُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ..

﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ إِنْ عَصَوْا أَمْرَهُ..

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝﴾ [النحل: ٥٠] وَيَفْعَلُونَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فَيُؤَدُّونَ حُقُوقَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ سَخَطَهُ.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾ [النحل: ٥١].

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ لِعِبَادِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ﴾ لَا تَتَّخِذُوا لِي شَرِيكًا أَيُّهَا النَّاسُ، وَلَا تَعْبُدُوا..

﴿إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ مَعْبُودَيْنِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا عَبَدْتُمْ مَعِي غَيْرِي جَعَلْتُمْ لِي شَرِيكًا، وَلَا شَرِيكَ لِي..

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وَمَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا ذَلِكَ..

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾ [النحل: ٥١] فَإِيَّايَ فَاتَّقُوا، وَخَافُوا عِقَابِي بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ إِنْ عَصَيْتُمُونِي وعَبَدْتُمْ غَيْرِي، أَوْ أَشْرَكْتُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ لِي شَرِيكًا.

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ [النحل: ٥٢].

﴿وَلَهُۥ﴾ وَلِلهِ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، وَبِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ..

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ وَلَهُ الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ..

﴿وَاصِبًاۚ﴾ دَائِمًا ثَابِتًا وَاجِبًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: «**وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**»[الصافات: ٩]..

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ [النحل: ٥٢] تَرْهَبُونَ وَتَحْذَرُونَ أَنْ يَسْلُبَكُمْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِإِخْلَاصِكُمُ الْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ، وَإِفْرَادِكُمُ الطَّاعَةَ لَهُ، وَمَا لَكُمْ نَافِعٌ سِوَاهُ.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

﴿وَمَا بِكُم﴾ مَا يَكُنْ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ فِي أَبْدَانِكُمْ مِنْ عَافِيَةٍ وَصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَفِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ نَمَاءٍ..

﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ فَاللهُ الْمُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ لَا غَيْرُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ..

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ إِذَا أَصَابَكُمْ..

﴿ٱلضُّرُّ﴾ سَقَمٌ وَمَرَضٌ وَعِلَّةٌ عَارِضَةٌ فِي أَبْدَانِكُمْ، وَشِدَّةٌ مِنْ عَيْشٍ..

﴿فَإِلَيۡهِ﴾ فَإِلَى اللهِ..

﴿تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣] تَصْرُخُونَ بِالدُّعَاءِ وَتَسْتَغِيثُونَ بِهِ، لِيَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْكُمْ وَأَصْلُهُ: مِنْ جُؤَارِ الثَّوْرِ، يُقَالُ مِنْهُ: جَأَرَ الثَّوْرُ يَجْأَرُ جُؤَارًا، وَذَلِكَ إِذَا رَفَعَ صَوْتًا شَدِيدًا مِنْ جُوعٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾ [النحل: ٥٤].

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ﴾ ثُمَّ إِذَا وَهَبَ لَكُمْ رَبُّكُمُ الْعَافِيَةَ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمَرَضِ فِي أَبْدَانِكُمْ وَمِنَ الشِّدَّةِ فِي مَعَاشِكُمْ، وَفَرَّجَ الْبَلَاءَ عَنْكُمْ..

﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾ [النحل: ٥٤] إِذَا جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ يَجْعَلُونَ للهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ، فَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا الذَّبَائِحَ شُكْرًا لِغَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْفَرَجِ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضُّرِّ.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥﴾ [النحل: ٥٥].

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ لِيَجْحَدُوا اللهَ نِعْمَتَهُ فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُمْ..

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥﴾ [النحل: ٥٥] وَهَذَا مِنَ اللهِ وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: تَمَتَّعُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَىٰ أَنْ تُوَافِيَكُمْ آجَالُكُمْ، وَتَبْلُغُوا الْمِيقَاتَ الَّذِي وَقَّتَهُ لِحَيَاتِكُمْ وَتَمَتُّعِكُمْ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ مِنْ ذَلِكَ سَتَصِيرُونَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَتَعْلَمُونَ بِلِقَائِهِ وَبَالَ مَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَتَعْرِفُونَ سُوءَ مَغَبَّةِ أَمْرِكُمْ، وَتَنْدَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُكُمُ النَّدَمُ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾ [النحل: ٥٦].

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وَيَجْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا وَجَزَاءً..

﴿مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِشْرَاكًا مِنْهُمْ لَهُ، الَّذِي يَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّهُمْ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿تَٱللَّهِ﴾ وَاللهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْجَاعِلُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ نَصِيبًا فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ شِرْكًا بِاللهِ وَكُفْرًا..

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ لَيَسْأَلَنَّكُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَمَّا كُنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَفْتَرُونَ ٥٦﴾ [النحل: ٥٦] تَخْتَلِقُونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْإِفْكِ عَلَىٰ اللهِ بِدَعْوَاكُمْ لَهُ شَرِيكًا، وَتَصْيِيرِكُمْ لِأَوْثَانِكُمْ فِيمَا رَزَقَكُمْ نَصِيبًا، ثُمَّ لَيُعَاقِبَنَّكُمْ عُقُوبَةً، تَكُونُ جَزَاءً لِكُفْرَانِكُمْ نِعَمَهُ وَافْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾ [النحل: ٥٧].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾ وَمِنْ جَهْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَخُبْثِ فِعْلِهِمْ وَقُبْحِ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لِمَنْ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَوْجَبَ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمُ الشُّكْرَ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَمْدَ..

﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نَزَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ عَمَّا أَضَافُوا إِلَيْهِ وَنَسَبُوهُ مِنَ الْبَنَاتِ..

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾ [النحل: ٥٧] وَلَهُمُ الْبَنِينَ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ.. فَلَمْ يَرْضَوْا بِجَهْلِهِمْ، إِذْ

أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَنْبَغِي إِضَافَتُهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ، أَنْ يُضِيفُوا إِلَيْهِ مَا يَشْتَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيُحِبُّونَهُ لَهَا، وَلَكِنَّهُمْ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَرْضَوْنَهُ لَهَا مِنَ الْبَنَاتِ، مَا يَقْتُلُونَهَا إِذَا كَانَتْ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جعَلُوا للهِ الْبَنَاتِ..

﴿بِٱلْأُنثَىٰ﴾ بِوِلَادَةِ مَا يُضِيفُهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُ..

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ مِنْ كَرَاهَتِهِ لَهُ..

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨] قَدْ كَظَمَ الْحُزْنَ وَامْتَلأَ غَمًّا بِوِلَادَتِهِ لَهُ، فَهُوَ لَا يُظْهِرُ ذَلِكَ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(وَهَذَا صَنِيعُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، أَخْبَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِخُبْثِ صَنِيعِهِمْ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يَرْضَىٰ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، وَقَضَاءُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قَضَاءِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ، وَلَعَمْرِي مَا يَدْرِي أَنَّهُ خَيْرٌ، لَرُبَّ جَارِيَةٍ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ غُلَامٍ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَكُمُ اللهُ بِصَنِيعِهِمْ لِتَجْتَنِبُوهُ وَتَنْتَهُوا عَنْهُ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَغْذُو كَلْبَهُ وَيَئِدُ ابْنَتَهُ).**

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٩].

﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾ هَذَا الْمُبَشَّرُ بِوِلَادَةِ الْأُنْثَىٰ مِنَ الْوَلَدِ لَهُ..

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ فَيَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ..

﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ﴾ مِنْ مَسَاءَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ﴾ يَدْفِنُهُ حَيًّا فِي التُّرَابِ فَيَئِدُهُ..

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٩] أَلَا سَاءَ الْحُكْمُ الَّذِي يَحْكُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ أَنْ جَعَلُوا للهِ مَا لَا يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَجَعَلُوا لِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ شِرْكًا فِيمَا رَزَقَهُمُ اللهُ، وعَبَدُوا غَيْرَ مَنْ خَلَقَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل: ٦٠].

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ لِلَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ﴾ وَهُوَ الْقَبِيحُ مِنَ الْمَثَلِ، وَمَا يَسُوءُ مَنْ ضُرِبَ لَهُ ذَلِكَ الْمَثَلُ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨]، وَالْآيَةُ

الَّتِي بَعْدَهَا، مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا للهِ الْبَنَاتِ..

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وَهُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَطْيَبُ، وَالْأَحْسَنُ، وَالْأَجْمَلُ، وَذَلِكَ التَّوْحِيدُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).. وَقَالَ: (الْإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ)..

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ وَاللهُ ذُو الْعِزَّةِ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَعَهَا عُقُوبَةُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَلَا عُقُوبَةُ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ وَشَاءَهُ، لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل: ٦٠] فِي تَدْبِيرِهِ، فَلَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا خَطَأٌ.

> ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل: ٦١].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ﴾ عُصَاةَ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿بِظُلْمِهِم﴾ بِمَعَاصِيهِمْ..

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ تَدُبُّ عَلَيْهَا..

﴿وَلَٰكِن﴾ بِحِلْمِهِ..

﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يُؤَخِّرُ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ وَقْتِهِمُ الَّذِي وَقَّتَ لَهُمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي وَقَّتَ لِهَلَاكِهِمْ..

﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عَنِ الْهَلَاكِ..

﴿سَاعَةً﴾ فَيُمْهَلُونَ..

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل: ٦١] لَهُ حَتَّىٰ يَسْتَوفُوا آجَالَهُمْ.

> ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢﴾ [النحل: ٦٢].

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وَيَجْعَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿وَتَصِفُ﴾ وَتَقُولُ..

﴿أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ وَتَفْتَرِيهِ، وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيَزْعُمُونَ..

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۖ﴾ الَّذِي يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ الْبَنَاتُ يَجْعَلُونَهُنَّ للهِ تَعَالَىٰ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَأَمَّا الْحُسْنَىٰ الَّتِي جَعَلُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ، فَالذُّكُورُ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَئِدُونَ الْإِنَاثَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الذُّكُورَ مِنْهُمْ، وَيَقُولُونَ: لَنَا الذُّكُورُ وَللهِ الْبَنَاتُ، وَهُوَ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [النحل: ٥٧]..

﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا وَاجِبًا..

﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ للهِ الْبَنَاتِ، الْجَاعِلِينَ لَهُ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلِأَنْفُسِهِمُ الْحُسْنَىٰ..

﴿ٱلنَّارَ﴾ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢﴾ [النحل: ٦٢] وَأَنَّهُمْ مُخَلَّفُونَ مَتْرُوكُونَ فِي النَّارِ، مَنْسِيُّونَ فِيهَا.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النحل: ٦٣].

﴿تَٱللَّهِ﴾ وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ..

﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَىٰ أُمَّتِكَ، مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ للهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مُقِيمِينَ، حَتَّىٰ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿فَهُوَ﴾ فَالشَّيْطَانُ..

﴿وَلِيُّهُمُ﴾ نَاصِرُهُمْ..

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فِي الدُّنْيَا، وَبِئْسَ النَّاصِرُ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النحل: ٦٣] فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ وِلَايَةُ الشَّيْطَانِ، وَلَا هِيَ نَفَعَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا بَلْ ضَرَّتْهُمْ فِيهَا وَهِيَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَضَرُّ.

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وَبعَثْنَاكَ رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِنَا..

﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ مِنْ دِينِ اللهِ، فَتُعَرِّفُهُمُ الصَّوَابَ مِنْهُ، وَالْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتُقِيمُ عَلَيْهِمْ بِالصَّوَابِ مِنْهُ حُجَّةَ اللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِهَا..

﴿وَهُدٗى﴾ وَبَيَانًا مِنَ الضَّلَالَةِ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْكِتَابَ..

﴿وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النحل: ٦٤] بِهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا فِيهِ، وَيُقِرُّونَ بِمَا تَضَمَّنَ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ.. وَعَطَفَ بِالْهُدَىٰ عَلَىٰ مَوْضِعِ ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، لِأَنَّ مَوْضِعَهَا نَصْبٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا بَيَانًا لِلنَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ هُدَىٰ وَرَحْمَةً.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥﴾ [النحل: ٦٥].

﴿وَٱللَّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَبِّهَ خَلْقِهِ عَلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَعْبُودُكُمُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مَطَرًا..

﴿فَأَحۡيَا﴾ فَأَنْبَتَ..

﴿بِهِ﴾ بِمَا أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ الْمَيْتَةَ الَّتِي لَا زَرْعَ بِهَا، وَلَا عُشْبَ، وَلَا نَبْتَ..

﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ بَعْدَ مَا هِيَ مَيْتَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِحْيَائِنَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ..

﴿لَأٓيَةٗ﴾ لَدَلِيلًا وَاضِحًا وَحُجَّةً قَاطِعَةً عُذْرَ مَنْ فَكَّرَ فِيهِ..

﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥﴾ [النحل: ٦٥] هَذَا الْقَوْلَ فَيَتَدَبَّرُونَهُ وَيَعْقِلُونَهُ، وَيُطِيعُونَ اللهَ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦].

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الَّتِي نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ..

﴿لَعِبْرَةً﴾ لَعِظَةً..

﴿نُّسْقِيكُم﴾ دَائِمًا..

﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ الْأَنْعَامَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهِيَ جَمْعٌ، وَالْهَاءُ فِي الْبُطُونِ مُوَحَّدَةٌ، فَإِنَّ لِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: الأَوَّلُ: أَنَّ النَّعَمَ وَالْأَنْعَامَ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُمَا جَمِيعًا جَمْعَانِ، فَرَدَّ الْكَلَامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ إِلَىٰ التَّذْكِيرِ، مُرَادًا بِهِ مَعْنَىٰ النَّعَمِ، إِذْ كَانَ يُؤَدِّي عَنِ الْأَنْعَامِ، والثاني: إِنَّمَا قَالَ: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ: مِمَّا فِي بُطُونِ مَا ذَكَرْنَا، وَيَقُولُ: مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨]، بِمَعْنَىٰ: هَذَا الشَّيْءُ الطَّالِعُ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [عبس: ١١- ١٢]، وَلَمْ يَقُلْ ذَكَرَهَا، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ هَذَا الشَّيْءَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٥-٣٦]، وَلَمْ يَقُلْ (جَاءَتْ)..

﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ نُسْقِيكُمْ لَبَنًا، نُخْرِجُهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ خَالِصًا، يَقُولُ: خَلَصَ مِنْ مُخَالَطَةِ الدَّمِ وَالْفَرْثِ فَلَمْ يَخْتَلِطَا بِهِ..

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾ [النحل: ٦٦] يَسُوغُ لِمَنْ شَرِبَهُ، فَلَا يَغَصُّ بِهِ كَمَا يَغَصُّ الْغَاصُّ بِبَعْضِ مَا يَأْكُلُهُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يُغَصَّ أَحَدٌ بِاللَّبَنِ قَطُّ.

> ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [النحل: ٦٧].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ وَلَكُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ عِبْرَةٌ مَعَ مَا نُسْقِيكُمْ مِنْ بُطُونِ الْأَنْعَامِ مِنَ اللَّبَنِ الْخَارِجِ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ، نُسْقِيكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ مَا..

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ هُوَ كُلُّ مَا كَانَ حَلَالًا شُرْبُهُ، كَالنَّبِيذِ الْحَلَالِ، وَالْخَلِّ، وَالرُّطَبِ.. فَالسَّكَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ أَحَدِ أَوْجُهٍ أَرْبَعَةٍ: أَحَدُهَا: مَا أَسْكَرَ مِنَ الشَّرَابِ، وَالثَّانِي: مَا طَعِمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالثَّالِثُ: السُّكُونُ، وَالرَّابِعُ: الْمَصْدَرُ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَكِرَ فُلَانٌ يَسْكَرُ سُكْرًا وَسَكْرًا وَسَكَرًا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ حَرَامًا، وَكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَقُولَ: هُوَ مَنْسُوخٌ، دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ السَّكَرَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ الْخَمْرِ، وَغَيْرُ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ، إِذْ كَانَ السَّكَرُ أَحَدُ مَعَانِيهِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ الْقُرْآنُ، هُوَ كُلُّ مَا طُعِمَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ، إِذْ

لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِ التَّنْزِيلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، أَوْ وَرَدَ بِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ خَبَرٌ مِنَ الرَّسُولِ، وَلَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِمَا قُلْنَا، وَفَسَدَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْخَمْرُ أَوْ مَا يُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ، وَخَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ السَّكَرُ نَفْسُهُ، إِذْ كَانَ السَّكَرُ لَيْسَ مِمَّا يُتَّخَذُ مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ، وَمِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ السُّكُونِ..

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مَا صَفْنَا لَكُمْ مِنْ نِعَمِنَا الَّتِي آتَيْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّخْلِ وَالْكَرْمِ..

﴿لَآيَةً﴾ لَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَآيَةٌ بَيِّنَةٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧] عَنِ اللهِ حُجَجَهُ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ مَوَاعِظَهُ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

﴿وَأَوْحَىٰ﴾ وَأَلْهَمَ..

﴿رَبُّكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨] وَمِمَّا يَبْنُونَ مِنَ السُّقُوفِ، فَرَفَعُوهَا بِالْبِنَاءِ.. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾: **(الْكَرْمُ)**.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٩].

﴿ثُمَّ كُلِي﴾ أَيَّتُهَا النَّحْلُ..

﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فَاسْلُكِي طُرُقَ رَبِّكِ..

﴿ذُلُلًا﴾ مُذَلَّلَةً لَكِ، وَالذُّلُلُ: جَمْعُ ذَلُولٍ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(لَا يَتَوَعَّرُ عَلَيْهَا مَكَانٌ سَلَكَتْهُ)**..

﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ..

﴿شَرَابٌ﴾ وَهُوَ الْعَسَلُ..

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ لِأَنَّ فِيهَا أَبْيَضَ، وَأَحْمَرَ، وَأَسْحَرَ -أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ مِثْلُ أَبْيَضَ، يَضْرِبُ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ- وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْوَانِ..

﴿فِيهِ﴾ فِي الْعَسَلِ..

﴿شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾ جاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّ أَخَاهُ اشْتَكَىٰ بَطْنَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اذْهَبْ فَاسِقِ أَخَاكَ عَسَلًا**»، ثُمَّ جاءَهُ فَقَالَ: مَا زَادَهُ إِلَّا شِدَّةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اذْهَبْ فَاسِقِ أَخَاكَ عَسَلًا، فَقَدْ صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**»، فَسَقَاهُ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِخْرَاجِ اللهِ مِنْ بُطُونِ هَذِهِ النَّحْلِ: الشَّرَابَ الْمُخْتَلِفَ، الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ..

﴿لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ [النحل: ٦٩] لَدَلَالَةً وَحُجَّةً وَاضِحَةً عَلَىٰ مَنْ سَخَّرَ النَّحْلَ وَهَدَاهَا لِأَكْلِ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَأْكُلُ، وَاتِّخَاذِهَا الْبُيُوتَ الَّتِي تُنْحَتُ مِنَ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْعُرُوشِ، وَأَخْرَجَ مِنْ بُطُونِهَا مَا أَخْرَجَ مِنَ الشِّفَاءِ لِلنَّاسِ، أَنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، وَلَا تَصِحُّ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾ [النحل: ٧٠].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَوْجَدَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، لَا الْآلِهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، فَاعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ دُونَ غَيْرِهِ..

﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ﴾ ثُمَّ يَقْبِضُكُمْ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يَهْرَمُ فَيَصِيرُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَهُوَ أَرْدَؤُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: رَذُلَ الرَّجُلُ وَفَسُلَ، يَرْذُلُ رَذَالَةً وَرُذُولَةً وَرَذَلْتُهُ أَنَا..

﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ﴾ إِنَّمَا نَرُدُّهُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِيَعُودَ جَاهِلًا كَمَا كَانَ فِي حَالِ طُفُولَتِهِ وَصِبَاهُ..

﴿بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ شَيْئًا بَعْدَ عِلْمٍ كَانَ يَعْلَمُهُ فِي شَبَابِهِ، فَذَهَبَ ذَلِكَ بِالْكِبَرِ وَنَسِيَ، فَلَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا، وَانْسَلَخَ مِنْ عَقْلِهِ، فَصَارَ مِنْ بَعْدِ عَقْلٍ كَانَ لَهُ، لَا يَعْقِلُ شَيْئًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَنْسَىٰ وَلَا يَتَغَيَّرُ عِلْمُهُ، عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا كَانَ وَيَكُونُ..

﴿قَدِيرٞ ٧٠﴾ [النحل: ٧٠] عَلَىٰ مَا شَاءَ، لَا يَجْهَلُ شَيْئًا وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾ [النحل: ٧١].

﴿وَٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ الَّذِي رَزَقَكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ فَمَا الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ بِمَا رَزَقَهُمْ..

﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بِمُشْرِكِي مَمَالِيكِهِمْ فِيمَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ..

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَوُوا هُمْ فِي ذَٰلِكَ وَعَبِيدُهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِأَنْ يَكُونُوا هُمْ وَمَمَالِيكِهِمْ فِيمَا رَزَقْتُهُمْ سَوَاءٌ، وَقَدْ جَعَلُوا عَبِيدِي شُرَكَائِي فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِاللهِ وَقِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَٰلِكَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ مِنَ النَّصَارَىٰ..

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١] بِإِشْرَاكِهِمْ غَيْرَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ؟

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

﴿وَٱللَّهُ﴾ الَّذِي..

﴿جَعَلَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (وَاللهُ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَ زَوْجَتَهُ مِنْهُ، ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً).. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّينَ بِالْحَفَدَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْأَخْتَانُ، أَخْتَانُ الرَّجُلِ عَلَىٰ بَنَاتِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ أَعْوَانُ الرَّجُلِ وَخَدَمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ وَلَدُ الرَّجُلِ وَوَلَدُ وَلَدِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ بَنُو امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَٰلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ عِبَادَهُ مُعَرِّفَهُمْ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، فِيمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً، وَالْحَفَدَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ حَافِدٍ، كَمَا الْكَذَبَةُ: جَمْعُ كَاذِبٍ، وَالْفَسَقَةُ: جَمْعُ فَاسِقٍ، وَالْحَافِدُ فِي كَلَامِهِمْ: هُوَ الْمُتَخَفِّفُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعَمَلِ، وَالْحَفْدُ: خِفَّةُ الْعَمَلِ، يُقَالُ: مَرَّ الْبَعِيرُ يَحْفِدُ حَفَدَانًا، إِذَا مَرَّ يُسْرِعُ فِي سَيْرِهِ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: إِلَيْكَ نَسْعَىٰ وَنَحْفِدُ، أَيْ نُسْرِعُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ، وَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْحَفَدَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُمُ الْمُسْرِعُونَ فِي خِدْمَةِ الرَّجُلِ الْمُتَخَفِّفُونَ فِيهَا، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَنَا أَنَّ مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَ لَنَا حَفَدَةً تَحْفِدُ لَنَا، وَكَانَ أَوْلَادُنَا وَأَزْوَاجُنَا الَّذِينَ يُصْلِحُونَ لِلْخِدْمَةِ مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا، وَأَخْتَانُنَا الَّذِينَ هُمْ أَزْوَاجُ بَنَاتِنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا، وَخَدَمُنَا مِنْ مَمَالِيكِنَا، إِذَا كَانُوا يَحْفِدُونَنَا فَيَسْتَحِقُّونَ اسْمَ حَفَدَةٍ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ دَلَّ بِظَاهِرِ تَنْزِيلِهِ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا بِحُجَّةِ عَقْلٍ، عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ نَوْعًا مِنَ الْحَفَدَةِ دُونَ نَوْعٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ قَدْ أَنْعَمَ بِكُلِّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نُوَجِّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ خَاصٍّ مِنَ الْحَفَدَةِ دُونَ عَامٍ، إِلَّا مَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلِكُلِّ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَجْهٌ فِي الصِّحَّةِ، وَمَخْرَجٌ فِي التَّأْوِيلِ، وَإِنْ كَانَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ مَا اخْتَرْنَا لِمَا بَيَّنَّا مِنَ الدَّلِيلِ..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وَرَزَقَكُمْ مِنْ حَلَالِ الْمَعَاشِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَقْوَاتِ..

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ، فَيُصَدِّقُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ﴾ وَبِمَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِإِحْلَالِهِ..

﴿يَكْفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل: ٧٢] يُنْكِرُونَ تَحْلِيلَهُ، وَيَجْحَدُونَ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَحَلَّهُ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾

[النحل: ٧٣].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ دُونِهِ..

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَوْثَانًا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ إِنْزَالِ قَطْرٍ مِنْهَا لِإِحْيَاءِ مَوَتَانِ الْأَرَضِينَ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَيْضًا رِزْقًا مِنَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ إِخْرَاجِ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتِهَا وَثِمَارِهَا لَهُمْ، وَلَا..

﴿شَيْـًٔا﴾ مِمَّا عَدَّدَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾ [النحل: ٧٣] وَلَا تَمْلِكُ أَوْثَانُهُمْ شَيْئًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَلْ هِيَ وَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ للهِ مِلْكٌ.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ فَلَا تُمَثِّلُوا للهِ الْأَمْثَالَ، وَلَا تُشَبِّهُوا لَهُ الْأَشْبَاهَ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شِبْهَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وَاللهُ أَيُّهَا النَّاسُ يَعْلَمُ خَطَأَ مَا تُمَثِّلُونَ وَتَضْرِبُونَ مِنَ الْأَمْثَالِ وَصَوَابَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤] صَوَابَ ذَلِكَ مِنْ خَطَئِهِ.

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥].

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وَشَبَّهَ لَكُمْ شَبَهًا أَيُّهَا النَّاسُ لِلْكَافِرِ مِنْ عَبِيدِهِ وَالْمُؤْمِنِ بِهِ مِنْهُمْ، فَأَمَّا مَثَلُ الْكَافِرِ: فَإِنَّهُ..

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَلَا يَأْتِي خَيْرًا، وَلَا يُنْفِقُ فِي شَيْءٍ مِنْ سَبِيلِ اللهِ مَالَهُ، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِ، كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ فَيُنْفِقُهُ..

﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ بِاللهِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَيُنْفِقُ فِي سَبِيلِهِ مَالَهُ، كَالْحُرِّ الَّذِي آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ..

﴿سِرًّا وَجَهْرًا ۖ﴾ بِعِلْمٍ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ﴾ هَلْ يَسْتَوِي الْعَبْدُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْحُرُّ الَّذِي قَدْ رَزَقَهُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ كَمَا وَصَفَ؟ فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ الْعَامِلُ بِمَعَاصِي اللهِ الْمُخَالِفُ أَمْرَهُ، وَالْمُؤْمِنُ الْعَامِلُ بِطَاعَتِهِ..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ الْحَمْدُ الْكَامِلُ للهِ خَالِصًا دُونَ مَا تَدْعُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا دُونَهَا..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥] مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُونَ، وَلَا الْقَوْلُ كَمَا تَقُولُونَ، مَا لِلْأَوْثَانِ عِنْدَهُمْ مِنْ يَدٍ وَلَا مَعْرُوفٍ فَتُحْمَدَ عَلَيْهِ، إِنَّمَا الْحَمْدُ للهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ يَجْعَلُونَهَا للهِ شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْحَمْدِ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: **(ضَرَبَ اللهُ هَذَا الْمَثَلَ، وَالْمَثَلَ الْآخَرَ الَّذِي بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ، وَلِلْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ).**

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٦﴾ [النحل: ٧٦].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ وَالْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الصَّنَمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا وَلَا يَنْطِقُ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا خَشَبٌ مَنْحُوتٌ، وَإِمَّا نُحَاسٌ مَصْنُوعٌ..

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعِ لِمَنْ خَدَمَهُ، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهُ..

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ وَهُوَ عِيَالٌ عَلَىٰ ابْنِ عَمِّهِ وَحُلَفَائِهِ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ كَلٌّ عَلَىٰ مَنْ يَعْبُدُهُ، يَحْتَاجُ أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَضَعَهُ وَيَخْدِمَهُ، كَالْأَبْكَمِ مِنَ النَّاسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ مِنْ بَنِي أَعْمَامِهِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حَيْثُمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ نَفْسِهِ مَا يُرِيدُ، فَهُوَ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ عَنْهُ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ لَا يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ، فَيَأْتَمِرُ لِأَمْرِ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا يَنْطِقُ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ..

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ هَلْ يَسْتَوِي هَذَا الْأَبْكَمُ الْكَلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ حَيْثُ تَوَجَّهَ..

﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ مُتَكَلِّمٌ يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَهُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الَّذِي يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ؟ يَقُولُ: لَا يَسْتَوِي هُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَالصَّنَمُ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٦﴾ [النحل: ٧٦] وَهُوَ مَعَ أَمْرِهِ بِالْعَدْلِ، عَلَىٰ طَرِيقٍ مِنَ الْحَقِّ فِي دُعَائِهِ إِلَىٰ الْعَدْلِ، وَأَمْرُهُ بِهِ مُسْتَقِيمٌ، لَا يَعْوَجُّ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَزُولُ عَنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾ [النحل: ٧٧].

﴿وَلِلَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ..

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ وَمَا أَمْرُ قِيَامِ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ الَّتِي تُنْشَرُ فِيهَا الْخَلْقُ لِلْوُقُوفِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَنَظْرَةٍ مِنَ الْبَصَرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُقَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ..

﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ مَنْ لَمْحِ الْبَصَرِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾ [النحل: ٧٧] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ إِقَامَةِ السَّاعَةِ فِي أَقْرَبِ مَنْ لَمْحِ الْبَصَرِ قَادِرٌ، وَعَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

﴿وَٱللَّهُ﴾ تَعَالَىٰ أَعْلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ مَا..

﴿أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ لَا تَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا تَعْلَمُونَ، فَرَزَقَكُمْ عُقُولًا تَفْقَهُونَ بِهَا، وَتُمَيِّزُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَبَصَّرَكُمْ بِهَا مَا لَمْ تَكُونُوا تُبْصِرُونَ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ الْأَصْوَاتَ، فَيَفْقَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا تَتَحَاوَرُونَ بِهِ بَيْنَكُمْ..

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا الْأَشْخَاصَ فَتَتَعَارَفُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ..

﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ وَالْقُلُوبَ الَّتِي تَعْرِفُونَ بِهَا الْأَشْيَاءَ فَتَحْفَظُونَهَا وَتُفَكِّرُونَ فَتَفْقَهُونَ بِهَا..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨] فَعَلْنَا ذَلِكَ بِكُمْ، فَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، فَجَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الشُّكْرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ شَرِيكٌ.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ فِي هَوَاءِ السَّمَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ..

﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ مَا طَيَرَانُهَا فِي الْجَوِّ إِلَّا بِاللهِ وَبِتَسْخِيرِهِ إِيَّاهَا بِذَلِكَ، وَلَوْ سَلَبَهَا مَا أَعْطَاهَا مِنَ الطَّيَرَانِ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ النُّهُوضِ ارْتِفَاعًا..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللهِ الطَّيْرَ وَتَمْكِينِهِ لَهَا الطَّيَرَانَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لَعَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا حَظَّ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأُلُوهَةِ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٧٩﴾ [النحل: ٧٩] لِقَوْمٍ يُقِرُّونَ بِوُجْدَانِ مَا تُعَايِنُهُ أَبْصَارُهُمْ، وَتَحُسُّهُ حَوَاسُّهُمْ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ..

﴿سَكَنًا﴾ تَسْكُنُونَ أَيَّامَ مَقَامِكُمْ فِي دُورِكُمْ وَبِلَادِكُمْ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ وَهِيَ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَنْطَاعِ وَالْفَسَاطِيطِ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ وَالْوَبَرِ..

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تَسْتَخِفُّونَ حَمْلَهَا وَنَقْلَهَا..

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ مِنْ بِلَادِكُمْ وَأَمْصَارِكُمْ لِأَسْفَارِكُمْ..

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ فِي بِلَادِكُمْ وَأَمْصَارِكُمْ...

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ جَمْعُ شَعْرٍ، وَوَاحِدُ الشَّعْرِ شَعْرَةٌ..

﴿أَثَٰثًا﴾ الْأَثَاثُ مَتَاعُ الْبَيْتِ، لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِوَاحِدٍ، وَهُوَ فِي أَنَّهُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِثْلُ الْمَتَاعِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَثَاثِ أَثَاثَةٌ، وَلَمْ أَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَأَنَا أَرَىٰ أَصْلَ الْأَثَاثِ اجْتِمَاعُ بَعْضِ الْمَتَاعِ إِلَىٰ بَعْضٍ حَتَّىٰ يَكْثُرَ، كَالشَّعْرِ الْأَثِيثِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ، يُقَالُ مِنْهُ، أَثَّ شَعْرُ فُلَانٍ يَئِثُّ أَثًّا: إِذَا كَثُرَ وَالْتَفَّ وَاجْتَمَعَ..

﴿وَمَتَٰعًا﴾ جَعَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَلَاغًا، يَتَبَلَّغُونَ وَيَكْتَفُونَ بِهِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠] آجَالِهِمْ لِلْمَوْتِ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١﴾ [النحل: ٨١].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا..

﴿ظِلَٰلٗا﴾ تَسْتَظِلُّونَ بِهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهِيَ جَمْعُ ظِلٍّ..

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ مَوَاضِعَ تَسْكُنُونَ فِيهَا، وَهِيَ جَمْعُ كِنٍّ..

﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ يَعْنِي ثِيَابَ الْقُطْنِ، وَالْكَتَّانِ، وَالصُّوفِ، وَقُمُصَهَا..

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ، وَالْبَأْسُ: هُوَ الْحَرْبُ، وَالْمَعْنَىٰ: تَقِيكُمْ فِي بَأْسِكُمُ السِّلَاحَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ، فَخَصَّ بِالذِّكْرِ الْحَرَّ دُونَ الْبَرْدِ، وَهِيَ تَقِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَ؟ أَمْ كَيْفَ قِيلَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ مَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السَّهْلِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾، وَمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السُّهُولِ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ جِبَالٍ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ [النحل: ٨٠] وَمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ وَبَرٍ وَشَعَرٍ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [النور: ٤٣]، يُعَجِّبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ وَمَا أَنْزَلَ مِنَ الثَّلْجِ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُعْرَفُونَ بِهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ وَمَا تَقِي مِنَ الْبَرْدِ، أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ؟ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ حَرٍّ، فَالسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ السَّرَابِيلَ بِأَنَّهَا تَقِي الْحَرَّ دُونَ الْبَرْدِ هُوَ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا أَصْحَابَ حَرٍّ، فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَقِيهِمْ مَكْرُوهَ مَا بِهِ عَرَفُوا مَكْرُوهَهُ دُونَ مَا لَمْ يَعْرِفُوا مَبْلَغَ مَكْرُوهِهِ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَحْرُفِ الْأُخَرِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَعْطَاكُمْ رَبُّكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي وَصَفَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ نِعْمَةً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَكَذَا..

﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النحل: ٨١] لِتَخْضَعُوا للهِ بِالطَّاعَةِ، وَتَذِلَّ مِنْكُمْ بِتَوْحِيدِهِ النُّفُوسُ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾ [النحل: ٨٢].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَمَّا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾ [النحل: ٨٢] فَمَا عَلَيْكَ مِنْ لَوْمٍ وَلَا عَذْلٍ، لِأَنَّكَ قَدْ أَدَّيْتَ مَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا بَلَاغُهُمْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ «الْمُبِينُ» الَّذِي يَبِينُ لِمَنْ سَمِعَهُ حَتَّىٰ يَفْهَمَهُ.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل: ٨٣].

﴿يَعْرِفُونَ﴾ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، دَاعِيًا إِلَىٰ مَا بَعَثَهُ بِدُعَائِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ثُمَّ يُنْكِرُونَكَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ..

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل: ٨٣] وَأَكْثَرُ قَوْمِكَ الْجَاحِدُونَ نُبُوَّتَكَ، لَا الْمُقِرُّونَ بِهَا.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٨٤﴾ [النحل: ٨٤].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وَيَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا الْيَوْمَ وَيَسْتَنْكِرُونَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، وَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَيْهَا بِمَا أَجَابَتْ دَاعِيَ اللهِ، وَهُوَ رَسُولُهُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فِي الاعْتِذَارِ، فَيَعْتَذِرُوا مِمَّا كَانُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ يَكْفُرُونَ..

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٨٤﴾ [النحل: ٨٤] فَيَتْرُكُوا الرُّجُوعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَيُنِيبُوا وَيَتُوبُوا، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥- ٣٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٥﴾ [النحل: ٨٥].

﴿وَإِذَا رَءَا﴾ وَإِذَا عَايَنَ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ يَا مُحَمَّدُ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَالْأُمَمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ عَذَابَ اللهِ..

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ فَلَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ فَيُخَفِّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بِالْعُذْرِ الَّذِي يَدَّعُونَهُ..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٥﴾ [النحل: ٨٥] وَلَا يُرْجَئُونَ بِالْعِقَابِ، لِأَنَّ وَقْتَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ قَدْ فَاتَ، فَلَيْسَ ذَلِكَ وَقْتًا لَهُمَا، وَإِنَّمَا هُوَ وَقْتٌ لِلْجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، فَلَا يُنْظَرُ بِالْعِتَابِ لِيُعْتَبَ بِالتَّوْبَةِ.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾ [النحل: ٨٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ وَإِذَا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ..

﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ فِي الْكُفْرِ بِكَ..

﴿ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ﴾ الشُّرَكَاء الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿فَأَلْقَوْاْ﴾ شُرَكَاءَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ قَالُوا لَهُمْ..

﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾ [النحل: ٨٦] أَيُّهَا الْمُشْرِكِينَ، مَا كُنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِنَا.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٨٧﴾ [النحل: ٨٧].

﴿وَأَلْقَوْاْ﴾ وَأَلْقَىٰ الْمُشْرِكُونَ.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ كَذَا تَعْنِي بِذَلِكَ قُلْتُ لَهُ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ اسْتَسْلَمُوا يَوْمَئِذٍ، وَذَلُّوا لِحُكْمِهِ فِيهِمْ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَدْعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُمْ، وَلَا قَوْمُهُمْ وَلَا عَشَائِرُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُدَافِعُونَ عَنْهُمْ..

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وَأَخْطَأَهُمْ مِنْ آلِهَتِهِمْ..

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٨٧﴾ [النحل: ٨٧] مَا كَانُوا يَأْمُلُونَ مِنَ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ اللهِ بِالنَّجَاةِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل: ٨٨].

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا يَا مُحَمَّدُ نُبُوَّتَكَ وَكَذَّبُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَصَدُّوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَنْ أَرَادَهُ..

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ..

﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يُزَادُوهُ، وَقِيلَ: تِلْكَ الزِّيَادَةُ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ أَنْ يَزِيدَهُمُوهَا عَقَارِبُ وَحَيَّاتٍ.. قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: (**زِيدُوا عَقَارِبَ لَهَا أَنْيَابٌ كَالنَّخْلِ الطِّوَالِ**)..

﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل: ٨٨] زِدْنَاهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، بِمَا

كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْصُونَ اللهَ، وَيَأْمُرُونَ عِبَادَهُ بِمَعْصِيَتِهِ، فَذَلِكَ كَانَ إِفْسَادُهُمْ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نَسْأَلُ نَبِيَّهُمُ الَّذِي بَعَثْنَاهُ إِلَيْهِمْ لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِنَا، وَقَالَ: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَانَ يَبْعَثُ إِلَىٰ أُمَمِ أَنْبِيَاءَهَا مِنْهَا، مَاذَا أَجَابُوكُمْ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكُمْ؟..

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَجِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ شَاهِدًا عَلَىٰ قَوْمِكَ وَأُمَّتِكَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَجَابُوكَ وَمَاذَا عَمِلُوا فِيمَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ مِنْ حُدُودِ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] وَبِشَارَةً لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَخَضَعَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، يُبَشِّرُهُ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَظِيمِ كَرَامَتِهِ.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ﴾ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِالْعَدْلِ﴾ وَهُوَ الْإِنْصَافُ، وَمِنَ الْإِنْصَافِ الْإِقْرَارُ بِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَتِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ إِفْضَالِهِ، وَنُولِي الْحَمْدَ أَهْلَهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ عِنْدَنَا يَدٌ تَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهَا، كَانَ جَهْلًا بِنَا حَمْدُهَا وَعِبَادَتُهَا، وَهِيَ لَا تُنْعِمُ فَتُشْكَرُ وَلَا تَنْفَعُ فَتُعْبَدُ، فَلَزِمَنَا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ: الْعَدْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، هُوَ الصَّبْرُ للهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ، وَذَلِكَ هُوَ أَدَاءُ فَرَائِضِهِ..

﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وَإِعْطَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ..

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الزِّنَا..

﴿وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ عُنِيَ بِالْبَغْيِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْكِبْرُ وَالظُّلْمُ.. وَأَصْلُ الْبَغْيِ: التَّعَدِّي وَمُجَاوَزَةُ الْقَدْرِ وَالْحَدِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿يَعِظُكُمْ﴾ يُذَكِّرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠] لِتَذَّكَّرُوا فَتُنِيبُوا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ..

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ أَوْ لِشَرٍّ، آيَةٌ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآيَةَ).

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ [النحل: ٩١].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وَأَوْفُوا بِمِيثَاقِ اللهِ..

﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ إِذَا وَاثَقْتُمُوهُ، وَعَقْدِهِ إِذَا عَاقَدْتُمُوهُ، فَأَوْجَبْتُمْ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ حَقًّا لِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ بِهِ وَوَاثَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وَلَا تُخَالِفُوا الْأَمْرَ الَّذِي تَعَاقَدْتُمْ فِيهِ الْأَيْمَانَ، يَعْنِي بَعْدَ مَا شَدَدْتُمُ الْأَيْمَانَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَتَحْنَثُوا فِي أَيْمَانِكُمْ وَتُكَذِّبُوا فِيهَا وَتَنْقُضُوهَا بَعْدَ إِبْرَامِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: وَكَّدَ فُلَانٌ يَمِينَهُ يُوَكِّدُهَا تَوْكِيدًا: إِذَا شَدَّدَهَا، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَمَّا أَهْلُ نَجْدٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَكَّدْتُهَا أُؤَكِّدُهَا تَأْكِيدًا..

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ بِالْوَفَاءِ بِمَا تَعَاقَدْتُمْ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ رَاعِيًا يَرْعَىٰ الْمُوفِي مِنْكُمْ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ وَالنَّاقِضَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ [النحل: ٩١] فِي الْعُهُودِ الَّتِي تُعَاهِدُونَ اللهَ مِنَ الْوَفَاءِ بِهَا، وَالْأَحْلَافِ وَالْأَيْمَانِ الَّتِي تُؤَكِّدُونَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، أَتَبَرُّونَ فِيهَا أَمْ تَنْقُضُونَهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ، مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ مُسَائِلُكُمْ عَنْهَا وَعَمَّا عَمِلْتُمْ فِيهَا، يَقُولُ: فَاحْذَرُوا اللهَ أَنْ تَلْقَوْهُ وَقَدْ خَالَفْتُمْ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْهُ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.. فَإِنَّ اللهَ

تَعَالَىٰ أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ بِالْوَفَاءِ بِعُهُودِهِ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ نَقْضِ الْأَيْمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لِآخَرِينَ بِعُقُودٍ تَكُونُ بَيْنَهُمْ بِحَقٍّ مِمَّا لَا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَهْيِهِمْ عَنْ نَقْضِ بَيْعَتِهِمْ حَذَرًا مِنْ قِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ أَرَادُوا الِانْتِقَالَ بِحِلْفِهِمْ عَنْ حُلَفَائِهِمْ لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ فِي آخَرِينَ لِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ تَثْبُتُ بِهِ الْحُجَّةُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ، وَلَا دَلَالَةَ فِي كِتَابٍ وَلَا عَقْلٍ أَيُّ ذَلِكَ عُنِيَ بِهَا، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِمَّا قُلْنَا؛ لِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الْآيَةَ كَانَتْ قَدْ تَنْزِلُ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ بِهَا عَامًّا فِي كُلِّ مَا كَانَ بِمَعْنَىٰ السَّبَبِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾ [النحل: ٩٢].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَاهِيًا عِبَادَهُ عَنْ نَقْضِ الْأَيْمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَآمِرًا بِوَفَاءِ الْعُهُودِ، وَمُمَثِّلًا نَاقِضَ ذَلِكَ بِنَاقِضَةِ غَزْلِهَا مِنْ بَعْدَ إِبْرَامِهِ وَنَاكِثَتِهِ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِهِ، وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي نَقْضِكُمْ أَيْمَانَكُمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَإِعْطَائِكُمُ اللهَ بِالْوَفَاءِ بِذَلِكَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ..

﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ مِنْ بَعْدِ إِبْرَامٍ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: الْقُوَّةُ: مَا غُزِلَ عَلَىٰ طَاقَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَمْ يُثَنَّ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّتِي كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ امْرَأَةٌ حَمْقَاءُ مَعْرُوفَةٌ بِمَكَّةَ..

﴿أَنكَـٰثًا﴾ أَنْقَاضًا، وَكُلُّ شَيْءٍ نُقِضَ بَعْدَ الْفَتْلِ فَهُوَ أَنْكَاثٌ، وَاحِدُهَا: نِكْثٌ، حَبْلًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ غَزْلًا، يُقَالُ مِنْهُ: نَكَثَ فُلَانٌ هَذَا الْحَبْلَ فَهُوَ يَنْكُثُهُ نَكْثًا، وَالْحَبْلُ مُنْتَكِثٌ: إِذَا انْتَقَضَتْ قُوَاهُ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَكْثَ الْعَهْدِ وَالْعَقْدِ..

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ تَجْعَلُونَ أَيْمَانَكُمُ الَّتِي تَحْلِفُونَ بِهَا عَلَىٰ أَنَّكُمْ مُوفُونَ بِالْعَهْدِ لِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ..

﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ خَدِيعَةً وَغُرُورًا لِيَطْمَئِنُّوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ مُضْمِرُونَ لَهُمُ الْغَدْرَ، وَتَرْكَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالنُّقْلَةَ عَنْهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ.. وَالدَّخَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: كُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا..

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّ غَيْرَهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْهُمْ..

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمُ اللهُ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، لِيَتَبَيَّنَ

الْمُطِيعَ مِنْكُمْ الْمُنْتَهِي إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، مِنَ الْعَاصِي لَهُ الْمُخَالِفِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إِذَا وَرَدْتُمْ عَلَيْهِ بِمُجَازَاةِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، الْمُحْسِنِ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾ [النحل: ٩٢] وَالَّذِي كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللهِ كَانَ يُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَيُصَدِّقُ بِمَا ابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِذَلِكَ كُلِّهِ الْكَافِرُ، فَذَلِكَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّذِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْبَيَانِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [النحل: ٩٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لَلَطَفَ بِكُمْ بِتَوْفِيقٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَصِرْتُمْ جَمِيعًا جَمَاعَةً وَاحِدَةً وَأَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَخْتَلِفُونَ وَلَا تَفْتَرِقُونَ..

﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَالَفَ بَيْنَكُمْ فَجَعَلَكُمْ أَهْلَ مِلَلٍ شَتَّىٰ، بِأَنْ وَفَّقَ هَؤُلَاءِ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فَكَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَخَذَلَ هَؤُلَاءِ فَحَرَمَهُمْ تَوْفِيقَهُ فَكَانُوا كَافِرِينَ..

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وَلَيَسْأَلَنَّكُمُ اللهُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [النحل: ٩٣] فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، ثُمَّ لَيُجَازِيَنَّكُمْ جَزَاءَ الْمُطِيعِ مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَاصِي لَهُ بِمَعْصِيَتِهِ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [النحل: ٩٤].

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ بَيْنَكُمْ دَخَلًا وَخَدِيعَةً بَيْنَكُمْ، تَغُرُّونَ بِهَا النَّاسَ..

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فَتَهْلِكُوا بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مِنَ الْهَلَاكِ آمِنِينَ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ لِكُلِّ مُبْتَلَىٰ

بَعْدَ عَافِيَةٍ، أَوْ سَاقِطٍ فِي وَرْطَةٍ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ: (زَلَّتْ قَدَمُهُ)..

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ وَتَذُوقُوا أَنْتُمُ السُّوءَ، وَذَلِكَ السُّوءُ هُوَ عَذَابُ اللهِ الَّذِي يُعَذِّبُ بِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ بَعْضُ مَا عُذِّبَ بِهِ أَهْلُ الْكُفْرِ..

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بِمَا فَتَنْتُمْ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ عَنِ الْإِيمَانِ..

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٩٤﴾ [النحل: ٩٤] فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ نَارُ جَهَنَّمَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] وَالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا، أَنَّهُ عُنِيَ بِذَلِكَ: الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، عَنْ مُفَارَقَةِ الْإِسْلَامِ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ وَكَثْرَةِ أَهْلِ الشِّرْكِ هُوَ الصَّوَابُ، دُونَ الَّذِي قَالَ أَنَّهُمْ عَنَىٰ بِهِ انْتِقَالَ قَوْمٍ تَحَالَفُوا عَنْ حُلَفَائِهِمْ إِلَىٰ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَاعِلِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ بِاتِّخَاذِهِمُ الْأَيْمَانَ دَخَلًا بَيْنَهُمْ وَنَقْضِهِمُ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، صَادُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، وَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، لَا صِفَةُ أَهْلِ النُّقْلَةِ بِالْحِلْفِ عَنْ قَوْمٍ إِلَىٰ قَوْمٍ.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥﴾
[النحل: ٩٥].

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ وَلَا تَنْقُضُوا عُهُودَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَعُقُودَكُمُ الَّتِي عَاقَدْتُمُوهَا مَنْ عَاقَدْتُمْ مُؤَكِّدِيهَا بِأَيْمَانِكُمْ، تَطْلُبُونَ بِنَقْضِكُمْ ذَلِكَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا، وَلَكِنْ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالْوَفَاءِ بِهِ يُثِبْكُمُ اللهُ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ..

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ لَكُمْ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥﴾ [النحل: ٩٥] فَضْلَ مَا بَيْنَ الْعِوَضَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا الثَّمَنُ الْقَلِيلُ الَّذِي تَشْتَرُونَ بِنَقْضِ عَهْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخَرُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِهِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْعِوَضَيْنِ وَفَضْلَ مَا بَيْنَ الثَّوَابَيْنِ، فَقَالَ.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل: ٩٦].

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّا تَتَمَلَّكُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَثُرَ فَنَافِدٌ فَانٍ..

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لِمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَطَاعَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ..

﴿بَاقٍ﴾ غَيْرِ فَانٍ، فَلِمَا عِنْدَهُ فَاعْمَلُوا، وَعَلَىٰ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَىٰ فَاحْرِصُوا..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ وَلَيُثِيبَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿أَجْرَهُم﴾ ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ صَبْرِهِمْ عَلَيْهَا وَمُسَارَعَتِهِمْ فِي رِضَاهُ..

﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ [النحل: ٩٦] مِنَ الْأَعْمَالِ دُونَ أَسْوَئِهَا، وَلَيَغْفِرَنَّ اللهُ لَهُمْ سَيِّئَهَا بِفَضْلِهِ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَأَوْفَىٰ بِعُهُودِ اللهِ إِذَا عَاهَدَ..

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِثَوَابِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَبِوَعِيدِ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ..

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ أَنَّهُ يُحْيِيهِمْ فِي الدُّنْيَا مَا عَاشُوا فِيهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ بِأَنْ نَرْزُقَهُ الْقَنَاعَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَعْنِي بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْحَيَاةَ مُؤْمِنًا بِاللهِ عَامِلًا بِطَاعَتِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ السَّعَادَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْحَيَاةُ فِي الْجَنَّةِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً بِالْقَنَاعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَنَّعَهُ اللهُ بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ لَمْ يَكْثُرْ لِلدُّنْيَا تَعَبُهُ، وَلَمْ يَعْظُمْ فِيهَا نَصَبُهُ، وَلَمْ يَتَكَدَّرْ فِيهَا عَيْشُهُ بِاتِّبَاعِهِ بُغْيَةَ مَا فَاتَهُ مِنْهَا، وَحِرْصُهُ عَلَىٰ مَا لَعَلَّهُ لَا يُدْرِكُهُ فِيهَا، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ بِالْآيَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْعَدَ قَوْمًا قَبْلَهَا عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ إِنْ عَصَوْهُ أَذَاقَهُمُ السُّوءَ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤]، فَهَذَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَهَذَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ مَا لِمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِ اللهِ وَأَطَاعَهُ فَقَالَ تَعَالَىٰ: مَا عِنْدَكُمْ فِي الدُّنْيَا يَنْفَدُ، وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ، فَالَّذِي أَوْعَدَ أَهْلَ الْمَعَاصِي بِإِذَاقَتِهِمْ هَذِهِ السَّيِّئَةَ بِحِكْمَتِهِ أَرَادَ أَنْ يُعَقِّبَ ذَلِكَ الْوَعْدَ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بِالْإِحْسَانِ فِي الدُّنْيَا، وَالْغُفْرَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ، فَهُوَ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، مِنْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يُقَنِّعُهُ فِي الدُّنْيَا بِالَّذِي يَرْزُقُهُ مِنَ الْحَلَالِ

وَإِنْ قَلَّ، فَلَا تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَىٰ الْكَثِيرِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، لَا أَنَّهُ يَرْزُقُهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلَالِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ الْعَامِلِينَ للهِ تَعَالَىٰ بِمَا يَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ لَمْ نَرَهُمْ رُزِقُوا الرِّزْقَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلَالِ فِي الدُّنْيَا، وَوَجَدْنَا ضِيقَ الْعَيْشِ عَلَيْهِمْ أَغْلَبَ مِنَ السَّعَةِ..

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧] فَذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وَإِذَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَارِئًا الْقُرْآنَ..

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨] وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ اللَّازِمِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِعْلَامٌ وَنَدْبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَبْلَ قِرَاءَتِهِ أَوْ بَعْدَهَا أَنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (**فَهَذَا دَلِيلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ دَلَّ عِبَادَهُ عَلَيْهِ**).

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ لَيْسَتْ لَهُ حُجَّةٌ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل: ٩٩] فِيمَا نَابَهُمْ مِنْ مُهِمَّاتِ أُمُورِهِمْ.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ١٠٠].

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ إِنَّمَا حُجَّتُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ..

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ١٠٠] وَالَّذِينَ هُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ، أَشْرَكُوا الشَّيْطَانَ فِي أَعْمَالِهِمْ.. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُشْرِكُونَهُ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِمْ، وَذَبَائِحِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ يُشْرِكُونَ بِالشَّيْطَانِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا قَالوه، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: (**الَّذِينَ هُمْ مُشْرِكُوهُ**)، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ ﴿بِهِۦ﴾، فَكَانَ يَكُونُ لَوْ كَانَ التَّنْزِيلُ كَذَلِكَ: (**وَالَّذِينَ هُمْ مُشْرِكُوهُ فِي أَعْمَالِهِمْ**)، إِلَّا أَنْ يُوَجِّهَ مُوَجِّهٌ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَدِينُونَ بِأُلُوهَةِ الشَّيْطَانِ وَيُشْرِكُونَ اللهَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَيَخْرُجُ عَمَّا جَاءَ

التَّنْزِيلُ بِهِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا، وَقَالَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ: (**لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا**)، وَلَمْ نَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّنْزِيلِ: (**لَا تُشْرِكُوا اللهَ بِشَيْءٍ**)، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا اللهَ بِشَيْءٍ، فَيَجُوزُ لَنَا تَوْجِيهُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ١٠٠﴾ إِلَىٰ وَالَّذِينَ هُمْ بِالشَّيْطَانِ مُشْرِكُو اللهِ، فَبَيَّنَ إِذًا -إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ- أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ (الرَّبِّ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾ [النحل: ١٠١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ فَأَبْدَلْنَا مَكَانَهُ حُكْمَ أُخْرَىٰ..

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي هُوَ أَصْلَحُ لِخَلْقِهِ فِيمَا يُبَدِّلُ وَيُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِهِ..

﴿قَالُوا﴾ قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمُكَذِّبُو رَسُولَهِ لِرَسُولِهِ..

﴿إِنَّمَا أَنتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مُفْتَرٍ﴾ مُكَذِّبٌ، تَخْرُصُ بِتَقَوُّلِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ اللهِ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ جُهَّالٌ بِأَنَّ الَّذِي تَأْتِيهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾ [النحل: ١٠١] حَقِيقَةَ صِحَّتِهِ.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ فِيمَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِنَا..

﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ قُلْ جَاءَ بِهِ جِبْرَئِيلُ..

﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّي بِالْحَقِّ..

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قُلْ نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ، نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، رُوحُ الْقُدُسِ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي، تَثْبِيتًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيَةً لِإِيمَانِهِمْ، لِيَزْدَادُوا بِتَصْدِيقِهِمْ لِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ إِيمَانًا لِإِيمَانِهِمْ..

﴿وَهُدًى﴾ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النحل: ١٠٢] الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِ اللهِ، وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا أَنْزَلَهُ فِي آيِ كِتَابِهِ، فَأَقَرُّوا بِكُلِّ ذَلِكَ وَصَدَّقُوا بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ﴾ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَقُولُونَ﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ..

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ..

﴿بَشَرٌۗ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: أَلَا تَعْلَمُونَ كَذِبَ مَا تَقُولُونَ؟..

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ إِنَّ لِسَانَ الَّذِي تُلْحِدُونَ إِلَيْهِ، يَقُولُ: تَمِيلُونَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا..

﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا هَذَا الْقُرْآنَ عَبْدٌ رُومِيٌّ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ..

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝﴾ [النحل: ١٠٣] وَهَذَا الْقُرْآنُ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [النحل: ١٠٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ..

﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لَا يُوَفِّقُهُمُ اللهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَلَا يَهْدِيهِمْ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ وَعِنْدَ اللهِ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [النحل: ١٠٤] عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ..

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ، لَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَبَرَّأَ مِنْ ذَلِكَ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَقَالَ.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠٥].

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى﴾ إِنَّمَا يَتَخَرَّصُ..

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ وَيَتَقَوَّلُ الْبَاطِلَ..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِحُجَجِ اللهِ وَإِعْلَامِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَىٰ الصِّدْقِ ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُونَ عَلَىٰ الْكَذِبِ عِقَابًا، فَهُمْ أَهْلُ الْإِفْكِ وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ، لَا مَنْ كَانَ رَاجِيًا مِنَ اللهِ عَلَىٰ الصِّدْقِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَخَائِفًا عَلَىٰ الْكَذِبِ الْعِقَابَ الْأَلِيمَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥] هُمْ أَهْلُ الْكَذِبِ، لَا الْمُؤْمِنُونَ.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ عَلَىٰ الْكُفْرِ فَنَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ بِلِسَانِهِ..

﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ مُوقِنٌ بِحَقِيقَتِهِ، صَحِيحٌ عَلَيْهِ عَزْمُهُ، غَيْرُ مَفْسُوحِ الصَّدْرِ بِالْكُفْرِ..

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فَاخْتَارَهُ وَآثَرَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَبَاحَ بِهِ طَائِعًا..

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦] حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ غَضَبُ اللهِ، وَوَجَبَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اخْتَارُوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ عَلَىٰ نَعِيمِ الْآخِرَةِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧] وَلِأَنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ آيَاتِهِ مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ جُحُودِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيُّهَا النَّاسُ، هُمُ الْقَوْمُ..

﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فَخَتَمَ عَلَيْهَا بِطَابَعِهِ، فَلَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ..

﴿وَسَمْعِهِمْ﴾ وَأَصَمَّ أَسْمَاعَهُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ اللهِ إِلَىٰ الْهُدَىٰ..

﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ، فَلَا يُبْصِرُونَ بِهَا حُجَجَ اللهِ إِبْصَارَ مُعْتَبِرٍ وَمُتَّعِظٍ..

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ..

﴿هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٠٨] السَّاهُونَ عَمَّا أَعَدَّ اللهُ لِأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَعَمَّا يُرَادُ بِهِمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٩].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٩] الْهَالِكُونَ، الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَانْتَقَلُوا عَنْهُمْ إِلَىٰ دِيَارِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمَسَاكِنِهِمْ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِمْ..

﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ..

﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيْدِيهِمْ بِالسَّيْفِ وَبِأَلْسِنَتِهِمْ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَصَبَرُوا﴾ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ فِعْلَتِهِمْ هَذِهِ لَهُمْ..

﴿لَغَفُورٌ﴾ لَذُو سَتْرٍ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا أَرَادُوا مِنْهُمْ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ لِغَيْرِهَا مُضْمِرُونَ وَلِلْإِيمَانِ مُعْتَقِدُونَ..

﴿رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا مَعَ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ وَتَوْبَتِهِمْ.

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: ١١١].

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ

نَفْسٍ تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَحْتَجُّ عَنْهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ..

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: ١١١] وَهُمْ لَا يُفْعَلُ بِهِمْ إِلَّا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَيَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَلَا يُجْزَىٰ الْمُحْسِنُ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ، وَلَا الْمُسِيءُ إِلَّا بِالَّذِي أَسْلَفَ مِنَ الْإِسَاءَةِ، لَا يُعَاقَبُ مُحْسِنٌ، وَلَا يُبْخَسُ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ، وَلَا يُثَابُ مُسِيءٌ إِلَّا ثَوَابَ عَمَلِهِ.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ وَمَثَّلَ اللهُ مَثَلًا لِمَكَّةَ الَّتِي سُكَّانُهَا أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ هِيَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، وَكَانَ أَمْنُهَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَعَادَىٰ وَيَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَهْلُ مَكَّةَ لَا يُغَارُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُحَارَبُونَ فِي بَلَدِهِمْ، فَذَلِكَ كَانَ أَمْنُهَا..

﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ قَارَّةً بِأَهْلِهَا، لَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَىٰ النُّجَعِ كَمَا كَانَ سُكَّانُ الْبَوَادِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا..

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يَأْتِي أَهْلَهَا مَعَايِشُهُمْ وَاسِعَةً كَثِيرَةً..

﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ مِنْ كُلِّ فَجٍّ مِنْ فِجَاجِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فِيهَا..

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ فَكَفَرَ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ بِأَنْعُمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهَا..

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ﴾ فَأَذَاقَ اللهُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ..

﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ وَذَلِكَ جُوعٌ خَالَطَ أَذَاهُ أَجْسَامَهُمْ، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَلِكَ لِمُخَالَطَتِهِ أَجْسَامَهُمْ بِمَنْزِلَةِ اللِّبَاسِ لَهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِلْهِزَ، وَالْجِيَفَ، وَالْعِلْهِزَ: الْوَبَرُ يُعْجَنُ بِالدَّمِ وَالْقُرَادِ يَأْكُلُونَهُ..

﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُهُمْ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي كَانَتْ تُطِيفُ بِهِمْ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢] مِنَ الْكُفْرِ بِأَنْعُمِ اللهِ، وَيَجْحَدُونَ آيَاتِهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٣].

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ صِفَتَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿رَسُولٌ﴾ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ نَسَبَهُ، وَصِدْقَ لَهْجَتِهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ..

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ وَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وَذَلِكَ لِبَاسُ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ مَكَانُ الْأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُرْزَقُونَهُ، وَقَتْلٌ بِالسَّيْفِ..

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١١٣﴾ [النحل: ١١٣] وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُتِلَ عُظَمَاؤُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ عَلَىٰ الشِّرْكِ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١١٤﴾ [النحل: ١١٤].

﴿فَكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِنْ بَهَائِمِ الْأَنْعَامِ الَّتِي أَحَلَّهَا لَكُمْ..

﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ مُذَكَّاةً غَيْرَ مُحَرَّمَةٍ عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ فِي تَحْلِيلِهِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١١٤﴾ [النحل: ١١٤] إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ، فَتُطِيعُونَهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٥﴾ [النحل: ١١٥].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُحَرِّمُونَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَحَائِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ: مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا..

﴿ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وَمَا ذُبِحَ لِلْأَنْصَابِ فَسُمِّيَ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ ذَبَائِحِ مَنْ لَا يَحِلُّ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ..

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ أَوْ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ لِمَجَاعَةٍ حَلَّتْ فَأَكَلَهُ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو سَتْرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِأَكْلِهِ ذَلِكَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١١٥﴾ [النحل: ١١٥] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦﴾ [النحل: ١١٦].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِوَصْفِ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ فِيمَا رَزَقَ اللهُ عِبَادَهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ..

﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟﴾ كَيْ تَفْتَرُوا..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِقِيلِكُمْ ذَلِكَ..

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ ذَلِكَ مَا تُحَرِّمُونَ، وَلَا أَحَلَّ كَثِيرًا مِمَّا تَحِلُّونَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْوَعِيدِ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتَخَرَّصُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَيَخْتَلِقُونَهُ..

﴿لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦﴾ [النحل: ١١٦] لَا يُخَلَّدُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَبْقَوْنَ فِيهَا، إِنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا قَلِيلًا وَقَالَ.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١٧﴾ [النحل: ١١٧].

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، أَوْ لَهُمْ مَتَاعٌ قَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١٧﴾ [النحل: ١١٧] ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ وَمَعَادُهُمْ، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ عَذَابٌ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ أَلِيمٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٨﴾ [النحل: ١١٨].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ وَحَرَّمْنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ الْيَهُودِ مَا أَنْبَأْنَاكَ بِهِ مِنْ قَبْلُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَذَاكَ كُلُّ ذِي ظُفُرٍ، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾..

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بِتَحْرِيمِنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٨﴾ [النحل: ١١٨] فَجَزَيْنَاهُمْ ذَلِكَ بِبَغْيِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَأَوْرَثَهُمْ ذَلِكَ عُقُوبَةَ اللهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٩﴾ [النحل: ١١٩].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَصَوْا اللهَ..

﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ فَجَهِلُوا بِرُكُوبِهِمْ مَا رَكِبُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَسَفِهوا بِذَلِكَ..

﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾ ثُمَّ رَاجَعُوا طَاعَةَ اللهِ، وَالنَّدَمَ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِغْفَارَ، وَالتَّوْبَةَ مِنْهَا..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ رُكُوبِ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ وَأَصْلَحَ، فَعَمِلَ بِمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَاهُ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٩﴾ [النحل: ١١٩] إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ لَهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَ اللهِ..

﴿كَانَ أُمَّةً﴾ كَانَ مُعَلِّمَ خَيْرٍ يَأْتَمُّ بِهِ أَهْلُ الْهُدَىٰ..

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ مُطِيعًا للهِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠] وَلَمْ يَكُ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَيَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل: ١٢١].

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ كَانَ يُخْلِصُ الشُّكْرَ للهِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْعَلُ مَعَهُ فِي شُكْرِهِ فِي نِعَمِهِ عَلَيْهِ شَرِيكًا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا يَفْعَلُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِخُلَّتِهِ..

﴿وَهَدَىٰهُ﴾ وَأَرْشَدَهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل: ١٢١] وَذَلِكَ دِينُ الْإِسْلَامِ، لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٢٢﴾ [النحل: ١٢٢].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ وَآتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قُنُوتِهِ للهِ وَشُكْرِهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ذِكْرًا حَسَنًا، وَثَنَاءً جَمِيلًا بَاقِيًا عَلَىٰ الْأَيَّامِ..

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وَإِنَّهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ١٢٢﴾ [النحل: ١٢٢] لَمِمَّنْ صَلُحَ أَمْرُهُ وَشَأْنُهُ عِنْدَ اللهِ، وَحَسُنَتْ فِيهَا مَنْزِلَتُهُ وَكَرَامَتُهُ.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَقُلْنَا لَكَ..

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ..

﴿حَنِيفًا ۖ﴾ مُسْلِمًا عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣] بَرِيئًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُكَ، كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ تَبَرَّأَ مِنْهَا.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾ [النحل: ١٢٤].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ مَا فَرَضَ اللهُ أَيُّهَا النَّاسُ تَعْظِيمَ يَوْمِ السَّبْتِ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَعْظَمُ الْأَيَّامِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَغَ مِنْ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَبَتَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَعْظَمُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْأَحَدِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ، فَاخْتَارُوهُ، وَتَرَكُوا تَعْظِيمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمَهُ وَاسْتَحَلُّوهُ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ لِيَحْكُمُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ بَيْنَهُمْ فِي اسْتِحْلَالِ السَّبْتِ وَتَحْرِيمِهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عِنْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ..

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾ [النحل: ١٢٤] مِمَّا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَقِّ، وَيَفْصِلُ بِالْعَدْلِ بِمُجَازَاةِ الْمُصِيبِ فِيهِ جَزَاءَهُ، وَالْمُخْطِئِ فِيهِ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ٱدْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَرْسَلَكَ إِلَيْهِ رَبُّكَ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إِلَىٰ شَرِيعَةِ رَبِّكَ الَّتِي شَرَعَهَا لِخَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ..

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بِوَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَكِتَابِهِ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ..

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وَبِالْعِبَرِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا فِي تَنْزِيلِهِ، كَالَّتِي عَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ حُجَجِهِ، وَذَكَّرَهُمْ فِيهَا مَا ذَكَّرَهُمْ مِنْ آلَائِهِ..

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَخَاصِمْهُمْ بِالْخُصُومَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهَا، أَنْ تَصْفَحَ عَمَّا نَالُوا بِهِ عِرْضَكَ مِنَ الْأَذَىٰ، وَلَا تَعْصِهِ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْكَ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ بِمَنْ جَارَ..

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي السَّبْتِ وَغَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَحَادَّ اللهَ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝﴾ [النحل: ١٢٥] وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ سَالِكًا قَصْدَ السَّبِيلِ وَمَحَجَّةَ الْحَقِّ، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝﴾
[النحل: ١٢٦].

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَنْ ظَلَمَكُمْ وَاعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ..

﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ الَّذِي نَالَكُمْ بِهِ ظَالِمُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ..

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عَنْ عُقُوبَتِهِ وَاحْتَسَبْتُمْ عِنْدَ اللهِ مَا نَالَكُمْ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَوَكَلْتُمْ أَمْرَهُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الْمُتَوَلِّي عُقُوبَتَهُ..

﴿لَهُوَ﴾ لَلصَّبْرُ عَنْ عُقُوبَتِهِ بِذَلِكَ..

﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝﴾ [النحل: ١٢٦] خَيْرٌ لِأَهْلِ الصَّبْرِ، احْتِسَابًا وَابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ يُعَوِّضُهُ مِنَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَنَالَهُ بِانْتِقَامِهِ مِنْ ظَالِمِهِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ إِيَّاهُ مِنْ لَذَّةِ الِانْتِصَارِ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقِيلَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ أَوْ مُحْكَمَةٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ أَقْسَمُوا حِينَ فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا فَعَلُوا بِقَتْلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْثِيلِ بِهِمْ أَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَهُمْ فِي الْمُثْلَةِ بِهِمْ إِنْ رُزِقُوا الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتَصِرُوا فِي التَّمْثِيلِ بِهِمْ إِنْ هُمْ ظَفِرُوا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَرْكِ التَّمْثِيلِ وَإِيثَارِ الصَّبْرِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، فَنُسِخَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ أَذِنَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمُثْلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ:

نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي بَرَاءَةَ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٦] قَالُوا: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، خَبَرًا مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَبْدَءُوهُمْ بِقِتَالٍ حَتَّىٰ يَبْدَءُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] نَبِيَّ اللهِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ لَهُ عَزِيمَةً مِنَ اللهِ دُونَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: لَمْ يُعْنَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِمَا أَنَّ مَنْ ظُلِمَ بِظُلَامَةٍ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنَالَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ الظَّالِمُ مِنْهُ، وَقَالُوا: الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَ مَنْ عُوقِبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعُقُوبَةٍ أَنْ يُعَاقِبَ مَنْ عَاقَبَهُ بِمِثْلِ الَّذِي عُوقِبَ بِهِ، إِنِ اخْتَارَ عُقُوبَتَهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ خَيْرٌ، وَعَزَمَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَالتَّأْوِيلَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مُحْتَمِلَتُهَا الْآيَةُ كُلُّهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَيِ ذَلِكَ عُنِيَ بِهَا مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ يُقَالَ: هِيَ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزُوا فِيمَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَ غَيْرِهِمْ مِنْ حَقٍّ -مِنْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ- الْحَقَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ؛ إِذْ كَانَ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ نَسْخِهَا، وَأَنَّ لِلْقَوْلِ بِأَنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَجْهًا صَحِيحًا مَفْهُومًا.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ [النحل: ١٢٧].

﴿وَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ مِنْ أَذًىٰ فِي اللهِ..

﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وَمَا صَبْرُكَ إِنْ صَبَرْتَ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاكَ لِذَلِكَ..

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيُنْكِرُونَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فِي آنٍ وَلَّوْا عَنْكَ وَأَعْرَضُوا عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ..

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْجَهْلِ، وَنِسْبَتُهُمْ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ إِلَىٰ أَنَّهُ سِحْرٌ أَوْ شِعْرٌ أَوْ كَهَانَةٌ..

﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ [النحل: ١٢٧] مِمَّا يَحْتَالُونَ بِالْخِدَعِ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِكَ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ اللهَ فِي مَحَارِمِهِ فَاجْتَنَبُوهَا، وَخَافُوا عِقَابَهُ عَلَيْهَا، فَأَحْجَمُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهَا..

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] وَهُوَ مَعَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ وَلُزُومَ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورةِ النَّحْلِ

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ (١٧)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ تَنْزِيهًا لِلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ شَرِيكًا، وَأَنَّ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، وَعُلُوًّا لَهُ وَتَعْظِيمًا عَمَّا أَضَافُوهُ إِلَيْهِ، وَنَسَبُوهُ مِنْ جَهَالَاتِهِمِ وَخَطَأِ أَقْوَالِهِمْ.. وَالْإِسْرَاءُ وَالسُّرَىٰ: سَيْرُ اللَّيْلِ.. فَإِنَّ اللهَ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عِبَادَهُ، وَكَمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ اللهَ حَمَلَهُ عَلَىٰ الْبُرَاقِ حِينَ أَتَاهُ بِهِ، وَصَلَّىٰ هُنَالِكَ بِمَنْ صَلَّىٰ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: أَسْرَىٰ بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، وَلَا حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ رِسَالَتِهِ، وَلَا كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، كَانُوا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِهِ فِيهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَرَىٰ الرَّائِي مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَىٰ مَسِيرَةِ سَنَةٍ، فَكَيْفَ مَا هُوَ عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرٍ أَوْ أَقَلَّ؟.. وَبَعْدُ فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ أَسْرَىٰ بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ جَائِزًا لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّىٰ مَا قَالَ اللهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، بَلِ الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَالْأَخْبَارُ الْمُتَتَابِعَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَسْرَىٰ بِهِ عَلَىٰ دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ مَحْمُولَةً عَلَىٰ الْبُرَاقِ، إِذْ كَانَتِ الدَّوَابُّ لَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَجْسَامَ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِنَا: أَسْرَىٰ بِرُوحِهِ: رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ عَلَىٰ الْبُرَاقِ، فَيُكَذِّبُ حِينَئِذٍ بِمَعْنَىٰ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ جِبْرَئِيلَ حَمَلَهُ عَلَىٰ الْبُرَاقِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَنَامًا عَلَىٰ قَوْلِ قَائِلِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَمْ تَكُنِ الرُّوحُ عِنْدَهُ مِمَّا تَرْكَبُ الدَّوَابَّ، وَلَمْ يُحْمَلْ عَلَىٰ الْبُرَاقِ جِسْمُ النَّبِيِّ ﷺ، لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ قَوْلِهِ حُمِلَ عَلَىٰ الْبُرَاقِ لَا جِسْمُهُ، وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ، وَصَارَ الْأَمْرُ عِنْدَهُ كَبَعْضِ

أَحْلَامِ النَّائِمِينَ، وَذَلِكَ دَفْعٌ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَمَا تَتَابَعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنِ الْأَئِمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ..

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَفِيهِ كَانَ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ هُوَ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ إِذَا ذَكَرُوهُ..

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ لَهُ: الْأَقْصَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُزَارُ، وَيَنْبَغِي فِي زِيَارَتِهِ الْفَضْلُ بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: تَنْزِيهًا للهِ، وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا نَحَلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَالْأَنْدَادِ وَالصَّاحِبَةِ، وَمَا يَجِلُّ عَنْهُ جَلَّ جَلَالُهُ، الَّذِي سَارَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ بَيْتِهِ الْحَرَامِ إِلَىٰ بَيْتِهِ الْأَقْصَىٰ..

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ الَّذِي جَعَلْنَا حَوْلَهُ الْبَرَكَةَ لِسُكَّانِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَغُرُوسِهِمْ..

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ كَيْ نُرِيَ عَبْدَنَا مُحَمَّدًا..

﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ مِنْ عِبَرِنَا وَأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا قَدْ ذُكِرَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُرِيهِ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ الْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ..

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي مَسْرَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ..

﴿ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١] بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ عِلْمًا، وَمُحْصِيهِ عَدَدًا، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، لِيَجْزِيَ جَمِيعَهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ②﴾

[الإسراء: ٢].

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا، وَآتَىٰ مُوسَىٰ الْكِتَابَ، وَعَنَىٰ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُوتِيَ مُوسَىٰ: التَّوْرَاةَ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ وَجَعَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بَيَانًا لِلْحَقِّ، وَدَلِيلًا لَهُمْ عَلَىٰ مَحَجَّةِ الصَّوَابِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ،

وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٢] أَلَّا تَتَّخِذُوا حَفِيظًا لَكُمْ سِوَايَ.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٣].

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ عَنَىٰ بِالذُّرِّيَّةِ: جَمِيعَ مَنِ احْتَجَّ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ، عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلَهُ اللهُ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ نُوحًا..

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٣] للهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ.. قال سَلْمَانُ الفارسي: (**كَانَ نُوحٌ إِذَا لَبِسَ ثَوْبًا أَوْ أَكَلَ طَعَامًا حَمِدَ اللهَ، فَسُمِّيَ عَبْدًا شَكُورًا**).

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٤].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَفَرَغَ رَبُّكَ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِخْبَارِهِ لَهُمْ..

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ لَتَعْصُنَّ اللهَ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَتُخَالِفُنَّ أَمْرَهُ فِي بِلَادِهِ مَرَّتَيْنِ.. وكَانَ إِفْسَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ قَتْلَهُمْ زَكَرِيَّا نَبِيَّ اللهِ، مَعَ مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ، إِلَىٰ أَنْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أَحَلَّ عَلَىٰ يَدِهِ بِهِمْ نِقْمَتَهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَعُتُوِّهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.. وَأَمَّا إِفْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ، فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ قَتْلَهُمْ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا..

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٤] وَلَتَسْتَكْبِرُنَّ عَلَىٰ اللهِ بِاجْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا شَدِيدًا.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝﴾ [الإسراء: ٥].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَىٰ الْمَرَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُفْسِدُونَ بِهِمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ..

﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذَوِي بَطْشٍ فِي الْحُرُوبِ شَدِيدٍ..

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ فَتَرَدَّدُوا بَيْنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ، وَذَهَبُوا وَجَاءُوا

﴿وَكَانَ﴾ جَوْسُ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَبْعَثُ عَلَيْهِمْ خِلَالَ دِيَارِهِمْ..

﴿وَعْدًا﴾ مِنَ اللهِ لَهُمْ..

﴿مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء: ٥] ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ جَالُوتَ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، وهو قول قتادة، ويُروىٰ عن ابن عباس.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ بَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ سَنْحَارِيبَ، وهو قولُ ابنِ جبير، وابنِ المسيَّب.. وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، قَالُوا: وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ قِتَالٌ، وهو قول مجاهد.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [الإسراء: ٦].

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ أَدَلْنَاكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْإِدَالَةُ وَالْكَرَّةُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ، فِيمَا ذَكَرَ السُّدِّيُّ فِي خَبَرِهِ: (**أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَزَوْهُمْ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ، وَاسْتَنْقَذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهُمْ**).. وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ: إِطْلَاقُ الْمَلِكِ الَّذِي غَزَاهُمْ مَا فِي يَدَيْهِ مِنْ أَسْرَاهُمْ، وَرَدَّ مَا كَانَ أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.. وَفِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي رَوَاهُ عَطِيَّةُ عَنْهُ هِيَ إِدَالَةُ اللهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ جَالُوتَ حَتَّىٰ قَتَلُوهُ.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ وَزِدْنَا فِيمَا أَعْطَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ..

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [الإسراء: ٦] وَصَيَّرْنَاكُمْ أَكْثَرَ عَدَدٍ نَافِرٍ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧﴾ [الإسراء: ٧].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا قَضَىٰ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ: إِنْ أَحْسَنْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَطَعْتُمُ اللهَ وَأَصْلَحْتُمْ أَمْرَكُمْ وَلَزِمْتُمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿أَحْسَنتُمْ﴾ وَفَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّكُمْ إِنَّمَا تَنْفَعُونَ بِفَعْلَتِكُمْ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنْفُسَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنْكُمْ مَنْ بَغَاكُمْ سُوءًا، وَيُنَمِّي لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَيَزِيدُكُمْ إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ قُوَّةً، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُثِيبُكُمْ بِهِ جِنَانَهُ..

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ وَإِنْ عَصَيْتُمُ اللهَ وَرَكِبْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ حِينَئِذٍ..

﴿فَلَهَا﴾ فَإِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تُسِيئُونَ، لِأَنَّكُمْ تُسْخِطُونَ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ رَبَّكُمْ، فَيُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا عَدُوَّكُمْ، وَيُمَكِّنُ مِنْكُمْ مَنْ بَغَاكُمْ سُوءًا، وَيُخَلِّدُكُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ.. وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، وَالْمَعْنَىٰ: فَإِلَيْهَا كَمَا قَالَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٥]، وَالْمَعْنَىٰ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا..

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ مِنْ مَرَّتَيْ إِفْسَادِكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ..

﴿لِيَسُوءُوا﴾ لِيَسُوءَ مَجِيءُ ذَلِكَ الْوَعْدِ لِلْمَرَّةِ الْآخِرَةِ..

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ فَيُقَبِّحَهَا..

﴿وَلِيَدْخُلُوا﴾ وَلْيَدْخُلْ عَدُوُّكُمُ الَّذِي أَبْعَثُهُ عَلَيْكُمْ..

﴿الْمَسْجِدَ﴾ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَهْرًا مِنْهُمْ لَكُمْ وَغَلَبَةً..

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حِينَ أَفْسَدْتُمُ الْفَسَادَ الْأَوَّلَ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا﴾ وَلْيُدَمِّرُوا مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِكُمْ..

﴿تَتْبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٧] تَدْمِيرًا.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٨].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ لَعَلَّ رَبَّكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بَعْدَ انْتِقَامِهِ مِنْكُمْ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيَسُوءَ مَبْعَثُهُ عَلَيْكُمْ وُجُوهَكُمْ، وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَنْتَشِلُكُمْ مِنَ الذُّلِّ الَّذِي يُحِلُّهُ بِكُمْ، وَيَرْفَعُكُمْ مِنَ الْخُمُولَةِ الَّتِي تَصِيرُونَ إِلَيْهَا، فَيُعِزُّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَ(عَسَىٰ) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَفَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، فَكَثَّرَ عَدَدَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَفَعَ خَسَاسَتَهُمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْمُلُوكَ وَالْأَنْبِيَاءَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ..

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَعْصِيَتِي وَخِلَافِ أَمْرِي، وَقَتْلِ رُسُلِي..

﴿عُدْنَا﴾ عَلَيْكُمْ بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ، وَإِحْلَالِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ بِكُمْ، فَعَادُوا، فَعَادَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِعِقَابِهِ وَإِحْلَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ.. قَالَ قَتَادَةُ: **(عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا يَحْضُرُهُمْ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ، ثُمَّ كَانَ خِتَامُ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُمْ يُعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)**..

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٨] وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ فِرَاشًا وَمِهَادًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْبِسَاطَ الصَّغِيرَ حَصِيرًا، وَمِنْه قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٩].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَهْدِي﴾ يُرْشِدُ وَيُسَدِّدُ مَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ..

﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ لِلسَّبِيلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّبُلِ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي عِبَادَ اللهِ الْمُهْتَدِينَ بِهِ إِلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ الَّتِي ضَلَّ عَنْهَا سَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ..

﴿وَيُبَشِّرُ﴾ أَيْضًا مَعَ هِدَايَتِهِ مَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ لِلسَّبِيلِ الْأَقْصَدِ..

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ فِي دُنْيَاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ ثَوَابًا مِنَ اللهِ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحَاتِ..

﴿كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٩] عَظِيمًا، وَجَزَاءً جَزِيلًا، وَذَلِكَ هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ رَضِيَ عَمَلَهُ.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠].

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا، فَهُمْ لِذَلِكَ لَا يَتَحَاشَوْنَ مِنْ رُكُوبِ مَعَاصِي اللهِ..

﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أَعْدَدْنَا لَهُمْ، لِقُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠] مُوجِعًا، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ۝﴾ [الإسراء: ١١].

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُذَكِّرًا عِبَادَهُ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَيَدْعُو الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ..

﴿بِٱلشَّرِّ﴾ فَيَقُولُ: اللهُمَّ أَهْلِكْهُ وَالْعَنْهُ، عِنْدَ ضَجَرِهِ وَغَضَبِهِ..

﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ كَدُعَائِهِ بِالْخَيْرِ، يَقُولُ: كَدُعَائِهِ رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ، وَيَرْزُقَهُ السَّلَامَةَ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، يَقُولُ: فَلَوِ اسْتُجِيبَ لَهُ فِي دُعَائِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ بِالشَّرِّ كَمَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي الْخَيْرِ هَلَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ بِفَضْلِهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ فِي ذَلِكَ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [الإسراء: ١١] قَالَ مُجَاهِد: ذَلِكَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ عَلَىٰ وَلَدِهِ وَعَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَيُعَجِّلُ فَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَهُ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾ [الإسراء: ١٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ﴾ وَمِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مُخَالَفَتِهِ بَيْنَ عَلَامَةِ اللَّيْلِ وَعَلَامَةِ النَّهَارِ..

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ بِإِظْلَامِهِ عَلَامَةَ اللَّيْلِ، وَإِضَاءَتِهِ عَلَامَةَ النَّهَارِ..

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لِتَسْكُنُوا فِي هَذَا، وَتَتَصَرَّفُوا فِي ابْتِغَاءِ رِزْقِ اللهِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَكُمْ بِفَضْلِهِ فِي هَذَا..

﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ وَلِتَعْلَمُوا بِاخْتِلَافِهِمَا عَدَدَ السِّنِينَ وَانْقِضَاءَهَا، وَابْتِدَاءَ دُخُولِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهَا..

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾ [الإسراء: ١٢] وَكُلُّ شَيْءٍ بَيَّنَّاهُ بَيَانًا شَافِيًا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِتَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ بَنِي آدَمَ، أَلْزَمْنَاهُ نَحْسَهُ وَسَعْدَهُ وَشَقَاءَهُ وَسَعَادَتَهُ، بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَعَامِلٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي عُنُقِهِ، فَلَا يُجَاوِزُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا قَضَيْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَامِلُهُ، وَمَا كَتَبْنَا لَهُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ.. وَقَوْلُهُ ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ مَثَلٌ لِمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَتَفَاءَلُ بِهِ أَوْ تَتَشَاءَمُ مِنْ سَوَانِحِ الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهَا، فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْزَمَهُ رَبُّهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، نَحِسًا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَلْزَمَهُ مِنَ الطَّائِرِ، وَشَقَاءً يُورِدُهُ سَعِيرًا، أَوْ كَانَ سَعْدًا يُورِدُهُ جَنَّاتِ عَدْنٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (أَلْزَمْنَاهُ فِي يَدَيْهِ) أَوْ (رِجْلَيْهِ) أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ

الْعُنُقَ هُوَ مَوْضِعُ السِّمَاتِ، وَمَوْضِعُ الْقَلَائِدِ وَالْأَطْوِقَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَزِينُ أَوْ يَشِينُ، فَجَرَىٰ كَلَامُ الْعَرَبِ بِنِسْبَةِ الْأَشْيَاءِ اللَّازِمَةِ بَنِي آدَمَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَضَافُوا الْأَشْيَاءَ اللَّازِمَةَ سَائِرَ الْأَبْدَانِ إِلَىٰ الْأَعْنَاقِ، كَمَا أَضَافُوا جِنَايَاتِ أَعْضَاءِ الْأَبْدَانِ إِلَىٰ الْيَدِ، فَقَالُوا: ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي جَرَّ عَلَيْهِ لِسَانُهُ أَوْ فَرْجُهُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾..

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء: ١٣] وَنَحْنُ نُخْرِجُ لَهُ إِذَا وَافَانَا كِتَابًا يُصَادِفُهُ مَنْشُورًا بِأَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَبِطَائِرِهِ الَّذِي كَتَبْنَا لَهُ، وَأَلْزَمْنَاهُ إِيَّاهُ فِي عُنُقِهِ، قَدْ أَحْصَىٰ عَلَيْهِ رَبُّهُ فِيهِ كُلَّ مَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا، فَنَقُولُ لَهُ.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ اقْرَأْ كِتَابَ عَمَلِكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ فِي الدُّنْيَا، الَّذِي كَانَ كُتَّابُنَا يَكْتُبَانِهِ، وَنُحْصِيهِ عَلَيْكَ..

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤] حَسْبُكَ الْيَوْمَ نَفْسُكَ عَلَيْكَ حَاسِبًا يَحْسِبُ عَلَيْكَ أَعْمَالَكَ، فَيُحْصِيهَا عَلَيْكَ، لَا نَبْتَغِي عَلَيْكَ شَاهِدًا غَيْرَهَا، وَلَا نَطْلُبُ عَلَيْكَ مُحْصِيًا سِوَاهَا.. قَالَ قَتَادَةُ: (سَيَقْرَأُ يَوْمَئِذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا).

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مَنِ اسْتَقَامَ عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ فَاتَّبَعَهُ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ فَلَيْسَ يَنْفَعُ بِلُزُومِهِ الِاسْتِقَامَةَ وَإِيمَانِهِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ..

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وَمَنْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، فَأَخَذَ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، وَكَفَرَ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَلَيْسَ يَضُرُّ بِضَلَالِهِ وَجَوْرِهِ عَنِ الْهُدَىٰ غَيْرَ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يُوجِبُ لَهَا بِذَلِكَ غَضَبَ اللهِ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فَإِنَّمَا يَكْسِبُ إِثْمَ ضَلَالِهِ عَلَيْهَا لَا عَلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وَلَا تَحْمِلُ حَامِلَةٌ حِمْلَ أُخْرَىٰ غَيْرَهَا مِنَ الْآثَامِ، وَقَالَ: ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخۡرَىٰۗ﴾، لِأَنَّ مَعْنَاهَا: وَلَا تَزِرُ نَفْسٌ وَازِرَةٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرَىٰ، وَالْوِزْرُ: هُوَ الْإِثْمُ، يُجْمَعُ أَوْزَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [طه: ٨٧]، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تَأْثَمُ آثِمَةٌ إِثْمَ أُخْرَىٰ، وَلَكِنْ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ إِثْمُهَا دُونَ إِثْمِ غَيْرِهَا مِنَ الْأَنْفُسِ..

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥] وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي قَوْمٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ عُذْرَهُمْ.. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: **(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّسَمَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهَ وَالْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ، وَالشُّيُوخَ الَّذِينَ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ خَرِفُوا، ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ؟! وَايْمُ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ قَبْلُ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾)**.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

[الإسراء: ١٦].

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ أَمَرْنَا أَهْلَهَا بِالطَّاعَةِ؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعْنَىٰ أَمَرْنَا: الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ خِلَافُ النَّهْيِ دُونَ غَيْرِهِ، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ الْأَشْهَرِ الْأَعْرَفِ مِنْ مَعَانِيهِ أَوْلَىٰ -مَا وُجِدَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ- مِنْ غَيْرِهِ..

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ فَعَصَوْا وَفَسَقُوا، فَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ فِيهَا، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ..

﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ وَفُسُوقِهِمْ فِيهَا، وَعِيدُ اللهِ الَّذِي أَوْعَدَ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَخَالَفَ رُسُلَهُ مِنَ الْهَلَاكِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ بِالرُّسُلِ وَالْحُجَجِ..

﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ [الإسراء: ١٦] فَخَرَّبْنَاهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَخْرِيبًا، وَأَهْلَكْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا إِهْلَاكًا.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾

[الإسراء: ١٧].

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَىٰ زَمَانِكُمْ قُرُونًا كَثِيرَةً، كَانُوا مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتُمْ بِأَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَيُعَذِّبُ

قَوْمًا بِمَا لَا يُعَذِّبُ بِهِ آخَرِينَ، أَوْ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِ نَاسٍ فَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا آخَرِينَ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ، فَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يُنَبِّهُكُمْ عَلَىٰ حُجَجِنَا عَلَيْكُمْ، وَيُوقِظُكُمْ مِنْ غَفْلَتِكُمْ، وَلَمْ نَكُنْ لِنُعَذِّبَ قَوْمًا حَتَّىٰ نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ حُجَجِ اللهِ، وَأَنْتُمْ عَلَىٰ فُسُوقِكُمْ مُقِيمُونَ..

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ وَحَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللهِ خَابِرًا بِذُنُوبِ خَلْقِهِ عَالِمًا، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَا أَفْعَالِ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ هُوَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ عَالِمٌ خَابِرٌ..

﴿بَصِيرًا ۝١٧﴾ [الإسراء: ١٧] يُبْصِرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبِي رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَتَهْدِيدُهُ لَهُمْ بِالْعِقَابِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ تَكْذِيبِهِم رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ سَخَطَهُ، وَمُنْزِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَكُوا فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ سَبِيلَهُمْ.

> ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مَنْ كَانَ طَلَبُهُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَلَهَا يَعْمَلُ وَيَسْعَىٰ، وَإِيَّاهَا يَبْتَغِي، لَا يُوقِنُ بِمَعَادٍ وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا مِنْ رَبِّهِ عَلَىٰ عَمَلِهِ..

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ يُعَجِّلُ اللهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَا يَشَاءُ مِنْ بَسْطِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ، أَوْ تَقْتِيرِهَا لِمَنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ، أَوْ إِهْلَاكِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ عُقُوبَاتِهِ..

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ ثُمَّ أَصْلَيْنَاهُ عِنْدَ مَقْدَمِهِ عَلَيْنَا فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمَ..

﴿مَذْمُومًا﴾ عَلَىٰ قِلَّةِ شُكْرِهِ إِيَّانَا وَسُوءِ صَنِيعِهِ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَادِينَا عِنْدَهُ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَّدْحُورًا ۝١٨﴾ [الإسراء: ١٨] مُبْعَدًا، مُقْصًىٰ فِي النَّارِ.

> ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء: ١٩].

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ وَإِيَّاهَا طَلَبَ..

﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾ وَلَهَا عَمِلَ عَملَهَا الَّذِي هُوَ طَاعَةُ اللهِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ..

﴿سَعْيَهَا﴾ وَأَضَافَ السَّعْيَ إِلَىٰ الْهَاءِ وَالْأَلِفِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَسَعَىٰ لِلْآخِرَةِ سَعْيَ الْآخِرَةِ، وَمَعْنَاهُ: وَعَمِلَ لَهَا عَمَلَهَا لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهُ لَهَا..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مُصَدِّقٌ بِثَوَابِ اللهِ، وَعَظِيمِ جَزَائِهِ عَلَىٰ سَعْيِهِ لَهَا، غَيْرُ مُكَذِّبٍ بِهِ تَكْذِيبَ مَنْ أَرَادَ الْعَاجِلَةَ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ..

﴿كَانَ سَعْيُهُم﴾ يَعْنِي عَمَلَهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿مَّشْكُورًا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩] وَشُكْرُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ سَعْيِهِمْ ذَلِكَ حُسْنُ جَزَائِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَتَجَاوُزُهُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئِهَا بِرَحْمَتِهِ.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠].

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَمُدُّ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ مُرِيدِي الْعَاجِلَةِ وَمُرِيدِي الْآخِرَةِ، السَّاعِي لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا..

﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ﴾ فَيَرْزُقُهُمَا جَمِيعًا مِنْ رِزْقِهِ إِلَىٰ بُلُوغِهِمَا الْأَمَدَ وَاسْتِيفَائِهِمَا الْأَجَلَ مَا كُتِبَ لَهُمَا، ثُمَّ تَخْتَلِفُ بِهِمَا الْأَحْوَالُ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَتَفْتَرِقُ بِهِمَا بَعْدَ الْوُرُودِ الْمَصَادِرُ، فَفَرِيقُ مُرِيدِي الْعَاجِلَةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ مَصْدَرُهُمْ، وَفَرِيقُ مُرِيدِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ مَآبُهُمْ..

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ الَّذِي يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مَحْظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠] مَمْنُوعًا عَمَّنْ بَسَطَهُ عَلَيْهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١﴾ [الإسراء: ٢١].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَىٰ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ هَمُّ أَحَدِهِمَا الدَّارُ الْعَاجِلَةُ، وَإِيَّاهَا يَطْلُبُ وَلَهَا يَعْمَلُ، وَالْآخَرُ الَّذِي يُرِيدُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَهَا يَسْعَىٰ مُوقِنًا بِثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ سَعْيِهِ..

﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ كَيْفَ فَضَّلْنَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ، بِأَنْ بَصَّرْنَا هَذَا

رُشْدَهُ، وَهَدَيْنَاهُ لِلسَّبِيلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيَسَّرْنَاهُ لِلَّذِي هُوَ أَهْدَىٰ وَأَرْشَدُ، وَخَذَلْنَا هَذَا الْآخَرَ، فَأَضْلَلْنَاهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَغْشَيْنَا بَصَرَهُ عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ..

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ وَفَرِيقٌ مُرِيدٌ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ دَرَجَاتٍ، بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِتَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ [الإسراء: ٢١] بِتَفْضِيلِ اللهِ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَرِيقِ الْآخَرِينَ فِي الدُّنْيَا فِيمَا بَسَطْنَا لَهُمْ فِيهَا.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢].

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ شَرِيكًا فِي أُلُوهَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَكِنْ أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدْ لَهُ الْأُلُوهَةَ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ فَإِنَّكَ إِنْ تَجْعَلْ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَتَعْبُدْ مَعَهُ سِوَاهُ تَقْعُدَ مَلُومًا عَلَىٰ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِهِ، وَتَصْيِيرِكَ الشُّكْرَ لِغَيْرِ مَنْ أَوْلَاكَ الْمَعْرُوفَ، وَفِي إِشْرَاكِكَ فِي الْحَمْدِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي النِّعْمَةِ عَلَيْكَ غَيْرُهُ..

﴿مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢] قَدْ أَسْلَمَكَ رَبُّكَ لِمَنْ بَغَاكَ سُوءًا، وَإِذَا أَسْلَمَكَ رَبُّكَ الَّذِي هُوَ نَاصِرُ أَوْلِيَائِهِ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ يَنْصُرُكَ وَيَدْفَعُ عَنْكَ.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ حَكَمَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ..

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ..

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وَأَمَرَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمَا وَتَبَرُّوهُمَا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَأَمَرَكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ، فَلَمَّا حُذِفَتْ (أَنْ) تَعَلَّقَ الْقَضَاءُ بِالْإِحْسَانِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: آمُرُكَ بِهِ خَيْرًا، وَأُوصِيكَ بِهِ خَيْرًا، بِمَعْنَىٰ: آمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ خَيْرًا، ثُمَّ تُحْذَفُ (أَنْ) فَيَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ وَالْوَصِيَّةُ بِالْخَيْرِ..

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فَلَا تُؤَفِّفْ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ مِنْ

أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا مِمَّا يَتَأَذَّىٰ بِهِ النَّاسُ، وَلَكِنِ اصْبِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهُمَا، وَاحْتَسِبْ فِي الْأَجْرِ صَبْرَكَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ فِي صِغَرِكَ..

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ وَلَا تَزْجُرْهُمَا..

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣] قَوْلًا جَمِيلًا حَسَنًا.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾
[الإسراء: ٢٤].

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وَكُنْ لَهُمَا ذَلِيلًا رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا تُطِيعُهُمَا فِيمَا أَمَرَاكَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ للهِ مَعْصِيَةً، وَلَا تُخَالِفْهُمَا فِيمَا أَحَبَّا..

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤] ادْعُ اللهَ لِوَالِدَيْكَ بِالرَّحْمَةِ، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ وَتَعَطَّفْ عَلَيْهِمَا بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، كَمَا تَعَطَّفَا عَلَيَّ فِي صِغَرِي، فَرَحِمَانِي وَرَبَّيَانِي صَغِيرًا، حَتَّىٰ اسْتَقْلَلْتُ بِنَفْسِي، وَاسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمَا.. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وَقَدْ تَحْتَمِلُ هَذِهِ الْآيَةُ أَنْ تَكُونَ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا عَامًّا فِي كُلِّ الْآبَاءِ بِغَيْرِ مَعْنَىٰ النَّسْخِ، بِأَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا عَلَىٰ الْخُصُوصِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ إِذَا كَانَا مُؤْمِنَيْنِ، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾، فَتَكُونُ مُرَادًا بِهَا الْخُصُوصُ عَلَىٰ مَا قُلْنَا غَيْرُ مَنْسُوخٍ مِنْهَا شَيْءٌ.. وَعَنِي بِقَوْلِ ﴿رَبَّيَانِي﴾: نَمَّيَانِي.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾
[الإسراء: ٢٥].

﴿رَّبُّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَعْلَمُ﴾ مِنْكُمْ..

﴿بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ مِنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَتَكْرِمَتِهِمْ وَالْبِرِّ بِهِمْ، وَمَا فِيهَا مِنِ اعْتِقَادِ الِاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالْعُقُوقِ لَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ حَسَنِ ذَلِكَ وَسَيِّئِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا،

وَتَعْقُدُوا لَهُمْ عُقُوقًا..

﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ إِنْ أَنْتُمْ أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَطَعْتُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ عَلَيْكُمْ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، مَعَ الْقِيَامِ بِمَا أَلْزَمَكُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ۝٢٥﴾ [الإسراء: ٢٥] فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ بَعْدَ الزَّلَّةِ، وَالتَّائِبِينَ بَعْدَ الْهَفْوَةِ غَفُورًا لَهُمْ.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ وَأَعْطِ يَا مُحَمَّدُ ذَا قَرَابَتِكَ حَقَّهُ مِنْ صِلَتِكَ إِيَّاهُ، وَبِرِّكَ بِهِ، وَالْعَطْفِ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَقَّبَ ذَلِكَ عَقِيبَ حَضِّهِ عِبَادَهُ عَلَىٰ بِرِّ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَضًّا عَلَىٰ صِلَةِ أَنْسَابِهِمْ دُونَ أَنْسَابِ غَيْرِهِمُ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ.. وَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِحُكْمِهِ جَمِيعَ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ ابْتِدَاؤُهُ الْوَصِيَّةَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَوَجَّهَ الْخِطَابَ بِقَوْلِهِ ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَرَجَعَ بِالْخِطَابِ بِهِ إِلَىٰ الْجَمِيعِ، ثُمَّ صَرَفَ الْخَطَّابَ بِقَوْلِهِ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إِلَىٰ إِفْرَادِهِ بِهِ، وَالْمَعْنِيُّ بِكُلِّ ذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أُفْرِدَ بِالْخِطَابِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ، أَوْ عُمَّ بِهِ هُوَ وَجَمِيعُ أُمَّتِهِ..

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ وَهُوَ ذُو الذِّلَّةِ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ..

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُسَافِرَ الْمُنْقَطَعَ بِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَصِلْ قَرَابَتَكَ، فَأَعْطِهِ حَقَّهُ مِنْ صِلَتِكَ إِيَّاهُ، وَالْمِسْكِينَ ذَا الْحَاجَةِ، وَالْمُجْتَازَ بِكَ الْمُنْقَطَعَ بِهِ، فَأَعِنْهُ، وَقَوِّهِ عَلَىٰ قَطْعِ سَفَرِهِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالْأَمْرِ بِإِتْيَانِ ابْنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ أَنْ يُضَافَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ عِنْدِي أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْ حُقُوقِهِ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ عَامٌّ فِي كُلِّ حَقٍّ لَهُ أَنْ يُعْطَاهُ مِنْ ضِيَافَةٍ أَوْ حَمُولَةٍ أَوْ مَعُونَةٍ عَلَىٰ سَفَرِهِ..

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦] وَلَا تُفَرِّقْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ مَالٍ فِي مَعْصِيَتِهِ تَفْرِيقًا.. وَأَصْلُ التَّبْذِيرِ: التَّفْرِيقُ فِي السَّرَفِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(بَدَأَ بِالْوَالِدَيْنِ قَبْلَ هَذَا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَحَقِّهِمَا، ذَكَرَ هَؤُلَاءِ وَقَالَ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ لَا تُعْطِ فِي مَعَاصِي اللهِ)**.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ إِنَّ الْمُفَرِّقِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، الْمُنْفِقِيهَا فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ، أَوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ مُلَازِمٍ سُنَّةَ قَوْمٍ وَتَابِعٍ أَثَرَهُمْ: هُوَ أَخُوهُمْ..

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧] وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ جَحُودًا لَا يَشْكُرُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَكْفُرُهَا بِتَرْكِ طَاعَةِ اللهِ، وَرُكُوبِهِ مَعْصِيَتَهُ، وَكَذَلِكَ إِخْوَانُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ الْمُبَذِّرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، لَا يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَعْصُونَهُ، وَيَسْتَنُّونَ فِيمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي خَوَّلَهُمُوهَا عَزَّوَجَلَّ سُنَّتَهُ مَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا، وَتَلَقَّاهَا بِالْكُفْرَانِ.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ وَإِنْ تُعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمُ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ -الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تُؤْتِيَهُمْ حُقُوقَهُمْ إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهَا السَّبِيلَ- بِوَجْهِكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاكَ، مَا لَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، حَيَاءً مِنْهُمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ..

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ انْتِظَارَ رِزْقٍ تَنْتَظِرُهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿تَرْجُوهَا﴾ وَتَرْجُو تَيْسِيرَ اللهِ إِيَّاهُ لَكَ..

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨] فَلَا تُؤَيِّسْهُمْ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا، يَقُولُ: وَلَكِنْ عِدْهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا، بِأَنْ تَقُولَ: سَيَرْزُقُ اللهُ فَأُعْطِيكُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ غَيْرِ الْغَلِيظِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠].. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (**قَوْلِهِ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَوْصَيْنَاكَ بِهِمْ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ إِذَا خَشِيتَ إِنْ أَعْطَيْتَهُمْ أَنْ يَتَقَوَّوْا بِهَا عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَيْهَا فَرَأَيْتَ أَنْ تَمْنَعَهُمْ خَيْرًا، فَإِذَا سَأَلُوكَ ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ قَوْلًا جَمِيلًا: رَزَقَكَ اللهُ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ**).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ -مَعَ خِلَافِهِ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ- بَعِيدُ بِالْمَعْنَىٰ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ إِذَا كَانَ إِعْرَاضُهُ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ انْتِظَارَ رَحْمَةٍ مِنْهُ يَرْجُوهَا مِنْ رَبِّهِ ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾، وَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ ابْتِغَاءَ الرَّحْمَةِ، لَنْ يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْرَاضًا مِنْهُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنَ

اللهِ يَرْجُوهَا لِنَفْسِهِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ كَمَا قُلْنَاهُ وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَخِلَافَ قَوْلِهِ، أَوْ يَكُونَ إِعْرَاضًا مِنْهُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا لِلسَّائِلِينَ الَّذِينَ أُمِرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ -بِزَعْمِهِ- أَنْ يَمْنَعَهُمْ مَا سَأَلُوهُ خَشْيَةً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُنْفِقُوهُ فِي مَعَاصِي اللهِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ سَخَطَ اللهِ عَلَىٰ مَنْ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ مِنْهُ صَرْفُ مَا أُعْطِيَ مِنْ نَفَقَةٍ لِيَتَقَوَّىٰ بِهَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِي مَعَاصِيهِ، أَخْوَفُ مِنْ رَجَاءِ رَحْمَتِهِ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ إِنَّمَا تُرْجَىٰ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، لَا لِأَهْلِ مَعَاصِيهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوْجِيهَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِمَنْعِهِمْ مَا سَأَلُوهُ لِيُنِيبُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَيَتُوبُوا بِمَنْعِهِ إِيَّاهُمْ مَا سَأَلُوهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا يَحْتَمِلُهُ تَأْوِيلُ الْآيَةِ، وَإِنْ كَانَ لِقَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مُخَالِفًا.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْمُمْتَنِعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا فِي أَمْوَالِ ذَوِي الْأَمْوَالِ، فَجَعَلَهُ كَالْمَشْدُودَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِهَا وَالْإِعْطَاءِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تُمْسِكْ يَا مُحَمَّدُ يَدَكَ بُخْلًا عَنِ النَّفَقَةِ فِي حُقُوقِ اللهِ، فَلَا تُنْفِقْ فِيهَا شَيْئًا إِمْسَاكَ الْمَغْلُولَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ بَسْطَهَا..

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ وَلَا تَبْسُطْهَا بِالْعَطِيَّةِ كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَبْقَىٰ لَا شَيْءَ عِنْدَكَ، وَلَا تَجِدُ إِذَا سُئِلْتَ شَيْئًا تُعْطِيهِ سَائِلَكَ..

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فَتَقْعُدَ يَلُومُكَ سَائِلُوكَ إِذَا لَمْ تُعْطِهِمْ حِينَ سَأَلُوكَ، وَتَلُومُكَ نَفْسُكَ عَلَىٰ الْإِسْرَاعِ فِي مَالِكَ وَذَهَابِهِ..

﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩] مَعِيبًا، قَدِ انْقُطِعَ بِكَ، لَا شَيْءَ عِنْدَكَ تُنْفِقُهُ.. وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلدَّابَّةِ الَّتِي قَدْ سِيرَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ انْقَطَعَ سَيْرُهَا وَكَلَّتْ وَرَزَحَتْ مِنَ السَّيْرِ، بِأَنَّهُ حَسِيرٌ، يُقَالُ مِنْهُ: حَسَرْتُ الدَّابَّةَ فَأَنَا أَحْسِرُهَا، وَأَحْسُرُهَا حَسْرًا، وَذَلِكَ إِذَا أَنْضَيْتَهُ بِالسَّيْرِ، وَحَسَرْتُهُ بِالْمَسْأَلَةِ إِذَا سَأَلْتَهُ فَأَلْحَفْتَ، وَحَسَرَ الْبَصَرُ فَهُوَ يَحْسِرُ، وَذَلِكَ إِذَا بَلَغَ أَقْصَىٰ الْمَنْظَرِ فَكَلَّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَلَّ وَأَزْحَفَ حَتَّىٰ يَضْنَىٰ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يَبْسُطُ رِزْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ..

﴿وَيَقْدِرُ﴾ وَيُقَتِّرُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، فَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ رَبَّكَ..

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ ذُو خِبْرَةٍ بِعِبَادِهِ، وَمَنِ الَّذِي تُصْلِحُهُ السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَتُفْسِدُهُ، وَمَنِ الَّذِي يُصْلِحُهُ الْإِقْتَارُ وَالضِّيقُ وَيُهْلِكُهُ..

﴿بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠] ذُو بَصَرٍ بِتَدْبِيرِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ، يَقُولُ: فَانْتَهِ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ أَمْرِنَا فِيمَا أَمَرْنَاكَ وَنَهَيْنَاكَ مِنْ بَسْطِ يَدِكَ فِيمَا تَبْسُطُهَا فِيهِ، وَفِيمَنْ تَبْسُطُهَا لَهُ، وَمِنْ كَفِّهَا عَمَّنْ تَكُفُّهَا عَنْهُ، وَتَكُفُّهَا فِيهِ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ مِنْكَ، وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَأَبْصَرُ بِتَدْبِيرِهِمْ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾
[الإسراء: ٣١].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ عَطْفًا عَلَىٰ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ [الإسراء: ٢٣]..

﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ﴾ خَوْفَ إِقْتَارٍ وَفَقْرٍ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ لِلْعَرَبِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الْإِنَاثَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ خَوْفَ الْعَيْلَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِنَّ..

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾ [الإسراء: ٣١] كَانَ إِثْمًا وَخَطِيئَةً، لَا خَطَأً مِنَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ عَمْدًا لَا خَطَأً، وَعَلَىٰ عَمْدِهِمْ ذَلِكَ عَاتَبَهُمْ رَبُّهُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ (لَا تَقْرَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ)..

﴿ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ إِنَّ الزِّنَا كَانَ فَاحِشَةً..

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢] وَسَاءَ طَرِيقُ الزِّنَا طَرِيقًا؛ لِأَنَّهُ طَرِيقُ أَهْلِ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَالْمُخَالِفِينَ أَمْرَهُ، فَأَسْوِئْ بِهِ طَرِيقًا يُورِدُ صَاحِبَهُ نَارَ جَهَنَّمَ.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قَتْلَهَا..

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ﴾ وَحَقُّهَا أَنْ لَا تُقْتَلَ إِلَّا بِكُفْرٍ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَوَدٍ بِنَفْسٍ، وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ كُفْرَهَا إِسْلَامٌ، فَأَنْ لَا يَكُونَ تَقَدَّمَ قَتْلَهَا لَهَا عَهْدٌ وَأَمَانٌ.. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**».. وَقَدْ قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَتَقْتُلُ مَنْ يَرَىٰ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ؟! قَالَ: (**لَوْ مَنَعُونِي شَيْئًا مِمَّا أَقَرُّوا بِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ**)، فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: (**هَذَا مِنْ حَقِّهَا**)..

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ وَمَنْ قُتِلَ بِغَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ بِهَا كَانَ قَتْلًا بِحَقٍّ..

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ، فَإِنْ شَاءَ اسْتَقَادَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ بِوَلِيِّهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**أَلَا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ**»..

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ﴾ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (**فَلَا تُسْرِفْ**) بِمَعْنَىٰ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، يَقُولُ: فَلَا تَقْتُلْ بِالْمَقْتُولِ ظُلْمًا غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ رَجُلًا عَمَدَ وَلِيُّ الْقَتِيلِ إِلَىٰ الشَّرِيفِ مِنْ قَبِيلَةِ الْقَاتِلِ، فَقَتَلَهُ بِوَلِيِّهِ وَتَرَكَ الْقَاتِلَ، فَنَهَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ عِبَادَهُ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَتْلُ غَيْرِ الْقَاتِلِ بِالْمَقْتُولِ مَعْصِيَةٌ وَسَرَفٌ، فَلَا تَقْتُلْ بِهِ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَإِنْ قَتَلْتَ الْقَاتِلَ بِالْمَقْتُولِ فَلَا تُمَثِّلْ بِهِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَىٰ فَلَا يُسْرِفْ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ، فَيَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِ وَلِيِّهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ خِطَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ قَضَاءٌ مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ بَعْضَهُمْ، أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْيٌ جَمِيعَهُمْ، إِلَّا فِيمَا دَلَّ فِيهِ عَلَىٰ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ خِطَابَهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ﴾ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِنْ كَانَ مُوَجَّهًا إِلَيْهِ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ جَمِيعُ عِبَادِهِ، فَكَذَلِكَ نَهْيُهُ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ أَوِ الْقَاتِلِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ، وَالتَّعَدِّي فِيهِ، نَهْيٌ لِجَمِيعِهِمْ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣] فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ عَنَىٰ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّهُۥ﴾ وَعَلَىٰ مَا هِيَ عَائِدَةٌ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ عَائِدَةٌ عَلَىٰ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِهَا،

وَهُوَ الْمَنْصُورُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهَا الْمَقْتُولَ، فَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ هِيَ عَائِدَةٌ عَلَىٰ (مَنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.. وَأَشْبَهُ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهَا الْوَلِيُّ، وَعَلَيْهِ عَادَتْ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَظْلُومُ، وَوَلِيُّهُ الْمَقْتُولُ، وَهِيَ إِلَىٰ ذِكْرِهِ أَقْرَبُ مِنْ ذِكْرِ الْمَقْتُولِ، وَهُوَ الْمَنْصُورُ أَيْضًا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَضَىٰ فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ أَنْ سَلَّطَهُ عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ وَحَكَّمَهُ فِيهِ بِأَنْ جَعَلَ إِلَيْهِ قَتْلَهُ إِنْ شَاءَ، وَاسْتِبْقَاءَهُ عَلَىٰ الدِّيَةِ إِنْ أَحَبَّ، وَالْعَفْوَ عَنْهُ إِنْ رَأَىٰ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ نُصْرَةً لَهُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: هُوَ الْمَعْنِيُّ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَقَضَىٰ أَيْضًا أَنْ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِأَكْلٍ، إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا، وَلَكِنِ اقْرَبُوهُ بِالْفَعْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَصَرَّفُوا فِيهِ لَهُ بِالتَّثْمِيرِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَيْطَةِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا لَا يُخَالِطُونَهُمْ فِي طَعَامٍ أَوْ أَكْلٍ وَلَا غَيْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ** ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، **فَكَانَتْ هَذِهِ لَهُمْ فِيهَا رُخْصَةٌ**).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ: (**الْأَكْلُ بِالْمَعْرُوفِ، أَنْ تَأْكُلَ مَعَهُ إِذَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ، كَانَ أَبِي يَقُولُ ذَلِكَ**)..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ حَتَّىٰ يَبْلُغَ وَقْتَ اشْتِدَادِهِ فِي الْعَقْلِ، وَتَدْبِيرِ مَالِهِ، وَصَلَاحِ حَالِهِ فِي دِينِهِ..

﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾ وَأَوْفُوا بِالْعَقْدِ الَّذِي تُعَاقِدُونَ النَّاسَ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْإِسْلَامِ، وَفِيمَا بَيْنَكُمْ أَيْضًا، وَالْبُيُوعِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْإِجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُودِ..

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤] إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَائِلٌ نَاقِضَ الْعَهْدِ عَنْ نَقْضِهِ إِيَّاهُ، يَقُولُ: فَلَا تَنْقُضُوا الْعُهُودَ الْجَائِزَةَ بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ مَنْ عَاهَدْتُمُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ فَتَخْفِرُوهُ، وَتَغْدِرُوا بِمَنْ أَعْطَيْتُمُوهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَطْلُوبًا، يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: لَيُسْأَلَنَّ فُلَانٌ عَهْدَ فُلَانٍ.

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ [الإسراء: ٣٥].

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ وَقَضَىٰ أَنْ تُوفُوا الْكَيْلَ لِلنَّاسِ..

﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ قِبَلَكُمْ، وَلَا تَبْخَسُوهُمْ..

﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ وَقَضَىٰ أَنْ زِنُوا أَيْضًا إِذَا وَزَنْتُمْ لَهُمْ بِالْمِيزَانِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلَا دَغَلَ، وَلَا خَدِيعَةَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِيفَاؤُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ تَكِيلُونَ لَهُ الْكَيْلَ، وَوَزْنُكُمْ بِالْعَدْلِ لِمَنْ تُوفُونَ لَهُ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكُمْ مِنْ بَخْسِكُمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ، وَظُلْمُكُمُوهُمْ فِيهِ..

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ [الإسراء: ٣٥] وَأَحْسَنُ مَرْدُودًا عَلَيْكُمْ، وَأَوْلَىٰ إِلَيْهِ فِيهِ فِعْلُكُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْضَىٰ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَيُحْسِنُ لَكُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا تَقُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَلَا تَرْمِ.. وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ مُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ الْقَائِلُ يَدْخُلُ فِيهِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَرَمْيِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَادِّعَاءُ سَمَاعِ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ، وَرُؤْيَةُ مَا لَمْ يَرَهُ.. وَأَصْلُ الْقَفْوِ: الْعَضْهُ وَالْبَهْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَقْفُو أُمَّنَا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا**».. وَكَانَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿تَقْفُ﴾، لَا تَتَّبِعْ مَا لَا تَعْلَمُ، وَلَا يَعْنِيكَ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يَزْعُمُ أَنَّ أَصْلَهُ الْقِيَافَةُ، وَهِيَ اتِّبَاعُ الْأَثَرِ، وَإِذَا كَانَ كَمَا ذَكَرُوا وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ: (**وَلَا تَقُفْ**) بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الْفَاءِ، مِثْلُ: وَلَا تَقُلْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَفَوْتُ أَثَرَهُ، وَقُفْتُ أَثَرَهُ، فَتُقَدِّمُ أَحْيَانًا الْوَاوَ عَلَىٰ الْفَاءِ وَتُؤَخِّرُهَا أَحْيَانًا بَعْدَهَا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تَقُلْ لِلنَّاسِ وَفِيهِمْ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَرْمِيهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَذَلِكَ هُوَ الْقَفْوُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغَالِبُ مِن اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ (**الْقَفْو**) فِيهِ..

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] إِنَّ اللهَ سَائِلٌ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ عَمَّا قَالَ صَاحِبُهَا، مِنْ أَنَّهُ سَمِعَ أَوْ أَبْصَرَ أَوْ عَلِمَ، تَشْهَدُ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُسْتَكْبِرًا..

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ إِنَّكَ لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِاخْتِيَالِكَ..

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧] بِفَخْرِكَ وَكِبْرِكَ، وَإِنَّمَا هَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ عَنِ

الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ، وَتَقَدَّمَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ مُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ بِكِبْرِهِمْ وَفِخَارِهِمْ شَيْئًا يَقْصُرُ عَنْهُ غَيْرُهُمْ.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨].

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ كُلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي عَدَدْنَا مِنْ مُبْتَدَإِ قَوْلِنَا ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].. إِلَىٰ قَوْلِنَا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]..

﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ سَيِّءُ مَا عَدَدْنَا عَلَيْكَ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.. وَإِنَّمَا قِيلَ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ بِالْإِضَافَةِ؛ لِأَنَّ فِيمَا عَدَدْنَا مِنْ قَوْلِهِ ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أُمُورًا، هِيَ أَمْرٌ بِالْجَمِيلِ، كَقَوْلِهِ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَوْلُهُ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا فِيهِ نَهْيًا عَنْ سَيِّئَةٍ، بَلْ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ سَيِّئَةٍ، وَأَمْرٌ بِحَسَنَاتٍ، فَلِذَلِكَ قَرَأْنَا ﴿سَيِّئُهُۥ﴾..

﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨] كَانَ سَيِّئُهُ مَكْرُوهًا عِنْدَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، يَكْرَهُهُ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ، فَاتَّقِ مُوَاقِعَتَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي بَيَّنَّا لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِجَمِيلِهَا، وَنَهَيْنَاكَ عَنْ قَبِيحِهَا..

﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي أَوْحَيْنَاهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِكَ..

﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تَلُومُكَ نَفْسُكَ وَعَارِفُوكَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مَّدْحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩] مُبْعَدًا مَقْصِيًّا فِي النَّارِ، وَلَكِنْ أَخْلِصِ الْعِبَادَةَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَتَنْجُو مِنْ عَذَابِهِ.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ٤٠﴾ [الإسراء: ٤٠].

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ قَالُوا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أَفَخَصَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ بِالذُّكُورِ مِنَ الْأَوْلَادِ..

﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَهُنَّ لِأَنْفُسِكُمْ، بَلْ تَئِدُونَهُنَّ، وَتَقْتُلُونَهُنَّ، فَجَعَلْتُمْ للهِ مَا لَا تَرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِكُمْ..

﴿إِنَّكُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا مِنَ الْفِرْيَةِ عَلَىٰ اللهِ مَا ذَكَرْنَا: إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَتَقُولُونَ﴾ بِقِيلِكُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ..

﴿قَوۡلًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [الإسراء: ٤٠] وَتَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ فِرْيَةً مِنْكُمْ.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ۝٤١﴾ [الإسراء: ٤١].

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ..

﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الْعِبَرَ وَالْآيَاتِ وَالْحُجَجَ، وَضَرَبْنَا لَهُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَحَذَّرْنَاهُمْ فِيهِ وَأَنْذَرْنَاهُمْ..

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ لِيَتَذَكَّرُوا تِلْكَ الْحُجَجَ عَلَيْهِمْ، فَيَعْقِلُوا خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَيَعْتَبِرُوا بِالْعِبَرِ، فَيَتَّعِظُوا بِهَا، وَيُنِيبُوا مِنْ جَهَالَتِهِمْ، فَمَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ..

﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ تَذْكِيرُنَا إِيَّاهُمْ..

﴿إِلَّا نُفُورٗا ۝٤١﴾ [الإسراء: ٤١] إِلَّا ذَهَابًا عَنِ الْحَقِّ، وَبُعْدًا مِنْهُ وَهَرَبًا.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ..

﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ﴾ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ: مِنْ أَنَّ مَعَهُ آلِهَةً، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُونَ..

﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢] إِذَنْ لَابْتَغَتْ تِلْكَ الْآلِهَةُ الْقُرْبَةَ مِنَ اللهِ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْتَمَسَتِ الزُّلْفَةَ إِلَيْهِ، وَالْمَرْتَبَةَ مِنْهُ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: **(لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ إِذَنْ لَعَرَفُوا فَضْلَهُ وَمَرْتَبَتَهُ وَمَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَابْتَغَوْا مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ)**.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣﴾ [إسراء: ٤٣].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ وَهَذَا تَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، الْجَاعِلُونَ مَعَهُ آلِهَةً غَيْرَهُ، الْمُضِيفُونَ إِلَيْهِ الْبَنَاتِ، فَقَالَ: تَنْزِيهًا للهِ وَعُلُوًّا لَهُ..

﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [إسراء: ٤٣] عَمَّا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، مِنَ الْفِرْيَةِ وَالْكَذِبِ، فَإِنَّ مَا تُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ صِفَةٌ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (يُسَبِّحُ نَفْسَهُ إِذْ قِيلَ عَلَيْهِ الْبُهْتَانُ).

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [إسراء: ٤٤].

﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تَنَزَّهَ اللهُ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَمَّا وَصَفْتُمُوهُ بِهِ إِعْظَامًا لَهُ وَإِجْلَالًا..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَنْتُمْ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ، وَجَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، تَفْتَرُونَ عَلَيْهِ بِمَا تَفْتَرُونَ..

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَ مَا عَدَا تَسْبِيحِ مَنْ كَانَ يُسَبِّحُ بِمِثْلِ أَلْسِنَتِكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ حَلِيمًا، لَا يَعْجَلُ عَلَىٰ خَلْقِهِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَيَكْفُرُونَ بِهِ، وَلَوْلَا ذَٰلِكَ لَعَاجَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ بِالْعُقُوبَةِ..

﴿غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [إسراء: ٤٤] سَاتِرًا ذُنُوبَهُمْ، إِذَا هُمْ تَابُوا مِنْهَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا﴾ يَحْجُبُ قُلُوبَهُمْ عَنْ أَنْ يَفْهَمُوا مَا تَقْرَؤُهُ عَلَيْهِمْ، فَيَنْتَفِعُوا بِهِ، عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] عَنِ الْعِبَادِ فَلَا يَرَوْنَهُ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ سَتَرَهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ فَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عِنْدَ قِرَاءَتِكَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ..

﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وَهِيَ جَمْعُ كِنَانٍ، وَذَلِكَ مَا يَتَغَشَّاهَا مِنْ خِذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْ فَهْمِ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا عَنْ سَمَاعِهِ، وَصَمَمًا.. وَالْوَقْرُ بِالْفَتْحِ فِي الْأُذُنِ: الثِّقَلُ.. وَالْوِقْرُ بِالْكَسْرِ: الْحِمْلُ..

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ وَإِذَا قُلْتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنْتَ تَتْلُوهُ..

﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦] انْفَضُّوا، فَذَهَبُوا عَنْكَ نُفُورًا مِنْ قَوْلِكَ، واسْتِكْبَارًا لَهُ، وَاسْتِعْظَامًا مِنْ أَنْ يُوَحِّدَ اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بِمَا يَسْتَمِعُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ وَأَنْتَ تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ..

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: النَّجْوَىٰ: فِعْلُهُمْ، فَجَعَلَهُمْ هُمُ النَّجْوَىٰ، كَمَا يَقُولُ: هُمْ قَوْمٌ رِضًا، وَإِنَّمَا رِضًا: فِعْلُهُمْ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(هِيَ مِثْلُ قِيلِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَمَنْ مَعَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ)**.. قَالَ قَتَادَةُ: **(وَنَجْوَاهُمْ أَنْ زَعَمُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَنَّهُ سَاحِرٌ)**..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧] مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَذْهَبُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ إِلَىٰ مَعْنَىٰ: مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا لَهُ سَحْرٌ، أَيْ لَهُ رِئَةٌ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الرِّئَةَ سَحْرًا، وَالْمُسَحَّرُ، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلرَّجُلِ إِذَا جَبُنَ: قَدِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ: مَسْحُورٌ وَمُسَحَّرٌ، فَكَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ كَانَ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا لَهُ رِئَةٌ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، لَا مَلَكًا لَا حَاجَةٌ بِهِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالَّذِي قَالَ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَاعْتَبِرْ..

﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ كَيْفَ مَثَّلُوا لَكَ الْأَمْثَالَ، وَشَبَّهُوا لَكَ الْأَشْبَاهَ، بِقَوْلِهِمْ: هُوَ مَسْحُورٌ، وَهُوَ شَاعِرٌ، وَهُوَ مَجْنُونٌ..

﴿فَضَلُّوا۟﴾ فَجَارُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ بِقِيلِهِمْ مَا قَالُوا..

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨] فَلَا يَهْتَدُونَ لِطَرِيقِ الْحَقِّ لِضَلَالِهِمْ عَنْهُ، وَبُعْدِهِمْ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ خَذَلَهُمْ عَنْ إِصَابَتِهِ، فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْمَخْرَجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَقَالُوا بِعَنَتِهِمْ..

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا﴾ لَمْ نَتَحَطَّمْ، وَلَمْ نَتَكَسَّرْ بَعْدَ مَمَاتِنَا وَبِلَانَا..

﴿وَرُفَـٰتًا﴾ تُرَابًا فِي قُبُورِنَا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ قَالُوا: إِنْكَارًا مِنْهُمْ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ: إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَصِيرِنَا فِي الْقُبُورِ عِظَامًا غَيْرَ مُنْحَطِمَةٍ، وَرُفَاتًا مُنْحَطِمَةٍ، وَقَدْ بَلِينَا فَصِرْنَا فِيهَا تُرَابًا..

﴿خَلْقًا﴾ مُنْشَأً، كَمَا كُنَّا قَبْلَ الْمَمَاتِ..

﴿جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩] نُعَادُ كَمَا بُدِئْنَا؟ فَأَجَابَهُمْ جَلَّ جَلَالُهُ يُعَرِّفُهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ بَعْثِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِنْشَائِهِ لَهُمْ كَمَا كَانُوا قَبْلَ بِلَاهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانُوا مِنَ الْأَحْوَالِ، عِظَامًا أَوْ رُفَاتًا، أَوْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْظُمُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُحْدِثَ مِثْلَهُ خَلْقًا أَمْثَالَهُمْ أَحْيَاءً.

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الإسراء: ٥٠].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]..

﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الإسراء: ٥٠] كُونُوا إِنْ عَجِبْتُمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللهِ إِيَّاكُمْ وَإِعَادَتِهِ أَجْسَامَكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ بِلَاكُمْ فِي التُّرَابِ، وَمَصِيرِكُمْ رُفَاتًا، وَأَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء: ٥١].

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَإِنِّي أُحْيِيكُمْ وَأَبْعَثُكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَصِيرِكُمْ كَذَلِكَ كَمَا بَدَأْتُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِقَوْلِهِ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ الْمَوْتَ، وَأُرِيدَ بِهِ: أَوْ كُونُوا الْمَوْتَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمُوهُ أَمَتُّكُمْ ثُمَّ بَعَثْتُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أُرِيدَ بِذَلِكَ: كُونُوا مَا شِئْتُمْ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَالَ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ الْمَوْتَ؛ لِأَنَّهُ عَظِيمٌ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا بَيَانَ فِي ذَلِكَ أَبْيَنَ مِمَّا بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُوَ كُلُّ مَا كَبُرَ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ..

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فَسَيَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿مَن يُعِيدُنَا﴾ خَلْقًا جَدِيدًا، إِنْ كُنَّا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِنَا؟ فَـ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: يُعِيدُكُمْ..

﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُعِيدُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَصِيرُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا إِنْسًا أَحْيَاءً، الَّذِي خَلَقَكُمْ إِنْسًا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَسَيَهُزُّونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ بِرَفْعٍ وَخَفْضٍ، وَكَذَلِكَ النَّغْضُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ بِارْتِفَاعٍ ثُمَّ انْخِفَاضٍ، أَوِ انْخِفَاضٍ ثُمَّ ارْتِفَاعٍ، يقولن: نَغَضَتْ سِنُّهُ: إِذَا تَحَرَّكَتْ وَارْتَفَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا.. قَالَ قَتَادَةُ: (**يُحَرِّكُونَ رُءُوسَهُمْ تَكْذِيبًا وَاسْتِهْزَاءً**)..

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ الْبَعْثُ؟ وَفِي أَيِّ حَالٍ وَوَقْتٍ يُعِيدُنَا خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا كُنَّا أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالُوا لَكَ: مَتَىٰ هُوَ، مَتَىٰ هَذَا الْبَعْثُ الَّذِي تَعِدُنَا؟..

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء: ٥١] وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَرِيبٌ، لِأَنَّ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ**»؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ قَدْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢].

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَعْثُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ قَرِيبًا، ذَلِكَ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ رَبُّكُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ..

﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾ فَتَسْتَجِيبُونَ للهِ مِنْ قُبُورِكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ، وَللهِ الْحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ.. كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: فَعَلْتُ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِحَمْدِ اللهِ، يَعْنِي: للهِ الْحَمْدُ عَلَىٰ كُلِّ مَا فَعَلْتُهُ..

﴿وَتَظُنُّونَ﴾ وَتَحْسَبُونَ عِنْدَ مُوَافَاتِكُمُ الْقِيَامَةَ مِنْ هَوْلِ مَا تُعَايِنُونَ فِيهَا..

﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢] مَا لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ يَقُلْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْمُحَاوَرَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ..

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ يَسُوءُ مُحَاوَرَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا..

﴿يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يُفْسِدُ بَيْنَهُمْ، يُهَيِّجُ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ..

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ..

﴿عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣] قَدْ أَبَانَ لَهُمْ عَدَاوَتَهُ بِمَا أَظْهَرَ لِآدَمَ مِنَ الْحَسَدِ، وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ [الإسراء: ٥٤].

﴿رَّبُّكُمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قَالُوا ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨]: رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾ فَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ بِرَحْمَتِهِ، حَتَّىٰ تُنِيبُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ بِأَنْ يَخْذُلَكُمْ عَنِ الإِيمَانِ، فَتَمُوتُوا عَلَى شِرْكِكُمْ، فَيُعَذِّبُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ [الإسراء: ٥٤] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ لِتَدْعُوهُ إِلَىٰ طَاعَتِنَا رِبًّا وَلَا رَقِيبًا، إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتِنَا، وَبِأَيْدِينَا صَرْفُهُمْ وَتَدْبِيرُهُمْ، فَإِنْ شِئْنَا رَحِمْنَاهُمْ، وَإِنْ شِئْنَا عَذَّبْنَاهُمْ.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وَمَا يُصْلِحُهُمْ، فَإِنَّهُ هُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلتَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْعَذَابِ، أَهْدِي لِلْحَقِّ مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنِّي الرَّحْمَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَأُضِلُّ مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنِّي الشَّقَاءُ وَالْخِذْلَانُ، يَقُولُ: فَلَا يَكْبُرَنَّ ذَٰلِكَ عَلَيْكَ..

﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ فِعْلِي بِهِمْ لِتَفْضِيلِي بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، بِإِرْسَالِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْخَلْقِ، وَبَعْضِهِمْ إِلَىٰ الْجَمِيعِ، وَرَفْعِي بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..

﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥] قَالَ قَتَادَةُ: (**كُنَّا نُحَدَّثُ لِأَنَّهُ دُعَاءٌ عَلَّمَهُ دَاوُدَ، تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ، لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، وَلَا فَرَائِضُ وَلَا حُدُودٌ**).

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَعُزَيْرًا وَالْمَسِيحَ، وَبَعْضُهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ..

﴿ٱدۡعُواْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ وَآلِهَةٌ..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ عِنْدَ ضُرٍّ يَنْزِلُ بِكُمْ..

﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦] فَانْظُرُوا هَلْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِ ذَٰلِكَ عَنْكُمْ، أَوْ تَحْوِيلِهِ عَنْكُمْ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ، فَتَدْعُوهُمْ آلِهَةً، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَلَا يَمْلِكُونَهُ، وَإِنَّمَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُهُمْ.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَرْبَابًا..

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يَبْتَغِي الْمَدْعُونَ أَرْبَابًا إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْقُرْبَةَ وَالزُّلْفَةَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ بِهِ، وَالْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أَيُّهُمْ بِصَالِحِ عَمَلِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي عِبَادَتِهِ أَقْرَبُ عِنْدَهُ زُلْفَةً..

﴿وَيَرۡجُونَ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ تِلْكَ..

﴿رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ﴾ بِخِلَافِهِمْ أَمْرَهُ..

﴿عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧] مُتَّقًى.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨].

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَىٰ..

﴿إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا﴾ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُو أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ، فَمُبِيدُوهُمُ اسْتِئْصَالًا..

﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾ أَوْ مُعَذِّبُوهَا، إِمَّا بِبَلَاءٍ مَنْ قُتِلَ بِالسَّيْفِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَذَابِ عَذَابًا شَدِيدًا..

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨] فِي الْكِتَابِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَذَلِكَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الَّتِي سَأَلَهَا قَوْمُكَ..

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ إِلَّا أَنْ كَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، سَأَلُوا ذَلِكَ مِثْلَ سُؤَالِهِمْ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مَا سَأَلُوا مِنْهُ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا مَعَ مَجِيءِ الْآيَاتِ فَعُوجِلُوا، فَلَمْ

نُرْسِلَ إِلَىٰ قَوْمِكَ بِالْآيَاتِ، لِأَنَّا لَوْ أَرْسَلْنَا بِهَا إِلَيْهَا، فَكَذَّبُوا بِهَا، سَلَكْنَا فِي تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ مَسْلَكَ الْأُمَمِ قَبْلَهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾)..

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ﴾ وَقَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ ثَمُودُ فَآتَيْنَاهَا مَا سَأَلَتْ، وَجَعَلْنَا تِلْكَ الْآيَةَ..

﴿ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ جَعَلَ الْإِبْصَارَ لِلنَّاقَةِ، كَمَا تَقُولُ لِلشَّجَّةِ: مُوضِحَةٌ، وَهَذِهِ حُجَّةٌ مُبَيِّنَةٌ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْمُبْصِرَةِ: الْمُضِيئَةِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي مَنْ يَرَاهَا كَانُوا أَهْلَ بَصَرٍ بِهَا أَنَّهَا للهِ حُجَّةٌ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ [يونس: ٦٧]..

﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ فَكَانَ بِهَا ظُلْمُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَتَلُوهَا وَعَقَرُوهَا، فَكَانَ ظُلْمُهُمْ بِعَقْرِهَا وَقَتْلِهَا، وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَكَفَرُوا بِهَا، وَلَا وَجْهَ لِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُ: أَرَادَ: فَكَفَرُوا بِاللهِ بِقَتْلِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا..

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩] وَمَا نُرْسِلُ بِالْعِبَرِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ.

> ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ هَذَا حَضٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَلَىٰ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ سَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ بَغَاهُ سُوءًا وَهَلَاكًا، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ قُدْرَةً، فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ مَشِيئَتِهِ، وَنَحْنُ مَانِعُوكَ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَهَيَّبْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَامْضِ لِمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِنَا..

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ وَمَا جَعَلْنَا رُؤْيَاكَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَسْرَيْنَا بِكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ إِلَّا بَلَاءً لِلنَّاسِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ -لَمَّا أُخْبِرُوا بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَلِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ ازْدَادُوا بِسَمَاعِهِمْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَمَادِيًا فِي غَيِّهِمْ، وَكُفْرًا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ - وَهِي شَجَرَةَ الزَّقُّومِ- إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، فَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ فِي الرُّؤْيَا مَا ذَكَرْتُ مِنَ ارْتِدَادِ مَنِ ارْتَدَّ، وَتَمَادِي أَهْلِ الشِّرْكِ فِي شِرْكِهِمْ، حِينَ أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فِي مَسِيرِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ فِي الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ قَوْلَ أَبِي جَهْلٍ وَالْمُشْرِكِينَ مَعَهُ: يُخْبِرُنَا مُحَمَّدٌ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً نَابِتَةً، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، فَكَيْفَ تَنْبُتُ فِيهَا؟..

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ وَنُخَوِّفُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا نَتَوَعَّدُهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالنَّكَالِ..

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَخْوِيفُنَا..

﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠] إِلَّا تَمَادِيًا وَغِيًّا كَبِيرًا فِي كُفْرِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا خُوِّفُوا بِالنَّارِ الَّتِي طَعَامُهُمْ فِيهَا الزَّقُّومُ، دُعُوا بِالتَّمْرِ وَالزُّبْدِ، وَقَالُوا: تَزَقَّمُوا مِنْ هَذَا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فَإِنَّهُ اسْتَكْبَرَ وَ..

﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ [الإسراء: ٦١] لِمَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.. فَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ تَمَادِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي غَيِّهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ، عُتُوًّا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، بِتَخْوِيفِهِ إِيَّاهُمْ، تَحْقِيقَهُمْ قَوْلَ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ وَالِدِهِمْ، حِينَ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِالسُّجُودِ لَهُ فَعَصَاهُ وَأَبَىٰ السُّجُودَ لَهُ، حَسَدًا وَاسْتِكْبَارًا ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢]، وَكَيْفَ صَدَّقُوا ظَنَّهُ فِيهِمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ وَطَاعَتِهِ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ وَالِدِهِمْ.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ، فَأَمَرْتَنِي بِالسُّجُودِ لَهُ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ آدَمَ..

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَقْسَمَ عَدُوُّ اللهِ، فَقَالَ لِرَبِّهِ: لَئِنْ أَخَّرْتَ إِهْلَاكِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢] لَأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ، وَلَأَسْتَمِيلَنَّهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: احْتَنَكَ فُلَانٌ مَا عِنْدَ فُلَانٍ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ [الإسراء: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِإِبْلِيسَ إِذْ قَالَ لَهُ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]..

﴿ٱذْهَبْ﴾ فَقَدْ أَخَّرْتُكَ..

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عليه السلام فَأَطَاعَكَ..

﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ جَزَاؤُكَ وَجَزَاؤُهُمْ، يَقُولُ: ثَوَابُكَ عَلَىٰ دُعَائِكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِي، وَثَوَابُهُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِمْ إِيَّاكَ وَخِلَافِهِمْ أَمْرِي..

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ [الإسراء: ٦٣] ثَوَابًا مَكْثُورًا مُكَمَّلًا.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ وَاسْتَخْفِفْ وَاسْتَجْهِلْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَفَزَّ فُلَانًا كَذَا وَكَذَا فَهُوَ يَسْتَفِزُّهُ..

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ: صَوْتَ الْغِنَاءِ وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ ﴿بِصَوْتِكَ﴾ بِدُعَائِكَ إِيَّاهُ إِلَىٰ طَاعَتِكَ وَمَعْصِيَةِ اللهِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ لِإِبْلِيسَ: وَاسْتَفْزِزْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مَنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَسْتَفِزَّهُ بِصَوْتِكَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ صَوْتًا دُونَ صَوْتٍ، فَكُلُّ صَوْتٍ كَانَ دُعَاءً إِلَيْهِ وَإِلَىٰ عَمَلِهِ وَطَاعَتِهِ، وَخِلَافًا لِلدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَعْنَىٰ صَوْتِهِ..

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ وَأَجْمِعْ عَلَيْهِمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: أَجْلَبَ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ إِجْلَابًا: إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ، وَالْجَلَبَةُ: الصَّوْتُ..

﴿بِخَيْلِكَ﴾ مِنْ رُكْبَانِ جُنْدِكَ..

﴿وَرَجِلِكَ﴾ وَمُشَاتِهِمْ مَنْ يَجْلِبُ عَلَيْهَا بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِكَ، وَالصَّرْفِ عَنْ طَاعَتِي..

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ كُلَّ مَالٍ عُصِيَ اللهُ فِيهِ بِإِنْفَاقٍ فِي حَرَامٍ، أَوِ اكْتِسَابٍ مِنْ حَرَامٍ، أَوْ ذَبْحٍ لِلْآلِهَةِ، أَوْ تَسْيِيبٍ، أَوْ بَحْرٍ لِلشَّيْطَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ مَعْصِيًّا بِهِ أَوْ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾، فَكُلُّ مَا أُطِيعَ الشَّيْطَانُ فِيهِ مِنْ مَالٍ وَعُصِيَ اللهُ فِيهِ، فَقَدْ شَارَكَ فَاعِلُ ذَلِكَ فِيهِ إِبْلِيسَ، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ بَعْضٍ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ كُلُّ وَلَدٍ وَلَدَتْهُ أُنْثَىٰ عُصِيَ اللهُ بِتَسْمِيَتِهِ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ، أَوْ بِإِدْخَالِهِ فِي غَيْرِ الدِّينِ

الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ، أَوْ بِالزِّنَا بِأُمِّهِ، أَوْ قَتْلِهِ وَوَأْدِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُعْصَىٰ اللهُ بِهَا بِفِعْلِهِ بِهِ أَوْ فِيهِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي مُشَارَكَةِ إِبْلِيسَ فِيهِ مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ الْمَوْلُودِ لَهُ أَوْ مِنْهُ، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يُخَصِّصْ بِقَوْلِهِ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ﴾ مَعْنَىٰ الشَّرِكَةِ فِيهِ بِمَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، فَكُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ فِيهِ أَوْ بِهِ، وَأُطِيعَ بِهِ الشَّيْطَانُ أَوْ فِيهِ، فَهُوَ مُشَارَكَةُ مَنْ عُصِيَ اللهُ فِيهِ أَوْ بِهِ إِبْلِيسَ فِيهِ..

﴿وَعِدْهُمْۚ﴾ وَعِدْ أَتْبَاعَكَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ النُّصْرَةَ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ..

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤] لِأَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ شَيْئًا، فَهُمْ مِنْ عِدَاتِهِ فِي بَاطِلٍ وَخَدِيعَةٍ، كَمَا قَالَ لَهُمْ عَدُوُّ اللهِ حِينَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإسراء: ٦٥].

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الَّذِينَ أَطَاعُونِي فَاتَّبَعُوا أَمْرِي وَعَصَوْكَ يَا إِبْلِيسُ..

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ..

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإسراء: ٦٥] وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ حَفِيظًا، وَقَيِّمًا بِأَمْرِكَ، فَانْقَدْ لِأَمْرِهِ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَخَفْ أَحَدًا، فَإِنَّهُ قَدْ تَوَكَّلَ بِحِفْظِكَ وَنُصْرَتِكَ.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٦٦﴾ [الإسراء: ٦٦].

﴿رَّبُّكُمُ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ لَكُمُ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ، فَيَحْمِلُكُمْ فِيهَا..

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ لِتَوَصَّلُوا بِالرُّكُوبِ فِيهَا إِلَىٰ أَمَاكِنِ تِجَارَاتِكُمْ وَمَطَالِبِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، وَتَلْتَمِسُونَ مِنْ رِزْقِهِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٦٦﴾ [الإسراء: ٦٦] حِينَ أَجْرَىٰ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ، تَسْهِيلًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمُ التَّصَرُّفُ فِي طَلَبِ فَضْلِهِ فِي الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، الَّتِي لَوْلَا تَسْهِيلُهُ ذَلِكَ لَكُمْ لَصَعُبَ عَلَيْكُمُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ وَإِذَا نَالَتْكُمُ الشِّدَّةُ وَالْجَهْدُ فِي الْبَحْرِ..

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ فَقَدْتُمْ مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَجَارَ عَنْ طَرِيقِكُمْ فَلَمْ يُغِثْكُمْ..

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وَلَمْ تَجِدُوا غَيْرَ اللهِ مُغِيثًا يُغِيثُكُمْ دَعَوْتُمُوهُ..

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ فَلَمَّا دَعَوْتُمُوهُ وَأَغَاثَكُمْ، وَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ وَنَجَّاكُمْ مِنْ هَوْلِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ فِي الْبَحْرِ..

﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عَمَّا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ رَبُّكُمْ مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهَةِ كُفْرًا مِنْكُمْ بِنِعْمَتِهِ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧] وَكَانَ الْإِنْسَانُ ذا جَحْدٍ لِنِعَمِ رَبِّهِ.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: ٦٨].

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ رَبِّكُمْ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ نِعْمَتَهُ بِتَنْجِيَتِهِ إِيَّاكُمْ مِنْ هَوْلِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ فِي الْبَحْرِ، وَعَظِيمِ مَا كُنْتُمْ قَدْ أَشْرَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ وَصِرْتُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ كَفَرْتُمْ، وَأَشْرَكْتُمْ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ..

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ نَاحِيَةَ الْبَرِّ..

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَوْ يُمْطِرَكُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ تَقْتُلُكُمْ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: ٦٨] ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ مَا يَقُومُ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْكُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: ٦٩].

﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ رَبِّكُمْ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ بَعْدَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ..

﴿أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي الْبَحْرِ..

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ مَرَّةً أُخْرَىٰ..

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ وَهِيَ الَّتِي تَقْصِفُ مَا مَرَّتْ بِهِ فَتُحَطِّمُهُ وَتَدُقُّهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَصَفَ فُلَانٌ ظَهْرَ فُلَانٍ: إِذَا كَسَرَهُ..

﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ اللهُ بِهَذِهِ الرِّيحِ الْقَاصِفِ..

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بِكُفْرِكُمْ بِهِ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾ بِمَا فَعَلْنَا بِكُمْ..

﴿تَبِيعًا ۝٦٩﴾ [الإسراء: ٦٩] تَابِعًا يَتْبَعُنَا، وَلَا ثَائِرًا يَثْأَرُنَا بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاكُمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بِتَسْلِيطِنَا إِيَّاهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَتَسْخِيرِنَا سَائِرَ الْخَلْقِ لَهُمْ..

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ عَلَىٰ ظُهُورِ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاكِبِ..

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ وَفِي الْبَحْرِ، فِي الْفُلْكِ الَّتِي سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ..

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَهِيَ حَلَالُهَا وَلَذِيذَاتُهَا..

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠] بِتَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَخْذِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ بِهَا، وَرَفْعِهَا بِهَا إِلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١﴾ [الإسراء: ٧١].

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الَّذِي كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِ، وَيَأْتَمُّونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ فَمَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ عَمَلِهِ بِيَمِينِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَعْرِفُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُهُمُ اللهُ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿فَتِيلًا ۝٧١﴾ [الإسراء: ٧١] وَهُوَ الْمُنْفَتِلُ الَّذِي فِي شَقِّ بَطْنِ النَّوَاةِ.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدُّنْيَا..

﴿أَعْمَىٰ﴾ عَنْ حُجَجِ اللهِ عَلَىٰ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَتَصْرِيفِ مَا فِيهَا..

﴿فَهُوَ فِي﴾ أَمْرِ..

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ الَّتِي لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يُعَايِنْهَا، وَفِيمَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا..

﴿أَعْمَىٰ﴾ أَشَدُّ عَمًى.. وَذَلِكَ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّفَاوتُ، فَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ عَمَىٰ قُلُوبِ الْكُفَّارِ عَنْ حُجَجِ اللهِ الَّتِي قَدْ عَايَنَتْهَا أَبْصَارُهُمْ، فَلِذَلِكَ جَازَ ذَلِكَ وَحَسُنَ..

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢] وَأَضَلُّ طَرِيقًا مِنْهُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ عَايَنَهَا وَرَآهَا.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣﴾ [الإسراء: ٧٣].

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي كَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَفْتِنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا عَنِ الَّذِي أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ الْإِلْمَامُ بِالْآلِهَةِ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ دَعَوْهُ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَهَمَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَمَّ أَنْ يُنْظِرَ قَوْمًا بِإِسْلَامِهِمْ إِلَىٰ مُدَّةٍ سَأَلُوهُ الْإِنْظَارَ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ ثَقِيفًا كَانُوا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجِّلْنَا سَنَةً حَتَّىٰ يُهْدَىٰ لِآلِهَتِنَا، فَإِذَا قَبَضْنَا الَّذِي يُهْدَىٰ لِآلِهَتِنَا أَخَذْنَاهُ، ثُمَّ أَسْلَمْنَا وَكَسَرْنَا الْآلِهَةَ، فَهَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُمْ، وَأَنْ يُؤَجِّلَهُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَادُوا أَنْ يَفْتِنُوهُ عَمَّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ لِيَعْمَلَ بِغَيْرِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الِافْتِرَاءُ عَلَىٰ اللهِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ مَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مِنْ ذِكْرِ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ أَنْ يَمَسَّ آلِهَتَهُمْ وَيُلِمَّ بِهَا.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ ثَقِيفٍ، وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلُوهُ مِمَّا ذَكَرْنَا.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَلَا بَيَانَ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي خَبَرٍ يَقْطَعُ الْعُذْرَ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، وَالِاخْتِلَافُ فِيهِ مَوْجُودٌ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا.. فَلَا شَيْءَ فِيهِ أَصْوَبُ مِنَ الْإِيمَانِ بِظَاهِرِهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ خَبَرٌ يَجِبُّ التَّسْلِيمَ لَهُ بِبَيَانِ مَا عَنَىٰ بِذَلِكَ مِنْهُ..

﴿وَإِذًا﴾ وَلَوْ فَعَلْتَ مَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..

﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ إِذًا لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿خَلِيلًا ۝٧٣﴾ [الإسراء: ٧٣] وَكُنْتَ لَهُمْ وَكَانُوا لَكَ أَوْلِيَاءَ.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعِصْمَتِنَا إِيَّاكَ عَمَّا دَعَاكَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ..

﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤] لَقَدْ كِدْتَ تَمِيلُ إِلَيْهِمْ وَتَطْمَئِنُّ شَيْئًا قَلِيلًا، وَذَلِكَ مَا كَانَ ﷺ هَمَّ بِهِ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ بَعْضَ الَّذِي كَانُوا سَأَلُوهُ فِعْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «لا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [الإسراء: ٧٥].

﴿إِذًا﴾ لَوْ رَكَنْتَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ شَيْئًا قَلِيلًا فِيمَا سَأَلُوكَ إِذَنْ..

﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ..

﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِنْ نَحْنُ أَذَقْنَاكَ لِرُكُونِكَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَوْ رَكَنْتَ إِلَيْهِمْ عَذَابَ الْحَيَاةِ وَعَذَابَ الْمَمَاتِ..

﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [الإسراء: ٧٥] يَنْصُرُكَ عَلَيْنَا، وَيَمْنَعُكَ مِنْ عَذَابِكَ، وَيُنْقِذُكَ مِمَّا نَالَكَ مِنَّا مِنْ عُقُوبَةٍ.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦].

﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ وَإِنْ كَادَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ..

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ﴾ لَيَسْتَخِفُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا.. وَكَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَالْأَرْضُ مَكَّةَ..

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦] وَلَوْ أَخْرَجُوكَ مِنْهَا لَمْ يَلْبَثُوا بَعْدَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّىٰ أُهْلِكَهُمْ بِعَذَابٍ عَاجِلٍ.. وَالْقَلِيلُ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فَإِنَّهُ فِيمَا قِيلَ: مَا بَيْنَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَنْ قَتَلَ اللهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ مُشْرِكِيهِمْ بِبَدْرٍ.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾ لَوْ أَخْرَجُوكَ لَمْ يَلْبَثُوا خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَأَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِنَا، سُنَّتَنَا فِيمَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا، فَإِنَّا كَذَلِكَ كُنَّا نَفْعَلُ بِالْأُمَمِ إِذَا أَخْرَجَتْ رُسُلَهَا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ..

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧] عَمَّا جَرَتْ بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (سُنَّةُ الْأُمَمِ وَالرُّسُلِ

كَانَتْ قَبْلَكَ كَذَلِكَ، إِذَا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ، لَمْ يُنَاظَرُوا أَنَّ اللهَ عَاجِلٌ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُ).

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ دُلُوكُ الشَّمْسِ: مَيْلُهَا لِلزَّوَالِ، وَالصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ دُلُوكِهَا: الظُّهْرُ.. وَذَلِكَ أَنَّ الدُّلُوكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَيْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: دَلَكَ فُلَانٌ إِلَىٰ كَذَا: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: (أَيُدَالِكُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ؟) يَعْنِي بِذَلِكَ: أَيَمِيلُ بِهَا إِلَىٰ الْمُمَاطَلَةِ بِحَقِّهَا.. فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ الدُّلُوكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْمَيْلُ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا زَالَتْ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ، فَقَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، وَذَلِكَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ..

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ الصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ غَسَقِ اللَّيْلِ هِيَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّ غَسَقَ اللَّيْلِ هُوَ مِنْ إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَظَلَامِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَأَمَّا صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَإِنَّهَا مِمَّا تُقَامُ بَيْنَ ابْتِدَاءِ دُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، لَا عِنْدَ غَسَقِ اللَّيْلِ.. فَبَيِّنٌ إِذَنْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِحُدُودِهِمَا مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكَ فِيهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا الصَّلَاتَانِ اللَّتَانِ فَرَضَهُمَا اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مِنْ وَقْتِ دُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ، وَغَسَقُ اللَّيْلِ: هُوَ إِقْبَالُهُ وَدُنُوُّهُ بِظَلَامِهِ..

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ وَأَقِمْ قُرْآنَ الْفَجْرِ، أَيْ مَا تَقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨] إِنَّ مَا تَقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ مَشْهُودًا، يَشْهَدُهُ فِيمَا ذُكِرَ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: (كَانُوا يَقُولُونَ تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَشْهَدُ فِيهَا جَمِيعًا، ثُمَّ يَصْعَدُ هَؤُلَاءِ وَيُقِيمُ هَؤُلَاءِ).

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فَاسْهَرْ بَعْدَ نَوْمَةٍ يَا مُحَمَّدُ، فَرْضًا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ.. وَالتَّهَجُّدُ: التَّيَقُّظُ وَالسَّهَرُ بَعْدَ نَوْمَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَمَّا الْهُجُودُ نَفْسُهُ: فَالنَّوْمُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالْقُرْآنِ..

﴿نَافِلَةً﴾ نَفْلًا عَنْ فَرَائِضِكَ الَّتِي فَرَضْتُهَا عَلَيْكَ..

﴿لَّكَ﴾ خَالِصَةً دُونَ أُمَّتِكَ.. وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خُصَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَعَ كَوْنِ صَلَاةِ كُلِّ مُصَلٍّ بَعْدَ هُجُودِهِ، إِذَا كَانَ قَبْلَ هُجُودِهِ قَدْ كَانَ أَدَّىٰ فَرَائِضَهُ نَافِلَةً فَضْلًا، إِذْ كَانَتْ غَيْرَ وَاجِبَةٍ عَلَيْهِ، هُوَ أَنَّهَا كَانَتْ فَرِيضَةً عَلَيْهِ، وَهِيَ لِغَيْرِهِ تَطَوُّعٌ، وَقِيلَ لَهُ: أَقِمْهَا نَافِلَةً لَكَ: أَيْ فَضْلًا لَكَ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضْتُهَا عَلَيْكَ عَمَّا فَرَضْتُ عَلَىٰ غَيْرِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ ذَلِكَ يُكَفِّرُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكَانَ لَهُ نَافِلَةَ فَضْلٍ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَلَيْسَ هُوَ لَهُ نَافِلَةً، وَهَذَا قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ أَكْثَرُ مَا كَانَ اسْتِغْفَارًا لِذُنُوبِهِ بَعْدَ نُزُولِ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] عَامَ قُبِضَ، وَقِيلَ لَهُ فِيهَا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣]، فَكَانَ يُعَدُّ لَهُ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ اسْتِغْفَارَ مِائَةِ مَرَّةٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ إِلَّا لِمَا يُغْفَرُ لَهُ بِاسْتِغْفَارِهِ ذَلِكَ، فَبَيِّنٌ إِذَنْ وَجْهُ فَسَادِهِ..

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ لَعَلَّ رَبَّكَ يَبْعَثُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَعَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ، وَإِنَّمَا وَجْهُ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ، لِعِلْمِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللهَ لَا يَدَعُ أَنْ يَفْعَلَ بِعِبَادِهِ مَا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَالْعِوَضِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ إِذْ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ الْغُرُورُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ أَطْمَعَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَهُ فِي نَفْعِهِ، إِذَا هُوَ تَعَاهَدَهُ وَلَزِمَهُ، فَإِنْ لَزِمَ الْمَقُولُ لَهُ ذَلِكَ وَتَعَاهَدَهُ ثُمَّ لَمْ يَنْفَعْهُ، وَلَا سَبَبَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْعِهِ إِيَّاهُ مَعَ الْإِطْمَاعِ الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْهُ لِصَاحِبِهِ عَلَىٰ تَعَاهُدِهِ إِيَّاهُ وَلُزُومِهِ، فَإِنَّهُ لِصَاحِبِهِ غَارٌّ بِمَا كَانَ مِنْ إِخْلَافِهِ إِيَّاهُ فِيمَا كَانَ أَطْمَعَهُ فِيهِ بِقَوْلِهِ الَّذِي قَالَ لَهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهِ الْغُرُورُ لِعِبَادِهِ صَحَّ وَوَجَبَ أَنَّ كُلَّ مَا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ مِنْ طَمَعٍ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، أَوْ عَلَىٰ فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَمَرَهُمْ بِهِ، أَوْ نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مُوَفٍّ لَهُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ مِنْهُ كَالْعِدَةِ الَّتِي لَا يُخْلَفُ الْوَفَاءُ بِهَا، قَالُوا: (عَسَىٰ) وَ(لَعَلَّ) مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِإِقَامَتِهَا فِيهَا، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ فَرْضًا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ، لَعَلَّ رَبَّكَ يَبْعَثُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامًا تَقُومُ فِيهِ مَحْمُودًا تُحْمَدُهُ، وَتُغْبَطُ فِيهِ..

﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] مَقَامًا تَقُومُ فِيهِ مَحْمُودًا تُحْمَدُهُ، وَتُغْبَطُ فِيهِ..قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: ذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي هُوَ يَقُومُهُ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَتَدْنُو حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْعَرَقُ**

نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ عليه السلام، فَيَقُولُ: لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ عليه السلام، فَيَقُولُ كَذَلِكَ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا».

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿وَقُل﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ﴾ يا رَبِّ..

﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ مُدْخَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، حِينَ هَاجَرَ إِلَيْهَا..

﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وَمُخْرَجَ الصِّدْقِ: مَخْرَجَهُ مِنْ مَكَّةَ، حِينَ خَرَجَ مِنْهَا مُهَاجِرًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦]، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ أَهْلَ مَكَّةَ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ خَبَرِ اللهِ عَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَرَادُوا مِنِ اسْتِفْزَازِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لِيُخْرِجُوهُ عَنْ مَكَّةَ، كَانَ بَيِّنًا، إِذْ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا، أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، أَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الْبَلْدَةِ الَّتِي هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْهَا مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَأَنْ يُدْخِلَهُ الْبَلْدَةَ الَّتِي نَقَلَهُ اللهُ إِلَيْهَا مُدْخَلَ صِدْقٍ..

﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠] وَاجْعَلْ لِي مُلْكًا نَاصِرًا يَنْصُرُنِي عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَنِي، وَعِزًّا أُقِيمُ بِهِ دِينَكَ، وَأَدْفَعُ بِهِ عَنْهُ مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ.. وَذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُؤْتِيَهُ سُلْطَانًا نَصِيرًا لَهُ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ وَكَادَهُ، وَحَاوَلَ مَنْعَهُ مِنْ إِقَامَتِهِ فَرَائِضَ اللهِ فِي نَفْسِهِ وَعِبَادِهِ؛ وَذَلِكَ عَقِيبَ خَبَرِ اللهِ عَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ هَمُّوا بِهِ مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ مَكَّةَ، فَأَعْلَمَهُ اللهُ عز وجل أَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ عُوجِلُوا بِالْعَذَابِ عَنْ قَرِيبٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِخْرَاجَ صِدْقٍ يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِمْ، وَيُدْخِلُهُ بَلْدَةً غَيْرَهَا، بِمُدْخَلِ صِدْقٍ يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِمْ وَلِأَهْلِهَا فِي دُخُولِهَا إِلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلْطَانًا نَصِيرًا عَلَىٰ أَهْلِ الْبَلْدَةِ الَّتِي أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا مِنْهَا، وَعَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُمْ شَبِيهًا، وَإِذَا أُوتِيَ ذَلِكَ، فَقَدْ أُوتِيَ لَا شَكَّ حُجَّةً بَيِّنَةً.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿وَقُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا..

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الْحَقَّ قَدْ جَاءَ، وَهُوَ كُلُّ مَا كَانَ للهِ فِيهِ رِضًا وَطَاعَةٌ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ قَدْ زَهَقَ، وَذَهَبَ كُلُّ مَا كَانَ لَا رِضًا للهِ فِيهِ وَلَا طَاعَةٌ مِمَّا هُوَ لَهُ مَعْصِيَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ طَاعَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ: هُوَ كُلُّ مَا خَالَفَ طَاعَةَ إِبْلِيسَ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ: هُوَ كُلُّ مَا وَافَقَ طَاعَتَهُ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ بِالْخَبَرِ عَنْ بَعْضِ طَاعَاتِهِ، وَلَا ذَهَابِ بَعْضِ مَعَاصِيهِ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ عَنْ مَجِيءِ جَمِيعِ الْحَقِّ، وَذَهَابِ جَمِيعِ الْبَاطِلِ، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْقُرْآنُ وَالتَّنْزِيلُ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ، أَعْنِي عَلَىٰ إِقَامَةِ جَمِيعِ الْحَقِّ، وَإِبْطَالِ جَمِيعِ الْبَاطِلِ..

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ذَاهِبًا.. مِنْ قَوْلِهِمْ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ: إِذَا خَرَجَتْ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ يُسْتَشْفَىٰ بِهِ مِنَ الْجَهْلِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيُبَصَّرُ بِهِ مِنَ الْعَمَىٰ..

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، وَيُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، فَيُدْخِلُهُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، فَهُوَ لَهُمْ رَحْمَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ هَذَا الَّذِي نُنَزِّلُ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ بِهِ..

﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] إِلَّا إِهْلَاكًا؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا نَزَلَ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ اللهِ بِشَيْءٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ شَيْءٍ كَفَرُوا بِهِ، فَلَمْ يَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ خَسَارًا إِلَىٰ مَا كَانُوا فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْخَسَارِ، وَرِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ قَبْلُ.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ فَنَجَّيْنَاهُ مِنْ كَرْبِ مَا هُوَ فِيهِ فِي الْبَحْرِ، وَهَوْلِ مَا قَدْ أَشْرَفَ فِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ بِعُصُوفِ الرِّيحِ عَلَيْهِ، إِلَىٰ الْبَرِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِنَا..

﴿أَعْرَضَ﴾ عَنْ ذِكْرِنَا، وَقَدْ كَانَ بِنَا مُسْتَغِيثًا دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَانَا فِي حَالِ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا..

﴿وَنَـَٔا﴾ وَبَعُدَ مِنَّا..

﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ بِنَفْسِهِ، كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وَالشِّدَّةُ..

﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣] كَانَ قَنُوطًا مِنَ الْفَرَجِ وَالرَّوْحِ.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّكُمْ..

﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ عَلَىٰ نَاحِيَتِهِ وَطَرِيقَتِهِ..

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ مِنْكُمْ أَهْدَىٰ طَرِيقًا إِلَى الْحَقِّ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ الْكُفَّارُ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ مَا هِيَ؟.. وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْهَا، كَانُوا قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: **(كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ عَسِيبٌ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا تَسْأَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ، فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ عَسِيبِهِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَمْ نَقُلْ لَكُمْ لا تَسْأَلُوهُ)**..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ..

﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يَعْلَمُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ دُونَكُمْ، فَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا هُوَ..

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أَنْتُمْ وَجَمِيعُ النَّاسِ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ خِطَابًا لِمَنْ خُوطِبَ بِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ..

﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] لِأَنَّ عِلْمَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ وَإِنْ كَثُرَ فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْلَمُ اللهُ.

﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسراء: ٨٦].

﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي آتَيْنَاكَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، لَنَذْهَبَنَّ بِهِ فَلَا تَعْلَمُهُ..

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسراء: ٨٦] ثُمَّ لَا تَجِدُ لِنَفْسِكَ بِمَا نَفْعَلُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ وَكِيلًا، يَعْنِي: قَيِّمًا يَقُومُ لَكَ، فَيَمْنَعُنَا مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ بِكَ، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُكَ، فَيَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نُرِيدُ بِكَ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَتَأَوَّلُ مَعْنَىٰ ذَهَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِهِ: (رَفْعَهُ مِنْ صُدُورِ قَارِئِيهِ).

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ [الإسراء: ٨٧].

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وَلَكِنَّهُ لَا يَشَاءُ ذَلِكَ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَتَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكَ..

﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ [الإسراء: ٨٧] بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاكَ لِرِسَالَتِهِ، وَإِنْزَالِهِ عَلَيْكَ كِتَابَهُ، وَسَائِرَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ قَالُوا لَكَ: إِنَّا نَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ..

﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ لَا يَأْتُونَ أَبَدًا بِمِثْلِهِ..

﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَوْنًا وَظَهْرًا.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: ٨٩].

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّا..

﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ احْتِجَاجًا بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَيْهِمْ، وَتَذْكِيرًا لَهُمْ، وَتَنْبِيهًا عَلَىٰ الْحَقِّ لِيَتَّبِعُوهُ وَيَعْمَلُوا بِهِ..

﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: ٨٩] فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا جُحُودًا لِلْحَقِّ، وَإِنْكَارًا لِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ -يَا مُحَمَّدُ- الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ..

﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ لَنْ نُصَدِّقَكَ..

﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنْ أَرْضِنَا هَذِهِ..

﴿يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠] عَيْنًا تَنْبُعُ لَنَا بِالْمَاءِ.

﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١﴾ [الإسراء: ٩١].

﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ وَقَالَ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- مُشْرِكُو قَوْمِكَ: لَنْ نُصَدِّقَكَ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكَ بُسْتَانٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ..

﴿مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ بِأَرْضِنَا هَذِهِ الَّتِي نَحْنُ بِهَا..

﴿خِلَٰلَهَا﴾ خِلَالَ النَّخِيلِ وَالْكُرُومِ..

﴿تَفۡجِيرًا ٩١﴾ [الإسراء: ٩١] بِسَبَبِ أَبْنِيَتِهَا.

﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢].

﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾ (كِسْفًا) قِطَعًا، فَحُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: أَعْطِنِي كِسْفَةً مِنْ هَذَا الثَّوْبِ: أَيْ قِطْعَةً مِنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: جَاءَنَا بِثَرِيدٍ كِسْفٍ: أَيْ قِطَعِ خُبْزٍ.. فَسَأَلُوا أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ قِطَعًا..

﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢] عِيَانًا نُقَابِلُهُمْ مُقَابَلَةً، فَنُعَايِنُهُمْ مُعَايَنَةً.

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣].

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَمْرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: أَوْ يَكُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ الزُّخْرُفُ..

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَوْ تَصْعَدُ فِي دَرَجٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا قِيلَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا يَرْقَىٰ إِلَيْهَا لَا فِيهَا، لِأَنَّ الْقَوْمَ قَالُوا: أَوْ تَرْقَىٰ فِي سُلَّمٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَأُدْخِلَتْ ﴿فِي﴾ فِي الْكَلَامِ لِيَدُلَّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ..

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وَلَنْ نُصَدِّقَكَ مِنْ أَجْلِ رُقِيِّكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ..

﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ مَنْشُورًا..

﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ فِيهِ أَمْرُنَا بِاتِّبَاعِكَ وَالْإِيمَانِ بِكَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ لَكَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تَنْزِيهًا للهِ عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْتَىٰ بِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، أَوْ يَكُونَ لِي سَبِيلٌ إِلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا تَسْأَلُونِيهِ..

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ هَلْ أَنَا إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مَا سَأَلْتُمُونِي مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا خَالِقِي وَخَالِقُكُمْ..

﴿رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣] وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَالَّذِي سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَفْعَلَهُ بِيَدِ اللهِ الَّذِي أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ لَهُ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُهُ.. وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ كُلِّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ كَانَ مِنْ مَلَإٍ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا لِمُنَاظَرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُحَاجَّتِهِ، فَكَلَّمُوهُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾

[الإسراء: ٩٤].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ وَمَا مَنَعَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الْبَيَانُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ وَصِحَّةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ إِلَّا قَوْلُهُمْ جَهْلًا مِنْهُمْ..

﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝٩٥﴾

[الإسراء: ٩٥].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبَوُا الْإِيمَانَ بِكَ وَتَصْدِيقَكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي،

اسْتِنْكَارًا لِأَنْ يَبْعَثَ اللهُ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ..

﴿لَّوْ كَانَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥] لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَّمَا تَرَاهُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ خَصَّهُ اللهُ مِنْ بَنِي آدَمَ بِرُؤْيَتِهَا، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ رُؤْيَتِهَا، فَكَيْفَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الرُّسُلَ، وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ وَهُمْ بِهَيْئَاتِهِمُ الَّتِي خَلَقَهُمُ اللهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يُرْسِلُ إِلَى الْبَشَرِ الرَّسُولَ مِنْهُمْ، كَمَا لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ، ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَرْسَلْنَاهُ مِنْهُمْ مَلَكًا مِثْلَهُمْ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ لَكَ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤]..

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْكَافِي وَالْحَاكِمُ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأُمُورِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَالْمُحِقُّ مِنْهُمْ وَالْمُبْطِلُ، وَالْمَهْدِيُّ وَالضَّالُّ..

﴿بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦] بِتَدْبِيرِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَهُوَ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ بِمَا قَدَّمَ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَلِتَصْدِيقِكَ وَتَصْدِيقِ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَوَفَّقَهُ لِذَلِكَ..

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الرَّشِيدُ الْمُصِيبُ الْحَقَّ، لَا مَنْ هَدَاهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِهِ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ اللهُ عَنِ الْحَقِّ، فَيَخْذُلْهُ عَنْ إِصَابَتِهِ، وَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يَنْصُرُونَهُمْ..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ إِذَا أَرَادَ اللهُ عُقُوبَتَهُمْ وَالِاسْتِنْقَاذَ مِنْهُمْ..

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَنَجْمَعُهُمْ بِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، مِنْ بَعْدِ تَفَرُّقِهِمْ فِي الْقُبُورِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا﴾ جَمْعُ أَبْكَم، وَيَعْنِي بِالْبَكَمِ: الْخَرَسَ..

﴿وَصُمًّا﴾ جَمْعُ أَصَمَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ وَصَفَ اللهُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا، وَقَدْ قَالَ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ، وَقَالَ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ، يَسْمَعُونَ وَيَنْطِقُونَ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعَمَىٰ وَالْبَكَمِ وَالصَّمَمِ يَكُونُ صِفَتَهُمْ فِي حَالِ حَشْرِهِمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُجْعَلُ لَهُمْ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ وَمَنْطِقٌ فِي أَحْوَالٍ أُخَرَ غَيْرِ حَالِ الْحَشْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ: ﴿عُمْيًا﴾ فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ، ﴿وَبُكْمًا﴾ لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ، ﴿وَصُمًّا﴾ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا يَسُرُّهُمْ..

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مَصِيرُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَفِيهَا مَسَاكِنُهُمْ، وَهُمْ وَقُودُهَا..

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ لَانَتْ وَسَكَنَتْ، وَذَلِكَ إِذَا أَحْرَقَتْهُمْ فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ شَيْئًا..

﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ زِدْنَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ..

﴿سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧] وَذَلِكَ إِسْعَارُ النَّارِ عَلَيْهِمْ وَالْتِهَابُهَا فِيهِمْ وَتَأَجُّجُهَا بَعْدَ خُبُوِّهَا، فِي أَجْسَامِهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْنَا مِنْ فِعْلِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مَا ذَكَرْتُ أَنَّا نَفْعَلُ بِهِمْ مِنْ حَشْرِهِمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا، وَإِصْلَائِنَا إِيَّاهُمُ النَّارَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ حَالَتِهِمْ فِيهَا..

﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ﴾ ثَوَابُهُمْ بِكُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِأَدِلَّتِهِ وَحُجَجِهِ، وَهُمْ رُسُلُهُ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَإِفْرَادِهِمْ إِيَّاهُ بِالْأُلُوهَةِ دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ وَبِقَوْلِهِمْ إِذَا أُمِرُوا بِالْإِيمَانِ بِالْمِيعَادِ، وَبِثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ بَالِيَةً..

﴿وَرُفَٰتًا﴾ قَدْ صِرْنَا تُرَابًا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ [الإسراء: ٩٨] نُبْعَثُ بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا ابْتَدَأْنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا، اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ، وَاسْتِعْظَامًا وَتَعَجُّبًا مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ.

﴿* أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩].

﴿* أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أَوْ لَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٨] بِعُيُونِ قُلُوبِهِمْ، فَيَعْلَمُونَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فَابْتَدَعَهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَأَقَامَهَا بِقُدْرَتِهِ..

﴿قَادِرٌ﴾ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ..

﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ مِثْلَهُمْ أَشْكَالَهُمْ وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا..

﴿وَجَعَلَ﴾ اللهُ..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَجَلًا﴾ لِهَلَاكِهِمْ، وَوَقْتًا لِعَذَابِهِمْ..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ آتِيهِمْ ذَلِكَ الْأَجَلُ..

﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فَأَبَىٰ الْكَافِرُونَ..

﴿إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩] إِلَّا جُحُودًا بِحَقِيقَةِ وَعِيدِهِ الَّذِي أَوْعَدَهُمْ وَتَكْذِيبًا بِهِ.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَّوْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ أَمْلَاكِ رَبِّي مِنَ الْأَمْوَالِ، وَعَنَىٰ بِالرَّحْمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَالَ..

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ﴾ إِذَنْ لَبَخِلْتُمْ بِهِ، فَلَمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ غَيْرِكُمْ خَشْيَةً مِنَ الْإِنْفَاقِ وَالْإِقْتَارِ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] وَكَانَ الْإِنْسَانُ بَخِيلًا مُمْسِكًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ تَبِينُ لِمَنْ رَآهَا أَنَّهَا حُجَجٌ لِمُوسَىٰ شَاهِدَةٌ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: التِّسْعُ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ: يَدُهُ، وَعَصَاهُ، وَلِسَانُهُ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ آيَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ..

﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فَإِنَّ عَامَّةَ قُرَّاءِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ قِرَاءَتِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ: فَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ..

﴿فَقَالَ لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ..

﴿فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ تَتَعَاطَىٰ عِلْمَ السِّحْرِ، فَهَذِهِ الْعَجَائِبُ الَّتِي تَفْعَلُهَا مِنْ سِحْرِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ سَاحِرًا، فَوُضِعَ مَفْعُولٌ مَوْضِعَ فَاعِلٍ، كَمَا قِيلَ: إِنَّكَ مَشْئُومٌ عَلَيْنَا وَمَيْمُونٌ، وَإِنَّمَا هُوَ شَائِمٌ وَيَامِنٌ، وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ حِجَابًا مَسْتُورًا، بِمَعْنَىٰ: حِجَابًا سَاتِرًا، وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ فَاعِلًا بِلَفْظِ مَفْعُولٍ كَثِيرًا.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يَا فِرْعَوْنُ..

﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْآيَاتِ التِّسْعِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَرَيْتُكَهَا حُجَّةً لِي عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ، وَشَاهِدَةً لِي عَلَىٰ صِدْقِ وَصِحَّةِ قَوْلِي أَنِّي لِلهِ رَسُولٌ، مَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ..

﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَىٰ أَمْثَالِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنَّهُمْ جَحَدُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ الْآيَاتِ التِّسْعِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ بِقَوْلِهِ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٢-١٣-١٤]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: هِيَ سِحْرٌ مَعَ عِلْمِهِمْ وَاسْتِيقَانِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنْ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّهَا آيَاتٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ،

وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ احْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِمِثْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ الْحُجَّةِ..

﴿بَصَآئِرَ﴾ يَعْنِي بِالْبَصَائِرِ: الْآيَاتِ، أَنَّهُنَّ بَصَائِرُ لِمَنِ اسْتَبْصَرَ بِهِنَّ، وَهُدًى لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِنَّ، يَعْرِفُ بِهِنَّ مَنْ رَآهُنَّ أَنَّ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ فَمُحِقٌّ، وَأَنَّهُنَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، إِذْ كُنَّ مُعْجِزَاتٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِنَّ وَلَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُنَّ سِوَىٰ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ..

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلْعُونًا مَمْنُوعًا مِنَ الْخَيْرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَا ثَبَرَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ: أَيْ مَا مَنَعَكَ مِنْهُ، وَمَا صَدَّكَ عَنْهُ؟ وَثَبَرَهُ اللهُ فَهُوَ يَثْبُرُهُ وَيُثْبِرُهُ لُغَتَانِ، وَرَجُلٌ مَثْبُورٌ: مَحْبُوسٌ عَنِ الْخَيْرَاتِ هَالِكٌ.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣].

﴿فَأَرَادَ﴾ فِرْعَوْنُ..

﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَنْ يَسْتَفِزَّ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ مِنْ جُنْدِهِ..

﴿جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣] وَنَجَّيْنَا مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠٤].

﴿وَقُلْنَا﴾ لَهُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ..

﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أَرْضَ الشَّامِ..

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فَإِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ، وَهِيَ وَعْدُ الْآخِرَةِ..

﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ حَشَرْنَاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿لَفِيفًا ۝١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠٤] مُخْتَلِطِينَ، قَدِ الْتَفَّ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، لَا تَتَعَارَفُونَ، وَلَا يَنْحَازُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ قَبِيلَتِهِ وَحَيِّهِ.. مِنْ قَوْلِكَ: لَفَفْتُ الْجُيُوشَ: إِذَا ضَرَبْتُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَاخْتَلَطَ الْجَمِيعُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ خُلِطَ بِشَيْءٍ فَقَدْ لُفَّ بِهِ.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ، يَقُولُ: أَنْزَلْنَاهُ نَأْمُرُ فِيهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأُمُورِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْحَمِيدَةِ، وَنَنْهَىٰ فِيهِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْأُمُورِ الْقَبِيحَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ، وَالْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ..

﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ وَبِذَلِكَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِنَا..

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَنَا، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا..

﴿وَنَذِيرًا ١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥] وَمُنْذِرًا لِمَنْ عَصَانَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ أَحْكَمْنَاهُ وَفَصَّلْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.. وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ بِمَعْنَىٰ: نَزَّلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، وَقِصَّةً بَعْدَ قِصَّةٍ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا، الْقِرَاءَةُ الْأُولَىٰ؛ لِأَنَّهَا الْقِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ، وَلَا يَجُوزُ خِلَافُهَا فِيمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُجْمِعَةٌ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَفَصَّلْنَاهُ قُرْآنًا، وَبَيَّنَّاهُ وَأَحْكَمْنَاهُ، لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ.

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ، فَتُرَتِّلَهُ وَتُبَيِّنَهُ، وَلَا تَعْجَلْ فِي تِلَاوَتِهِ، فَلَا يُفْهَمْ عَنْكَ..

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦] فَرَّقْنَا تَنْزِيلَهُ، وَأَنْزَلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ لَكَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]..

﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ آمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، لَمْ يَأْتُوا بِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا..

﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا بِهِ، فَإِنَّ إِيمَانَكُمْ بِهِ لَنْ يَزِيدَ فِي خَزَائِنِ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَا تَرْكُكُمُ الْإِيمَانَ بِهِ يَنْقُصُ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهِ، فَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ مِنْ قَبْلِ نُزُولِهِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ..

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿يَخِرُّونَ﴾ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَكْرِيمًا، وَعِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ لِأَذْقَانِهِمْ.. وَالْأَذْقَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ ذَقَنٍ وَهُوَ مَجْمَعُ اللَّحْيَيْنِ..

﴿سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧] بِالْأَرْضِ.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ، إِذْ خَرُّوا لِلْأَذْقَانِ سُجُودًا عِنْدَ سَمَاعِهِمُ الْقُرْآنَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تَنْزِيهًا لِرَبِّنَا وَتَبْرِئَةً لَهُ مِمَّا يُضِيفُ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ..

﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ مَا كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ..

﴿لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٨] إِلَّا مَفْعُولًا حَقًّا يَقِينًا، إِيمَانٌ بِالْقُرْآنِ وَتَصْدِيقٌ بِهِ.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

﴿وَيَخِرُّونَ﴾ وَيَخِرُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْفُرْقَانِ، إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ..

﴿لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ لِأَذْقَانِهِمْ يَبْكُونَ..

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ..

﴿خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩] خُضُوعًا لِأَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاسْتِكَانَةً لَهُ.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الْمُنْكِرِينَ دُعَاءَ الرَّحْمَنِ..

﴿ادْعُوا اللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾ بِأَيِّ أَسْمَائِهِ جَلَّ جَلَالُهُ تَدْعُونَ رَبَّكُمْ، فَإِنَّمَا تَدْعُونَ وَاحِدًا..

﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا ذُكِرَ سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ: يَا رَبَّنَا اللهُ، وَيَا رَبَّنَا الرَّحْمَنُ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَهَيْنِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةَ احْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِصَلَاتِكَ﴾ بِقِرَاءَتِكَ فِي صَلَاتِكَ وَدُعَائِكَ فِيهَا رَبَّكَ وَمَسْأَلَتِكَ إِيَّاهُ، وَذِكْرِكَ فِيهَا، فَيُؤْذِيكَ بِجَهْرِكَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فَلَا يَسْمَعُهَا أَصْحَابُكَ..

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] وَلَكِنِ الْتَمِسْ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُخَافَتَةِ طَرِيقًا إِلَىٰ أَنْ تُسْمِعَ أَصْحَابَكَ، وَلَا يَسْمَعُهُ الْمُشْرِكُونَ فَيُؤْذُوكَ.. وَلَوْلَا أَنَّ أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مَضَتْ بِمَا ذَكَرْتُ عَنْهُمْ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَأَنَّا لَا نَسْتَجِيزُ خِلَافَهُمْ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمْ، لَكَانَ وَجْهًا يَحْتَمِلُهُ التَّأْوِيلُ أَنْ يُقَالَ: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْمُخَافَتَةِ بِهَا، وَهِيَ صَلَاةُ النَّهَارِ لِأَنَّهَا عَجْمَاءُ، لَا يُجْهَرُ بِهَا، وَلَا تُخَافِتْ بِصَلَاتِكَ الَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْجَهْرِ بِهَا، وَهِيَ صَلَاةُ اللَّيْلِ، فَإِنَّهَا يُجْهَرُ بِهَا ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ بِأَنْ تَجْهَرَ بِالَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْجَهْرِ بِهَا، وَتُخَافِتْ بِالَّتِي أَمَرْنَاكَ بِالْمُخَافَتَةِ بِهَا، لَا تَجْهَرْ بِجَمِيعِهَا، وَلَا تُخَافِتْ بِكُلِّهَا، فَكَانَ ذَلِكَ وَجْهًا غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الصِّحَّةِ، وَلَكِنَّا لَا نَرَىٰ ذَلِكَ صَحِيحًا لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ خِلَافِهِ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فَيَكُونُ مَرْبُوبًا لَا رَبًّا، لِأَنَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ..

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ فَيَكُونُ عَاجِزًا ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ مَعُونَةِ غَيْرِهِ ضَعِيفًا، وَلَا يَكُونُ إِلَهًا مَنْ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَىٰ مُعِينٍ عَلَىٰ مَا حَاوَلَ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْفَرِدًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ..

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيفٌ حَالَفَهُ مِنَ الذُّلِّ الَّذِي بِهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ نُصْرَةِ غَيْرِهِ، فَذَلِيلٌ مَهِينٌ، وَلَا يَكُونُ مَنْ كَانَ ذَلِيلًا مَهِينًا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَاصِرٍ إِلَهًا يُطَاعُ..

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] وَعَظِّمْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ بِمَا أَمَرْنَاكَ أَنْ تُعَظِّمَهُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَأَطِعْهُ فِيمَا أَمَرَكَ وَنَهَاكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ إِسْرَاءِ

سُورَةُ الْكَهْفِ (١٨)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عَشْرٌ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَهْفِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ①﴾ [الكهف: ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَصَّ بِرِسَالَتِهِ مُحَمَّدًا وَانْتَخَبَهُ لِبَلَاغِهَا عَنْهُ، فَابْتَعَثَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ قَيِّمًا.. وَقِيلَ: إِنَّمَا افْتَتَحَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ نَفْسِهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَبِالْخَبَرِ عَنْ إِنْزَالِ كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، إِخْبَارًا مِنْهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ عَلَّمَهُمُوهَا الْيَهُودُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَأَمَرُوهُمْ بِمَسْأَلَتِهِمُوهُ عَنْهَا، وَقَالُوا: إِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهَا فَهُوَ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ بِهَا فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ، فَوَعَدَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْجَوَابِ عَنْهَا مَوْعِدًا، فَأَبْطَأَ الْوَحْيُ عَنْهُ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ، وَتَأَخَّرَ مَجِيءُ جِبْرَائِيلَ عليه السلام عَنْهُ عَنْ مِيعَادِهِ الْقَوْمَ، فَتَحَدَّثَ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّهُ أَخْلَفَهُمْ مَوْعِدَهُ، وَأَنَّهُ مُتَقَوِّلٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ جَوَابًا عَنْ مَسَائِلِهِمْ، وَافْتَتَحَ أَوَّلَهَا بِذِكْرِهِ، وَتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي أُحْدُوثَتِهِمُ الَّتِي تَحَدَّثُوهَا بَيْنَهُمْ..

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ①﴾ [الكهف: ١] وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُلْتَبَسًا.

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ②﴾ [الكهف: ٢].

﴿قَيِّمًا﴾ مُسْتَقِيمًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ، بَلْ بَعْضُهُ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُ يَشْهَدُ لِبَعْضٍ، لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا مَيْلَ عَنِ الْحَقِّ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهِ: أَنَّهُ قَيِّمٌ عَلَىٰ سَائِرِ الْكُتُبِ يُصَدِّقُهَا وَيَحْفَظُهَا.. وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ①﴾ [الكهف: ١]..

﴿لِّيُنذِرَ﴾ أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْقُرْآنَ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ لِيُنْذِرَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ مَفْعُولُ قَوْلِهِ ﴿لِّيُنذِرَ﴾؟ قيل: إِنَّ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفٌ، اكْتُفِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ مُضْمَرٌ مُتَّصِلٌ بِيُنْذِرَ قَبْلَ الْبَأْسِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسًا، كَمَا قِيلَ:

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، إِنَّمَا هُوَ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ..

﴿بَأْسًا﴾ عَذَابًا عَاجِلًا، وَنَكَالًا حَاضِرًا، وَسَطْوَةً..

﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ رَسُولًا..

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيُبَشِّرَ الْمُصَدِّقِينَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ..

﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ٢] ثَوَابًا جَزِيلًا لَهُمْ مِنَ اللهِ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ الثَّوَابُ: هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُتَّقُونَ.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣].

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ خَالِدِينَ.. وَنَصَبَ مَاكِثِينَ عَلَىٰ الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ٢] فِي هَذِهِ الْحَالِ، فِي حَالِ مُكْثِهِمْ فِي ذَلِكَ الْأَجْرِ..

﴿فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣] لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْهُ، وَلَا يُنْقَلُونَ.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الكهف: ٤].

﴿وَيُنذِرَ﴾ وَيُحَذِّرُ أَيْضًا مُحَمَّدٌ بَأْسَ اللهِ وَعَاجِلَ نِقْمَتِهِ، وَآجِلَ عَذَابِهِ، الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الكهف: ٤] مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، عَلَىٰ قِيلِهِمْ ذَلِكَ.. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُ: إِنَّمَا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُنَّ بَنَاتُ اللهِ.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

﴿مَّا لَهُم﴾ مَا لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾..

﴿بِهِۦ﴾ بِاللهِ..

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَلِجَهْلِهِمْ بِاللهِ وَعَظَمَتِهِ قَالُوا ذَلِكَ..

﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ﴾ وَلَا لِأَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، كَانَ لَهُمْ بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ عِلْمٌ..

﴿كَبُرَتْ﴾ عَظُمَتِ الْكَلِمَةُ..

﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④﴾، وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ..

﴿إِن يَقُولُونَ﴾ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④﴾ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا كَذِبًا ⑤﴾ [الكهف: ٥] وَفِرْيَةً افْتَرَوْهَا عَلَىٰ اللهِ.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ⑥﴾ [الكهف: ٦].

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَاخِعٌ﴾ قَاتِلٌ..

﴿نَّفْسَكَ﴾ وَمُهْلِكُهَا..

﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ عَلَىٰ آثَارِ قَوْمِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ⑨٠﴾ [الإسراء: ٩٠]، تَمَرُّدًا مِنْهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ إِنْ هُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا..

﴿بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَيْكَ، فَيُصَدِّقُوا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَسَفًا ⑥﴾ [الكهف: ٦] حُزْنًا وَتَلَهُّفًا وَوَجْدًا، بِإِدْبَارِهِمْ عَنْكَ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ وَتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِكَ.. وَهَذِهِ مُعَاتَبَةٌ مِنَ اللهِ رَسُولَهُ عَلَىٰ وَجْدِهِ بِمُبَاعَدَةِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَكَانَ بِهِمْ رَحِيمًا.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف: ٧].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ زِينَةً لِلْأَرْضِ..

﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لِنَخْتَبِرَ عِبَادَنَا..

﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف: ٧] أَيُّهُمْ أَتْرَكُ لَهَا، وَأَتْبَعُ لِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، وَأَعْمَلُ فِيهَا بِطَاعَتِنَا.. قال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**».

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧﴾ [الكهف: ٨].

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧﴾ [الكهف: ٨] وَإِنَّمَا لَمُخَرِّبُوهَا بَعْدَ عِمَارَتِنَاهَا بِمَا جَعَلْنَا

عَلَيْهَا مِنَ الزِّينَةِ، فَمُصَيِّرُوهَا صَعِيدًا جُرُزًا لَا نَبَاتَ عَلَيْهَا وَلَا زَرْعَ وَلَا غَرْسَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ أُرِيدَ بِالصَّعِيدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمُسْتَوِي بِوَجْهِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ هُوَ شَبِيهٌ بِمَعْنَىٰ قَوْلِنَا فِي ذَلِكَ.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩].

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ كَهْفُ الْجَبَلِ الَّذِي أَوَىٰ إِلَيْهِ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ شَأْنَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ لَوْحٌ، أَوْ حَجَرٌ، أَوْ شَيْءٌ كُتِبَ فِيهِ كِتَابٌ.. وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ: **(إِنَّ ذَلِكَ لَوْحٌ كُتِبَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَخَبَرُهِمْ حِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ)**..

﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩] فَإِنَّ مَا خَلَقْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَحُجَّتِي بِكُلِّ ذَلِكَ ثَابِتَةٌ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ عِبَادِي.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف: ١٠].

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ أَصْحَابُ الْكَهْفِ..

﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ إِلَىٰ كَهْفِ الْجَبَلِ، هَرَبًا بِدِينِهِمْ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَقَالُوا۟﴾ إِذْ آوَوْهُ..

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، فِي أَنْ يَرْزُقَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ رَحْمَةً..

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ وَقَالُوا: يَسِّرْ لَنَا مِمَّا نَبْتَغِي وَنَلْتَمِسُ مِنْ رِضَاكَ، وَالْهَرَبِ مِنَ الْكُفْرِ بِكَ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي يَدْعُونَا إِلَيْهَا قَوْمُنَا سَدَادًا إِلَىٰ الْعَمَلِ بِالَّذِي تُحِبُّ.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ [الكهف: ١١].

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ بِالنَّوْمِ..

﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ [الكهف: ١١] سِنِينَ مَعْدُودَةً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۝١٢﴾ [الكهف: ١٢].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ بَعْدَ مَا ضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِيهِ سِنِينَ عَدَدًا مِنْ رَقْدَتِهِمْ..

﴿لِنَعْلَمَ﴾ لِيَنْظُرَ عِبَادِي فَيَعْلَمُوا بِالْبَحْثِ..

﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ أَيَّ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اخْتَلَفَتَا فِي قَدْرِ مَبْلَغِ مُكْثِ الْفِتْيَةِ فِي كَهْفِهِمْ رُقُودًا..

﴿أَحْصَىٰ﴾ أَصْوَبُ..

﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۝١٢﴾ [الكهف: ١٢] لِقَدْرِ لُبْثِهِمْ فِيهِ أَمَدًا، وَيَعْنِي بِالْأَمَدِ: الْغَايَةَ.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ [الكهف: ١٣].

﴿نَّحْنُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ نَقُصُّ عَلَيْكَ خَبَرَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَىٰ الْكَهْفِ، الَّذِينَ سَأَلَكَ عَنْ نَبَئِهِمُ الْمَلَأُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ..

﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ﴾ إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿هُدًى ۝١٣﴾ [الكهف: ١٣] إِيمَانًا، وَبَصِيرَةً بِدِينِهِمْ، حَتَّىٰ صَبَرُوا عَلَىٰ هِجْرَانِ دَارِ قَوْمِهِمْ، وَالْهَرَبِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ بِدِينِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، وَفِرَاقِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَلِينِهِ، إِلَىٰ خُشُونَةِ الْمُكْثِ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤﴾ [الكهف: ١٤].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وَأَلْهَمْنَاهُمُ الصَّبْرَ، وَشَدَدْنَا قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ عَزَفَتْ أَنْفُسُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ..

﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ دقينوس، فَقَالُوا لَهُ إِذْ عَاتَبَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ عِبَادَةَ آلِهَتِهِ..

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رَبُّنَا مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ، وَآلِهَتُكَ مَرْبُوبَةٌ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَتْرُكَ عِبَادَةَ الرَّبِّ وَنَعْبُدَ الْمَرْبُوبَ..

﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهًا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَإِنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَهُوَ خَلْقُهُ..

﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا﴾ لَئِنْ دَعَوْنَا إِلَهًا غَيْرَ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ بِدُعَائِنَا غَيْرَهُ إِلَهًا..

﴿شَطَطًا ۝١٤﴾ [الكهف: ١٤] مِنَ الْقَوْلِ: يَعْنِي غَالِيًا مِنَ الْكَذِبِ، مُجَاوِزًا مِقْدَارُهُ فِي الْبُطُولِ وَالْغُلُوِّ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنِۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف: ١٥].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونَ اللهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ..

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنِۭ بَيِّنٍ﴾ هَلَّا يَأْتُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اجْتُزِئَ بِمَا ظَهَرَ عَمَّا حُذِفَ، فَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي عَلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ الْآلِهَةِ، وَالْآلِهَةُ لَا يُؤْتَىٰ عَلَيْهَا بِسُلْطَانٍ، وَلَا يُسْأَلُ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَابِدُوهَا السُّلْطَانَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُوهَا، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمُوهَا، وَاتِّخَاذِهِمُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ..

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَمَنْ أَشَدُّ اعْتِدَاءً وَإِشْرَاكًا بِاللهِ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف: ١٥] مِمَّنِ اخْتَلَقَ، فَتَخَرَّصَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللهِ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا يَعْبُدُهُ دُونَهُ، وَيَتَّخِذُهُ إِلَهًا.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾ [الكهف: ١٦].

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ وَإِذَا اعْتَزَلْتُمْ أَيُّهَا الْفِتْيَةُ قَوْمَكُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وَإِذَا اعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ سِوَىٰ اللهِ..

﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ فَصِيرُوا إِلَىٰ غَارِ الْجَبَلِ الَّذِي يُسَمَّىٰ بنجلوس.. فَقَوْلُهُ: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى

ٱلْكَهْفِ﴾ جَوَابٌ لِإِذْ، كَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ قَوْمَكُمْ، فَأْوُوا إِلَىٰ الْكَهْفِ، كَمَا يُقَالُ: إِذْ أَذْنَبْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ..

﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يَبْسُطُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِتَيْسِيرِهِ لَكُمُ الْمَخْرَجَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ رُمِيتُمْ بِهِ مِنَ الْكَافِرِ دقينوس، وَطَلَبِهِ إِيَّاكُمْ لِعَرْضِكُمْ عَلَىٰ الْفِتْنَةِ..

﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ وَيُيَسِّرْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ خَوْفًا مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَدِينِكُمْ..

﴿مِّرْفَقًا ۝١٦﴾ [الكهف: ١٦] مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف: ١٧].

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ تَعْدِلُ وَتَمِيلُ، مِنَ الزَّوَرِ: وَهُوَ الْعِوَجُ وَالْمَيْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: فِي هَذِهِ الْأَرْضِ زَوَرٌ: إِذَا كَانَ فِيهَا اعْوِجَاجٌ، وَفِي فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ ازْوِرَارٌ، إِذَا كَانَ فِيهِ عَنْهُ إِعْرَاضٌ..

﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ فَتَطْلُعُ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ، لِئَلَّا تُصِيبَ الْفِتْيَةَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ قُبَالَهُمْ لَأَحْرَقَتْهُمْ وَثِيَابَهُمْ، أَوْ أَشْحَبَتْهُمْ..

﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ الشَّمْسُ..

﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ تَتْرُكُهُمْ.. يُقَالُ مِنْهُ: قَرَضْتُ مَوْضِعَ كَذَا: إِذَا قَطَعْتُهُ فَجَاوَزْتُهُ..

﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ فَلَا تُصِيبُهُمْ..

﴿وَهُمْ﴾ وَالْفِتْيَةُ الَّذِينَ أَوَوْا إِلَيْهِ..

﴿فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ فِي مُتَّسَعٍ مِنْهُ، يُجْمَعُ: فَجَوَاتٌ، وَفِجَاءٌ مَمْدُودًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فَعَلْنَا هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكُمْ أَمْرَهُمْ مِنْ تَصْيِيرِنَاهُمْ، إِذْ أَرَدْنَا أَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ آذَانِهِمْ، بِحَيْثُ تَزَّاوَرُ الشَّمْسُ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ إِذَا هِيَ طَلَعَتْ، وَتَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ إِذَا هِيَ غَرَبَتْ، مَعَ كَوْنِهِمْ فِي الْمُتَّسَعِ مِنَ الْمَكَانِ، بِحَيْثُ لَا تَحْرِقُهُمُ الشَّمْسُ فَتُشْحِبُهُمْ، وَلَا تَبْلَىٰ عَلَىٰ طُولِ رَقْدَتِهِمْ ثِيَابُهُمْ، فَتَعْفَنُ عَلَىٰ أَجْسَادِهِمْ..

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَالْأَدِلَّةُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا أُولُو الْأَلْبَابِ

عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ..

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ مَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ لِلاهْتِدَاءِ بِآيَاتِهِ وَحُجَجِهِ إِلَىٰ الْحَقِّ الَّتِي جَعَلَهَا أَدِلَّةً عَلَيْهِ..

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ فَهُوَ الَّذِي قَدْ أَصَابَ سَبِيلَ الْحَقِّ..

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْ آيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧] فَلَنْ تَجِدَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ خَلِيلًا وَحَلِيفًا يُرْشِدُهُ لِإِصَابَتِهَا؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ وَالْخِذْلَانَ بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ أَرَادَ، يَقُولُ: فَلَا يَحْزُنْكَ إِدْبَارُ مَنْ أَدْبَرَ عَنْكَ مِنْ قَوْمِكَ وَتَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ هَدَيْتُهُمْ فَآمَنُوا، فَبِيَدِي الْهِدَايَةُ وَالضَّلَالُ.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ وَتَحْسَبُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ، لَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي حَالِ ضَرْبِنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي كَهْفِهِمُ الَّذِي أَوَوْا إِلَيْهِ..

﴿أَيْقَاظًا﴾ جَمْعُ يَقِظٍ..

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وَهُمْ نِيَامٌ.. وَالرُّقُودُ: جَمْعُ رَاقِدٍ، كَالْجُلُوسِ: جَمْعُ جَالِسٍ، وَالْقُعُودُ: جَمْعُ قَاعِدٍ..

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ وَنُقَلِّبُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ فِي رَقْدَتِهِمْ..

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ مَرَّةً لِلْجَنْبِ الْأَيْمَنِ، وَمَرَّةً لِلْجَنْبِ الْأَيْسَرِ..

﴿وَكَلْبُهُم﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِهِمْ كَانَ مَعَهُمْ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ إِنْسَانًا مِنَ النَّاسِ طَبَّاخًا لَهُمْ تَبِعَهُمْ..

﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ الْوَصِيدُ: الْبَابُ، أَوْ فِنَاءُ الْبَابِ حَيْثُ يُغْلَقُ الْبَابُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَابَ يُوصَدُ، وَإِيصَادُهُ إِطْبَاقُهُ وَإِغْلَاقُهُ، مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهمزة: ٨]..

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فِي رَقْدَتِهِمُ الَّتِي رَقَدُوهَا فِي كَهْفِهِمْ، لَأَدْبَرْتَ عَنْهُمْ هَارِبًا مِنْهُمْ فَارًّا..

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ﴾ وَلَمُلِئَتْ نَفْسُكَ مِنَ اطِّلَاعِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿رُعْبًا ۝﴾ [الكهف: ١٨] فزَعًا، لَمَّا كَانَ اللهُ أَلْبَسَهُمْ مِنَ الْهَيْبَةِ، كَيْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ وَاصِلٌ، وَلَا تَلْمِسَهُمْ يَدُ لَامِسٍ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ، وَتُوقِظَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ قُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَآيَةً لِمَنْ أَرَادَ الِاحْتِجَاجَ بِهِمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامٗا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٖ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: ١٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرْقَدْنَا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ فِي الْكَهْفِ، فَحَفِظْنَاهُمْ مِنْ وُصُولِ وَاصِلٍ إِلَيْهِمْ، وَعَيْنِ نَاظِرٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، وَحَفِظْنَا أَجْسَامَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَىٰ طُولِ الزَّمَانِ، وَثِيَابَهُمْ مِنَ الْعَفَنِ عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ بِقُدْرَتِنَا، فَكَذَلِكَ..

﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ مِنْ رَقْدَتِهِمْ، وَأَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، لِنُعَرِّفَهُمْ عَظِيمَ سُلْطَانِنَا، وَعَجِيبَ فِعْلِنَا فِي خَلْقِنَا، وَلْيَزْدَادُوا بَصِيرَةً فِي أَمْرِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ، وَإِخْلَاصِهِمْ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذَا تَبَيَّنُوا طُولَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ بِهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا..

﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾ بَعَثَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، كَذَلِكَ أَخْبَرَ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنَّ اللهَ أَعْثَرَ عَلَيْهِمُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَعْثَرَهُمْ عَلَيْهِمْ، لِيَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ بِبَعْثِ اللهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ مِنْ رَقْدَتِهِمْ -بَعْدَ طُولِ مُدَّتِهَا بِهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ رَقَدُوا، وَلَمْ يَشِيبُوا عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَهْرَمُوا عَلَىٰ كَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ فِيهِمْ- قُدْرَتُهُ عَلَىٰ بَعْثِ مَنْ أَمَاتَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْرِهِ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَخْبَرَنَا، فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ [الكهف: ٢١]..

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ﴾ فَتَسَاءَلُوا فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لِأَصْحَابِهِ..

﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمُ اسْتَنْكَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ طُولَ رَقْدَتِهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ فَأَجَابَهُ الْآخَرُونَ فَقَالُوا..

﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ﴾ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ..

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فَسَلَّمُوا الْعِلْمَ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يَعْنِي مَدِينَتَهُمُ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا هِرَابًا، الَّتِي

تُسَمَّىٰ أفسوس..

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾ فَأُضِيفَ إِلَىٰ كِنَايَةِ الْمَدِينَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَهْلُهَا؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ: فَلْيَنْظُرْ أَيَّ أَهْلِهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِ بِالْمُرَادِ مِنَ الْكَلَامِ..

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أَحَلَّ وَأَطْهَرُ طَعَامًا، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا فَارَقُوا قَوْمَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، فَلَمْ يَسْتَجِيزُوا أَكْلَ ذَبِيحَتِهِمْ..

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ فَلْيَأْتِكُمْ بِقُوتٍ مِنْهُ تَقْتَاتُونَهُ، وَطَعَامٌ تَأْكُلُونَهُ..

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وَلْيَتَرَفَّقْ فِي شِرَائِهِ مَا يَشْتَرِي، وَفِي طَرِيقِهِ وَدُخُولِهِ الْمَدِينَةَ..

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ⑲﴾ [الكهف: ١٩] وَلَا يُعْلِمَنَّ بِكُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ⑳﴾ [الكهف: ٢٠].

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ: دقينوس وَأَصْحَابَهُ، قَالُوا: إِنَّ دقينوس وَأَصْحَابَهُ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ، فَيَعْلَمُوا مَكَانَكُمْ..

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ شَتْمًا بِالْقَوْلِ..

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أَوْ يَرُدُّوكُمْ فِي دِينِهِمْ، فَتَصِيرُوا كُفَّارًا بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾ وَلَنْ تُدْرِكُوا الْفَلَاحَ، وَهُوَ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ وَالْخُلُودُ فِي الْجِنَانِ..

﴿إِذًا﴾ إِنْ أَنْتُمْ عُدْتُمْ فِي مِلَّتِهِمْ..

﴿أَبَدًا ⑳﴾ [الكهف: ٢٠] أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ㉑﴾ [الكهف: ٢١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا بَعَثْنَاهُمْ بَعْدَ طُولِ رَقْدَتِهِمْ كَهَيْئَتِهِمْ سَاعَةَ رَقَدُوا، لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، فَيَزْدَادُوا بِعَظِيمِ سُلْطَانِ اللهِ بَصِيرَةً، وَبِحُسْنِ دِفَاعِ اللهِ عَنْ أَوْلِيَائِهِ مَعْرِفَةً، كَذَلِكَ..

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كَذَلِكَ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمُ الْفَرِيقَ الْآخَرَ الَّذِينَ كَانُوا فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَفِي مِرْيَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ أَجْسَامِ خَلْقِهِ، كَهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ قَبَضَهُمْ بَعْدَ الْبِلَىٰ..

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: (أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمَ مَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا)..

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ﴾ الَّذِينَ أُعْثِرُوا عَلَى الْفِتْيَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِحْيَاءِ اللهِ الْمَوْتَىٰ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، حِينَ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فِيمَا اللهُ فَاعِلٌ بِمَنْ أَفْنَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَبْلَاهُ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، أَمُنْشِئُهُمْ هُوَ أَمْ غَيْرُ مُنْشِئِهِمْ؟..

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ﴾ فَقَالَ الَّذِينَ أَعْثَرْنَاهُمْ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا..

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ﴾ رَبُّ الْفِتْيَةِ أَعْلَمُ بِالْفِتْيَةِ وَشَأْنِهِمْ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قَالَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١] وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي قَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ، أَهُمُ الرَّهْطُ الْمُسْلِمُونَ، أَمْ هُمُ الْكُفَّارُ؟.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢﴾ [الكهف: ٢٢].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ سَيَقُولُ بَعْضُ الْخَائِضِينَ فِي أَمْرِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ هُمْ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ..

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُمْ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ..

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ﴾ قَذْفًا بِالظَّنِّ غَيْرَ يَقِينِ عِلْمٍ..

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ﴾ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُمْ ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ﴾..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَائِلِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي عَدَدِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ رَجْمًا مِنْهُمْ بِالْغَيْبِ..

﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾ مَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ..

﴿إِلَّا قَلِيلٌۗ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ لَا تُجَادِلْ يَا مُحَمَّدُ أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿فِيهِمْ﴾ فِي عِدَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَحُذِفَتِ الْعِدَّةُ اكْتِفَاءً بِذِكْرِهِمْ فِيهَا، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِالْمُرَادِ..

﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَا قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ، أُبِيحَ لَهُ أَنْ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُمَارِيهِمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمِرَاءُ الظَّاهِرُ هُوَ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، لَيْسَ تَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، إِنْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا فَقُلْ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، وَقَرَأَ:** ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ** ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢])..

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ وَلَا تَسْتَفْتِ فِي عِدَّةِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿أَحَدًا ۝٢٢﴾ [الكهف: ٢٢] لِأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ عِدَّتَهُمْ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ، لَا يَقِينًا مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣﴾ [الكهف: ٢٣].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣﴾ [الكهف: ٢٣] كَمَا قُلْتَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عَنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلُوكَ عَنْهَا: سَأُخْبِرُكُمْ عَنْهَا غَدًا.. وَهَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، عَهِدَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَجْزِمَ عَلَىٰ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأُمُورِ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، إِلَّا أَنْ يَصِلَهُ بِمَشِيئَةِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ -فِيمَا بَلَغَنَا- مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَعَدَ سَائِلِيهِ عَنِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ اللَّوَاتِي قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِيمَا مَضَىٰ، اللَّوَاتِي إِحْدَاهُنَّ الْمَسْأَلَةُ عَنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنْ يُجِيبَهُمْ عَنْهُنَّ غَدَ يَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَاحْتُبِسَ الْوَحْيُ عَنْهُ فِيمَا قِيلَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ، حَتَّىٰ حَزَنَهُ إِبْطَاؤُهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْهُنَّ، وَعَرَفَ نَبِيَّهُ سَبَبَ احْتِبَاسِ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَعَلَّمَهُ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي عِدَاتِهِ وَخَبَرِهِ عَمَّا يَحْدُثُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يَأْتِهِ مِنَ اللهِ بِهَا تَنْزِيلٌ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف: ٢٤].

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إِلَّا أَنْ تَقُولَ مَعَهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (تَقُولُ) اكْتِفَاءً بِمَا ذُكِرَ مِنْهُ، إِذْ

كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ..

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وَاسْتَثْنِ فِي يَمِينِكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَنَّكَ نَسِيتَ ذَلِكَ فِي حَالِ الْيَمِينِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَجَائِزٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَثْنِيَ فِي يَمِينِهِ -إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْتَ- بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ حَالِ حَلِفِهِ؟ قِيلَ: الصَّوَابُ أَنْ يَسْتَثْنِيَ وَلَوْ بَعْدَ حِنْثِهِ فِي يَمِينِهِ، فَيَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لِيَخْرُجَ بِقِيلِهِ ذَلِكَ مِمَّا أَلْزَمَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَيَسْقُطُ عَنْهُ الْحَرَجُ بِتَرْكِهِ مَا أَمَرَهُ بِقِيلِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَّا الْكَفَّارَةُ فَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ بِحَالٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاؤُهُ مَوْصُولًا بِيَمِينِهِ.. فَإِنْ قَالَ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَهُ ثُنْيَاهُ وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَهُ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْدَ شَهْرٍ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ نَحْوُ مَعْنَانَا فِي أَنَّ ذَلِكَ لَهُ وَلَوْ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ، وَأَنَّهُ بِاسْتِثْنَائِهِ وَقِيلِهِ (إِنْ شَاءَ اللهُ) بَعْدَ حِينٍ مِنْ حَالِ حَلِفِهِ، يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَرَجُ الَّذِي لَوْ لَمْ يَقُلْهُ كَانَ لَهُ لَازِمًا، فَأَمَّا الْكَفَّارَةُ فَلَهُ لَازِمَةٌ بِالْحِنْثِ بِكُلِّ حَالٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاؤُهُ كَانَ مَوْصُولًا بِالْحَلِفِ، وَذَلِكَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا قَالَ مِمَّنْ قَالَ لَهُ الثُّنْيَا بَعْدَ حِينٍ يَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ يَضَعُ عَنْهُ الْكَفَّارَةَ إِذَا حَنِثَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْقَوْلِ فِيهِ، كَانَ نَحْوَ مَعْنَانَا فِيهِ..

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف: ٢٤] يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنِي فَيُسَدِّدَنِي لِأَسَدَّ مِمَّا وَعَدْتُكُمْ وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ، إِنْ هُوَ شَاءَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ إِذَا نَسِيَ الِاسْتِثْنَاءَ فِي كَلَامِهِ، الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ فِي أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ مَعَ قَوْلِهِ: إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا ذَكَرَ.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: ٢٥].

﴿وَلَبِثُوا۟﴾ وَلَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ..

﴿فِى كَهْفِهِمْ﴾ رُقُودًا إِلَىٰ أَنْ بَعَثَهُمُ اللهُ، لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، وَإِلَىٰ أَنْ أَعْثَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَعْثَرَ..

﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: ٢٥] ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَتِسْعَ سِنِينَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الكهف: ٢٦].

﴿قُلِ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ بَعْدَ أَنْ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمْ، مِنْ بَعْدِ أَنْ بَعَثَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِهِمْ

هَذَا، لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، وَغَيْرُ مَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ ذَلِكَ..

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ للهِ عِلْمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، يَقُولُ: فَسَلِّمُوا لَهُ عِلْمَ مَبْلَغِ مَا لَبِثَتِ الْفِتْيَةُ فِي الْكَهْفِ إِلَىٰ يَوْمِكُمْ هَذَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ سِوَىٰ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ..

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ أَبْصِرْ بِاللهِ وَأَسْمِعْ، وَذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدْحِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا أَبْصَرَهُ وَأَسْمَعَهُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: مَا أَبْصَرَ اللهَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ..

﴿مَا لَهُم﴾ مَا لِخَلْقِهِ..

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ دُونَ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ..

﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يَلِي أَمْرَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ، وَصَرْفَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مُصَرَّفُونَ..

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾ وَلَا يَجْعَلُ اللهُ فِي قَضَائِهِ، وَحُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ..

﴿أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: ٢٦] سِوَاهُ شَرِيكًا، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ فِيهِمْ، وَتَدْبِيرِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ.

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [الكهف: ٢٧].

﴿وَٱتۡلُ﴾ وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..

﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾ هَذَا، وَلَا تَتْرُكَنَّ تِلَاوَتَهُ وَاتِّبَاعَ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَالْعَمَلِ بِحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَصِيرَ مَنْ خَالَفَهُ، وَتَرَكَ اتِّبَاعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ..

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لَا مُغَيِّرَ لِمَا أَوْعَدَ بِكَلِمَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْكَ أَهْلَ مَعَاصِيهِ، وَالْعَامِلِينَ بِخِلَافِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ إِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ فَتَتْبَعُهُ وَتَأْتَمُّ بِهِ، فَنَالَكَ وَعِيدُ اللهِ الَّذِي أَوْعَدَ فِيهِ الْمُخَالِفِينَ حُدُودَهُ، لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [الكهف: ٢٧] مَوْئِلًا تَئِلُ إِلَيْهِ، وَمَعْدِلًا تَعْدِلُ عَنْهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللهِ مُحِيطَةٌ بِكَ وَبِجَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْهَرَبِ مِنْ أَمْرٍ أَرَادَ بِهِ.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾

[الكهف: ٢٨].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿نَفۡسَكَ مَعَ﴾ أَصْحَابِكَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ بِذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَغَيْرِهَا..

﴿يُرِيدُونَ﴾ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿وَجۡهَهُۥ﴾ لَا يُرِيدُونَ عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ وَلَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَصْبِرَ نَفْسَكَ مَعَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا تُجَاوِزْهُمْ إِلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَدَوْتُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَعْدُوهُ: إِذَا جَاوَزْتُهُ..

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ مُجَالَسَةَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءِ الْأَشْرَافِ.. وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ -فِيمَا ذُكِرَ- قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ مِنْ عُظَمَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مِمَّنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُمْ بِالْإِسْلَامِ، فَرَأَوْهُ جَالِسًا مَعَ خَبَّابٍ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِيمَهُمْ عَنْهُ إِذَا حَضَرُوا، قَالُوا: فَهَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثُمَّ كَانَ يَقُومُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، وَيَتْرُكُهُمْ قُعُودًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] الْآيَةَ، ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨] يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مُجَالَسَةَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءِ الْأَشْرَافِ..

﴿وَلَا تُطِعۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ مَنْ شَغَلْنَا قَلْبَهُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ سَأَلُوكَ طَرْدَ الرَّهْطِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ عَنْكَ..

﴿عَن ذِكۡرِنَا﴾ بِالْكُفْرِ وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِ..

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وَتَرَكَ اتِّبَاعَ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَآثَرَ هَوَىٰ نَفْسِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ: عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَذَوُوهُمْ..

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الَّذِي أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا فِي الرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ وَاحْتِقَارِ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] سَرَفًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ، فَضَيَّعَ بِذَلِكَ الْحَقَّ وَهَلَكَ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿وَقُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَإِلَيْهِ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ، وَبِيَدِهِ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ لِلرَّشَادِ فَيُؤْمِنُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الْهُدَىٰ فَيَكْفُرُ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَسْتُ بِطَارِدٍ لِهَوَاكُمْ مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ مُتَّبِعًا، وَبِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُؤْمِنًا..

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ فَإِنْ شِئْتُمْ فَآمِنُوا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَاكْفُرُوا..

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ كَفَرْتُمْ فَقَدْ أَعَدَّ لَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ نَارًا أَحَاطَ بِكُمْ سُرَادِقُهَا، وَذَلِكَ فِيمَا قِيلَ: حَائِطٌ مِنْ نَارٍ يُطِيفُ بِهِمْ كَسُرَادِقِ الْفُسْطَاطِ، وَهِيَ الْحُجْرَةُ الَّتِي تُطِيفُ بِالْفُسْطَاطِ، وَإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ وَعَمِلْتُمْ بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ لَكُمْ مَا وَصَفَ اللهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ وَإِنْ يَسْتَغِثْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ مِنْ شِدَّةِ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ، فَيَطْلُبُونَ الْمَاءَ..

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ يُغَاثُوا بِمَاءِ الْمُهْلِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أُذِيبَ وَانْمَاعَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ الْأَسْوَدُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بِهَا أَلْفَاظُ قَائِلِيهَا، فَمُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا أُذِيبَ مِنْ رَصَاصٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَقَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهُ، وَأَنَّ مَا أُوقِدَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ حَتَّىٰ صَارَ كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ، فَقَدِ انْتَهَىٰ أَيْضًا حَرُّهُ..

﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ﴾ يَشْوِي ذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُغَاثُونَ بِهِ وُجُوهَهُمْ..

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هَذَا الْمَاءُ الَّذِي يُغَاثُ بِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ فِي جَهَنَّمَ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وُصِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَسَآءَتْ﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أَعْتَدْنَاهَا لِهَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ..

﴿مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] وَالْمُرْتَفَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُتَّكَأُ، يُقَالُ مِنْهُ: ارْتَفَقْتُ إِذَا اتَّكَأْتُ، وَقَدِ ارْتَفَقَ الرَّجُلُ: إِذَا بَاتَ عَلَىٰ مِرْفَقِهِ لَا يَأْتِيهِ نَوْمٌ، وَهُوَ مُرْتَفِقٌ، وَإِمَّا مِنَ الرِّفْقِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: قَدِ ارْتَفَقْتُ بِكَ مُرْتَفَقًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَأَيْنَ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا، فَتَرَكَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ، وَاعْتَمَدَ عَلَىٰ الثَّانِي بِنِيَّةِ التَّكْرِيرِ، كَمَا قِيلَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، بِمَعْنَىٰ: عَنْ قِتَالٍ فِيهِ، عَلَىٰ التَّكْرِيرِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جَزَاءً، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَـ(إِنَّا) لَا نُضِيعُ أَجْرَهُ، فَتُضْمَرُ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّا﴾.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهَا: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ [الكهف: ٣١]، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، وَانْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾ ثَوَابَ..

﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] فَأَطَاعَ اللهَ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، بَلْ نُجَازِيهِ بِطَاعَتِهِ وَعَمَلِهِ الْحَسَنَ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ يَعْنِي بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ فِي الْآخِرَةِ..

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ تَجْرِي مِنْ دُونِهِمْ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْأَنْهَارُ..

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ يَلْبَسُونَ فِيهَا مِنَ الْحُلِيِّ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْأَسَاوِرُ: جَمْعُ إِسْوَارٍ..

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ﴾ السُّنْدُسُ: جَمْعٌ، وَاحِدُهَا سُنْدُسَةٌ، وَهِيَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ..

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وَالْإِسْتَبْرَقُ: مَا غَلُظَ مِنْهُ وَثَخُنَ..

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ مُتَّكِئِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وَهِيَ السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ، وَاحِدَتُهَا: أَرِيكَةٌ.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ، وَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣١] وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ فِي هَذِهِ الْجِنَانِ الَّتِي وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُتَّكَأً، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴿٣١﴾﴾ فَأَنَّثَ الْفِعْلَ بِمَعْنَىٰ: وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ مُرْتَفَقًا، وَلَوْ ذُكِّرَ لِتَذْكِيرِ الْمُرْتَفَقِ كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ (نِعْمَ) وَ(بِئْسَ) إِنَّمَا تُدْخِلُهُمَا الْعَرَبُ فِي الْكَلَامِ لِتَدُلَّا عَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ لَا لِلْفِعْلِ، فَلِذَلِكَ تُذَكِّرُهُمَا مَعَ الْمُؤَنَّثِ، وَتُوَحِّدُهُمَا مَعَ الِاثْنَيْنِ وَالْجَمَاعَةِ.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴿٣٢﴾﴾ [الكهف: ٣٢].

﴿۞ وَٱضْرِبْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَطْرُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ..

﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ جَعَلْنَا لَهُ بُسْتَانَيْنِ..

﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ مِنْ كُرُومٍ..

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وَأَطَفْنَا هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ بِنَخْلٍ..

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴿٣٢﴾﴾ [الكهف: ٣٢] وَجَعَلْنَا وَسَطَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ زَرْعًا.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٣].

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ كِلَا الْبُسْتَانَيْنِ أَطْعَمَ ثَمَرَهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْغُرُوسِ مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ وَصُنُوفِ الزَّرْعِ.. وَقَالَ: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ءَاتَتْ﴾، فَوَحَّدَ الْخَبَرَ، لِأَنَّ كِلْتَا لَا يُفْرَدُ وَاحِدَتُهَا، وَأَصْلُهُ كُلٌّ، وَقَدْ تَفْرِدُ الْعَرَبُ كِلْتَا أَحْيَانًا، وَيَذْهَبُونَ بِهَا وَهِيَ مُفْرَدَةٌ إِلَى التَّثْنِيَةِ..

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ وَلَمْ تَنْقُصْ مِنَ الْأَكْلِ شَيْئًا، بَلْ أَتَتْ ذَلِكَ تَامًّا كَامِلًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ظَلَمَ فُلَانٌ فُلَانًا حَقَّهُ: إِذَا بَخَسَهُ وَنَقَصَهُ..

﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ وَسَيَّلْنَا، فَثَقَّلَ الْجِيمَ مِنْهُ، لِأَنَّ التَّفْجِيرَ فِي النَّهْرِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمِيدُ مَاءً فَيَسِيلُ بَعْضُهُ بَعْضًا..

﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣﴾ [الكهف: ٣٣] خِلَالَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ نَهْرًا، يَعْنِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَشْجَارِهِمَا نَهْرًا.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤].

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مِنْ جَنَّتَيْهِ..

﴿ثَمَرٞ﴾ أَنْوَاعٌ مِنَ الثِّمَارِ، فَكَانَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْكُرُومِ وَالنَّخْلِ وَالزَّرْعِ ثَمَرٌ..

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ فَقَالَ هَذَا الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، لِصَاحِبِهِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَهُوَ يُخَاطِبُهُ..

﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤] وَأَعَزُّ عَشِيرَةً وَرَهْطًا، كَمَا قَالَ عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: (**نَحْنُ سَادَاتُ الْعَرَبِ، وَأَرْبَابُ الْأَمْوَالِ، فَنَحِّ عَنَّا سَلْمَانَ وَخَبَّابًا وَصُهَيْبًا**)، احْتِقَارًا لَهُمْ، وَتَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾ [الكهف: ٣٥].

﴿وَدَخَلَ﴾ هَذَا الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ..

﴿جَنَّتَهُۥ﴾ بُسْتَانَهُ..

﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ وَظُلْمُهُ نَفْسَهُ: كُفْرُهُ بِالْبَعْثِ، وَشَكُّهُ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، وَنِسْيَانُهُ الْمَعَادَ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ، فَأَوْجَبَ لَهَا بِذَلِكَ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَمَّا عَايَنَ جَنَّتَهُ، وَرَآهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ شَكًّا فِي الْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ..

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿أَبَدٗا ٣٥﴾ [الكهف: ٣٥] وَلَا تَفْنَىٰ وَلَا تُخَرَّبُ.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ [الكهف: ٣٦].

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي وَعَدَ اللهُ خَلْقَهُ الْحَشْرَ فِيهَا..

﴿قَآئِمَةٗ﴾ تَقُومُ فَتَحْدُثُ، ثُمَّ تَمَنَّىٰ أُمْنِيَةً أُخْرَىٰ عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُ..

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُوقِنٍ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ..

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِي هَذِهِ عِنْدَ اللهِ..

﴿مُنقَلَبًا ۝٣٦﴾ [الكهف: ٣٦] إِنْ رُدِدْتُ إِلَيْهِ مَرْجِعًا وَمَرَدًّا، يَقُولُ: لَمْ يُعْطِنِي هَذِهِ الْجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَلِي عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَعَادِ إِنْ رُدِدْتُ إِلَيْهِ.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾ [الكهف: ٣٧].

﴿قَالَ لَهُۥ﴾ قَالَ لِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ..

﴿صَاحِبُهُۥ﴾ الَّذِي هُوَ أَقَلُّ مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا..

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ وَهُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُكَلِّمُهُ..

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يَعْنِي خَلَقَ أَبَاكَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ..

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثُمَّ أَنْشَأَكَ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ..

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾ [الكهف: ٣٧] ثُمَّ عَدَّلَكَ بَشَرًا سَوِيًّا رَجُلًا، ذَكَرًا لَا أُنْثَىٰ، يَقُولُ: أَكَفَرْتَ بِمَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا أَنْ يُعِيدَكَ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَا تَصِيرُ رُفَاتًا.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٣٨﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أَمَّا أَنَا فَلَا أَكْفُرُ بِرَبِّي، وَلَكِنْ أَنَا أَقُولُ..

﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٣٨﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ وَهَلَّا إِذْ دَخَلْتَ بُسْتَانَكَ، فَأَعْجَبَكَ مَا رَأَيْتَ مِنْهُ..

﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ كَانَ، وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ جَوَابُ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ (كَانَ)..

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لَا قُوَّةَ عَلَىٰ مَا نُحَاوِلُ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَّا بِهِ..

﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾ [الكهف: ٣٩] وَهُوَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَلَا عَشِيرَةَ، مِثْلُ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُوَ مِثْلُ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ، يَقُولُ: قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْكَافِرِ:

إِنْ تَرَنِ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [الكهف: ٤٠].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الْمُؤْمِنِ الْمُوقِنِ لِلْمَعَادِ إِلَىٰ اللهِ لِلْكَافِرِ الْمُرْتَابِ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ: إِنْ تَرَنِ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فِي الدُّنْيَا، فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَرْزُقَنِي خَيْرًا مِنْ بُسْتَانِكَ هَذَا..

﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ عَلَىٰ جَنَّةِ الْكَافِرِ الَّتِي قَالَ لَهَا: مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا..

﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ تُرْمَىٰ بِهِ رَمْيًا وَتُقْذَفُ، وَالْحُسْبَانُ: جَمْعُ حُسْبَانَةٍ، وَهِيَ الْمَرَامِي..

﴿فَتُصۡبِحَ﴾ فَتُصْبِحَ جَنَّتُكَ هَذِهِ أَيُّهَا الرَّجُلُ..

﴿صَعِيدٗا﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا شَيْءَ فِيهَا، قَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَا فِيهَا مِنْ غَرْسٍ وَنَبْتٍ، وَعَادَتْ خَرَابًا بَلَاقِعَ..

﴿زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [الكهف: ٤٠] لَا يَثْبُتُ فِي أَرْضِهَا قَدَمٌ لِامْلِسَاسِهَا، وَدُرُوسِ مَا كَانَ نَابِتًا فِيهَا.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف: ٤١].

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَائِرًا، ذَاهِبًا، قَدْ غَارَ فِي الْأَرْضِ، فَذَهَبَ فَلَا تَلْحَقُهُ الرِّشَاءُ، فَوَضَعَ الْغَوْرَ وَهُوَ مَصْدَرٌ مَكَانَ الْغَائِرِ.. وَالْعَرَبُ تُوَحِّدُ الْغَوْرَ مَعَ الْجَمْعِ وَالِاثْنَيْنِ، وَتُذَكِّرُ مَعَ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، تَقُولُ: مَاءٌ غَوْرٌ، وَمَاءَانِ غَوْرٌ وَمِيَاهٌ غَوْرٌ..

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف: ٤١] فَلَنْ تُطِيقَ أَنْ تُدْرِكَ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ فِي جَنَّتِكَ بَعْدَ غَوْرِهِ، بِطَلَبِكَ إِيَّاهُ.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢].

﴿وَأُحِيطَ﴾ وَأَحَاطَ الْهَلَاكُ وَالْجَوَائِحُ..

﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ وَهِيَ صُنُوفُ ثِمَارِ جَنَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُولُ لَهَا: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف: ٣٥]..

﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ فَأَصْبَحَ هَذَا الْكَافِرُ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، تَلَهُّفًا وَأَسَفًا عَلَىٰ ذَهَابِ نَفَقَتِهِ الَّتِي أَنْفَقَ فِي جَنَّتِهِ..

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ وَهِيَ خَالِيَةٌ عَلَىٰ نَبَاتِهَا وَبُيُوتِهَا..

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٢] يَتَمَنَّىٰ هَذَا الْكَافِرُ بَعْدَ مَا أُصِيبَ بِجَنَّتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَانَ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ أَحَدًا، يَعْنِي بِذَلِكَ: هَذَا الْكَافِرُ إِذَا هَلَكَ وَزَالَتْ عَنْهُ دُنْيَاهُ وَانْفَرَدَ بِعَمَلِهِ، وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَفَرَ بِاللهِ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ..

﴿فِئَةٞ﴾ وَهُمُ الْجَمَاعَةُ..

﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ يَمْنَعُونَهُ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ وَعَذَّبَهُ..

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣] وَلَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا عَذَّبَهُ.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف: ٤٤].

﴿هُنَالِكَ﴾ ثَمَّ، وَذَلِكَ حِينَ حَلَّ عَذَابُ اللهِ بِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ فِي الْقِيَامَةِ..

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ الْمُوَالَاةُ للهِ، كَقَوْلِ اللهِ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد: ١١] يَذْهَبُونَ بِهَا إِلَىٰ الْوَلَايَةِ فِي الدِّينِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (الْوِلَايَةُ) بِكَسْرِ الْوَاوِ: مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَلِيتُ عَمَلَ كَذَا، أَوْ بَلْدَةَ كَذَا أَلِيهِ وِلَايَةً، وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَقَّبَ ذَلِكَ خَبَرَهُ عَنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّ مَنْ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا نَاصِرَ لَهُ يَوْمَئِذٍ، فَاتِّبَاعُ ذَلِكَ الْخَبَرِ عَنِ انْفِرَادِهِ بِالْمَمْلَكَةِ وَالسُّلْطَانِ أَوْلَىٰ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الْمُوَالَاةِ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ وَلَا مَعْنًىٰ، لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا يُسَمَّىٰ سُلْطَانُ اللهِ وِلَايَةً، وَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ ذَلِكَ سُلْطَانُ الْبَشَرِ، لِأَنَّ الْوِلَايَةَ مَعْنَاهَا أَنَّهُ يَلِي أَمْرَ خَلْقِهِ مُنْفَرِدًا بِهِ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا أَنَّهُ يَكُونُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ..

﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ مِنْ نَعْتِ اللهِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ للهِ الْحَقِّ أُلُوهِيَّتُهُ، لَا الْبَاطِلِ بِطُولِ أُلُوهِيَّتِهِ الَّتِي يَدْعُوهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ آلِهَةً..

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ خَيْرٌ لِلْمُنِيبِينَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ..

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤] وَخَيْرُهُمْ عَاقِبَةً فِي الْآجِلِ إِذَا صَارَ إِلَيْهِ الْمُطِيعُ لَهُ، الْعَامِلُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ، وَالْمُنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ.. وَالْعُقْبُ هُوَ الْعَاقِبَةُ، يُقَالُ: عَاقِبَةُ أَمْرِ كَذَا وَعُقْبَاهُ وَعُقْبُهُ، وَذَلِكَ آخِرُهُ وَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم﴾ وَاضْرِبْ لِحَيَاةِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ: اطْرُدْ عَنْكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ..

﴿مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ شَبَهًا لِلدُّنْيَا..

﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كَمَطَرٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَاخْتَلَطَ بِالْمَاءِ نَبَاتُ الْأَرْضِ..

﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا﴾ فَأَصْبَحَ نَبَاتُ الْأَرْضِ يَابِسًا مُتَفَتِّتًا..

﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ تُطَيِّرُهُ الرِّيَاحُ وَتُفَرِّقُهُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ تَخْرِيبِ جَنَّةِ هَذَا الْقَائِلِ حِينَ دَخَلَ جَنَّتَهُ: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الكهف: ٣٥- ٣٦]، وَإِهْلَاكِ أَمْوَالِ ذِي الْأَمْوَالِ الْبَاخِلِينَ بِهَا عَنْ حُقُوقِهَا، وَإِزَالَةِ دُنْيَا الْكَافِرِينَ بِهِ عَنْهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يُعْيِيهِ أَمْرٌ أَرَادَهُ، يَقُولُ: فَلَا يَفْخَرْ ذُو الْأَمْوَالِ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ، وَلَا يَسْتَكْبِرْ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِهَا، وَلَا يَغْتَرَّنَّ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ، فَإِنَّمَا مَثَلُهَا مَثَلُ هَذَا النَّبَاتِ الَّذِي حَسُنَ اسْتِوَاؤُهُ بِالْمَطَرِ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا رَيْثَ أَنِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَتَنَاهَىٰ نِهَايَتَهُ، عَادَ يَابِسًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، فَاسِدًا، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاظِرِينَ، وَلَكِنْ لِيَعْمَلْ لِلْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَىٰ، وَالدَّائِمِ الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ، وَيَتَكَبَّرَانِ بِهَا عَلَىٰ سَلْمَانَ وَخَبَّابٍ وَصُهَيْبٍ..

﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِمَّا يَتَزَيَّنُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَا مِنْ عِدَادِ الْآخِرَةِ..

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وَمَا يَعْمَلُ سَلْمَانُ وَخَبَّابٌ وَصُهَيْبٌ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَدُعَائِهِمْ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، الْبَاقِي لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَعْدَ فَنَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ الَّتِي يَفْتَخِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهَا، الَّتِي تَفْنَىٰ فَلَا تَبْقَىٰ لِأَهْلِهَا..

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف: ٤٦] وَمَا يُؤَمِّلُ مِنْ ذَلِكَ سَلْمَانُ وَصُهَيْبٌ وَخَبَّابٌ، خَيْرٌ مِمَّا يُؤَمِّلُ عُيَيْنَةُ وَالْأَقْرَعُ مِنْ أَمْوَالِهِمَا وَأَوْلَادِهِمَا.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ عَنِ الْأَرْضِ، فَنَبُسُّهَا بَسًّا، وَنَجْعَلُهَا هَبَاءً مُنْبَثًّا..

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظَاهِرَةً، وَظُهُورُهَا لِرَأْيِ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَسْتُرُهَا مِنْ جَبَلٍ وَلَا شَجَرٍ هُوَ بُرُوزُهَا..

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جَمَعْنَاهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧] فَلَمْ نَتْرُكْ، وَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ أَحَدًا.

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ وَعُرِضَ الْخَلْقُ عَلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ صَفًّا..

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يُقَالُ لَهُمْ إِذْ عُرِضُوا عَلَىٰ اللهِ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا أَيُّهَا النَّاسُ أَحْيَاءً.. وَحُذِفَ (يُقَالُ) مِنَ الْكَلَامِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِأَنَّهُ مُرَادٌ فِي الْكَلَامِ..

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كَهَيْئَتِكُمْ حِينَ خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف: ٤٨] هَذَا الْكَلَامُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنْ خِطَابِ اللهِ بِهِ الْجَمِيعَ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْخُصُوصُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ خَلْقٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ يَوْمَئِذٍ لِمَنْ وَرَدَهَا مِنْ أَهْلِ التَّصْدِيقِ بِوَعْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَهْلِ الْيَقِينِ فِيهَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالْحَشْرَ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُكَذِّبًا بِالْبَعْثِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

[الكهف: ٤٩].

﴿وَوُضِعَ﴾ وَوَضَعَ اللهُ يَوْمَئِذٍ..

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ كِتَابُ أَعْمَالِ عِبَادِهِ فِي أَيْدِيهِمْ، فَأَخَذَ وَاحِدٌ بِيَمِينِهِ، وَأَخَذَ وَاحِدٌ بِشِمَالِهِ..

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿مُشْفِقِينَ﴾ خَائِفِينَ وَجِلِينَ..

﴿مِمَّا فِيهِ﴾ مَكْتُوبٌ مِنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا أَنْ يُؤَاخَذُوا بِهَا..

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إِذَا قَرَءُوا كِتَابَهُمْ، وَرَأَوْا مَا قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ صغائرِ ذُنُوبِهِمْ وَكَبَائِرِهَا..

﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ نَادَوْا بِالْوَيْلِ حِينَ أَيْقَنُوا بِعَذَابِ اللهِ، وَضَجُّوا مِمَّا قَدْ عَرَفُوا مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي قَدْ أَحْصَاهَا كِتَابُهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُنْكِرُوا صِحَّتَهَا..

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ مَا شَأْنُ هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ لَا يُبْقِي صَغِيرَةً مِنْ ذُنُوبِنَا وَأَعْمَالِنَا..

﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِنْهَا..

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ إِلَّا حَفِظَهَا..

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ..

﴿حَاضِرًاۗ﴾ فِي كِتَابِهِمْ ذَلِكَ مَكْتُوبًا مُثْبَتًا، فَجُوزُوا بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَالْحَسَنَةِ مَا اللهُ جَازِيهِمْ بِهَا..

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] وَلَا يُجَازِي رَبُّكَ أَحَدًا -يَا مُحَمَّدُ- بِغَيْرِ مَا هُوَ أَهْلُهُ، لَا يُجَازِي بِالْإِحْسَانِ إِلَّا أَهْلَ الْإِحْسَانِ، وَلَا بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا أَهْلَ السَّيِّئَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُذَكِّرًا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حَسَدَ إِبْلِيسَ أَبَاهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ كِبْرِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ عَلَيْهِ حِينَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَأَنَّهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ لَهُمْ عَلَى مِثْلِ الَّذِي

كَانَ عَلَيْهِ لِأَبِيهِمْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ الَّذِي يُطِيعُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ اسْتِكْبَارًا عَلَىٰ اللهِ، وَحَسَدًا لِآدَمَ..

﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فَخَرَجَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَعَدَلَ عَنْهُ وَمَالَ، وَكَذَلِكَ الْفِسْقُ فِي الدِّينِ إِنَّمَا هُوَ الِانْعِدَالُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْمَيْلُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: **(عَصَىٰ فِي السُّجُودِ لِآدَمَ)**..

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ أَفَتُوَالُونَ يَا بَنِي آدَمَ مَنِ اسْتَكْبَرَ عَلَىٰ أَبِيكُمْ وَحَسَدَهُ، وَكَفَرَ نِعْمَتِي عَلَيْهِ، وَغَرَّهُ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِ عَيْشِهِ فِيهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ وَضِيقِ الْعَيْشِ فِيهَا، وَتُطِيعُونَهُ..

﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ مِنْ دُونِ اللهِ.. وَذُرِّيَّةُ إِبْلِيسَ: الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ يُغْرُونَ بَنِي آدَمَ..

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ مَعَ عَدَاوَتِهِ لَكُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَتَتْرُكُونَ طَاعَةَ رَبِّكُمُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَأَكْرَمَكُمْ، بِأَنْ أَسْجَدَ لِوَالِدِكُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّاتِهِ، وَآتَاكُمْ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمِهِ مَا لَا يُحْصَىٰ عَدَدُهُ..

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠] بِئْسَ الْبَدَلُ لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ اتِّخَاذُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ، مِنْ تَرْكِهِمُ اتِّخَاذَ اللهِ وَلِيًّا بِاتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَهُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَبِيهِمْ آدَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ، الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاضِلِ مَا لَا يُحْصَىٰ بَدَلًا.

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾

[الكهف: ٥١].

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ مَا أَشْهَدْتُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ..

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مَا أَحْضَرْتُهُمْ ذَلِكَ فَأَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَىٰ خَلْقِهَا..

﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وَلَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ أَيْضًا خَلْقَ بَعْضٍ مِنْهُمْ، فَأَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بَلْ تَفَرَّدْتُ بِخَلْقِ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ، يَقُولُ: فَكَيْفَ اتَّخَذُوا عَدُوَّهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي، وَهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ أَمْثَالِهِمْ، وَتَرَكُوا عِبَادَتِي وَأَنَا الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ، وَخَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ يُوَالُونَهُ مِنْ دُونِي مُنْفَرِدًا بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ..

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ يَضِلُّ، فَمَنْ تَبِعَهُ يَجُورُ بِهِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿عَضُدًا ۝٥١﴾ [الكهف: ٥١] أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ يُعَضِّدُ فُلَانًا، إِذَا كَانَ يُقَوِّيهِ وَيُعِينُهُ.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ..

﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ادْعُوا الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي الْعِبَادَةِ لِيَنْصُرُوكُمْ وَيَمْنَعُوكُمْ مِنِّي..

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ فَاسْتَغَاثُوا بِهِمْ..

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فَلَمْ يُغِيثُوهُمْ..

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢] وَجَعَلْنَا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ لَهُمْ مَهْلِكًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: وَجَعَلْنَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَئِذٍ عَدَاوَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اسْمُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، أَنَّهُ الْمُهْلِكُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الشورى: ٣٤]، بِمَعْنَى: يُهْلِكُهُنَّ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَهْلِكُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، هُوَ الْوَادِي الَّذِي ذُكِرَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْعَدَاوَةَ.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣].

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ وَعَايَنَ الْمُشْرِكُونَ النَّارَ يَوْمَئِذٍ..

﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ دَاخِلُوهَا..

﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣] وَلَمْ يَجِدُوا عَنِ النَّارِ الَّتِي رَأَوْا مَعْدِلًا يَعْدِلُونَ عَنْهَا إِلَيْهِ، يَقُولُ: لَمْ يَجِدُوا مِنْ مُوَاقَعَتِهَا بُدًّا، لِأَنَّ اللهَ قَدْ حَتَّمَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وَلَقَدْ مَثَّلْنَا..

﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ وَوَعَظْنَاهُمْ فِيهِ مِنْ كُلِّ عِظَةٍ، وَاحْتَجَجْنَا عَلَيْهِمْ فِيهِ بِكُلِّ حُجَّةٍ لِيَتَذَكَّرُوا فَيُنِيبُوا، وَيَعْتَبِرُوا فَيَتَّعِظُوا، وَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤] وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ مِرَاءً وَخُصُومَةً، لَا يُنِيبُ لِحَقٍّ، وَلَا يَنْزَجِرُ لِمَوْعِظَةٍ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ [الكهف: ٥٥].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ الْإِيمَانَ بِاللهِ..

﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ بَيَانُ اللهِ، وَعَلِمُوا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَحَقِيقَتَهُ..

﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ شِرْكِهِمْ..

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إِلَّا مَجِيئُهُمْ سُنَّتَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا قَبْلَهُمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ [الكهف: ٥٥] أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ عِيَانًا، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانٌ وَضُرُوبٌ، وَالْقُبُلَ جَمْعُ قَبِيلٍ، كَمَا يُجْمَعُ الْقَتِيلُ: الْقُتُلُ، وَالْجَدِيدُ: الْجُدُدُ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ۝٥٦﴾ [الكهف: ٥٦].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ وَمَا نُرْسِلُ إِلَّا لِيُبَشِّرُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ وَلِيُنْذِرُوا أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَالتَّكْذِيبِ عَظِيمَ عِقَابِهِ، وَأَلِيمَ عَذَابِهِ، فَيَنْتَهُوا عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَيَنْزَجِرُوا عَنِ الْكُفْرِ بِهِ وَمَعَاصِيهِ..

﴿وَيُجَٰدِلُ﴾ وَيُخَاصِمُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كَقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنَا عَنْ حَدِيثِ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ يُدْرَ مَا

شَأْنُهُمْ، وَعَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَعَنِ الرُّوحِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يُخَاصِمُونَهُ بِهِ، يَبْتَغُونَ إِسْقَاطَهُ، تَعْنِيتًا لَهُ ﷺ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا نَبْعَثُ إِلَيْكُمْ رُسُلَنَا لِلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَإِنَّمَا نَبْعَثُهُمْ مُبَشِّرِينَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرِينَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالنَّارِ، وَأَنْتُمْ تُجَادِلُونَهُمْ بِالْبَاطِلِ طَلَبًا مِنْكُمْ بِذَلِكَ أَنْ تُبْطِلُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولِي..

﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ لِيُبْطِلُوا بِهِ الْحَقَّ، وَيُزِيلُوهُ وَيَذْهَبُوا بِهِ.. يُقَالُ مِنْهُ: دَحَضَ الشَّيْءُ: إِذَا زَالَ وَذَهَبَ، وَيُقَالُ: هَذَا مَكَانٌ دَحْضٌ: أَيْ مُزِلٌّ مُزْلِقٌ لَا يَثْبُتُ فِيهِ خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا قَدَمٌ..

﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾ الْكَافِرُونَ بِاللهِ..

﴿ءَايَٰتِي﴾ حُجَجَهُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَكِتَابَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ وَالنُّذُرَ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا..

﴿هُزُوٗا ٥٦﴾ [الكهف: ٥٦] سِخْرِيًّا يَسْخَرُونَ بِهَا، يَقُولُونَ: إِنْ هَذَا إِلَّا ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: ٥] وَ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾

[الكهف: ٥٧].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ وَأَيُّ النَّاسِ أَوْضَعُ لِلْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمَا..

﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ مِمَّنْ ذَكَّرَهُ بِآيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، فَدَلَّهُ بِهَا عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَهَدَاهُ بِهَا إِلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ..

﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، الَّتِي فِي اسْتِدْلَالِهِ بِهَا الْوُصُولُ إِلَىٰ الْخَلَاصِ مِنَ الْهَلَاكِ..

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ وَنَسِيَ مَا أَسْلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُهْلِكَةِ فَلَمْ يَتُبْ، وَلَمْ يُنِبْ..

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا..

﴿أَكِنَّةً﴾ أَغْطِيَةً..

﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ لِئَلَّا يَفْقَهُوهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ أَنْ يَفْقَهُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلًا لِئَلَّا يَسْمَعُوهُ..

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ وَإِنْ تَدْعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللهِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا..

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إِلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ مَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ فَلَنْ يَسْتَقِيمُوا..

﴿إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ [الكهف: ٥٧] عَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ، لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨﴾ [الكهف: ٥٨].

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ السَّاتِرُ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَىٰ ذُنُوبِ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ إِذَا تَابُوا مِنْهُمْ..

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾ بِهِمْ..

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِهِ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا..

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بِمَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ..

﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ﴾ وَلَكِنَّهُ لِرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ غَيْرُ فَاعِلٍ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَىٰ مِيقَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ..

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ لَكِنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ، وَذَلِكَ مِيقَاتُ مَحَلِّ عَذَابِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ بَدْرٍ..

﴿لَّن يَجِدُواْ﴾ لَنْ يَجِدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنْ لَمْ يُعَجِّلْ لَهُمُ الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دُونِ الْمَوْعِدِ الَّذِي جَعَلْتُهُ مِيقَاتًا لِعَذَابِهِمْ..

﴿مَوْئِلًا ۝٥٨﴾ [الكهف: ٥٨] يَلْجَئُونَ إِلَيْهِ، وَمَنْجًىٰ يَنْجُونَ مَعَهُ، يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَعْقِلًا يَعْتَقِلُونَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ..

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا..

﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ فَكَفَرُوا بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩] مِيقَاتًا وَأَجَلًا، حِينَ بَلَغُوهُ جَاءَهُمْ عَذَابٌ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِهِ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ أَبَدًا مَوْعِدًا، إِذَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْمَوْعِدُ أَهْلَكْنَاهُمْ، سُنَّتَنَا فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

ضُرَبَائِهِمْ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يُوشَعَ..

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لَا أَزَالُ أَسِيرُ..

﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اجْتِمَاعُ بَحْرِ فَارِسَ وَالرُّومِ.. وَالْمَجْمَعُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَمَعَ يَجْمَعُ.. وَبَحْرُ الرُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَبَحْرُ فَارِسَ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ..

﴿أَوْ أَمْضِىَ﴾ أَوْ أَسِيرَ..

﴿حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠] زَمَانًا وَدَهْرًا، وَهُوَ وَاحِدٌ، وَيُجْمَعُ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ: أَحْقَابٌ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مُوسَىٰ وَفَتَاهُ..

﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ..

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: (أَضَلَّاهُ).. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: إِنَّ الْحُوتَ كَانَ مَعَ يُوشَعَ، وَهُوَ الَّذِي نَسِيَهُ، فَأُضِيفَ النِّسْيَانُ إِلَيْهِمَا، كَمَا قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ، وَإِنَّمَا جَازَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: ﴿نَسِيَا﴾؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا جَمِيعًا تَزَوَّدَاهُ لِسَفَرِهِمَا، فَكَانَ حَمْلُ أَحَدِهِمَا ذَلِكَ مُضَافًا إِلَىٰ أَنَّهُ حَمْلٌ مِنْهُمَا، كَمَا يُقَالُ: خَرَجَ الْقَوْمُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، وَحَمَلُوا مَعَهُمْ كَذَا مِنَ الزَّادِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ أَحَدُهُم، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِهِمْ وَأَمْرِهِمْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فَكَذَلِكَ إِذَا نَسِيَهُ حَامِلُهُ فِي مَوْضِعٍ، قِيلَ: نَسِيَ الْقَوْمُ زَادَهُمْ، فَأُضِيفَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْجَمِيعِ بِنِسْيَانِ حَامِلِهِ ذَلِكَ، فَيَجْرِي الْكَلَامُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَالْفِعْلُ مِنْ وَاحِدٍ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ خَاطَبَ الْعَرَبَ بِلُغَتِهَا، وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، فَإِنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِخِلَافِ مَا قَالَ فِيهِ، وَسَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ..

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١] يَعْنِي أَنَّ الْحُوتَ اتَّخَذَ طَرِيقَهُ الَّذِي سَلَكَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَيَعْنِي بِالسَّرَبِ: الْمَسْلَكُ وَالْمَذْهَبُ، يَسْرُبُ فِيهِ: يَذْهَبُ فِيهِ وَيَسْلُكُهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَ

أَهْلُ الْعِلْمِ فِي صِفَةِ اتِّخَاذِهِ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَارَ طَرِيقُهُ الَّذِي يَسْلُكُ فِيهِ كَالْحَجَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ صَارَ طَرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ مَاءً جَامِدًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ صَارَ طَرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ حَجَرًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّمَا اتَّخَذَ سَبِيلَهُ سَرَبًا فِي الْبَرِّ إِلَىٰ الْمَاءِ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيْهِ لَا فِي الْبَحْرِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَاتَّخَذَ الْحُوتُ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ السَّرَبُ كَانَ بِانْجِيَابِ الْمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِجُمُودِ الْمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِتَحَوُّلِهِ حَجَرًا، وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِيهِ مَنْ قَالَ: صَارَ طَرِيقُهُ الَّذِي يَسْلُكُ فِيهِ كَالْحَجَرِ، حتىٰ رَجَعَ إِلَيهِ مُوسَىٰ فَرَأَىٰ مَسْلَكَهُ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ فَلَمَّا جَاوَزَ مُوسَىٰ وَفَتَاهُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يُوشَعَ..

﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ جِئْنَا بِغَدَائِنَا وَأَعْطِنَاهُ..

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢] لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا عَنَاءً وَتَعَبًا، وَقَالَ ذَلِكَ مُوسَىٰ، فِيمَا ذُكِرَ، بَعْدَ مَا جَاوَزَ الصَّخْرَةَ، حِينَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْجُوعُ لِيَتَذَكَّرَ الْحُوتَ، وَيَرْجِعَ إِلَىٰ مَوْضِعِ مَطْلَبِهِ.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿قَالَ﴾ فَتَىٰ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ لِنَطْعَمَ..

﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ هُنَالِكَ..

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَمَا أَنْسَانِي الْحُوتَ إِلَّا الشَّيْطَانُ..

﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ وَمَا أَنْسَانِي أَنْ أَذْكُرَ الْحُوتَ إِلَّا الشَّيْطَانُ..

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣] وَاتَّخَذَ مُوسَىٰ طَرِيقَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، فَكَانَ يُعْجَبُ مِنْهُ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**مُوسَىٰ يَعْجَبُ مِنْ أَثَرِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، وَدَوَّرَاتِهِ الَّتِي غَابَ**

فِيهَا، فَوَجَدَ عِنْدَهَا خَضِرًا).. قَالَ قَتَادَةُ: (يَعْجَبُ مِنْ سَرَبِ الْحُوتِ).. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (عَجَبٌ وَاللهِ، حُوتٌ كَانَ يُؤْكَلُ مِنْهُ أَدْهُرًا، أَيُّ شَيْءٍ أَعْجَبُ مِنْ حُوتٍ كَانَ دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ يُؤْكَلُ مِنْهُ، ثُمَّ صَارَ حَيًّا حَتَّىٰ حُشِرَ فِي الْبَحْرِ).

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝﴾ [الكهف: ٦٤].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ نِسْيَانُكَ الْحُوتَ..

﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ الَّذِي كُنَّا نَلْتَمِسُ وَنَطْلُبُ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ كَانَ قِيلَ لَهُ صَاحِبُكَ الَّذِي تُرِيدُهُ حَيْثُ تَنْسَىٰ الْحُوتَ..

﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝﴾ [الكهف: ٦٤] فَرَجَعَا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي كَانَا قَطَعَاهُ، نَاكِصَيْنِ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمَا يَقُصَّانِ آثَارَهِمَا الَّتِي كَانَا سَلَكَاهُمَا.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝﴾ [الكهف: ٦٥].

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ وَهَبْنَا لَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا..

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝﴾ [الكهف: ٦٥] وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا أَيْضًا عِلْمًا.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝﴾ [الكهف: ٦٦].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِلْعَالِمِ..

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكَ اللهُ..

﴿رُشْدًا ۝﴾ [الكهف: ٦٦] مَا هُوَ رَشَادٌ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ هُدًىٰ؟.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٦٧].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ..

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٦٧] إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ الصَّبْرَ مَعِي؛ وَذَلِكَ أَنِّي أَعْمَلُ بِبَاطِنِ عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ اللهُ، وَلَا عِلْمَ لَكَ إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَلَا تَصْبِرْ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنَ الْأَفْعَالِ.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٦٨].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ الْعَالِمِ لِمُوسَىٰ: وَكَيْفَ تَصْبِرُ يَا مُوسَىٰ..

﴿عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾ [الكهف: ٦٨] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا عِلْمَ لَكَ بِوُجُوهِ صَوَابِهَا، وَتُقِيمُ مَعِي عَلَيْهَا، وَأَنْتَ إِنَّمَا تَحْكُمُ عَلَىٰ صَوَابِ الْمُصِيبِ وَخَطَإِ الْمُخْطِئِ بِالظَّاهِرِ الَّذِي عِنْدَكَ، وَبِمَبْلَغِ عِلْمِكَ، وَأَفْعَالِي تَقَعُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ ظَاهِرٍ لِرَأْيِ عَيْنِكَ عَلَىٰ صَوَابِهَا؛ لِأَنَّهَا تُبْتَدَأُ لِأَسْبَابٍ تَحْدُثُ آجِلَةً غَيْرَ عَاجِلَةٍ، لَا عِلْمَ لَكَ بِالْحَادِثِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا غَيْبٌ، وَلَا تُحِيطُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ ﴿خُبْرًا ۝٦٨﴾، يَقُولُ: عِلْمًا.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ [الكهف: ٦٩].

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ عَلَىٰ مَا أَرَىٰ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ خِلَافًا لِمَا هُوَ عِنْدِي صَوَابٌ..

﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ [الكهف: ٦٩] وَأَنْتَهِي إِلَىٰ مَا تَأْمُرُنِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا هَوَايَ.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾ [الكهف: ٧٠].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ..

﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي﴾ الْآنَ..

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ أَعْمَلُهُ مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ، فَإِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ عَلَىٰ الْغَيْبِ الَّذِي لَا تُحِيطُ بِهِ عِلْمًا..

﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ﴾ أَنَا..

﴿لَكَ مِنْهُ﴾ مِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي أَفْعَلُهَا الَّتِي تَسْتَنْكِرُهَا..

﴿ذِكْرًا ۝٧٠﴾ [الكهف: ٧٠] أَذْكُرُهَا لَكَ وَأُبَيِّنُ لَكَ شَأْنَهَا، وَأَبْتَدِئُكَ الْخَبَرَ عَنْهَا.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۝٧١﴾ [الكهف: ٧١].

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ فَانْطَلَقَ مُوسَىٰ وَالْعَالِمُ يَسِيرَانِ يَطْلُبَانِ سَفِينَةً يَرْكَبَانِهَا..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ أَصَابَاهَا..

﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ فَلَمَّا رَكِبَاهَا..

﴿خَرَقَهَا﴾ خَرَقَ الْعَالِمُ السَّفِينَةَ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ بَعْدَ مَا لَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ..

﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧١] لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عَظِيمًا، وَفَعَلْتَ فِعْلًا مُنْكَرًا.. وَالْإِمْرُ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الدَّاهِيَةُ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَصْلُهُ: كُلُّ شَيْءٍ شَدِيدٌ كَثِيرٌ، وَيَقُولُ مِنْهُ: قِيلَ لِلْقَوْمِ: قَدْ أَمِرُوا: إِذَا كَثُرُوا وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٢].

﴿قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ، إِذْ قَالَ لَهُ مَا قَالَ..

﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٢] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ أَفْعَالِي، لِأَنَّكَ تَرَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٣].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ عليه السلام لِلْعَالِمِ..

﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ سَأَلَ صَاحِبَهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُ بِمَا نَسِيَ فِيهِ عَهْدَهُ مِنْ سُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ وَجْهِ مَا فَعَلَ وَسَبَبُهُ، لَا بِمَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَهُوَ لِعَهْدِهِ ذَاكِرٌ، لِلصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَانَتِ الْأُولَىٰ مِنْ مُوسَىٰ نِسْيَانًا..

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٣] لَا تُغْشِنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، يَقُولُ: لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ أَمْرِي مَعَكَ، وَصُحْبَتِي إِيَّاكَ.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٤].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ الْعَالِمُ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ بِمَعْنَىٰ: التَّائِبَةِ الْمَغْفُورِ لَهَا ذُنُوبَهَا.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (زَاكِيَةً) وَقَالُوا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْمُطَهَّرَةَ الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا، وَلَمْ تُذْنِبْ قَطُّ لِصِغَرِهَا.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: مَعْنَىٰ الزَّكِيَّةِ وَالزَّاكِيَةِ وَاحِدٌ، كَالْقَاسِيَةِ وَالْقَسِيَّةِ، وَيَقُولُ: هِيَ الَّتِي لَمْ تَجْنِ شَيْئًا، وَذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ عِنْدِي لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ فَرْقًا بَيْنَهُمَا فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ ذَلِكَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ لِأَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ

مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ..

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بِغَيْرِ قِصَاصٍ بِنَفْسٍ قُتِلَتْ، فَلَزِمَهَا الْقَتْلُ قَوَدًا بِهَا..

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٤] لَقَدْ جِئْتَ بِشَيْءٍ مُنْكَرٍ، وَفَعَلْتَ فِعْلًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ.. قَالَ قَتَادَةُ: (وَالنُّكْرُ أَشَدُّ مِنَ الْإِمْرِ).

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٥].

﴿۞ قَالَ﴾ الْعَالِمُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٥] عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ أَفْعَالِي الَّتِي لَمْ تُحِطْ بِهَا خُبْرًا.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَهُ..

﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بَعْدَ هَٰذِهِ الْمَرَّةِ..

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فَفَارِقْنِي، فَلَا تَكُنْ لِي مُصَاحِبًا..

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٦] قَدْ بَلَغْتَ الْعُذْرَ فِي شَأْنِي.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝﴾ [الكهف: ٧٧].

﴿فَانطَلَقَا﴾ فَانْطَلَقَ مُوسَىٰ وَالْعَالِمُ..

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يُطْعِمُوهُمَا، وَاسْتَضَافَاهُمْ..

﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ قَالَ قَتَادَةَ: (شَرُّ الْقُرَىٰ الَّتِي لا تُضِيفُ الضَّيْفَ، وَلا تَعْرِفُ لِابْنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ)..

﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ وَجَدَا فِي الْقَرْيَةِ..

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ حَائِطًا يُرِيدُ أَنْ يَسْقُطَ وَيَقَعَ، يُقَالُ مِنْهُ: انْقَضَّتِ الدَّارُ: إِذَا انْهَدَمَتْ وَسَقَطَتْ، وَمِنْهُ انْقِضَاضُ الْكَوْكَبِ، وَذَلِكَ سُقُوطُهُ وَزَوَالُهُ عَنْ مَكَانِهِ..

﴿فَأَقَامَهُ﴾ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: (هَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ يَبْنِيهِ).. وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ الْجِدَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ صَاحِبَ مُوسَىٰ وَمُوسَىٰ

وَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ صَاحِبُ مُوسَىٰ، بِمَعْنَىٰ: عَدَلَ مَيْلَهُ حَتَّىٰ عَادَ مُسْتَوِيًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَٰلِكَ بِإِصْلَاحٍ بَعْدَ هَدْمٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِرَفْعٍ مِنْهُ لَهُ بِيَدِهِ، فَاسْتَوَىٰ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَزَالَ عَنْهُ مَيْلُهُ بِلُطْفِهِ، وَلَا دَلَالَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلَا خَبَرٍ لِلْعُذْرِ قَاطِعٌ بِأَيِّ ذَٰلِكَ كَانَ مِنْ أَيٍّ..

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِصَاحِبِهِ..

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف: ٧٧] لَوْ شِئْتَ لَمْ تُقِمْ لِهَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ جِدَارَهُمْ حَتَّىٰ يُعْطُوكَ عَلَىٰ إِقَامَتِكَ أَجْرًا.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [الكهف: ٧٨].

﴿قَالَ﴾ صَاحِبُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي قُلْتَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف: ٧٧]..

﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ﴾ فُرْقَةُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَيْ مُفَرِّقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ..

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ سَأُخْبِرُكَ..

﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [الكهف: ٧٨] بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَفْعَالِي الَّتِي فَعَلْتُهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيَّ تَرْكَ الْمَسْأَلَةِ عَنْهَا، وَعَنِ النَّكِيرِ عَلَيَّ فِيهَا صَبْرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف: ٧٩].

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ أَمَّا فِعْلِي مَا فَعَلْتُ بِالسَّفِينَةِ، فَلِأَنَّهَا كَانَتْ لِقَوْمٍ مَسَاكِينَ..

﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بِالْخَرْقِ الَّذِي خَرَقْتُهَا..

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ وَكَانَ أَمَامَهُمْ وَقُدَّامَهُمْ مَلِكٌ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: هُوَ وَرَائِي، لِأَنَّكَ مِنْ وَرَائِهِ، فَأَنْتَ مُلَاقِيهِ كَمَا هُوَ مُلَاقِيكَ، فَصَارَ إِذْ كَانَ مُلَاقِيكَ، كَأَنَّهُ مِنْ وَرَائِكَ وَأَنْتَ أَمَامَهُ..

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف: ٧٩] وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَإِنَّمَا عِبْتُهَا لِأَرُدَّهُ عَنْهَا.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ [الكهف: ٨٠].

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَافِرًا، طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ..

﴿فَخَشِينَآ﴾ فَعَلِمْنَا.. وَالْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ تُوَجِّهُهُمَا الْعَرَبُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الظَّنِّ، وَتُوَجِّهُ هَذِهِ الْحُرُوفَ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُدْرَكُ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الْحِسِّ وَالْعِيَانِ..

﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أَنَّهُ يُغَشِّيهِمَا..

﴿طُغْيَٰنًا﴾ وَهُوَ الِاسْتِكْبَارُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَكُفْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٠] بِهِ.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝﴾ [الكهف: ٨١].

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَبْدَلَ أَبَوَيِ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ صَاحِبُ مُوسَىٰ مِنْهُ بِجَارِيَةٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَبْدَلَهُمَا رَبُّهُمَا بِغُلَامٍ مُسْلِمٍ.

﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ خَيْرًا مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ..

﴿زَكَوٰةً﴾ صَلَاحًا وَدِينًا..

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝﴾ [الكهف: ٨١] وَأَقْرَبُ مِنَ الْمَقْتُولِ أَنْ يَرْحَمَ وَالِدَيْهِ فَيَبَرُّهُمَا.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ وَأَمَّا الْحَائِطُ الَّذِي أَقَمْتُهُ..

﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ كَانَ مَالًا مَكْنُوزًا..

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَمَا ذُكِرَ مِنْهُمَا صَلَاحٌ)..

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يُدْرِكَا وَيَبْلُغَا قُوَّتَهُمَا وَشِدَّتَهُمَا..

﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حِينَئِذٍ..

﴿كَنزَهُمَا﴾ الْمَكْنُوزَ تَحْتَ الْجِدَارِ الَّذِي أَقَمْتُهُ..

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بِهِمَا.. يَقُولُ: فَعَلْتُ فِعْلَ هَذَا بِالْجِدَارِ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِلْيَتِيمَيْنِ..

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ وَمَا فَعَلْتُ يَا مُوسَىٰ جَمِيعَ الَّذِي رَأَيْتَنِي فَعَلْتُهُ..

﴿عَنْ أَمْرِى ۚ﴾ عَنْ رَأْيِي وَمِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّايَ بِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا فَعَلْتُ الْأَفْعَالَ الَّتِي اسْتَنْكَرْتَهَا مِنِّي..

﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٢] مَا تَئُولُ إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ الْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَىٰ تَرْكِ مَسْأَلَتِكَ إِيَّايَ عَنْهَا، وَإِنْكَارِكَ لَهَا صَبْرًا.. وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِهَا عَنْ مُوسَىٰ وَصَاحِبِهِ، تَأْدِيبٌ مِنْهُ لَهُ، وَتَقَدُّمٌ إِلَيْهِ بِتَرْكِ الِاسْتِعْجَالِ بِعُقُوبَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ وَبِكِتَابِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُ أَنَّ أَفْعَالَهُ بِهِمْ وَإِنْ جَرَتْ فِيمَا تَرَىٰ الْأَعْيُنُ بِمَا قَدْ يَجْرِي مِثْلُهُ أَحْيَانًا لِأَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ صَائِرٌ بِهِمْ إِلَىٰ أَحْوَالِ أَعْدَائِهِ فِيهَا، كَمَا كَانَتْ أَفْعَالُ صَاحِبِ مُوسَىٰ وَاقِعَةً بِخِلَافِ الصِّحَّةِ فِي الظَّاهِرِ عِنْدَ مُوسَىٰ، إِذْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِعَوَاقِبِهَا، وَهِيَ مَاضِيَةٌ عَلَىٰ الصِّحَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَآيِلَةٌ إِلَىٰ الصَّوَابِ فِي الْعَاقِبَةِ، يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝﴾ [الكهف: ٥٨]، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقِصَّةِ مُوسَىٰ وَصَاحِبِهِ، يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ أَنَّ تَرْكَهُ جَلَّ جَلَالُهُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِغَيْرِ نَظَرٍ مِنْهُ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَحْسِبُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا اللهُ مُدَبِّرٌ فِيهِمْ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ صَائِرٌ إِلَىٰ هَلَاكِهِمْ وَبَوَارِهِمْ بِالسَّيْفِ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ مِنَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ الْخِزْيَ الدَّائِمَ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٣].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَمْرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ مَا كَانَ شَأْنُهُ؟ وَمَا كَانَتْ قِصَّتُهُ؟ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝﴾ [الكهف: ٨٣] سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرِهِ ذِكْرًا، يَقُولُ: سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ مِنْهُ خَبَرًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ: ذُو الْقَرْنَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ضَرَبَ عَلَىٰ قَرْنِهِ فَهَلَكَ، ثُمَّ أُحْيِيَ فَضُرِبَ عَلَىٰ الْقَرْنِ الْآخَرِ فَهَلَكَ، وَهُوَ الثَّابِتُ عَنْ عَلِيٍّ ؓ.. وَقَالَ آخَرُونَ كَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَلِكًا، فَقِيلَ لَهُ: فَلِمَ سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ؟ قَالَ: اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَلِكُ الرُّومِ وَفَارِسَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ فِي رَأْسِهِ شِبْهُ الْقَرْنَيْنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ لِأَنَّ صَفْحَتَيْ رَأْسِهِ كَانَتَا مِنْ نُحَاسٍ.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٤].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِنَّا وَطَّأْنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٤] وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يَعْنِي: مَا يَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا).

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٥].

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٥] قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (فَاتَّبَعَ) بِوَصْلِ الْأَلِفِ، وَتَشْدِيدِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: سَلَكَ وَسَارَ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: اتَّبَعْتُ أَثَرَ فُلَانٍ: إِذَا قَفَوْتُهُ، وَسِرْتُ وَرَاءَهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿فَأَتۡبَعَ﴾ بِهَمْزٍ، وَتَخْفِيفِ التَّاءِ، بِمَعْنَىٰ لَحِقَ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ بِوَصْلِ الْأَلِفِ، وَتَشْدِيدِ التَّاءِ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ مَسِيرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي مُكِّنَ لَهُ فِيهَا، لَا عَنْ لِحَاقِهِ السَّبَبَ، وَبِذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿سَبَبًا﴾: (مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ اتَّبَعَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَمَعَالِمَهَا).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (هَذِهِ الْآنَ سَبَبُ الطُّرُقِ كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طُرُقَ السَّمَاوَاتِ).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ..

﴿مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ قَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ مَاءٍ ذَاتِ حَمْأَةٍ.. وَقَرَأَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ، وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يَعْنِي: أَنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ مَاءٍ حَارَّةٍ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ صَحِيحٌ وَمَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، وَكِلَا وَجْهَيْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَارَّةٍ ذَاتِ حَمْأَةٍ وَطِينٍ، فَيَكُونُ الْقَارِئُ (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) بِصِفَتِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا، وَهِيَ الْحَرَارَةُ، وَيَكُونُ الْقَارِئُ ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ وَاصِفَهَا بِصِفَتِهَا الَّتِي هِيَ بِهَا، وَهِيَ أَنَّهَا ذَاتُ حَمْأَةٍ وَطِينٍ، وَقَدْ رُوِيَ بِكِلَا صِيغَتَيْهَا اللَّتَيْنِ قُلْتُ إِنَّهُمَا مِنْ صِفَتَيْهَا أَخْبَارٌ..

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ إِمَّا أَنْ تَقْتُلَهُمْ إِنْ هُمْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَيُذْعِنُوا لَكَ بِمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ..

﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦] وَإِمَّا أَنْ تَأْسِرَهُمْ فَتُعَلِّمَهُمُ الْهُدَىٰ وَتُبَصِّرَهُمُ الرَّشَادَ.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧].

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أَمَّا مَنْ كَفَرَ فَسَوْفَ نَقْتُلُهُ..

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ قَتْلِهِ..

﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧] فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا عَظِيمًا، وَهُوَ النُّكْرُ، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨].

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَ اللهَ مِنْهُمْ وَوَحَّدَهُ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَلَهُۥ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿جَزَآءً﴾ ثَوَابًا عَلَىٰ إِيمَانِهِ، وَطَاعَتِهِ رَبَّهُ..

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨] وَسَنُعَلِّمُهُ نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مَا تَيَسَّرَ لَنَا تَعْلِيمُهُ، مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ، وَيَلِينُ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩] ثُمَّ سَارَ وَسَلَكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ طُرُقًا وَمَنَازِلَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: ٩٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ وَوَجَدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ..

﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: ٩٠] وَذَلِكَ أَنَّ أَرْضَهُمْ لَا جَبَلَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ، وَلَا تَحْتَمِلُ بِنَاءً، فَيَسْكُنُوا الْبُيُوتَ، وَإِنَّمَا يَغُورُونَ فِي الْمِيَاهِ، وَيُسَرِّبُونَ فِي الْأَسْرَابِ.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: ٩١].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ، وَ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِنْ صِلَةِ أَتْبَعَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا، حَتَّىٰ بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ، كَمَا أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ بَلَغَ مَغْرِبَهَا..

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: ٩١] وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ عِلْمًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِمَّا هُنَالِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ شَيْءٌ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الكهف: ٩٢].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الكهف: ٩٢] ثُمَّ سَارَ طُرُقًا وَمَنَازِلَ، وَسَلَكَ سُبُلًا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٣].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وَالسَّدُّ وَالسُّدُّ جَمِيعًا الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَهُمَا هَهُنَا فِيمَا ذُكِرَ، جَبَلَانِ سُدَّ مَا بَيْنَهُمَا، فَرَدَمَ ذُو الْقَرْنَيْنِ حَاجِزًا بَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ، لِيَقْطَعَ مَادَّ غَوَائِلِهِمْ وَعَيْثِهِمْ عَنْهُمْ..

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ وَجَدَ مِنْ دُونِ السَّدَّيْنِ..

﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٣] قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلَ قَائِلٍ سِوَىٰ كَلَامِهِمْ..
وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ ﴿يَفْقَهُونَ﴾: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ﴿يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾، بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْيَاءِ، مِنْ فَقِهَ الرَّجُل يَفْقَهُ فِقْهًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ (يُفْقِهُونَ) قَوْلًا بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْقَافِ، مِنْ أَفْقَهْتُ فُلَانًا كَذَا، أُفْقِهُهُ إِفْقَاهًا: إِذَا فَهَّمْتُهُ ذَلِكَ..
وَالصَّوَابُ عِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، غَيْرُ دافعةٍ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا الْخَبَرَ جَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لِغَيْرِهِمْ عَنْهُمْ، فَيَكُونُ صَوَابًا الْقِرَاءَةُ بِذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا مَعَ كَوْنِهِمْ كَذَلِكَ كَانُوا لَا يَكَادُونَ أَنْ يُفْقِهُوا غَيْرَهُمْ لِعِلَلٍ، إِمَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَإِمَّا بِمَنْطِقِهِمْ، فَتَكُونُ الْقِرَاءَةُ بِذَلِكَ أَيْضًا صَوَابًا.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْإِفْسَادِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ بِهِ هَاتَيْنِ الْأُمَّتَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ

ذَلِكَ: أَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُفْسِدُونَ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرْجِعُ فِيهَا كَهَيْئَةِ الدِّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ مِنْ لُحُومِهِمْ».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّىٰ يَتْرُكُوهُ يَابِسًا، حَتَّىٰ إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ هَا هُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا انْحَازَ إِلَىٰ حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَالنَّغَفِ، فَتَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَىٰ، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْعَدُوُّ، قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَىٰ، بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيهِمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْ قَطُّ».. فَالْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ سَيَكُونُ مِنْهُمُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا دَلَالَةَ فِيهَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ قَبْلَ إِحْدَاثِ ذِي الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ الَّذِي أَحْدَثَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي النَّاسِ غَيْرِهِمْ إِفْسَادٌ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِالَّذِي بَيَّنَّا، فَالصَّحِيحُ مِنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ: ﴿خَرْجًا﴾ كَأَنَّهُمْ نَحَوْا بِهِ نَحْوَ الْمَصْدَرِ، مِنْ خَرْجِ الرَّأْسِ، وَذَلِكَ جَعْلُهُ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: (خَرَاجًا) بِالْأَلِفِ، وَكَأَنَّهُمْ نَحَوْا بِهِ نَحْوَ الِاسْمِ، وَعَنَوْا بِهِ أُجْرَةً عَلَىٰ بِنَائِكَ لَنَا سَدًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ: (خَرَاجًا) بِالْأَلِفِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ، إِنَّمَا عَرَضُوا عَلَىٰ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنْ يُعْطُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ بِنَاءِ

السَّدِّ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥]، وَلَمْ يَعْرِضُوا عَلَيْهِ جِزْيَةَ رُءُوسِهِمْ، وَالْخَرَاجُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ الْغَلَّةُ..

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ قَالُوا لَهُ: هَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا حَتَّىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ..

﴿سَدًّا ۝﴾ [الكهف: ٩٤] حَاجِزًا يَحْجِزُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْنَا. وَهُوَ السَّدُّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥].

﴿قَالَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ..

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾ الَّذِي مَكَّنَنِي فِي عَمَلِ مَا سَأَلْتُمُونِي مِنَ السَّدِّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ..

﴿رَبِّي﴾ وَوَطَّأَهُ لِي، وَقَوَّانِي عَلَيْهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ جَعْلِكُمْ وَالْأُجْرَةِ الَّتِي تَعْرِضُونَهَا عَلَيَّ لِبِنَاءِ ذَلِكَ، وَأَكْثَرُ وَأَطْيَبُ..

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ وَلَكِنْ أَعِينُونِي مِنْكُمْ بِقُوَّةٍ، أَعِينُونِي بِفَعَلَةٍ وَصُنَّاعٍ يُحْسِنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ..

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ..

﴿رَدْمًا ۝﴾ [الكهف: ٩٥] وَالرَّدْمُ: حَاجِزُ الْحَائِطِ وَالسَّدِّ، إِلَّا أَنَّهُ أَمْنَعُ مِنْهُ وَأَشَدُّ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ رَدَمَ فُلَانٌ مَوْضِعَ كَذَا يَرْدِمُهُ رَدْمًا وَرُدَامًا، وَيُقَالُ أَيْضًا: رَدَّمَ ثَوْبَهُ يُرَدِّمُهُ، وَهُوَ ثَوْبٌ مُرَدَّمٌ: إِذَا كَانَ كَثِيرَ الرِّقَاعِ.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝﴾ [الكهف: ٩٦].

﴿ءَاتُونِي﴾ قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلَّذِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَدًّا: جِيئُونِي بِـ..

﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ وَهِيَ جَمْعُ زُبْرَةٍ، وَالزُّبْرَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَدِيدِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ فَآتَوْهُ زُبَرَ الْحَدِيدِ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِمَا جَعَلَ بَيْنَهُمَا مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ.. وَالصَّدَفَانِ: مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيِ الْجَبَلَيْنِ وَرُءُوسِهِمَا..

﴿قَالَ﴾ لِلْفَعَلَةِ..

﴿ٱنفُخُوا۟﴾ النَّارَ عَلَىٰ هَذِهِ الزُّبَرِ مِنَ الْحَدِيدِ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ فَنَفَخُوا، حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَ مَا بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ نَارًا..

﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ أَعْطُونِي..

﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ﴾ أَصُبُّ عَلَيْهِ..

﴿قِطْرًا ۝٩٦﴾ [الكهف: ٩٦] وَالْقِطْرُ: النُّحَاسُ.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف: ٩٧].

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ فَمَا اسْطَاعَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ يَعْلُوا الرَّدْمَ الَّذِي جَعَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ حَاجِزًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ، فَيَصِيرُوا فَوْقَهُ وَيَنْزِلُوا مِنْهُ إِلَىٰ النَّاسِ.

﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف: ٩٧] وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنَقِّبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨﴾ [الكهف: ٩٨].

﴿قَالَ﴾ لَمَّا رَأَىٰ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَظْهَرُوا مَا بَنَىٰ مِنَ الرَّدْمِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ نَقْبِهِ، قَالَ..

﴿هَٰذَا﴾ الَّذِي بَنَيْتُهُ وَسَوَّيْتُهُ حَاجِزًا بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ دُونَ الرَّدْمِ..

﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ﴾ رَحِمَ بِهَا مَنْ دُونَ الرَّدْمِ مِنَ النَّاسِ، فَأَعَانَنِي بِرَحْمَتِهِ لَهُمْ حَتَّىٰ بَنَيْتُهُ وَسَوَّيْتُهُ؛ لِيَكُفَّ بِذَلِكَ غَائِلَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْهُمْ..

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ الَّذِي جَعَلَهُ مِيقَاتًا لِظُهُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَخُرُوجِهَا مِنْ وَرَاءِ هَذَا الرَّدْمِ لَهُمْ..

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ سَوَّاهُ بِالْأَرْضِ، فَأَلْزَقَهُ بِهَا.. مِنْ قَوْلِهِمْ: نَاقَةٌ دَكَّاءُ: مُسْتَوِيَةُ الظَّهْرِ لَا سَنَامَ لَهَا.. وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: جَعَلَهُ مَدْكُوكًا، فَقِيلَ: دَكَّاءُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ كَذَلِكَ بَعْدَ قَتْلِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّجَّالَ**)..

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي الَّذِي وَعَدَ خَلْقَهُ فِي دَكِّ هَذَا الرَّدْمِ، وَخُرُوجِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَعَيْثِهِمْ فِيهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَعْدِهِ..

﴿حَقًّا ۝٩٨﴾ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ فَلَا يَقَعُ غَيْرَ مَا وَعَدَ أَنَّهُ كَائِنٌ.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ [الكهف: ٩٩].

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍۖ﴾ وَتَرَكْنَا عِبَادَنَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ وَعْدُنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ، بِأَنَّا نَدُكُّ الْجِبَالَ وَنَنْسِفُهَا عَنِ الْأَرْضِ نَسْفًا، فَنَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، بَعْضُهُمْ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ، يَقُولُ: يَخْتَلِطُ جِنُّهُمْ بِإِنْسِهِمْ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ [الكهف: ٩٩] فَجَمَعْنَا جَمِيعَ الْخَلْقِ حِينَئِذٍ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ جَمِيعًا.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠].

﴿وَعَرَضْنَا﴾ وَأَبْرَزْنَا..

﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ..

﴿لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] فَأَظْهَرْنَاهَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ، حَتَّىٰ يَرَوْهَا وَيُعَايِنُوهَا كَهَيْئَةِ السَّرَابِ.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١].

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَنْظُرُونَ فِي آيَاتِ اللهِ، فَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَتَأَمَّلُونَ حُجَجَهُ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَيَتَذَكَّرُونَ وَيُنِيبُونَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَيَنْقَادُونَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] وَكَانُوا لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَسْمَعُوا ذِكْرَ اللهِ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِهِ، وَبَيَانُهُ الَّذِي بَيَّنَهُ لَهُمْ فِي أَيِّ كِتَابِهِ، بِخِذْلَانِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، وَشُغْلِهِمْ بِالْكُفْرِ بِاللهِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَيَتَّعِظُونَ بِهِ، وَيَتَدَبَّرُونَهُ، فَيَعْرِفُونَ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

[الكهف: ١٠٢].

﴿أَفَحَسِبَ﴾ أَفَظَنَّ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ مِنْ عَبَدَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيحِ..

﴿أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ..

﴿مِن دُونِي﴾ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يَقُولُ: كَلَّا بَلْ هُمْ لَهُمْ أَعْدَاءُ..

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢] أَعْدَدْنَا لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْغُونَ عَنَتَكَ وَيُجَادِلُونَكَ بِالْبَاطِلِ، وَيُحَاوِرُونَكَ بِالْمَسَائِلِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ: الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣] بِالَّذِينَ أَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عَمَلٍ يَبْغُونَ بِهِ رِبْحًا وَفَضْلًا، فَنَالُوا

بِهِ عَطَبًا وَهَلَاكًا وَلَمْ يُدْرِكُوا طَلَبًا، كَالْمُشْتَرِي سِلْعَةً يَرْجُو بِهَا فَضْلًا وَرِبْحًا، فَخَابَ رَجَاؤُهُ وَخَسِرَ بَيْعُهُ، وَوُكِسَ فِي الَّذِي رَجَا فَضْلَهُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِينَ عُنُوا بِذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الرُّهْبَانُ وَالْقُسُوسُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمُ الْخَوَارِجُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣]، كُلَّ عَامِلٍ عَمَلًا يَحْسِبُهُ فِيهِ مُصِيبًا، وَأَنَّهُ للهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ مُطِيعٌ مُرْضٍ، وَهُوَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ للهِ مُسْخِطٌ، وَعَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ جَائِرٌ، كَالرَّهَابِنَةِ وَالشَّمَامِسَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ فِي ضَلَالَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ بِاللهِ كَفَرَةٌ مِنْ أَهْلِ أَيِّ دِينٍ كَانُوا.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤].

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُمُ الَّذِي عَمِلُوهُ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ هُدًى وَاسْتِقَامَةٍ، بَلْ كَانَ عَلَىٰ جَوْرٍ وَضَلَالَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ بَلْ عَلَىٰ كُفْرٍ مِنْهُمْ بِهِ..

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤] وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ للهِ مُطِيعُونَ، وَفِيمَا نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مُجْتَهِدُونَ.. وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ خَطَإِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَقْصِدُ إِلَىٰ الْكُفْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ سَعْيَهُمُ الَّذِي سَعَوْا فِي الدُّنْيَا ذَهَبَ ضَلَالًا، وَقَدْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ فِي صُنْعِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي عَمَلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ فِيهِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعَهُ، كَانُوا مُثَابِينَ مَأْجُورِينَ عَلَيْهَا، وَلَكِنِ الْقَوْلُ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِاللهِ كَفَرَةٌ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَابِطَةٌ.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَأَدِلَّتِهِ، وَأَنْكَرُوا لِقَاءَهُ..

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ فَبَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا ثَوَابٌ يَنْفَعُ أَصْحَابَهَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ لَهُمْ مِنْهَا عَذَابٌ وَخِزْيٌ طَوِيلٌ..

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] فَلَا نَجْعَلُ لَهُمْ ثِقَلًا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا تَثْقُلُ بِهِمْ مَوَازِينُهُمْ، لِأَنَّ الْمَوَازِينَ إِنَّمَا تَثْقُلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَثْقُلُ بِهِ مَوَازِينُهُمْ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾».

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أُولَئِكَ..

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ ثَوَابُهُمْ..

﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟﴾ جَهَنَّمُ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى﴾ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ كِتَابِهِ..

﴿وَرُسُلِى هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٦] وَحُجَجِ رُسُلِهِ سِخْرِيًّا، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ كُتُبِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ..

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ﴾ بَسَاتِينُ..

﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ عَامٍ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ».. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ»..

﴿نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧] مَنَازِلَ وَمَسَاكِنَ.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿خَـٰلِدِينَ﴾ لَابِثِينَ..

﴿فِيهَا﴾ أَبَدًا..

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨] لَا يُرِيدُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا.. قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ أَنَسٍ يَقُولُ: (يَقُولُ أَوَّلُهُمْ دُخُولًا: إِنَّمَا أَدْخَلَنِي اللهُ أَوَّلَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنِّي،

وَيَقُولُ آخِرُهُمْ دُخُولًا: إِنَّمَا أَخَّرَنِي اللهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْطَاهُ اللهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَانِي).

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ لِلْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ..

﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ﴾ مَاءُ..

﴿ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] وَلَوْ مَدَدْنَا الْبَحْرَ بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مَدَدًا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: جِئْتُكَ مَدَدًا لَكَ، وَذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الزِّيَادَةِ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ: ﴿مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾، كَأَنَّ قَارِئَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَرَادَ: لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، وَلَوْ زِدْنَا بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْمِدَادِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ مِدَادًا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ..

﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ وَإِنَّ اللهَ يُوحِي إِلَيَّ..

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أَنَّ مَعْبُودَكُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا..

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ..

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ فَمَنْ يَخَافُ رَبَّهُ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيُرَاقِبُهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَيَرْجُو ثَوَابَهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فَلْيُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلْيُفْرِدْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ..

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] وَلَا يَجْعَلْ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَاعِلًا لَهُ شَرِيكًا بِعِبَادَتِهِ إِذَا رَاءَىٰ بِعَمَلِهِ الَّذِي ظَاهِرُهُ أَنَّهُ للهِ وَهُوَ مُرِيدٌ بِهِ غَيْرَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ

سُورَةُ مَرْيَمَ (١٩)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وتِسْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم: ١].

﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم: ١] الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا نَظِيرُ الْقَوْلِ فِي ﴿الٓمٓ ١﴾ [البقرة: ١]، وَسَائِرِ فَوَاتِحِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، الَّتِي افْتُتِحَتْ أَوَائِلُهَا بِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ، فَأَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [مريم: ٢].

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [مريم: ٢] هَذَا ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣﴾ [مريم: ٣].

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣﴾ [مريم: ٣] حِينَ دَعَا رَبَّهُ، وَسَأَلَهُ بِنِدَاءٍ خَفِيٍّ، يَعْنِي: وَهُوَ مُسْتَسِرٌّ بِدُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ مَا سَأَلَ، كَرَاهَةً مِنْهُ لِلرِّيَاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ [مريم: ٤].

﴿قَالَ﴾ فَكَانَ نِدَاؤُهُ الْخَفِيُّ الَّذِي نَادَىٰ بِهِ رَبَّهُ أَنْ قَالَ..

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضَعُفَ وَرَقَّ مِنَ الْكِبَرِ..

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ [مريم: ٤] وَلَمْ أَشْقَ يَا رَبِّ بِدُعَائِكَ، لِأَنَّكَ لَمْ تُخَيِّبْ دُعَائِي قَبْلُ إِذْ كُنْتُ أَدْعُوكَ فِي حَاجَتِي إِلَيْكَ، بَلْ كُنْتَ تُجِيبُ وَتَقْضِي حَاجَتِي قِبَلَكَ.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥].

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ وَإِنِّي خِفْتُ بَنِي عَمِّي وَعَصَبَتِي..

﴿مِن وَرَآءِي﴾ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَرِثُونِي..

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ وَكَانَتْ زَوْجَتِي لَا تَلِدُ..

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥] فَارْزُقْنِي مِنْ عِنْدَكَ وَلَدًا وَارِثًا وَمُعِينًا.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦].

﴿يَرِثُنِي﴾ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِي مَالِيَ..

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النُّبُوَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ..

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦] وَاجْعَلْ يَا رَبِّ الْوَلِيَّ الَّذِي تَهَبُهُ لِي مَرْضِيًّا، تَرْضَاهُ أَنْتَ وَيَرْضَاهُ عِبَادُكَ دِينًا وَخُلُقًا وَخَلْقًا.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧].

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِهِبَتِنَا لَكَ غُلَامًا اسْمُهُ يَحْيَىٰ.. كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (**إِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ يَحْيَىٰ لِإِحْيَائِهِ إِيَّاهُ بِالإِيمَانِ**)..

﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾ لَمْ نَجْعَلْ لِلْغُلَامِ الَّذِي نَهَبُ لَكَ الَّذِي اسْمُهُ يَحْيَىٰ..

﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧] مِنْ قَبْلِهِ أَحَدًا مُسَمًّىٰ بِاسْمِهِ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا لَمَّا بَشَّرَهُ اللهُ بِيَحْيَىٰ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ وَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي ذَلِكَ..

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ لَا تَحْبَلُ..

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨] وَقَدْ ضَعُفْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَنْ مُبَاضَعَةِ النِّسَاءِ، أَبِأَنْ تُقَوِّيَنِي عَلَىٰ مَا ضَعُفْتُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَجْعَلَ زَوْجَتِي وَلُودًا -فَإِنَّكَ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ

مَا تَشَاءُ- أَمْ بِأَنْ أَنْكِحَ زَوْجَةً غَيْرَ زَوْجَتِي الْعَاقِرِ؟ يَسْتَثْبِتُ رَبَّهُ الْخَبَرَ، عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِهِ لَهُ الْوَلَدُ الَّذِي بَشَّرَهُ اللهُ بِهِ، لَا إِنْكَارًا مِنْهُ ﷺ حَقِيقَةَ كَوْنِ مَا وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الْوَلَدِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ إِنْكَارًا لِأَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدُ الَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ، وَهُوَ الْمُبْتَدِئُ مَسْأَلَةَ رَبِّهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥- ٦]، بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].. وقوله ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝﴾ يَعْنِي: وَقَدْ عَتَوْتُ مِنَ الْكِبَرِ فَصِرْتُ نَحِلَ الْعِظَامِ يَابِسَهَا، يُقَالُ مِنْهُ لِلْعُودِ الْيَابِسِ: عُودٌ عَاتٍ وَعَاسٍ، وَقَدْ عَتَا يَعْتُو عِتِيًّا وَعُتُوًّا، وَعَسَىٰ يَعْسُو عِسِيًّا وَعُسُوًّا، وَكُلُّ مُتَنَاهٍ إِلَىٰ غَايَتِهِ فِي كِبَرٍ أَوْ فَسَادٍ، أَوْ كُفْرٍ، فَهُوَ عَاتٍ وَعَاسٍ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝﴾ [مريم: ٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِزَكَرِيَّا مُجِيبًا لَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا الْأَمْرُ، كَمَا تَقُولُ مِنْ أَنَّ امْرَأَتَكَ عَاقِرٌ، وَإِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ الْعِتِيَّ..

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وَلَكِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ..

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ خَلْقُ مَا بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ اسْمَهُ يَحْيَىٰ عَلَيَّ هَيِّنٌ..

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ وَلَيْسَ خَلْقُ مَا وَعَدْتُكَ أَنْ أَهَبَهُ لَكَ -مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَمْرَهُ- مِنْكَ مَعَ كِبَرِ سِنِّكَ وَعُقْمِ زَوْجَتِكَ، بِأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِكَ، فَإِنِّي قَدْ خَلَقْتُكَ، فَأَنْشَأْتُكَ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿مِن قَبْلِكَ﴾ مِنْ قَبْلِ خَلْقِي مَا بَشَّرْتُكَ بِأَنِّي وَاهِبُهُ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ..

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝﴾ [مريم: ٩] فَكَذَلِكَ أَخْلُقُ لَكَ الْوَلَدَ الَّذِي بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنْ زَوْجَتِكَ الْعَاقِرِ، مَعَ عِتِيِّكَ وَوَهَنِ عِظَامِكَ، وَاشْتِعَالِ شَيْبِ رَأْسِكَ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝﴾ [مريم: ١٠].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ يَا رَبِّ اجْعَلْ لِي عِلْمًا وَدَلِيلًا عَلَىٰ مَا بَشَّرَتْنِي بِهِ مَلَائِكَتُكَ مِنْ هَذَا الْغُلَامِ عَنْ أَمْرِكَ وَرِسَالَتِكَ، لِيَطْمَئِنَّ إِلَىٰ ذَلِكَ قَلْبِي.

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿آيَتُكَ﴾ عَلَامَتُكَ لِذَلِكَ، وَدَلِيلُكَ عَلَيْهِ..

﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ..

﴿سَوِيًّا ۝١٠﴾ [مريم: ١٠] وَأَنْتَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ، لَا عِلَّةَ بِكَ مِنْ خَرَسٍ وَلَا مَرَضٍ يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: السَّوِيُّ مِنْ صِفَةِ الْأَيَّامِ، قَالُوا: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: قَالَ: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَتَابِعَاتٍ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١].

﴿فَخَرَجَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ مِنْ مُصَلَّاهُ حِينَ حُبِسَ لِسَانُهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ آيَةً مِنَ اللهِ لَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ وَعْدِهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أَشَارَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الْإِشَارَةُ بِالْيَدِ أَوْ بِالْكِتَابِ أَوْبِغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُفْهَمُ بِهِ عَنْهُ مَا يُرِيدُ..

﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١] قَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ الْوُجُوهَ الَّتِي يَنْصَرِفُ فِيهَا التَّسْبِيحُ، وَقَدْ يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ التَّسْبِيحَ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللهِ، فَيَكُونَ أَمَرَهُمْ بِالْفَرَاغِ لِذِكْرِ اللهِ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ بِالتَّسْبِيحِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ الصَّلَاةَ، فَيَكُونَ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢].

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ فَوُلِدَ لِزَكَرِيَّا يَحْيَىٰ، فَلَمَّا وُلِدَ، قَالَ اللهُ لَهُ: يَا يَحْيَىٰ..

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدٍّ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَأَعْطَيْنَاهُ..

﴿ٱلْحُكْمَ﴾ الْفَهْمَ لِكِتَابِ اللهِ..

﴿صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢] فِي حَالِ صِبَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَسْنَانَ الرِّجَالِ.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ [مريم: ١٣].

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ وَرَحْمَةً مِنَّا وَمَحَبَّةً لَهُ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.. وَلِلْعَرَبِ فِي حَنَانَكَ لُغَتَانِ: حَنَانَكَ يَا رَبَّنَا، وَحَنَانَيْكَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي (حَنَانَيْكَ): فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ تَثْنِيَةُ

(حَنَانٍ).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ لُغَةٌ لَيْسَتْ بِتَثْنِيَةٍ، قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: حَوَالَيْكَ.. وَقَدْ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِ ذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا حَنَانَيْكَ تَثْنِيَةٌ، فِي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ تَثْنِيَةٌ.. وَأَصْلُ ذَلِكَ أَعْنِي الْحَنَانَ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَنَّ فُلَانٌ إِلَىٰ كَذَا، وَذَلِكَ إِذَا ارْتَاحَ إِلَيْهِ وَاشْتَاقَ، ثُمَّ يُقَالُ: تَحَنَّنَ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ، إِذَا وُصِفَ بِالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ وَالرِّقَّةِ بِهِ، وَالرَّحْمَةِ لَهُ.. فَالْحَنَانُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَنَّ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ، يُقَالُ مِنْهُ: حَنَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَنَا أَحِنُّ عَلَيْهِ حَنِينًا وَحَنَانًا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لَزَوْجَةِ الرَّجُلِ: حَنَّتُهُ، لِتَحَنُّنِهِ عَلَيْهَا وَتَعَطُّفِهِ.

﴿وَزَكَوٰةً﴾ آتَيْنَا يَحْيَىٰ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَزَكَاةً، وَهُوَ الطَّهَارَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاسْتِعْمَالُ بَدَنِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، فَالزَّكَاةُ عَطْفٌ عَلَىٰ الْحُكْمِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾.. قَالَ قَتَادَةُ: **(الزَّكَاةُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ)**.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا ⑬﴾ وَكَانَ للهِ خَائِفًا، مُؤَدِّيًا فَرَائِضَهُ، مُجْتَنِبًا مَحَارِمَهُ، مُسَارِعًا فِي طَاعَتِهِ.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭﴾ [مريم: ١٤].

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وَكَانَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ، مُسَارِعًا فِي طَاعَتِهِمَا وَمَحَبَّتِهِمَا، غَيْرَ عَاقٍّ بِهِمَا..

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭﴾ [مريم: ١٤] وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَكْبِرًا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَطَاعَةِ وَالِدَيْهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ للهِ وَلِوَالِدَيْهِ مُتَوَاضِعًا مُتَذَلِّلًا، يَأْتَمِرُ لِمَا أُمِرَ بِهِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، لَا يَعْصِي رَبَّهُ، وَلَا وَالِدَيْهِ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾ [مريم: ١٥].

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ وَأَمَانٌ مِنَ اللهِ يَوْمَ وُلِدَ مِنْ أَنْ يَنَالَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ السُّوءِ، بِمَا يَنَالُ بِهِ بَنِي آدَمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا»**..

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ وَأَمَانٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ مِنْ فَتَّانِي الْقَبْرِ، وَمِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ..

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾ [مريم: ١٥] وَأَمَانٌ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، مِنْ أَنْ يُرَوِّعَهُ شَيْءٌ، أَوْ أَنْ يُفْزِعَهُ مَا يُفْزِعُ الْخَلْقَ.. وَقَدْ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي ذَلِكَ: **(أَوْحَشُ مَا يَكُونُ الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَدُ، فَيَرَىٰ نَفْسَهُ خَارِجًا مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، فَيَرَىٰ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ عَايَنَهُمْ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ، فَيَرَىٰ نَفْسَهُ فِي مَحْشَرٍ عَظِيمٍ، فَأَكْرَمَ اللهُ فِيهَا يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا، فَخَصَّهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮﴾)**.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾ [مريم: ١٦].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ..

﴿مَرْيَمَ﴾ ابْنَةَ عِمْرَانَ..

﴿إِذِ﴾ حِينَ..

﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ اعْتَزَلَتْ.. وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ النَّبْذِ، وَالنَّبْذُ: الطَّرْحُ..

﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ وَانْفَرَدَتْ عَنْهُمْ..

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾ [مريم: ١٦] فَتَنَحَّتْ وَاعْتَزَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا فِي مَوْضِعٍ قِبَلَ مُشْرِقِ الشَّمْسِ دُونَ مَغْرِبِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ لِأَيِّ شَيْءٍ اتَّخَذَتِ النَّصَارَىٰ الْمَشْرِقَ قِبْلَةً؟ لِقَوْلِ اللهِ: فَانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذُوا مِيلَادِ عِيسَىٰ قِبْلَةً**).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (**قِيلَ: إِنَّهَا إِنَّمَا صَارَتْ بِمَكَانٍ يَلِي مَشْرِقَ الشَّمْسِ، لِأَنَّ مَا يَلِي الْمَشْرِقَ عِنْدَهُمْ كَانَ خَيْرًا مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ الْعَرَبِ**).

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم: ١٧].

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِ أَهْلِهَا..

﴿حِجَابًا﴾ سِتْرًا يَسْتُرُهَا عَنْهُمْ وَعَنِ النَّاسِ..

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا﴾ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، وَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا..

﴿رُوحَنَا﴾ جِبْرِيلَ..

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ فَتَشَبَّهَ لَهَا..

﴿بَشَرًا﴾ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ..

﴿سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم: ١٧] سَوِيَّ الْخَلْقِ مِنْهُمْ، يَعْنِي: فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ مُعْتَدِلِ الْخَلْقِ.

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ [مريم: ١٨].

﴿قَالَتْ﴾ فَخَافَتْ مَرْيَمُ رَسُولَنَا، إِذْ تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَظَنَّتْهُ رَجُلًا يُرِيدُهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ..

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾ أَيُّهَا الرَّجُلُ، وأَسْتَجِيرُ..

﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ أَنْ تَنَالَ مِنِّي مَا حَرَّمَهُ عَلَيْكَ..

﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨﴾ [مريم: ١٨] إِنْ كُنْتَ ذَا تَقْوَىٰ لَهُ تَتَّقِي مَحَارِمَهُ، وَتَجْتَنِبَ مَعَاصِيهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ للهِ تَقِيًّا، فَإِنَّهُ يَجْتَنِبُ ذَلِكَ.. وَلَوْ وُجِّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهَا عَنَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَتَّقِي اللهَ فِي اسْتِجَارَتِي وَاسْتِعَاذَتِي بِهِ مِنْكَ كَانَ وَجْهًا.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم: ١٩].

﴿قَالَ﴾ فَقَالَ لَهَا رُوحُنَا..

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ يَا مَرْيَمُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ..

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم: ١٩]وَالْغُلَامُ الزَّكِيُّ: هُوَ الطَّاهِرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: غُلَامٌ زَاكٍ وَزَكِيٌّ، وَعَالٍ وَعَلِيٌّ.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠].

﴿قَالَتْ﴾ مَرْيَمُ لِجِبْرِيلَ..

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي غُلَامٌ؟ أَمِنْ قِبَلِ زَوْجٍ أَتَزَوَّجُ، فَأُرْزَقُهُ مِنْهُ، أَمْ يَبْتَدِئُ اللهُ فِي خَلْقِهِ ابْتِدَاءً..

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ مِنْ وَلَدِ آدَمَ بِنِكَاحٍ حَلَالٍ..

﴿وَلَمْ أَكُ﴾ إِذْ لَمْ يَمْسَسْنِي مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَىٰ وَجْهِ الْحَلَالِ..

﴿بَغِيًّا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠] بَغَيْتُ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الْحَرَامِ، فَحَمَلْتُهُ مِنْ زِنًا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾ [مريم: ٢١].

﴿قَالَ﴾ لَهَا جِبْرِيلُ..

﴿كَذَٰلِكِ﴾ هَكَذَا الْأَمْرُ كَمَا تَصِفِينَ، مِنْ أَنَّكِ لَمْ يَمْسَسْكِ بَشَرٌ وَلَمْ تَكُونِي بَغِيًّا..

﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وَلَكِنَّ رَبَّكِ قَالَ..

﴿هُوَ﴾ أَيْ خَلْقُ الْغُلَامِ الَّذِي قُلْتُ أَنْ أَهَبَهُ لَكِ..

﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ خَلْقُهُ وَهِبَتُهُ لَكِ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ يَفْتَحِلُكِ..

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ وَكَيْ نَجْعَلَ الْغُلَامَ الَّذِي نَهَبُهُ لَكِ عَلَامَةً وَحُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِي أَهِبُهُ لَكِ..

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ وَرَحْمَةً مِنَّا لَكِ، وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ أَخْلُقُهُ مِنْكِ..

﴿وَكَانَ﴾ خَلْقُهُ مِنْكَ..

﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١] أَمْرًا قَدْ قَضَاهُ اللهُ، وَمَضَىٰ فِي حُكْمِهِ وَسَابِقُ عِلْمِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْكِ.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ٢٢].

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ مِنْهُ عَنْهُ، وهو ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، بِغُلَامٍ ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾..

﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ فَاعْتَزَلَتْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالَّذِي حَمَلَتْهُ، وَهُوَ عِيسَىٰ، وَتَنَحَّتْ بِهِ عَنِ النَّاسِ..

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢] مَكَانًا نَائِيًا قَاصِيًا عَنِ النَّاسِ، يُقَالُ: هُوَ بِمَكَانٍ قَاصٍ، وَقَصِيٍّ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، يُقَالُ مِنْهُ: قَصَا الْمَكَانُ يَقْصُو قُصُوا: إِذَا تَبَاعَدَ، وَأَقْصَيْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَبْعَدْتُهُ وَأَخَّرْتُهُ.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣].

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ فَجَاءَ بِهَا.. كَمَا يُقَالُ: أَتَيْتُكَ بِزَيْدٍ، فَإِذَا حَذَفْتَ الْبَاءَ قِيلَ آتَيْتُكَ زَيْدًا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ﴾ [الكهف: ٩٦]، وَالْمَعْنَىٰ: ائْتُونِي بِزُبَرِ الْحَدِيدِ، وَلَكِنَّ الْأَلِفَ مُدَّتْ لَمَّا حُذِفَتِ الْبَاءُ.. وَإِنَّمَا تَأَوَّلَ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: أَلْجَأَهَا، لِأَنَّ الْمَخَاضَ لَمَّا جَاءَهَا إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ، كَانَ قَدْ أَلْجَأَهَا إِلَيْهِ..

﴿ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: **(كَانَ ذَلِكَ فِي أَدْنَىٰ أَرْضِ مِصْرَ، وَآخِرُ أَرْضِ الشَّامِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا هَرَبَتْ مِنْ قَوْمِهَا لَمَّا حَمَلَتْ، فَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ مِصْرَ هَارِبَةً مِنْهُمْ)**..

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ ذُكِرَ أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ فِي حَالِ الطَّلْقِ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ..

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣] شَيْئًا نُسِيَ فَتُرِكَ طَلَبُهُ، كَخِرَقِ الْحَيْضِ الَّتِي إِذَا أُلْقِيَتْ وَطُرِحَتْ لَمْ تُطْلَبْ وَلَمْ تُذْكَرْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ نُسِيَ وَتُرِكَ وَلَمْ يُطْلَبْ فَهُوَ نَسْيٌ.. وَنِسْيٌ بِفَتْحِ

النُّونِ وَكَسْرِهَا لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ، مِثْلُ الْوَتْرِ وَالْوِتْرِ، وَالْجِسْرُ وَالْجَسْرُ، وَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ عِنْدَنَا.. وَلَوْ وُجِّهَ النَّسْيُ إِلَىٰ الْمَصْدَرِ مِنَ النِّسْيَانِ كَانَ صَوَابًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهَا تَقُولُ: نَسِيتُهُ نِسْيَانًا وَنَسْيًا، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّبِّ وَعَصْيِ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي وَعِصْيَانِ، وَكَمَا تَقُولُ أَتَيْتُهُ إِتْيَانًا وَأَتْيًا.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ هَكَذَا قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾، بِمَعْنَىٰ: فَنَادَاهَا جَبْرَائِيلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا عَلَىٰ اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي تَأْوِيلِهِ، فَمِنْ مُتَأَوِّلٍ مِنْهُمْ إِذَا قَرَأَهُ كَذَلِكَ، وَمِنْ مُتَأَوِّلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا بَعْدَ مَا وَلَدَتْهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (مَنْ تَحْتَهَا) بِفَتْحِ التَّاءَيْنِ مِنْ تَحْتُ، بِمَعْنَىٰ: فَنَادَاهَا الَّذِي تَحْتَهَا، عَلَىٰ أَنَّ الَّذِيَ تَحْتَهَا عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَادَىٰ أُمَّهُ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: الَّذِي نَادَاهَا ابْنُهَا عِيسَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ كِنَايَةِ ذِكْرِهِ أَقْرَبُ مِنْهُ مِنْ ذِكْرِ جَبْرَائِيلَ، فَرَدُّهُ عَلَىٰ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ أَوْلَىٰ مِنْ رَدِّهِ عَلَىٰ الَّذِي هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُ، أَلَا تَرَىٰ فِي سِيَاقِ قَوْلِهِ ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ٢٢]، يَعْنِي بِهِ: فَحَمَلَتْ عِيسَىٰ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، ثُمَّ قِيلَ: فَنَادَاهَا نَسَقًا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ عِيسَىٰ وَالْخَبَرِ عَنْهُ، وَلِعِلَّةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩]، وَلَمْ تُشِرْ إِلَيْهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّهُ نَاطِقٌ فِي حَالِهِ تِلْكَ، وَلِلَّذِي كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ وَوَثِقَتْ بِهِ مِنْهُ بِمُخَاطَبَتِهِ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ لَهَا: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾، وَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهَا أَشِيرِي لِلْقَوْمِ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَوْلًا مِنْ جَبْرَائِيلَ، لَكَانَ خَلِيقًا أَنْ يَكُونَ فِي ظَاهِرِ الْخَبَرِ، مُبَيَّنًا أَنَّ عِيسَىٰ سَيَنْطِقُ وَيَحْتَجُّ عَنْهَا لِلْقَوْمِ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهَا بِأَنْ تُشِيرَ إِلَيْهِ لِلْقَوْمِ إِذَا سَأَلُوهَا عَنْ حَالِهَا وَحَالِهِ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي بَيَّنَّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ أَعْنِي ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ بِالْكَسْرِ، وَ (مَنْ تَحْتَهَا) بِالْفَتْحِ صَوَابٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قُرِئَ بِالْكَسْرِ كَانَ فِي قَوْلِهِ ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ ذِكْرٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَإِذَا قُرِئَ (مَنْ تَحْتَهَا) بِالْفَتْحِ، كَانَ الْفِعْلُ لِمَنْ وَهُوَ عِيسَىٰ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَنَادَاهَا الْمَوْلُودُ مِنْ تَحْتِهَا..

﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ يَا أُمَّهْ..

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤] السَّرِيُّ مَعْرُوفٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّهُ النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الْجَدْوَلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَعْلَمَهَا مَا قَدْ أَعْطَاهَا اللهُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ عِنْدَهَا، وَقَالَ لَهَا ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى﴾ [مريم: ٢٥- ٢٦]، مِنْ هَذَا الرُّطَبِ ﴿وَٱشْرَبِى﴾

[مريم: ٢٦]، مِنْ هَذَا الْمَاءِ، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦] بِوَلَدِكِ.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ ذُكِرَ أَنَّ الْجِذْعَ كَانَ جِذْعًا يَابِسًا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَهُزَّهُ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَهَزُّهَا إِيَّاهُ كَانَ تَحْرِيكُهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِالنَّخْلَةِ، وَأُدْخِلَتِ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِجِذۡعِ﴾؛ كَمَا يُقَالُ: زَوَّجْتُكَ فُلَانَةَ، وَزَوَّجْتُكَ بِفُلَانَةَ، وَكَمَا قَالَ ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، بِمَعْنَىٰ: تُنْبِتُ الدُّهْنَ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الْأَفْعَالَ يُكَنَّىٰ عَنْهَا بِالْبَاءِ، فَيُقَالُ إِذَا كَنَّيْتَ عَنْ ضَرَبْتُ عَمْرًا: فَعَلْتُ بِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فِعْلٍ، فَلِذَلِكَ تَدْخُلُ الْبَاءُ فِي الْأَفْعَالِ وَتَخْرُجُ، فَيَكُونُ دُخُولُهَا وَخُرُوجُهَا بِمَعْنًى، فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَهُزِّي إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ..

﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا﴾ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾: فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ: (تَسَّاقَطْ) بِالتَّاءِ مِنْ تَسَّاقَطْ، وَتَشْدِيدِ السِّينِ، بِمَعْنَىٰ: تَتَسَاقَطُ عَلَيْكِ النَّخْلَةُ رُطَبًا جَنِيًّا، ثُمَّ تُدْغَمُ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ فِي الْأُخْرَىٰ فَتُشَدَّدُ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطُ النَّخْلَةُ عَلَيْكِ رُطَبًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بِالتَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ، وَوُجِّهَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، إِلَىٰ مِثْلِ مَا وَجَّهَ إِلَيْهِ مُشَدِّدُوهَا، غَيْرَ أَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ.. وَرُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ: (يَسَّاقَطْ) بِالْيَاءِ، وَكَأَنَّهُ وَجَّهَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ يَتَسَاقَطُ الْجِذْعُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثَ قِرَاءَاتٌ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قُرَّاءٌ مِنْ أَهْلِ مَعْرِفَةٍ بِالْقُرْآنِ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجِذْعَ إِذَا تَسَاقَطَ رُطَبًا، وَهُوَ ثَابِتٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، فَقَدْ تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ رُطَبًا، وَإِذَا تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ رُطَبًا، فَقَدْ تَسَاقَطَتِ النَّخْلَةُ بِأَجْمَعِهَا، جِذْعُهَا وَغَيْرُ جِذْعِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ النَّخْلَةَ مَا دَامَتْ قَائِمَةً عَلَىٰ أَصْلِهَا، فَإِنَّمَا هِيَ جِذْعٌ وَجَرِيدٌ وَسَعَفٌ، فَإِذَا قُطِعَتْ صَارَتْ جِذْعًا، فَالْجِذْعُ الَّذِي أُمِرَتْ مَرْيَمُ بِهَزِّهِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ نَعْلَمُهُ أَنَّهُ كَانَ جِذْعًا مَقْطُوعًا غَيْرُ السُّدِّيِّ، وَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ عَادَ بِهَزِّهَا إِيَّاهُ نَخْلَةً، فَقَدْ صَارَ مَعْنَاهُ وَمَعْنَىٰ مَنْ قَالَ: كَانَ الْمُتَسَاقِطُ عَلَيْهَا رُطَبًا نَخْلَةً، وَاحِدًا، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ صِحَّةُ مَا قُلْنَا..

﴿جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥] يَعْنِي مَجْنِيًّا، وَالْمَجْنِيُّ: الْمَأْخُوذُ طَرِيًّا، وَكُلُّ مَا أُخِذَ مِنْ ثَمَرِهِ، أَوْ نُقِلَ مِنْ مَوْضِعِهِ بِطَرَاوَتِهِ فَقَدِ اجْتُنِيَ.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦].

﴿فَكُلِي﴾ مِنَ الرُّطَبِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَيْكِ..

﴿وَاشْرَبِي﴾ مِنْ مَاءِ السَّرِيِّ الَّذِي جَعَلَهُ رَبُّكِ تَحْتَكِ، لَا تَخْشَيْ جُوعًا وَلَا عَطَشًا..

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ وَطِيبِي نَفْسًا وَافْرَحِي بِوِلَادَتِكِ إِيَّايَ وَلَا تَحْزَنِي.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فَإِنْ رَأَيْتِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَحَدًا يُكَلِّمُكِ أَوْ يَسْأَلُكِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكِ وَأَمْرِ وَلَدِكِ وَسَبَبِ وِلَادَتِكِهِ..

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ إِنِّي أَوْجَبْتُ عَلَىٰ نَفْسِي للهِ صَمْتًا أَلَّا أُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ الْيَوْمَ..

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦] وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَهَا بِالصَّوْمِ عَنْ كَلَامِ الْبَشَرِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا حُجَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ ظَاهِرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا جَاءَتْ وَهِيَ أَيِّمٌ بِوَلَدٍ، فَأُمِرَتِ بِالْكَفِّ عَنِ الْكَلَامِ لِيَكْفِيَهَا الْكَلَامَ وَلَدُهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ آيَةً لِمَرْيَمَ وَابْنِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ صَائِمَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالصَّائِمُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ يَصُومُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَكَلَامِ النَّاسِ، فَأُذِنَ لِمَرْيَمَ فِي قَدْرِ هَذَا الْكَلَامِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهِيَ صَائِمَةٌ.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم: ٢٧].

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عِيسَىٰ لِأُمِّهِ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهَا، وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللهِ، وَحَمَلَتْهُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا..

﴿قَالُوا﴾ فَلَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ، وَرَأَوْا مَعَهَا الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ، قَالُوا لَهَا..

﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم: ٢٧] يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ، وَأَحْدَثْتِ حَدَثًا عَظِيمًا، وَكُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا أَجَادَهُ وَأَحْسَنَهُ فَقَدْ فَرَاهُ.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨].

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ نِسْبَةٌ مِنْهُمْ لَهَا إِلَىٰ الصَّلَاحِ، لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ فِيهِمْ كَانُوا يُسَمَّوْنَ هَارُونَ، وَلَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَىٰ، وَأَنَّهَا نُسِبَتْ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا..

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ مَا كَانَ أَبُوكِ رَجُلَ سُوءٍ يَأْتِي الْفَوَاحِشَ..

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝﴾ [مريم: ٢٨] وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ زَانِيَةً.. وَقَالَ: ﴿بَغِيًّا ۝﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (بَغِيَّةً)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ النِّسَاءُ دُونَ الرِّجَالِ، فَجَرَىٰ مَجْرَىٰ: امْرَأَةٌ حَائِضٌ وَطَالِقٌ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُشَبِّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ، وَامْرَأَةٌ قَتِيلٌ.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٢٩].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فَلَمَّا قَالَ قَوْمُهَا ذَلِكَ لَهَا قَالَتْ لَهُمْ مَا أَمَرَهَا عِيسَىٰ بِقِيلِهِ لَهُمْ، ثُمَّ أَشَارَتْ لَهُمْ إِلَىٰ عِيسَىٰ أَنْ كَلِّمُوهُ..

﴿قَالُوا﴾ قَالَ قَوْمُهَا لَهَا..

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٢٩] كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ وُجِدَ فِي الْمَهْدِ؟.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِالْمَهْدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حِجْرَ أُمِّهِ، وَالْمَهْدُ: الْحِجْرُ.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٣٠].

﴿قَالَ﴾ فَلَمَّا قَالَ قَوْمُ مَرْيَمَ لَهَا ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٢٩]، حِينَ أَشَارَتْ لَهُمْ إِلَىٰ عِيسَىٰ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ غَضِبُوا وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْهَا اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ، قَالَ عِيسَىٰ لَهُم مُتَكَلِّمًا عَنْ أُمِّهِ..

﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَقَضَىٰ يَوْمَ قَضَىٰ أُمُورَ خَلْقِهِ إِلَىٰ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْكِتَابَ..

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: ٣٠] وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ النَّبِيِّ وَاخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ عِنْدَنَا بِشَوَاهِدِهِ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝﴾ [مريم: ٣١].

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَجَعَلَنِي نَفَّاعًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ بَرَكَتُهُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: جَعَلَنِي مُعَلِّمَ الْخَيْرِ..

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا كُنْتُ..

﴿وَأَوْصَٰنِي﴾ وَقَضَىٰ أَنْ يُوصِينِي..

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ يَعْنِي الْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ حُدُودِ الصَّلَاةِ وَإِقَامَتِهَا عَلَىٰ مَا فَرَضَهَا عَلَيَّ..

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَفِي الزَّكَاةِ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا: زَكَاةُ الْأَمْوَالِ أَنْ يُؤَدِّيَهَا، وَالْآخَرُ: تَطْهِيرُ

الْجَسَدِ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَأَوْصَانِي بِتَرْكِ الذُّنُوبِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي..

﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: ٣١] فِي الدُّنْيَا مَوْجُودًا، وَهَذَا يُبِينُ عَنْ أَنَّ مَعْنَى الزَّكَاةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَطْهِيرُ الْبَدَنِ مِنَ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ، فَتَجِبُ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْمَالِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الزَّكَاةُ الَّتِي كَانَتْ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَةَ بِكُلِّ مَا فَضَلَ عَنْ قُوتِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا صَحِيحًا.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: ٣٢].

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أَيْ: جَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي، وَالْبَرُّ هُوَ الْبَارُّ..

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ وَلَمْ يَجْعَلْنِي مُسْتَكْبِرًا عَلَى اللهِ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ، وَنَهَانِي عَنْهُ..

﴿شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: ٣٢] وَلَكِنْ ذَلَّلَنِي لِطَاعَتِهِ، وَجَعَلَنِي مُتَوَاضِعًا.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣].

﴿وَالسَّلَامُ﴾ وَالْأَمَنَةُ مِنَ اللهِ..

﴿عَلَيَّ﴾ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ..

﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ أَنْ يَنَالُوا مِنِّي مَا يَنَالُونَ مِمَّنْ يُولَدُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، مِنَ الطَّعْنِ فِيهِ..

﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ..

﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْ يَنَالَنِي الْفَزَعُ الَّذِي يَنَالُ النَّاسَ بِمُعَايَنَتِهِمْ أَهْوَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: ٣٤].

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبَرْتُكُمْ خَبَرَهُ، مِنْ أَمْرِ الْغُلَامِ الَّذِي حَمَلَتْهُ مَرْيَمُ، هُوَ..

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَهَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ، وَهَذَا الْخَبَرُ خَبَرُهُ، وَهُوَ..

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ قَوْلُ الْحَقِّ، وَالْكَلَامُ الَّذِي تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ قَوْلُ اللهِ وَخَبَرُهُ، لَا خَبَرُ غَيْرِهِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْوَهْمُ وَالشَّكُّ، وَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، عَلَى مَا كَانَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَقُولُوا فِي عِيسَى أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي أَخْبَرَكُمُ اللهُ بِهِ عَنْهُ، لَا مَا قَالَتْهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ سَاحِرًا كَذَّابًا، وَلَا مَا قَالَتْهُ النَّصَارَى، مِنْ أَنَّهُ

كَانَ للهِ وَلَدًا، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لَهُ.. وَلَوْ وُجِّهَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ إِلَىٰ ذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ الْقَوْلُ الْحَقُّ، بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْحَقُّ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ مِنَ الْقَوْلِ، وَأُضِيفَ إِلَىٰ الْحَقِّ، كَمَا قِيلَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]، وَكَمَا قِيلَ: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝١٦﴾ [الأحقاف: ١٦]، كَانَ تَأْوِيلًا صَحِيحًا.. وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ: (قَوْلُ الْحَقِّ) بِرَفْعِ الْقَوْلِ، عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ الْمَعْنَىٰ، وَرَفْعُهُ عِنْدِي بِمُضْمَرٍ، وَهُوَ: هَذَا قَوْلُ الْحَقِّ، عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ قَدْ تَنَاهَىٰ عَنْ قِصَّةِ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ بِأَنَّ الْحَقَّ فِيمَا فِيهِ تَمْتَرِي الْأُمَمُ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ، هُوَ هَذَا الْقَوْلُ، الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْهُ عِبَادَهُ، دُونَ غَيْرِهِ.. وَقَدْ قَرَأَ ذَلِكَ عَاصِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ بِالنَّصْبِ، وَكَأَنَّهُمَا أَرَادَا بِذَلِكَ الْمَصْدَرَ: ذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلًا حَقًّا، ثُمَّ أُدْخِلَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: الرَّفْعُ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: ٣٤] الَّذِي فِيهِ يَخْتَصِمُونَ وَيَخْتَلِفُونَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَارَيْتُ فُلَانًا: إِذَا جَادَلْتُهُ وَخَاصَمْتُهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [مريم: ٣٧]، اخْتَلَفُوا فِيهِ فَصَارُوا أَحْزَابًا).

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: ٣٥].

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ لَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ، وَأَعْظَمُوا الْفِرْيَةَ عَلَيْهِ، فَمَا يَنْبَغِي للهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَخَلْقُهُ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تَنْزِيهًا للهِ وَتَبْرِئَةً لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْكَافِرُونَ الْقَائِلُونَ: عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ..

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ إِنَّمَا ابْتَدَأَ اللهُ خَلْقَ عِيسَىٰ ابْتِدَاءً، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ افْتَحَلَ أُمَّهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُ..

﴿كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: ٣٥] لِأَنَّهُ كَذَلِكَ يَبْتَدِعُ الْأَشْيَاءَ وَيَخْتَرِعُهَا، إِنَّمَا يَقُولُ: إِذَا قَضَىٰ خَلْقَ شَيْءٍ أَوْ إِنْشَاءَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ مَوْجُودًا حَادِثًا، لَا يَعْظُمُ عَلَيْهِ خَلْقُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُهُ بِمُعَانَاةٍ وَكُلْفَةٍ، وَلَا يُنْشِئُهُ بِمُعَالَجَةٍ وَشِدَّةٍ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم: ٣٦].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ وَإِنِّي وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ جَمِيعًا للهِ عَبِيدٌ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا دُونَ غَيْرِهِ..

﴿هَـٰذَا﴾ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِهِ هُوَ..

﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم: ٣٦] الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ نَجَا، وَمَنْ رَكِبَهُ اهْتَدَىٰ؛ لِأَنَّهُ دِينُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾ [مريم: ٣٧].

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ فَاخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ، فَصَارُوا أَحْزَابًا مُتَفَرِّقِينَ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا رُفِعَ ابْنُ مَرْيَمَ، انْتَخَبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرْبَعَةً مِنْ فُقَهَائِهِمْ، فَقَالُوا لِلْأَوَّلِ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ اللهُ هَبَطَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَخَلَقَ مَا خَلَقَ، وَأَحْيَا مَا أَحْيَا، ثُمَّ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْيَعْقُوبِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَقَالَ الثَّلَاثَةُ الْآخَرُونَ: نَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، فَقَالُوا لِلثَّانِي: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ ابْنُ اللهِ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ النَّسْطُورِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَقَالَ الِاثْنَانِ الْآخَرَانِ: نَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، فَقَالُوا لِلثَّالِثِ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَىٰ؟ قَالَ: هُوَ إِلَهٌ، وَأُمُّهُ إِلَهٌ، وَاللهُ إِلَهٌ، فَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مِنَ النَّصَارَىٰ، فَقَالَ الرَّابِعُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، وَلَكِنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ، فَاخْتَصَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ مَا تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لَا يَطْعَمُ الطَّعَامَ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ يَنَامُ؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ فَخَصَمَهُمُ الْمُسْلِمُ، قَالَ: فَاقْتَتَلَ الْقَوْمُ، قَالَ: فَذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْيَعْقُوبِيَّةَ ظَهَرَتْ يَوْمَئِذٍ وَأُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: ٢١])..

﴿فَوَيۡلٌ﴾ فَوَادِي جَهَنَّمَ الَّذِي يُدْعَىٰ وَيْلًا..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ، مِنَ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عِيسَىٰ للهِ وَلَدٌ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾ [مريم: ٣٧] مِنْ شُهُودِهِمْ يَوْمًا عَظِيمًا شَأْنُهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [مريم: ٣٨].

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ حَالِ الْكَافِرِينَ بِهِ، الْجَاعِلِينَ لَهُ أَنْدَادًا، وَالزَّاعِمِينَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا يَوْمَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ: لَئِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا عُمْيًا عَنْ إِبْصَارِ

الْحَقِّ، وَالنَّظَرِ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، صُمًّا عَنْ سَمَاعِ آيِ كِتَابِهِ، وَمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللهِ فِيهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، وَمَا بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، فَمَا أَسْمَعَهُمْ يَوْمَ قُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَأَبْصَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِبْصَارُ وَالسَّمَاعُ..

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لَكِنِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ الْكَذِبَ..

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ فِي ذَهَابٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَخْذٍ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ..

﴿مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [مريم: ٣٨] مُبِينٌ أَنَّهُ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ وَالْهُدَىٰ، لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَفَكَّرَ فِيهِ، فَهُدِيَ لِرُشْدِهِ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم: ٣٩].

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يَوْمَ حَسْرَتِهِمْ وَنَدَمِهِمْ، عَلَىٰ مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَأُورِثَتْ مَسَاكِنُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، وَأَدْخَلُوهُمْ مَسَاكِنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيْقَنَ الْفَرِيقَانِ بِالْخُلُودِ الدَّائِمِ، وَالْحَيَاةِ الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، فَيَا لَهَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فِي الدُّنْيَا»**..

﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ إِذْ فُرِغَ مِنَ الْحُكْمِ لِأَهْلِ النَّارِ بِالْخُلُودِ فِيهَا، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِمُقَامِ الْأَبَدِ فِيهَا، بِذَبْحِ الْمَوْتِ..

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ يَأْتُونَهُ خَارِجِينَ إِلَيْهِ مِنْ قُبُورِهِمْ، مِنْ تَخْلِيدِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَتَوْرِيثِهِ مَسَاكِنَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرَهُمْ..

﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم: ٣٩] وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ، وَمُجَازَاةِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ، بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُجَازِيهِمْ بِهِ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم: ٤٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ لَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ وَمَرجعَ جَمِيعِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ، وَنَحْنُ وَارِثُو الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ بِفَنَائِهِمْ مِنْهَا، وَبَقَائِهَا لَا مَالِكَ لَهَا غَيْرُنَا..

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم: ٤٠] ثُمَّ عَلَيْنَا جَزَاءُ كُلِّ عَامِلٍ مِنْهُمْ بِعَمَلِهِ، عِنْدَ مَرْجِعِهِ إِلَيْنَا، الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَاقْصُصْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَصَصَهُ وَقَصَصَ أَبِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ فِي حَدِيثِهِ وَأَخْبَارِهِ وَمَوَاعِيدِهِ، لَا يَكْذِبُ..

﴿نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١] كَانَ اللهُ قَدْ نَبَّأَهُ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ [مريم: ٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ اذْكُرْهُ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ..

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ مَا تَصْنَعُ بِعِبَادَةِ الْوَثَنِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ..

﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ شَيْئًا..

﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ [مريم: ٤٢] وَلَا يَدْفَعُ عَنْكَ ضُرَّ شَيْءٍ، إِنَّمَا هُوَ صُورَةٌ مُصَوَّرَةٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، يَقُولُ مَا تَصْنَعُ بِعِبَادَةِ مَا هَذِهِ صِفَتُهُ؟ اعْبُدِ الَّذِي إِذَا دَعَوْتَهُ سَمِعَ دُعَاءَكَ، وَإِذَا أُحِيطَ بِكَ أَبْصَرَكَ فَنَصَرَكَ، وَإِذَا نَزَلَ بِكَ ضُرٌّ دَفَعَ عَنْكَ.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣﴾ [مريم: ٤٣].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُؤْتِكَ..

﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ فَاقْبَلْ مِنِّي نَصِيحَتِي..

﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ٤٣] أُبَصِّرْكَ هُدَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَوِي الَّذِي لَا تَضِلُّ فِيهِ إِنْ لَزِمْتَهُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤] وَالْعَصِيُّ هُوَ ذُو الْعِصْيَانِ، كَمَا الْعَلِيمُ ذُو الْعِلْمِ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: الْعَصِيُّ: هُوَ الْعَاصِي، وَالْعَلِيمُ هُوَ الْعَالِمُ، وَقَالُوا: قَالَ عَرِيفُهُمْ، وَهُوَ يُرِيدُ: عَارِفُهُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَىٰ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يَمَسُّكَ عَذَابٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ.. وَالْخَوْفُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، كَمَا الْخَشْيَةُ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠]..

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥] تَكُونُ لَهُ وَلِيًّا دُونَ اللهِ، وَيَتَبَرَّأُ اللهُ مِنْكَ فَتَهْلِكُ.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ، حِينَ دَعَاهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ أَرَاغِبٌ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِي؟..

﴿لَئِن﴾ أَنْتَ..

﴿لَّمْ تَنتَهِ﴾ عَنْ ذِكْرِهَا بِسُوءٍ..

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بِالْكَلَامِ، وَذَلِكَ السَّبُّ، وَالْقَوْلُ الْقَبِيحُ.

﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] وَاهْجُرْنِي سَوِيًّا سَالِمًا مِنْ عُقُوبَتِي إِيَّاكَ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَاهْجُرْنِي وَعِرْضُكَ وَافِرٌ مِنْ عُقُوبَتِي، وَجِسْمُكَ مُعَافًى مِنْ أَذَايَ؛ لِأَنَّهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، وَذَلِكَ وَعِيدٌ مِنْهُ لَهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِ بِالسُّوءِ أَنْ يَرْجُمَهُ بِالْقَوْلِ السَّيِّءِ، وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ التَّقَدُّمُ إِلَيْهِ بِالِانْتِهَاءِ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ تَنَالَهُ الْعُقُوبَةُ، فَأَمَّا الْأَمْرُ بِطُولِ هِجْرِهِ فَلَا وَجْهَ لَهُ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٧].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ حِينَ تَوَعَّدَهُ عَلَىٰ نَصِيحَتِهِ إِيَّاهُ وَدُعَائِهِ إِلَىٰ اللهِ بِالْقَوْلِ السَّيِّئِ وَالْعُقُوبَةِ..

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ يَا أَبَتِ، يَقُولُ: أَمَنَةً مِنِّي لَكَ أَنْ أُعَاوِدَكَ فِيمَا كَرِهْتَ، وَلِدُعَائِكَ إِلَيَّ مَا تَوَعَّدْتَنِي عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ وَلَكِنِّي..

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ سَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ بِعَفْوِهِ إِيَّاكَ عَنْ عُقُوبَتِكَ عَلَيْهَا..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٧] إِنَّ رَبِّي عَهِدْتُهُ بِي لَطِيفًا يُجِيبُ دُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهُ.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨].

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ وَأَجْتَنِبُكُمْ..

﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَإِفْرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ..

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨] عَسَىٰ أَنْ لَا أَشْقَىٰ بِدُعَاءِ رَبِّي، وَلَكِنْ يُجِيبُ دُعَائِي، وَيُعْطِينِي مَا أَسْأَلُهُ.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾ [مريم: ٤٩].

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ..

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَعِبَادَةَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونَ اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ..

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ آنَسْنَا وَحْشَتَهُ مِنْ فِرَاقِهِمْ، وَأَبْدَلْنَاهُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ، فَوَهَبْنَا لَهُ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَابْنَ ابْنِهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ..

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾ [مريم: ٤٩] وَجَعَلْنَاهُمْ كُلَّهُمْ، يَعْنِي بِالْكُلِّ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْبِيَاءَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾ فَوَحَّدَ، وَلَمْ يَقُلْ أَنْبِيَاءَ، لِتَوْحِيدِ لَفْظِ كُلٍّ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾ [مريم: ٥٠].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ وَرَزَقْنَا جَمِيعَهُمْ، يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ وَكَانَ الَّذِي وَهَبَ لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ سَعَةِ رِزْقِهِ، وَأَغْنَاهُمْ بِفَضْلِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم: ٥٠] وَرَزَقْنَاهُمُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ، وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ مِنَ النَّاسِ.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١].

﴿وَاذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿مُوسَىٰٓ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ وَاقْصُصْ عَلَىٰ قَوْمِكَ نَبَأَهُ، إِنَّهُ كَانَ..

﴿مُخْلَصًا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضِ الْكُوفِيِّينَ: (مُخْلِصًا) بِكَسْرِ اللَّامِ، مِنَ الْمُخْلِصِ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّهُ كَانَ يُخْلِصُ للهِ الْعِبَادَةَ، وَيُفْرِدُهُ بِالْأُلُوهَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِيهَا شَرِيكًا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ خَلَا عَاصِمٍ: ﴿مُخْلَصًا﴾، بِفَتْحِ اللَّامِ مِنْ مُخْلَصٍ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْلَصَهُ وَاصْطَفَاهُ لِرِسَالَتِهِ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُ كَانَ ﷺ مُخْلِصًا عِبَادَةَ اللهِ، مُخْلَصًا لِلرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ..

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١] وَكَانَ للهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ نَبِيًّا.

﴿وَنَادَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢].

﴿وَنَادَيْنَٰهُ﴾ وَنَادَيْنَا مُوسَىٰ..

﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَبَلِ..

﴿الْأَيْمَنِ﴾ يَمِينِ مُوسَىٰ، لِأَنَّ الْجَبَلَ لَا يَمِينَ لَهُ وَلَا شِمَالَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَمَا يُقَالُ: قَامَ عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ وَعَنْ شِمَالِهَا..

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢] وَأَدْنَيْنَاهُ مُنَاجِيًا، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ نُدِيمُ فُلَانٍ وَمُنَادِمُهُ، وَجَلِيسُ فُلَانٍ وَمُجَالِسُهُ، وَذُكِرَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَدْنَاهُ حَتَّىٰ سَمِعَ صَرِيفَ الْقَلَمِ، وَهُوَ الثَّابِتُ عن ابنِ عباسٍ، ومجاهدٍ، وأبي العَالِيةِ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ وَوَهَبْنَا لِمُوسَىٰ..

﴿مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣] رَحْمَةً مِنَّا أَيَّدْنَاهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَعَنَّاهُ بِهَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ هَارُونُ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَىٰ، وَلَكِنْ أَرَادَ وَهْبَ لَهُ نُبُوَّتَهُ).

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ﴾ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَاقْصُصْ خَبَرَهُ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يَكْذِبُ وَعْدَهُ، وَلَا يَخْلُفُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَعَدَ رَبَّهُ، أَوْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ وَعْدًا وَفَّىٰ بِهِ..

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٥].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ..

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ..

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٥] عَمَلُهُ، مَحْمُودًا فِيمَا كَلَّفَهُ رَبُّهُ، غَيْرَ مَقَصِّرٍ فِي طَاعَتِهِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم: ٥٦].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ لَا يَقُولُ الْكَذِبَ..

﴿نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم: ٥٦] نُوحِي إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِنَا مَا نَشَاءُ.

﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧].

﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] ذُكِرَ أَنَّ اللهَ رَفَعَهُ وَهُوَ حَيٌّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ يَعْنِي بِهِ إِلَىٰ مَكَانٍ ذِي عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ بِتَوْفِيقِهِ، فَهَدَاهُمْ لِطَرِيقِ الرُّشْدِ..

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ..

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ فَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ: إِدْرِيسُ..

﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ فِي الْفُلْكِ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ: إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ: إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَإِسْمَاعِيلُ..

﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ.. وَالَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ: مُوسَىٰ وَهَارُونُ وَزَكَرِيَّا وَعِيسَىٰ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ.. وَلِذَلِكَ فَرَّقَ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ أَنْسَابَهُمْ وَإِنْ كَانَ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ آدَمُ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ مَنْ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَإِدْرِيسُ جَدُّ نُوحٍ.

﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ وَمِمَّنْ اصْطَفَيْنَا وَاخْتَرْنَا لِرِسَالَتِنَا وَوَحْيِنَا..

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ..

﴿ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أَدِلَّةُ اللهِ وَحُجَجُهُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ..

﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ﴾ خَرُّوا للهِ سُجَّدًا، اسْتِكَانَةً لَهُ وَتَذَلُّلًا وَخُضُوعًا لِأَمْرِهِ وَانْقِيَادًا..

﴿وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨] خَرُّوا سُجَّدًا وَهُمْ بَاكُونَ، وَالْبُكِيُّ: جَمْعُ بَاكٍ، كَمَا الْعُتِيُّ: جَمْعُ عَاتٍ، وَالْجُثِيُّ: جَمْعُ جَاثٍ، كَمَا يُجْمَعُ الْقَاعِدُ قُعُودًا، وَالْجَالِسُ جُلُوسًا.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبُكِيُّ هُوَ الْبُكَاءُ بِعَيْنِهِ، وَقَدْ قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُورَةَ مَرْيَمَ فَسَجَدَ وَقَالَ: (هَذَا السُّجُودُ، فَأَيْنَ الْبُكِيُّ؟) يُرِيدُ: فَأَيْنَ الْبُكَاءُ.

﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

﴿۞فَخَلَفَ﴾ فَحَدَثَ..

﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ، وَوَصَفْتُ

صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿خَلْفٌ﴾ خَلْفُ سُوءٍ خَلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ إِضَاعَتِهِمُ الصَّلَاةَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ إِضَاعَتُهُمُوهَا تَأْخِيرَهُمْ إِيَّاهَا عَنْ مَوَاقِيتِهَا، وَتَضْيِيعَهِمْ أَوْقَاتَهَا، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللهَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٥]، وَ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝﴾ [المعارج: ٢٣]، وَ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٢]؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عَلَىٰ مَوَاقِيتِهَا)، قَالُوا: مَا كُنَّا نَرَىٰ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ التَّرْكِ، قَالَ: (ذَاكَ الْكُفْرُ).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ إِضَاعَتُهُمُوهَا تَرْكَهَا.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِضَاعَتُهُمُوهَا تَرْكَهُمْ إِيَّاهَا، لِدَلَالَةِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بَعْدَهُ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم: ٦٠]، فَلَوْ كَانَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ضَيَّعُوهَا مُؤْمِنِينَ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا لَا يَعْمَلُونَ للهِ، وَلَا يُؤَدُّونَ لَهُ فَرِيضَةً، فَسَقَةً..

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ آثَرُوا شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذِهَابِ صَالِحِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَنْزُو بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَزِقَّةِ زُنَاةٌ)..

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخُلْفُ الَّذِينَ خَلَفُوا بَعْدَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ سَيَدْخُلُونَ..

﴿غَيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٩] وَهُوَ اسْمُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، أَوِ اسْمُ بِئْرٍ مِنْ آبَارِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِالْغَيِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخُسْرَانَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهِ الشَّرَّ.. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَرَدَ الْبِئْرَ، أو الْوَادِي فِي جَهَنَّمَ، فَدَخَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ لَاقَىٰ خُسْرَانًا وَشَرًّا، حَسْبُهُ بِهِ شَرًّا.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝﴾ [مريم: ٦٠].

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ فَسَوْفَ يَلْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْخَلَفُ السُّوءُ الَّذِينَ وُصِفَ صِفَتُهُمْ غَيًّا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا..

﴿وَءَامَنَ﴾ فَرَاجَعُوا أَمْرَ اللهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَأَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ عَنْهُ، وَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَإِنَّ أُولَئِكَ مِنْهُمْ خَاصَّةً..

﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ دُونَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَإِضَاعَتِهِ الصَّلَاةَ وَاتِّبَاعِهِ الشَّهَوَاتِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠﴾ [مريم: ٦٠] وَلَا يُبْخَسُونَ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ هَلَكُوا مِنَ الْخَلَفِ السُّوءِ مِنْهُمْ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ ضَلَالِهِمْ، وَقَبْلَ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ فِي جَهَنَّمَ، وَلَكِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَدْخَلَ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ [مريم: ٦١].

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ..

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ هَذِهِ الْجَنَّاتُ هِيَ الْجَنَّاتُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوهَا بِالْغَيْبِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهَا وَلَمْ يُعَايِنُوهَا، فَهِيَ غَيْبٌ لَهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ وَوَعْدُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَوْعُودُهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ..

﴿مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ [مريم: ٦١] يَأْتِيهِ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُوهَا اللهُ.. وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: خَرَجَ الْخَبَرُ عَلَىٰ أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ الْمَأْتِيُّ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي، وَلَمْ يَقُلْ: وَكَانَ وَعْدُهُ آتِيًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا أَتَاكَ فَأَنْتَ تَأْتِيهِ، وَقَالَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ: أَتَيْتُ عَلَىٰ خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَتَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ سَنَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ صَوَابٌ.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢﴾ [مريم: ٦٢].

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِيهَا..

﴿لَغْوًا﴾ وَهُوَ الْهَذْيُ وَالْبَاطِلُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ..

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ وَهَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ يَسْمَعُونَ سَلَامًا، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ وَلَهُمْ طَعَامُهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ..

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢﴾ [مريم: ٦٢] فِي قَدْرِ وَقْتِ الْبُكْرَةِ وَوَقْتِ الْعَشِيِّ مِنْ نَهَارِ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنَّ الَّذِي بَيْنَ غَدَائِهِمْ وَعَشَائِهِمْ فِي الْجَنَّةِ قَدْرُ مَا بَيْنَ غَدَاءِ أَحَدِنَا فِي الدُّنْيَا وَعَشَائِهِ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْعَشَاءِ وَالْغَدَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا لَيْلَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا نَهَارَ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، وَ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يَعْنِي بِهِ: مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٣].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ..

﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ صِفَتَهَا، هِيَ الْجَنَّةُ..

﴿ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ الَّتِي نُورِثُهَا، يَقُولُ: نُورِثُ مَسَاكِنَ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا..

﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٣] مَنْ كَانَ ذَا اتِّقَاءِ عَذَابِ اللهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٤].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ اسْتِبْطَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ جِبْرَائِيلَ بِالْوَحْيِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرَائِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟** فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾».. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: فَلَا تَسْتَبْطِئْنَا يَا مُحَمَّدُ فِي تَخَلُّفِنَا عَنْكَ، فَإِنَّا لَا نَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَنَا بِالنُّزُولِ إِلَيْهَا..

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ للهِ مَا هُوَ حَادِثٌ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَمْ تَأْتِ وَهِيَ آتِيَةٌ..

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ وَمَا قَدْ مَضَىٰ فَخَلَّفْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا..

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وَمَا بَيْنَ وَقْتِنَا هَذَا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، بِيَدِهِ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَهُوَ مَالِكُهُ وَمُصَرِّفُهُ، لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ غَيْرُهُ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُحْدِثَ فِي سُلْطَانِهِ أَمْرًا إِلَّا بِأَمْرِهِ إِيَّانَا بِهِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٤] وَلَمْ يَكُنْ رَبُّكَ ذَا نِسْيَانٍ، فَيَتَأَخَّرُ نُزُولِي إِلَيْكَ بِنِسْيَانِهِ إِيَّاكَ، بَلْ هُوَ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، فَتَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَكِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُدَبِّرُ وَيَقْضِي فِي خَلْقِهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٥].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا نَسِيًّا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ نَسِيًّا لَمْ يَسْتَقِمْ ذَلِكَ وَلَهَلَكَ، لَوْلَا حِفْظُهُ إِيَّاهُ..

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فَالْزَمْ طَاعَتَهُ، وَذِلَّ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَىٰ النُّفُوذِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، تَفُزْ بِرِضَاهُ

عَنْكَ، فَإِنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا عَدْلَ وَلَا شَبِيهَ فِي جُودِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ..

﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِرَبِّكَ هَذَا الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِعِبَادَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿سَمِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٥] مِثْلًا فِي كَرَمِهِ وَجُودِهِ، فَتَعْبُدُهُ رَجَاءَ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ دُونَهُ؟ كَلَّا، مَا ذَلِكَ بِمَوْجُودٍ.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٦].

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الْكَافِرُ الَّذِي لَا يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ..

﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٦] أُخْرَجُ حَيًّا، فَأُبْعَثُ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَبَعْدَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ، إِنْكَارًا مِنْهُ ذَلِكَ.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝﴾ [مريم: ٦٧].

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الْمُتَعَجِّبُ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْكِرُ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ، وَإِيجَادِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ..

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ مَمَاتِهِ، فَأَنْشَأَهُ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿وَلَمْ يَكُ﴾ مِنْ قَبْلِ إِنْشَائِهِ إِيَّاهُ..

﴿شَيْـًٔا ۝﴾ [مريم: ٦٧] فَيَعْتَبِرِ بِذَلِكَ وَيَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لَا يَعْجَزُ عَنْ إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَإِيجَادِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٨].

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ لَنَحْشُرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: أَئِذَا مِتْنَا لَسَوْفَ نُخْرَجُ أَحْيَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ، مُقْرَنِينَ بِأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٨] وَالْجِثِيُّ: جَمْعُ الْجَاثِي، يَعْنِي: الْقُعُودَ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٩].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ ثُمَّ لَنَأْخُذَنَّ..

﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ.. وَالشِّيعَةُ هُمُ الْجَمَاعَةُ الْمُتَعَاوِنُونَ عَلَىٰ الْأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: تَشَايَعَ الْقَوْمُ: إِذَا تَعَاوَنُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ: إِنَّهُ لَمُشَيَّعٌ: أَيْ مُعَانٌ، وَالتَّشَايُعُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّفَرُّقُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يَعْنِي: فِرَقًا، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ سَعْدٍ: (**إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ: شَيَّعْتَ بَيْنَ أُمَّتِي**)، بِمَعْنَىٰ: فَرَّقْتَ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ تَشَايَعَتْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝﴾ [مريم: ٦٩] أَشَدَّهُمْ عَلَىٰ اللهِ عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا فَلَنَبْدَأَنَّ بِإِصْلَائِهِ جَهَنَّمَ.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝﴾ [مريم: ٧٠].

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَنْزِعُهُمْ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ..

﴿بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝﴾ [مريم: ٧٠] أَوْلَاهُمْ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ، وَأَحَقُّهُمْ بِعَظِيمِ الْعُقُوبَةِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ صِلِيًّا.. وَالصِّلِيُّ: مَصْدَرُ صَلَّيْتُ تَصْلِي صِلِيًّا، وَالصِّلِيُّ: فُعُولٌ، وَلَكِنْ وَاوُهَا انْقَلَبَتْ يَاءً فَأُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ الَّتِي بَعْدَهَا الَّتِي هِيَ لَامُ الْفِعْلِ، فَصَارَتْ يَاءً مُشَدَّدَةً.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝﴾ [مريم: ٧١].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إِلَّا وَارِدُ جَهَنَّمَ.. يَرِدُهَا الْجَمِيعُ ثُمَّ يَصْدُرُ عَنْهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيُنَجِّيهِمُ اللهُ، وَيَهْوِي فِيهَا الْكُفَّارُ، وَوُرُودُهُمُوهَا هُوَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مُرُورِهِمْ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمُكَدَّسٌ فِيهَا.. فَعَنْ جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»، قَالَتْ: فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَهْ** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ**

بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَجْرُوحٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ وَمُكَدَّسٌ فِيهَا، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ تَفَقَّدَ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا، لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَىٰ النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ ثَدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ مَاءِ الْحَيَاةِ»، قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ تَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعًا، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ بِحَرَسٍ، لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنِهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا».. وَقَالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»، يَعْنِي: الْوُرُودَ..

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِيرَادُهُمُوهَا..

﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] قَضَاءً مَقْضِيًّا، قَدْ قَضَىٰ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مِنَ النَّارِ بَعْدَ وُرُودِ جَمِيعِهِمْ إِيَّاهَا..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فَخَافُوهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَنَدَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللهِ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢] بُرُوكًا عَلَىٰ رُكَبِهِمْ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾ [مريم: ٧٣].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿ءَايَٰتُنَا﴾ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا وَفَكَّرَ فِيهَا أَنَّهَا أَدِلَّةٌ عَلَىٰ مَا جَعَلَهَا اللهُ أَدِلَّةً عَلَيْهِ لِعِبَادِهِ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ، وَهُمْ قُرَيْشٌ..

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فَصَدَّقُوا بِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ..

﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أَوْسَعُ عَيْشًا، وَأَنْعَمُ بَالًا، وَأَفْضَلُ مَسْكَنًا.. وَيَعْنِي بِالْمَقَامِ: مَوْضِعَ إِقَامَتِهِمْ، وَهِيَ مَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ..

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾ [مريم: ٧٣] وَأَحْسَنُ مَجْلِسًا، وَأَجْمَعُ عَدَدًا وَغَاشِيَةً فِي الْمَجْلِسِ، نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟.. يُقَالُ مِنْهُ: نَدَوْتُ الْقَوْمَ أَنْدُوهُمْ نُدُوًّا: إِذَا جَمَعْتُهُمْ فِي مَجْلِسٍ، وَيُقَالُ: هُوَ فِي نَدِيِّ قَوْمِهِ وَفِي نَادِيهِمْ: بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ [مريم: ٧٤].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، مَجَالِسَ..

﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ هُمْ أَكْثَرُ مَتَاعَ مَنَازِلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ..

﴿وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ [مريم: ٧٤] وَأَحْسَنُ مِنْهُمْ مَنْظَرًا وَأَجْمَلُ صُوَرًا، فَأَهْلَكْنَا أَمْوَالَهُمْ، وَغَيَّرْنَا صُوَرَهُمْ.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ [مريم: ٧٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، الْقَائِلِينَ: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا، أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَّا وَمِنْكُمْ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا..

﴿مَن كَانَ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ جَائِرًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، سَالِكًا غَيْرَ سَبِيلِ الْهُدَىٰ..

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ فَلْيُطَوِّلْ لَهُ اللهُ فِي ضَلَالَتِهِ، وَلْيُمْلِهِ فِيهَا إِمْلَاءً..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ فِي ضَلَالَتِهِ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ..

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ إِمَّا عَذَابٌ عَاجِلٌ، أَوْ يُلْقُوا رَبَّهُمْ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ الَّتِي وَعَدَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ لَهَا، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَتَاهُمْ وَعْدُ اللهِ بِأَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وَمَسْكَنًا مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ..

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ [مريم: ٧٥] أَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ؟ وَيَتَبَيَّنُونَ حِينَئِذٍ أَيَّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ نَدِيًّا.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾

[مريم: ٧٦].

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ وَيَزِيدُ اللهُ مَنْ سَلَكَ قَصْدَ الْمَحَجَّةِ، وَاهْتَدَىٰ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ، فَآمَنَ بِرَبِّهِ، وَصَدَّقَ بِآيَاتِهِ، فَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿هُدًىۗ﴾ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي يَفْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُقِرُّ بِلُزُومِ فَرْضِهَا إِيَّاهُ، وَيَعْمَلُ بِهَا، فَذَلِكَ زِيَادَةٌ مِنَ اللهِ فِي اهْتِدَائِهِ بِآيَاتِهِ هُدًىٰ عَلَىٰ هُدَاهُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].. وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ بِنَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ، فَيُؤْمِنُ بِالنَّاسِخِ، كَمَا آمَنَ مِنْ قَبْلُ بِالْمَنْسُوخِ، فَذَلِكَ زِيَادَةُ هُدًىٰ مِنَ اللهِ لَهُ عَلَىٰ هُدَاهُ مِنْ قَبْلُ..

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ وَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ وَرَضِيَهَا مِنْهُمْ، الْبَاقِيَاتُ لَهُمْ غَيْرُ الْفَانِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ جَزَاءً لِأَهْلِهَا..

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ [مريم: ٧٦] عَلَيْهِمْ مِنْ مَقَامَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَأَنْدِيَتِهِمُ الَّتِي يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧].

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ حُجَجِنَا فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا، وَأَنْكَرَ وَعِيدَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿وَقَالَ﴾ وَهُوَ بِاللهِ كَافِرٌ وَبِرَسُولِهِ..

﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧] ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أُنْزِلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَعَنْ خَبَّابٍ، قَالَ: (كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَقْضِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّىٰ تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: فَقَالَ: فَإِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ كَمَا تَقُولُ، جِئْتَنِي وَلِي مَالٌ وَوَلَدٌ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٧-٧٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم: ٨٠]).

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أَعَلِمَ هَذَا الْقَائِلُ هَذَا الْقَوْلَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَوَلَدًا بِاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ عِلْمِ مَا غَابَ عَنْهُ..

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨] أَمْ آمَنَ بِاللهِ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، فَكَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا أَنْ يُؤْتِيَهُ مَا يَقُولُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ.

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم: ٧٩].

﴿كَلَّا ۚ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، مَا اطَّلَعَ الْغَيْبَ، فَعَلِمَ صِدْقَ مَا يَقُولُ، وَحَقِيقَةَ مَا يُذْكَرُ، وَلَا اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، بَلْ كَذَّبَ وَكَفَرَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ هَذَا الْكَافِرُ بِرَبِّهِ، الْقَائِلُ ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ [مريم: ٧٧] فِي الْآخِرَةِ ﴿مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧]..

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم: ٧٩] وَنَزِيدُهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي جَهَنَّمَ بِقِيلِهِ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا، زِيَادَةً عَلَىٰ عَذَابِهِ بِكُفْرِهِ بِاللهِ.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠].

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ وَنَسْلُبُ هَذَا الْقَائِلَ: لَأُوتَيَنَّ فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَوَلَدًا، مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَيَصِيرُ لَنَا مَالُهُ وَوَلَدُهُ دُونَهُ..

﴿وَيَأْتِينَا﴾ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠] وَحْدَهُ لَا مَالَ مَعَهُ وَلَا وَلَدَ.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم: ٨١].

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ وَاتَّخَذَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم: ٨١] لِتَكُونَ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةُ لَهُمْ عِزًّا، يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَيَتَّخِذُونَ عِبَادَتَهُمُوهَا عِنْدَ اللهِ زُلْفَى.

﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢].

﴿كَلَّاۚ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا وَأَمَّلُوا مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، فِي أَنَّهَا تُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَتُنْجِيهِمْ مِنْهُ، وَمِنْ سُوءٍ إِنْ أَرَادَهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ..

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ وَلَكِنْ سَيَكْفُرُ الْآلِهَةُ فِي الْآخِرَةِ بِعِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِيَّاهَا، وَكُفْرِهِمْ بِهَا قِيلُهُمْ لِرَبِّهِمْ: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾، فَجَحَدُوا أَنْ يَكُونُوا عَبَدُوهُمْ أَوْ أَمَرُوهُمْ بِذَلِكَ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ..

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَتَكُونُ آلِهَتُهُمْ عَلَيْهِمْ عَوْنًا، وَقَالُوا: الضِّدُّ: الْعَوْنُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَى بِالضِّدِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْقُرَنَاءَ، يَعْنِي: قُرَنَاءَ فِي النَّارِ، يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى الضِّدِّ هَهُنَا: الْعَدُوُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى الضِّدِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْبَلَاءُ.. وَالضِّدُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْخِلَافُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يُضَادُّ فُلَانًا فِي كَذَا، إِذَا كَانَ يُخَالِفُهُ فِي صَنِيعِهِ، فَيُفْسِدُ مَا أَصْلَحَهُ، وَيُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَكَانَتْ آلِهَةُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ، وَيَنْتَفُونَ يَوْمَئِذٍ، صَارُوا لَهُمْ أَضْدَادًا، فَوُصِفُوا بِذَلِكَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ [مريم: ٨٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿تَؤُزُّهُمۡ﴾ تُحَرِّكُهُمْ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، فَتُزْعِجُهُمْ إِلَىٰ مَعَاصِي اللهِ، وَتُغْرِيهِمْ بِهَا حَتَّىٰ يُوَاقِعُوهَا..

﴿أَزّٗا ۝٨٣﴾ [مريم: ٨٣] إِزْعَاجًا وَإِغْوَاءً.

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ۝٨٤﴾ [مريم: ٨٤].

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِطَلَبِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَالْهَلَاكِ، يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ۝٨٤﴾ [مريم: ٨٤] فَإِنَّمَا نُؤَخِّرُ إِهْلَاكَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ أَعْمَالَهُمْ كُلَّهَا وَنُحْصِيهَا حَتَّىٰ أَنْفَاسَهُمْ لِنُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا، وَلَمْ نَتْرُكْ تَعْجِيلَ هَلَاكِهِمْ لِخَيْرٍ أَرَدْنَاهُ بِهِمْ.

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥].

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يَوْمَ نَجْمَعُ الَّذِينَ اتَّقَوْا فِي الدُّنْيَا فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَاجْتَنَبُوا لِذَلِكَ مَعَاصِيَهُ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَفۡدٗا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥] يَعْنِي بِالْوَفْدِ: الرُّكْبَانَ، يُقَالُ: وَفَدْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ: إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ، وَأَوْفَدَ الْقَوْمُ وَفْدًا عَلَىٰ أَمِيرِهِمْ، إِذَا بَعَثُوا مِنْ قِبَلِهِمْ بَعْثًا، وَالْوَفْدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ، وَلَكِنَّهُ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ وَاحِدِهِمْ وَافِدٌ.

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦].

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وَنَسُوقُ الْكَافِرِينَ بِاللهِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا..

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦] عِطَاشًا.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٨٧﴾ [مريم: ٨٧].

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾ لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ يَا مُحَمَّدُ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ الْمُتَّقِينَ إِلَيْهِ وَفْدًا..

﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ حِينَ يَشْفَعُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ اللهِ، فَيَشْفَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿عَهْدًا ۝﴾ [مريم: ٨٧] بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٨٨].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٨٨] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْقَائِلِينَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝﴾ [مريم: ٨٩].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿شَيْـًٔا إِدًّا ۝﴾ [مريم: ٨٩] شَيْئًا عَظِيمًا مِنَ الْقَوْلِ مُنْكَرًا.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝﴾ [مريم: ٩٠].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ قِطَعًا مِنْ قِيلِهِمْ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٨٨]، وَمِنْهُ قِيلَ: فَطَرَ نَابُهُ: إِذَا انْشَقَّ..

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ وَتَكَادُ الْأَرْضُ تَنْشَقُّ فَتَنْصَدِعُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝﴾ [مريم: ٩٠] وَتَكَادُ الْجِبَالُ يَسْقُطُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ سُقُوطًا، وَالْهَدُّ: السُّقُوطُ.

﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٩١].

﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٩١] وَتَكَادُ الْجِبَالُ أَنْ تَخِرَّ انْقِضَاضًا، لِأَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٩٢].

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: ٩٢] وَمَا يَصْلُحُ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَالْخَلْقِ الَّذِينَ تَغْلِبُهُمُ الشَّهَوَاتُ، وَتَضْطَرُّهُمُ اللَّذَّاتُ إِلَىٰ جِمَاعِ الْإِنَاثِ، وَلَا وَلَدٌ يَحْدُثُ إِلَّا مِنْ أُنْثَىٰ، وَاللهُ يَتَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَخَلْقِهِ.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مَا جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَفِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ..

﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣] إِلَّا يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدًا لَهُ، ذَلِيلًا خَاضِعًا، مُقِرًّا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، لَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾ [مريم: ٩٤].

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ لَقَدْ أَحْصَىٰ الرَّحْمَنُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ..

﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾ [مريم: ٩٤] فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَبْلَغُ جَمِيعِهِمْ، وَعَرَفَ عَدَدَهُمْ فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ [مريم: ٩٥].

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ﴾ وَجَمِيعُ خَلْقِهِ سَوْفَ يَرِدُ عَلَيْهِ..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿فَرۡدًا ٩٥﴾ [مريم: ٩٥] وَحِيدًا، لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ اللهِ، وَلَا دَافِعَ عَنْهُ، فَيَقْضِي اللهُ فِيهِ مَا هُوَ قَاضٍ، وَيَصْنَعُ بِهِ مَا هُوَ صَانِعٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَعَمِلُوا بِهِ، فَأَحَلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ..

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦] فِي الدُّنْيَا، فِي صُدُورِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿بِلِسَانِكَ﴾ تَقْرَؤُهُ..

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، بِالْجَنَّةِ..

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧]وَلِتُنْذِرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ عَذَابَ اللهِ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ

أَهْلُ لَدَدٍ وَجَدَلٍ بِالْبَاطِلِ، لَا يَقْبَلُونَ الْحَقَّ، وَاللَّدُّ: شِدَّةُ الْخُصُومَةِ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم: ٩٨].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ وَكَثِيرًا أَهْلَكْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ قَوْمِكَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، إِذَا سَلَكُوا فِي خِلَافِي وَرُكُوبِ مَعَاصِيَّ مَسْلَكَهُمْ..

﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فَهَلْ تُحِسُّ أَنْتَ مِنْهُمْ أَحَدًا يَا مُحَمَّدُ فَتَرَاهُ وَتُعَايِنُهُ..

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم: ٩٨] أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا، بَلْ بَادُوا وَهَلَكُوا، وَخَلَتْ مِنْهُمْ دُورُهُمْ، وَأَوْحَشَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلُهُمْ، وَصَارُوا إِلَىٰ دَارٍ لَا يَنْفَعُهُمْ فِيهَا إِلَّا صَالِحٌ مِنْ عَمَلٍ قَدَّمُوهُ، فَكَذَلِكَ قَوْمُكَ هَؤُلَاءِ، صَائِرُونَ إِلَىٰ مَا صَارَ إِلَيْهِ أُولَئِكَ، إِنْ لَمْ يُعَالِجُوا التَّوْبَةَ قَبْلَ الْهَلَاكِ، وَالرِّكْزُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورةِ مَرْيَمَ

سُورَةُ طه (٢٠)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ طه

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طه ①﴾ [طه: ١].

﴿طه ①﴾ [طه: ١] يَا رَجُلُ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي عَكٍّ فِيمَا بَلَغَنِي، وَأَنَّ مَعْنَاهَا فِيهِمْ: يَا رَجُلُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا فِيهِمْ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَجَّهَ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ الْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مِنْ مَعْنَاهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا وَافَقَ ذَلِكَ تَأْوِيلَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: يَا رَجُلُ.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ②﴾ [طه: ٢].

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ②﴾ مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَشْقَىٰ بِهِ، فَنُكَلِّفَكَ مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③﴾ [طه: ٣].

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا تَذْكِرَةً..

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ③﴾ [طه: ٣] عِقَابَ اللهِ، فَيَتَّقِيهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ رَبِّهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④﴾ [طه: ٤].

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ..

﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④﴾ [طه: ٤] جَمْعُ عُلْيَا.

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⑤﴾ [طه: ٥].

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ عَرْشِهِ.. وَلِلرَّفْعِ فِي الرَّحْمَنِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا بِمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: تَنْزِيلًا، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: نَزَّلَهُ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ، نَزَّلَهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي عَلَىٰ الْعَرْشِ

اسْتَوَىٰ، وَالْآخَرُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ اسْتَوَىٰ، ذِكْرًا مِنَ الرَّحْمَنِ..

﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ارْتَفَعَ وَعَلَا.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦].

﴿لَهُۥ﴾ للهِ..

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مُلْكًا لَهُ، وَهُوَ مُدَبِّرُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمُصَرِّفُ جَمِيعِهِ..

﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦] وَيَعْنِي بِالثَّرَىٰ: النَّدَىٰ، يُقَالُ لِلتُّرَابِ الرَّطْبِ الْمُبْتَلِّ: ثَرَىٰ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: وَمَا تَحْتَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧].

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ أَوْ تُخْفِ بِهِ، فَسَوَاءٌ عِنْدَ رَبِّكَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا اسْتَسْرَرْتَهُ فِي نَفْسِكَ، فَلَمْ تُبْدِهِ بِجَوَارِحِكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ، وَلَمْ تَنْطِقْ بِهِ..

﴿وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] مِنَ السِّرِّ، وَهُوَ مَا عَلِمَ اللهُ مِمَّا أَخْفَىٰ عَنِ الْعِبَادِ، وَلَمْ يَعْلَمُوهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ وَلَمَّا يَكُنْ؛ لِأَنَّ مَا ظَهَرَ وَكَانَ فَغَيْرُ سِرٍّ، وَأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ وَهُوَ غَيْرُ كَائِنٍ فَلَا شَيْءَ، وَأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ وَهُوَ كَائِنٌ فَهُوَ أَخْفَىٰ مِنَ السِّرِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَنْ أَعْلَمَهُ ذَلِكَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، يَقُولُ: فَإِيَّاهُ فَاعْبُدوا أَيُّهَا النَّاسُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿لَهُ﴾ لِمَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨] فَقَالَ: الْحُسْنَىٰ، فَوَحَّدَ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلْأَسْمَاءِ، وَلَمْ يَقُلِ الْأَحَاسِنُ، لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ تَقَعُ عَلَيْهَا هَذِهِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ أَسْمَاءٌ، وَهَذِهِ فِي لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه: ١٨]، فَوَحَّدَ أُخْرَىٰ، وَهِيَ نَعْتٌ لِمَآرِبَ، وَالْمَآرِبُ: جَمْعٌ، وَاحِدَتُهَا: مَأْرُبَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ أُخَرُ، لِمَا وَصَفْنَا، وَلَوْ قِيلَ: أُخَرُ، لَكَانَ صَوَابًا.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩﴾ [طه: ٩].

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسَلِّيهِ عَمَّا يَلْقَىٰ مِنَ الشِّدَّةِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، وَمَعْرِّفَةَ مَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ، وَأَنَّهُ مُعْلِيهِ عَلَيْهِمْ، وَمُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ، وَيَحُثُّهُ عَلَىٰ الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ فِيمَا يَنُوبُهُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِيمَا يُزَاوِلُ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، مَا نَابَ أَخَاهُ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا لَقِيَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشِّدَّةِ طِفْلًا صَغِيرًا، ثُمَّ يَافِعًا مُتَرَعْرِعًا، ثُمَّ رَجُلًا كَامِلًا: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩﴾ بْنِ عِمْرَانَ.

﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه: ١٠].

﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الشِّتَاءِ لَيْلًا، وَأَنَّ مُوسَىٰ كَانَ أَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَلَمَّا رَأَىٰ ضَوْءَ النَّارِ..

﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ آنَسْتُ: وَجَدْتُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأُنْسِ..

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا﴾ لَعَلِّي أَجِيئُكُمْ مِنَ النَّارِ الَّتِي آنَسْتُ..

﴿بِقَبَسٍ﴾ بِشُعْلَةٍ، وَالْقَبَسُ: هُوَ النَّارُ فِي طَرَفِ الْعُودِ أَوِ الْقَصَبَةِ، يَقُولُ الْقَائِلُ لِصَاحِبِهِ: أَقْبِسْنِي نَارًا، فَيُعْطِيهِ إِيَّاهَا فِي طَرَفِ عُودٍ أَوْ قَصَبَةٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مُوسَىٰ بِقَوْلِهِ لِأَهْلِهِ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ لَعَلِّي آتِيكُمْ بِذَلِكَ لِتَصْطَلُوا بِهِ..

﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه: ١٠] دَلَالَةً تَدُلُّ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الَّذِي أَضْلَلْنَاهُ، إِمَّا مِنْ خَبَرٍ هَادٍ يَهْدِينَا إِلَيْهِ، وَإِمَّا مِنْ بَيَانٍ وَعِلْمٍ نَتَبَيَّنُهُ بِهِ وَنَعْرِفُهُ.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾ [طه: ١١].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ النَّارَ مُوسَىٰ..

﴿نُودِيَ﴾ نَادَاهُ رَبُّهُ..

﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾ [طه: ١١].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ لِيُبَاشِرَ بِقَدَمَيْهِ بَرَكَةَ الْوَادِي، إِذْ كَانَ وَادِيًا مُقَدَّسًا، وَإِنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ بِعَقِبِهِ، دَلِيلًا وَاضِحًا، عَلَىٰ أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُ بِخَلْعِهِمَا لِمَا ذَكَرْنَا.. وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُ أَمَرَ بِخَلْعِهِمَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ وَلَا لِنَجَاسَتِهِمَا، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ عَمَّنْ يَلْزَمُ بِقَوْلِهِ الْحُجَّةُ.

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُطَهَّرِ الْمُبَارَكِ..

﴿طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢] اسْمُ الْوَادِي.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣].

﴿وَأَنَا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ قَرَءُوا: (وَأَنَّا) بِتَشْدِيدِ النُّونِ، وَ بِفَتْحِ الْأَلِفِ مِنْ (أَنَّا) رَدًّا عَلَىٰ: نُودِيَ يَا مُوسَىٰ، كَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ، وَأَنَّا اخْتَرْتُكَ، وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ.. وَأَمَّا عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَرَءُوهُ: ﴿وَأَنَا﴾ بِتَخْفِيفِ النُّونِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ مِنَ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ اخْتَارَهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قُرَّاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ، مَعَ اتِّفَاقِ مَعْنَيَيْهِمَا، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهِ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: نُودِيَ أَنَّا..

﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ اخْتَرْنَاكَ، فَاجْتَبَيْنَاكَ لِرِسَالَتِنَا إِلَىٰ مَنْ نُرْسِلُكَ إِلَيْهِ..

﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣] فَاسْتَمِعْ لِوَحْيِنَا الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَعِهِ، وَاعْمَلْ بِهِ.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إِنَّنِي أَنَا الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ فَلَا تَعْبُدْ غَيْرِي، فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ تَجُوزُ أَوْ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ سِوَايَ..

﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ فَأَخْلِصِ الْعِبَادَةَ لِي دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِي..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] أَقِمِ الصَّلَاةَ لِي، فَإِنَّكَ إِذَا أَقَمْتَهَا ذَكَرْتَنِي، فَمَعْنَاهُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذْكُرَنِي فِيهَا.. وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ: حِينَ تَذْكُرُهَا، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَهَا.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٥].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الَّتِي يَبْعَثُ اللهُ فِيهَا الْخَلَائِقَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿ءَاتِيَةٌ﴾ جائِيَةٌ..

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مِنْ نَفْسِي، لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَبِذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.. فَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبَ عَلَىٰ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَجَرَىٰ بِهِ خِطَابُهُمْ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعْرُوفًا فِي كَلَامِهِمْ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي الْخَبَرِ عَنْ إِخْفَائِهِ شَيْئًا هُوَ لَهُ مُسِرٌّ: قَدْ كِدْتُ أَنْ أُخْفِيَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ نَفْسِي، مِنْ شِدَّةِ اسْتِسْرَارِي بِهِ، وَلَوْ قَدَرْتُ أُخْفِيهِ عَنْ نَفْسِي أَخْفَيْتُهُ، خَاطَبَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدْ جَرَىٰ بِهِ اسْتِعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَهُمْ، وَمَا قَدْ عَرَفُوهُ فِي مَنْطِقِهِمْ.. وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ غَيْرُ مَا قُلْنَا، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا هَذَا الْقَوْلَ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ لِمُوَافَقَةِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، إِذْ كُنَّا لَا نَسْتَجِيزُ الْخِلَافَ عَلَيْهِمْ، فِيمَا اسْتَفَاضَ الْقَوْلُ بِهِ مِنْهُمْ، وَجَاءَ عَنْهُمْ مَجِيئًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ.. فَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا فِي ذَلِكَ غَيْرَ قَوْلِنَا مِمَّنْ قَالَ فِيهِ عَلَىٰ وَجْهِ الِانْتِزَاعِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْزُوهُ إِلَىٰ إِمَامٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوِ التَّابِعِينَ، وَعَلَىٰ وَجْهٍ يَحْتَمِلُ الْكَلَامُ غَيْرَ وَجْهِهِ الْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ بَيْنَهُمْ، وَغَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ غَيْرِ الْأَغْلَبِ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهِهِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ، فَفِي ذَلِكَ مَعَ خِلَافِهِمْ تَأْوِيلَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِ، شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَىٰ خَطَأِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ لِتُثَابَ كُلُّ نَفْسٍ امْتَحَنَهَا رَبُّهَا بِالْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا..

﴿بِمَا تَسْعَىٰ ⑮﴾ [طه: ١٥] بِمَا تَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ⑯﴾ [طه: ١٦].

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ فَلَا يَرُدَّنَّكَ يَا مُوسَىٰ..

﴿عَنْهَا﴾ عَنِ التَّأَهُّبِ لِلسَّاعَةِ..

﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ مَنْ لَا يُقِرُّ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَا يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ عِقَابًا..

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ اتَّبَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ..

﴿فَتَرْدَىٰ ⑯﴾ [طه: ١٦] فَتَهْلِكَ إِنْ أَنْتَ انْصَدَدْتَ عَنِ التَّأَهُّبِ لِلسَّاعَةِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِأَنَّ اللهَ بَاعِثُ الْخَلْقِ لِقِيَامِهَا مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ بِصَدِّ مَنْ كَفَرَ بِهَا.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ⑰﴾ [طه: ١٧].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ⑰﴾ [طه: ١٧] وَمَا هَذِهِ الَّتِي فِي يَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ؟.. وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ

يَقُولَ: وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِ اللهِ مُوسَىٰ عَمَّا فِي يَدِهِ؟ أَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِأَنَّ الَّذِي فِي يَدِهِ عَصًا؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- لَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَوِّلَهَا حَيَّةً تَسْعَىٰ، وَهِيَ خَشَبَةٌ، فَنَبَّهَهُ عَلَيْهَا، وَقَرَّرَهُ بِأَنَّهَا خَشَبَةٌ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا، وَيَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِهِ، لِيُعَرِّفَهُ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَعِظَمِ سُلْطَانِهِ، وَنَفَاذِ أَمْرِهِ فِيمَا أَحَبَّ بِتَحْوِيلِهِ إِيَّاهَا حَيَّةً تَسْعَىٰ، إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ آيَةً مَعَ سَائِرِ آيَاتِهِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾

[طه: ١٨].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ مُجِيبًا لِرَبِّهِ..

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ أَضْرِبُ بِهَا الشَّجَرَ الْيَابِسَ فَيَسْقُطُ وَرَقُهَا وَتَرْعَاهُ غَنَمِي، يُقَالُ مِنْهُ: هَشَّ فُلَانٌ الشَّجَرَ يَهُشُّ هَشًّا: إِذَا اخْتَبَطَ وَرَقُ أَغْصَانِهَا فَسَقَطَ وَرَقُهَا..

﴿وَلِىَ فِيهَا﴾ وَلِي فِي عَصَايَ هَذِهِ..

﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه: ١٨] حَوَائِجُ أُخْرَىٰ، وَهِيَ جَمْعُ مَأْرُبَةٍ.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [طه: ١٩].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [طه: ١٩] أَلْقِ عَصَاكَ الَّتِي بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ.

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ [طه: ٢٠].

﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ مُوسَىٰ..

﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ [طه: ٢٠] فَجَعَلَهَا اللهُ حَيَّةً تَسْعَىٰ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ خَشَبَةً يَابِسَةً، وَعَصًا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَيَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِهِ، فَصَارَتْ حَيَّةً بِأَمْرِ اللهِ.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ [طه: ٢١].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿خُذْهَا﴾ خُذِ الْحَيَّةَ..

﴿وَلَا تَخَفْ﴾ مِنْ هَذِهِ الْحَيَّةِ..

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ [طه: ٢١] فَإِنَّا سَنُعِيدُهَا لِهَيْئَتِهَا الْأُولَىٰ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلَ

أَنْ نُصَيِّرَهَا حَيَّةً، وَنَرُدَّهَا عَصًا كَمَا كَانَتْ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ أَمْرٍ فَتَرَكَهُ، وَتَحَوَّلَ عَنْهُ ثُمَّ رَاجَعَهُ: عَادَ فُلَانٌ سِيرَتَهُ الْأُولَىٰ، وَعَادَ لِسِيرَتِهِ الْأُولَىٰ، وَعَادَ إِلَىٰ سِيرَتِهِ الْأُولَىٰ.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

﴿وَٱضْمُمْ﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿يَدَكَ﴾ فَضَعْهَا..

﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ تَحْتَ عَضُدِكَ، وَالْجَنَاحَانِ هُمَا الْيَدَانِ، كَذَلِكَ رُوِيَ الْخَبَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُمَا الْجَنْبَانِ..

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ ذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ ﷺ كَانَ رَجُلًا آدَمَ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، مِثْلَ الثَّلْجِ، ثُمَّ رَدَّهَا، فَخَرَجَتْ كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ لَوْنِهِ..

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢] وَهَذِهِ عَلَامَةٌ وَدِلَالَةٌ أُخْرَىٰ غَيْرَ الْآيَةِ الَّتِي أَرَيْنَاكَ قَبْلَهَا مِنْ تَحْوِيلِ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَىٰ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَاكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ لِمَنْ بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِ.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٣].

﴿لِنُرِيَكَ﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ يَا مُوسَىٰ إِلَىٰ جَنَاحِكَ، تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، كَيْ نُرِيَكَ..

﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٣] مِنْ أَدِلَّتِنَا الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ عَظِيمِ سُلْطَانِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَقَالَ: ﴿ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾، فَوَحَّدَ، وَقَدْ قَالَ: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ كَمَا قَالَ: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ هُنَالِكَ.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤].

﴿ٱذْهَبْ﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ فَادْعُهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِرْسَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَكَ..

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤] إِنَّهُ تَجَاوَزَ قَدْرَهُ، وَتَمَرَّدَ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥] لِأَعِيَ عَنْكَ مَا تُودِعُهُ مِنْ وَحْيِكَ، وَأَجْتَرِئَ بِهِ عَلَىٰ خِطَابِ فِرْعَوْنَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾، قَالَ: (جُرْأَةً لِي).

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٦].

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٦] وَسَهِّلْ عَلَيَّ الْقِيَامَ بِمَا تُكَلِّفُنِي مِنَ الرِّسَالَةِ، وَتَحْمِلُنِي مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧].

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧] وَأَطْلِقْ لِسَانِي بِالْمَنْطِقِ، وَكَانَتْ فِيهِ -فِيمَا ذُكِرَ- عُجْمَةٌ عَنِ الْكَلَامِ لِلَّذِي كَانَ مِنْ إِلقائِهِ الْجَمْرَةَ إِلَىٰ فِيهِ يَوْمَ هَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ.

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه: ٢٨].

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه: ٢٨] يَفْقَهُوا عَنِّي مَا أُخَاطِبُهُمْ وَأُرَاجِعُهُمْ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩].

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩] وَاجْعَلْ لِي عَوْنًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي.

﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ [طه: ٣٠].

﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ [طه: ٣٠] وَفِي نَصْبِ هَارُونَ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿وَٱجۡعَل﴾، فيكون (الْوَزِير) علىٰ هذا الوجهِ إذا نُصِب فعلًا لـ﴿هَٰرُونَ﴾، والآخر: أَنْ يَكُونَ ﴿هَٰرُونَ﴾ مَنْصُوبًا عَلَىٰ التَّرْجَمَةِ عَنِ (الْوَزِير).

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ [طه: ٣١].

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ [طه: ٣١] قَوِّ ظَهْرِي، وَأَعِنِّي بِهِ.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: ٣٢].

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: ٣٢] وَاجْعَلْهُ نَبِيًّا مِثْلَ مَا جَعَلْتَنِي نَبِيًّا، وَأَرْسِلْهُ مَعِي إِلَىٰ فِرْعَوْنَ.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣﴾ [طه: ٣٣].

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣﴾ [طه: ٣٣] كَيْ نُعَظِّمَكَ بِالتَّسْبِيحِ لَكَ كَثِيرًا.

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝﴾ [طه: ٣٤].

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝﴾ [طه: ٣٤] فَنُمَجِّدَكَ.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝﴾ [طه: ٣٥].

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝﴾ [طه: ٣٥] إِنَّكَ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ بِنَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مِنْ أَفْعَالِنَا شَيْءٌ.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝﴾ [طه: ٣٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ ﷺ..

﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝﴾ [طه: ٣٦] قَدْ أُعْطِيتَ مَا سَأَلْتَ يَا مُوسَىٰ رَبَّكَ مِنْ شَرْحِهِ صَدْرَكَ وَتَيْسِيرِهِ لَكَ أَمْرَكَ، وَحَلِّ عُقْدَةِ لِسَانِكَ، وَتَصْيِيرِ أَخِيكَ هَارُونَ وَزِيرًا لَكَ، وَشَدِّ أَزْرِكَ بِهِ، وَإِشْرَاكِهِ فِي الرِّسَالَةِ مَعَكَ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٣٧].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٣٧] وَلَقَدْ تَطَوَّلْنَا عَلَيْكَ يَا مُوسَىٰ قَبْلَ هَٰذِهِ الْمَرَّةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٣٨].

﴿إِذْ﴾ وَذَٰلِكَ حِينَ..

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ، إِذْ وَلَدَتْكَ فِي الْعَامِ الَّذِي كَانَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿مَا يُوحَىٰٓ ۝﴾ [طه: ٣٨] مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْهَا، ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ أُمِّهِ، فَقَالَ.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝﴾ [طه: ٣٩].

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ أَنِ اقْذِفِي ابْنَكِ مُوسَىٰ -حِينَ وَلَدَتْكَ- فِي التَّابُوتِ..

﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يَعْنِي بِالْيَمِّ: النِّيلَ..

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ، يُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ، وَهُوَ جَزَاءٌ أُخْرِجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ،

كَأَنَّ الْيَمَّ هُوَ الْمَأْمُورُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، يَعْنِي: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا نَحْمِلْ عَنْكُمْ خَطَايَاكُمْ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أُمُّهُ بِهِ فَأَلْقَاهُ الْيَمُّ بِمَشْرَعَةِ آلِ فِرْعَوْنَ..

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ فِرْعَوْنُ هُوَ الْعَدُو، كَانَ للهِ وَلِمُوسَىٰ..

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أَلْقَىٰ مَحَبَّتَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَحَبَّبَهُ إِلَىٰ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، حَتَّىٰ تَبَنَّتْهُ وَغَذَّتْهُ وَرَبَّتْهُ، وَإِلَىٰ فِرْعَوْنَ، حَتَّىٰ كَفَّ عَنْهُ عَادِيَتَهُ وَشَرَّهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؛ لِأَنَّهُ حَبَّبَهُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ رَآهُ..

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه: ٣٩] وَلِتُغَذَّىٰ وَتُرَبَّىٰ عَلَىٰ مَحَبَّتِي وَإِرَادَتِي.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(جَعَلَهُ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ، يَنْعَمُ وَيَتْرَفُ غِذَاؤُهُ عِنْدَهُمْ غِذَاءُ الْمَلِكِ، فَتِلْكَ الصَّنْعَةُ)**.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾ [طه: ٤٠].

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ حِينَ تَمْشِي أُخْتُكَ تَتْبَعُكَ حَتَّىٰ وَجَدَتْكَ، ثُمَّ تَأْتِي مَنْ يَطْلُبُ الْمَرَاضِعَ لَكَ..

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وَحُذِفَ مِنَ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْتُ بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ فَرَدَدْنَاكَ..

﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ بَعْدَ مَا صِرْتَ فِي أَيْدِي آلِ فِرْعَوْنَ..

﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ كَيْمَا تَقَرَّ عَيْنُهَا بِسَلَامَتِكَ وَنَجَاتِكَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْغَرَقِ فِي الْيَمِّ..

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ وَكِيلَا تَحْزَنَ عَلَيْكَ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْتُلَكَ..

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قَتْلَهُ الْقِبْطِيَّ الَّذِي قَتَلَهُ حِينَ اسْتَغَاثَهُ عَلَيْهِ الْإِسْرَائِيلِيُّ، فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ..

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ فَنَجَّيْنَاكَ مِنْ غَمِّكَ بِقَتْلِكَ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلْتَ، إِذْ أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوكَ بِهَا فَخَلَّصْنَاكَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ هَرَبْتَ إِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ قَتْلِكَ وَقَوَدِكَ، وَكَانَ قَتْلُهُ إِيَّاهُ فِيمَا ذُكِرَ خَطَأً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَىٰ الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾»**.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً وَاخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا.. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ

عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ، لِمُوسَىٰ ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ فَسَأَلْتُهُ عَلَىٰ الْفُتُونِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ لِي: اسْتَأْنِفِ النَّهَارَ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ فَإِنَّ لَهَا حَدِيثًا طَوِيلًا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَنْتَجِزَ مِنْهُ ما وعدني مِنْ حَدِيثِ الْفُتُونِ، فَقَالَ: (تَذَاكَرَ فِرْعَوْنُ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ مَا يَشُكُّونَ فِيهِ، وَقَدْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالُوا: لَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللهَ ﷻ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: فَكَيْفَ تَرَوْنَهُ؟ فَأْتَمَرُوا وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رِجَالًا مَعَهُمُ الشِّفَارُ يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِآجَالِهِمْ، وَالصِّغَارَ يُذْبَحُونَ، قَالُوا: يُوشِكُ أَنْ تُفْنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَصِيرُونَ إِلَىٰ أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي كَانُوا يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ، فَيَقِلَّ نَبَاتُهُمْ، وَدَعُوا عَامًا فَلَا يُقْتَلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيَنْشَأُ الصِّغَارُ مَكَانَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْكِبَارِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكْثُرُوا بِمَنْ تَسْتَحْيُونَ مِنْهُمْ فَتَخَافُوا مُكَاثَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلَنْ يُفْنَوْا بِمَنْ تَقْتُلُونَ فَتَحْتَاجُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الَّذِي لا يُذْبَحُ فِيهِ الْغِلْمَانُ، فَوَلَدَتْهُ عَلَانِيَةً آمِنَةً، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ حَمَلَتْ بِمُوسَىٰ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهَا الْهَمُّ وَالْحُزْنُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- مَا دَخَلَ مِنْهُ فِي قَلْبِ أُمِّهِ مِمَّا يُرَادُ بِهِ، فَأَوْحَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهَا ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧]، وَأَمَرَهُمْ إِذَا وَلَدَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ، ثُمَّ تُلْقِيهِ فِي الْيَمِّ، فَلَمَّا وَلَدَتْ فَعَلَتْ ذَلِكَ بِهِ، فَلَمَّا تَوَارَىٰ عَنْهَا ابْنُهَا أَتَاهَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: مَا صَنَعْتُ بِابْنِي، لَوْ ذُبِحَ عِنْدِي فَوَارَيْتُهُ وَكَفَّنْتُهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقِيَهُ بِيَدِي إِلَىٰ زَفَرَاتِ الْبَحْرِ وَحِيتَانِهِ، فَانْتَهَىٰ الْمَاءُ بِهِ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهِ فُرْضَةَ مُسْتَقَىٰ جَوَارِي امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَخَذْنَهُ، فَهَمَمْنَ أَنْ يَفْتَحْنَ التَّابُوتَ، فَقَالَ بَعْضُهُنَّ: إِنَّ فِي هَذَا مَالًا وَإِنَّا إِنْ فَتَحْنَاهُ لَمْ تُصَدِّقْنَا امْرَأَةُ الْمَلِكِ بِمَا وَجَدْنَا فِيهِ، فَحَمَلْنَهُ بِهَيْئَتِهِ لَمْ يُحَرِّكْنَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ دَفَعْنَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ فِيهِ غُلَامًا فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا مَحَبَّةٌ لَمْ تَجِدْ مِثْلَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ قَطُّ، فَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ، فَلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِهِ أَقْبَلُوا بِشِفَارِهِمْ إِلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- فَقَالَتْ لَهُمْ: اتْرُكُوهُ، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّىٰ آتِيَ فِرْعَوْنَ فَأَسْتَوْهِبَهُ مِنْهُ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي كُنْتُمْ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ أَلُمْكُمْ، فَأَتَتْ بِهِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: يَكُونُ لَكِ، فَأَمَّا لِي فَلَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ)، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ، لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ بِأَنْ يَكُونَ

لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَىٰ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنْ حَرَمَهُ ذَلِكَ»، (فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ لَهَا لَبَنٌ لِتَخْتَارَ لَهُ ظِئْرًا، فَجَعَلَ كُلَّمَا أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لِتُرْضِعَهُ لَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَهَا حَتَّىٰ أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنَ اللَّبَنِ فَيَمُوتَ، فَأَحْزَنَهَا ذَلِكَ، فَأُخْرِجَ إِلَىٰ السُّوقِ وَمَجْمَعِ النَّاسِ تَرْجُو أَنْ تَجِدَ لَهُ ظِئْرًا يَأْخُذُ مِنْهَا فَلَمْ يَقْبَلْ، فَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَىٰ وَالِهَةً، فَقَالَتْ لِأُخْتِهِ: قُصِّيهِ -قُصِّي أَثَرَهُ- وَاطْلُبِيهِ، هَلْ تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا؟ أَحَيٌّ ابْنِي أَمْ قَدْ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ، وَنَسِيَتْ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَهَا فِيهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ أُخْتُهُ، عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ - وَالْجُنُبُ أَنْ يَسْمُوَ بَصَرُ الْإِنْسَانِ إِلَىٰ الشَّيْءِ الْبَعِيدِ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ لا يَشْعُرُ بِهِ- فَقَالَتْ مِنَ الْفَرَحِ حِينَ أَعْيَاهُمُ الظُّؤَارُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَأَخَذُوهَا فَقَالُوا: مَا يُدْرِيكِ مَا نُصْحُهُمْ لَهُ؟ هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ حَتَّىٰ شَكُّوا فِي ذَلِكَ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- فَقَالَتْ: نَصِيحَتُهُمْ لَهُ وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ رَغْبَةً فِي صِهْرِ الْمَلِكِ وَرَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ، فَأَرْسَلُوهَا، فَانْطَلَقَتْ إِلَىٰ أُمِّهَا فَأَخْبَرَتْهَا الْخَبَرَ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا نَزَا إِلَىٰ ثَدْيِهَا فَمَصَّهُ حَتَّىٰ امْتَلأَ جَنْبَاهُ رِيًّا وَانْطَلَقَ الْبَشِيرُ إِلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يُبَشِّرُهَا أَنْ قَدْ وَجَدْنَا لِابْنِكِ ظِئْرًا، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا، فَأُتِيَتْ بِهَا وَبِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا يَصْنَعُ بِهَا، قَالَتْ لَهَا: امْكُثِي عِنْدِي تُرْضِعِينَ ابْنِي هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أُحِبَّ حُبَّهُ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ: لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَ بَيْتِي وَوَلَدِي فَيَضِيعُ، فَإِنْ طَابَتْ نَفْسُكِ أَنْ تُعْطِينِيهِ فَأَذْهَبَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِي فَيَكُونَ مَعِي لا آلُوهُ خَيْرًا، وَإِلَّا فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكَةٍ بَيْتِي وَوَلَدِي، وَذَكَرَتْ أُمُّ مُوسَىٰ مَا كَانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَهَا، فَتَعَاسَرَتْ عَلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَيْقَنَتْ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ بَيْتِهَا بِابْنِهَا، فَأَصْبَحَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مُجْتَمِعِينَ يَمْتَنِعُونَ مِنَ السُّخْرَةِ وَالظُّلْمِ مَا كَانَ فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا تَرَعْرَعَ، قَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِأُمِّ مُوسَىٰ: أُرِيدُ أَنْ تُرِينِي ابْنِي، فَوَعَدَتْهَا يَوْمًا تُرِيهَا إِيَّاهُ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِخُزَّانِهَا وَقَهَارِمَتِهَا وَظُئُورَتِهَا: لا يَبْقَيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا اسْتَقْبَلَ ابْنِي الْيَوْمَ بِهَدِيَّةٍ وَكَرَامَةٍ لِأَرَىٰ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَنَا بَاعِثَةٌ أَمِينًا يُحْصِي كُلَّ مَا يَصْنَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ، فَلَمْ تَزَلِ الْهَدَايَا وَالْكَرَامَةُ وَالنِّحَلُ تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ حِينِ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ إِلَىٰ أَنْ أُدْخِلَ عَلَىٰ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا بَجَّلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ وَفَرِحَتْ بِهِ وَأَعْجَبَهَا، وَبَجَّلَتْ أُمَّهُ بِحُسْنِ أَثَرِهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَآتِيَنَّ بِهِ فِرْعَوْنَ فَلَيُبَجِّلَنَّهُ وَلَيُكْرِمَنَّهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ بِهِ عَلَيْهِ جَعَلَتْهُ فِي حِجْرِهِ، فَتَنَاوَلَ مُوسَىٰ لِحْيَةَ فِرْعَوْنَ فَمَدَّهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَقَالَ الْغُوَاةُ أَعْدَاءُ اللهِ لِفِرْعَوْنَ: أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّهُ أَنَّهُ يَرُبُّكَ وَيَعْلُوكَ وَيَصْرَعُكَ؟ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الذَّبَّاحِينَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ- بَعْدَ كُلِّ بَلَاءٍ ابْتُلِيَ، وَأُرِيدَ بِهِ فُتُونًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تَسْعَىٰ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: مَا بَدَا لَكَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي

وَهَبْتَهُ لِي؟ قَالَ: تَرَيْنَهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَصْرَعُنِي وَيَعْلُونِي، قَالَتِ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمْرًا تَعْرِفُ الْحَقَّ فِيهِ ائْتِ بِجَمْرَتَيْنِ وَلُؤْلُؤَتَيْنِ فَقَرِّبْهُنَّ إِلَيْهِ، فَإِنْ بَطَشَ بِاللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَاجْتَنَبَ الْجَمْرَتَيْنِ عَرَفْتَ أَنَّهُ يَعْقِلُ، وَإِنْ تَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ وَلَمْ يُرِدِ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لا يُؤْثِرُ الْجَمْرَتَيْنِ عَلَىٰ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَهُوَ يَعْقِلُ، فَقَرَّبَ ذَلِكَ، فَتَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ فَانْتَزَعُوهُمَا مِنْ يَدِهِ مَخَافَةَ أَنْ تَحْرِقَاهُ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَلَا تَرَىٰ؟ فَصَرَفَهُ اللهُ عَنْهُ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ، كَانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بَالِغًا فِيهِ أَمْرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَانَ مِنَ الرِّجَالِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَخْلُصُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ بِظُلْمٍ وَلا سُخْرَةٍ حَتَّىٰ امْتَنَعُوا كُلَّ الِامْتِنَاعِ فَبَيْنَمَا مُوسَىٰ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ إِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ أَحَدُهُمَا فِرْعَوْنِيٌّ وَالْآخَرُ إِسْرَائِيلِيٌّ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، فَغَضِبَ مُوسَىٰ غَضَبًا شَدِيدًا لِأَنَّهُ تَنَاوَلَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْزِلَةَ مُوسَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحِفْظَهُ لَهُمْ لا يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا أُمُّ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ أَطْلَعَ مُوسَىٰ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، فَوَكَزَ مُوسَىٰ الْفِرْعَوْنِيَّ فَقَتَلَهُ وَلَيْسَ يَرَاهُمَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ وَالْإِسْرَائِيلِيُّ، فَقَالَ مُوسَىٰ حِينَ قَتَلَ الرَّجُلَ: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [القصص: ١٥]، ثُمَّ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦﴾ [القصص: ١٦]، وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ الْأَخْبَارَ، فَأُتِيَ فِرْعَوْنُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فَخُذْ لَنَا حَقَّنَا وَلا تُرَخِّصْ لَهُمْ، فَقَالَ: ابْغُونِي قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ وَإِنْ كَانَ صَفْوُهُ مَعَ قَوْمٍ لا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَنْ يُقِيدَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلا ثَبْتٍ، فَاطْلُبُوا لِي عِلْمَ ذَلِكَ آخُذْ لَكُمْ بِحَقِّكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لا يَجِدُونَ ثَبْتًا إِذَا مُوسَىٰ قَدْ رَأَىٰ مِنَ الْغَدِ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ آخَرَ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَىٰ الْفِرْعَوْنِيِّ، فَصَادَفَ مُوسَىٰ قَدْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ، فَكَرِهَ الَّذِي رَأَىٰ لِغَضَبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ -لِمَا فَعَلَ أَمْسِ وَالْيَوْمَ- ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [القصص: ١٨]، فَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَىٰ مُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ فَإِذَا هُوَ غَضْبَانُ كَغَضَبِهِ بِالْأَمْسِ، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ وَمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ، وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ فَحَاجَزَ الْفِرْعَوْنِيَّ، وَ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ﴾ [القصص: ١٩]، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ مُوسَىٰ لِيَقْتُلَهُ، وَتَنَازَعَا وَتَطَاوَعَا، وَانْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبَرِ حِينَ يَقُولُ: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ﴾ [القصص: ١٩]، فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِيَقْتُلُوا مُوسَىٰ، فَأَخَذَ رُسُلُ فِرْعَوْنَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ يَمْشُونَ عَلَىٰ هَيْئَتِهِمْ يَطْلُبُونَ لِمُوسَىٰ وَهُمْ لا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَىٰ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ فَاخْتَصَرَ

طَرِيقًا قَرِيبًا حَتَّىٰ يَسْبِقَهُمْ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ)..

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ حُذِفَ مِنْهُ بَعْضُ مَا بِهِ تَمَامُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَمَّا حُذِفَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا، فَخَرَجْتَ خَائِفًا إِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيهِمْ..

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾ [طه: ٤٠] ثُمَّ جِئْتَ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَرَدْنَا إِرْسَالَكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا وَلِمِقْدَارِهِ.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾ [طه: ٤١].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ يَا مُوسَىٰ هَذِهِ النِّعَمَ، وَمَنَنْتُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْمِنَنَ..

﴿لِنَفْسِى ۝٤١﴾ [طه: ٤١] اجْتِبَاءً مِنِّي لَكَ، وَاخْتِيَارًا لِرِسَالَتِي وَالْبَلَاغِ عَنِّي، وَالْقِيَامَ بِأَمْرِي وَنَهْيِي.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢﴾ [طه: ٤٢].

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هَارُونُ..

﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ بِأَدِلَّتِي وَحُجَجِي..

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ وَلَا تَضْعُفَا..

﴿فِى ذِكْرِى ۝٤٢﴾ [طه: ٤٢] فِي أَنْ تَذْكُرَانِي فِيمَا أَمَرْتُكُمَا وَنَهَيْتُكُمَا، فَإِنَّ ذِكْرَكُمَا إِيَّايَ يُقَوِّي عَزَائِمَكُمَا، وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمَا، لِأَنَّكُمَا إِذَا ذَكَرْتُمَانِي ذَكَرْتُمَا مِنِّي عَلَيْكُمَا نِعَمًا جَمَّةً، وَمِنَنًا لَا تُحْصَىٰ كَثْرَةً.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ [طه: ٤٣].

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بِهَا إِنَّهُ تَمَرَّدَ فِي ضَلَالِهِ وَغَيِّهِ..

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾ [طه: ٤٣] فَأَبْلِغَاهُ رِسَالَاتِي.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤].

﴿فَقُولَا لَهُۥ﴾ لِفِرْعَوْنَ..

﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ ذُكِرَ أَنَّ الْقَوْلَ اللَّيِّنَ الَّذِي أَمَرَهُمَا اللهُ أَنْ يَقُولَاهُ لَهُ، هُوَ أَنْ يُكَنِّيَاهُ..

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤] اخْتَلَفَ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «لَعَلَّهُ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهَا هَهُنَا الِاسْتِفْهَامُ، كَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا، فَانْظُرَا هَلْ

يَتَذَكَّرُ وَيُرَاجِعُ، أَوْ يَخْشَىٰ اللهَ فَيَرْتَدِعَ عَنْ طُغْيَانِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ لَعَلَّ هَهُنَا كَيْ، وَوَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ فَادْعُوَاهُ وَعِظَاهُ لِيَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَىٰ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: اعْمَلْ عَمَلَكَ لَعَلَّكَ تَأْخُذُ أَجْرَكَ، بِمَعْنَىٰ: لِتَأْخُذَ أَجْرَكَ، وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِكَ لَعَلَّنَا نَتَغَدَّىٰ، بِمَعْنَىٰ: لِنَتَغَدَّىٰ، أَوْ حَتَّىٰ نَتَغَدَّىٰ، وَلِكِلَا هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَجْهٌ حَسَنٌ، وَمَذْهَبٌ صَحِيحٌ.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥﴾ [طه: ٤٥].

﴿قَالَا﴾ قَالَ مُوسَىٰ وَهَارُونُ..

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ فِرْعَوْنَ إِنْ نَحْنُ دَعَوْنَاهُ إِلَىٰ مَا أَمَرْتَنَا أَنْ نَدْعُوهُ إِلَيْهِ..

﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا بِالْعُقُوبَةِ.. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَطَ مِنِّي إِلَىٰ فُلَانٍ أَمْرٌ: إِذَا سَبَقَ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ: فَارِطُ الْقَوْمِ، وَهُوَ الْمُتَعَجِّلُ الْمُتَقَدِّمُ أَمَامَهُمْ إِلَىٰ الْمَاءِ أَوِ الْمَنْزِلِ.. وَأَمَّا الْإِفْرَاطُ: فَهُوَ الْإِسْرَافُ وَالْإِشْطَاطُ وَالتَّعَدِّي، يُقَالُ مِنْهُ: أَفْرَطْتَ فِي قَوْلِكَ: إِذَا أَسْرَفَ فِيهِ وَتَعَدَّىٰ.. وَأَمَّا التَّفْرِيطُ: فَإِنَّهُ التَّوَانِي، يُقَالُ مِنْهُ: فَرَّطْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَتَّىٰ فَاتَ: إِذَا تَوَانَىٰ فِيهِ..

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥﴾ [طه: ٤٥] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَخَافُ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا إِذْ نُبَلِّغُهُ كَلَامَكَ أَوْ أَمْرَكَ، يَفْرُطُ وَيَعْجَلُ.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿لَا تَخَافَآ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أُعِينُكُمَا عَلَيْهِ، وَأُبَصِّرُكُمَا..

﴿أَسْمَعُ﴾ مَا يَجْرِي بَيْنَكُمَا وَبَيْنَهُ، فَأُفْهِمُكُمَا مَا تُحَاوِرَانِهِ بِهِ..

﴿وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] مَا تَفْعَلَانِ وَيَفْعَلُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ [طه: ٤٧].

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ..

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يَأْمُرُكَ أَنْ تُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسِلْهُمْ مَعَنَا..

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ﴾ بِمَا تُكَلِّفُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الرَّدِيئَةِ..

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٖ﴾ مُعْجِزَةٍ..

﴿مِّن رَّبِّكَۖ﴾ عَلَىٰ أَنَّهُ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ بِذَلِكَ، إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصَدِّقْنَا فِيمَا نَقُولُ لَكَ أَرَيْنَاكَهَا..

﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ وَالسَّلَامَةُ..

﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٧] وَهُوَ بَيَانُهُ.. يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، وَلِمَنِ اتَّبَعَ، بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ [طه: ٤٨].

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِرَسُولِهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ: قُولَا لِفِرْعَوْنَ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا رَبُّكَ..

﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ أَنَّ عَذَابَهُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ، وَلَا انْقِطَاعَ..

﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بِمَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِجَابَةِ رُسُلِهِ..

﴿وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ [طه: ٤٨] وَأَدْبَرَ مُعْرِضًا عَمَّا جِئْنَاهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾ [طه: ٤٩].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَهُمَا.. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ، تُرِكَ ذِكْرُهُ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ عَنْهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: فَأَتَيَاه فَقَالَا لَهُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَبُّهُمَا وَأَبْلَغَاهُ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لَهُمَا..

﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾ [طه: ٤٩] فَخَاطَبَ مُوسَىٰ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ: يَا مُوسَىٰ، وَقَدْ وَجَّهَ الْكَلَامَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْمُجَاوَبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْوَاحِدِ -وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِجَمَاعَةٍ- لَا مِنَ الْجَمِيعِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وَكَانَ الَّذِي يَحْمِلُ الْحُوتَ وَاحِدٌ، وَهُوَ فَتَىٰ مُوسَىٰ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه: ٥٠].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لَهُ مُجِيبًا..

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ يَعْنِي: نَظِيرَ خَلْقِهِ فِي الصُّورَةِ وَالْهَيْئَةِ، كَالذُّكُورِ مِنْ بَنِي

آدَمَ، أَعْطَاهُمْ نَظِيرَ خَلْقِهِمْ مِنَ الْإِنَاثِ أَزْوَاجًا، وَكَالذُّكُورِ مِنَ الْبَهَائِمِ، أَعْطَاهَا نَظِيرَ خَلْقِهَا، وَفِي صُورَتِهَا وَهَيْئَتِهَا مِنَ الْإِنَاثِ أَزْوَاجًا، فَلَمْ يُعْطِ الْإِنْسَانَ خِلَافَ خَلْقِهِ، فَيُزَوِّجَهُ بِالْإِنَاثِ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَلَا الْبَهَائِمَ بِالْإِنَاثِ مِنَ الْإِنْسِ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَلَا يُعْطِي الْمُعْطِي نَفْسَهُ، بَلْ إِنَّمَا يُعْطِي مَا هُوَ غَيْرُهُ، لِأَنَّ الْعَطِيَّةَ تَقْتَضِي الْمُعْطِي وَالْمُعْطَىٰ وَالْعَطِيَّةَ، وَلَا تَكُونُ الْعَطِيَّةُ هِيَ الْمُعْطَىٰ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ هِيَ هُوَ، وَكَانَتْ غَيْرَهُ، وَكَانَتْ صُورَةُ كُلِّ خَلْقٍ بَعْضَ أَجْزَائِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: أَعْطَىٰ الْإِنْسَانَ صُورَتَهُ، إِنَّمَا يَعْنِي أَنَّهُ أَعْطَىٰ بَعْضَ الْمَعَانِي الَّتِي بِهِ مَعَ غَيْرِهِ دُعِيَ إِنْسَانًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْأَصْوَبُ مِنْ مَعَانِيهِ أَنْ يَكُونَ مُوَجَّهًا إِلَىٰ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ رَبُّهُ مِثْلَ خَلْقِهِ، فَزَوَّجَهُ بِهِ، ثُمَّ هَدَاهُ، لِمَا بَيَّنَّا، ثُمَّ تَرَكَ ذِكْرَ مِثْلٍ، وَقِيلَ «أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» كَمَا يُقَالُ: عَبْدُ اللهِ مِثْلُ الْأَسَدِ، ثُمَّ يُحْذَفُ مِثْلُ، فَيَقُولُ: عَبْدُ اللهِ الْأَسَدُ..

﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠] ثُمَّ هَدَاهُمْ لِلْمَأْتَىٰ الَّذِي مِنْهُ النَّسْلُ وَالنَّمَاءُ كَيْفَ يَأْتِيهِ، وَلِسَائِرِ مَنَافِعِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لِمُوسَىٰ إِذْ وَصَفَ مُوسَىٰ رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ مِنْ عَظِيمِ السُّلْطَانِ، وَكَثْرَةِ الْإِنْعَامِ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَالْإِفْضَالِ..

﴿فَمَا بَالُ﴾ فَمَا شَأْنُ..

﴿ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١] الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ قَبْلِنَا، لَمْ تُقِرَّ بِمَا تَقُولُ، وَلَمْ تُصَدِّقْ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَمْ تُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَكِنَّهَا عَبَدَتِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا تَصِفُ مِنْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا خَلْقُهُ، وَأَنَّهَا فِي نِعَمِهِ تَتَقَلَّبُ، وَفِي مِنَنِهِ تَتَصَرَّفُ؟ فَأَجَابَهُ مُوسَىٰ فـ.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢].

﴿قَالَ عِلْمُهَا﴾ عِلْمُ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَبْلِنَا فِيمَا فَعَلَتْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ يَعْنِي فِي أُمِّ الْكِتَابِ، لَا عِلْمَ لِي بِأَمْرِهَا، وَمَا كَانَ سَبَبُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ فَذَهَبَ عَنْ دِينِ اللهِ..

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لَا يُخْطِئُ رَبِّي فِي تَدْبِيرِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَإِنْ كَانَ عَذَّبَ تِلْكَ الْقُرُونَ فِي عَاجِلٍ،

وَعَجَّلَ هَلَاكَهَا، فَالصَّوَابُ مَا فَعَلَ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَ عِقَابَهَا إِلَىٰ الْقِيَامَةِ، فَالْحَقُّ مَا فَعَلَ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُ، لَا يُخْطِئُ رَبِّي..

﴿وَلَا يَنسَى ۝﴾ [طه: ٥٢] فَيَتْرُكَ فِعْلَ مَا فِعْلُهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ.

﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝﴾ [طه: ٥٣].

﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: (مِهَادًا) بِكَسْرِ الْمِيمِ مِنَ الْمِهَادِ، وَإِلْحَاقِ أَلِفٍ فِيهِ بَعْدَ الْهَاءِ، وَكَذَلِكَ عَمَلُهُمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَزَعَمَ بَعْضُ مَنِ اخْتَارَ قِرَاءَةَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، أَنَّهُ إِنَّمَا اخْتَارَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمِهَادَ: اسْمُ الْمَوْضِعِ، وَأَنَّ الْمَهْدَ الْفِعْلُ، قَالَ: وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْشِ وَالْفِرَاشِ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: ﴿مَهْدًا﴾ بِمَعْنَىٰ: الَّذِي مَهَّدَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مَشْهُورَتَانِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِيهَا..

﴿وَسَلَكَ﴾ وَأَنْهَجَ..

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ فِي الْأَرْضِ..

﴿سُبُلًا﴾ طُرُقًا..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مَطَرًا..

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ نَحْنُ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِهِ﴾ بِمَا نُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ..

﴿أَزْوَاجًا﴾ أَلْوَانًا..

﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝﴾ [طه: ٥٣] مُخْتَلِفَةَ الطُّعُومِ، وَالْأَرَايِيحِ، وَالْمَنْظَرِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِنْعَامِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِمَا يُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْثِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنْ سَمَائِهِ إِلَىٰ أَرْضِهِ، بَعْدَ تَنَاهِي خَبَرِهِ عَنْ جَوَابِ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ عَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَثَنَائِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٤].

﴿كُلُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ طَيِّبِ مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ بِالْغَيْثِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ ثِمَارِ ذَلِكَ وَطَعَامِهِ، وَمَا هُوَ مِنْ أَقْوَاتِكُمْ وَغِذَائِكُمْ..

﴿وَٱرۡعَوۡاْ﴾ فِيمَا هُوَ أَرْزَاقُ بِهَائِمِكُمْ مِنْهُ وَأَقْوَاتُهَا..

﴿أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا وَصَفْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قُدْرَةِ رَبِّكُمْ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ..

﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ، وَأَنْ لَا إِلَهَ لَكُمْ غَيْرُهُ..

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾ [طه: ٥٤] أَهْلِ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ.. وَالنُّهَىٰ: جَمْعُ نُهْيَةٍ.. وَخَصَّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ آيَاتٌ لِأُولِي النُّهَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَأَهْلُ التَّدَبُّرِ وَالِاتِّعَاظِ.

﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥].

﴿۞ مِنۡهَا﴾ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنْشَأْنَاكُمْ أَجْسَامًا نَاطِقَةً..

﴿وَفِيهَا﴾ وَفِي الْأَرْضِ..

﴿نُعِيدُكُمۡ﴾ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَنُصَيِّرُكُمْ تُرَابًا، كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ إِنْشَائِنَا لَكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا..

﴿وَمِنۡهَا﴾ وَمِنَ الْأَرْضِ..

﴿نُخۡرِجُكُمۡ﴾ نُخْرِجُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ أَحْيَاءً، فَنُنْشِئُكُمْ مِنْهَا، كَمَا أَنْشَأْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..

﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥] مَرَّةً أُخْرَىٰ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: مِنَ الْأَرْضِ أَخْرَجْنَاكُمْ -وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا- خَلْقًا سَوِيًّا، وَسَنُخْرِجُكُمْ مِنْهَا بَعْدَ مَمَاتِكُمْ مَرَّةً أُخْرَىٰ، كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ [طه: ٥٦].

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَا فِرْعَوْنَ..

﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أَدِلَّتَنَا وَحُجَجَنَا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولَيْنَا -مُوسَىٰ وَهَارُونَ- إِلَيْهِ..

﴿كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ [طه: ٥٦] أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ مَا جَاءَا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمَا مِنَ الْحَقِّ اسْتِكْبَارًا وَعُتُوًّا.

﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾ [طه: ٥٧].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لَمَّا أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا لِرَسُولِنَا مُوسَىٰ..

﴿أَجِئۡتَنَا﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ لِتُخْرِجَنَا مِنْ مَنَازِلِنَا وَدُورِنَا..

﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧﴾ [طه: ٥٧] بِسِحْرِكَ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٨].

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لَا نَتَعَدَّاهُ، لِنَجِيءَ بِسَحْرٍ مِثْلِ الَّذِي جِئْتَ بِهِ، فَنَنْظُرَ أَيُّنَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ..

﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾، لَا نُخْلِفُ ذَلِكَ الْمَوْعِدَ..

﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٨] بِمَكَانٍ عَدْلٍ نِصْفٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: **(مَكَانًا مُسْتَوِيًا يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مَا فِيهِ، لا يَكُونُ صُوَبٌ -كثبة من تراب- وَلَا شَيْءٌ فَيَغِيبَ بَعْضُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضٍ، مُسْتَوٍ حِينَ يُرَونَ).**

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٩].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ، حِينَ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَوْعِدًا لِلاجْتِمَاعِ..

﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ لِلاجْتِمَاعِ..

﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يَوْمَ عِيدٍ كَانَ لَهُمْ، أَوْ سُوقٍ كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ..

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ وَأَنْ يُسَاقَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَنَاحِيَةٍ..

﴿ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٩] فَذَلِكَ مَوْعِدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِلاجْتِمَاعِ.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٦٠].

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ فَأَدْبَرَ فِرْعَوْنُ مُعْرِضًا عَمَّا أَتَاهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ فَجَمَعَ مَكْرَهُ، وَذَلِكَ جَمْعُهُ سَحَرَتَهُ بَعْدَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ بِتَعَلُّمِهِ..

﴿ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٦٠] ثُمَّ جَاءَ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي وَعَدَهُ مُوسَىٰ، وَجَاءَ بِسَحَرَتِهِ.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١﴾ [طه: ٦١].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ لَمَّا جَاءَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ..

﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لَا تَخْتَلِقُوا عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَلَا تَتَقَوَّلُوهُ.

﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ﴾ فَيَسْتَأْصِلَكُمْ بِهَلَاكٍ فَيُبِيدَكُمْ.

﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ۝٦١﴾ [طه: ٦١] وَلَمْ يَظْفَرْ مَنْ يَخْلُقْ كَذِبًا وَيَقُولُهُ، بِكَذِبِهِ ذَلِكَ، بِحَاجَتِهِ الَّتِي طَلَبَهَا بِهِ، وَرَجَا إِدْرَاكَهَا بِهِ.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢﴾ [طه: ٦٢].

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ فَتَنَازَعَ السَّحَرَةُ..

﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ وَكَانَ تَنَازُعُهُمْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا أُسْنِدَ عن قَتَادَةَ، فقال: قَالَ السَّحَرَةُ بَيْنَهُمْ: إِنْ كَانَ هَذَا سَاحِرًا فَإِنَّا سَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَهُ أَمْرٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ: مَا هَذَا الْقَوْلُ بِقَوْلِ سَاحِرٍ..

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ وَأَسَرُّوا السَّحَرَةُ..

﴿ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢﴾ [طه: ٦٢] الْمُنَاجَاةَ بَيْنَهُمْ مِنْ دُونِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، قَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي نَجْوَاهُمْ: إِنْ كَانَ هَذَا سَاحِرًا فَإِنَّا سَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ سَيَغْلِبُنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ بِتَنَاجٍ: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا﴾ [طه: ٦٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣﴾ [طه: ٦٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يَعْنُونَ بِقَوْلِهِمْ: إِنْ هَذَانِ مُوسَىٰ وَهَارُونُ، لَسَاحِرَانِ..

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ وَيَغْلِبَا عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ وَأَشْرَافِكُمْ..

﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣﴾ [طه: ٦٣] تَأْنِيثُ الْأَمْثَلِ، يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ، خُذِ الْمُثْلَىٰ مِنْهُمَا، وَفِي الْمُذَكَّرِ: خُذِ الْأَمْثَلَ مِنْهُمَا، وَوُحِّدَتِ الْمُثْلَىٰ، وَهِيَ صِفَةٌ وَنَعْتٌ لِلْجَمَاعَةِ، كَمَا قِيلَ: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨]، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُثْلَىٰ أُنِّثَتْ لِتَأْنِيثِ الطَّرِيقَةِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ، قَوْلُهُ: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣﴾ قَالَ: (أُولِي الْعَقْلِ وَالشَّرَفِ وَالْأَنْسَابِ).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (وَطَرِيقَتِهِمُ الْمُثْلَىٰ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ عَدَدًا وَأَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَقَالَ عَدُوُّ اللهِ: إِنَّمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَذْهَبَا بِهِمْ لِأَنْفُسِهِمَا).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَيُغَيِّرَا سُنَّتَكُمْ وَدِينَكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ حَسَنُ الطَّرِيقَةِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (يَذْهَبَا بِالَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، يُغَيِّرُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ،

وَقَرَأَ: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: ٢٦])، قَالَ: (هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾) وَقَالَ: (يَقُولُ طَرِيقَتُكُمُ الْيَوْمَ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ، فَإِذَا غُيِّرَتْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ، فَإِنَّ تَأْوِيلَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ خِلَافُهُ، فَلَا أَسْتَجِيزُ لِذَلِكَ الْقَوْلَ بِهِ.

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: ٦٤].

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ فَأَحْكِمُوا كَيْدَكُم، وَاعْزِمُوا عَلَيْهِ، من قولهم: أَجْمَعَ فُلَانٌ الخُروجَ، وَأَجْمَعَ عَلَىٰ الخُرُوجِ، وَمِنْه قولُ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ لَمْ يُجْمَعْ عَلَىٰ الصَّوْمِ مِن اللَّيْلِ فَلا صَوْم لَهُ..

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ﴾ احْضُرُوا وَجِيئُوا..

﴿صَفّٗاۚ﴾ صُفُوفًا..

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ قَدْ ظَفِرَ بِحَاجَتِهِ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: ٦٤] مَنْ عَلَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ فَقَهَرَهُ.. فَأَجْمَعَتِ السَّحَرَةُ كَيْدَهُمْ، ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا فَـ

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ [طه: ٦٥].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اخْتَرْ يَا مُوسَىٰ أَحَدَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ مَا مَعَكَ قَبْلَنَا..

﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ [طه: ٦٥] وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ مَا مَعَنَا قَبْلَكَ.

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّحَرَةِ..

﴿بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ أَنْتُمْ مَا مَعَكُمْ قَبْلِي، فَأَلْقَوْا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ..

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦] وَذُكِرَ أَنَّ السَّحَرَةَ سَحَرُوا عَيْنَ مُوسَىٰ وَأَعْيُنَ النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يُلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، فَخُيِّلَ حِينَئِذٍ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّهَا تَسْعَىٰ.

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧].

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧] فَأَوْجَسَ مُوسَىٰ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا فَوَجَدَهُ.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨].

﴿قُلْنَا﴾ لِمُوسَىٰ إِذْ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً..

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨] عَلَىٰ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةِ، وَعَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، وَالْقَاهِرُ لَهُمْ.

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ تَبْتَلِعْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمُ الَّتِي سَحَرُوهَا حَتَّىٰ خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّهَا تَسْعَىٰ..

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿سَـٰحِرٍ﴾ بِرَفْعِ كَيْدَ وَبِالْأَلِفِ فِي سَاحِرٍ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّ الَّذِي صَنَعَهُ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ كَيْدٌ مِنْ سَاحِرٍ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (سِحْرٍ) بِرَفْعِ الْكَيْدِ وَبِغَيْرِ الْأَلِفِ فِي السِّحْرِ، بِمَعْنَىٰ إِنَّ الَّذِي صَنَعُوهُ كَيْدُ سِحْرٍ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَيْدَ هُوَ الْمَكْرُ وَالْخِدْعَةُ، فَالسَّاحِرُ مَكْرُهُ وَخِدْعَتُهُ مِنْ سِحْرٍ يُسْحَرُ، وَمَكْرُ السِّحْرِ وَخِدْعَتُهُ: تَخَيُّلُهُ إِلَىٰ الْمَسْحُورِ، عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فِي حَقِيقَتِهِ، فَالسَّاحِرُ كَائِدٌ بِالسِّحْرِ، وَالسِّحْرُ كَائِدٌ بِالتَّخْيِيلِ، فَإِلَىٰ أَيِّهِمَا أَضَفْتُ الْكَيْدَ فَهُوَ صَوَابٌ..

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩] وَلَا يَظْفَرُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ بِمَا طَلَبَ أَيْنَ كَانَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: (أَنَّ السَّاحِرَ يُقْتَلُ حَيْثُ وُجِدَ).

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠].

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠] لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا مَا غَلَبَنَا.. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ قَدِ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا تُرِكَ عَلَيْهِ وَهُوَ: فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ، فَتَلَقَّفَتْ مَا صَنَعُوا، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ.. وَذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمَّا أَلْقَىٰ مَا فِي يَدِهِ تَحَوَّلَ ثُعْبَانًا، فَالْتَقَمَ كُلَّ مَا كَانَتِ السَّحَرَةُ أَلْقَتْهُ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾ [طه: ٧١].

﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ لِلسَّحَرَةِ..

﴿ءَامَنتُمْ﴾ أَصَدَّقْتُمْ وَأَقْرَرْتُمْ..

﴿لَهُۥ﴾ لِمُوسَىٰ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ..

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُطْلِقَ ذَلِكَ لَكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ مُوسَىٰ..

﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لَعَظِيمُ السُّحَّارِ الَّذِي عَلَّمَكُمْ..

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ مُخَالِفًا بَيْنَ قَطْعِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ يُمْنَىٰ الْيَدَيْنِ وَيُسْرَىٰ الرِّجْلَيْنِ، أَوْ يُسْرَىٰ الْيَدَيْنِ، وَيُمْنَىٰ الرِّجْلَيْنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ قَطْعًا مِنْ خِلَافٍ..

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ عَلَىٰ جُذُوعِ النَّخْلِ، وَإِنَّمَا قِيلَ: فِي جُذُوعِ، لِأَنَّ الْمَصْلُوبَ عَلَىٰ الْخَشَبَةِ يُرْفَعُ فِي طُولِهَا، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَيْهَا، فَيُقَالُ: صُلِبَ عَلَيْهَا..

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أَيُّهَا السَّحَرَةُ..

﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لَكُمْ..

﴿وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾ [طه: ٧١] وَأَدْوَمُ، أَنَا أَوْ مُوسَىٰ.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢﴾ [طه: ٧٢].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَتِ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ بِمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ..

﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ فَنَتَّبِعَكَ وَنُكَذِّبَ مِنْ أَجْلِكَ مُوسَىٰ..

﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يَعْنِي مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُوسَىٰ..

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قَالُوا: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ الَّذِي جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَعَلَىٰ الَّذِي خَلَقَنَا.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ خَفْضًا عَلَىٰ الْقَسَمِ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَاللهِ..

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، وَاعْمَلْ بِنَا مَا بَدَا لَكَ..

﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝٧٢﴾ [طه: ٧٢] إِنَّمَا تَقْدِرُ أَنْ تُعَذِّبَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْنَىٰ، وَنَصَبَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْوَقْتِ، وَجُعِلَتْ إِنَّمَا حَرْفًا وَاحِدًا.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه: ٧٣].

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ إِنَّا أَقْرَرْنَا بِتَوْحِيدِ رَبِّنَا، وَصَدَّقْنَا بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ حَقٌّ..

﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ لِيَعْفُوَ لَنَا عَنْ ذُنُوبِنَا فَيَسْتُرَهَا عَلَيْنَا..

﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ لِيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتَعَلُّمَنَا مَا تَعَلَّمْنَاهُ مِنَ السِّحْرِ، وَعَمِلْنَا بِهِ الَّذِي أَكْرَهْتَنَا عَلَىٰ تَعَلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**أَمَرَهُمْ بِتَعَلُّمِ السِّحْرِ، فَتَرَكُوا كِتَابَ اللهِ، وَأَمَرُوا قَوْمَهُمْ بِتَعْلِيمِ السِّحْرِ** ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ **أَمَرْتَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ**)..

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ مِنْكَ يَا فِرْعَوْنُ جَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ..

﴿وَأَبۡقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه: ٧٣] عَذَابًا لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝٧٤﴾ [طه: ٧٤].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ السَّحَرَةِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ» مِنْ خَلْقِهِ..

﴿مُجۡرِمٗا﴾ مُكْتَسِبًا الْكُفْرَ بِهِ..

﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ مَأْوَىٰ وَمَسْكَنًا، جَزَاءً لَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ..

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ..

﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ۝٧٤﴾ [طه: ٧٤] فَتَسْتَقِرَّ نَفْسُهُ فِي مَقَرِّهَا فَتَطْمَئِنَّ، وَلَكِنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْحَنَاجِرِ مِنْهُمْ.

﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه: ٧٥].

﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا﴾ مُوَحِّدًا لَا يُشْرِكُ بِهِ..

﴿قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قَدْ عَمِلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه: ٧٥] فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ الْعُلَىٰ، ثُمَّ بَيَّنَ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ مَا هِيَ، فَقَالَ: هُنَّ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٦].

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ لَا ظَعْنَ عَنْهَا وَلَا نَفَادَ لَهَا وَلَا فَنَاءَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مَاكِثِينَ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ غَايَةٍ مَحْدُودَةٍ..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَهَذِهِ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ الَّتِي هِيَ جَنَّاتُ عَدْنٍ عَلَىٰ مَا وَصَفَ جَلَّ جَلَالُهُ..

﴿جَزَآءُ﴾ ثَوَابُ..

﴿مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٦] مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَأَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ، وَلَمْ يُدَنِّسْ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَتِهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ.

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧].

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ نَبِيِّنَا، إِذْ تَابَعْنَا لَهُ الْحُجَجَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَأَبَىٰ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَطَغَىٰ وَتَمَادَىٰ فِي طُغْيَانِهِ..

﴿أَنۡ أَسۡرِ﴾ لَيْلًا..

﴿بِعِبَادِي﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ فَاتَّخِذْ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا يَابِسًا..

﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ..

﴿دَرَكٗا﴾ أَنْ يُدْرِكُوكَ مِنْ وَرَائِكَ..

﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧] غَرَقًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَوَحَلًا.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: ٧٨].

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ فَسَرَىٰ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَسْرِ بِهِمْ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ حِينَ قَطَعُوا الْبَحْرَ..

﴿فَغَشِيَهُم﴾ فَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ..

﴿مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: ٧٨] فَغَرِقُوا جَمِيعًا.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: ٧٩].

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ وَجَاوَزَ فِرْعَوْنُ بِقَوْمِهِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَأَخَذَ بِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ أَهْلِ النَّارِ، بِأَمْرِهِمْ بِالْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ..

﴿وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: ٧٩] وَمَا سَلَكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ مُوسَىٰ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، فَأَطَاعُوهُ، فَلَمْ يَهْدِهِمْ بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَهْتَدُوا بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ.. فَلَمَّا نَجَا مُوسَىٰ بِقَوْمِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، قُلْنَا لِقَوْمِ مُوسَىٰ.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠﴾ [طه: ٨٠].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فِرْعَوْنَ..

﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠﴾ [طه: ٨٠] وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ مُوَاعَدَةُ اللهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ، وَقَدْ بَيَّنَّا الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ بِاخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمَا فِي سُورَةِ البَقَرَةِ، وَذَكَرْنَا الشَّوَاهِدَ عَلَىٰ الصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١﴾ [طه: ٨١].

﴿كُلُوا۟﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ مِنْ شَهِيَّاتِ رِزْقِنَا الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَحَلَالِهِ الَّذِي طَيَّبْنَاهُ لَكُمْ..

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ وَلَا تَعْتَدُوا فِيهِ، وَلَا يَظْلِمْ فِيهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ فَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ عُقُوبَتِي.. وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وُقُوعَ بَأْسِهِ بِهِمْ، وَنُزُولَهُ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ إِنْ هُمْ عَصَوْهُ، وَخَوَّفَهُمْ وُجُوبَهُ لَهُمْ..

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ وَمَنْ يَجِبْ عَلَيْهِ غَضَبِي، فَيَنْزِلُ بِهِ..

﴿فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١﴾ [طه: ٨١] فَقَدْ تَرَدَّىٰ فَشَقِيَ.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢].

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾ وَإِنِّي لَذُو غُفْرٍ..

﴿لِّمَن تَابَ﴾ مِنْ شِرْكِهِ، فَرَجَعَ مِنْهُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ لِي..

﴿وَءَامَنَ﴾ وَأَخْلَصَ لِي الْأُلُوهَةَ، وَلَمْ يُشْرِكْ فِي عِبَادَتِهِ إِيَّايَ غَيْرِي..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وَأَدَّىٰ فَرَائِضِي الَّتِي افْتَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَّ..

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] ثُمَّ لَزِمَ ذَلِكَ، فَاسْتَقَامَ وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْهُ.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣].

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْجَلَكَ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ: مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ؟ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فِيمَا بَلَغَنَا حِينَ نَجَّاهُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَطَعَ بِهِمُ الْبَحْرَ، وَعَدَهُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، فَتَعَجَّلَ مُوسَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَأَقَامَ هَارُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَسِيرُ بِهِمْ عَلَىٰ أَثَرِ مُوسَىٰ.

﴿عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣] فَتَقَدَّمْتَهُمْ وَخَلَّفْتَهُمْ وَرَاءَكَ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ.

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ﴾ قَوْمِي..

﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يَلْحَقُونَ بِي..

﴿وَعَجِلْتُ﴾ أَنَا فَسَبَقْتُهُمْ..

﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤] كَيْمَا تَرْضَىٰ عَنِّي.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: ٨٥].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِمُوسَىٰ..

﴿فَإِنَّا﴾ يَا مُوسَىٰ..

﴿قَدْ فَتَنَّا﴾ قَدِ ابْتَلَيْنَا..

﴿قَوْمَكَ﴾ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَذَلِكَ كَانَ فِتْنَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ..

﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ فِرَاقِكَ إِيَّاهُمْ..

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: ٨٥] وَكَانَ إِضْلَالُ السَّامِرِيِّ إِيَّاهُمْ دُعَاءَهُ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْعِجْلِ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه: ٨٦].

﴿فَرَجَعَ﴾ فَانْصَرَفَ..

﴿مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعِينَ لَيْلَةً..

﴿غَضْبَٰنَ﴾ مُتَغَيِّظًا عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿أَسِفًا﴾ حَزِينًا لِمَا أَحْدَثُوهُ بَعْدَهُ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ.. وَقَالَ فِي الزُّخْرُفِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]، يَقُولُ: أَغْضَبُونَا، وَالْأَسَفُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: الْغَضَبُ، وَالْحُزْنُ..

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ؟ وَيَعِدُكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ..

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ بِي، وَبِجَمِيلِ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَأَيَادِيهِ لَدَيْكُمْ..

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِبَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَسْتَحِقُّوهُ بِعِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ، وَكُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه: ٨٦] وَكَانَ إِخْلَافُهُمْ مَوْعِدَهُ عُكُوفَهُمْ عَلَىٰ الْعِجْلِ، وَتَرْكَهُمُ السَّيْرَ عَلَىٰ أَثَرِ مُوسَىٰ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي كَانَ اللهُ وَعَدَهُمْ، وَقَوْلَهُمْ لِهَارُونَ إِذْ نَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ السَّيْرِ مَعَهُ فِي أَثَرِ مُوسَىٰ: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٩١].

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه: ٨٧].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ..

﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ يَعْنُونَ بِمَوْعِدِهِ: عَهْدَهُ الَّذِي كَانَ عَهِدَهُ إِلَيْهِمْ..

﴿بِمَلْكِنَا﴾ يُخْبِرُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَقَرُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْخَطَأِ، وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نَطِقْ حَمْلَ أَنْفُسِنَا عَلَىٰ الصَّوَابِ، وَلَمْ نَمْلِكْ أَمْرَنَا حَتَّىٰ وَقَعْنَا فِي الَّذِي وَقَعْنَا فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: بِطَاقَتِنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِهَوَانَا، وَلَكِنَّا لَمْ نَمْلِكْ أَنْفُسَنَا.. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ فِي ذَلِكَ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ، لِغَلَبَةِ هَوَاهُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَ فُلَانٌ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَفِعْلَهُ، وَهُوَ لَا يَضْبِطُهَا وَفِعْلَهُ، وَهُوَ لَا يُطِيقُ تَرْكَهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُوَجَّهُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ

وَنَحْنُ نَمْلِكُ الْوَفَاءَ بِهِ، لِغَلَبَةِ أَنْفُسِنَا إِيَّانَا عَلَىٰ خِلَافِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَثْقَالًا وَأَحْمَالًا..

﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ مِنْ حُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَرَادَ مُوسَىٰ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِيرُوا مِنْ أَمْتِعَةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَحُلِيِّهِمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ مُغْنِمُكُمْ ذَلِكَ، فَفَعَلُوا، وَاسْتَعَارُوا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**الْحُلِيُّ الَّذِي اسْتَعَارُوهُ وَالثِّيَابُ لَيْسَتْ مِنَ الذُّنُوبِ فِي شَيْءٍ**)..

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ فَأَلْقَيْنَا تِلْكَ الْأَوْزَارَ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فِي الْحُفْرَةِ..

﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ فَكَمَا قَذَفْنَا نَحْنُ تِلْكَ الْأَثْقَالَ، فَكَذَلِكَ..

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧﴾ [طه: ٨٧] مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ تُرْبَةِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ [طه: ٨٨].

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السَّامِرِيُّ مِمَّا قَذَفُوهُ وَمِمَّا أَلْقَاهُ..

﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وَيَعْنِي بِالْخُوَارِ: الصَّوْتُ، وَهُوَ صَوْتُ الْبَقَرِ..

﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ [طه: ٨٨] فَضَلَّ وَتَرَكَ.. وَذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ السَّامِرِيِّ أَنَّهُ وَصَفَ مُوسَىٰ بِأَنَّهُ نَسِيَ رَبَّهُ، وَأَنَّهُ رَبُّهُ الَّذِي ذَهَبَ يُرِيدُهُ هُوَ الْعِجْلُ الَّذِي أَخْرَجَهُ السَّامِرِيُّ.. فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُوَبِّخًا عَبَدَةَ الْعِجْلِ وَالْقَائِلِينَ لَهُ ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ وَعَابَهُمْ بِذَلِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ بِمَا فَعَلُوا وَنَالُوا مِنْهُ.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ [طه: ٨٩].

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أَنَّ الْعِجْلَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ..

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَإِنْ كَلَّمُوهُ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا..

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ [طه: ٨٩] وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ إِلَهًا؟

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ۝٩٠﴾ [طه: ٩٠].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لَقَدْ قَالَ لِعَبَدَةِ الْعِجْلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ رُجُوعِ مُوسَىٰ إِلَيْهِمْ، وَقِيلِهِ لَهُمْ مَا قَالَ، مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ..

﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم﴾ إِنَّمَا اخْتَبَرَ اللهُ إِيمَانَكُمْ وَمُحَافَظَتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ..

﴿بِهِۦ﴾ بِهَذَا الْعِجْلِ، الَّذِي أَحْدَثَ فِيهِ الْخُوَارَ، لِيَعْلَمَ بِهِ الصَّحِيحَ الْإِيمَانِ مِنْكُمْ مِنَ الْمَرِيضِ الْقَلْبِ، الشَّاكِّ فِي دِينِهِ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ الَّذِي يَعُمُّ جَمِيعَ الْخَلْقِ نِعَمُهُ..

﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ عَلَىٰ مَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْعِجْلِ..

﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ۝٩٠﴾ [طه: ٩٠] فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١].

﴿قَالُواْ﴾ عَبَدَةُ الْعِجْلِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ..

﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١] لَنْ نَزَالَ عَلَىٰ الْعِجْلِ مُقِيمِينَ نَعْبُدُهُ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ.

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خِطَابِ قَوْمِهِ وَمُرَاجَعَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ خَطَأِ فِعْلِهِمْ..

﴿يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ..

﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢﴾ [طه: ٩٢] عَنْ دِينِهِمْ، فَكَفَرُوا بِاللهِ وَعَبَدُوا الْعِجْلَ.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣﴾ [طه: ٩٣].

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣﴾ [طه: ٩٣] لَامَهُ مُوسَىٰ عَلَىٰ تَرْكِهِ السَّيْرَ بِمَنْ أَطَاعَهُ فِي أَثَرِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ عَهِدَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ أَخَذَ مُوسَىٰ بِلِحْيَةِ أَخِيهِ هَارُونَ وَرَأْسُهُ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، فَـ.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤].

﴿قَالَ﴾ هَارُونُ..

﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قَالَ لَهُ هَارُونُ:

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ، فَرَّقْتَ بَيْنَ جَمَاعَتِهِمْ، فَتَرَكْتَ بَعْضَهُمْ وَرَاءَكَ، وَجِئْتَ بِبَعْضِهِمْ، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي قَوْلِ هَارُونَ لِلْقَوْمِ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ۝٩٠﴾ [طه: ٩٠]، وَفِي جَوَابِ الْقَوْمِ لَهُ وَقِيلِهِمْ ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩١].

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤] وَلَمْ تَنْظُرْ قَوْلِي وَتَحْفَظْهُ.. مِنْ مُرَاقَبَةِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ، وَهِيَ مُنَاظَرَتُهُ بِحِفْظِهِ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: ٩٥].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّامِرِيِّ..

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: ٩٥] فَمَا شَأْنُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ وَمَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَىٰ مَا فَعَلْتَهُ؟

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦﴾ [طه: ٩٦].

﴿قَالَ﴾ السَّامِرِيُّ..

﴿بَصُرْتُ﴾ عَلِمْتُ.. وَهُوَ مِنَ الْبَصِيرَةِ: أَيْ صِرْتُ بِمَا عَلِمْتُ بَصِيرًا عَالِمًا..

﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ..

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فَأَخَذْتُ بِكَفِّي تُرَابًا مِنْ تُرَابِ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ جِبْرِيلَ..

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فَأَلْقَيْتُهَا..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَعَلْتُ مِنْ إِلْقَائِي الْقَبْضَةَ الَّتِي قَبَضْتُ مِنْ أَثَرِ الْفَرَسِ عَلَىٰ الْحِلْيَةِ الَّتِي أَوْقَدْ عَلَيْهَا حَتَّىٰ انْسَبَكَتْ فَصَارَتْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ..

﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦﴾ [طه: ٩٦] زَيَّنَتْ لِي نَفْسِي أَنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧﴾ [طه: ٩٧].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ لِلسَّامِرِيِّ..

﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ فَإِنَّ لَكَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِكَ..

﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ أَيْ لَا أَمَسُّ، وَلَا أُمَسُّ، وَذُكِرَ أَنَّ مُوسَىٰ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لَا

يُؤَاكِلُوهُ، وَلَا يُخَالِطُوهُ، وَلَا يُبَايِعُوهُ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ: إِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ، فَبَقِيَ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ فِي قَبِيلَتِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**كَانَ وَاللهِ السَّامِرِيُّ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهَا سَامِرَةُ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِ نَافَقَ بَعْدَ مَا قَطَعَ الْبَحْرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَقَايَاهُمُ الْيَوْمَ يَقُولُونَ لا مِسَاسَ**)..

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لِعَذَابِكَ وَعُقُوبَتِكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ مِنْ إِضْلَالِكَ قَوْمِي حَتَّىٰ عَبَدُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ لَنْ يُخْلِفَكَهُ اللهُ، وَلَكِنْ يُذِيقُكَهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَأَبُو نَهِيكٍ: (**لَنْ تُخْلِفَهُ**) بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ يَا سَامِرِيّ، وَتَأَوَّلُوهُ بِمَعْنَىٰ: لَنْ تَغِيبَ عَنْهُ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ اللهَ مُوَفٍّ وَعْدَهُ لِخَلْقِهِ بِحَشْرِهِمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ مُوافُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَا اللهُ مُخْلِفُهُمْ ذَلِكَ، وَلَا هُمْ مُخْلِفُوهُ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ..

﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وَانْظُرْ إِلَىٰ مَعْبُودِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ مُقِيمًا تَعْبُدُهُ..

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بِالنَّارِ قِطْعَةً قِطْعَةً..

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧﴾ [طه: ٩٧] ثُمَّ لَنُذْرِيَنَّهُ فِي الْبَحْرِ تَذْرِيَةً.. يُقَالُ مِنْهُ: نَسَفَ فُلَانٌ الطَّعَامَ بِالْمِنْسَفِ: إِذَا ذَرَاهُ فَطَيَّرَ عَنْهُ قُشُورَهُ وَتُرَابَهُ بِالْيَدِ أَوِ بالرِّيحِ.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾ [طه: ٩٨].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مَعْبُودٌ، إِلَّا الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ جَمِيعِ الْخَلْقِ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَهُ.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾ [طه: ٩٨] أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَعَلِمَهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَضِيقُ عَلَيْهِ عِلْمُ جَمِيعِ ذَلِكَ.. يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ يَسَعُ لِهَذَا الْأَمْرِ: إِذَا أَطَاقَهُ وَقَوِيَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسَعُ لَهُ: إِذَا عَجَزَ عَنْهُ فَلَمْ يُطِقْهُ وَلَمْ يَقْوَ عَلَيْهِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩﴾ [طه: ٩٩].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَأَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

مَعَ مُوسَىٰ كَذَلِكَ..

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نُخْبِرُكَ..

﴿مِنْ أَنْبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ بِأَنْبَاءِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَمْ تُشَاهِدْهَا وَلَمْ تُعَايِنْهَا..

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿ذِكْرًا ۝﴾ [طه: ٩٩] يَتَذَكَّرُ بِهِ وَيَتَّعِظُ بِهِ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَهُ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝﴾ [طه: ١٠٠].

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ مَنْ وَلَّىٰ عَنْهُ فَأَدْبَرَ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ وَلَمْ يُقِرَّ..

﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝﴾ [طه: ١٠٠] فَإِنَّهُ يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ حِمْلًا ثَقِيلًا، وَذَلِكَ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ۝﴾ [طه: ١٠١].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ خَالِدِينَ فِي وِزْرِهِمْ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ ذِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي أَوْزَارِهِمْ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ بِأَوْزَارِهِمْ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا الْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ اكْتَفَىٰ بِمَا ذَكَرَ عَمَّا لَمْ يَذْكُرْ..

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ۝﴾ [طه: ١٠١] وَسَاءَ ذَلِكَ الْحِمْلُ وَالثِّقَلُ مِنَ الْإِثْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا، وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَسُوءَهُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ أَوْرَدَهُمْ مَهْلَكَةً لَا مَنْجَىٰ مِنْهَا.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝﴾ [طه: ١٠٢].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ رَدٌّ عَلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَنَحْشُرُ﴾ وَنَسُوقُ..

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿زُرْقًا ۝﴾ [طه: ١٠٢] مَا يَظْهَرُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ الَّذِي يَكُونُ بِهِمْ عِنْدَ الْحَشْرِ لِرَأْيِ

الْعَيْنِ، مِنَ الزَّرَقِ.. وَقِيلَ: أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عُمْيًا، كَالَّذِي قَالَ اللهُ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣].

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يَتَهَامَسُونَ بَيْنَهُمْ، وَيُسِرُّ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣] مَا لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشْرًا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ عِنْدَ إِسْرَارِهِمْ وَتَخَافُتِهِمْ بَيْنَهُمْ بِقِيلِهِمْ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣] بِمَا يَقُولُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِمَّا يَتَسَارَرُونَهُ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ..

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ حِينَ يَقُولُ أَوْفَاهُمْ عَقْلًا، وَأَعْلَمُهُمْ فِيهِمْ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤] إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمًا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: ١٠٥].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ قَوْمُكَ..

﴿عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: ١٠٥] يُذَرِّيهَا رَبِّي تَذْرِيَةً، وَيُطَيِّرُهَا بِقَلْعِهَا وَاسْتِئْصَالِهَا مِنْ أُصُولِهَا، وَدَكِّ بَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَتَصْيِيرِهِ إِيَّاهَا هَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [طه: ١٠٦].

﴿فَيَذَرُهَا﴾ فَيَدَعُ أَمَاكِنَهَا مِنَ الْأَرْضِ إِذَا نَسَفَهَا نَسْفًا..

﴿قَاعًا﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ..

﴿صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [طه: ١٠٦] مُسْتَوِيًا لَا نَبَاتَ فِيهِ، وَلَا نَشَزَ، وَلَا ارْتِفَاعَ.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧].

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا﴾ لَا تَرَىٰ فِي الْأَرْضِ..

﴿عِوَجًا﴾ مَيْلًا، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ مِنْ عِوَجٍ، فَيُقَالُ: لَا تَرَىٰ فِيهَا يَوْمَئِذٍ عِوَجًا؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَيْسَ فِيهَا أَوْدِيَةٌ وَمَوَانِعُ

تَمْنَعُ النَّاظِرَ أَوِ السَّائِرَ فِيهَا عَنِ الْأَخْذِ عَلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ، كَمَا يَحْتَاجُ الْيَوْمَ مَنْ أَخَذَ فِي بَعْضِ سُبُلِهَا إِلَىٰ الْأَخْذِ أَحْيَانًا يَمِينًا، وَأَحْيَانًا شِمَالًا، لِمَا فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْبِحَارِ..

﴿وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٧] الْأَمْتُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الِانْثِنَاءُ وَالضَّعْفُ، مَسْمُوعٌ مِنْهُمْ: مَدَّ حَبْلَهُ حَتَّىٰ مَا تَرَكَ فِيهِ أَمْتًا: أَيِ انْثِنَاءً، وَمَلَأَ سِقَاءَهُ حَتَّىٰ مَا تَرَكَ فِيهِ أَمْتًا، فَالْوَاجِبُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَىٰ الْأَمْتِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ أَصْوَبَ الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِهِ: وَلَا ارْتِفَاعَ وَلَا انْخِفَاضَ، لِأَنَّ الِانْخِفَاضَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَنِ ارْتِفَاعٍ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: لَا تَرَىٰ فِيهَا مَيْلًا عَنِ الِاسْتِوَاءِ، وَلَا ارْتِفَاعًا، وَلَا انْخِفَاضًا، وَلَكِنَّهَا مُسْتَوِيَةٌ مَلْسَاءُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦﴾ [طه: ١٠٦].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: ١٠٨].

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ النَّاسُ..

﴿ٱلدَّاعِيَ﴾ صَوْتَ دَاعِي اللهِ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ..

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾ لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ وَلَا انْحِرَافَ، وَلَكِنَّهُمْ سِرَاعًا إِلَيْهِ يَنْحَشِرُونَ.. وَقِيلَ: لَا عِوَجَ لَهُ، وَالْمَعْنَىٰ: لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ لَا يُعْوِجُونَ لَهُ وَلَا عَنْهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَؤُمُّونَهُ وَيَأْتُونَهُ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: دَعَانِي فُلَانٌ دَعْوَةً لَا عِوَجَ لِي عَنْهَا: أَيْ لَا أَعْوِجُ عَنْهَا..

﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ وَسَكَنَتْ أَصْوَاتُ الْخَلَائِقِ لِلرَّحْمَنِ، فَوَصَفَ الْأَصْوَاتَ بِالْخُشُوعِ، وَالْمَعْنَىٰ لِأَهْلِهَا، إِنَّهُمْ خُضَّعٌ جَمِيعُهُمْ لِرَبِّهِمْ، فَلَا تَسْمَعُ لِنَاطِقٍ مِنْهُمْ مَنْطِقًا إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ..

﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: ١٠٨] إِنَّهُ وَطْءُ الْأَقْدَامِ إِلَىٰ الْمَحْشَرِ.. وَأَصْلُهُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، يُقَالُ هَمَسَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ بِحَدِيثِهِ، إِذَا أَسَرَّهُ إِلَيْهِ وَأَخْفَاهُ.

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا﴾ شَفَاعَةُ..

﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أَنْ يَشْفَعَ..

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].

﴿يَعۡلَمُ﴾ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ، وَمَا الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ وَيَعْلَمُ أَمْرَ مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا..

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠] وَلَا يُحِيطُ خَلْقُهُ بِهِ عِلْمًا.. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهُ مُحِيطٌ بِعِبَادِهِ عِلْمًا، وَلَا يُحِيطُ عِبَادُهُ بِهِ عِلْمًا.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه: ١١١].

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ اسْتَأْسَرَتْ وُجُوهُ الْخَلْقِ، وَاسْتَسْلَمَتْ.. وَأَصْلُ الْعُنُوِّ: الذُّلُّ، يُقَالُ مِنْهُ: عَنَا وَجْهُهُ لِرَبِّهِ، يَعْنُو عُنُوًّا، يَعْنِي خَضَعَ لَهُ وَذَلَّ، وَكَذَلِكَ قِيلَ لِلْأَسِيرِ: عَانٍ، لِذِلَّةِ الْأَسْرِ.. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَخَذْتُ الشَّيْءَ عَنْوَةً، فَإِنَّهُ يَكُونُ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ يَئُولُ إِلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ غَلَبَةً، وَيَكُونُ أَخَذَهُ عَنْ تَسْلِيمٍ وَطَاعَةٍ.

﴿لِلۡحَيِّ﴾ الَّذِي لَا يَمُوتُ..

﴿ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ عَلَى خَلْقِهِ بِتَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَتَصْرِيفِهِمْ لِمَا شَاءُوا..

﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ وَلَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَطِلْبَتِهِ..

﴿مَنۡ حَمَلَ﴾ إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه: ١١١] شِرْكًا بِاللهِ، وَكُفْرًا بِهِ، وَعَمَلًا بِمَعْصِيَتِهِ.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَذَلِكَ فِيمَا قِيلَ أَدَاءُ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَى عِبَادِهِ..

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِاللهِ، وَأَنَّهُ مُجَازٍ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَأَهْلَ مَعَاصِيهِ عَلَى مَعَاصِيهِمْ..

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ فَلَا يَخَافُ مِنَ اللهِ أَنْ يَظْلِمَهُ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهِ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، فَيُعَاقِبُهُ عَلَيْهَا..

﴿وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢] لَا يَخَافُ أَنْ يَهْضِمَهُ حَسَنَاتِهِ، فَيَنْقُصُهُ ثَوَابَهَا.. وَأَصْلُ الْهَضْمِ: النَّقْصُ، يُقَالُ: هَضَمَنِي فُلَانٌ حَقِّي، وَمِنْهُ امْرَأَةٌ هَضِيمٌ: أَيْ ضَامِرَةُ الْبَطْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: قَدْ هُضِمَ

الطَّعَامُ: إِذَا ذَهَبَ، وَهَضَمْتُ لَكَ مِنْ حَقِّكَ: أَيْ حَطَطْتُكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا رَغَّبْنَا أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، بِوَعْدِنَاهُمْ مَا وَعَدْنَاهُمْ، كَذَلِكَ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حَذَّرْنَا بِالْوَعِيدِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالْمُقَامِ عَلَىٰ مَعَاصِينَا، وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِنَا، فَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا، إِذْ كَانُوا عَرَبًا..

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ فَبَيَّنَّاهُ، يَقُولُ: وَخَوَّفْنَاهُمْ فِيهِ بِضُرُوبٍ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كَيْ يَتَّقُونَا، بِتَصْرِيفِنَا مَا صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣] أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ تَذْكِرَةً، فَيَعْتَبِرُونَ وَيَتَّعِظُونَ بِفِعْلِنَا بِالْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ قَبْلَهَا، وَيَنْزَجِرُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

﴿فَتَعَٰلَى﴾ فَارْتَفَعَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الَّذِي قَهَرَ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَلِكٍ وَجَبَّارٍ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ فَتُقْرِئَهُ أَصْحَابَكَ، أَوْ تَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْكَ بَيَانُ مَعَانِيهِ، فَعُوتِبَ عَلَىٰ إِكْتَابِهِ وَإِمْلَائِهِ مَا كَانَ اللهُ يُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ مَنْ كَانَ يُكْتِبُهُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَعَانِيهِ، وَقِيلَ لَهُ: لَا تَتْلُهُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا تُمْلِهِ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ نُبَيِّنَهُ لَكَ.

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] إِلَىٰ مَا عَلَّمْتَنِي، أَمَرَهُ بِمَسْأَلَتِهِ مِنْ فَوَائِدِ الْعِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُ.. وَإِنْ

يُضَيِّع يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نُصَرِّفُ لَهُمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْوَعِيدِ عَهْدِي، وَيُخَالِفُوا أَمْرِي، وَيَتْرُكُوا طَاعَتِي، وَيَتَّبِعُوا أَمْرَ عَدُوِّهِمْ إِبْلِيسَ، وَيُطِيعُوهُ فِي خِلَافِ أَمْرِي، فَقَدِيمًا مَا فَعَلَ ذَلِكَ أَبُوهُمْ آدَمُ.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا آدَمَ وَقُلْنَا لَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١١٧]، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَأَطَاعَهُ، وَخَالَفَ أَمْرِي، فَحَلَّ بِهِ مِنْ عُقُوبَتِي مَا حَلَّ..

﴿مِن قَبْلُ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ صَرَّفَ لَهُمُ الْوَعِيدَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ..

﴿فَنَسِىَ﴾ فَتَرَكَ عَهْدِي..

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ الصَّبْرُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: الْحِفْظُ، قَالُوا: وَمَعْنَاهُ: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ حِفْظًا لِمَا عَهِدْنَا إِلَيْهِ.. وَأَصْلُ الْعَزْمِ اعْتِقَادُ الْقَلْبِ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَمَ فُلَانٌ عَلَىٰ كَذَا: إِذَا اعْتَقَدَ عَلَيْهِ وَنَوَاهُ، وَمِنِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ: حِفْظُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ الصَّبْرُ عَلَىٰ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْزَعُ جَازِعٌ إِلَّا مِنْ خَوَرِ قَلْبِهِ وَضَعْفِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا مَعْنَىٰ لِذَلِكَ أَبْلَغُ مِمَّا بَيَّنَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمَ قَلْبٍ، عَلَىٰ الْوَفَاءِ للهِ بِعَهْدِهِ، وَلَا عَلَىٰ حِفْظِ مَا عَهِدَ إِلَيْهِ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: ١١٦].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَلِّمًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مَا كَانَ مِنْ تَضْيِيعِ آدَمَ عَهْدَهُ، وَمُعَرِّفَهُ بِذَلِكَ أَنَّ وَلَدَهُ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: ١١٦] أَنْ يَسْجُدَ لَهُ.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧].

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا﴾ وَلِذَلِكَ مِنْ شَنَآنِهِ لَمْ يَسْجُدْ لَكَ، وَخَالَفَ أَمْرِي فِي ذَلِكَ وَعَصَانِي، فَلَا تُطِيعَاهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمَا بِهِ..

﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ فَيُخْرِجُكُمَا بِمَعْصِيَتِكُمَا رَبَّكُمَا، وَطَاعَتِكُمَا لَهُ..

﴿مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [طه: ١١٧] فَيَكُونُ عَيْشُكَ مِنْ كَدِّ يَدِكَ، فَذَلِكَ شَقَاؤُهُ الَّذِي حَذَّرَهُ بِهِ.. وَلَمْ يَقُلْ: (فَتَشْقَيَا)، وَقَدْ قَالَ: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾؛ لِأَنَّ ابْتِدَاءَ الْخِطَابِ مِنَ اللهِ كَانَ لِآدَمَ ﷺ فَكَانَ فِي إِعْلَامِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ، الْكِفَايَةَ مِنْ ذِكْرِ الْمَرْأَةِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ حُكْمَهَا فِي ذَلِكَ حُكْمُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧﴾ [ق: ١٧]، اجْتُزِئَ بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ، مِنْ ذِكْرِ فِعْلِ صَاحِبِهِ.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ۝١١٨﴾ [طه: ١١٨].

﴿إِنَّ لَكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِ لِآدَمَ حِينَ أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يَا آدَمُ..

﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ۝١١٨﴾ [طه: ١١٨].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: ١١٩].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ لَا تَعْطَشُ فِي الْجَنَّةِ مَا دُمْتَ فِيهَا..

﴿وَلَا تَضۡحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: ١١٩] لَا تَظْهَرُ لِلشَّمْسِ فَيُؤْذِيكَ حَرُّهَا.

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: ١٢٠].

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فَأَلْقَىٰ إِلَىٰ آدَمَ الشَّيْطَانُ وَحَدَّثَهُ فَـ..

﴿قَالَ﴾ لَهُ..

﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا خُلِّدْتَ فَلَمْ تَمُتْ..

﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: ١٢٠] وَمُلِّكْتَ مُلْكًا لَا يَنْقَضِي فَيَبْلَىٰ.

﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: ١٢١].

﴿فَأَكَلَا﴾ فَأَكَلَ آدَمُ وَحَوَّاءُ..

﴿مِنۡهَا﴾ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا، وَأَطَاعَا أَمْرَ إِبْلِيسَ، وَخَالَفَا أَمْرَ رَبِّهِمَا..

﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ فَانْكَشَفَتْ لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا، وَكَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْ أَعْيُنِهِمَا..

﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ أَقْبَلَا يَشُدَّانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: ١٢١] وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ، فَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَتَعَدَّىٰ إِلَيْهِ، مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: ١٢٢].

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ﴾ اصْطَفَاهُ..

﴿رَبُّهُۥ﴾ مِنْ بَعْدِ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ فَرَزَقَهُ الرُّجُوعَ إِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ عَنْهُ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ كَانَتْ تَوْبَتُهُ الَّتِي تَابَهَا عَلَيْهِ..

﴿وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: ١٢٢] وَهَدَاهُ لِلتَّوْبَةِ، فَوَفَّقَهُ لَهَا.

﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣].

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ..

﴿ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ أَنْتُمَا عَدُوُّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتُهُ، وَإِبْلِيسُ عَدُوُّكُمَا وَعَدُوُّ ذُرِّيَّتِكُمَا..

﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ يَا آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ..

﴿مِّنِّي هُدٗى﴾ بَيَانٌ لِسَبِيلِي، وَمَا اخْتَارُهُ لِخَلْقِي مِنْ دِينٍ..

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي ذَلِكَ وَعَمِلَ بِهِ، وَلَمْ يَزِغْ مِنْهُ..

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ فَلَا يَزُولُ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ يَرْشُدُ فِي الدُّنْيَا وَيَهْتَدِي..

﴿وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣] فِي الْآخِرَةِ بِعِقَابِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّيهِ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ الَّذِي أُذَكِّرُهُ بِهِ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِهِ فَيَنْزَجِرُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ..

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَيِّقَةً، وَذَلِكَ لَهُمْ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ عَذَابُ الْقَبْرِ؛

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ مَعْنًى مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقَدَّمَهُ عَذَابٌ لَهُمْ قَبْلَ الْآخِرَةِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ مِنْهُ، بَطَلَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا تَخْلُو تِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، أَوْ فِي قُبُورِهِمْ قَبْلَ الْبَعْثِ، إِذْ كَانَ لَا وَجْهَ لِأَنْ تَكُونَ فِي الْآخِرَةِ لِمَا قَدْ بَيَّنَّا، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ، فَإِنَّ مَعِيشَتَهُ فِيهَا ضَنْكٌ، وَفِي وُجُودِنَا كَثِيرًا مِنْهُمْ أَوْسَعَ مَعِيشَةً مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُقْبِلِينَ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الْقَانِتِينَ لَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِذْ خَلَا الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ صَحَّ الْوَجْهُ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ..

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤] قَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عَمًى عَنِ الْحُجَّةِ، لَا عَمًى عَنِ الْبَصَرِ.. وَقِيلَ: يُحْشَرُ أَعْمَىٰ الْبَصَرِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ يُحْشَرُ أَعْمَىٰ عَنِ الْحُجَّةِ وَرُؤْيَةِ الشَّيْءِ، كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَعَمَّ وَلَمْ يُخَصِّصْ.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ عَنْ حُجَّتِي وَرُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَقَدْ كُنتُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥] ذَا بَصَرٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ هَذَا لِرَبِّهِ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ مَعَ مُعَايَنَتِهِ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ، أَجَهِلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَنْ يَكُونَ للهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا شَاءَ، أَمْ مَا وَجْهُ ذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مَسْأَلَةٌ لِرَبِّهِ يُعَرِّفُهُ الْجُرْمَ الَّذِي اسْتَحَقَّ بِهِ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ قَدْ جَهِلَهُ، وَظَنَّ أَنْ لَا جُرْمَ لَهُ، اسْتَحَقَّ ذَلِكَ بِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: رَبِّ لِأَيِّ ذَنْبٍ وَلِأَيِّ جُرْمٍ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ، وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا وَأَنْتَ لَا تُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِدُونِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْكَ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٦].

﴿قَالَ﴾ اللهُ حِينَئِذٍ لِلْقَائِلِ لَهُ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥] فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ، فَحَشَرْتُكَ أَعْمَىٰ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا..

﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ أَتَتْكَ آيَاتِي، وَهِيَ حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ وَبَيَانُهُ الَّذِي بَيَّنَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فَتَرَكْتَهَا وَأَعْرَضْتَ عَنْهَا، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِهَا، وَلَمْ تَعْمَلْ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ فَكَمَا نَسِيتَ آيَاتِنَا فِي الدُّنْيَا، فَتَرَكْتَهَا وَأَعْرَضْتَ عَنْهَا، فَكَذَلِكَ..

﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه: ١٢٦] فَنَتْرُكُكَ فِي النَّارِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه: ١٢٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَهَكَذَا..

﴿نَجْزِي﴾ نُثِيبُ..

﴿مَنْ أَسْرَفَ﴾ فَعَصَىٰ رَبَّهُ..

﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَنَجْعَلُ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا فِي الْبَرْزَخِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ..

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ وَلَعَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ لَهُمْ مِمَّا وَعَدْتُهُمْ فِي الْقَبْرِ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ..

﴿وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه: ١٢٧] وَأَدْوَمُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةَ.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [طه: ١٢٨].

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أَفَلَمْ يُبَيِّنْ لِقَوْمِكَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ..

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كَثْرَةَ مَا أَهْلَكْنَا..

﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَكَتْ قَبْلَهَا الَّتِي..

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ﴾ وَدُورِهِمْ، وَيَرَوْنَ آثَارَ عُقُوبَاتِنَا الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ سُوءَ مَغَبَّةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِنَا، وَيَتَّعِظُوا بِهِمْ، وَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ الْإِذْعَانِ، وَيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، خَوْفًا أَنْ يُصِيبَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا يُعَايِنُ هَؤُلَاءِ وَيَرَوْنَ مِنْ آثَارِ وَقَائِعِنَا بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلِهَا قَبْلَهُمْ، وَحُلُولِ مَثُلَاتِنَا بِهِمْ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿لَآيَٰتٖ﴾ لَدَلَالَاتٍ وَعِبَرًا وَعِظَاتٍ..

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [طه: ١٢٨] لِأَهْلِ الْحِجَىٰ وَالْعُقُولِ، وَمَنْ يَنْهَاهُ عَقْلُهُ وَفَهْمُهُ وَدِينُهُ عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَضُرُّهُ.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ [طه: ١٢٩].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَضَىٰ لَهُ أَجَلًا فَإِنَّهُ لَا يَخْتَرِمُهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَجَلَهُ..

﴿لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ [طه: ١٢٩] وَوَقْتٌ مُسَمًّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ سَمَّاهُ لَهُمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَخَطَّهُ فِيهِ، هُمْ بَالِغُوهُ وَمُسْتَوْفُوهُ، ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ لَلَازَمَهُمُ الْهَلَاكُ عَاجِلًا.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُسَمًّىٰ لَكَانَ لِزَامًا، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: ١٣٠].

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عَلَىٰ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ إِنَّكَ سَاحِرٌ، وَإِنَّكَ مَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ وَصَلِّ بِثَنَائِكَ عَلَىٰ رَبِّكَ، وَقَالَ: ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، وَالْمَعْنَىٰ: بِحَمْدِكَ رَبَّكَ، كَمَا تَقُولُ: أَعْجَبَنِي ضَرْبُ زَيْدٍ، وَالْمَعْنَىٰ: ضَرْبِي زَيْدًا..

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ وَذَلِكَ صَلَاةُ الصُّبْحِ..

﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ وَهِيَ الْعَصْرُ..

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ وَهِيَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ، وَاحِدُهَا: إِنْيٌ..

﴿فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ يَعْنِي صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرِبِ، وَقِيلَ: أَطْرَافُ النَّهَارِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَاتَانِ اللَّتَانِ ذَكَرْنَا، لِأَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ فِي آخِرِ طَرَفِ النَّهَارِ الْأَوَّلِ، وَفِي أَوَّلِ طَرَفِ النَّهَارِ الْآخِرِ، فَهِيَ فِي طَرَفَيْنِ مِنْهُ، وَالطَّرَفُ الثَّالِثُ: غُرُوبُ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تُصَلَّىٰ الْمَغْرِبُ، فَلِذَلِكَ قِيلَ أَطْرَافَ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: أُرِيدَ بِهِ طَرَفَا النَّهَارِ، وَقِيلَ: أَطْرَافَ، كَمَا قِيلَ ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]، فَجَمَعَ، وَالْمُرَادُ: قَلْبَانِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ طَرَفِ النَّهَارِ الْآخِرِ، وَآخِرَ طَرَفِهِ الْأَوَّلِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ: ﴿تَرْضَىٰ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ.. وَكَانَ عَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ يَقْرَآنِ ذَلِكَ: (تُرْضَىٰ) بِضَمِّ التَّاءِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالْفَتْحِ، ذَهَبُوا إِلَىٰ مَعْنَىٰ: إِنَّ اللهَ يُعْطِيكَ، حَتَّىٰ تَرْضَىٰ عَطِيَّتَهُ وَثَوَابَهُ إِيَّاكَ، وَكَذَلِكَ تَأَوَّلَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالضَّمِّ، وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَىٰ لَعَلَّ اللهَ يُرْضِيكَ مِنْ عِبَادَتِكَ إِيَّاهُ، وَطَاعَتِكَ لَهُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ، غَيْرُ مُخْتَلِفَتَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِذَا أَرْضَاهُ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَىٰ، وَأَنَّهُ إِذَا رَضِيَ فَقَدْ أَرْضَاهُ اللهُ، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْأُخْرَىٰ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه: ١٣١].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَا تَنْظُرْ..

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ إِلَىٰ مَا جَعَلْنَا لِأَشْكَالِ هَؤُلَاءِ وَضُرَبَائِهِمُ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ مُتْعَةً فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، يَتَمَتَّعُونَ بِهَا..

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ زَهْرَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَةً لَهُمْ فِيهَا..

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لِنَخْتَبِرَهُمْ فِيمَا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَبْتَلِيَهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَانٍ زَائِلٌ، وَغُرُورٌ وَخِدَعٌ تَضْمَحِلُّ..

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ أَنْ يَرْزُقَكَهُ فِي الْآخِرَةِ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَهُوَ ثَوَابُهُ إِيَّاهُ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكَ مِمَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه: ١٣١] وَأَدْوَمُ؛ لِأَنَّهُ لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا نَفَاذَ.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

﴿وَأْمُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وَاصْطَبِرْ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهَا، وَأَدَائِهَا بِحُدُودِهَا أَنْتَ..

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لَا نَسْأَلُكَ مَالًا، بَلْ نُكَلِّفُكَ عَمَلًا بِبَدَنِكَ، نُؤْتِيكَ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَثَوَابًا جَزِيلًا..

﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ نَحْنُ نُعْطِيكَ الْمَالَ وَنُكْسِبُكَهُ، وَلَا نَسْأَلُكَهُ..

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ الصَّالِحَةُ مِنْ عَمِلِ كُلِّ عَامِلٍ..

﴿لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢] لِأَهْلِ التَّقْوَىٰ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ دُونَ مَنْ لَا يَخَافُ لَهُ عِقَابًا، وَلَا يَرْجُو لَهُ ثَوَابًا.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه: ١٣٣].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلُ..

﴿لَوۡلَا﴾ هَلَّا..

﴿يَأۡتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ كَمَا أَتَىٰ قَوْمَهُ صَالِحٌ بِالنَّاقَةِ، وَعِيسَىٰ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ..

﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه: ١٣٣] أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيَانُ مَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمُ الَّتِي أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الْآيَاتِ، فَكَفَرُوا بِهَا لَمَّا أَتَتْهُمْ، كَيْفَ عَجَّلْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ، وَأَنْزَلْنَا بَأْسَنَا بِكُفْرِهِمْ بِهَا، يَقُولُ: فَمَاذَا يُؤَمِّنُهُمْ إِنْ أَتَتْهُمُ الْآيَةُ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ حَالَ أُولَئِكَ.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ [طه: ١٣٤].

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ..

﴿بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنَزِّلَهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْعَثَ دَاعِيًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيهِ بِعَذَابٍ نُنَزِّلُهُ بِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿لَقَالُواْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ وَرَدُوا عَلَيْنَا، فَأَرَدْنَا عِقَابَهُمْ..

﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدْعُونَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ..

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ فَنَتَّبِعَ حُجَّتَكَ وَأَدِلَّتَكَ، وَمَا تُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بِتَعْذِيبِكَ إِيَّانَا..

﴿وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ [طه: ١٣٤] بِهِ.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه: ١٣٥].

﴿قُلۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿كُلّٞ﴾ كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ مُنْتَظِرٌ لِمَنْ يَكُونُ الْفَلَاحُ، وَإِلَىٰ مَا يَئُولُ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ، مُتَوَقِّفٌ يَنْتَظِرُ دَوَائِرَ الزَّمَانِ..

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فترَقَّبُوا وَانْتَظِرُوا..

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَهْلُ الطَّرِيقِ..

﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ الْمُسْتَقِيمِ الْمُعْتَدِلِ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ، أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟..

﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه: ١٣٥] وَسَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ مَنِ الْمُهْتَدِي الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سَنَنِ الطَّرِيقِ، الْقَاصِدُ غَيْرُ الْجَائِرِ عَنْ قَصْدِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورِة طَه

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ (٢١)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ①﴾ [الأنبياء: ١].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ دَنَا حِسَابُ النَّاسِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَنِعَمِهِمُ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَبْدَانِهِمْ، وَأَجْسَامِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، وَمَسْأَلَتِهُ إِيَّاهُمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهَا، وَهَلْ أَطَاعُوهُ فِيهَا، فَانْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي جَمِيعِهَا، أَمْ عَصَوْهُ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِيهَا؟..

﴿وَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا عَمَّا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ دُنُوِّ مُحَاسَبَتِهِ إِيَّاهُمْ مِنْهُمْ، وَاقْتِرَابِهِ لَهُمْ..

﴿فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ①﴾ [الأنبياء: ١] فِي سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، وَقَدْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوا الْفِكْرَ فِيهِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ وَالتَّأَهُّبَ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا هُمْ لَاقُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَشَدِيدِ الْأَهْوَالِ.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ②﴾ [الأنبياء: ٢].

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ مَا يُحْدِثُ اللهُ مِنْ تَنْزِيلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ وَيُذَكِّرُهُمْ بِهِ، وَيَعِظُهُمْ..

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ②﴾ [الأنبياء: ٢] مَا يَسْتَمِعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ③﴾ [الأنبياء: ٣].

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غَافِلَةً عَنْهُ قُلُوبُهُمْ، لَا يَتَدَبَّرُونَ حُكْمَهُ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنَ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ وَأَسَرَّ هَؤُلَاءِ النَّاسُ الَّذِينَ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ..

﴿ٱلنَّجْوَى﴾ بَيْنَهُمْ، وَأَظْهَرُوا الْمُنَاجَاةَ بَيْنَهُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فَوَصَفَهُمْ بِالظُّلْمِ بِفِعْلِهِمْ، وَقِيلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ وَيَقُولُونَ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِرَسُولِهِ، فَقَالُوا..

﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلُكُمْ فِي صُوَرِكُمْ وَخَلْقِكُمْ؟ يَعْنُونَ بِذَلِكَ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أَتَقْبَلُونَ السِّحْرَ وَتُصَدِّقُونَ بِهِ.. يَعْنُونَ بِذَلِكَ الْقُرْآنَ..

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣] وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤].

﴿قَالَ﴾ مُحَمَّدٌ.. وقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: (قُلْ) عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ.. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَءُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ أَرَادُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣].. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قَرَأَةِ الْأَمْصَارِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَجَاءَتْ بِهِمَا مَصَاحِفُ الْمُسْلِمِينَ، مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ إِذَا أَمَرَ مُحَمَّدًا بِقِيلِ ذَلِكَ قَالَهُ، وَإِذَا قَالَهُ فَعَنْ أَمْرِ اللهِ قَالَهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي قِرَاءَتِهِ..

﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ رَبِّي يَعْلَمُ قَوْلَ كُلِّ قَائِلٍ..

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْكَذِبِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤] بِصِدْقِي، وَحَقِيقَةِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبَاطِلِ مَا تَقُولُونَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿بَلْ﴾ مَا صَدَّقُوا بِحِكْمَةِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَا أَقَرُّوا بِأَنَّهُ وَحْيٌ أَوْحَىٰ اللهُ

إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ..

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ هُوَ أَهَاوِيلُ رُؤْيَا رَآهَا فِي النَّوْمِ..

﴿بَلِ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ..

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هُوَ فِرْيَةٌ وَاخْتِلَاقٌ افْتَرَاهُ، وَاخْتَلَقَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ..

﴿بَلْ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ..

﴿هُوَ شَاعِرٌ﴾ مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ شِعْرٌ..

﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ قَالُوا: فَلْيَجِئْنَا مُحَمَّدٌ إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ بَعَثَهُ رَسُولًا إِلَيْنَا، وَإِنَّ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ أَوْحَاهُ إِلَيْنَا..

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ بِحُجَّةٍ، وَدِلَالَةٍ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا يَقُولُ وَيَدَّعِي..

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥] كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْأَوَّلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ، وَالْأَبْرَصِ، وَكَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ، وَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء: ٦].

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم﴾ مَا آمَنَ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مُحَمَّدًا مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا: فَلْيَأْتِنَا مُحَمَّدٌ بِآيَةٍ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ..

﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَذَّبْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا، إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا إِلَيْهِمْ بِآيَةٍ مُعْجِزَةٍ..

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء: ٦] أَفَهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا السَّائِلُوهُ الْآيَةَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قَبْلَهُمْ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِرُسُلِهَا مَعَ مَجِيئِهَا؟

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَبْلَكَ﴾ رَسُولًا إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَ أُمَّتِكَ..

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ مِثْلَهُمْ..

﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ مَا نُرِيدُ أَنْ نُوحِيَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، لَا مَلَائِكَةً، فَمَاذَا أَنْكَرُوا مِنْ إِرْسَالِنَا لَكَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ رَجُلٌ كَسَائِرِ الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلَكَ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ؟..

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ يَقُولُ لِلْقَائِلِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي تَنَاجِيهِمْ بَيْنَهُمْ: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]: فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ وَجَهِلْتُمْ أَمْرَ الرُّسُلِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ إِنْسًا كَانُوا أَمْ مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا..

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أَهْلَ الْكُتُبِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا كَانُوا؟ يُخْبِرُوكُمْ أَنَّ الرُّسُلَ كَانُوا رِجَالًا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ.. وَقِيلَ: أَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ الْقُرْآنِ..

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧] أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ إِنْسًا كَانُوا أَمْ مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ [الأنبياء: ٨].

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ أُمَّتِكَ..

﴿جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ لَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلَائِكَةً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُمْ أَجْسَادًا مِثْلَكَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ.. فَوَحَّدَ (الْجَسَدَ)، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَسَدَ بِمَعْنَىٰ الْمَصْدَرِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: وَمَا جَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا لَا يَأْكُلُونَ..

﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ [الأنبياء: ٨] وَلَا كَانُوا أَرْبَابًا لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَفْنُونَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا بَشَرًا أَجْسَادًا فَمَاتُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا قَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾ [الإسراء: ٩٢]، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ: مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ، فَنَفْعَلَ بِكُمْ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا نُوحِي إِلَيْهِ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ [الأنبياء: ٩].

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ﴾ ثُمَّ صَدَقْنَا رُسُلَنَا الَّذِينَ كَذَّبَتْهُمْ أُمَمُهُمْ وَسَأَلَتْهُمُ الْآيَاتِ، فَأَتَيْنَاهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهَا، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ جُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهَا بَعْدَ الَّذِي أَتَتْهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهَا..

﴿ٱلْوَعْدَ﴾ وَعْدَنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَىٰ إِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ بَعْدَ مَجِيءِ الْآيَةِ الَّتِي سَأَلُوا، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤]، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاعِيدِ الَّتِي وُعِدَ الْأُمَمُ مَعَ مَجِيءِ الْآيَاتِ..

﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ فَأَنْجَيْنَا الرُّسُلَ عِنْدَ إِصْرَارِ أُمَمِهَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهَا بَعْدَ الْآيَاتِ..

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ وَهُمُ أَتْبَاعُهَا الَّذِينَ صَدَّقُوهَا، وَآمَنُوا بِهَا..

﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩] وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فِيهِ شَرَفُكُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ شَرَفٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١].

﴿وَكَمْ﴾ وَكَثِيرًا..

﴿قَصَمْنَا﴾ وَالْقَصْمُ: أَصْلُهُ الْكَسْرُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَصَمْتُ ظَهْرَ فُلَانٍ، إِذَا كَسَرْتُهُ، وَانْقَصَمَتْ سِنُّهُ: إِذَا انْكَسَرَتْ وَهُوَ هَهُنَا مَعْنِيٌّ بِهِ: أَهْلَكْنَا..

﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أَجْرَىٰ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَهْلُهَا لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ، وَكَأَنَّ ظُلْمَهَا: كُفْرُهَا بِاللهِ، وَتَكْذِيبُهَا رُسُلَهُ..

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وَأَحْدَثْنَا..

﴿بَعْدَهَا﴾ بَعْدَ مَا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي قَصَمْنَاهَا بِظُلْمِهَا..

﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] سِوَاهُمْ.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٢].

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ فَلَمَّا عَايَنُوا عَذَابَنَا قَدْ حَلَّ بِهِمْ، وَرَأَوْهُ وَوَجَدُوا مَسَّهُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَحْسَسْتُ مِنْ فُلَانٍ ضَعْفًا، وَأَحَسْتُهُ مِنْهُ..

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ إِذَا هُمْ مِمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا النَّازِلَ بِهِمْ..

﴿يَرْكُضُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٢] يَهْرُبُونَ سِرَاعًا عَجْلَىٰ، يَعْدُونَ مُنْهَزِمِينَ، يُقَالُ مِنْهُ: رَكَضَ فُلَانٌ فَرَسَهُ: إِذَا كَدَّهُ بِسَاقَيْهِ.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٣].

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ لَا تَهْرُبُوا..

﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُنْعِمْتُمْ فِيهِ مِنْ عِيشَتِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ، وَتَفْهَمُونَ بِالْمَسْأَلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ مِنْ دُنْيَاكُمْ شَيْئًا، عَلَىٰ وَجْهِ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٤].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحَلَّ اللهُ بِهِمْ بَأْسَهُ بِظُلْمِهِمْ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللهِ..

﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٤] بِكُفْرِنَا بِرَبِّنَا.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٥].

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ فَلَمْ تَزَلْ دَعْوَاهُمْ، حِينَ أَتَاهُمْ بَأْسُ اللهِ، بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٤]..

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ حَتَّىٰ قَتَلَهُمُ اللهُ فَحَصَدَهُمْ بِالسَّيْفِ، كَمَا يُحْصَدُ الزَّرْعُ، وَيُسْتَأْصَلُ قَطْعًا بِالْمَنَاجِلِ..

﴿خَامِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٥] هَالِكِينَ، قَدِ انْطَفَأَتْ شَرَارَتُهُمْ، وَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُمْ، فَصَارُوا هُمُودًا كَمَا تَخْمَدُ النَّارُ فَتُطْفَأُ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٦].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِلَّا حُجَّةً عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَلِتَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ، فَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي دَبَّرَهُ وَخَلَقَهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا تَكُونُ الْأُلُوهَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿لَاعِبِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٦] وَلَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثًا وَلَعِبًا.

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء: ١٧].

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ زَوْجَةً وَوَلَدًا.. وَاللَّهْوُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْمَرْأَةُ..

﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ﴾ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ..

﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء: ١٧] وَلَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِعْلُهُ، وَلَا يَنْبَغِي، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ وَلَدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ.

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء: ١٨].

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ وَلَكِنْ نُنَزِّلُ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِنَا، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ..

﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَأَهْلِهِ..

﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ فَيُهْلِكُهُ، كَمَا يَدْمَغُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ بِأَنْ يَشُجَّهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ شَجَّةً تَبْلُغُ الدِّمَاغَ، وَإِذَا بَلَغَتِ الشَّجَّةُ ذَلِكَ مِنَ الْمَشْجُوجِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدَهَا حَيَاةٌ..

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ فَإِذَا هُوَ هَالِكٌ مُضْمَحِلٌّ..

﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء: ١٨] وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِنْ وَصْفِكُمْ رَبَّكُمْ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، وَقِيلِكُمْ إِنَّهُ اتَّخَذَ زَوْجَةً وَوَلَدًا، وَفِرْيَتِكُمْ عَلَيْهِ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: مَعْنَىٰ ﴿تَصِفُونَ ١٨﴾ تَكْذِبُونَ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: تُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بِهِ الْأَلْفَاظُ فَمُتَّفِقَةٌ مَعَانِيهِ، لِأَنَّ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِأَنَّ لَهُ صَاحِبَةً فَقَدْ كَذَبَ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، وَأَشْرَكَ بِهِ، وَوَصَفَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ الْعِبَارَاتِ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَقْرَبُهَا إِلَىٰ فَهْمِ سَامِعِيهِ.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [الأنبياء: ١٩].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ اللهُ لَهْوًا، وَلَهُ مُلْكُ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ وَالَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ لَا يَسْتَنْكِفُونَ..

﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٩] وَلَا يَعْيَوْنَ مِنْ طُولِ خِدْمَتِهِمْ لَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْبِدُ وَالِدٌ وَلَدَهُ، وَلَا صَاحِبَتَهُ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبِيدُهُ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ صَاحِبَةٌ وَوَلَدٌ؟ يَقُولُ: أَوَ لَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا تَفْتَرُونَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ رَبِّكُمْ؟

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٠].

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يُسَبِّحُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ مَلَائِكَةِ رَبِّهِمُ..

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٠] مِنْ تَسْبِيحِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢١].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ..

﴿هُمْ﴾ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا..

﴿يُنشِرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢١] تُنْشِرُ الْأَمْوَاتَ، يَقُولُ: يُحْيُونَ الْأَمْوَاتَ؟ وَيُنْشِرُونَ الْخَلْقَ؟ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿ءَالِهَةٌ﴾ تَصْلُحُ لَهُمُ الْعِبَادَةُ..

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ، وَلَهُ الْعِبَادَةُ وَالْأُلُوهَةُ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ..

﴿لَفَسَدَتَا﴾ لَفَسَدَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فَتَنْزِيهٌ للهِ، وَتَبْرِئَةٌ لَهُ..

﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٢] مِمَّا يَفْتَرِي بِهِ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لَا سَائِلَ يَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ عَنِ الَّذِي يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مِنْ تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ حَيَاةٍ، وَمَوْتٍ، وَإِعْزَازٍ، وَإِذْلَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُكْمِهِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَجَمِيعُهُمْ فِي مِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ، لَا شَيْءَ فَوْقَهُ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ

فَيَقُولُ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ؟ وَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ؟..

﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣] وَجَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ مَسْئُولُونَ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ فَوْقَهُمْ وَمَالِكُهُمْ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ أَتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَتَخْلُقُ، وَتُحْيِي وَتُمِيتُ؟..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ يَعْنِي: حُجَّتَكُمْ، يَقُولُ: هَاتُوا إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحِقُّونَ فِي قِيلِكُمْ ذَلِكَ حُجَّةً وَدَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِكُمْ..

﴿هَـٰذَا﴾ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالتَّنْزِيلِ..

﴿ذِكْرُ﴾ خَبَرُ..

﴿مَن مَّعِىَ﴾ مِمَّا لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ اللهِ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿وَذِكْرُ﴾ وَخَبَرُ..

﴿مَن قَبْلِى﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلِي، وَمَا فَعَلَ اللهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ لَا يَعْلَمُونَ الصَّوَابَ فِيمَا يَقُولُونَ وَلَا فِيمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ..

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤] عَنِ الْحَقِّ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِهِ، وَقِلَّةَ فَهْمٍ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لَهُ سِوَايَ..

﴿فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] فَأَخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لِيَ الْأُلُوهَةَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَمَلٌ حَتَّىٰ يُقِرُّوا بِهِ، وَالشَّرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ، فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْإِخْلَاصِ لِلهِ، وَالتَّوْحِيدِ لَهُ.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اسْتِعْظَامًا مِمَّا قَالُوا، وَتَبَرِّيًا مِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ، مَا ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ..

﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦] مَا الْمَلَائِكَةُ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، يَقُولُ: أَكْرَمَهُمُ اللهُ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**هُمْ عِبَادٌ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِعِبَادَتِهِ**).

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧].

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ..

﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧] وَلَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا إِلَّا بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**يُثْنِي عَلَيْهِمْ**).

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ مَا لَمْ يَبْلُغُوهُ، مَا هُوَ، وَمَا هُمْ فِيهِ قَائِلُونَ وَعَامِلُونَ..

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ وَمَا مَضَىٰ مِنْ قَبْلِ الْيَوْمِ، مِمَّا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْأَزْمَانِ وَالدُّهُورِ مَا عَمِلُوا فِيهِ، قَالُوا: ذَلِكَ كُلُّهُ مُحْصًىٰ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ..

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ وَلَا تَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ..

﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ وَهُمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَحِذَارِ عِقَابِهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ..

﴿مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨] حَذِرُونَ أَنْ يَعْصُوهُ، وَيُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩].

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ مِنْهُمْ..

﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ﴾ نُثِيبُهُ عَلَىٰ قِيلِهِ ذَلِكَ جَهَنَّمَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا نَجْزِي مَنْ قَالَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩] نَجْزِي كُلَّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَكَفَرَ بِاللهِ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ.. وَقِيلَ: عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِبْلِيسَ، وَقَالَ قَائِلُو ذَلِكَ: إِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللهِ سِوَاهُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِي كَفَرُوا بِاللهِ بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، فَيَرَوْا بِهَا، وَيَعْلَمُوا..

﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ لَيْسَ فِيهِمَا ثُقْبٌ، بَلْ كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ.. وَوَحَّدَ الرَّتْقَ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَانَتَا﴾؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، مِثْلُ قَوْلِ الزُّورِ وَالصَّوْمِ وَالْفِطْرِ..

﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾ فَصَدَعْنَاهُمَا، وَفَرَجْنَاهُمَا، فَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ، وَالْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُعَقِّبْ ذَلِكَ بِوَصْفِ الْمَاءِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا وَالَّذِي تَقَدَّمَهُ مِنْ ذِكْرِ أَسْبَابِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾ وَأَحْيَيْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي نُنَزِّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ..

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠] أَفَلَا يُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ، وَيُقِرُّونَ بِأُلُوهَةِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَيُفْرِدُونَهُ بِالْعِبَادَةِ؟

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾

[الأنبياء: ٣١].

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أَوَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ أَيْضًا مِنْ حُجَجِنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِنَا، أَنَّا جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا رَاسِيَةً؟.. وَالرَّوَاسِي: جَمْعُ رَاسِيَةٍ، وَهِيَ الثَّابِتَةُ..

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أَنْ لَا تَتَكَفَّأَ بِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَجَعَلْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ هَذِهِ الرَّوَاسِيَ مِنَ الْجِبَالِ، فَثَبَّتْنَاهَا لِئَلَّا تَتَكَفَّأَ بِالنَّاسِ، وَلِيَقْدِرُوا بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ ظَهْرِهَا..

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ مَسَالِكَ، وَاحِدُهَا فَجٌّ..

﴿سُبُلًا﴾ طُرُقًا، وَهِيَ جَمْعُ السَّبِيلِ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ -فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ- يَقُولُ: (إِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾، وَجَعَلْنَا فِي الرَّوَاسِي)، فَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ مِنْ ذِكْرِ الرَّوَاسِي.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الْآخَرَ فِي ذَلِكَ وَجَعَلْنَا الْهَاءَ وَالْأَلِفَ مِنْ ذِكْرِ (الْأَرْضِ)؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ ذِكْرِهَا دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِخَلْقِهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِجَاجًا سُبُلًا، وَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ فِجَاجَ بَعْضِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلَهَا لَهُمْ سُبُلًا دُونَ بَعْضٍ، فَالْعُمُومُ بِهَا أَوْلَىٰ..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾ [الأنبياء: ٣١] جَعَلْنَا هَذِهِ الْفِجَاجَ فِي الْأَرْضِ لِيَهْتَدُوا إِلَىٰ السَّيْرِ فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ لِلْأَرْضِ مَسْمُوكًا..

﴿مَّحْفُوظًا ۖ﴾ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ..

﴿وَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ عَنْ آيَاتِ السَّمَاءِ، وَيَعْنِي بِآيَاتِهَا: شَمْسَهَا، وَقَمَرَهَا، وَنُجُومَهَا..

﴿مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢] يُعْرِضُونَ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا، وَتَدَبُّرِ مَا فِيهَا مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَدِلَالَتِهَا عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِمَنْ دَبَّرَهَا وَسَوَّاهَا، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، وَحُجَّةً، وَدِلَالَةً عَلَىٰ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّ الْأُلُوهَةَ لَهُ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهُمَا يَخْتَلِفَانِ عَلَيْكُمْ لِصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ، وَأُمُورِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَيْضًا..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿فِي فَلَكٖ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْفَلَكِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةِ الرَّحَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْفَلَكُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سُرْعَةُ جَرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَكُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ بِهِ النُّجُومُ.. وَذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**الْفَلَكُ طَاحُونَةٌ كَهَيْئَةِ فَلْكَةِ الْمِغْزَلِ**).. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْفَلَكُ كَحَدِيدَةِ الرَّحَىٰ، وَكَمَا ذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ كَطَاحُونَةِ الرَّحَىٰ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَوْجًا مَكْفُوفًا، وَأَنْ يَكُونَ قُطْبَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَلَكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ دَائِرٍ، فَجَمْعُهُ أَفْلَاكٌ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ مَا دَارَ فِي كَلَامِهَا فَلَكًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا عَمَّنْ يُقْطَعُ بِقَوْلِهِ الْعُذْرُ، دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ هُوَ مِنْ أَيٍّ، كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ نَقُولَ فِيهِ مَا قَالَ، وَنَسْكُتَ عَمَّا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ، فَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا مَا ذَكَرْنَا، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلُّ ذَلِكَ فِي دَائِرٍ يَسْبَحُونَ..

﴿يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣] يَجْرُونَ.. وَقِيلَ: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنْ بَنِي آدَمَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَسْبَحْنَ، أَوْ تَسْبَحُ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف: ٤]، لِأَنَّ السُّجُودَ مِنْ أَفْعَالِ بَنِي آدَمَ، فَلَمَّا وُصِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِمِثْلِ أَفْعَالِهِمْ أَجْرَىٰ الْخَبَرَ عَنْهُمَا مَجْرَىٰ الْخَبَرِ عَنْهُمْ.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤].

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ وَمَا خَلَّدْنَا أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَكَ فِي الدُّنْيَا فَنُخَلِّدَكَ فِيهَا..

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ كَمَا مَاتَ مِنْ قَبْلِكَ رُسُلُنَا..

﴿فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤] فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ هُمُ الْخَالِدُونَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَكَ؟

لَا، مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ هُمْ مَيِّتُونَ بِكُلِّ حَالٍ، عِشْتَ أَوْ مِتَّ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مَنْفُوسَةٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ مُعَالِجَةٌ غُصَصَ الْمَوْتِ، وَمُتَجَرِّعَةٌ كَأْسَهَا..

﴿وَنَبْلُوكُم﴾ وَنَخْتَبِرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِٱلشَّرِّ﴾ وَهُوَ الشِّدَّةُ، نَبْتَلِيكُمْ بِهَا..

﴿وَٱلْخَيْرِ﴾ وَبِالْخَيْرِ وَهُوَ الرَّخَاءُ وَالسَّعَةُ الْعَافِيَةُ..

﴿فِتْنَةًۖ﴾ فَنَفْتِنُكُمْ بِهِمَا.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (نَبْلُوهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ، نَخْتَبِرُهُمْ بِذَلِكَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ)..

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] وَإِلَيْنَا يُرَدُّونَ فَيُجَازُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنبياء: ٣٦].

﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ..

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا سُخْرِيًّا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بِسُوءٍ، وَيَعِيبُهَا، تَعَجُّبًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَيَعْجَبُونَ مِنْ ذِكْرِكَ يَا مُحَمَّدُ آلِهَتَهُمُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ بِسُوءٍ..

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنبياء: ٣٦] الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَمِنْهُ نَفْعُهُمْ، وَبِيَدِهِ ضُرُّهُمْ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْهُمْ، أَنْ يَذْكُرُوهُ بِهِ كَافِرُونَ.. وَالْعَرَبُ تَضَعُ الذِّكْرَ مَوْضِعَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، فَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا فُلَانًا يَذْكُرُ فُلَانًا، وَهُمْ يُرِيدُونَ سَمِعْنَاهُ يَذْكُرُهُ بِقَبِيحٍ وَيَعِيبُهُ.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧].

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يَعْنِي آدَمَ..

﴿مِنْ عَجَلٍۚ﴾ أَيْ مِنْ تَعْجِيلٍ فِي خَلْقِ اللهِ إِيَّاهُ، وَمِنْ سُرْعَةٍ فِيهِ، وَعَلَىٰ عَجَلٍ، خَلَقَهُ اللهُ فِي

آخِرِ النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَىٰ عَجَلٍ فِي خَلْقِهِ إِيَّاهُ قَبْلَ مَغِيبِهَا، وَفِي ذَٰلِكَ الْوَقْتِ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَٰلِكَ لِدِلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، ولِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: (قَدْ عَلِمْتُ أَيَّ سَاعَةٍ هِيَ، هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، قَالَ اللهُ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾)..

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا كَانَ الصَّوَابُ فِي تَأْوِيلِ ذَٰلِكَ مَا قُلْنَا بِمَا بِهِ اسْتَشْهَدْنَا: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» وَلِذَٰلِكَ يَسْتَعْجِلُ رَبَّهُ بِالْعَذَابِ..

﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ رَبَّهُمْ بِالْآيَاتِ، الْقَائِلُونَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: بَلْ هُوَ شَاعِرٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ..

﴿ءَايَٰتِي﴾ كَمَا أَرَيْتُهَا مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِتَكْذِيبِهَا الرُّسُلَ، إِذْ أَتَتْهَا الْآيَاتُ..

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧] فَلَا تَسْتَعْجِلُوا رَبَّكُمْ، فَإِنَّا سَنَأْتِيكُمْ بِهَا، وَنُرِيكُمُوهَا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلُونَ رَبَّهُمْ بِالْآيَاتِ وَالْعَذَابِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ مَتَىٰ يَجِيئُنَا هَذَا الَّذِي تَعِدُنَا مِنَ الْعَذَابِ.. وَقِيلَ: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وَالْمَعْنَىٰ: الْمَوْعُودُ، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨] فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ ذَٰلِكَ؟.. وَقِيلَ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾، كَأَنَّهُمْ قَالُوا ذَٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩].

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُسْتَعْجِلُونَ عَذَابَ رَبِّهِمْ مَاذَا لَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ..

﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ حِينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ، وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ، فَلَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ الَّتِي تَلْفَحُهَا..

﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ فَيَدْفَعُونَهَا عَنْهَا بِأَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٣٩] وَلَا لَهُمْ نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ حِينَئِذٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ، لَمَا أَقَامُوا عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَلَسَارَعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَلَمَا اسْتَعْجَلُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْبَلَاءَ.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ لَا تَأْتِي هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَلْفَحُ وُجُوهَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حِينَ تَأْتِيهِمْ عَنْ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِوَقْتِهَا، وَلَكِنَّهَا تَأْتِيهِمْ مُفَاجَأَةً لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا..

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فَتَغْشَاهُمْ فَجْأَةً، وَتَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ مُعَايَنَةً، كَالرَّجُلِ يَبْهَتُ الرَّجُلَ فِي وَجْهِهِ بِالشَّيْءِ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ الْمَبْهُوتُ كَالْحَيْرَانِ مِنْهُ..

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فَلَا يُطِيقُونَ حِينَ تَبْغَتُهُمْ فَتَبْهَتُهُمْ دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿وَلَا هُمْ﴾ وَإِنْ لَمْ يُطِيقُوا دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ..

﴿يُنظَرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٤٠] يُؤَخَّرُونَ بِالْعَذَابِ بِهَا لِتَوْبَةٍ يُحْدِثُونَهَا، وَإِنَابَةٍ يُنِيبُونَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حِينَ عَمَلٍ، وَسَاعَةَ تَوْبَةٍ وإنابةٍ، بَلْ هِيَ سَاعَةُ مُجَازَاةٍ وَإِثَابَةٍ.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٤١].

﴿وَلَقَدِ﴾ إِنْ يَتَّخِذْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ لَكَ: هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ إِذْ رَأَوْكَ هُزُوًا، وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ، كُفْرًا مِنْهُمْ بِاللهِ، وَاجْتِرَاءً عَلَيْهِ، فَلَقَدِ..

﴿اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ﴾ مِنْ رُسُلِنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ..

﴿مِن قَبْلِكَ﴾ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ..

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾ فَوَجَبَ وَنَزَلَ بِالَّذِينَ اسْتَهْزَءُوا بِهِمْ، وَسَخِرُوا مِنْهُمْ مِنْ أُمَمِهِمْ..

﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٤١] حَلَّ بِهِمُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ الَّذِي كَانَتْ رُسُلُهُمْ تُخَوِّفُهُمْ نُزُولَهُ بِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلَنْ يَعْدُوَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئُونَ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، فَيَنْزِلُ بِهِمْ

مِنْ عَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ نَظِيرُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ، الْقَائِلِينَ: مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، يَقُولُ: مَنْ يَحْفَظُكُمْ، وَيَحْرُسُكُمْ..

﴿بِٱلَّيْلِ﴾ إِذَا نِمْتُمْ..

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ وَبِالنَّهَارِ إِذَا تَصَرَّفْتُمْ..

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مِنْ أَمْرِ الرَّحْمَنِ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ، وَمِنْ عَذَابِهِ إِنْ حَلَّ بِكُمْ.. وَتَرَكَ ذِكْرَ الْأَمْرِ، وَقِيلَ ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ اجْتِزَاءً، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿بَلْ﴾ تَحْقِيقٌ لِجَحْدٍ قَدْ عَرَفَهُ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ظَاهِرًا، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا كَالِئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِذَا هُوَ حَلَّ بِهِمْ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، بَلْ..

﴿هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ هُمْ عَنْ ذِكْرِ مَوَاعِظِ رَبِّهِمْ، وَحُجَجِهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ..

﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢] لَا يَتَدَبَّرُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِ، جَهْلًا مِنْهُمْ وَسَفَهًا.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣].

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أَلِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِي رَبَّهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ إِنْ نَحْنُ أَحْلَلْنَا بِهِمْ عَذَابَنَا، وَأَنْزَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا..

﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ مِنْ دُونِنَا تَمْنَعُهُمْ مِنَّا؟ ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْآلِهَةَ بِالضَّعْفِ، وَالْمَهَانَةِ، وَمَا هِيَ بِهِ مِنْ صِفَتِهَا، فَقَالَ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِنَا أَنْ تَمْنَعَهُمْ مِنَّا؟ وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ أَنْفُسِهَا..

﴿وَلَا هُمْ﴾ الْكُفَّارُ..

﴿مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣] يُجَارُونَ، يُصْحَبُونَ بِالْجِوَارِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ مَحْكِيٌّ عَنْهَا:

أَنَا لَكَ جَارٌ مِنْ فُلَانٍ وَصَاحِبٌ، بِمَعْنَىٰ: أُجِيرُكَ، وَأَمْنَعُكَ، وَهُمْ إِذَا لَمْ يُصْحَبُوا بِالْجِوَارِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَانِعٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَعَ سَخَطِ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُصْحَبُوا بِخَيْرٍ، وَلَمْ يُنْصَرُوا.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ آلِهَةٍ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا، وَلَا جَارٌ يُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا، إِذَا نَحْنُ أَرَدْنَا عَذَابَهُمْ، فَاتَّكَلُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَصَوْا رُسُلَنَا اتِّكَالًا مِنْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكِنَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ..

﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ مُقِيمُونَ، لَا تَأْتِيهِمْ مِنَّا وَاعِظَةٌ مِنْ عَذَابٍ، وَلَا زَاجِرَةٌ مِنْ عِقَابٍ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَنَا، وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَنَسُوا عَهْدَنَا، وَجَهِلُوا مَوْقِعَ نِعْمَتِنَا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَوْضِعَ الشُّكْرِ..

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أَفَلَا يَرَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، السَّائِلُو مُحَمَّدًا ﷺ الْآيَاتِ، الْمُسْتَعْجِلُو بِالْعَذَابِ..

﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ﴾ نُخَرِّبُهَا مِنْ نَوَاحِيهَا، بِقَهْرِنَا أَهْلَهَا، وَغَلَبَتِنَاهُمْ، وَإِجْلَائِهِمْ عَنْهَا، وَقَتْلِهِمْ بِالسُّيُوفِ، فَيَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ، وَيَتَّعِظُوا بِهِ، وَيَحْذَرُوا مِنَّا أَنْ نُنْزِلَ مِنْ بَأْسِنَا بِهِمْ نَحْوَ الَّذِي قَدْ أَنْزَلْنَا بِمَنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَطْرَافِ؟..

﴿أَفَهُمُ﴾ أَفَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْتَعْجِلُو مُحَمَّدًا بِالْعَذَابِ..

﴿ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤] الْغَالِبُونَا؟ وَقَدْ رَأَوْا قَهْرَنَا مَنْ أَحْلَلْنَا بِسَاحَتِهِ بَأْسَنَا فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ؟ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ نَحْنُ الْغَالِبُونَ، وَإِنَّمَا هَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ بِجَهْلِهِمْ، يَقُولُ: أَفَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَغْلِبُونَ مُحَمَّدًا وَيَقْهَرُونَهُ، وَقَدْ قُهِرَ مَنْ نَاوَأَهُ مِنْ أَهْلِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ غَيْرُهُمْ؟

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ..

﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿بِٱلْوَحْيِ﴾ بِتَنْزِيلِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُ، وَأُخَوِّفُكُمْ بِهِ بَأْسَهُ..

﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥] وَلَا يُصْغِي الْكَافِرُ بِاللهِ بِسَمْعِ قَلْبِهِ إِلَىٰ تَذَكُّرِ مَا فِي وَحْيِ اللهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالذِّكْرِ، فَيَتَذَكَّرُ بِهِ وَيَعْتَبِرُ، فَيَنْزَجِرَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ ضَلَالَةٍ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ يُعْرِضُ عَنِ الِاعْتِبَارِ بِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، فِعْلَ الْأَصَمِّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ فَيَعْمَلُ بِهِ.. قَالَ قَتَادَةُ: (**إِنَّ الْكَافِرَ قَدْ صَمَّ عَنْ كِتَابِ اللهِ لَا يَسْمَعُهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا يَعْقِلُهُ، كَمَا يَسْمَعُهُ الْمُؤْمِنُ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ**).

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[الأنبياء: ٤٦].

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿نَفْحَةٌ﴾ نَصِيبٌ وَحَظٌّ..

﴿مِّنْ عَذَابِ﴾ مِنْ عُقُوبَةٍ..

﴿رَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِتَكْذِيبِهِمْ بِكَ، وَكُفْرِهِمْ، لَيَعْلَمُنَّ حِينَئِذٍ غِبَّ تَكْذِيبِهِمْ بِكَ، وَلَيَعْتَرِفُنَّ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِنِعْمَةِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَكُفْرَانِهِمْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَ..

﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنبياء: ٤٦] فِي عِبَادَتِنَا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، وَتَرْكِنَا عِبَادَةَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَوَضْعِنَا الْعِبَادَةَ غَيْرَ مَوْضِعِهَا.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ الْعَدْلَ وَهُوَ..

﴿ٱلْقِسْطَ﴾ وَجَعَلَ الْقِسْطَ وَهُوَ مُوَحَّدٌ مِنْ نَعْتِ الْمَوَازِينَ، وَهُوَ جَمْعٌ، لِأَنَّهُ فِي مَذْهَبِ عَدْلٍ وَرِضًا وَنَظَرٍ..

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِأَهْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ وَرَدَ عَلَىٰ اللهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يُوَجِّهُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ (فِي) كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ فَلَا يَظْلِمُ اللهُ نَفْسًا مِمَّنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ..

﴿شَيْءًا﴾ بِأَنْ يُعَاقِبَهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَعْمَلْهُ أَوْ يَبْخَسَهُ ثَوَابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ، وَطَاعَةٍ أَطَاعَهُ بِهَا، وَلَكِنْ يُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَلَا يُعَاقِبُ مُسِيئًا إِلَّا بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَإِن كَانَ﴾ الَّذِي لَهُ مَنْ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ، أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ..

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وَزْنُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ..

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ جِئْنَا بِهَا فَأَحْضَرْنَاهَا إِيَّاهُ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ..

﴿بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧] لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ مِنَّا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾ بْنَ عِمْرَانَ..

﴿وَهَٰرُونَ﴾ وَأَخَاهُ هَارُونَ..

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ الْكِتَابَ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاةُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ **الْحَقُّ آتَاهُ اللهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ، فَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَقَرَأَ:** ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، **يَوْمَ بَدْرٍ**).. وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاوِ فِي الضِّيَاءِ، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَانُ هُوَ التَّوْرَاةَ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيلُ: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً، لِأَنَّ الضِّيَاءَ الَّذِي آتَىٰ اللهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ هُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا، وَلِمَنِ اتَّبَعَهُمَا أَمْرَ دِينِهِمْ، فَبَصَّرَهُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضِيَاءَ الْإِبْصَارِ، وَفِي دُخُولِ الْوَاوِ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْفُرْقَانَ غَيْرُ التَّوْرَاةِ الَّتِي هِيَ ضِيَاءٌ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ (**الضِّيَاءُ**) مِنْ نَعْتِ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاوٌ، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ: وَضِيَاءً آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا﴾ [الصافات: ٧] ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ يَحْتَمِلُهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعَانِيهِ مَا قُلْنَا، وَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَجَّهَ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِنْ حُجَّةِ خَبَرٍ، أَوْ عَقْلٍ..

﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] وَتَذْكِيرًا لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ مِنَ التَّوْرَاةِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ، الذِّكْرَ الَّذِي آتَيْنَاهُمَا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، يَعْنِي فِي الدُّنْيَا أَنْ يُعَاقِبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْهِ بِتَضْيِيعِهِمْ مَا أَلْزَمُهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ يُحَافِظُونَ عَلَىٰ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ..

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ..

﴿مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩] حَذِرُونَ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمْ، فَيَرِدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَدْ فَرَّطُوا فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ للهِ، فَيُعَاقِبَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ.

﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ذِكۡرٌ﴾ لِمَنْ تَذَكَّرَ بِهِ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِ..

﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ..

﴿أَفَأَنتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ..

﴿مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠] وَتَقُولُونَ: هُوَ ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥]، وَإِنَّمَا الَّذِي آتَيْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ، كَالَّذِي آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ.

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [الأنبياء: ٥١].

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، وَوَفَّقْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهَدَيْنَاهُ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ تَوْفِيقًا مِنَّا لَهُ..

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [الأنبياء: ٥١] وَكُنَّا عَالِمِينَ بِهِ أَنَّهُ ذُو يَقِينٍ وَإِيمَانٍ بِاللهِ، وَتَوْحِيدٍ لَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢].

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ فِي وَقْتِ قِيلِهِ، وَحِينَ قِيلِهِ لَهُمْ..

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ الصُّوَرُ.. وَكَانَتْ تِلْكَ التَّمَاثِيلُ أَصْنَامَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا..

﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٢] الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ؟.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ الْعَاكِفَ عَلَىٰ الشَّيْءِ: الْمُقِيمُ عَلَيْهِ.

﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٣].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُهُ لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا﴾ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لِهَذِهِ الْأَوْثَانِ..

﴿عَٰبِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٣] فَنَحْنُ عَلَىٰ مِلَّةِ آبَائِنَا نَعْبُدُهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.

﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٤].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ﴾ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا..

﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ فِي ذَهَابٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَوْرٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿مُّبِينٖ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٤] بَيِّنٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ بِعَقْلٍ أَنَّكُمْ كَذَلِكَ فِي جَوْرٍ عَنِ الْحَقِّ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٥].

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ لَهُ..

﴿أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ فِيمَا تَقُولُ..

﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٥] هَازِلٌ لَاعِبٌ.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ..

﴿بَل﴾ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ لَا اللَّعِبِ..

﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الَّذِي خَلَقَهُنَّ..

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ مِنْ أَنَّ رَبَّكُمْ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ دُونَ التَّمَاثِيلِ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ شَاهِدٌ..

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: ٥٦] فَإِيَّاهُ فَاعْبُدوا، لَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي هِيَ خَلْقُهُ، الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧] ذُكِرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حَلَفَ بِهَذِهِ الْيَمِينِ فِي سِرٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَخَفَاءٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا الَّذِي أَفْشَاهُ عَلَيْهِ حِينَ قَالُوا ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩] فَـ ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠].. قَالَ مُجَاهِدٌ: (قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ حِينَ اسْتَتْبَعَهُ قَوْمُهُ إِلَىٰ عِيدٍ لَهُمْ، فَأَبَىٰ وَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ، فَسَمِعَ مِنْهُ وَعِيدَ أَصْنَامِهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمُ اسْتَأْخَرَ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠]).. وَقَالَ قَتَادَةُ: (نَرَىٰ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَسْمَعُوهُ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ).

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ حُطَامًا، مَصْدَرٌ، مِثْلُ الرُّفَاتِ، وَالْفُتَاتِ، وَالدُّقَاقِ، لَا وَاحِدَ لَهُ..

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إِلَّا عَظِيمًا لِلْآلِهَةِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكْسِرْهُ، وَلَكِنَّهُ فِيمَا ذُكِرَ عَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨] فَعَلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بِآلِهَتِهِمْ لِيَعْتَبِرُوا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهَا مَا فَعَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ، فَهِيَ مِنْ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ غَيْرِهَا مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَبْعَدُ، فَيَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِهَا إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ، وَتَوْحِيدِ اللهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩].

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا رَأَوْا آلِهَتَهُمْ قَدْ جُذَّتْ، إِلَّا الَّذِي رَبَطَ بِهِ الْفَأْسَ إِبْرَاهِيمُ..

﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا..

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩] لَمِنَ الْفَاعِلِينَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلُهُ.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ سَمِعُوهُ يَقُولُ ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء: ٥٧]..

﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بِعَيْبٍ..

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠] لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ ذَلِكَ غَيْرَهُ، وَهُوَ الَّذِي نَظُنُّ صَنَعَ هَذَا بِهَا.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ [الأنبياء: ٦١].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿فَأْتُواْ بِهِۦ﴾ فَأْتُوا بِالَّذِي فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ يَذْكُرُهَا بِعَيْبٍ، وَيَسُبُّهَا، وَيَذُمُّهَا..

﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ عَلَىٰ رُءُوسِ النَّاسِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِأَعْيُنِ النَّاسِ وَمَرْأَىٰ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ: أَظْهِرُوا الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ إِذَا ظَهَرَ الْأَمْرُ وَشَهُرَ: كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ، يُرَادُ بِهِ كَانَ بِأَيْدِي النَّاسِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ [الأنبياء: ٦١] عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُ.. فَأَتَوْا بِإِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢].

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَهُ..

﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ مِنَ الْكَسْرِ بِهَا..

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢] فَأَجَابَهُمْ إِبْرَاهِيمُ.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣].

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وَعَظِيمُهُمْ..

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ فَاسْأَلُوا الْآلِهَةَ: مَنْ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ وَكَسَرَهَا..

﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣] إِنْ كَانَتْ تَنْطِقُ أَوْ تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا.. وَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَذِنَ لِخَلِيلِهِ فِي ذَلِكَ، لِيُقَرِّعَ قَوْمَهُ بِهِ، وَيَحْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَيُعَرِّفَهُمْ مَوْضِعَ

خَطَئِهِمْ، وَسُوءَ نَظَرِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا قَالَ مُؤَذِّنُ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠]، وَلَمْ يَكُونُوا سَرَقُوا شَيْئًا.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤﴾ [الأنبياء: ٦٤].

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فَذَكَرُوا حِينَ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣] فِي أَنْفُسِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ عُقُولِهِمْ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ﴾ مَعْشَرَ الْقَوْمِ..

﴿أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤﴾ [الأنبياء: ٦٤] هَذَا الرَّجُلَ فِي مَسْأَلَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَقِيلِكُمْ لَهُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، وَهَذِهِ آلِهَتُكُمُ الَّتِي فُعِلَ بِهَا مَا فُعِلَ حَاضِرَتُكُمْ، فَاسْأَلُوهَا.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٥].

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ثُمَّ غُلِبُوا فِي الْحُجَّةِ، فَاحْتَجُّوا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ.. وَنَكْسُ الشَّيْءِ عَلَىٰ رَأْسِهِ، قَلْبُهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَتَصْيِيرُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُقْلَبُوا عَلَىٰ رُءُوسِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا نُكِسَتْ حُجَّتُهُمْ، فَأُقِيمَ الْخَبَرُ عَنْهُمْ مَقَامَ الْخَبَرِ عَنْ حُجَّتِهِمْ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَنَكْسُ الْحُجَّةِ لَا شَكَّ إِنَّمَا هُوَ احْتِجَاجُ الْمُحْتَجِّ عَلَىٰ خَصْمِهِ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِخَصْمِهِ.. فَقَالُوا..

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٥] لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ يَنْطِقُونَ.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾ [الأنبياء: ٦٦].

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾ [الأنبياء: ٦٦] وَأَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَمْ تَمْنَعْ نَفْسَهَا مِمَّنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ، وَلَا هِيَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْطِقَ إِنْ سُئِلَتْ عَمَّنْ يَأْتِيهَا بِسُوءٍ، فَتُخْبِرَ بِهِ، أَفَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا كَانَ هَكَذَا؟.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٧].

﴿أُفِّ لَّكُمْ﴾ قُبْحًا لَكُمْ..

﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَلِلْآلِهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٧] قُبْحَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَتَتْرُكُوا عِبَادَتَهُ، وَتَعْبُدُوا اللهَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ؟

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٨].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ بَعْضُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لِبَعْضٍ..

﴿حَرِّقُوهُ﴾ حَرِّقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ..

﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٨] إِنْ كُنْتُمْ نَاصِرِيهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا تَرْكَ عِبَادَتِهَا.. فَأَوْقَدُوا لَهُ نَارًا لِيُحَرِّقُوهُ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِيهَا.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٩].

﴿قُلْنَا﴾ لِلنَّارِ..

﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٩] وَذُكِرَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا إِحْرَاقَهُ بَنَوْا لَهُ بُنْيَانًا.. قَالَ قَتَادَةُ: (لَمْ تَأْتِ يَوْمَئِذٍ دَابَّةٌ إِلَّا أَطْفَأَتْ عَنْهُ النَّارَ، إِلَّا الْوَزَغُ).. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: (أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِهِ، وَسَمَّاهُ فُوَيْسِقًا).

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٠].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ﴾ وَأَرَادُوا بِإِبْرَاهِيمَ..

﴿كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٠] يَعْنِي الْهَالِكِينَ.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧١].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ وَنَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَلُوطًا﴾ مِنْ أَعْدَائِهِمَا نَمْرُودَ وَقَوْمِهِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ..

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧١] وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، فَارَقَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَوْمَهُ وَدِينَهُمْ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الشَّامِ.. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي قَصَّ اللهُ مِنْ نَبَأِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ تَذْكِيرٌ مِنْهُ بِهَا قَوْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، أَنَّهُمْ قَدْ سَلَكُوا فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ، وَأَذَاهُمْ مُحَمَّدًا عَلَىٰ نَهْيِهِ

عَنْ عِبَادَتِهَا، وَدُعَائِهِمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مَسْلَكَ أَعْدَاءِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَمُخَالَفَتِهِمْ دِينَهُ.. وَأَنَّ مُحَمَّدًا فِي بَرَاءَتِهِ مِنْ عِبَادَتِهَا، وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ للهِ، وَفِي دُعَائِهِمْ إِلَىٰ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَفِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ سَالِكٌ مِنْهَاجَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ.. وَأَنَّهُ مُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ كَمَا أَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ قَوْمِهِ حِينَ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ إِلَىٰ مُهَاجَرِهِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.. وَمُسَلٍّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا يَلْقَىٰ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالْأَذَىٰ، وَمُعَلِّمُهُ أَنَّهُ مُنَجِّيهِ مِنْهُمْ كَمَا نَجَّىٰ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ.. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هِجْرَةَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعِرَاقِ كَانَتْ إِلَىٰ الشَّامِ، وَبِهَا كَانَ مَقَامُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ كَانَ قَدِمَ مَكَّةَ، وَبَنَىٰ بِهَا الْبَيْتَ، وَأَسْكَنَهَا إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُقِمْ بِهَا، وَلَمْ يَتَّخِذْهَا وَطَنًا لِنَفْسِهِ، وَلَا لُوطٌ، وَاللهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ أَنَّهُ أَنْجَاهُمَا إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٢].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ..

﴿إِسْحَٰقَ﴾ وَلَدًا..

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَلَدَ وَلَدِهِ..

﴿نَافِلَةً﴾ النَّافِلَةُ الْفَضْلُ مِنَ الشَّيْءِ يَصِيرُ إِلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ ذَلِكَ، وَكِلَا وَلَدَيْهِ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ كَانَ فَضْلًا مِنَ اللهِ، تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَهِبَةً مِنْهُ لَهُ..

﴿وَكُلًّا﴾ إِبْرَاهِيم، وَإِسْحَاق، وَيَعْقُوب..

﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٢] عَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللهِ، مُجْتَنِبِينَ مَحَارِمَهُ.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٣].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وَجَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿أَئِمَّةً﴾ يُؤْتَمُّ بِهِمْ فِي الْخَيْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُقْتَدَىٰ بِهِمْ، وَيُتَّبَعُونَ عَلَيْهِ..

﴿يَهْدُونَ﴾ يَهْدُونَ النَّاسَ..

﴿بِأَمْرِنَا﴾ بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ عِبَادَتِهِ..

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وَأَوْحَيْنَا فِيمَا أَوْحَيْنَا أَنِ افْعَلُوا الْخَيْرَاتِ..

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِأَمْرِنَا بِذَلِكَ..

﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣] كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٤].

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾ وَآتَيْنَا لُوطًا..

﴿حُكْمًا﴾ وَهُوَ فَصْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخُصُومِ..

﴿وَعِلْمًا﴾ وَآتَيْنَاهُ أَيْضًا عِلْمًا بِأَمْرِ دِينِهِ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ، وَهِيَ قَرْيَةُ سَدُومَ، الَّتِي كَانَ لُوطٌ بُعِثَ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَكَانَتِ الْخَبَائِثُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا إِتْيَانَ الذُّكْرَانِ فِي أَدْبَارِهِمْ، وَخَذْفَهُمُ النَّاسَ، وَتَضَارُطَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ، مَعَ أَشْيَاءَ أُخَرَ كَانُوا يَعْمَلُونَهَا مِنَ الْمُنْكَرِ، فَأَخْرَجَهُ اللهُ حِينَ أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ..

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٤] مُخَالِفِينَ أَمْرَ اللهِ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَمَا يَرْضَىٰ مِنَ الْعَمَلِ.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء: ٧٥].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ﴾ وَأَدْخَلْنَا لُوطًا..

﴿فِي رَحْمَتِنَآۖ﴾ بِإِنْجَائِنَا إِيَّاهُ مِمَّا أَحْلَلْنَا بِقَوْمِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ، وَإِنْقَاذِنَاهُ مِنْهُ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ لُوطًا..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء: ٧٥] مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِنَا وَيَنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا وَلَا يَعْصُونَنَا.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦﴾ [الأنبياء: ٧٦].

﴿وَنُوحًا﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ نُوحًا..

﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ، وَمِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا، وَسَأَلَنَا أَنْ نُهْلِكَ

قَوْمَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللهَ فِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مِنْ وَعِيدِهِ، وَكَذَّبُوا نُوحًا فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝﴾ [نوح: ٢٦]..

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دُعَاءَهُ..

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ وَلَدِهِ وَحَلَائِلِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٦] مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَحَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْغَرَقِ، وَالْكَرْبُ: شِدَّةُ الْغَمِّ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٧].

﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ وَنَصَرْنَا نُوحًا..

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ عَلَى الْقَوْمِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الَّذِي كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَدِلَّتِنَا..

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ إِنَّ قَوْمَ نُوحٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ، يُسِيئُونَ الْأَعْمَالَ، فَيَعْصُونَ اللهَ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ..

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٧] فَأَنْجَيْنَاهُ مِنْهُمْ.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٨].

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وَاذْكُرْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ وَالْحَرْثُ: إِنَّمَا هُوَ حَرْثُ الْأَرْضِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ زَرْعًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَرْسًا، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ..

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ﴾ حِينَ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْحَرْثِ..

﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ الْآخَرِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْحَرْثِ لَيْلًا، فَرَعَتْهُ وَأَفْسَدَتْهُ..

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ وَكُنَّا لِحُكْمِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ حَكَمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا أَفْسَدَتْ غَنَمُ أَهْلِ الْغَنَمِ مِنْ حَرْثِ أَهْلِ الْحَرْثِ..

﴿شَٰهِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٨] لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَغِيبُ عَنَّا عِلْمُهُ.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ فَفَهَمْنَا الْقَضِيَّةَ فِي ذَٰلِكَ..

﴿سُلَيْمَٰنَۚ﴾ دُونَ دَاوُدَ..

﴿وَكُلًّا﴾ وَكُلُّهُمْ مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي أَوَّلِ هَٰذِهِ السُّورَةِ..

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وَهُوَ النُّبُوَّةُ..

﴿وَعِلْمًاۚ﴾ بِأَحْكَامِ اللهِ.. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَرَامِ بْنِ مُحَيِّصَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: دَخَلَتْ نَاقَةٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ فَأَفْسَدَتْهُ، فَرُفِعَ ذَٰلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، فَقَضَىٰ عَلَى الْبَرَاءِ بِمَا أَفْسَدَتْهُ النَّاقَةُ، وَقَالَ: «عَلَىٰ أَصْحَابِ الْمَاشِيَةِ حِفْظُ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ، وَعَلَىٰ أَصْحَابِ الْحَوَائِطِ حِفْظُ حِيطَانِهِمْ بِالنَّهَارِ»، قَالَ الزُّهْرِيُّ: (وَكَانَ قَضَاءُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فِي ذَٰلِكَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَتْ مَاشِيَتُهُ زَرْعًا لِرَجُلٍ فَأَفْسَدَتْهُ، وَلَا يَكُونُ النُّفُوشُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَارْتَفَعَا إِلَىٰ دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِغَنَمِ صَاحِبِ الْغَنَمِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ، فَانْصَرَفَا، فَمَرَّا بِسُلَيْمَانَ، فَقَالَ: بِمَاذَا قَضَىٰ بَيْنَكُمَا نَبِيُّ اللهِ؟ فَقَالَا: قَضَىٰ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ، فَقَالَ: إِنَّ الْحُكْمَ لَعَلَىٰ غَيْرِ هَٰذَا، انْصَرِفَا مَعِي فَأَتَىٰ أَبَاهُ دَاوُدَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَضَيْتَ عَلَىٰ هَٰذَا بِغَنَمِهِ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ الْحُكْمَ لَعَلَىٰ غَيْرِ هَٰذَا، قَالَ: وَكَيْفَ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَىٰ صَاحِبِ الزَّرْعِ فَيُصِيبُ مِنْ أَلْبَانِهَا وَسُمُونِهَا وَأَصْوَافِهَا، وَتَدْفَعُ الزَّرْعَ إِلَىٰ صَاحِبِ الْغَنَمِ يَقُومُ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَادَ الزَّرْعُ إِلَىٰ حَالِهِ الَّتِي أَصَابَتْهُ الْغَنَمُ عَلَيْهَا رُدَّتِ الْغَنَمُ عَلَىٰ صَاحِبِ الْغَنَمِ، وَرُدَّ الزَّرْعُ إِلَىٰ صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَقَالَ دَاوُدُ: لَا يَقْطَعُ اللهُ فَمَكَ، فَقَضَىٰ بِمَا قَضَىٰ سُلَيْمَانُ، فَذَٰلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩])..

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ﴾ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ فِي هَٰذَا الْمَوْضِعِ: (يُصَلِّينَ مَعَ دَاوُدَ إِذَا صَلَّىٰ)..

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩] وَكُنَّا قَدْ قَضَيْنَا أَنَّا فَاعِلُو ذَٰلِكَ، وَمُسَخِّرُو الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ..

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وَاللَّبُوسُ عِنْدَ الْعَرَبِ: السِّلَاحُ كُلُّهُ، دِرْعًا كَانَ، أَوْ جَوْشَنًا، أَوْ سَيْفًا، أَوْ رُمْحًا، وَأَمَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ قَالُوا: عَنِيَ الدُّرُوعَ..

﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ لِيُحْرِزَكُمْ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ: قَدْ أَحْصَنَ فُلَانٌ جَارِيَتَهُ.

﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ وَالْبَأْسُ: الْقِتَالُ، وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ صَنْعَةَ سِلَاحٍ لَكُمْ لِيُحْرِزَكُمْ إِذَا لَبِسْتُمُوهُ وَلَقِيتُمْ فِيهِ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠] شَاكِرُو اللهِ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ بِمَا عَلَّمَكُمْ مِنْ صَنْعَةِ اللَّبُوسِ الْمُحْصِنِ فِي الْحَرْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، يَقُولُ: فَاشْكُرُونِي عَلَىٰ ذَلِكَ.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ..

﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وَعُصُوفُهَا: شِدَّةُ هُبُوبِهَا..

﴿تَجْرِي﴾ الرِّيحُ..

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ..

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ إِلَىٰ الشَّامِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ تَجْرِي بِسُلَيْمَانَ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ سُلَيْمَانُ، ثُمَّ تَعُودُ بِهِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ بِالشَّامِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١]..

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١﴾ [الأنبياء: ٨١] وَكُنَّا عَالِمِينَ بِأَنَّ فِي فِعْلِنَا مَا فَعَلْنَا لِسُلَيْمَانَ مِنْ تَسْخِيرِنَا لَهُ، وَإِعْطَائِنَا مَا أَعْطَيْنَاهُ مِنَ الْمُلْكِ، صَلَاحَ الْخَلْقِ، فَعَلَىٰ عِلْمٍ مِنَّا بِمَوْضِعِ مَا فَعَلْنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَعَلْنَا، وَنَحْنُ عَالِمُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢].

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وَسَخَّرْنَا أَيْضًا لِسُلَيْمَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ..

﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مِنَ الْبُنْيَانِ وَالتَّمَاثِيلِ وَالْمَحَارِيبِ..

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٨٢] وَكُنَّا لِأَعْمَالِهِمْ، وَلِأَعْدَادِهِمْ حَافِظِينَ، لَا يَئُودُنَا حِفْظُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝﴾
[الأنبياء: ٨٣].

﴿۞ وَأَيُّوبَ﴾ وَاذْكُرْ أَيُّوبَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَقَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ وَالْبَلَاءُ..

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٨٣] وَكَانَ الضُّرُّ الَّذِي أَصَابَهُ وَالْبَلَاءُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، امْتِحَانًا مِنَ اللهِ لَهُ وَاخْتِبَارًا.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٨٤].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ فَلَمَّا انْتَهَىٰ الْأَجَلُ، وَقَضَىٰ اللهُ أَنَّهُ كَاشِفٌ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لَا يَنْبَغِي لِعَبْدِي أَيُّوبَ أَنْ يَدْعُوَنِي ثُمَّ لَا أَسْتَجِيبَ لَهُ فَلَمَّا دَعَا اسْتَجَابَ لَهُ..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وَأَبْدَلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذَهَبَ لَهُ ضِعْفَيْنِ، رَدَّ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝﴾ [ص: ٤٤].. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْأَهْلِ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: أَهُمْ أَهْلُهُ الَّذِينَ أُوتِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَمْ ذَلِكَ وَعْدٌ وَعَدَهُ اللهُ أَيُّوبَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؟..

﴿رَحْمَةً﴾ فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ رَحْمَةً..

﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ مِنَّا لَهُ..

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٨٤] وَتَذْكِرَةً لِلْعَابِدِينَ رَبَّهُمْ، فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِ لِيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ يَبْتَلِي أَوْلِيَاءَهُ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا بِضُرُوبٍ مِنَ الْبَلَاءِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، مِنْ غَيْرِ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنِ اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُ، لِيَبْلُغَ بِصَبْرِهِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابِهِ إِيَّاهُ،

وَحُسْنِ يَقِينِهِ مَنْزِلَتَهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بْنَ إِبْرَاهِيمَ صَادِقَ الْوَعْدِ..

﴿وَإِدْرِيسَ﴾ وَبِإِدْرِيسَ..

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ رَجُلًا تَكَفَّلَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، إِمَّا مِنْ نَبِيٍّ وَإِمَّا مِنْ مَلِكٍ مِنْ صَالِحِي الْمُلُوكِ، بِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِ حُسْنَ وَفَائِهِ بِمَا تَكَفَّلَ بِهِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمَعْدُودِينَ فِي عِبَادِهِ، مَعَ مَنْ حُمِدَ صَبْرُهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي أَمْرِهِ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: (**رَجُلٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيٍّ، تَكَفَّلَ لِنَبِيٍّ قَوْمِهِ أَنْ يَكْفِيَهُ أَمْرَ قَوْمِهِ، وَيُقِيمَهُ لَهُمْ، وَيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ**)..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّهُمْ..

﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥] مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ فِيمَا نَابَهُمْ فِي اللهِ.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾ وَأَدْخَلْنَا إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ..

﴿فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦] إِنَّهُمْ مِمَّنْ صَلُحَ، فَأَطَاعَ اللهَ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ذَا النُّونِ، يَعْنِي صَاحِبَ النُّونِ، وَالنُّونُ: الْحُوتُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذِي النُّونِ: يُونُسَ بْنَ مَتَّىٰ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّتَهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَهَابِهِ مُغَاضِبًا، وَعَمَّنْ كَانَ ذَهَابُهُ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ غَضَبُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَهَابُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَإِيَّاهُمْ غَاضَبَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ذَهَبَ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ، إِذْ كُشِفَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بَعْدَمَا وَعَدَهُمُوهُ.. عَلَىٰ أَنَّ

الَّذِينَ وَجَّهُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّهُ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ، إِنَّمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يُغَاضِبَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ رَبَّهُ، وَاسْتِعْظَامًا لَهُ.. وَهُمْ بِقِيلِهِمْ أَنَّهُ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ قَدْ دَخَلُوا فِي أَمْرٍ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْكَرُوا، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ ذَهَابِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ كَرَاهَةَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ جَرَّبُوا عَلَيْهِ الْخُلْفَ فِيمَا وَعَدَهُمْ، وَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمِ السَّبَبَ الَّذِي دُفِعَ بِهِ عَنْهُمُ الْبَلَاءُ.. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ: كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ قَوْمِهِ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ قَتْلُ مَنْ جَرَّبُوا عَلَيْهِ الْكَذِبَ، عَسَىٰ أَنْ يَقْتُلُوهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ، فَلَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّمَا غَاضَبَ رَبَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَمَرَ بِالْمَصِيرِ إِلَىٰ قَوْمٍ لِيُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُنْظِرَهُ لِيَتَأَهَّبَ لِلشُّخُوصِ إِلَيْهِمْ، فَقِيلَ لَهُ: الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْظَرْ، حَتَّىٰ شَاءَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَىٰ أَنْ يَأْخُذَ نَعْلًا لِيَلْبَسَهَا، فَقِيلَ لَهُ نَحْوُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ رَجُلًا فِي خُلُقِهِ ضِيقٌ، فَقَالَ: أَعْجَلَنِي رَبِّي أَنْ آخُذَ نَعْلًا فَذَهَبَ مُغَاضِبًا.. وَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مِنْ وَصْفِ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ دُونَ مَا وَصَفَهُ بِمَا وَصَفَهُ الَّذِينَ قَالُوا: ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ؛ لِأَنَّ ذَهَابَهُ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِبًا لَهُمْ، وَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْمُقَامِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لِيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَيُحَذِّرَهُمْ بَأْسَهُ وَعُقُوبَتَهُ عَلَىٰ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، لَا شَكَّ أَنَّ فِيهِ مَا فِيهِ.. وَلَوْلَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ ﷺ أَتَىٰ مَا قَالَهُ الَّذِينَ وَصَفُوهُ بِإِتْيَانِ الْخَطِيئَةِ، لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِيُعَاقِبَهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ، وَيَصِفَهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا، فَيَقُولَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨]، وَيَقُولَ: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]..

﴿فَظَنَّ﴾ يُونُسُ..

﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أَنْ لَنْ نَحْبِسَهُ، وَنُضَيِّقَ عَلَيْهِ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَىٰ مُغَاضَبَتِهِ رَبَّهُ..

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّهُ نَادَىٰ فِي ظُلْمَةِ جَوْفِ حُوتٍ فِي جَوْفِ حُوتٍ آخَرَ فِي الْبَحْرِ، قَالُوا: فَذَلِكَ هُوَ الظُّلُمَاتُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ عَنَىٰ بِإِحْدَىٰ الظُّلُمَاتِ: بَطْنَ الْحُوتِ، وَبِالْأُخْرَىٰ: ظُلْمَةَ الْبَحْرِ، وَفِي الثَّالِثَةِ اخْتِلَافٌ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الثَّالِثَةُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ كَوْنَ الْحُوتِ فِي جَوْفِ حُوتٍ آخَرَ، وَلَا دَلِيلَ

يَدُلُّ عَلَىٰ أَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ نَادَىٰ يُونُسُ بِهَذَا الْقَوْلِ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، تَائِبًا مِنْ خَطِيئَتِهِ..

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] فِي مَعْصِيَتِي إِيَّاكَ.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لِيُونُسَ دُعَاءَهُ إِيَّانَا، إِذْ دَعَانَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ..

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِحَبْسِنَاهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَغَمِّهِ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَنْجَيْنَا يُونُسَ مِنْ كَرْبِ الْحَبْسِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ إِذْ دَعَانَا، كَذَلِكَ..

﴿نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨] مِنْ كَرْبِهِمْ إِذَا اسْتَغَاثُوا بِنَا وَدَعَوْنَا.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا..

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ حِينَ نَادَىٰ رَبَّهُ..

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ وَحِيدًا..

﴿فَرْدًا﴾ لَا وَلَدَ لِي وَلَا عَقِبَ، فَارْزُقْنِي وَارِثًا مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يَرِثُنِي، ثُمَّ رَدَّ الْأَمْرَ إِلَىٰ اللهِ فَقَالَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لِزَكَرِيَّا دُعَاءَهُ..

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ وَلَدًا، وَوَارِثًا يَرِثُهُ..

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ بِأَنْ جَعَلَهَا وَلُودًا، حَسَنَةَ الْخُلُقِ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي إِصْلَاحِهِ إِيَّاهَا، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَلَا وَضَعَ عَلَىٰ خُصُوصِ ذَلِكَ دَلَالَةً، فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ، مَا لَمْ يَأْتِ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ..

﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ يَعْنِي زَكَرِيَّا وَزَوْجَهُ وَيَحْيَىٰ..

﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فِي طَاعَتِنَا، وَالْعَمَلِ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْنَا..

﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ وَكَانُوا يَعْبُدُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَعَنَىٰ بِالدُّعَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٨]..

﴿رَغَبًا﴾ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِيمَا يَرْجُونَ مِنْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ..

﴿وَرَهَبًا﴾ رَهْبَةً مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، بِتَرْكِهِمْ عِبَادَتَهُ، وَرُكُوبِهِمْ مَعْصِيَتَهُ..

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] مُتَوَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِنَا وَدُعَائِنَا.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١].

﴿وَٱلَّتِىٓ﴾ وَاذْكُرِ -يَا مُحَمَّدُ- الَّتِي..

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حَفِظَتْ، وَمَنَعَتْ فَرْجَهَا مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا إِبَاحَتَهُ فِيهِ، يَعْنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ..

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا﴾ وَجَعَلْنَا مَرْيَمَ..

﴿وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ عِبْرَةً.. وَقِيلَ آيَةً، وَلَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ، وَقَدْ ذَكَرَ آيَتَيْنِ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: جَعَلْنَاهُمَا عَلَمًا لَنَا، وَحُجَّةً، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فِي مَعْنَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَعَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، يَقُومُ مَقَامَ الْآخَرِ، إِذْ كَانَ أَمْرُهُمَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ اللهِ وَاحِدًا.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١] لِعَالَمَيْ زَمَانِهِمَا، يَعْتَبِرُونَ بِهِمَا، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي أَمْرِهِمَا، فَيَعْلَمُونَ عَظِيمَ سُلْطَانِنَا، وَقُدْرَتِنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ إِنَّ هَذِهِ مِلَّتُكُمْ..

﴿أُمَّةً﴾ مِلَّةً..

﴿وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَٱعْبُدُونِ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٢] دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَسَائِرِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٣].

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ..

﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فِي دِينِهِمُ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَصَارُوا فِيهِ أَحْزَابًا، فَهُوِّدَتِ الْيَهُودُ، وَتَنَصَّرَتِ النَّصَارَىٰ، وعُبِدَتِ الْأَوْثَانُ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ..

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٣] وَأَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ إِلَيْهِ، مُتَوَعِّدًا بِذَلِكَ أَهْلَ الزَّيْغِ مِنْهُمْ وَالضَّلَالِ، وَمُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَأَنَّهُ مُجَازٍ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٤].

﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ فَمَنْ عَمِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَطَاعَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَهُوَ مُقِرٌّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، مُصَدِّقٌ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، مُتَبَرِّئٌ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ..

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ فَإِنَّ اللهَ يَشْكُرُ عَمَلَهُ الَّذِي عَمِلَ لَهُ، مُطِيعًا لَهُ، وَهُوَ بِهِ مُؤْمِنٌ، فَيُثِيبُهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَهُ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَنْ يُثِيبَهُمُوهُ، وَلَا يَكْفُرُ ذَلِكَ لَهُ، فَيَجْحَدُهُ، وَيَحْرِمُهُ ثَوَابَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ الصَّالِحِ..

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٤] وَنَحْنُ نَكْتُبُ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا فَلَا نَتْرُكُ مِنْهَا شَيْئًا لِنَجْزِيَهُ عَلَىٰ صَغِيرِ ذَلِكَ وَكَبِيرِهِ وَقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٥].

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ حَرَامٌ عَلَىٰ أَهْلِ قَرْيَةٍ..

﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بِطَبْعِنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَخَتْمِنَا عَلَىٰ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، إِذْ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِنَا، وَكَفَرُوا بِآيَاتِنَا، أَنْ يَتُوبُوا، وَيُرَاجِعُوا الْإِيمَانَ بِنَا، وَاتِّبَاعَ أَمْرِنَا، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِنَا..

﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٥] لَمْ يَكُنْ لِيَرْجِعَ مِنْهُمْ رَاجِعٌ، حَرَامٌ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ﴾ عَنْ..

﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ وَهُمَا أُمَّتَانِ مِنَ الأُمَمِ رَدْمُهمَا.. عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ، وَذَكَرَ أَمْرَهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ يَقْتُلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ: يَا عِيسَىٰ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ فَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَنْزِلُ آخِرُهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ مَرَّةً، فَيُحَاصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا لِأَحَدِهِمْ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ مَوْتَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعًا إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ زُهْمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ»..

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ وَنَشَزٍ وَأَكَمَةٍ..

﴿يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦] يَخْرُجُونَ مُشَاةً مُسْرِعِينَ فِي مَشْيِهِمْ كَنَسَلَانِ الذِّئْبِ.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧].

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ، وَذَلِكَ وَعْدُ اللهِ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ أَنَّهُ يَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهُوَ لَا شَكَّ حَقٌّ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ شَخَصَتْ عِنْدَ مَجِيءِ الْوَعْدِ الْحَقِّ بِأَهْوَالِهِ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ بِحَقَائِقِهَا، وَهُمْ يَقُولُونَ..

﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا﴾ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ الَّذِي نَرَىٰ وَنُعَايِنُ، وَنَزَلَ بِنَا مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ..

﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧] مَا كُنَّا نَعْمَلُ لِهَذَا الْيَوْمِ مَا يُنْجِينَا مِنْ شَدَائِدِهِ، بَلْ كُنَّا

ظَالِمِينَ بِمَعْصِيَتِنَا رَبَّنَا، وَطَاعَتِنَا إِبْلِيسَ وَجُنْدَهُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، الْعَابِدُونَ مِنْ دُونِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ..

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ تُقْذَفُ جَهَنَّمَ بِهِمْ، وَيُرْمَىٰ بِهِمْ فِيهَا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْحَصْبَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْحَطَبُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ صَحِيحٌ، وَأَمَّا مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ الرَّمْيِ، فَإِنَّهُ فِي لُغَةِ أَهْلِ نَجْدٍ..

﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ أَنْتُمْ عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ أَوْ إِلَيْهَا..

﴿وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] دَاخِلُونَ.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩].

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَارِدُو جَهَنَّمَ، وَلَوْ كَانَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾ بَلْ كَانَتْ تَمْنَعُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُورِدَكُمُوهَا إِذْ كُنْتُمْ لَهَا فِي الدُّنْيَا عَابِدِينَ، وَلَكِنَّهَا إِذْ كَانَتْ لَا نَفْعَ عِنْدَهَا لِأَنْفُسِهَا، وَلَا عِنْدَهَا دَفْعُ ضُرٍّ عَنْهَا، فَهِيَ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَهَا لِغَيْرِهَا أَبْعَدُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ بَيِّنًا بُعْدُهُ مِنَ الْأُلُوهَةِ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَقْدُورًا عَلَيْهِ فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا..

﴿وَكُلٌّ﴾ يَعْنِي الْآلِهَةَ وَمَنْ عَبَدَهَا..

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩] مَاكِثُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: كُلُّكُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

﴿لَهُمْ﴾ الْمُشْرِكِينَ وَآلِهَتَهُمْ..

﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ لِكُلِّهِمْ فِي جَهَنَّمَ زَفِيرٌ..

﴿وَهُمۡ فِيهَا﴾ وَهُمْ فِي النَّارِ..

﴿لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مُحَقِّقٍ لِأَمْرٍ كَانَ يُنْكِرُهُ قَوْمٌ، فَكَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، لِأَنَّا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَعْبُدُ آخَرُونَ الْمَسِيحَ، وَعُزَيْرًا، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ رَدًّا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١] لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْنِيِّينَ بِقَوْلِنَا: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].. وَأَمَّا الْحُسْنَىٰ فَإِنَّهَا الْفُعْلَىٰ مِنَ الْحُسْنِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهَا السَّعَادَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ.

﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

﴿لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ..

﴿حَسِيسَهَاۖ﴾ حَسِيسَ النَّارِ، وَيَعْنِي بِالْحَسِيسِ: الصَّوْتَ وَالْحِسَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ جَهَنَّمَ يُؤْتَىٰ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَىٰ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، إِلَّا جَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ خَوْفًا مِنْهَا، قِيلَ: إِنَّ الْحَالَ الَّتِي لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا حَسِيسَهَا هِيَ غَيْرُ تِلْكَ الْحَالِ، بَلْ هِيَ الْحَالُ الَّتِي إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ..

﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ وَهُمْ فِيمَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا وَلَذَّاتِهَا..

﴿خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ [الأنبياء: ١٠٢] مَاكِثُونَ فِيهَا، لَا يَخَافُونَ زَوَالًا عَنْهَا وَلَا انْتِقَالًا عَنْهَا.

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ ذَلِكَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْزُنْهُ ذَلِكَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَآمَنَ مِنْهُ، فَهُوَ مِمَّا بَعْدَهُ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَفْزَعَ، وَأَنَّ مَنْ أَفْزَعَهُ ذَلِكَ فَغَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ الْفَزَعُ مِمَّا بَعْدَهُ..

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُهَنِّئُونَهُمْ يَقُولُونَ..

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فِيهِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ وَالْحِبَاءُ، وَالْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ تَنْصِبُونَ فِي الدُّنْيَا للهِ فِي طَاعَتِهِ.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ..

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كَطَيِّ السِّجِلِّ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لِلْكِتَابِ) بِمَعْنَىٰ: عَلَىٰ..

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ نُعِيدُ الْخَلْقَ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا بَدَأْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي حَالِ خَلْقِنَاهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ..

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ وَعَدْنَاكُمْ ذَٰلِكَ وَعْدًا حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نُوفِيَ بِمَا وَعَدْنَا..

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إِنَّا كُنَّا فَاعِلِي مَا وَعَدْنَاكُمْ مِنْ ذَٰلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي حُكْمِنَا وَقَضَائِنَا أَنْ نَفْعَلَهُ، عَلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّ ذَٰلِكَ كَائِنٌ، وَاسْتَعِدُّوا وَتَأَهَّبُوا.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا﴾ وَلَقَدْ قَضَيْنَا، فَأَثْبَتْنَا قَضَاءَنَا..

﴿فِي ٱلزَّبُورِ﴾ فِي كُتُبِ الأنبياءِ كلِّها التي أنزلَها اللهُ عليهِم..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ مِنْ بَعْدِ أُمِّ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ اللهُ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أَنَّ أَرْضَ الْجَنَّةِ..

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] الْعَامِلُونَ بِطَاعَتِهِ، الْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مِنْ عِبَادِهِ، دُونَ الْعَامِلِينَ بِمَعْصِيَتِهِ مِنْهُمْ، الْمُؤْثِرِينَ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦] لَبَلَاغًا لِمَنْ عَبَدَ اللهَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي

فَرَضَهَا اللهُ إِلَىٰ رِضْوَانِهِ، وَإِدْرَاكِ الطَّلِبَةِ عِنْدَهُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ خَلْقِنَا..

﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِجَمِيعِ الْعَالَمِ، مُؤْمِنِهِمْ، وَكَافِرِهِمْ، فَأَمَّا مُؤْمِنُهُمْ فَإِنَّ اللهَ هَدَاهُ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا كَافِرُهُمْ فَإِنَّهُ دَفَعَ بِهِ عَنْهُ عَاجِلَ الْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا مِنْ قَبْلِهِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِلَّا أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِغَيْرِهِ..

﴿أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فَهَلْ أَنْتُمْ مُذْعِنُونَ لَهُ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْعَابِدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ بِالْخُضُوعِ لِذَلِكَ، وَمُتَبَرِّئُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ مِنْ آلِهَتِكُمْ؟

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْإِيمَانِ، بِأَنْ لَا إِلَهَ لَهُمْ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَأَبَوُا الْإِجَابَةَ إِلَيْهِ..

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: قَدْ..

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أَعْلَمْهُمْ أَنَّكَ وَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ أَنَّ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ حَرْبٌ، لَا صُلْحَ بَيْنَكُمْ، وَلَا سِلْمَ وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ..

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وَقُلْ: مَا أَدْرِي مَتَىٰ الْوَقْتُ الَّذِي يَحِلُّ بِكُمْ عِقَابُ اللهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ، فَيَنْتَقِمُ بِهِ مِنْكُمْ أَقَرِيبٌ نُزُولُهُ بِكُمْ؟ أَمْ بَعِيدٌ؟.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝١١٠﴾ [الأنبياء: ١١٠].

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ الْجَهْرَ الَّذِي يَجْهَرُونَ بِهِ..

﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ۝١١٠﴾ [الأنبياء: ١١٠] وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَهُ فَلَا تَجْهَرُونَ بِهِ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ خَفِيُّهُ وَظَاهِرُهُ، وَسِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، إِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِنْ أَخَّرَ عَنْكُمْ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَا تُخْفُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، أَوْ تَجْهَرُونَ بِهِ.

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝١١١﴾ [الأنبياء: ١١١].

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي﴾ فَمَا أَدْرِي مَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يُؤَخِّرُ ذَٰلِكَ عَنْكُمْ؟..

﴿لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ لَعَلَّ تَأْخِيرَهُ ذَٰلِكَ عَنْكُمْ مَعَ وَعْدِهِ إِيَّاكُمْ لِفِتْنَةٍ يُرِيدُهَا بِكُمْ..

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝١١١﴾ [الأنبياء: ١١١] وَلِتَتَمَتَّعُوا بِحَيَاتِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ قَدْ جَعَلَهُ لَكُمْ تَبْلُغُونَهُ، ثُمَّ يُنْزِلُ بِكُمْ حِينَئِذٍ نِقْمَتَهُ.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿قَٰلَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا..

﴿رَبِّ ٱحۡكُم﴾ افْصِلْ..

﴿بِٱلۡحَقِّۗ﴾ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَذَّبَنِي مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِي، وَكَفَرَ بِكَ، وَعَبَدَ غَيْرَكَ، بِإِحْلَالِ عَذَابِكَ، وَنِقْمَتِكَ بِهِمْ، وَذَٰلِكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ الْحُكْمَ بِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩]..

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ: وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي يَرْحَمُ عِبَادَهُ، وَيَعُمُّهُمْ بِنِعْمَتِهِ..

﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ الَّذِي أَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ..

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢] مِنْ قَوْلِكُمْ لِي فِيمَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣]، وَقَوْلِكُمْ: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ [الأنبياء: ٥]، وَفِي كَذِبِكُمْ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَقِيلِكُمْ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨﴾ [مريم: ٨٨]، فَإِنَّهُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ ذَٰلِكَ، وَفَصْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لَكُمْ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ مِنْ ذَٰلِكَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سُورَةُ الْحَجِّ (٢٢)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمانٍ وسَبْعُونَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحَجِّ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا﴾ يا أَيُّها النَّاسُ احْذَرُوا عِقابَ..

﴿رَبَّكُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ، فَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، فَإِنَّ عِقَابَهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَدِيدٌ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَوْلَ أَشْرَاطِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَبُدُوَّهُ، فَقَالَ..

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج: ١] قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ كَائِنَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْهُ ﷺ..فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ وَقَدْ فَاوَتَ السَّيْرَ بِأَصْحَابِهِ، إِذْ نَادَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾، قَالَ: فَحَثُّوا الْمَطِيَّ، حَتَّىٰ كَانُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ يُنَادَىٰ آدَمُ، يُنَادِيهِ رَبُّهُ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ، وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَىٰ النَّارِ**».. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُقَالُ لِآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: فَيَقُولُ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ، قَالَ: قُلْنَا فَأَيْنَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ، وَأَلْفًا مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ**».

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يَوْمَ تَرَوْنَ أَيُّهَا النَّاسُ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ..

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تَنْسَىٰ وَتَتْرُكَ كُلُّ وَالِدَةِ مَوْلُودٍ تُرْضِعُ وَلَدَهَا عَمَّا أَرْضَعَتْ..

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ وَتَسْقُطُ كُلُّ حَامِلٍ -مِنْ شِدَّةِ كَرْبِ ذَلِكَ- حَمْلَهَا..

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عَظِيمِ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْكَرْبِ وَشِدَّتِهِ..

﴿سُكَٰرَىٰ﴾ مِنَ الْفَزَعِ..

﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ..

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢] وَلَكِنَّهُمْ صَارُوا سُكَارَىٰ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ اللهِ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا عَايَنُوا مِنْ كَرْبِ ذَلِكَ، وَعَظِيمِ هَوْلِهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِشِدَّةِ عَذَابِ اللهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ [الحج: ٣].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ مَنْ يُخَاصِمُ فِي اللهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّ اللهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ إِحْيَاءِ مَنْ قَدْ بَلِيَ وَصَارَ تُرَابًا..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَعْلَمُهُ، بَلْ بِجَهْلٍ مِنْهُ بِمَا يَقُولُ..

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ [الحج: ٣] وَيَتَّبِعُ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ وَجِدَالِهِ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤].

﴿كُتِبَ﴾ قُضِيَ..

﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ..

﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ مِنْ أَتْبَاعِهِ..

﴿فَأَنَّهُۥ﴾ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ..

﴿يُضِلُّهُۥ﴾ يُضِلُّ مَنْ تَوَلَّاهُ، وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَيَهْدِيهِ﴾ وَيَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ.. وَسِيَاقُهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِ بِدُعَائِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ،

فَذَلِكَ هِدَايَتُهُ مَنْ تَبِعَهُ..

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤] إِلَىٰ عَذَابِ جَهَنَّمَ الْمُوقَدَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَتِنَا..

﴿مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ عَلَىٰ بَعْثِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ وَبِلَاكُمْ، اسْتِعْظَامًا مِنْكُمْ لِذَلِكَ..

﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ فَإِنَّ فِي ابْتِدَائِنَا خَلْقَ أَبِيكُمْ آدَمَ ﷺ مِنْ تُرَابٍ..

﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ثُمَّ إِنْشَائِنَاكُمْ مِنْ نُطْفَةِ آدَمَ..

﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ ثُمَّ تَصْرِيفِنَاكُمْ أَحْوَالًا، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مِنْ نُطْفَةٍ إِلَىٰ عَلَقَةٍ..

﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ﴾ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ إِلَىٰ مُضْغَةٍ، لَكُمْ مُعْتَبَرًا وَمُتَّعَظًا تَعْتَبِرُونَ بِهِ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَغَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ إِعَادَتُكُمْ بَعْدَ فَنَائِكُمْ، كَمَا كُنْتُمْ أَحْيَاءً قَبْلَ الْفَنَاءِ.. وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، اتِّبَاعًا مِنْهُ لِلشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ، وَتَنْبِيهٌ لَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ خَطَأِ قِيلِهِ، وَإِنْكَارِهِ مَا أَنْكَرَ مِنْ قُدْرَةِ رَبِّهِ.

﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾ مُصَوَّرَةٌ خَلْقًا تَامًّا سَوِيًّا..

﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ وَهُوَ السِّقْطُ قَبْلَ تَمَامِ خَلْقِهِ؛ بِأَنْ تُلْقِيَهُ الْأُمُّ مُضْغَةً، وَلَا تُصَوَّرُ، وَلَا يُنْفَخُ فِيهَا الرُّوحُ..

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ جَعَلْنَا الْمُضْغَةَ: مِنْهَا الْمُخَلَّقَةُ التَّامَّةُ، وَمِنْهَا السِّقْطُ غَيْرُ التَّامِّ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ قُدْرَتَنَا عَلَىٰ مَا نَشَاءُ، وَنُعَرِّفَكُمُ ابْتِدَاءَنَا خَلْقَكُمْ..

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ مَنْ كُنَّا كَتَبْنَا لَهُ بَقَاءً وَحَيَاةً إِلَىٰ أَمَدٍ وَغَايَةٍ، فَإِنَّا نُقِرُّهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ إِلَىٰ وَقْتِهِ الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ أَنْ يَمْكُثَ فِي رَحِمِهَا فَلَا تُسْقِطَهُ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَجَلَهُ، فَإِذَا بَلَغَ وَقْتَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِهَا أَذِنَّا لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، فَيَخْرُجُ..

﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ مِنْ أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ إِذَا بَلَغْتُمُ الْأَجَلَ الَّذِي قَدَّرْتُهُ لِخُرُوجِكُمْ مِنْهَا..

﴿طِفۡلٗا﴾ صِغَارًا، وَوَحَّدَ الطِّفْلَ، وَهُوَ صِفَةٌ لِلْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ..

﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا كَمَالَ عُقُولِكُمْ، وَنِهَايَةَ قُوَاكُمْ بِعُمُرِكُمْ.

﴿وَمِنكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فَيَمُوتُ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْسَأُ فِي أَجَلِهِ فَيُعَمَّرُ حَتَّىٰ يَهْرَمَ، فَيُرَدُّ مِنْ بَعْدِ انْتِهَاءِ شَبَابِهِ، وَبُلُوغِهِ غَايَةَ أَشُدِّهِ إِلَىٰ أَرْذَلِ عُمْرِهِ، وَذَلِكَ الْهَرَمُ..

﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ فِي حَالِ صِبَاهُ لَا يَعْقِلُ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا..

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَامِدَةٗ﴾ يَابِسَةً دَارِسَةَ الْآثَارِ مِنَ النَّبَاتِ وَالزَّرْعِ..

﴿فَإِذَآ﴾ نَحْنُ..

﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا﴾ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا..

﴿ٱلۡمَآءَ﴾ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ..

﴿وَرَبَتۡ﴾ وَأَضْعَفَتِ النَّبَاتَ بِمَجِيءِ الْغَيْثِ..

﴿وَأَنۢبَتَتۡ﴾ هَذِهِ الْأَرْضُ الْهَامِدَةُ بِذَلِكَ الْغَيْثِ..

﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ..

﴿بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥] يَعْنِي بِالْبَهِيجِ: الْبَهِجَ، وَهُوَ الْحَسَنُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحج: ٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ بَدْئِنَا خَلْقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، وَوَصْفِنَا أَحْوَالَكُمْ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَبَعْدَهُ، طِفْلًا، وَكَهْلًا، وَشَيْخًا هَرِمًا، وَتَنْبِيهِنَاكُمْ عَلَىٰ فِعْلِنَا بِالْأَرْضِ الْهَامِدَةِ بِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْثِ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ لِتُؤْمِنُوا وَتُصَدِّقُوا بِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وَتَعلَمُوا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي جَعَلَ بِهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْعَجِيبَةَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا أَنْ يُحْيِيَ بِهَا الْمَوْتَىٰ بَعْدَ فَنَائِهَا وَدُرُوسِهَا فِي التُّرَابِ..

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحج: ٦] وَأَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ مَا أَرَادَ وَشَاءَ مِنْ شَيْءٍ قَادِرٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج: ٧].

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ وَلِتُوقِنُوا بِذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي وَعَدْتُكُمْ أَنْ أَبْعَثَ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ جَائِيَةٌ لَا مَحَالَةَ..

﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهَا وَحُدُوثِهَا..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج: ٧] حِينَئِذٍ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ أَحْيَاءً إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَلَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، وَلَا تَمْتَرُوا فِيهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ [الحج: ٨].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ مَنْ يُخَاصِمُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهَةِ..

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ مِنْهُ بِمَا يُخَاصِمُ بِهِ..

﴿وَلَا هُدٗى﴾ وَبِغَيْرِ بَيَانٍ مَعَهُ لِمَا يَقُولُ وَلَا بُرْهَانٍ..

﴿وَلَا كِتَٰبٖ﴾ وَبِغَيْرِ كِتَابٍ مِنَ اللهِ أَتَاهُ لِصِحَّةِ مَا يَقُولُ..

﴿مُّنِيرٖ ٨﴾ [الحج: ٨] يُنِيرُ عَنْ حُجَّتِهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ مَا يَقُولُ مِنَ الْجَهْلِ ظَنًّا مِنْهُ وَحُسْبَانًا.. يُجَادِلُ هَذَا الَّذِي يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾ [الحج: ٩].

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَصَفَهُ بِذَلِكَ لِتَكَبُّرِهِ وَتَبَخْتُرِهِ، وَذُكِرَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَقُولُ: جَاءَنِي فُلَانٌ ثَانِيَ عِطْفِهِ: إِذَا جَاءَ مُتَبَخْتِرًا مِنَ الْكِبْرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَاوٍ رَقَبَتَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْرِضُ عَمَّا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ، فَلَا يَسْمَعُ لَهُ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ ذَا اسْتِكْبَارٍ فَمِنْ شَأْنِهِ الْإِعْرَاضُ عَمَّا هُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَنْهُ، وَلَيُّ عُنُقِهِ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ هَذَا الْمُخَاصِمَ فِي

اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ اللهِ أَعْرَضَ عَنْ دَاعِيهِ، وَلَوَىٰ عُنُقَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ مَا يُقَالُ لَهُ اسْتِكْبَارًا..

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يُجَادِلُ هَذَا الْمُشْرِكُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، مُعْرِضًا عَنِ الْحَقِّ اسْتِكْبَارًا، لِيَصُدَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي هَدَاهُمْ لَهُ، وَيَسْتَزِلَّهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُۥ﴾ لِهَذَا الْمُجَادِلِ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وَهُوَ الْقَتْلُ وَالذُّلُّ وَالْمَهَانَةُ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَتَلَهُ اللهُ بِأَيْدِيهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٩] وَنُحَرِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالنَّارِ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ [الحج: ١٠].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ وَيُقَالُ لَهُ إِذَا أُذِيقَ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي نُذِيقُكَهُ الْيَوْمَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَاكْتَسَبْتَهُ فِيهَا مِنَ الْإِجْرَامِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ [الحج: ١٠] وَفَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، فَيُعَاقِبَ بَعْضَ عَبِيدِهِ عَلَىٰ جُرْمٍ وَهُوَ يَغْفِرُ مِثْلَهُ مِنْ آخَرَ غَيْرِهِ، أَوْ يَحْمِلَ ذَنْبَ مُذْنِبٍ عَلَىٰ غَيْرِ مُذْنِبٍ فَيُعَاقِبَهُ بِهِ، وَيَعْفُوَ عَنْ صَاحِبِ الذَّنْبِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَىٰ جُرْمِهِ، وَلَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَىٰ ذَنْبٍ يَغْفِرُ مِثْلَهُ لِآخَرَ إِلَّا بِسَبَبٍ اسْتَحَقَّ بِهِ مِنْهُ مَغْفِرَتَهُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: ١١].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أَعْرَابًا كَانُوا يَقْدَمُونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُهَاجِرِينَ مِنْ بَادِيَتِهِمْ..

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ عَلَىٰ شَكٍّ، فَإِنْ نَالُوا رَخَاءً مِنْ عَيْشٍ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ أَقَامُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَإِلَّا ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ..

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ وَهُوَ السَّعَةُ مِنَ الْعَيْشِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا..

﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ اسْتَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ..

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ وَهُوَ الضِّيقُ بِالْعَيْشِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا..

﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ارْتَدَّ فَانْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿خَسِرَ﴾ غَبِنَ هَذَا الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ..

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ لِأَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ مِنْهَا بِمَا كَانَ مِنْ عِبَادَتِهِ اللهَ عَلَىٰ الشَّكِّ، وَوُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ فَلَمْ يَرْبَحْ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ وَخَسِرَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّهُ مُعَذَّبٌ فِيهَا بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ..

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ﴾ وَخَسَارَتُهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هِيَ الْخُسْرَانُ يَعْنِي الْهَلَاكَ..

﴿ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١] يَبِينُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهِ وَتَدَبَّرَهُ أَنَّهُ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ [الحج: ١٢].

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَإِنْ أَصَابَتْ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فِتْنَةٌ، ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللهِ، يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً..

﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ لَا تَضُرُّهُ إِنْ لَمْ يَعْبُدْهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ وَلَا تَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ عَبَدَهَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ ارْتِدَادُهُ ذَلِكَ دَاعِيًا مِنْ دُونِ اللهِ هَذِهِ الْآلِهَةَ..

﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ [الحج: ١٢] هُوَ الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ، وَالذَّهَابُ عَنْ دِينِ اللهِ ذَهَابًا بَعِيدًا.

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج: ١٣].

﴿يَدۡعُواْ﴾ هَذَا الْمُنْقَلِبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ أَنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ آلِهَةً..

﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ لَضَرُّهَا فِي الْآخِرَةِ لَهُ..

﴿أَقۡرَبُ﴾ وَأَسْرَعُ إِلَيْهِ..

﴿مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ مِنْ نَفْعِهَا..

﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ لَبِئْسَ ابْنُ الْعَمِّ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ..

﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج: ١٣] وَلَبِئْسَ الْخَلِيطُ الْمُعَاشِرُ، وَالصَّاحِبُ هُوَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحج: ١٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَانْتَهَوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ فِيهَا..

﴿جَنَّٰتٖ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحج: ١٤] فَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ كَرَامَتِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَمَا شَاءَ مِنَ الْهَوَانِ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج: ١٥].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ مَنْ كَانَ يَحْسِبُ..

﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أَنْ لَنْ يَرْزُقَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ..

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ فَيُوسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فِيهَا..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وَيَرْزُقَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ سَنِيِّ عَطَايَاهُ وَكَرَامَتِهِ، اسْتِبْطَاءً مِنْهُ فِعْلَ اللهِ ذَلِكَ بِهِ وَبِهِمْ..

﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ فَلْيَمْدُدْ بِحَبْلٍ..

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فَوْقَهُ، إِمَّا سَقْفِ بَيْتٍ، أَوْ غَيْرِهِ، مِمَّا يُعَلَّقُ بِهِ السَّبَبُ مِنْ فَوْقِهِ..

﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ ثُمَّ يَخْتَنِقْ إِذَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَا قَضَىٰ اللهُ فَاسْتَعْجَلَ انْكِشَافَ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج: ١٥] هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ احْتِنَاقُهُ كَذَلِكَ مَا يَغِيظُ؟ فَإِنْ لَمْ يُذْهِبْ ذَلِكَ غَيْظَهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِالْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ فَيُذْهِبَهُ، فَكَذَلِكَ اسْتِعْجَالُهُ نَصْرَ اللهِ مُحَمَّدًا وَدِينَهُ لَنْ يُؤَخِّرَ مَا قَضَىٰ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ مِيقَاتِهِ، وَلَا يُعَجِّلَ قَبْلَ حِينِهِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي (أَسَدٍ) وَ(غَطَفَانَ)، تَبَاطَئُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: نَخَافُ أَنْ لَا يُنْصَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَنْقَطِعَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ حُلَفَائِنَا مِنَ الْيَهُودِ فَلَا يَمِيرُونَنَا، وَلَا يُرَوُّونَنَا، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ: مَنِ اسْتَعْجَلَ مِنَ اللهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلْيَخْتَنِقْ، فَلْيَنْظُرِ اسْتِعْجَالَهُ بِذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، هَلْ هُوَ مُذْهِبٌ غَيْظَهُ؟ فَكَذَلِكَ اسْتِعْجَالُهُ مِنَ اللهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ، غَيْرُ مُقَدِّمٍ نَصْرَهُ قَبْلَ حِينِهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦﴾ [الحج: ١٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ حُجَجِي عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ قُدْرَتِي عَلَىٰ إِحْيَاءِ مَنْ مَاتَ مِنَ

الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِ، فَأَوْضَحْتُهَا أَيُّهَا النَّاسُ، كَذَلِكَ..

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ هَذَا الْقُرْآنَ..

﴿ءَايَٰتٍ﴾ دِلَالَاتٍ..

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ، يَهْدِينَ مَنْ أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦] وَلِأَنَّ اللهَ يُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ، وَلِسَبِيلِ الْحَقِّ مَنْ أَرَادَ، أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ إِنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَالَّذِينَ هَادُوا، وَهُمُ الْيَهُودُ، وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمَجُوسِ الَّذِينَ عَظَّمُوا النِّيرَانَ وَخَدَمُوهَا، وَبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، إِلَىٰ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَسَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَدْلٍ مِنَ الْقَضَاءِ، وَفَصْلُهُ بَيْنَهُمْ إِدْخَالُهُ النَّارَ الْأَحْزَابَ كُلَّهُمْ، وَالْجَنَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ مِنَ اللهِ بَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا..

﴿شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧] لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ..

﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ فِي السَّمَاءِ..

﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ فِي الْأَرْضِ، وَسُجُودُ ذَلِكَ: ظِلَالُهُ حِينَ تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَحِينَ تَزُولُ، إِذَا تَحَوَّلَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ سُجُودُهُ..

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ وَيَسْجُدُ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿وَكَثِيرٌ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ..

﴿حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ حَقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ اللهِ فَوَجَبَ عَلَيْهِ بِكُفْرِهِ بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُ للهِ ظِلُّهُ..

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يُهِنْهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ فَيُشْقِهِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بِالسَّعَادَةِ يُسْعِدُهُ بِهَا، لِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ، يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ لِطَاعَتِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُشْقِي مَنْ أَرَادَ، وَيُسْعِدُ مَنْ أَحَبَّ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨] إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ إِهَانَةِ مَنْ أَرَادَ إِهَانَتَهُ، وَإِكْرَامِ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ، لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩].

﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي دِينِ رَبِّهِمْ، وَاخْتِصَامُهُمْ فِي ذَلِكَ مُعَادَاةُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا الْفَرِيقَ الْآخَرَ، وَمُحَارَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ دِينِهِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ: أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَالْفَرِيقُ الْآخَرُ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: (**أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِي رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ**)، قَالَ -يعني: قيس-: وَقَالَ عَلِيٌّ: (**إِنِّي لَأَوَّلُ أَوْ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَجْثُو لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**).. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلِ الْفَرِيقُ الْآخَرُ الْكُفَّارُ كُلُّهُمْ مِنْ أَيِّ مِلَّةٍ كَانُوا.. وَأَوْلَىٰ هَذَانِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهَا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْخَصْمَيْنِ جَمِيعُ الْكُفَّارِ مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الْكُفْرِ كَانُوا، وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَكَرَ قَبْلَ ذَلِكَ صِنْفَيْنِ مِنْ خَلْقِهِ: أَحَدُهُمَا أَهْلُ طَاعَةٍ لَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْآخَرُ: أَهْلُ مَعْصِيَةٍ لَهُ قَدْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، فَقَالَ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾

[الحج: ١٨]، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ صِفَةَ الصِّنْفَيْنِ كِلَيْهِمَا وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمَا، فَقَالَ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وَقَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحج: ٢٣]، فَكَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ أَنَّ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْهُمَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ؟) قِيلَ: ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ كَمَا رُوِيَ عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَنْزِلُ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، ثُمَّ تَكُونُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَا كَانَ نَظِيرَ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَهَذِهِ مِنْ تِلْكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ تَبَارَزُوا إِنَّمَا كَانَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلَ شِرْكٍ وَكُفْرٍ بِاللهِ، وَالْآخَرُ أَهْلَ إِيمَانٍ بِاللهِ وَطَاعَةٍ لَهُ، فَكُلُّ كَافِرٍ فِي حُكْمِ فَرِيقِ الشِّرْكِ مِنْهُمَا فِي أَنَّهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ خَصْمٌ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ فِي حُكْمِ فَرِيقِ الْإِيمَانِ مِنْهُمَا فِي أَنَّهُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ خَصْمٌ..

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَأَمَّا الْكَافِرُ بِاللهِ مِنْهُمَا..

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يُقَطَّعُ لَهُ قَمِيصٌ مِنْ نُحَاسٍ مِنْ نَارٍ..

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩] يُصَبُّ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ مَاءٌ مُغْلًى.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ، حَتَّىٰ يَخْلُصَ إِلَىٰ جَوْفِهِ، فَيَسْلِتَ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهِيَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج: ٢٠].

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج: ٢٠] يُذَابُ بِالْحَمِيمِ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الشُّحُومِ، وَتُشْوَىٰ جُلُودُهُمْ مِنْهُ فَتَتَسَاقَطُ.. وَالصَّهْرُ: هُوَ الْإِذَابَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: صَهَرْتُ الْأَلْيَةَ بِالنَّارِ: إِذَا أَذَبْتُهَا، أَصْهَرُهَا صَهْرًا.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١﴾ [الحج: ٢١].

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١﴾ [الحج: ٢١] تَضْرِبُ رُءُوسَهُمْ بِهَا الْخَزَنَةُ إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ تُرْجِعَهُمْ إِلَيْهَا.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج: ٢٢].

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ كُلَّمَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ..

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ مِمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ..

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ رُدُّوا إِلَيْهَا..

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝﴾ [الحج: ٢٢] وَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ، وَقِيلَ: عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَالْمَعْنَىٰ: الْمُحْرِقِ، كَمَا قِيلَ: الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، بِمَعْنَىٰ: الْمُؤْلِمُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝﴾ [الحج: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَأَطَاعُوهُمَا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ فَيُحَلِّيهِمْ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا..

﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾ وَلُبُوسُهُمُ الَّتِي تَلِي أَبْشَارَهُمْ..

﴿فِيهَا حَرِيرٌ ۝﴾ [الحج: ٢٣] فِيهَا ثِيَابُ حَرِيرٍ.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝﴾ [الحج: ٢٤].

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وَهَدَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝﴾ [الحج: ٢٤] وَهَدَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرَّبِّ الْحَمِيدِ، وَطَرِيقُهُ: دِينُهُ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ لِخَلْقِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ.. وَالْحَمِيدُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَحْمُودٌ عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [الحج: ٢٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنْكَرُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِ اللهِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ..

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَافَّةً، لَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ..

﴿سَوَآءً﴾ مُعْتَدِلٌ فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقَضَاءِ نُسُكِهِ بِهِ..

﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ وَالنُّزُول فِيهِ حَيْثُ شَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ، وَهُوَ الْمُقِيمُ بِهِ..

﴿وَٱلْبَادِ﴾ وَهُوَ الْمُنْتَابُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ..

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ وَهُوَ أَنْ يَمِيلَ فِي الْبَيْتِ الْحَرَام بِظُلْمٍ.. وَمَعْنِيٌّ بِالظُّلْمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كُلُّ مَعْصِيَةٍ للهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ فِي خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَمَنْ يُرِدْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَنْ يَمِيلَ بِظُلْمٍ، فَيَعْصِيَ اللهَ فِيهِ..

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾ [الحج: ٢٥] نُذِقْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابٍ مُوجِعٍ لَهُ.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

﴿وَإِذْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعْلِمَهُ عَظِيمَ مَا رَكِبَ مِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ بِعِبَادَتِهِمْ فِي حَرَمِهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﷺ بِبِنَائِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالرِّيَبِ وَالشِّرْكِ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ ابْتَدَأْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي يَعْبُدُ قَوْمُكَ فِيهِ غَيْرِي، إِذْ..

﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ وَطَّأْنَا لِخَلِيلِنَا إِبْرَاهِيمَ..

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الْكَعْبَةَ..

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ فِي عِبَادَتِكَ إِيَّايَ..

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الَّذِي بَنَيْتَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بِهِ..

﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ قِيَامٌ فِي صَلَاتِهِمْ..

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦] فِي صَلَاتِهِمْ حَوْلَ الْبَيْتِ.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾

[الحج: ٢٧].

﴿وَأَذِّن﴾ وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ أَيْضًا أَنْ أَعْلِمْ وَنَادِ..

﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أَنْ حُجُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ.. وَذُكِرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِالتَّأْذِينِ بِالْحَجِّ، قَامَ عَلَىٰ مَقَامِهِ فَنَادَىٰ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا بَيْتَهُ الْعَتِيقَ**)..

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فَإِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ الْبَيْتَ الَّذِي تَأْمُرُهُمْ بِحَجِّهِ مُشَاةً عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ..

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ وَرُكْبَانًا عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ وَهِيَ الْإِبِلُ الْمَهَازِيلُ..

﴿يَأْتِينَ﴾ تَأْتِي هَذِهِ الضَّوَامِرُ.. وَقِيلَ يَأْتِينَ فَجُمِعَ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِكُلِّ ضَامِرٍ النُّوقُ وَمَعْنَىٰ الْكُلِّ الْجَمْعُ فَلِذَلِكَ قِيلَ يَأْتِينَ..

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج: ٢٧] مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَمَسْلَكٍ بَعِيدٍ.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ [الحج: ٢٨].

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يُرْضِي اللهَ وَالتِّجَارَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ لَهُمْ مَنَافِعَ جَمِيعِ مَا يَشْهَدُ لَهُ الْمَوْسِمُ، وَيَأْتِي لَهُ مَكَّةَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا مِنْ مَنَافِعِهِمْ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ الْعُمُومِ فِي الْمَنَافِعِ الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وَكَيْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ..

﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ وَهُنَّ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَيَّامُ الْعَشْرِ.. وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ..

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالْبُدْنِ الَّتِي أَهْدَوْهَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ..

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ كُلُوا مِنْ بَهَائِمِ الْأَنْعَامِ الَّتِي ذَكَرْتُمُ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ هُنَالِكَ، وَهَذَا الْأَمْرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرُ إِبَاحَةٍ، لَا أَمْرُ إِيجَابٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْحُجَّةِ أَنَّ ذَابِحَ هَدْيِهِ أَوْ بَدَنَتِهِ هُنَالِكَ إِنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ بَدَنَتِهِ، أَنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْ لَهُ فَرْضًا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ..

﴿وَأَطْعِمُوا۟﴾ مِمَّا تَذْبَحُونَ أَوْ تَنْحَرُونَ هُنَالِكَ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ مِنْ هَدْيِكُمْ، وَبُدْنِكُمْ..

﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ الَّذِي بِهِ ضُرُّ الْجُوعِ وَالزَّمَانَةِ وَالْحَاجَةِ، وَ..

﴿ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ [الحج: ٢٨] الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ حَجِّهِمْ، مِنْ حَلْقِ شَعَرٍ، وَأَخْذِ شَارِبٍ، وَرَمْيِ جَمْرَةٍ، وَطَوَافٍ بِالْبَيْتِ..

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ وَلْيُوفُوا اللهَ بِمَا نَذَرُوا مِنْ هَدْيٍ، وَبَدَنَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ عُنِيَ بِالطَّوَافِ الَّذِي أَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَاجَّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ الَّذِي يُطَافُ بِهِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، إِمَّا يَوْمَ النَّحْرِ، وَإِمَّا بَعْدَهُ، لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ..

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩] بِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ ذَلِكَ لِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، لِأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ تَخْرِيبِهِ وَهَدْمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهُ عَتِيقٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِدَمِهِ.. وَلِكُلِّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَجْهٌ صَحِيحٌ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قَالَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِدَمِهِ، أَغْلَبُ مَعَانِيهِ عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠].

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَمَرَ بِهِ مِنْ قَضَاءِ التَّفَثِ، وَالْوَفَاءِ بِالنُّذُورِ، وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، هُوَ الْفَرْضُ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَجِّكُمْ..

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْتَنِبْ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِحُدُودِ اللهِ أَنْ يُوَاقِعَهَا، وَحُرَمِهِ أَنْ يَسْتَحِلَّهَا..

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَأُحِلَّتْ﴾ وَأَحَلَّ اللهُ..

﴿لَكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿الْأَنْعَامُ﴾ أَنْ تَأْكُلُوهَا إِذَا ذَكَّيْتُمُوهَا، فَلَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بَحِيرَةً، وَلَا سَائِبَةً، وَلَا وَصِيلَةً، وَلَا حَامًا، وَلَا مَا جَعَلْتُمُوهُ مِنْهَا لِآلِهَتِكُمْ..

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ، وَذَلِكَ: الْمَيْتَةُ، وَالدَّمُ، وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالْمُتَرَدِّيَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ،

فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ رِجْسٌ..

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ فَاتَّقُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي عِبَادَتِهَا، فَإِنَّهَا رِجْسٌ..

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠] وَاتَّقُوا قَوْلَ الْكَذِبِ، وَالْفِرْيَةَ عَلَىٰ اللهِ بِقَوْلِكُمْ فِي الْآلِهَةِ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَوْلِكُمْ لِلْمَلَائِكَةِ: هِيَ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ، وَزُورٌ، وَشِرْكٌ بِاللهِ.. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: اجْتَنِبُوا أَنْ تَرْجُسُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَوْثَانِ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ مِنَ الْأَوْثَانِ مَا لَيْسَ بِرِجْسٍ حَتَّىٰ قِيلَ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْهَا؟ قِيلَ: كُلُّهَا رِجْسٌ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْأَوْثَانِ، أَيْ: عِبَادَتَهَا، فَالَّذِي أَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ﴾ مِنْهَا اتِّقَاءُ عِبَادَتِهَا، وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ هِيَ الرِّجْسُ.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ اجْتَنِبُوا أَيُّهَا النَّاسُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَقَوْلَ الشِّرْكِ، مُسْتَقِيمِينَ للهِ عَلَىٰ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَإِفْرَادِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ، خَالِصًا دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ..

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ فَإِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ..

﴿فَكَأَنَّمَا﴾ فَمَثَلُهُ فِي بُعْدِهِ مِنَ الْهُدَىٰ، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَهَلَاكِهِ، وَذَهَابِهِ عَنْ رَبِّهِ..

﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مَثَلُ مَنْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ فَهَلَكَ..

﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أَوْ هَوَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ..

﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١] مِنْ بَعِيدٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: أَسْحَقَتْهُ الرِّيحُ، وَسَحَقَتْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلنَّخْلَةِ الطَّوِيلَةِ: نَخْلَةٌ سَحُوقٌ.. فَهَكَذَا مَثَلُ الْمُشْرِكِ بِاللهِ فِي بُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَمِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ، كَبُعْدِ هَذَا الْوَاقِعِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، أَوْ كَهَلَاكِ مَنِ اخْتَطَفَتْهُ الطَّيْرُ مِنْهُمْ فِي الْهَوَاءِ.. وَقِيلَ: ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾، وَقَدْ قِيلَ قَبْلَهُ: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وَخَرَّ فِعْلٌ مَاضٍ، وَتَخْطَفُهُ مُسْتَقْبَلٌ، فَعَطَفَ بِالْمُسْتَقْبَلِ عَلَىٰ الْمَاضِي، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ

فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ﴾ [الحج: ٢٥]، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ هُنَاكَ.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ اجْتِنَابِ الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَاجْتِنَابِ قَوْلِ الزُّورِ، حُنَفَاءَ للهِ..

﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ وَهُوَ اسْتِحْسَانُ الْبُدْنِ، وَاسْتِسْمَانُهَا، وَأَدَاءُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢] مِنْ تَقْوَىٰ قُلُوبِكُمْ.. وَقَالَ: (إِنَّهَا) وَأَنَّثَ وَلَمْ يَقُلْ: (فَإِنَّهُ)؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ: فَإِنَّ تِلْكَ التَّعْظِيمَةَ مَعَ اجْتِنَابِ الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣]، وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ فَإِنَّهَا مِنْ وَجَلِ الْقُلُوبِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَحَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهَا بِعَظَمَتِهِ، وَإِخْلَاصِ تَوْحِيدِهِ.

﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [الحج: ٣٣].

﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ فِي هَذِهِ الشَّعَائِرِ..

﴿مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ فَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الشَّعَائِرِ بُدْنًا وَهَدْيًا، فَمَنَافِعُهَا لَكُمْ مِنْ حِينَ تَمْلِكُونَ، إِلَىٰ أَنْ أَوْجَبْتُمُوهَا هَدَايَا وَبُدْنًا، وَمَا كَانَ مِنْهَا أَمَاكِنَ يُنْسَكُ للهِ عِنْدَهَا، فَمَنَافِعُهَا التِّجَارَةُ للهِ عِنْدَهَا، وَالْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ إِلَىٰ الشُّخُوصِ عَنْهَا، وَمَا كَانَ مِنْهَا أَوْقَاتًا بِأَنْ يُطَاعَ اللهُ فِيهَا بِعَمَلِ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَبِطَلَبِ الْمَعَاشِ فِيهَا بِالتِّجَارَةِ، إِلَىٰ أَنْ يُطَافَ بِالْبَيْتِ فِي بَعْضٍ، أَوْ يُوَافَىٰ الْحَرَمُ فِي بَعْضٍ، وَيُخْرَجُ عَنِ الْحَرَمِ فِي بَعْضٍ..

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ ثُمَّ مَحِلُّ الشَّعَائِرِ الَّتِي لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ..

﴿إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [الحج: ٣٣] فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ هَدْيًا أَوْ بُدْنًا فَبِمُوَافَاتِهِ الْحَرَمَ فِي الْحَرَمِ، وَمَا كَانَ مِنْ نُسُكٍ فَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ [الحج: ٣٤].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾ وَلِكُلِّ جَمَاعَةٍ سَلَفَ فِيكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ جعَلْنَا ذَبْحًا يُهْرِيقُونَ دَمَهُ..

﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ بِذَلِكَ، لِأَنَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَا لَيْسَ مِنَ الْأَنْعَامِ، كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لِلْبَهَائِمِ: بَهَائِمُ؛ لِأَنَّهَا لَا تتكَلَّمُ..

﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ، فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، وَلَهُ أَخْلِصُوا الْأُلُوهَةَ..

﴿فَلَهُۥٓ﴾ فَلِإِلَهِكُمْ..

﴿أَسْلِمُوا۟﴾ فَاخْضَعُوا بِالطَّاعَةِ، وَلَهُ فَذِلُّوا بِالْإِقْرَارِ بِالْعُبُودِيَّةِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤] الْخَاضِعِينَ للهِ بِالطَّاعَةِ، الْمُذْعِنِينَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٥].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فَهَذَا مِنْ نَعْتِ الْمُخْبِتِينَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ، وَتَخْضَعُ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَجَلًا مِنْ عِقَابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَخَطِهِ..

﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الْمَفْرُوضَةَ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ..

﴿يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٥] فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ إِنْفَاقُهَا فِيهِ، فِي زَكَاةٍ، وَنَفَقَةِ عِيَالٍ، وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

[الحج: ٣٦].

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ وَهِيَ جَمْعُ بَدَنَةٍ، وَقَدْ يُقَالُ لِوَاحِدِهَا: بَدَنٌ، وَإِذَا قِيلَ: بَدَنٌ، احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا وَوَاحِدًا.. وَالْبَدَنُ: هُوَ الضَّخْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِامْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ

صَاحِبِ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ: الْبَدَنُ، لِضِخَمِهِ، وَاسْتِرْخَاءِ لَحْمِهِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: قَدْ بَدَّنَ تَبْدِينًا.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَالْإِبِلُ الْعِظَامُ الْأَجْسَامِ، الضِّخَامُ..

﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ أَعْلَامِ أَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فِي مَنَاسِكِ حَجِّكُمْ إِذَا قَلَّدْتُمُوهَا وَجَلَّلْتُمُوهَا وَأَشْعَرْتُمُوهَا، عَلِمَ بِذَلِكَ، وَشُعِرَ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ..

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ لَكُمْ فِي الْبُدْنِ..

﴿خَيْرٌ﴾ وَذَلِكَ الْخَيْرُ هُوَ الْأَجْرُ فِي الْآخِرَةِ بِنَحْرِهَا، وَالصَّدَقَةُ بِهَا، وَفِي الدُّنْيَا: الرُّكُوبُ إِذَا احْتَاجَ إِلَىٰ رُكُوبِهَا..

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَىٰ الْبُدْنِ عِنْدَ نَحْرِكُمْ إِيَّاهَا..

﴿صَوَآفَّ﴾ مُصْطَفَّةً، وَاحِدُهَا: صَافَّةٌ، وَقَدْ صُفَّتْ بَيْنَ أَيْدِيهَا..قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قِيَامًا عَلَىٰ ثَلَاثِ قَوَائِمَ مَعْقُولَةٍ؛ بِاسْمِ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ..

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ فَإِذَا سَقَطَتْ فَوَقَعَتْ.. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ: إِذَا غَابَتْ فَسَقَطَتْ لِلتَّغَيُّبِ..

﴿جُنُوبُهَا﴾ إِلَىٰ الْأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ..

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ هَذَا مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ الْإِبَاحَةِ وَالْإِطْلَاقِ؛ يَقُولُ اللهُ: فَإِذَا نُحِرَتْ فَسَقَطَتْ مَيْتَةً بَعْدَ النَّحْرِ فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ أَكْلُهَا، وَلَيْسَ بِأَمْرِ إِيجَابٍ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (**إِنْ شَاءَ أَكَلَ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْكُلْ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ:** ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢]).. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (**الْمُشْرِكُونَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ، فَرُخِّصَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَنْ شَاءَ أَكَلَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَأْكُلْ**)..

﴿وَأَطْعِمُواْ﴾ فَأَطْعِمُوا مِنْهَا..

﴿ٱلْقَانِعَ﴾ السَّائِلُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَعْنِيُّ بِالْقَانِعِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُكْتَفِي بِمَا عِنْدَهُ وَالْمُسْتَغْنِيَ بِهِ، لَقِيلَ: وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالسَّائِلَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَنَعَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ، بِمَعْنَىٰ سَأَلَهُ وَخَضَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يَقْنَعُ قُنُوعًا؛ وَأَمَّا الْقَانِعُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ الْمُكْتَفِي، فَإِنَّهُ مِنْ قَنِعْتُ بِكَسْرِ النُّونِ..

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ الَّذِي يَأْتِيكَ يَتَعَرَّضُ لَكَ ولَا يَسْأَلُك، لِتُعْطِيَهُ وَتُطْعِمَهُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿سَخَّرْنَٰهَا﴾ سَخَّرْنَا الْبُدْنَ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦﴾ [الحج: ٣٦] لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ تَسْخِيرِهَا لَكُمْ.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٧].

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ لَنْ يَصِلَ إِلَىٰ اللهِ لُحُومُ بُدْنِكُمْ..

﴿وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتِّقَاؤُكُمْ إِيَّاهُ إِنِ اتَّقَيْتُمُوهُ فِيهَا، فَأَرَدْتُمْ بِهَا وَجْهَهُ، وَعَمِلْتُمْ فِيهَا بِمَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَكُمْ بِهِ فِي أَمْرِهَا، وَعَظَّمْتُمْ بِهَا حُرُمَاتِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ سَخَّرَ لَكُمُ الْبُدْنَ..

﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ كَيْ تُعَظِّمُوا اللهَ..

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ إِيَّاكُمْ لِدِينِهِ، وَلِلنُّسُكِ فِي حَجِّكُمْ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٧] الَّذِينَ أَطَاعُوا اللهَ، فَأَحْسَنُوا فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ غَائِلَةَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾ يَخُونُ اللهَ فَيُخَالِفُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيَعْصِيهِ، وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ..

﴿كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨] جَحُودٍ لِنِعَمِهِ عِنْدَهُ، لَا يَعْرِفُ لِمُنْعِمِهَا حَقَّهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا.. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ دَفْعَ اللهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ عَمَّنْ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

﴿أُذِنَ﴾ أَذِنَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِهِ..

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ظَلَمُوهُمْ بِقِتَالِهِمْ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩] لَقَادِرٌ، وَقَدْ نَصَرَهُمْ فَأَعَزَّهُمْ، وَرَفَعَهُمْ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ، وَأَذَلَّهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فَـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانِيَةُ رَدٌّ عَلَىٰ (الَّذِينَ) الأُولَىٰ..

﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ وَعَنَىٰ بِالْمُخْرَجِينَ مِنْ دُورِهِمُ: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ مَكَّةَ.. وَكَانَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ دُورِهِمْ وَتَعْذِيبُهُمْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَسَبُّهُمْ بَعْضَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَوَعِيدُهُمْ إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ الْخُرُوجِ عَنْهُمْ..

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَكَانَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ بِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ لَمْ يُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ: رَبُّنَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِمَنْ أَوْجَبَ قَبُولَ شَهَادَتِهِ فِي الْحُقُوقِ تَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ قَبُولُ شَهَادَتِهِ وَغَيْرِهِ، فَأَحْيَا بِذَلِكَ مَالَ هَذَا، وَيُوقَىٰ بِسَبَبِ هَذَا إِرَاقَةُ دَمِ هَذَا، وَتَرَكُوا الْمَظَالِمَ مِنْ أَجْلِهِ، لَتَظَالَمَ النَّاسُ فَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْلَا دِفَاعُهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَهُدِّمَ مَا ذَكَرَ، مِنْ دَفْعِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَكَفِّهِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ عَنْ ذَلِكَ؛ وَمِنْهُ كَفُّهُ بِبَعْضِهِمُ التَّظَالُمَ،

كَالسُّلْطَانِ الَّذِي كَفَّ بِهِ رَعِيَّتَهُ عَنِ التَّظَالُمِ بَيْنَهُمْ؛ وَمِنْهُ كَفُّهُ لِمَنْ أَجَازَ شَهَادَتَهُ بَيْنَهُمْ بِبَعْضِهِمْ عَنِ الذَّهَابِ بِحَقِّ مَنْ لَهُ قِبَلَهُ حَقٌّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَفْعٌ مِنْهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَظَالَمُوا، فَهَدَّمَ الْقَاهِرُونَ صَوَامِعَ الْمَقْهُورِينَ، وَبِيَعَهُمْ، وَمَا سَمَّىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَمْ يَضَعِ اللهُ تَعَالَىٰ دَلَالَةً فِي عَقْلٍ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، وَلَا جَاءَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، فَذَلِكَ عَلَىٰ الظَّاهِرِ وَالْعُمُومِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنْتُهُ قَبْلُ، لِعُمُومِ ظَاهِرِ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا..

﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ الرُّهْبَانِ..

﴿وَبِيَعٌ﴾ وَبِيَعُ النَّصَارَىٰ..

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ، وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ..

﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا..

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ﴾ وَلَيُعِينَنَّ اللهُ..

﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا عَلَىٰ عَدُوِّهِ؛ فَنَصْرُ اللهِ عَبْدَهُ: مَعُونَتُهُ إِيَّاهُ، وَنَصْرُ الْعَبْدِ رَبَّهُ: جِهَادُهُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ عَلَىٰ نَصْرِ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿عَزِيزٌ ۝﴾ [الحج: ٤٠] فِي مُلْكِهِ، يَقُولُ: مَنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝﴾ [الحج: ٤١].

﴿الَّذِينَ﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، فَـ ﴿الَّذِينَ﴾ هَاهُنَا رَدٌّ عَلَىٰ ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]..

﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إِنْ وَطَّنَّا لَهُمْ فِي الْبِلَادِ، فَقَهَرُوا الْمُشْرِكِينَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنْ نَصَرْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَقَهَرُوا مُشْرِكِي مَكَّةَ، أَطَاعُوا اللهَ، فَـ..

﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بِحُدُودِهَا..

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَنْ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ..

﴿وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَدَعُوا النَّاسَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ وَنَهُوا عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ، الَّذِي يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١] وَللهِ آخِرُ أُمُورِ الْخَلْقِ، يَعْنِي: أَنَّ إِلَيْهِ مَصِيرَهَا فِي الثَّوَابِ عَلَيْهَا، وَالْعِقَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ [الحج: ٤٢].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُسَلِّيًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا يَنَالُهُ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، وَحَاضًّا لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَلْحَقُهُ مِنْهُمْ مِنَ السَّبِّ وَالتَّكْذِيبِ: وَإِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ عَلَىٰ مَا آتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ، وَمَا تَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، فَذَلِكَ سُنَّةُ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ اللهِ الْمُشْرِكَةِ بِاللهِ، وَمِنْهَاجُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّكَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَذَابَ الْمُهِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَنَصْرِي إِيَّاكَ وَأَتْبَاعَكَ عَلَيْهِمْ آتِيهِمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، كَمَا أَتَىٰ عَذَابِي عَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بَعْدَ الْإِمْهَالِ إِلَىٰ بُلُوغِ الْآجَالِ..

﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قَبْلَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ..

﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ [الحج: ٤٢] قَوْمُ نُوحٍ، وَقَوْمُ عَادٍ، وَثَمُودٍ.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الحج: ٤٣].

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الحج: ٤٣] وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ.

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج: ٤٤].

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ﴾ وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، يَقُولُ: كَذَّبَ كُلُّ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ..

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (وَقَوْمُ مُوسَىٰ)؛ لِأَنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ قَدِ اسْتَجَابَتْ لَهُ، وَلَمْ تُكَذِّبْهُ، وَإِنَّمَا كَذَّبَهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْقِبْطِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِيهِمْ، كَمَا وُلِدَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ..

﴿فَأَمۡلَيۡتُ﴾ فَأَمْهَلْتُ..

﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ، فَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ..

﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمُ الْعِقَابَ بَعْدَ الْإِمْلَاءِ..

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤﴾ [الحج: ٤٤] فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ تَغْيِيرِي مَا كَانَ بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ، وَتَنَكُّرِي لَهُمْ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، أَلَمْ أُبْدِلْهُمْ بِالْكَثْرَةِ قِلَّةً؟ وَبِالْحَيَاةِ مَوْتًا وَهَلَاكًا؟ وَبِالْعِمَارَةِ خَرَابًا؟ يَقُولُ: فَكَذَلِكَ فِعْلِي بِمُكَذِّبِيكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَإِنْ أَمْلَيْتُ لَهُمْ إِلَىٰ آجَالِهِمْ، فَإِنِّي مُنْجِزُكَ وَعْدِي فِيهِمْ، كَمَا أَنْجَزْتُ غَيْرَكَ مِنْ رُسُلِي وَعْدِي فِي أُمَمِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، وَأَنْجَيْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾ [الحج: ٤٥].

﴿فَكَأَيِّن﴾ وَكَمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ أَهْلَهَا..

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾ وَهُمْ ظَالِمُونَ؛ يَقُولُ: وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ، وَيَعْصُونَ مَنْ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْصُوهُ..

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ فَبَادَ أَهْلُهَا وَخَلَتْ، وَخَوَتْ مِنْ سُكَّانِهَا، فَخَرِبَتْ وَتَدَاعَتْ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَىٰ عُرُوشِهَا؛ يَعْنِي عَلَىٰ بِنَائِهَا وَسُقُوفِهَا..

﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا، وَمِنْ بِئْرٍ عَطَّلْنَاهَا، بِإِفْنَاءِ أَهْلِهَا، وَهَلَاكِ وَارِدِيهَا، فَانْدَفَنَتْ وَتَعَطَّلَتْ، فَلَا وَارِدَةَ لَهَا، وَلَا شَارِبَةَ مِنْهَا..

﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾ وَمِنْ قَصْرٍ مَشِيدٍ، رَفِيعٍ بِالصُّخُورِ وَالْجِصِّ، قَدْ خَلَا مِنْ سُكَّانِهِ، بِمَا أَذَقْنَا أَهْلَهُ مِنْ عَذَابِنَا بِسُوءِ فِعَالِهِمْ، فَبَادُوا، وَبَقِيَ قُصُورُهُمُ الْمُشَيَّدَةُ خَالِيَةً مِنْهُمْ.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: ٤٦].

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَالْجَاحِدُونَ قُدْرَتَهُ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فِي الْبِلَادِ، فَيَنْظُرُوا إِلَىٰ مَصَارِعِ ضُرَبَائِهِمْ مِنْ مُكَذِّبِي رُسُلِ اللهِ، الَّذِينَ خَلَوْا

مِنْ قَبْلِهِمْ، كَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَشُعَيْبٍ، وَأَوْطَانِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، فَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَيَعْلَمُوا بِتَدَبُّرِهِمْ أَمْرَهَا، وَأَمْرَ أَهْلِهَا سُنَّةَ اللهِ فِيمَنْ كَفَرَ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، فَيُنِيبُوا مِنْ عُتُوِّهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَيَكُونُ لَهُمْ إِذَا تَدَبَّرُوا ذَلِكَ، وَاعْتَبَرُوا بِهِ، وَأَنَابُوا إِلَىٰ الْحَقِّ..

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ حُجَجَ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا..

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَوْ آذَانٌ تُصْغِي لِسَمَاعِ الْحَقِّ فَتَعِي ذَلِكَ، وَتُمَيِّزُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ..

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ أَبْصَارُهُمْ أَنْ يُبْصِرُوا بِهَا الْأَشْخَاصَ وَيَرَوْهَا، بَلْ يُبْصِرُونَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِهِمْ..

﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦] وَلَكِنْ تَعْمَىٰ قُلُوبُهُمُ الَّتِي فِي صُدُورِهِمْ عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ..

﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ بِمَا تَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ الَّذِي وَعَدَكَ فِيهِمْ مِنْ إِحْلَالِ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَوَفَىٰ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ..

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ وَإِنَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمٌ وَاحِدٌ..

﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧] كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عَدَدِكُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بِبَعِيدٍ، وَهُوَ عِنْدَكُمْ بَعِيدٌ؛ فَلِذَلِكَ لَا يُعَجِّلُ بِعُقُوبَةِ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ غَايَةَ مُدَّتِهِ، فَنَفَىٰ الْعَجَلَةَ عَنْ نَفْسِهِ، وَوَصَفَهَا بِالْأَنَاةِ وَالِانْتِظَارِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٨﴾ [الحج: ٤٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أَمْهَلْتُهُمْ، وَأَخَّرْتُ عَذَابَهُمْ..

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ، وَلِأَمْرِهِ مُخَالِفُونَ وَذَلِكَ كَانَ ظُلْمَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ

بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَلَمْ أَعْجَلْ بِعَذَابِهِمْ..

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بِالْعَذَابِ، فَعَذَّبْتُهَا فِي الدُّنْيَا بِإِحْلَالِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ..

﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨] وَإِلَيَّ مَصِيرُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، فَيَلْقَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ حِينَئِذٍ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَذَلِكَ حَالُ مُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، وَإِنْ أَمْلَيْتُ لَهُمْ إِلَىٰ آجَالِهِمُ الَّتِي أَجَّلْتُهَا لَهُمْ، فَإِنِّي آخُذُهُمْ بِالْعَذَابِ، فَقَاتِلُهُمْ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمُوجِعُهُمْ إِذَنْ عُقُوبَةً عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ آثَامِهِمْ.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الحج: ٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، اتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ..

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أُنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللهِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابَهُ فِي الْآخِرَةِ أَنْ تَصْلَوْهُ..

﴿مُبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الحج: ٤٩] أُبَيِّنُ لَكُمْ إِنْذَارِي ذَلِكَ، وَأُظْهِرُهُ، لِتُنِيبُوا مِنْ شِرْكِكُمْ، وَتَحْذَرُوا مَا أُنْذِرُكُمْ مِنْ ذَلِكَ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَعْجِيلُ الْعِقَابِ، وَتَأْخِيرُهُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَنِي بِهِ فَإِلَىٰ اللهِ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَصَفَ نِذَارَتَهُ، وَبِشَارَتَهُ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْبِشَارَةِ ذِكْرٌ، وَلَمَّا ذُكِرَتِ النِّذَارَةُ عَلَىٰ عَمَلٍ، عُلِمَ أَنَّ الْبِشَارَةَ عَلَىٰ خِلَافِهِ، فَقَالَ:.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠].

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَمِنْ غَيْرِكُمْ..

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لَهُمْ مِنَ اللهِ سَتْرُ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠] وَرِزْقٌ حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٥١].

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا فِي حُجَجِنَا، فَصَدُّوا عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِنَا، وَالْإِقْرَارِ بِكِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ..

﴿مُعَاجِزِينَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مُشَاقِّينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ

يُعْجِزُونَ اللهَ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ.. وَأَمَّا بَعْضُ قُرَّاءِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ قَرَأَهُ: (مُعَجِّزِينَ) بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ، بِغَيْرِ أَلِفٍ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ عَجَّزُوا النَّاسَ، وَثَبَّطُوهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَٰلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَٰلِكَ أَنَّ مَنْ عَجَّزَ عَنْ آيَاتِ اللهِ، فَقَدْ عَاجَزَ اللهَ، وَمِنْ مُعَاجَزَةِ اللهِ التَّعْجِيزُ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ، وَخِلَافِ أَمْرِهِ، وَكَانَ مِنْ صِفَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُبَطِّئُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، وَيُغَالِبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَهُ، وَيَغْلِبُونَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ لَهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ذَٰلِكَ مُعَاجَزَتَهُمُ اللهَ.. فَإِذْ كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَٰلِكَ.. وَأَمَّا الْمُعَاجَزَةُ فَإِنَّهَا الْمُفَاعَلَةُ، مِنَ الْعَجْزِ، وَمَعْنَاهُ: مُغَالَبَةُ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، أَيُّهُمَا يُعْجِزُهُ فَيَغْلِبُهُ الْآخَرُ وَيَقْهَرُهُ، وَأَمَّا التَّعْجِيزُ: فَإِنَّهُ التَّضْعِيفُ، وَهُوَ التَّفْعِيلُ مِنَ الْعَجْزِ..

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هُمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١﴾ [الحج: ٥١] سُكَّانُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ وَلَمْ يُرْسَلْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَلَا نَبِيٍّ مُحَدَّثٍ لَيْسَ بِمُرْسَلٍ..

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إِلَّا إِذَا تَلَا كِتَابَ اللهِ، وَقَرَأَ، أَوْ حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ..

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي تَلَاهُ وَقَرَأَهُ، أَوْ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ..

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فَيُذْهِبُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ ذَٰلِكَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ وَيُبْطِلُهُ..

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ثُمَّ يُخَلِّصُ اللهُ آيَاتِ كِتَابِهِ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَحْدُثُ فِي خَلْقِهِ مِنْ حَدَثٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَصَرْفِهِ لَهُمْ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ.

﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ [الحج: ٥٣].

﴿لِيَجۡعَلَ﴾ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، كَيْ يَجْعَلَ..

﴿مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فِي أُمْنِيَّةِ نَبِيِّهِ مِنَ الْبَاطِلِ..

﴿فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ اخْتِبَارًا يَخْتَبِرُ بِهِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ النِّفَاقِ؛ وَذَلِكَ الشَّكُّ فِي صِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَقِيقَةِ مَا يُخْبِرُهُمْ بِهِ..

﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَإِنَّ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ [الحج: ٥٣] لَفِي خِلَافِ اللهِ فِي أَمْرِهِ، بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٤﴾ [الحج: ٥٤].

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ وَكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللهِ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي أَحْكَمَهَا لِرَسُولِهِ وَنَسَخَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيهِ..

﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ﴾ فَيُصَدِّقُوا بِهِ..

﴿فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ فَتَخْضَعَ لِلْقُرْآنِ قُلُوبُهُمْ، وَتُذْعِنَ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا فِيهِ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾ وَإِنَّ اللهَ لَمُرْشِدُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٤﴾ [الحج: ٥٤] إِلَى الْحَقِّ الْقَاصِدِ، وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ، بِنَسْخِ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّةِ رَسُولِهِ، فَلَا يَضُرُّهُمْ كَيْدُ الشَّيْطَانِ وَإِلْقَاؤُهُ الْبَاطِلَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج: ٥٥].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِاللهِ..

﴿فِي مِرۡيَةٖ﴾ فِي شَكٍّ..

﴿مِّنۡهُ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَحْكَمَ اللهُ آيَاتِهِ..

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ لَا يَزَالُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْقُرْآنِ إِلَىٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ..

﴿بَغْتَةً﴾ وَهِيَ سَاعَةُ حَشْرِ النَّاسِ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ بَغْتَةً، يَقُولُ: فَجْأَةً، فَيَصِيرُوا إِلَىٰ الْعَذَابِ الْعَقِيمِ..

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج: ٥٥] لَهُ، فَلَا يُنْظَرُوا فِيهِ إِلَىٰ اللَّيْلِ، وَلَا يُؤَخَّرُوا فِيهِ إِلَىٰ الْمَسَاءِ، لَكِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ قَبْلَ الْمَسَاءِ.. قَالَ مُجَاهِدٌ: (يَوْمُ بَدْرٍ).. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: لَا يَزَالُونَ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً، أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ هِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ كَانَ الْيَوْمُ الْعَقِيمُ أَيْضًا هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَا قُلْنَا مِنْ تَكْرِيرِ ذِكْرِ السَّاعَةِ مَرَّتَيْنِ بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، وَذَلِكَ مَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ [الحج: ٥٦].

﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السُّلْطَانُ وَالْمُلْكُ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ..

﴿لِّلَّهِ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُنَازِعُهُ يَوْمَئِذٍ مُنَازِعٌ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكٌ يُدْعَوْنَ بِهَذَا الِاسْمِ، وَلَا أَحَدَ يَوْمَئِذٍ يُدْعَىٰ مَلِكًا سِوَاهُ..

﴿يَحْكُمُ﴾ يَفْصِلُ..

﴿بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ خَلْقِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ..

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَبِمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ..

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ [الحج: ٥٦] يَوْمَئِذٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ [الحج: ٥٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، إِنَّمَا هُوَ إِفْكٌ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ فَالَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿لَهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾ [الحج: ٥٧] عَذَابٌ مُذِلٌّ فِي جَهَنَّمَ.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ [الحج: ٥٨].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فَتَرَكُوا ذَلِكَ فِي رِضَا اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ وَهُمْ كَذَلِكَ..

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتِهِ..

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يَعْنِي بِالْحَسَنِ: الْكَرِيمَ؛ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِالرِّزْقِ الْحَسَنِ: الثَّوَابَ الْجَزِيلَ..

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ [الحج: ٥٨] وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَسَطَ فَضْلَهُ عَلَىٰ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَأَكْرَمَهُمْ.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝﴾ [الحج: ٥٩].

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ لَيُدْخِلَنَّ اللهُ الْمَقْتُولَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمَيِّتَ مِنْهُمْ..

﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ وَذَلِكَ الْمُدْخَلُ هُوَ الْجَنَّةُ..

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِهِ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ طَلَبَ الْغَنِيمَةِ أَوْ عَرَضٍ مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا..

﴿حَلِيمٌ ۝﴾ [الحج: ٥٩] عَنْ عُصَاةِ خَلْقِهِ، بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝﴾ [الحج: ٦٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ لِهَذَا، لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا..

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ اللهَ يَعِدُهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ إِنَّ اللهَ لَذُو عفو، وَصَفْحٍ لِمَنِ انْتَصَرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمَهُ الظَّالِمُ بِحَقٍّ..

﴿غَفُورٌ ۝٦٠﴾ [الحج: ٦٠] لِمَا فَعَلَ بِبَادِئِهِ بِالظُّلْمِ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ، غَيْرُ مُعَاقِبِهِ عَلَيْهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٦١﴾ [الحج: ٦١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا النَّصْرُ الَّذِي أَنْصُرُهُ عَلَىٰ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ عَلَىٰ الْبَاغِي..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا أَشَاءُ، فَمِنْ قُدْرَتِهِ أَنَّ اللهَ..

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ مَا يَنْقُصُ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، فَمَا نَقَصَ مِنْ هَذَا زَادَ فِي هَذَا..

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ وَيُدْخِلُ مَا انْتَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَمَا نَقَصَ مِنْ طُولِ هَذَا زَادَ فِي طُولِ هَذَا، وَبِالْقُدْرَةِ الَّتِي يَفْعَلُ ذَلِكَ يَنْصُرُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِمْ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ وَفَعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَنَّهُ ذُو سَمْعٍ لِمَا يَقُولُونَ مِنْ قَوْلٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿بَصِيرٞ ۝٦١﴾ [الحج: ٦١] بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، كُلُّ ذَلِكَ مَعَهُ بِمَرْأًى وَمَسْمَعٍ، وَهُوَ الْحَافِظُ لِكُلِّ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يُجَازِي جَمِيعَهُمْ عَلَىٰ مَا قَالُوا وَعَمِلُوا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ جَزَاءَهُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُ مِنْ إِيلَاجِي اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَإِيلَاجِي النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ لِأَنِّي أَنَا الْحَقُّ الَّذِي لَا مِثْلَ لِي، وَلَا شَرِيكَ، وَلَا نِدَّ..

﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وَأَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ..

﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ صَنْعَةِ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْمَصْنُوعُ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَفَتَتْرُكُونَ أَيُّهَا الْجُهَّالُ عِبَادَةَ مَنْ مِنْهُ النَّفْعُ، وَبِيَدِهِ الضُّرُّ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَتَعْبُدُونَ الْبَاطِلَ الَّذِي لَا تَنْفَعُكُمْ عِبَادَتُهُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ ذُو الْعُلُوِّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ..

﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢] الْعَظِيمُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ [الحج: ٦٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مَطَرًا..

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بِمَا يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِاسْتِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ بِذَلِكَ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ابْتِدَاعِ مَا شَاءَ أَنْ يَبْتَدِعَهُ..

﴿خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ [الحج: ٦٣] بِمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ النَّبْتِ مِنَ الْحَبِّ وَبِهِ.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤].

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ لَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، هُمْ عَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ وَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ كُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ..

﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤] عِنْدَ عِبَادِهِ فِي إِفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ لَكُمْ، تُصَرِّفُونَهُ فِيمَا أَرَدْتُمْ مِنْ حَوَائِجِكُمْ..

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ السُّفُنَ..

﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ، وَتَذْلِيلِهِ إِيَّاهَا لَكُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ بِقُدْرَتِهِ..

﴿أَن تَقَعَ﴾ أَنْ لَا تَقَعَ..

﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥] إِنَّهُ بِهِمْ لَذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، فَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ، أَمْسَكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ۝٦٦﴾ [الحج: ٦٦].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ، هُوَ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَجْسَامًا أَحْيَاءً، بِحَيَاةٍ أَحْدَثَهَا فِيكُمْ، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ ثُمَّ هُوَ يُمِيتُكُمْ مِنْ بَعْدِ حَيَاتِكُمْ فَيُفْنِيكُمْ عِنْدَ مَجِيءِ آجَالِكُمْ..

﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ عِنْدَ بَعْثِكُمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ..

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ۝٦٦﴾ [الحج: ٦٦] إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَجَحُودٌ لِنِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ خَلْقِهِ إِيَّاهُ، وَتَسْخِيرِهِ لَهُ مَا سَخَّرَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتَرْكِهِ إِهْلَاكَهُ بِإِمْسَاكِهِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَرْكِهِ إِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لَهُ.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ۝٦٧﴾ [الحج: ٦٧].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ لِكُلِّ جَمَاعَةِ قَوْمٍ هِيَ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ جَعَلْنَا مَأْلَفًا يَأْلَفُونَهُ، وَمَكَانًا.. عُنِيَ بِذَلِكَ إِرَاقَةُ الدَّمِ أَيَّامَ النَّحْرِ بِمِنًىٰ؛ لِأَنَّ الْمَنَاسِكَ الَّتِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ جَادَلُوا فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ إِرَاقَةَ الدَّمِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا جَادَلُوهُ فِي إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ الَّتِي هِيَ دِمَاءُ ذَبَائِحِ الْأَنْعَامِ، بِمَا قَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ مَنَاسِكَ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ مَنَاسِكُ فَإِنَّمَا هِيَ هَدَايَا أَوْ ضَحَايَا؛ وَلِذَلِكَ قُلْنَا: عُنِيَ بِالْمَنْسَكِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الذَّبْحُ، الَّذِي هُوَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا..

﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ يَعْتَادُونَهُ لِعِبَادَتِي فِيهِ، وَقَضَاءِ فَرَائِضِي، وَعَمَلًا يَلْزَمُونَهُ.. وَأَصْلُ الْمَنْسَكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَوْضِعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَعْتَادُهُ الرَّجُلُ وَيَأْلَفُهُ لَخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ يُقَالُ: إِنَّ لِفُلَانٍ مَنْسَكًا يَعْتَادُهُ: يُرَادُ مَكَانًا يَغْشَاهُ وَيَأْلَفُهُ لَخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَنَاسِكُ الْحَجِّ بِذَلِكَ، لِتَرَدُّدِ النَّاسِ إِلَىٰ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُعْمَلُ فِيهَا أَعْمَالُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ..

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ فِي ذَبْحِكَ وَمَنْسَكِكَ بِقَوْلِهِمْ: أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ الَّتِي قَتَلَهَا اللهُ؟ فَإِنَّكَ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنْهُمْ، لِأَنَّكَ مُحِقٌّ وَهُمْ مُبْطِلُونَ..

﴿وَٱدۡعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ مُنَازِعِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ فِي نُسُكِكَ وَذَبْحِكَ..

﴿إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ إِلَىٰ اتِّبَاعِ أَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ، بِأَنْ لَا يَأْكُلُوا إِلَّا مَا ذَبَحُوهُ بَعْدَ اتِّبَاعِكَ، وَبَعْدَ التَّصْدِيقِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَتَجَنَّبُوا الذَّبْحَ لِلْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا..

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ [الحج: ٦٧] إِنَّكَ لَعَلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ غَيْرِ زَائِلٍ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَالصَّوَابِ فِي نُسُكِكَ الَّذِي جَعَلَهُ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ رَبُّكَ، وَهُمُ الضُّلَّالُ عَلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، لِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ اللهِ فِي ذَبَائِحِهِمْ وَمَطَاعِمِهِمْ وَعِبَادَتِهِمُ الْآلِهَةَ.

> ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾ [الحج: ٦٨].

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وَإِنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ فِي نُسُكِكَ..

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾ [الحج: ٦٨] وَنَعْمَلُ.

> ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ [الحج: ٦٩].

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ﴾ وَاللهُ يَقْضِي..

﴿بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ..

﴿تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ [الحج: ٦٩] فَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ.

> ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ حَاكِمٌ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِجَمِيعِ مَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَمُجَازِي الْمُحْسِنَ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ عِلْمَهُ بِذَلِكَ..

﴿فِي كِتَابٍ﴾ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ كِتَابَ الْقَلَمِ الَّذِي أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ..

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾ [الحج: ٧٠] هَيِّنٌ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝﴾ [الحج: ٧١].

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ..

﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ..

﴿سُلْطَانًا﴾ حُجَّةً مِنَ السَّمَاءِ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ، بِأَنَّهَا آلِهَةٌ تَصْلُحُ عِبَادَتُهَا فَيَعْبُدُوهَا، بِأَنَّ اللهَ أَذِنَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا..

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ أَنَّهَا آلِهَةٌ..

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ وَمَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَوْثَانَ..

﴿مِن نَّصِيرٍ ۝﴾ [الحج: ٧١] مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ إِذَا أَرَادَ عِقَابَهُمْ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الحج: ٧٢].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الْعَابِدِينَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا..

﴿آيَاتُنَا﴾ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ حُجَجُهَا وَأَدِلَّتُهَا فِيمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ..

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تَتَبَيَّنُ فِي وُجُوهِهِمْ..

﴿الْمُنكَرَ﴾ مَا يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنْ تَغَيُّرِهَا، لِسَمَاعِهِمْ بِالْقُرْآنِ..

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يَكَادُونَ يَبْطِشُونَ..

﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، لِشِدَّةِ تَكَرُّهِهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..

﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ﴾ أَفَأُنَبِّئُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِأَكْرَهَ إِلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَكَرَّهُونَ قِرَاءَتَهُمُ الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ، هِيَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: وَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لَشَرُّ خَلْقِ اللهِ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ هَذَا الْقَوْلَ بِشَرٍّ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللهُ النَّارَ).

﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَشْرَارُ الْخَلْقِ لَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢﴾ [الحج: ٧٢] وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ جُعِلَ للهِ.. وَمَعْنَىٰ ﴿ضُرِبَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: جَعَلَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَرَبَ السُّلْطَانُ الْجِزْيَةَ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ، بِمَعْنَىٰ جَعَلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿مَثَلٞ﴾ وَذِكْرٌ.. وَالْمَثَلُ: الشَّبَهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: جُعِلَ لِي شَبَهٌ أَيُّهَا النَّاسُ، يَعْنِي بِالشَّبَهِ وَالْمِثْلِ: الْآلِهَةَ، يَقُولُ: جَعَلَ لِيَ الْمُشْرِكُونَ الْأَصْنَامَ شَبَهًا، فَعَبَدُوهَا مَعِي، وَأَشْرَكُوهَا فِي عِبَادَتِي..

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ فَاسْتَمِعُوا حَالَ مَا مَثَّلُوهُ وَجَعَلُوهُ لِي فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ شَبَهًا وَصِفَتَهُ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ جَمِيعَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ لَوْ جُمِعَتْ..

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا فِي صِغَرِهِ وَقِلَّتِهِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُهُ..

﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ وَلَوِ اجْتَمَعَ لِخَلْقِهِ جَمِيعُهَا..

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ﴾ وَإِنْ يَسْلُبُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ مِمَّا عَلَيْهَا مِنْ طِيبٍ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ شَيْءٍ..

﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ لَا تَقْدِرُ الْآلِهَةُ أَنْ تَسْتَنْقِذَ ذَلِكَ مِنْهُ..

﴿ضَعُفَ﴾ وَعَجَزَ..

﴿ٱلطَّالِبُ﴾ وَهُوَ الْآلِهَةُ أَنْ تَسْتَنْقِذَ مِنَ الذُّبَابِ مَا سَلَبَهَا إِيَّاهُ، وَهُوَ الطِّيبُ وَمَا أَشْبَهَهُ..

﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: ٧٣] الذُّبَابُ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْآلِهَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ ضَعْفِهَا وَمَهَانَتِهَا، تَقْرِيعًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَبَدَتَهَا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: كَيْفَ يُجْعَلُ مِثْلًا فِي الْعِبَادَةِ، وَيُشْرَكُ فِيهَا مَعِي، مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَىٰ خَلْقِ ذُبَابٍ، وَإِنْ أَخَذَ لَهُ الذُّبَابُ فَسَلَبَهُ شَيْئًا عَلَيْهِ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ وَلَا يَنْتَصِرَ، وَأَنَا الْخَالِقُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَالْمُحْيِي مَنْ أَرَدْتُ، وَالْمُمِيتُ مَا أَرَدْتُ، وَمَنْ أَرَدْتُ، إِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ مَا عَظَّمَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْآلِهَةَ لِلهِ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ، فَلَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا عَرَفْتَ لِفُلَانٍ قَدْرَهُ، إِذَا خَاطَبُوا بِذَلِكَ مِنْ قَصَّرَ بِحَقِّهِ، وَهُمْ يُرِيدُونَ تَعْظِيمَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنْ صَغِيرِ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَكَبِيرِهِ..

﴿عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] مَنِيعٌ فِي مُلْكِهِ، لَا يَقْدِرُ شَيْءٌ دُونَهُ أَنْ يَسْلُبَهُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ كَآلِهَتِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ خَلْقِ ذُبَابٍ، وَلَا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنَ الذُّبَابِ إِذَا اسْتَلَبَهَا شَيْئًا ضَعْفًا وَمَهَانَةً.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ اللهُ يَخْتَارُ..

﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ اللَّذَيْنِ كَانَا يُرْسِلُهُمَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ كَأَنْبِيَائِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ أَيْضًا رُسُلًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ذَلِكَ إِلَيَّ، وَبِيَدِي دُونَ خَلْقِي، أَخْتَارُ مَنْ شِئْتُ مِنْهُمْ لِلرِّسَالَةِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج: ٧٥] بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِرِسَالَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾ [الحج: ٧٦].

﴿يَعْلَمُ﴾ اللهُ يَعْلَمُ..

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مَا كَانَ بَيْنَ أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ..

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وَيَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾ [الحج: ٧٦] إِلَى اللهِ فِي الْآخِرَةِ تَصِيرُ إِلَيْهِ أُمُورُ الدُّنْيَا، وَإِلَيْهِ تَعُودُ كَمَا كَانَ مِنْهُ الْبَدْءُ.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ﴾

[الحج: ٧٧].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱرْكَعُوا﴾ للهِ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿وَٱسْجُدُوا﴾ لَهُ فِيهَا..

﴿وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وَذِلُّوا لِرَبِّكُمْ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ﴾ الَّذِي أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِفِعْلِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج: ٧٧] لِتُفْلِحُوا بِذَلِكَ، فَتُدْرِكُوا بِهِ طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ.

﴿وَجَٰهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

﴿وَجَٰهِدُوا فِي ٱللَّهِ﴾ عَنَىٰ بِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْجِهَادِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْأَغْلَبُ عَلَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ: جَاهَدْتُ فِي اللهِ..

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ هُوَ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ فِيهِ..

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ هُوَ اخْتَارَكُمْ لِدِينِهِ، وَاصْطَفَاكُمْ لِحَرْبِ أَعْدَائِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ..

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ رَبُّكُمْ..

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ الَّذِي تَعَبَّدَكُمْ بِهِ..

﴿مِنۡ حَرَجٖ﴾ مِنْ ضِيقٍ، لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِمَّا ابْتُلِيتُمْ بِهِ فِيهِ؛ بَلْ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، فَجَعَلَ التَّوْبَةَ مِنْ بَعْضٍ مَخْرَجًا، وَالْكَفَّارَةَ مِنْ بَعْضٍ، وَالْقِصَاصَ مِنْ بَعْضٍ، فَلَا ذَنْبَ يُذْنِبُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا وَلَهُ مِنْهُ فِي دَيْنِ الْإِسْلَامِ مَخْرَجٌ..

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، بَلْ وَسَّعَهُ، كَمِلَّةِ أَبِيكُمْ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ كَأَنَّهُ قِيلَ: ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَالْزَمُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ..

﴿هُوَ﴾ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: إِبْرَاهِيمُ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ؛ وَقَالُوا هُوَ كِنَايَةٌ مِنْ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ.. وَلَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يُسَمِّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مُسْلِمِينَ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِهِ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾، وَلَكِنَّ الَّذِي سَمَّانَا مُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي الْقُرْآنِ، اللهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ..

﴿سَمَّىٰكُمُ﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَهُ..

﴿وَفِي هَٰذَا﴾ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لِيَكُونَ﴾ اجْتَبَاكُمُ اللهُ وَسَمَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسْلِمِينَ، لِيَكُونَ..

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ..

﴿وَتَكُونُواْ﴾ أَنْتُمْ..

﴿شُهَدَآءَ﴾ حِينَئِذٍ..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ عَلَىٰ الرُّسُلِ أَجْمَعِينَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ مَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فَأَدُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ للهِ عَلَيْكُمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وَثِقُوا بِاللهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ..

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ فَنِعْمَ الْوَلِيُّ اللهُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ..

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨] وَنِعْمَ النَّاصِرُ هُوَ لَهُ عَلَى مَنْ بَغَاهُ بِسُوءٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجِّ

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (٢٣)
مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمانِيَ عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: ١].

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قَدْ أَدْرَكَ الْخُلُودَ فِي جَنَّاتِ رَبِّهِمْ وَفَازُوا بِطَلِبَتِهِمْ لَدَيْهِ..

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَعَمِلُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِمَّا سُمِّيَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ②﴾ [المؤمنون: ٢].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ إِذَا قَامُوا فِيهَا..

﴿خَٰشِعُونَ ②﴾ [المؤمنون: ٢] وَخُشُوعُهُمْ فِيهَا تَذَلُّلُهُمْ للهِ فِيهَا بِطَاعَتِهِ، وَقِيَامُهُمْ فِيهَا بِمَا أَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ فِيهَا، وَإِذَا تَذَلَّلَ للهِ فِيهَا الْعَبْدُ رُؤِيَتْ ذِلَّةُ خُضُوعِهِ فِي سُكُونِ أَطْرَافِهِ، وَشُغْلِهِ بِفَرْضِهِ، وَتَرْكِهِ مَا أُمِرَ بِتَرْكِهِ فِيهَا.. وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ قَبْلَ نُزُولِهَا، فَنُهُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَنْ ذَلِكَ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③﴾ [المؤمنون: ٣].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③﴾ [المؤمنون: ٣] وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ مُعْرِضُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ④﴾ [المؤمنون: ٤].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِزَكَاةِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا..

﴿فَٰعِلُونَ ④﴾ [المؤمنون: ٤] مُؤَدُّونَ، وَفِعْلُهُمُ الَّذِي وُصِفُوا بِهِ هُوَ أَدَاؤُهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ﴾ لِفُرُوجِ أَنْفُسِهِمْ، وَعُنِيَ بِالْفُرُوجِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فُرُوجُ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ أَقْبَالُهُمْ..

﴿حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥] يَحْفَظُونَهَا مِنْ إِعْمَالِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْفُرُوجِ.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٦].

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ إِلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي أَحَلَّهُنَّ اللهُ لِلرِّجَالِ بِالنِّكَاحِ..

﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِمَاءَهُمْ.. وَ (مَا) فِي مَحِلِّ خَفْضٍ عَطْفًا عَلَىٰ الْأَزْوَاجِ..

﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٦] فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ فَرْجَهُ عَنْ زَوْجِهِ وَمِلْكِ يَمِينِهِ، وَحَفِظَهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُوَبَّخٍ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا مَذْمُومٍ، وَلَا هُوَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ رَاكِبٌ ذنبًا يُلَامُ عَلَيْهِ.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧].

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ فَمَنِ الْتَمَسَ لِفَرْجِهِ مَنْكَحًا سِوَىٰ زَوْجَتِهِ وَمِلْكِ يَمِينِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧] فَهُمُ الْعَادُونَ حُدُودَ اللهِ، الْمُجَاوِزُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ الَّتِي ائْتُمِنُوا عَلَيْهَا..

﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾ وَهُوَ عُقُودُهُمُ الَّتِي عَاقَدُوا النَّاسَ..

﴿رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] حَافِظُونَ لَا يُضَيِّعُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يُوفُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ أَوْقَاتِ صَلَاتِهِمْ..

﴿يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩] فَلَا يُضَيِّعُونَهَا وَلَا يَشْتَغِلُونَ عَنْهَا حَتَّىٰ تَفُوتَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُرَاعُونَهَا حَتَّىٰ يُؤَدُّوهَا فِيهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١١].

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ الْبُسْتَانَ ذَا الْكَرْمِ، وَهُوَ الْفِرْدَوْسُ عِنْدَ الْعَرَبِ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: الْفِرْدَوْسُ: بُسْتَانٌ بِالرُّومِيَّةِ..

﴿هُمۡ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ..

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١١] مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون: ١٢].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ابْنَ آدَمَ..

﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون: ١٢] مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ، وَآدَمُ هُوَ الطِّينُ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْهُ.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: ١٣].

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الْإِنْسَانَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ..

﴿نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: ١٣] وَهُوَ حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ فِيهِ نُطْفَةُ الرَّجُلِ مِنْ رَحِمِ الْمَرْأَةِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَكِينٌ؛ لِأَنَّهُ مُكِّنَ لِذَلِكَ وَهُيِّئَ لَهُ لِيَسْتَقِرَّ فِيهِ إِلَىٰ بُلُوغِ أَمْرِهِ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ قَرَارًا.

﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ﴾ ثُمَّ صَيَّرْنَا النُّطْفَةَ الَّتِي جَعَلْنَاهَا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ عَلَقَةً، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ..

﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ﴾ فَجَعَلْنَا ذَلِكَ الدَّمَ مُضْغَةً، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ..

﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا﴾ فَجَعَلْنَا تِلْكَ الْمُضْغَةَ اللَّحْمَ عِظَامًا..

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ فَأَلْبَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا..

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ نَفْخَ الرُّوحِ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ يَتَحَوَّلُ خَلْقًا آخَرَ إِنْسَانًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ الَّتِي وَصَفَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ بِهَا، مِنْ نُطْفَةٍ وَعَلَقَةٍ وَمُضْغَةٍ وَعَظْمٍ، وَبِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي كُلِّهَا إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا تَحَوَّلَ أَبُوهُ آدَمُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِي الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا إِنْسَانًا وَخَلْقًا آخَرَ، غَيْرَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ..

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٤] فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الصَّانِعِينَ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [المؤمنون: ١٥].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدِ إِنْشَائِكُمْ خَلْقًا آخَرَ وَتَصْيِيرِنَاكُمْ إِنْسَانًا سَوِيًّا..

﴿لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [المؤمنون: ١٥] وَعَائِدُونَ تُرَابًا كَمَا كُنْتُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٦].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَعَوْدِكُمْ رُفَاتًا بَالِيًا..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٦] مِنَ التُّرَابِ خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا بَدَأْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾ [المؤمنون: ١٧].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ فَوْقَ شَيْءٍ طَرِيقَةً، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ سَبْعَ طَرَائِقَ، لِأَنَّ بَعْضَهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، فَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْهُنَّ طَرِيقَةٌ..

﴿وَمَا كُنَّا﴾ فِي خَلْقِنَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فَوْقَكُمْ..

﴿عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ عَنْ خَلْقِنَا الَّذِي تَحْتَهَا..

﴿غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾ [المؤمنون: ١٧] بَلْ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ فَتُهْلِكَهُمْ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨﴾
[المؤمنون: ١٨].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَاءٍ،

فَأَسْكَنَّاهُ فِيهَا..

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ الْمَاءِ الَّذِي أَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ [المؤمنون: ١٨] أَنْ نَذْهَبَ بِهِ، فَتَهْلَكُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَطَشًا، وَتَخْرَبَ أَرَضُوكُمْ، فَلَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا غَرْسًا، وَتَهْلَكَ مَوَاشِيكُمْ، يَقُولُ: فَمِنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ تَرْكِي ذَلِكَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَارِيًا.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ [المؤمنون: ١٩].

﴿فَأَنشَأْنَا﴾ فَأَحْدَثْنَا..

﴿لَكُم بِهِۦ﴾ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ لَكُمْ فِي الْجَنَّاتِ.. وَخَصَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْجَنَّاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ دُونَ وَصْفِهَا بِسَائِرِ ثِمَارِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الثِّمَارِ كَانَا هُمَا أَعْظَمَ ثِمَارِ الْحِجَازِ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا، فَكَانَتِ النَّخِيلُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالْأَعْنَابُ لِأَهْلِ الطَّائِفِ، فَذَكَّرَ الْقَوْمَ بِمَا يَعْرِفُونَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِمَارِهَا..

﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ [المؤمنون: ١٩] وَمِنَ الْفَوَاكِهِ تَأْكُلُونَ.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ٢٠﴾ [المؤمنون: ٢٠].

﴿وَشَجَرَةً﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ أَيْضًا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، وَيَعْنِي بِهَا: شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ..

﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ تَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ يُنْبِتُ الْأَشْجَارَ.. وَ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسْمٌ أُضِيفَ إِلَيْهِ الطُّورُ يُعْرَفُ بِهِ، كَمَا قِيلَ جَبَلَا طَيِّئٍ، فَأُضِيفَا إِلَىٰ طَيِّئٍ، وَأَنَّهُ جَبَلٌ عُرِفَ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي نُودِيَ مِنْهُ مُوسَىٰ ﷺ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُبَارَكٌ، لَا أَنَّ مَعْنَىٰ سَيْنَاءَ مَعْنَىٰ مُبَارَكٍ..

﴿تَنۢبُتُ﴾ هَذِهِ الشَّجَرَةُ..

﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ بِثَمَرِ الدُّهْنِ، وَالدُّهْنُ الَّذِي هُوَ مِنْ ثَمَرِهِ الزَّيْتُ..

﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ٢٠﴾ [المؤمنون: ٢٠] تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَبِصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ، يَصْطَبِغُ بِالزَّيْتِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَهُ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٢١﴾ [المؤمنون: ٢١].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ تَعْتَبِرُونَ بِهَا، فَتَعْرِفُونَ بِهَا أَيَادِيَ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ شَاءَهُ..

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ مِنَ اللَّبَنِ الْخَارِجِ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ..

﴿وَلَكُمْ﴾ مَعَ ذَٰلِكَ..

﴿فِيهَا﴾ فِي الْأَنْعَامِ..

﴿مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ وَذَٰلِكَ كَالْإِبِلِ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَيُرْكَبُ ظَهْرُهَا، وَيُشْرَبُ دَرُّهَا..

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٢١﴾ [المؤمنون: ٢١] مِنْ لُحُومِهَا تَأْكُلُونَ.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ٢٢﴾ [المؤمنون: ٢٢].

﴿وَعَلَيْهَا﴾ وَعَلَىٰ الْأَنْعَامِ..

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ وَعَلَىٰ السُّفُنِ..

﴿تُحْمَلُونَ ٢٢﴾ [المؤمنون: ٢٢] عَلَىٰ هَٰذِهِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَىٰ هَٰذِهِ فِي الْبَحْرِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ [المؤمنون: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ دَاعِيهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِنَا وَتَوْحِيدِنَا وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَانَا..

﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ نُوحٌ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قَالَ لَهُمْ: ذِلُّوا يَا قَوْمِ للهِ بِالطَّاعَةِ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يَقُولُ: مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ غَيْرُهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ [المؤمنون: ٢٣] أَفَلَا تَخْشَوْنَ بِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ عِقَابَهُ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٤].

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ فَقَالَتْ جَمَاعَةُ أَشْرَافِ قَوْمِ نُوحٍ، الَّذِينَ جَحَدُوا

تَوْحِيدَ اللهِ وَكَذَّبُوهُ، لِقَوْمِهِمْ..

﴿مَا هَٰذَا﴾ مَا نُوحُ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُكُمْ وَكَبَعْضِكُمْ..

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ، فَيَكُونَ مَتْبُوعًا وَأَنْتُمْ لَهُ تَبَعٌ..

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ لَا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿لَأَنزَلَ﴾ لَأَرْسَلَ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ نُوحٌ..

﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾ تُؤَدِّي إِلَيْكُمْ رِسَالَتَهُ..

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ نُوحٌ مِنْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُ اللهِ..

﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤] فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَهِيَ آبَاؤُهُمُ الْأَوَّلُونَ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: ٢٥].

﴿إِنْ هُوَ﴾ كِنَايَةُ اسْمِ نُوحٍ..

﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ مَا نُوحٌ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جُنُونٌ..

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ فَتَلَبَّثُوا بِهِ، وَتَنَظَّرُوا بِهِ..

﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: ٢٥] إِلَىٰ وَقْتٍ مَا، وَلَمْ يَعْنُوا بِذَلِكَ وَقْتًا مَعْلُومًا، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: دَعْهُ إِلَىٰ يَوْمٍ مَا، أَوْ إِلَىٰ وَقْتٍ مَا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون: ٢٦].

﴿قَالَ﴾ نُوحٌ دَاعِيًا رَبَّهُ مُسْتَنْصِرًا بِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، لَمَّا طَالَ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ، وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ..

﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عَلَىٰ قَوْمِي..

﴿بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون: ٢٦] يَعْنِي بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ، فِيمَا بَلَّغْتُهُمْ مِنْ رِسَالَتِكَ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم﴾ [المؤمنون: ٢٧].

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ فَقُلْنَا لَهُ حِينَ اسْتَنْصَرَنَا عَلَىٰ كَفَرَةِ قَوْمِهِ..

﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ وَهِيَ السَّفِينَةُ..

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بِمَرْأًى مِنَّا وَمَنْظَرٍ..

﴿وَوَحْيِنَا﴾ وَبِتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ صَنْعَتَهَا..

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ فَإِذَا جَاءَ قَضَاؤُنَا فِي قَوْمِكَ، بِعَذَابِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ..

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَىٰ اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي صِفَةِ التَّنُّورِ وَالصَّوَابَ عِنْدَنَا مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ بِشَوَاهِدِهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ فَأَدْخِلْ فِي الْفُلْكِ وَاحْمِلْ..

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ وَهُمْ وَلَدُهُ وَنِسَاؤُهُمْ..

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ مِنَ اللهِ بِأَنَّهُ هَالِكٌ فِيمَنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِكَ، فَلَا تَحْمِلْهُ مَعَكَ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِكَ..

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِى﴾ وَلَا تَسْأَلْنِي..

﴿فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ أَنْ أُنَجِّيَهُمْ..

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون: ٢٧] فَإِنِّي قَدْ حَتَّمْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ أُغْرِقَ جَمِيعَهُمْ.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾ فَإِذَا اعْتَدَلْتَ فِي السَّفِينَةِ..

﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ مِمَّنْ حَمَلْتَهُ مَعَكَ مِنْ أَهْلِكَ..

﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ رَاكِبًا فِيهَا عَالِيًا فَوْقَهَا..

﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨] يَعْنِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩].

﴿وَقُل﴾ إِذَا سَلَّمَكَ اللهُ وَأَخْرَجَكَ مِنَ الْفُلْكِ فَنَزَلْتَ عَنْهَا..

﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩] مَنْ أَنْزَلَ عِبَادَهُ الْمَنَازِلَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون: ٣٠].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْنَا بِقَوْمِ نُوحٍ يَا مُحَمَّدُ مِنْ إِهْلَاكِنَاهُمْ إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَجَحَدُوا

وَحْدَانِيَّتَنَا، وعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لِعِبَرًا لِقَوْمِكَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَعِظَاتٍ، وَحُجَجًا لَنَا، يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ سُنَّتِنَا فِي أَمْثَالِهِمْ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ كُفْرِهِمْ، وَيَرْتَدِعُوا عَنْ تَكْذِيبِكَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠﴾ [المؤمنون: ٣٠] وَكُنَّا مُخْتَبِرِيهِمْ بِتَذْكِيرِنَا إِيَّاهُمْ بِآيَاتِنَا، لِنَنْظُرَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ نُزُولِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١﴾ [المؤمنون: ٣١].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ ثُمَّ أَحْدَثْنَا..

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِنْ بَعْدِ مَهْلِكِ قَوْمِ نُوحٍ..

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١﴾ [المؤمنون: ٣١] فَأَوْجَدْنَاهُمْ.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [المؤمنون: ٣٢].

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ دَاعِيًا لَهُمْ.. وَعُنِيَ بِالرَّسُولِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: صَالِحًا، وَبِقَوْمِهِ: ثَمُودَ..

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يَا قَوْمِ، وَأَطِيعُوهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ..

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَصْلُحُ أَنْ تَعْبُدُوا سِوَاهُ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [المؤمنون: ٣٢] أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ بِعِبَادَتِكُمْ شَيْئًا دُونَهُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣﴾ [المؤمنون: ٣٣].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ وَقَالَتِ الْأَشْرَافُ..

﴿مِن قَوْمِهِ﴾ مِنْ قَوْمِ الرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلْنَا بَعْدَ نُوحٍ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَنَعَّمْنَاهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، بِمَا وَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ

وَبَسَطْنَا لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، حَتَّىٰ بَطِرُوا وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا..

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ قَالُوا: بَعَثَ اللهُ صَالِحًا إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ بَيْنِنَا، وَخَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ دُونَنَا، وَهُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُنَا..

﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ يَأْكُلُ مِمَّا نَأْكُلُ مِنْهُ مِنَ الطَّعَامِ..

﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣﴾ [المؤمنون: ٣٣] وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابِكُمْ، فَكَيْفَ لَمْ يُرْسِلْ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ يُبَلِّغُنَا رِسَالَتَهُ؟

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤].

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَقَبِلْتُمْ مَا يَقُولُ وَصَدَّقْتُمُوهُ..

﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤] إِنَّكُمْ إِذَنْ لَمَغْبُونُونَ حُظُوظَكُمْ مِنَ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا، بِاتِّبَاعِكُمْ إِيَّاهُ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾ [المؤمنون: ٣٥].

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ صَالِحٌ..

﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا﴾ فِي قُبُورِكُمْ..

﴿وَعِظَٰمًا﴾ قَدْ ذَهَبَتْ لُحُومُ أَجْسَادِكُمْ، وَبَقِيَتْ عِظَامُهَا..

﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾ [المؤمنون: ٣٥] مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ؟

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦].

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بَعِيدٌ بَعِيدٌ..

﴿لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦] مَا تُوعَدُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، مِنْ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَمَصِيرِكُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مُخْرَجُونَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ، يَقُولُونَ: ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ مَا حَيَاةٌ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ تَمُوتُ الْأَحْيَاءُ مِنَّا، فَلَا تَحْيَا، وَيُحْدَثُ آخَرُونَ مِنَّا فَيُولَدُونَ أَحْيَاءً..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ٣٨﴾ [المؤمنون: ٣٨].

﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا صَالِحٌ..

﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ﴾ اخْتَلَقَ..

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فِي قَوْلِهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُ اللهِ، وَفِي وَعْدِهِ إِيَّاكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ..

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ٣٨﴾ [المؤمنون: ٣٨] فِيمَا يَقُولُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُ اللهِ، وَفِيمَا يَعِدُنَا مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾ [المؤمنون: ٣٩].

﴿قَالَ﴾ صَالِحٌ لَمَّا أَيِسَ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ بِاللهِ وَمِنْ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمْ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ..

﴿رَبِّ انْصُرْنِي﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ..

﴿بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾ [المؤمنون: ٣٩] بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَاسْتَغَاثَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بِرَبِّهِ مِنْ أَذَاهُمْ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ٤٠﴾ [المؤمنون: ٤٠].

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ مُجِيبًا فِي مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ مَا سَأَلَ..

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عَنْ قَلِيلٍ يَا صَالِحُ..

﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ مُكَذِّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ..

﴿نَادِمِينَ ٤٠﴾ [المؤمنون: ٤٠] وَذَلِكَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمْ نِقْمَتُنَا فَلَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤١﴾ [المؤمنون: ٤١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ فَأَخَذَتْهُمْ بِالْحَقِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَاقَبَهُمْ بِاسْتِحْقَاقِهِمُ الْعِقَابَ مِنْهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ..

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ فَصَيَّرْنَاهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْغُثَاءِ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ عَلَىٰ السَّيْلِ وَنَحْوِهِ، كَمَا لَا يُنْتَفَعُ

بِهِ فِي شَيْءٍ، فَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ، وَالْمَعْنَى: فَأَهْلَكْنَاهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ كَالشَّيْءِ الَّذِي لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١] فَأَبْعَدَ اللهُ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ بِهَلَاكِهِمْ، إِذْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ ثُمَّ أَحْدَثْنَا..

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢] مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ ثَمُودَ قَوْمًا آخَرِينَ.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٣].

﴿مَا تَسْبِقُ﴾ مَا يَتَقَدَّمُ هَلَاكُ أُمَّةٍ..

﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَاهَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿أَجَلَهَا﴾ قَبْلَ الْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلْنَا لِهَلَاكِهَا..

﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٣] وَلَا يَسْتَأْخِرُ هَلَاكُهَا عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلْنَا لِهَلَاكِهَا، وَالْوَقْتِ الَّذِي وَقَّتْنَا لِفَنَائِهَا؛ وَلَكِنَّهَا تَهْلِكُ لِمَجِيئِهِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي قَوْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ تَأْخِيرَهُ فِي آجَالِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، لِيَبْلُغُوا الْأَجَلَ الَّذِي أَجَّلَ لَهُمْ، فَيُحِلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، كَسُنَّتِهِ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَبَعْضُهَا فِي أَثَرِ بَعْضٍ..

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ مِنْ تِلْكِ الْأُمَمِ الَّتِي أَنْشَأْنَاهَا بَعْدَ ثَمُودَ..

﴿رَّسُولُهَا﴾ الَّذِي نُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿كَذَّبُوهُ﴾ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا..

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَ تِلْكَ الْأُمَمِ بَعْضًا بِالْهَلَاكِ، فَأَهْلَكْنَا بَعْضَهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ..

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِلنَّاسِ، وَمَثَلًا يُتَحَدَّثُ بِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ حَدِيثٍ، وَإِنَّمَا

قِيلَ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ جُعِلُوا حَدِيثًا، وَمَثَلًا يُتَمَثَّلُ بِهِمْ فِي الشَّرِّ، وَلَا يُقَالُ فِي الْخَيْرِ: جَعَلْتُهُ حَدِيثًا، وَلَا أُحْدُوثَةً..

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ﴾ فَأَبْعَدَ اللهُ قَوْمًا..

﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤] بِاللهِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ بَعْدَ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥] بِحُجَجِنَا.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون: ٤٦].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ..

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون: ٤٦] عَلَىٰ أَهْلِ نَاحِيَتِهِمْ وَمَنْ فِي بِلَادِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ بِالظُّلْمِ، قَاهِرِينَ لَهُمْ.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

﴿فَقَالُوا﴾ فَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ..

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ فَنَتَّبِعُهُمَا..

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧] يَعْنُونَ أَنَّهُمْ لَهُمْ مُطِيعُونَ مُتَذَلِّلُونَ، يَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِمْ، وَيَدِينُونَ لَهُمْ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ مَنْ دَانَ لِمَلِكٍ عَابِدًا لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِأَهْلِ الْحِيرَةِ: الْعِبَادُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ طَاعَةٍ لِمُلُوكِ الْعَجَمِ.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٨].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ..

﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٨] فَكَانُوا مِمَّنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ كَمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِتَكْذِيبِهَا رُسُلَهَا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٤٩].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٤٩] لِيَهْتَدِيَ بِهَا قَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٠].

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ حُجَّةً لَنَا عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَهُمْ، وَعَلَىٰ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ إِنْشَاءِ الْأَجْسَامِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، كَمَا أَنْشَأْنَا خَلْقَ عِيسَىٰ مِنْ غَيْرِ أَبٍ..

﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ﴾ وَضَمَمْنَاهُمَا وَصَيَّرْنَاهُمَا..

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ إِلَىٰ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَىٰ مَا حَوْلَهُ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي رِفْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعِزٍّ وَشَرَفٍ وَعَدَدٍ: هُوَ فِي رَبْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَفِيهَا لُغَتَانِ: ضَمُّ الرَّاءِ، وَكَسْرُهَا إِذَا أُرِيدَ بِهَا الِاسْمُ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهَا الْفَعْلَةُ مِنَ الْمَصْدَرِ قِيلَ: رَبَا رَبْوَةً..

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٠] مِنْ صِفَةِ الرَّبْوَةِ الَّتِي أَوَيْنَا إِلَيْهَا مَرْيَمَ وَابْنَهَا عِيسَىٰ، أَنَّهَا أَرْضٌ مُنْبَسِطَةٌ، وَسَاحَةٌ وَذَاتُ مَاءٍ ظَاهِرٍ لِغَيْرِ الْبَاطِنِ جَارٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ وَقُلْنَا لِعِيسَىٰ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ..

﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ كُلُوا مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي طَيَّبَهُ اللهُ لَكُمْ دُونَ الْحَرَامِ..

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ تَقُولُ فِي الْكَلَامِ لِلرَّجُلِ الْوَاحِدِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ كُفُّوا عَنَّا أَذَاكُمْ، وَكَمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَهُوَ رَجُلٌ وَاحِدٌ..

﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝﴾ [المؤمنون: ٥١] إِنِّي بِأَعْمَالِكُمْ ذُو عِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنَا مُجَازِيكُمْ بِجَمِيعِهَا، وَمُوَفِّيكُمْ أُجُورَكُمْ وَثَوَابَكُمْ عَلَيْهَا، فَخُذُوا فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ وَاجْتَهِدُوا.

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٢].

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وَقُلْنَا لِعِيسَىٰ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَقُلْنَا: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً.. وَقِيلَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الَّذِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الدِّينُ وَالْمِلَّةُ..

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ..

﴿فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢] بِطَاعَتِي تَأْمَنُوا عِقَابِي.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣].

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ اللهُ بِلُزُومِ دِينِهِ بَيْنَهُمْ..

﴿زُبُرًاۖ﴾ كُتُبًا، فَدَانَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِكِتَابٍ غَيْرِ الْكِتَابِ الَّذِينَ دَانَ بِهِ الْفَرِيقُ الْآخَرُ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ دَانُوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ، وَكَذَّبُوا بِحُكْمِ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَكَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ دَانُوا بِالْإِنْجِيلِ بِزَعْمِهِمْ وَكَذَّبُوا بِحُكْمِ الْفُرْقَانِ..

﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ..

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بِمَا اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالْكُتُبِ..

﴿فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣] مُعْجَبُونَ بِهِ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ سِوَاهُ.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون: ٥٤].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فَدَعْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا..

﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَغَيِّهِمْ..

﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون: ٥٤] إِلَىٰ أَجَلٍ سَيَأْتِيهِمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ عَذَابِي.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ أَيَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ زُبُرًا..

﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥] أَنَّ الَّذِيَ نُعْطِيهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٦].

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ نُسَابِقُ لَهُمْ..

﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ فِي خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ، وَنُبَادِرُ لَهُمْ فِيهَا؟

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٦] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَكْذِيبًا لَهُمْ: مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ بَلْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ إِمْدَادِيَ إِيَّاهُمْ بِمَا أُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ إِمْلَاءٌ وَاسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٥٧﴾ [المؤمنون: ٥٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿مُّشْفِقُونَ ٥٧﴾ [المؤمنون: ٥٧] فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ دَائِبُونَ فِي طَاعَتِهِ، جَادُّونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨﴾ [المؤمنون: ٥٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ كِتَابِهِ وَحُجَجِهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ ٥٨﴾ [المؤمنون: ٥٨] مُصَدِّقُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩] وَالَّذِينَ يُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ عِبَادَتَهُمْ، فَلَا يَجْعَلُونَ لَهُ فِيهَا لِغَيْرِهِ شِرْكًا لِوَثَنٍ وَلَا لِصَنَمٍ، وَلَا يُرَاءُونَ بِهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَعْمَالَهُمْ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَإِيَّاهُ يَقْصِدُونَ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ وَالَّذِينَ يُعْطُونَ أَهْلَ سُهْمَانَ الصَّدَقَةَ مَا فَرَضَ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ..

﴿مَآ ءَاتَوا۟﴾ مَا أَعْطَوْهُمْ إِيَّاهُ مِنْ صَدَقَةٍ، وَيُؤَدُّونَ حُقُوقَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ إِلَىٰ أَهْلِهَا..

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خَائِفَةٌ..

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] مِنْ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، فَلَا يُنَجِّيهِمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَهُمْ خَائِفُونَ مِنَ الْمَرْجِعِ إِلَىٰ اللهِ لِذَلِكَ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً.. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «**لَا يَا ابْنَةَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ**».

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُهُمْ..

﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يُبَادِرُونَ..

﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَطْلُبُونَ الزُّلْفَةَ عِنْدَ اللهِ بِطَاعَتِهِ..

﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١] سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ السَّعَادَةُ قَبْلَ مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ، وَلَمَّا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ سَارَعُوا فِيهَا.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢].

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا يَسَعُهَا وَيَصْلُحُ لَهَا مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَلِذَلِكَ كَلَّفْنَاهَا مَا كَلَّفْنَاهَا مِنْ مَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَشَرَعْنَا لَهَا مَا شَرَعْنَا مِنَ الشَّرَائِعِ..

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ وَعِنْدَنَا كِتَابُ أَعْمَالِ الْخَلْقِ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يُبَيِّنُ بِالصِّدْقِ عَمَّا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا، لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ، وَلَا نُقْصَانَ، وَنَحْنُ مُوَفُّو جَمِيعِهِمْ أُجُورَهُمْ، الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢] بِأَنْ يُزَادَ عَلَىٰ سَيِّئَاتِ الْمُسِيءِ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَعْمَلْهُ فَيُعَاقَبَ عَلَىٰ غَيْرِ جُرْمِهِ، وَيُنْقَصَ الْمُحْسِنُ عَمَّا عَمِلَ مِنْ إِحْسَانِهِ، فَيُنْقَصَ عَمَّا لَهُ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣].

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ مَا الأَمْرُ كَمَا يَحْسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، مِنْ أَنَّ إِمْدَادَنَاهُمْ بِمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، بِخَيْرٍ نَسُوقُهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَالرِّضَا مِنَّا عَنْهُمْ؛ وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ..

﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ فِي عَمًىٰ، وَعُنِيَ بِالْغَمْرَةِ: مَا غَمَرَ قُلُوبَهُمْ فَغَطَّاهَا..

﴿مِنْ هَذَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، عَنْ فَهْمِ مَا أَوْدَعَ اللهُ كِتَابَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ وَالْحُجَجِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ..

﴿أَعْمَالٌ﴾ لَا يَرْضَاهَا اللهُ مِنَ الْمَعَاصِي..

﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ مِنْ دُونِ أَعْمَالِ أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَأَهْلِ التَّقْوَىٰ وَالْخَشْيَةِ لَهُ..

﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣] لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [المؤمنون: ٦٤].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، إِلَىٰ أَنْ يُؤْخَذَ أَهْلُ النِّعْمَةِ وَالْبَطَرِ مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [المؤمنون: ٦٤] فَإِذَا أَخَذْنَاهُمْ بِهِ جَأَرُوا، وَضَجُّوا وَاسْتَغَاثُوا مِمَّا حَلَّ بِهِمْ

مِنْ عَذَابِنَا، وَالْجُؤَارُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، كَمَا يَجْأَرُ الثَّوْرُ.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ [المؤمنون: ٦٥].

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ لَا تَضِجُّوا وَتَسْتَغِيثُوا..

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وَقَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْعَذَابُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَإِنَّ ضَجِيجَكُمْ غَيْرُ نَافِعِكُمْ، وَلَا دَافِعٍ عَنْكُمْ شَيْئًا مِمَّا قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ..

﴿إِنَّكُم مِّنَّا﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي قَدْ حَلَّ بِكُمْ..

﴿لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ [المؤمنون: ٦٥] لَا تُسْتَنْقَذُونَ، وَلَا يُخَلِّصُكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ [المؤمنون: ٦٦].

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ: لَا تَضِجُّوا الْيَوْمَ وَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ سَخَطُ اللهِ وَعَذَابُهُ، بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَاسْتَوْجَبْتُمُوهُ بِكُفْرِكُمْ بِآيَاتِ رَبِّكُمْ، قَدْ كَانَتْ آيَاتُ كِتَابِ اللهِ..

﴿تُتْلَىٰ﴾ تُقْرَأُ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ فَتُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ [المؤمنون: ٦٦] وَتَرْجِعُونَ مُوَلِّينَ عَنْهَا إِذَا سَمِعْتُمُوهَا، كَرَاهِيَةً مِنْكُمْ لِسَمَاعِهَا.. وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ: نَكَصَ فُلَانٌ عَلَىٰ عَقِبِهِ.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٧].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِحَرَمِ اللهِ، يَقُولُونَ: لَا يَظْهَرُ عَلَيْنَا فِيهِ أَحَدٌ، لِأَنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ..

﴿سَـٰمِرًا﴾ تَسْمُرُونَ بِاللَّيْلِ حَوْلَ الْبَيْتِ..

﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٧] وَصَفَهُمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ أَوِ الْبَيْتِ، أَوْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَفْضِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ شَيْئًا مِنَ الْقَوْلِ، كَمَا يَهْجُرُ الرَّجُلُ فِي مَنَامِهِ، وَذَلِكَ إِذَا هَذَىٰ؛ فَكَأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾ أَفَلَمْ يَتَدَبَّرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ تَنْزِيلَ اللهِ وَكَلَامَهُ، فَيَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ، وَيَعْرِفُوا حُجَجَ اللهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِ فِيهِ؟..

﴿أَمْ جَآءَهُم﴾ أَمْرٌ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ ﴿أَمْ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَىٰ: (بَلْ)، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ؟ بَلْ جَاءَهُمْ..

﴿مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨] مَا لَمْ يَأْتِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَسْلَافِهِمْ، فَتَرَكُوا لِذَلِكَ التَّدَبُّرَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنْ آبَائِهِمْ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاءَتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَأُنْزِلَتْ مَعَهُمُ الْكُتُبُ.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩].

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ..

﴿رَسُولَهُمْ﴾ مُحَمَّدًا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ؟..

﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩] فَيُنْكِرُوا قَوْلَهُ، أَوَ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصِّدْقِ، وَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، فَكَيْفَ يُكَذِّبُونَهُ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ فِيهِمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ [المؤمنون: ٧٠].

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ﴾ أَيَقُولُونَ بِمُحَمَّدٍ جُنُونٌ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ، وَلَا يَفْهَمُ وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ..

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ فَإِنْ يَقُولُوا ذَلِكَ، فَكَذِبُهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَجْنُونَ يَهْذِي فَيَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ، وَلَا يُعْقَلُ وَلَا يُفْهَمُ، وَالَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحِكْمَةُ الَّتِي لَا أَحْكَمَ مِنْهَا، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ صِحَّتُهُ عَلَىٰ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ كَلَامُ مَجْنُونٍ؟..

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ [المؤمنون: ٧٠] مَا بِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مُحَمَّدًا بِالصِّدْقِ، وَلَا أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَهُمْ مَجْنُونٌ، بَلْ قَدْ عَلِمُوهُ صَادِقًا مُحِقًّا فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِلْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ، وَلِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ سَاخِطُونَ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ، وَبَغْيًا عَلَيْهِ وَاسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾ [المؤمنون: ٧١].

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ وَلَوْ عَمِلَ الرَّبُّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا يَهْوَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَأَجْرَىٰ التَّدْبِيرَ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَتَرَكَ الْحَقَّ الَّذِي هُمْ لَهُ كَارِهُونَ..

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْفَاسِدَ، فَلَوْ كَانَتِ الْأُمُورُ جَارِيَةً عَلَىٰ مَشِيئَتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ مَعَ إِيثَارِ أَكْثَرِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَمْ تَقِرَّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَامَ بِالْحَقِّ..

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ الذِّكْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ بَيَانُ الْحَقِّ لَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِشَرَفِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَانَ شَرَفًا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَكَفَرُوا بِهِ، وَقَالُوا: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤].. وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ مُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا بَيَّنَ فِيهِ مَا لِخَلْقِهِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ وَقَوْمِهِ، وَشَرَفٌ لَهُمْ..

﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾ [المؤمنون: ٧١].

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾ [المؤمنون: ٧٢].

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ أَمْ تَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿خَرۡجٗا﴾ أَجْرًا عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْحَقِّ..

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ فَأَجْرُ رَبِّكَ عَلَىٰ نَفَاذِكَ لِأَمْرِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ..

﴿خَيۡرٞ﴾ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ ﷺ عَلَىٰ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَجْرًا، قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِقِيلِهِ لَهُمْ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَىٰ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ أَجْرًا، فَنَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ إِذَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِمْ، مُسْتَكْبِرِينَ بِالْحَرَمِ، فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ..

﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾ [المؤمنون: ٧٢] وَاللهُ خَيْرُ مَنْ أَعْطَىٰ عِوَضًا عَلَىٰ عَمَلٍ وَرَزَقَ رِزْقًا.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ [المؤمنون: ٧٣].

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَتَدۡعُوهُمۡ﴾ لَتَدْعُو هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ [المؤمنون: ٧٣] إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْقَاصِدُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَمُجَازَاةِ اللهِ عِبَادَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَقَصْدِ السَّبِيلِ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ..

﴿لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤] لَعَادِلُونَ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ نَكَبَ فُلَانٌ عَنْ كَذَا: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ، وَنَكَبَ عَنْهُ: أَيْ عَدَلَ عَنْهُ.

﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥].

﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ﴾ وَلَوْ رَحِمْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿وَكَشَفۡنَا﴾ وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ..

﴿مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ مَا بِهِمْ مِنَ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ وَضُرِّ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ..

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ فِي عُتُوِّهِمْ وَجُرْأَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥] يَتَرَدَّدُونَ.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦].

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ بِعَذَابِنَا، وَأَنْزَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا، وَسُخْطَنَا، وَضَيَّقْنَا عَلَيْهِمْ مَعَايِشَهُمْ، وَأَجْدَبْنَا بِلَادَهُمْ، وَقَتَلْنَا سُرَاتَهُمْ بِالسَّيْفِ..

﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ فَمَا خَضَعُوا لِرَبِّهِمْ فَيَنْقَادُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦] وَمَا يَتَذَلَّلُونَ لَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَخَذَ اللهُ قُرَيْشًا بِسِنِيِّ الْجَدْبِ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَ الْمَجَاعَةِ وَالضُّرِّ، وَهُوَ الْبَابُ ذُو الْعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قِصَّةِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي أَصَابَتْ قُرَيْشًا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا هُمۡ﴾ إِذَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧] حَزَانَىٰ نَادِمُونَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، فِي حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ وَالْحُزْنُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: ٧٨].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ الَّذِي أَحدَثَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ..

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا..

﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ الَّتِي تَفْقَهُونَ بِهَا، فَكَيْفَ يَتَعَذَّرُ عَلَىٰ مَنْ أَنْشَأَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً إِعَادَتُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ وَفَقْدِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُوجِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا شَاءَ، وَيُفْنِيهِ إِذَا أَرَادَ..

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: ٧٨] أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ خَبَرَ اللهِ مِنْ عَطَائِكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: ٧٩].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خَلَقَكُمْ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: ٧٩] مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، ثُمَّ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِي يُحۡيِۦ﴾ خَلْقَهُ، فَيَجْعَلُهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ كَانُوا نُطَفًا أَمْوَاتًا، بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا بَعْدَ

التَّارَاتِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْهَا..

﴿وَيُمِيتُ﴾ وَيُمِيتُهُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمْ..

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مُخْتَلِفَيْنِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: لَكَ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، بِمَعْنَىٰ: إِنَّكَ تَمُنُّ وَتُفْضِلُ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٠] أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الَّذِيَ فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ الْأَمْوَاتِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَإِنْشَاءُ مَا شَاءَ إِعْدَامَهُ بَعْدَ إِنْشَائِهِ.

﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨١].

﴿بَلْ﴾ مَا اعْتَبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَلَا تَدَبَّرُوا مَا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ فِعْلِ كُلِّ مَا يَشَاءُ، وَلَكِنْ..

﴿قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨١] أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا قَبْلَهُمْ.

﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٢].

﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَعُدْنَا تُرَابًا قَدْ بَلِيَتْ أَجْسَامُنَا، وَبَرَأَتْ عِظَامُنَا مِنْ لُحُومِنَا..

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٢] مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءً كَهَيْئَتِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ غَيْرُ كَائِنٍ.. قَالُوا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٣].

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا الْوَعْدَ الَّذِي تَعِدُنَا يَا مُحَمَّدُ، وَوَعَدَ آبَاءَنَا مِنْ قَبْلِنَا قَوْمٌ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ للهِ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَمْ نَرَهُ حَقِيقَةً..

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الَّذِي تَعِدُنَا مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٣] مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي لَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَقِيقَةَ.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٨٤].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْآخِرَةِ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ لِمَنْ مُلْكُ الْأَرْضِ..

﴿وَمَن فِيهَآ﴾ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤] مَنْ مَالِكُهَا؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٥].

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّهُمْ سَيُقِرُّونَ بِأَنَّهَا للهِ مُلْكًا، دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ..

﴿قُلْ﴾ فَقُلْ لَهُمْ إِذَا أَجَابُوكَ بِذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٥] فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ فَنَائِهِمْ؟

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦] الْمُحِيطِ بِذَلِكَ؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٧].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ ذَلِكَ كُلُّهُ..

﴿لِلَّهِ﴾ وَهُوَ رَبُّهُ..

﴿قُلْ﴾ فَقُلْ لَهُمْ..

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٧] عِقَابَهُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ خَبَرَهُ وَخَبَرَ رَسُولِهِ؟

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ؟..

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِسُوءٍ..

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وَلَا أَحَدَ يَمْتَنِعُ مَنْ أَرَادَهُ هُوَ بِسُوءٍ، فَيَدْفَعَ عَنْهُ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨] مِنْ ذَلِكَ صِفَتَهُ.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩].

﴿سَيَقُولُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ..

﴿لِلَّهِ﴾ إِنَّ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُدْرَةَ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا للهِ..

﴿قُلْ﴾ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩] فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ تُصْرَفُونَ عَنِ التَّصْدِيقِ بِآيَاتِ اللهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأَخْبَارِهِ، وَأَخْبَارِ رَسُولِهِ، وَالْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ وَعَلَىٰ بَعْثِكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، مَعَ عِلْمِكُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ؟.. وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ السِّحْرَ: أَنَّهُ تَخْيِيلُ الشَّيْءِ إِلَىٰ النَّاظِرِ أَنَّهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ مِنْ هَيْئَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ يُخَيَّلُ إِلَيْكُمُ الْكَذِبُ حَقًّا، وَالْفَاسِدُ صَحِيحًا، فَتُصْرَفُونَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٠].

﴿بَلْ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَأَنَّ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ آلِهَةٌ دُونَ اللهِ، بَلْ..

﴿أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ الْيَقِينِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَذَلِكَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يُعْبَدُ شَيْءٌ سِوَىٰ اللهِ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٠] فِيمَا يُضِيفُونَ إِلَىٰ اللهِ وَيَنْحِلُونَهُ مِنَ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ مَا للهِ مِنْ وَلَدٍ..

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وَلَا كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، وَلَا حِينَ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ مَنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ فِي الْقَدِيمِ، أَوْ عِنْدَ خَلْقِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ تَصْلُحُ عِبَادَتُهُ مِنْ إِلَهٍ..

﴿إِذًا لَّذَهَبَ﴾ إِذًا لَاعْتَزَلَ..

﴿كُلُّ إِلَٰهٍ﴾ مِنْهُمْ..

﴿بِمَا خَلَقَ﴾ مِنْ شَيْءٍ، فَانْفَرَدَ بِهِ، وَلَتَغَالَبُوا..

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وَغَلَبَ الْقَوِيُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ؛ لِأَنَّ الْقَوِيَّ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يَعْلُوَهُ ضَعِيفٌ، وَالضَّعِيفَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبْلَغَهَا مِنْ حُجَّةٍ وَأَوْجَزَهَا لِمَنْ عَقَلَ وَتَدَبَّرَ..

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تَنْزِيهًا للهِ..

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩١] عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا، وَعَمَّا قَالُوهُ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ مَعَهُ فِي الْقِدَمِ إِلَهًا يُعْبَدُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٢].

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ هُوَ عَالِمُ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يُشَاهِدُوهُ..

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وَمَا رَأَوْهُ وَشَاهَدُوهُ.. إِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ خَبَرٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وعَبَدُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً، أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ مُبْطِلُونَ مُخْطِئُونَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ مِنْ قَوْلٍ فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِهِ؛ وَإِنَّ الْعَالِمَ بِقَدِيمِ الْأُمُورِ، وَبِحَدِيثِهَا، وَشَاهِدِهَا وَغَائِبِهَا عَنْهُمْ، اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَخَبَرُهُ هُوَ الْحَقُّ دُونَ خَبَرِهِمْ..

﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ فَارْتَفَعَ اللهُ وَعَلَا..

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٢] عَنْ شِرْكِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا يَصِفُونَ.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٣].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ رَبِّ إِنْ تُرِيَنِّي فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَا يُوعَدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٣] مَا تَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِكَ.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٤].

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فَلَا تُهْلِكْنِي بِمَا تُهْلِكُهُمْ بِهِ، وَنَجِّنِي مِنْ عَذَابِكَ وَسَخَطِكَ، فَلَا تَجْعَلْنِي..

﴿فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩٤] الْمُشْرِكِينَ؛ وَلَكِنِ اجْعَلْنِي مِمَّنْ رَضِيتَ عَنْهُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ٩٥﴾ [المؤمنون: ٩٥].

﴿وَإِنَّا﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾ فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مَا نَعِدُهُمْ﴾ مِنْ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ لَهُمْ..

﴿لَقَـٰدِرُونَ ٩٥﴾ [المؤمنون: ٩٥] فَلَا يَحْزُنَنَّكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ بِمَا نَعِدُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا نُؤَخِّرُ ذَلِكَ لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦].

﴿ٱدْفَعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بِالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَذَلِكَ الْإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ عَنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، وَذَلِكَ أَمْرُهُ إِيَّاهُ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحَرْبِهِمْ..

﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: اصْبِرْ عَلَىٰ مَا تَلْقَىٰ مِنْهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦] اللهَ بِهِ، وَيَنْحُلُونَهُ مِنَ الْأَكَاذِيبِ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَبِمَا يَقُولُونَ فِيكَ مِنَ السُّوءِ، وَنَحْنُ مُجَازُوهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَلَا يَحْزُنْكَ مَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ مِنْ قَبِيحِ الْقَوْلِ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ٩٧﴾ [المؤمنون: ٩٧].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ رَبِّ أَسْتَجِيرُ بِكَ..

﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ٩٧﴾ [المؤمنون: ٩٧] مِنْ خَنْقِ الشَّيَاطِينِ وَهَمَزَاتِهَا، وَالْهَمْزُ: هُوَ الْغَمْزُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْهَمْزِ فِي الْكَلَامِ: هَمْزَةٌ، وَالْهَمَزَاتُ جَمْعُ هَمْزَةٍ.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٨].

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ وَقُلْ أَسْتَجِيرُ بِكَ رَبِّ..

﴿أَن يَحْضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٨] فِي أُمُورِي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾ وَعَايَنَ نُزُولَ أَمْرِ اللهِ بِهِ..

﴿قَالَ﴾ لِعَظِيمِ مَا يُعَايِنُ مِمَّا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَنَدُّمًا عَلَىٰ مَا فَاتَ، وَتَلَهُّفًا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ فِيهِ قَبْلَ ذَٰلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَمَسْأَلَتِهِ لِلْإِقَالَةِ..

﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩] إِلَىٰ الدُّنْيَا فَرُدُّونِي إِلَيْهَا.. وَقِيلَ: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ فَابْتَدَأَ الْكَلَامَ بِخِطَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قِيلَ: ﴿ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾، فَصَارَ إِلَىٰ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، لِأَنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْمِ الرَّدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْهُمْ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ رُوحَهُمْ، وَإِنَّمَا ابْتُدِئَ الْكَلَامُ بِخِطَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَغَاثُوا بِهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ مَسْأَلَةِ الْمَلَائِكَةِ الرُّجُوعَ وَالرَّدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ كَيْ أَعْمَلَ صَالِحًا..

﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنَ الْعَمَلِ فَضَيَّعْتُهُ وَفَرَّطْتُ فِيهِ..

﴿كَلَّآۚ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا قَالَ هَذَا الْمُشْرِكُ؛ لَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا..

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩]، كَلِمَةٌ..

﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ هَذَا الْمُشْرِكُ هُوَ قَائِلُهَا..

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ وَمِنْ أَمَامِهِمْ..

﴿بَرۡزَخٌ﴾ حَاجِزٌ يَحْجُزُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠] مِنْ قُبُورِهِمْ، وَذَٰلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ وَالْبَرْزَخُ وَالْحَاجِزُ وَالْمُهْلَةُ، مُتَقَارِبَاتٌ فِي الْمَعْنَىٰ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَٰلِكَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ..

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يَتَوَاصَلُونَ بِهَا..

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١] وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، فَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، وَخَفَّتْ مَوَازِينُ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾ [المؤمنون: ١٠٢] الْخَالِدُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، فَرَجَحَتْ بِهَا مَوَازِينَ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..

﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣] هُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يَسْفَعُ وُجُوهَهُمْ لَهَبُ النَّارِ فَتَحْرِقُهَا..

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤] وَهُمْ فِيهَا مُتَقَلِّصُو الشِّفَاهِ عَنِ الْأَسْنَانِ مِنْ إِحْرَاقِ النَّارِ وُجُوهَهُمْ.. وَالْكُلُوحُ: أَنْ تَتَقَلَّصَ الشَّفَتَانِ عَنِ الْأَسْنَانِ حَتَّىٰ تَبْدُوَ الْأَسْنَانُ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: (شَقَاوَتُنَا) بِفَتْحِ الشِّينِ، وَالْأَلِفِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَٰلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَقَرَأَ بِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: قَالُوا: رَبَّنَا غَلَبَ عَلَيْنَا مَا سَبَقَ لَنَا فِي سَابِقِ عِلْمِكَ، وَخُطَّ لَنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦] كُنَّا قَوْمًا ضَلَلْنَا عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَقَصْدِ الْحَقِّ.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ خَفَّتْ مَوَازِينُ صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ..

﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فَإِنْ عُدْنَا لِمَا تكْرَهُ مِنَّا مِنْ عَمَلٍ فَإِنَّا ظَالِمُونَ.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

﴿قَالَ﴾ الرَّبُّ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُجِيبًا..

﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ اقْعُدُوا فِي النَّارِ..

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيِسَ الْمَسَاكِينُ مِنَ الْفَرَجِ، وَلَقَدْ كَانُوا طَامِعِينَ فِيهِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ عِبَادِي، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذُنُوبَنَا..

﴿وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩] وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَحِمَ أَهْلَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُعَذِّبْنَا بِعَذَابِكَ.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠﴾ [المؤمنون: ١١٠].

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ فَاتَّخَذْتُمْ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ لِرَبِّهِمْ ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، فِي الدُّنْيَا، الْقَائِلِينَ فِيهَا ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون: ١٠٩]..

﴿سِخْرِيًّا﴾ فَاتَّخَذْتُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِي فِي الدُّنْيَا هُزُوًا وَلَعِبًا، تَهْزَؤُونَ بِهِمْ، حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ: (سُخْرِيًّا) بِضَمِّ السِّينِ، وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلِمَةِ فِي

الضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَاحِدٌ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ وَلُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، قَدْ قَرَأَ بِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ ذَلِكَ فَمُصِيبٌ، وَلَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِذَا كُسِرَتِ السِّينُ وَإِذَا ضُمَّتْ..

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ لَمْ يَزَلِ اسْتِهْزَاؤُكُمْ بِهِمْ، أَنْسَاكُمْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكُمْ بِهِمْ ذِكْرِي، فَأَلْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١٠] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَنْسَىٰ هَؤُلَاءِ اللهَ اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِمْ، وَضَحِكُهُمْ بِهِمْ، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝﴾ [المطففين: ٢٩]، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝﴾ [المطففين: ٣٢]).

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١١].

﴿إِنِّي﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ..

﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾ جَزَيْتُ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ فِي الدُّنْيَا سُخْرِيًّا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي، وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ..

﴿ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ بَيْنَكُمْ مِنْ أَذَىٰ سُخْرِيَّتِكُمْ وَضَحِكِكُمْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿أَنَّهُمۡ﴾ الْيَوْمَ..

﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١١] بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالْكَرَامَةِ الْبَاقِيَةِ أَبَدًا، بِمَا عَمِلُوا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، وَلَقُوا فِي طَلَبِ رِضَايَ مِنَ الْمَكَارِهِ فِيهَا.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١٢].

﴿قَٰلَ﴾ اللهُ لِهَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِي النَّارِ..

﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١٢] فَنَسِيَ الْأَشْقِيَاءُ، لِعَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، مُدَّةَ مُكْثِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَقَصُرَ عِنْدَهُمْ أَمَدُ مُكْثِهِمُ الَّذِي كَانَ فِيهَا، لِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١٣].

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ حَسِبُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَكَثُوا فِيهَا إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَلَعَلَّ

بَعْضَهُمْ كَانَ قَدْ مَكَثَ فِيهَا الزَّمَانَ الطَّوِيلَ، وَالسِّنِينَ الْكَثِيرَةَ..

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٣] لِأَنَّا لَا نَدْرِي، قَدْ نَسِينَا ذَلِكَ.. وَالعَادُّون: هُمُ الَّذِينَ يَعُدُّونَ عَدَدَ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا الْمَلَائِكَةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا بَنِي آدَمَ وَغَيْرَهُمْ، وَلَا حُجَّةَ بِأَيٍّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ ثَبَتَتْ صِحَّتُهَا فَغَيْرُ جَائِزٍ تَوْجِيهُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ بَعْضِ الْعَادِّينَ دُونَ بَعْضٍ.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٤].

﴿قَٰلَ﴾ اللهُ لَهُمْ..

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ مَا لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَسِيرًا..

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٤] قَدْرَ لُبْثِكُمْ فِيهَا.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أَيُّهَا الأَشْقِيَاءُ أَنَّا..

﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ إِذْ خَلَقْنَاكُمْ..

﴿عَبَثًا﴾ لَعِبًا وَبَاطِلًا..

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا﴾ وَأَنَّكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ..

﴿لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥] لَا تَصِيرُونَ أَحْيَاءً، فَتُجْزَوْنَ بِمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ؟

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، وَعَمَّا يُضِيفُونَ إِلَيْهِ مِنَ اتِّخَاذِ الْبَنَاتِ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ تَنْبَغِي لَهُ الْعُبُودَةُ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ..

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦] رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الْمَعْبُودِ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ..

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مَعْبُودًا آخَرَ..

﴿لَا بُرْهَٰنَ﴾ لَا حُجَّةَ..

﴿لَهُۥ بِهِۦ﴾ بِمَا يَقُولُ وَيَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا بَيِّنَةَ..

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا حِسَابُ عَمَلِهِ السَّيِّئِ..

﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ وَهُوَ مُوَفِّيهِ جَزَاءَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ عِنْدَهُ..

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] أَهْلُ الْكُفْرِ بِاللهِ وَلَا يُدْرِكُونَ الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي النَّعِيمِ.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ رَبِّ اسْتُرْ عَلَيَّ ذُنُوبِي بِعَفْوِكَ عَنْهَا..

﴿وَٱرْحَمْ﴾ وَارْحَمْنِي بِقَبُولِ تَوْبَتِكَ، وَتَرْكِكَ عِقَابِي عَلَىٰ مَا اجْتَرَمْتُ..

﴿وَأَنتَ﴾ وَقُلْ: أَنْتَ يَا رَبِّ..

﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨] خَيْرُ مَنْ رَحِمَ ذَا ذَنْبٍ فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ

سُورَةُ النُّورِ (٢٤)
مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ

تَفْسِيرُ سُوْرَةِ النُّورِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾ [النور: ١].

﴿سُورَةٌ﴾ وَهَذِهِ السُّورَةُ..

﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ، بِمَعْنَىٰ: أَوْجَبْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَيْكُمْ، وَأَلْزَمْنَاكُمُوهُ، وَبَيَّنَّا ذَلِكَ لَكُمْ.. وقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (وَفَرَّضْنَاهَا)، وَيَتَأَوَّلُونَهُ: وَفَصَّلْنَاهَا، وَنَزَّلْنَا فِيهَا فَرَائِضَ مُخْتَلِفَةً، وَقَدْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: وَفَرَّضْنَاهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ بَعْدَكُمْ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَدْ فَصَّلَهَا، وَأَنْزَلَ فِيهَا ضُرُوبًا مِنَ الْأَحْكَامِ، وَأَمَرَ فِيهَا وَنَهَىٰ، وَفَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهَا فَرَائِضَ، فَفِيهَا الْمَعْنَيَانِ كِلَاهُمَا: التَّفْرِيضُ، وَالْفَرْضُ..

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا﴾ وَأَنْزَلْنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿آيَاتٍ﴾ عَلَامَاتٍ، وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا، وَفَكَّرَ فِيهَا بِعَقْلٍ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنَّهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَإِنَّهَا تَهْدِي إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ..

﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾ [النور: ١] لِتَتَذَكَّرُوا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ②﴾ [النور: ٢].

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ مَنْ زَنَىٰ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ زَنَتْ مِنَ النِّسَاءِ، وَهُوَ حُرٌّ بِكْرٌ غَيْرُ مُحْصَنٍ بِزَوْجٍ..

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ فَاجْلِدُوهُ ضَرْبًا مِائَةَ جَلْدَةٍ، عُقُوبَةً لِمَا صَنَعَ وَأَتَىٰ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا﴾ لا تَأْخُذْكُمْ بِالزَّانِي وَالزَّانِيَةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿رَأۡفَةٞ﴾ وَهِيَ رِقَّةُ الرَّحْمَةِ.. وَهُوَ تَرْكُ إِقَامَةِ حَدِّ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَأَمَّا إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِمَا الْحَدُّ فَلَمْ تَأْخُذْهُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ.. فَـ (**إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّ جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ لِلْجَالِدِ، وَأَشَارَ إِلَىٰ رِجْلِهَا وَإِلَىٰ أَسْفَلِهَا**)، فقالَ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ: (**فَأَيْنَ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؟!**) قَالَ: (**أَفَأَقْتُلُهَا؟!**).. وقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: (**لَيْسَ لِلسُّلْطَانِ إِذَا رُفِعُوا إِلَيْهِ أَنْ يَدَعَهُمْ رَحْمَةً لَهُمْ حَتَّىٰ يُقِيمَ الْحَدَّ**).. وَهُوَ قَوْلُ مجاهدٍ، وابنِ جُبيرٍ، وابنِ زيدٍ، وعطاءٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ﴾ فَتُخَفِّفُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ أَوْجِعُوهُمَا ضَرْبًا، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ و حَمَّادٍ، والزُّهْرِيِّ.. وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي إِقَامَةِ حَدِّ اللهِ عَلَيْهِمَا الَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ إِقَامَتَهُ عَلَيْهِمَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ، لِدَلَالَةِ قَوْلِ اللهِ بَعْدَهُ..

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: فِي طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا عَلَىٰ مَا أَلْزَمَكُمْ بِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ دِينَ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي الزَّانِيَيْنِ: إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا، عَلَىٰ مَا أَمَرَ مِنْ جَلْدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، مَعَ أَنَّ الشِّدَّةَ فِي الضَّرْبِ لَا حَدَّ لَهَا يُوقَفُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ ضَرْبٍ أَوْجَعَ فَهُوَ شَدِيدٌ، وَلَيْسَ لِلَّذِي يُوجِعُ فِي الشِّدَّةِ حَدٌّ لَا زِيَادَةَ فِيهِ فَيُؤْمَرُ بِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ وَصْفُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُ أَمَرَ بِمَا لَا سَبِيلَ لِلْمَأْمُورِ بِهِ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي لِلْمَأْمُورِينَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ السَّبِيلُ هُوَ عَدَدُ الْجَلْدِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَىٰ مَا قُلْنَا..

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِاللهِ رَبِّكُمْ..

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّكُمْ فِيهِ مَبْعُوثُونَ لِحَشْرِ الْقِيَامَةِ، وَلِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ بِذَلِكَ مُصَدِّقًا فَإِنَّهُ لَا يُخَالِفُ اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ خَوْفَ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ وَلْيَحْضُرْ جَلْدَ الزَّانِيَيْنِ الْبِكْرَيْنِ وَحَدَّهُمَا إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِمَا..

﴿طَآئِفَةٞ﴾ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَاحِدَ فَمَا زَادَ: طَائِفَةً.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَبْلَغِ عَدَدِ الطَّائِفَةِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِشُهُودِ عَذَابِ الزَّانِيَيْنِ الْبِكْرَيْنِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَقَلُّهُ وَاحِدٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَقَلُّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ رَجُلَانِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَقَلُّ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ فَصَاعِدًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَقَلُّ ذَلِكَ أَرْبَعَةٌ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَقَلُّ مَا يَنْبَغِي حُضُورُ ذَلِكَ مِنْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ: الْوَاحِدُ فَصَاعِدًا وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ﴾، وَالطَّائِفَةُ: قَدْ تَقَعُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَىٰ الْوَاحِدِ فَصَاعِدًا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَضَعَ

دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ خَاصٌّ مِنَ الْعَدَدِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ حُضُورَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ أَدْنَىٰ اسْمِ الطَّائِفَةِ ذَلِكَ الْمَحْضَرَ مُخْرِجٌ مُقِيمَ الْحَدِّ مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾، غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، أَسْتَحِبُّ أَنْ لَا يُقْصَرَ بِعَدَدِ مَنْ يَحْضُرُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ، عَدَدِ مَنْ تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ عَلَىٰ الزِّنَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمْعِ أَنَّهُ قَدْ أَدَّىٰ الْمُقِيمُ الْحَدَّ مَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَهُمْ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ..

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢] مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣].

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَعْضِ مَنِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِكَاحِ نِسْوَةٍ كُنَّ مَعْرُوفَاتٍ بِالزِّنَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَكُنَّ أَصْحَابَ رَايَاتٍ، يَكْرِينَ أَنْفُسَهُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَحْرِيمَهُنَّ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: الزَّانِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَزَوَّجُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً؛ لِأَنَّهُنَّ كَذَلِكَ، وَالزَّانِيَةُ مِنْ أُولَئِكَ الْبَغَايَا لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ مُشْرِكٌ مِثْلُهَا؛ لِأَنَّهُنَّ كُنَّ مُشْرِكَاتٍ ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ فَحَرَّمَ اللهُ نِكَاحَهُنَّ فِي قَوْلِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَزْنِي بِهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ. قَالُوا: وَمَعْنَىٰ النِّكَاحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجِمَاعُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ هَذَا حُكْمَ اللهِ فِي كُلِّ زَانٍ وَزَانِيَةٍ، حَتَّىٰ نَسَخَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فَأَحَلَّ نِكَاحَ كُلِّ مُسْلِمَةٍ، وَإِنْكَاحَ كُلِّ مُسْلِمٍ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالنِّكَاحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْوَطْءُ، وَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْبَغَايَا الْمُشْرِكَاتِ ذَوَاتِ الرَّايَاتِ، وَذَلِكَ لِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الزَّانِيَةَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ حَرَامٌ عَلَىٰ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَنَّ الزَّانِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ عَلَيْهِ كُلُّ مُشْرِكَةٍ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَمَعْلُومٌ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُعْنَ بِالْآيَةِ أَنَّ الزَّانِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَعْقِدُ عَقْدَ نِكَاحٍ عَلَىٰ عَفِيفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، وَلَا يُنْكَحُ إِلَّا بِزَانِيَةٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ لَا تَسْتَحِلُّ الزِّنَا، أَوْ بِمُشْرِكَةٍ تَسْتَحِلُّهُ..

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ وَحُرِّمَ الزِّنَا..

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣] بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ وَالَّذِينَ يَشْتِمُونَ..

﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الْعَفَائِفَ مِنْ حَرَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَرْمُونَهُنَّ بِالزِّنَا..

﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ﴾ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا عَلَىٰ مَا رَمُوهُنَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ عُدُولٍ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِنَّ أَنَّهُنَّ رَأَوْهُنَّ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ..

﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ فَاجْلِدُوا الَّذِينَ رَمُوهُنَّ بِذَلِكَ..

﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤] الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، وَخَرَجُوا مِنْ طَاعَتِهِ، فَفَسَقُوا عَنْهَا.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ رَمَوْا عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا رَمَوْهَا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [النور: ٥].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي اسْتُثْنِيَ مِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتُثْنِيَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤]، وَقَالُوا: إِذَا تَابَ الْقَاذِفُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَزَالَ عَنْهُ اسْمُ الْفِسْقِ، حُدَّ فِيهِ، أَوْ لَمْ يُحَدَّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الِاسْتِثْنَاءُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤]، وأما قوله ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور: ٤] فَقَدْ وُصِلَ بِالْأَبَدِ، وَلَا يَجُوزُ قَبُولُهَا أَبَدًا.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا، أَعْنِي مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور: ٤]، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤]؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يُحَدَّ فِي الْقَذْفِ حَتَّىٰ تَابَ، إِمَّا بِأَنْ يُرْفَعَ إِلَىٰ السُّلْطَانِ بِعَفْوِ الْمَقْذُوفَةِ عَنْهُ، وَإِمَّا بِأَنْ مَاتَتْ قَبْلَ الْمُطَالَبَةِ بِحَدِّهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا طَالِبٌ يَطْلُبُ بِحَدِّهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَحَدَثَتْ مِنْهُ تَوْبَةٌ صَحَّتْ لَهُ بِهَا الْعَدَالَةُ، وَكَانَ مِنَ الْجَمِيعِ إِجْمَاعًا، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ شَرَطَ فِي كِتَابِهِ أَنْ لَا تُقْبَلَ شَهَادَتُهُ أَبَدًا بَعْدَ الْحَدِّ فِي رَمْيِهِ، بَلْ نَهَىٰ عَنْ قَبُولِ شَهَادَتِهِ فِي الْحَالِ الَّتِي أَوْجَبَ عَلَيْهِ فِيهَا الْحَدَّ، وَسَمَّاهُ فِيهَا فَاسِقًا، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَيْهِ فِي رَمْيِهِ، لَا تُحْدِثُ فِي شَهَادَتِهِ مَعَ التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ حَادِثًا فِيهَا قَبْلَ إِقَامَتِهِ

عَلَيْهِ، بَلْ تَوْبَتُهُ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ أَحْرَىٰ أَنْ تَكُونَ شَهَادَتُهُ مَعَهَا أَجْوَزَ مِنْهَا قَبْلَ إِقَامَتِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْحَدَّ يَزِيدُ الْمَحْدُودَ عَلَيْهِ تَطْهِيرًا مِنْ جُرْمِهِ الَّذِي اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْحَدَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]، فَتَكُونُ التَّوْبَةُ مُسْقِطَةً عَنْهُ الْحَدَّ، كَمَا كَانَتْ لِشَهَادَتِهِ عِنْدَكَ قَبْلَ الْحَدِّ وَبَعْدَهُ مُجِيزَةً، وَلِاسْمِ الْفِسْقِ عَنْهُ مُزِيلَةً؟ قِيلَ: ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَنَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَّ حَقٌّ عِنْدَنَا لِلْمَقْذُوفَةِ كَالْقِصَاصِ الَّذِي يَجِبُ لَهَا مِنْ جِنَايَةٍ يَجْنِيهَا عَلَيْهَا مِمَّا فِيهِ الْقِصَاصُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ تَوْبَتَهُ مِنْ ذَلِكَ لَا تَضَعُ عَنْهُ الْوَاجِبَ لَهَا مِنَ الْقِصَاصِ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ تَوْبَتُهُ مِنَ الْقَذْفِ لَا تَضَعُ عَنْهُ الْوَاجِبَ لَهَا مِنَ الْحَدِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لَهَا، إِنْ شَاءَتْ عَفَتْهُ، وَإِنْ شَاءَتْ طَالَبَتْ بِهِ، فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ ذَنْبِهِ إِنَّمَا تَضَعُ عَنِ الْعَبْدِ الْأَسْمَاءَ الذَّمِيمَةَ وَالصِّفَاتِ الْقَبِيحَةَ، فَأَمَّا حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ لِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَلَا تَزُولُ بِهَا وَلَا تَبْطُلُ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي صِفَةِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ الَّتِي تُقْبَلُ مَعَهَا شَهَادَتُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ إِكْذَابُهُ نَفْسَهُ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: تَوْبَتُهُ مِنْ ذَلِكَ صَلَاحُ حَالِهِ، وَنَدَمُهُ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ، وَتَرْكُهُ الْعَوْدَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْجُرْمِ، وَذَلِكَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ قَائِلِيهِ فِيمَا مَضَىٰ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ.. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ جَعَلَ تَوْبَةَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَرْكَهُ الْعَوْدَ مِنْهُ، وَالنَّدَمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَاسْتِغْفَارَ رَبِّهِ مِنْهُ، فِيمَا كَانَ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَهُ، دُونَ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ عِبَادِهِ وَمَظَالِمِهِمْ بَيْنَهُمْ، وَالْقَاذِفُ إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِ فِيهِ الْحَدُّ أَوْ عُفِيَ عَنْهُ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا تَوْبَتُهُ مِنْ جُرْمِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَسَبِيلُ تَوْبَتِهِ مِنْهُ سَبِيلُ تَوْبَتِهِ مِنْ سَائِرِ أَجْرَامِهِ.. فَإِذْ كَانَ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ مَا وَصَفْنَا، فتأويلُ الكلامِ: وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ جُرْمِهِمُ الَّذِي اجْتَرَمُوهُ بِقَذْفِهِمُ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ بَعْدِ اجْتِرَامِهِمُوهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [النور: ٥] بِهِمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، فَاقْبَلُوا شَهَادَتَهُمْ، وَلَا تُسَمُّوهُمْ فَسَقَةً، بَلْ سَمُّوهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي هِيَ لَهُمْ فِي حَالِ تَوْبَتِهِمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور: ٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿أَزْوَٰجَهُمْ﴾ بِالْفَاحِشَةِ، فَيَقْذِفُونَهُنَّ بِالزِّنَا..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِصِحَّةِ مَا رَمُوهُنَّ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ فَعَلَىٰ أَحَدِهِمْ أَنْ يَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ، تَقُومُ مَقَامَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي دَفْعِ الْحَدِّ عَنْهُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ تَقُومُ مَقَامَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعَةِ، اكْتِفَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الْكَلَامِ..

﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ﴾ فَيَحْلِفُ أَحَدُهُمْ أَرْبَعَ أَيْمَانٍ بِاللهِ..

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور: ٦] فِيمَا رَمَىٰ زَوْجَتَهُ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ [النور: ٧].

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ..

﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إِنَّ لَعْنَةَ اللهِ لَهُ وَاجِبَةٌ، وَعَلَيْهِ حَالَّةٌ..

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ [النور: ٧] إِنْ كَانَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْكَاذِبِينَ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَتْ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قَذَفَ هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ امْرَأَتَهُ، قِيلَ لَهُ: وَاللهِ لَيَجْلِدَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، قَالَ: اللهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ يَضْرِبَنِي ضَرْبَةً وَقَدْ عَلِمَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ حَتَّىٰ اسْتَيْقَنْتُ، وَسَمِعْتُ حَتَّىٰ اسْتَثْبَتُّ، لَا وَاللهِ لَا يَضْرِبُنِي أَبَدًا فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمُلَاعَنَةِ، فَدَعَا بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتِ الْآيَةُ، فَقَالَ: «**اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**»؟ فَقَالَ هِلَالٌ: وَاللهِ إِنِّي لَصَادِقٌ. فَقَالَ لَهُ: «**احْلِفْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: إِنِّي لَصَادِقٌ**»، يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَعَلَيَّ لَعْنَةُ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قِفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ**» فَحَلَفَ، ثُمَّ قَالَتْ أَرْبَعًا: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَعَلَيْهَا غَضَبُ اللهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**قِفُوهَا عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ**» فَتَرَدَّدَتْ، وَهَمَّتْ بِالِاعْتِرَافِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي.

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ [النور: ٨].

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ وَيَدْفَعُ عَنْهَا الْحَدَّ جَلْدَ مِائَةٍ إِنْ كَانَتْ بِكْرًا، أَوِ الرَّجْمَ إِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا قَدْ أُحْصِنَتْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْحَبْسُ، وَقَالُوا: الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهَا إِنْ هِيَ لَمْ تَشْهَدِ

الشَّهَادَاتِ الْأَرْبَعَ بَعْدَ شَهَادَاتِ الزَّوْجِ الْأَرْبَعِ وَالْتِعَانِهِ: الْحَبْسُ دُونَ الْحَدِّ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: الْوَاجِبُ عَلَيْهَا إِذَا هِيَ امْتَنَعَتْ مِنَ الِالْتِعَانِ بَعْدَ الْتِعَانِ الزَّوْجِ الْحَدُّ الَّذِي وَصَفْنَا، قِيَاسًا عَلَىٰ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الْحَدَّ إِذَا زَالَ عَنِ الزَّوْجِ بِالشَّهَادَاتِ الْأَرْبَعِ عَلَىٰ تَصْدِيقِهِ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ، أَنَّ الْحَدَّ عَلَيْهَا وَاجِبٌ، فَجَعَلَ اللهُ أَيْمَانَهُ الْأَرْبَعَ وَالْتِعَانَهُ فِي الْخَامِسَةِ مَخْرَجًا لَهُ مِنَ الْحَدِّ الَّذِي يَجِبُ لَهَا بِرَمْيِهِ إِيَّاهَا، كَمَا جَعَلَ الشُّهَدَاءَ الْأَرْبَعَةَ مَخْرَجًا لَهُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ وَزَائِلًا بِهِ عَنْهُ الْحَدُّ؛ فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ بِزَوَالِ الْحَدِّ عَنْهُ بِذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْهَا حَدُّهَا، كَمَا كَانَ بِزَوَالِهِ عَنْهُ بِالشُّهُودِ وَاجِبًا عَلَيْهَا، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ..

﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ أَنْ تَحْلِفَ بِاللهِ أَرْبَعَ أَيْمَانٍ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ زَوْجَهَا الَّذِي رَمَاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ [النور: ٨] فِيمَا رَمَاهَا مِنَ الزِّنَا.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩].

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ..

﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ﴾ زَوْجُهَا..

﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩] فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزِّنَا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور: ١٠].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بِكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ عَوَّادٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ وَطَوْلِهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور: ١٠] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَسِيَاسَتِهِ لَهُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَعَاصِيكُمْ، وَفَضَحَ أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنْكُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ سَتَرَ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَتَرَكَ فَضِيحَتَكُمْ بِهَا عَاجِلًا، رَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ، وَتَفَضُّلًا عَلَيْكُمْ، فَاشْكُرُوا نِعَمَهُ، وَانْتَهُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَمَّا عَنْهُ نَهَاكُمْ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ.. وَكَانَ سَبَبَ مَجِيءِ أَهْلِ الْإِفْكِ

مَا أُسْنِدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الحَدِيثِ وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ بَعْضٍ الَّذِي حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ عَائِشَةَ ﵂، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلاَ مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا

لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّبَرُّزِ قِبَلَ الغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَّىٰ بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَىٰ مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعْنِي سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ تِيكُمْ**» فَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلَكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟**» قَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي**» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ

لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَتَثَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا، وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ «لَبِثَ» شَهْرًا لاَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ، حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ، قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: ١٨]، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي،

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: «وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَىٰ وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا)، قَالَتْ: (وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ بْنُ شِهَابٍ: هَذَا الَّذِي انْتَهَىٰ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ)..

﴿عُصْبَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ.. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي عَنَىٰ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: (كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي فِي الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وَأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَهُوَ يُقَالُ فِي آخَرِينَ لا عِلْمَ لِي بِهِمْ؛ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللهُ)..

﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ لا تَظُنُّوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ..

﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ..

﴿بَلْ هُوَ﴾ بَلْ ذَلِكَ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عِنْدَهُ وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِلْمَرْمِيِّ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَتَهُ مِمَّا رُمِيَ بِهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ مَخْرَجًا..

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ -مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ- عِنْدَ اللهِ جَزَاءُ..

﴿مَّا ٱكْتَسَبَ﴾ مَا اجْتَرَمَ..

﴿مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ بِمَجِيئِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الإِفْكِ..

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ وَالَّذِي تَحَمَّلَ مُعْظَمَ ذَلِكَ الْإِثْمِ وَالْإِفْكِ.. وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسِّيَرِ، أَنَّ الَّذِي بَدَأَ بِذِكْرِ الْإِفْكِ، وَكَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ

وَيُحَدِّثُهُمْ، عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ، وَفِعْلُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ كَانَ تَوَلِّيَهُ كِبْرَ ذَلِكَ الْأَمْرِ.. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (**وَكَانَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِسْطَحٌ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْمُنَافِقُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ**)..

﴿مِنْهُمْ﴾ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِالْخَوْضِ فِيهِ..

﴿لَهُۥ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ [النور: ١٢].

﴿لَّوْلَآ﴾ هَلَّا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إِذْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي عَائِشَةَ..

﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، يَقُولُ: ظَنَنْتُمْ بِمَنْ قُرِفَ بِذَلِكَ مِنْكُمْ خَيْرًا، وَلَمْ تَظُنُّوا بِهِ أَنَّهُ أَتَىٰ الْفَاحِشَةَ.. وَقَالَ ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَا هَذَا الْخَيْرُ؟ ظَنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْجُرَ بِأُمِّهِ، وَأَنَّ الْأُمَّ لَمْ تَكُنْ لِتَفْجُرَ بِابْنِهَا، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَفْجُرَ فَجَرَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَتْ عَائِشَةُ أُمًّا، وَالْمُؤْمِنُونَ بَنُونَ لَهَا، مُحَرَّمًا عَلَيْهَا، وَقَرَأَ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الْآيَةَ..

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ..

﴿هَٰذَآ﴾ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ عَائِشَةُ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿إِفْكٌ﴾ كَذِبٌ وَإِثْمٌ..

﴿مُّبِينٌ ۝١٢﴾ [النور: ١٢] يَبِينُ لِمَنْ عَقَلَ وَفَكَّرَ فِيهِ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَإِثْمٌ، وَبُهْتَانٌ.. وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ فِيمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِرْجَافِ مَنْ أَرْجَفَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ بِمَا أَرْجَفَ بِهِ.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾ [النور: ١٣].

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾ هَلَّا جَاءَ هَؤُلَاءِ الْعُصْبَةُ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ، وَرَمَوْا عَائِشَةَ بِالْبُهْتَانِ..

﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ مَقَالَتِهِمْ فِيهَا، وَمَا رَمَوْهَا بِهِ..

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الْأَرْبَعَةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا رَمَوْهَا بِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَالْعُصْبَةُ الَّذِينَ رَمَوْهَا بِذَلِكَ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النور: ١٣] فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ [النور: ١٤].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ، الْمُشِيعُونَ فِيهَا الْكَذِبَ وَالْإِثْمَ، بِتَرْكِهِ تَعْجِيلَ عُقُوبَتِكُمْ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إِيَّاكُمْ، لِعَفْوِهِ عَنْكُمْ..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِقَبُولِ تَوْبَتِكُمْ مِمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ لَمَسَّكُمْ فِيمَا خُضْتُمْ فِيهِ..

﴿فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِهَا..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ [النور: ١٤] عَاجِلٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ [النور: ١٥].

﴿إِذْ﴾ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ مِنْ شَأْنِ عَائِشَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ، حِينَ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ..

﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تَتَلَقَّوْنَ الْإِفْكَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْعُصْبَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَتَقْبَلُونَهُ، وَيَرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ؛ يُقَالُ: تَلَقَّيْتُ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ فُلَانٍ، بِمَعْنَىٰ أَخَذْتُهُ مِنْهُ؛ وَقِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِيمَا ذُكِرَ يَلْقَىٰ آخَرَ فَيَقُولُ: أَوَ مَا بَلَغَكَ كَذَا وَكَذَا عَنْ عَائِشَةَ؟ لِيُشِيعَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الْفَاحِشَةَ..

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي تَرْوُونَهُ، فَتَقُولُونَ: سَمِعْنَا أَنَّ عَائِشَةَ فَعَلَتْ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، وَلَا صِحَّتَهُ..

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ وَتَظُنُّونَ أَنَّ قَوْلَكُمْ ذَلِكَ وَرِوَايَتَكُمُوهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَلَقِّيَكُمُوهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ..

﴿هَيِّنًا﴾ سَهْلًا، لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَلَا حَرَجٌ..

﴿وَهُوَ﴾ وَتَلَقِّيكُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَقَوْلُكُمُوهُ بِأَفْوَاهِكُمْ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [النور: ١٥] مِنَ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُؤْذُونَ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَحَلِيلَتَهُ.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور: ١٦].

﴿وَلَوْلَآ﴾ أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي الْإِفْكِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ..

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ..

﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ مَا يَحِلُّ لَنَا..

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَفَوَّهَ بِهِ..

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ، وَبَرَاءَةً إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ..

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور: ١٦] هَذَا الْقَوْلُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور: ١٧].

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُذَكِّرُكُمُ اللهُ، وَيَنْهَاكُمْ بِآيِ كِتَابِهِ..

﴿أَن تَعُودُوا۟﴾ لِئَلَّا تَعُودُوا..

﴿لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لِمِثْلِ فِعْلِكُمُ الَّذِي فَعَلْتُمُوهُ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ مِنْ تَلَقِّيكُمُ الْإِفْكَ الَّذِي رُوِيَ عَلَيْهَا بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فِيهَا أَبَدًا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور: ١٧] إِنْ كُنْتُمْ تَتَّعِظُونَ بِعِظَاتِ اللهِ، وَتَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ، وَتَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٨].

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ وَيُفَصِّلُ اللهُ لَكُمْ..

﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ حُجَجَهُ عَلَيْكُمْ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيَتَبَيَّنَ الْمُطِيعُ لَهُ مِنْكُمْ مِنَ الْعَاصِي..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُمْ، وَبِأَفْعَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازٍ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٨] فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَتَكْلِيفِهِ مَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَفَرْضِهِ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَفْعَالِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ اللهَ أَعْلَمَنَا هَذَا لِكَيْلَا نَقَعَ فِيهِ، لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَعْلَمَنَا لَهَلَكْنَا كَمَا

هَلَكَ الْقَوْمُ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَنَا سَمِعْتُهُ، وَلَمْ أَخْتَرِقْهُ، وَلَمْ أَتَقَوَّلْهُ، فَكَانَ خَيْرًا حِينَ أَعْلَمَنَاهُ اللهُ، لِئَلَّا نَدْخُلَ فِي مِثْلِهِ أَبَدًا، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ يَذِيعَ الزِّنَا..

﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فِي الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَظْهَرَ ذَلِكَ فِيهِمْ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَجِيعٌ..

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالْحَدِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ حَدًّا لِرَامِي الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنِينَ إِذَا رَمَوْهُمْ بِذَلِكَ..

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابُ جَهَنَّمَ إِنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كَذِبَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ مِنْ صِدْقِهِمْ..

﴿وَأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩] ذَلِكَ؛ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، يَقُولُ: فَلَا تَرْوُوا مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَلَا سِيَّمَا عَلَى حَلَائِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَهْلِكُوا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَرَحِمَكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠] وَأَنَّ اللهَ ذُو رَأْفَةٍ، وَرَحْمَةٍ بِخَلْقِهِ، لَهَلَكْتُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ، وَعَاجَلَتْكُمْ مِنَ اللهِ الْعُقُوبَةُ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَتَّبِعُوا۟﴾ لَا تَسْلُكُوا..

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ وَطُرُقَهُ، وَلَا تَقْتَفُوا آثَارَهُ، بِإِشَاعَتِكُمُ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا، وَإِذَاعَتِكُمُوهَا فِيهِمْ، وَرِوَايَتِكُمْ ذَلِكَ عَمَّنْ جَاءَ بِهِ..

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ﴾ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْمُرُ..

﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ وَهِيَ الزِّنَا..

﴿وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ مِنَ الْقَوْلِ..

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لَكُمْ..

﴿مَا زَكَىٰ﴾ مَا تَطَهَّرَ..

﴿مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِ وَشِرْكِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يُطَهِّرُ..

﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِكُمْ..

﴿عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور: ٢١] بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ، مُحِيطٌ بِهِ، مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ، لِيُجَازِيَكُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾ وَلَا يَحْلِفْ بِاللهِ..

﴿أُوْلُواْ﴾ ذَوُو..

﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾ التَّفَضُّلِ..

﴿مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ وَالْجِدَةِ.. وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَلِفِهِ بِاللهِ، لَا يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَا يَحْلِفْ مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنْ مَالٍ وَسِعَةٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ..

﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾ أَلَّا يُعْطُوا..

﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ، فَيَصِلُوا بِهِ أَرْحَامَهُمْ، كَمِسْطَحٍ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ..

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ وَذَوِي خَلَّةِ الْحَاجَةِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا..

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا..

﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ جُرْمٍ، وَذَلِكَ كَجُرْمِ مِسْطَحٍ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ فِي إِشَاعَتِهِ عَلَىٰ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ مَا أَشَاعَ مِنَ الْإِفْكِ..

﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ وَلْيَتْرُكُوا عُقُوبَتَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، بِحِرْمَانِهِمْ مَا كَانُوا يُؤْتُونَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لِيَعُودُوا لَهُمْ إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانُوا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ..

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَسْتُرَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِإِفْضَالِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَيَتْرُكَ عُقُوبَتَكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ أَطَاعَهُ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢] بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ مَعَ اتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، عَلَىٰ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ زَلَّةٍ وَهَفْوَةٍ قَدِ اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا، وَتَابُوا إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِهَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بِالْفَاحِشَةِ..

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الْعَفِيفَاتِ..

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عَنِ الْفَوَاحِشِ..

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ أُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣] وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ وَذَلِكَ حِينَ يَجْحَدُ أَحَدُهُمَا مَا اكْتَسَبَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ عِنْدَ تَقْرِيرِ اللهِ إِيَّاهُ بِهَا، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ..

﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ حِينَ يُخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ؟ قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ أَلْسِنَةَ بَعْضِهِمْ تَشْهَدُ عَلَىٰ بَعْضٍ، لَا أَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ تَنْطِقُ وَقَدْ خُتِمَ عَلَىٰ الْأَفْوَاهِ.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..

﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ يُوَفِّيهِمُ اللهُ حِسَابَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ.. وَالدِّينُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ..

﴿ٱلْحَقَّ﴾ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ يَوْمَئِذٍ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ حَقَائِقَ مَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، وَيَزُولُ حِينَئِذٍ الشَّكُّ فِيهِ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا فِيمَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَمْتَرُونَ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ قَبِيحُهُ وَسَيِّئُهُ..

﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ..

﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ مِنَ الْقَوْلِ؛ هُمْ بِهَا أَوْلَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا..

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَذَلِكَ حَسَنُهُ وَجَمِيلُهُ..

﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنَ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا وَأَحَقُّ بِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: الْخَبِيثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، لِأَنَّ الْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَتْ بِتَوْبِيخِ اللهِ لِلْقَائِلِينَ فِي عَائِشَةَ

الْإِفْكَ، وَالرَّامِينَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَإِخْبَارِهِمْ مَا خَصَّهُمْ بِهِ عَلَىٰ إِفْكِهِمْ، فَكَانَ خَتْمُ الْخَبَرِ عَنْ أَوْلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِفْكِ مِنَ الرَّامِي وَالْمَرْمِيِّ بِهِ أَشْبَهَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ غَيْرِهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ مُبَرَّءُونَ مِنْ خَبِيثَاتِ الْقَوْلِ، إِنْ قَالُوهَا فَإِنَّ اللهَ يَصْفَحُ لَهُمْ عَنْهَا، وَيَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَإِنْ قِيلَتْ فِيهِمْ ضَرَّتْ قَائِلَهَا وَلَمْ تَضُرَّهُمْ، كَمَا لَوْ قَالَ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ الْخَبِيثُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِهِ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَتَقَبَّلُهُ، وَلَوْ قِيلَتْ لَهُ لَضَرَّتْهُ؛ لِأَنَّهُ يَلْحَقُهُ عَارُهَا فِي الدُّنْيَا، وَذُلُّهَا فِي الْآخِرَةِ.. كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: (**فَمَنْ كَانَ طَيِّبًا فَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ خَبِيثٍ، يَقُولُ: يَغْفِرُهُ اللهُ؛ وَمَنْ كَانَ خَبِيثًا فَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُ يَرُدُّهُ اللهُ عَلَيْهِ لَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ**).. وَقَدْ قِيلَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ عَائِشَةُ، وَصَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ، فَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ قِيلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَجَمَعَ، وَالْمُرَادُ: ذَانِكَ، كَمَا قِيلَ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، وَالْمُرَادُ أَخَوَانِ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ..

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ مِنَ اللهِ لِذُنُوبِهِمْ وَالْخَبِيثِ مِنَ الْقَوْلِ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ..

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٢٦﴾ [النور: ٢٦] وَلَهُمْ أَيْضًا مَعَ الْمَغْفِرَةِ عَطِيَّةٌ مِنَ اللهِ كَرِيمَةٌ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [النور: ٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ﴾ حَتَّىٰ تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا.. وَهُوَ مِنَ الْمُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ، إِنَّمَا هُوَ: حَتَّىٰ تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا..

﴿عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟.. وَالِاسْتِئْنَاسُ: الِاسْتِفْعَالُ مِنَ الْأُنْسِ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَهْلَ الْبَيْتِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ، مُخْبِرًا بِذَلِكَ مَنْ فِيهِ، وَهَلْ فِيهِ أَحَدٌ؟ وَلْيُؤْذِنْهُمْ أَنَّهُ دَاخِلٌ عَلَيْهِمْ، فَلْيَأْنَسْ إِلَىٰ إِذْنِهِمْ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَيَأْنَسُوا إِلَىٰ اسْتِئْذَانِهِ إِيَّاهُمْ وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: اذْهَبْ فَاسْتَأْنِسْ، هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فِي الدَّارِ؟ بِمَعْنَىٰ: انْظُرْ هَلْ تَرَىٰ فِيهَا أَحَدًا؟..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ اسْتِئْنَاسُكُمْ وَتَسْلِيمُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي تُرِيدُونَ دُخُولَهُ، فَإِنَّ دُخُولَكُمُوهُ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ أَنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ، عَلَىٰ مَاذَا تَهْجُمُونَ؟ عَلَىٰ مَا يَسُوءُكُمْ أَوْ يَسُرُّكُمْ؟ وَأَنْتُمْ إِذَا دَخَلْتُمْ بِإِذْنٍ، لَمْ تَدْخُلُوا عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ، وَأَدَّيْتُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا حَقَّ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي الِاسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ [النور: ٢٧] لِتَتَذَكَّرُوا بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ أَمْرَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَاللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، فَتُطِيعُوهُ.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨﴾ [النور: ٢٨].

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ﴾ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تَسْتَأْذِنُونَ..

﴿فِيهَآ أَحَدًا﴾ يَأْذَنُ لَكُمْ بِالدُّخُولِ إِلَيْهَا..

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ لَكُمْ، فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ دُخُولُهَا إِلَّا بِإِذْنِ أَرْبَابِهَا..

﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ أَرْبَابُهَا أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا..

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ وَإِنْ قَالَ لَكُمْ أَهْلُ الْبُيُوتِ الَّتِي تَسْتَأْذِنُونَ فِيهَا..

﴿ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ﴾ فَلَا تَدْخُلُوهَا، فَارْجِعُوا عَنْهَا وَلَا تَدْخُلُوهَا..

﴿هُوَ﴾ رُجُوعُكُمْ عَنْهَا إِذَا قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا، وَلَمْ يُؤْذَنْ لَكُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا..

﴿أَزْكَىٰ﴾ أَطْهَرُ..

﴿لَكُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ رُجُوعِكُمْ بَعْدَ اسْتِئْذَانِكُمْ فِي بُيُوتِ غَيْرِكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا وَتَرْكِ رُجُوعِكُمْ عَنْهَا وَطَاعَتِكُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿عَلِيمٌ ٢٨﴾ [النور: ٢٨] ذُو عِلْمٍ مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ مُحْصٍ جَمِيعَهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ٢٩﴾ [النور: ٢٩].

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جُنَاحٌ﴾ إِثْمٌ وَحَرَجٌ..

﴿أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا لَا سَاكِنَ بِهَا بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ..

﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهَا الْخَانَاتِ وَالْبُيُوتَ الْمَبْنِيَّةَ بِالطُّرُقِ الَّتِي لَيْسَ بِهَا سُكَّانٌ مَعْرُوفُونَ، وَإِنَّمَا بُنِيَتْ لِمَارَّةِ الطَّرِيقِ وَالسَّابِلَةِ لِيَأْوُوا إِلَيْهَا، وَيُؤْوُوا إِلَيْهَا أَمْتِعَتَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ بُيُوتُ مَكَّةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْبُيُوتُ الْخَرِبَةُ، وَالْمَتَاعُ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهَا لَكُمْ: قَضَاءُ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلَاءِ وَالْبَوْلِ فِيهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ بُيُوتَ التُّجَّارِ الَّتِي فِيهَا أَمْتِعَةُ النَّاسِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَمَّ كُلَّ بَيْتٍ لَا سَاكِنَ بِهِ لَنَا فِيهِ مَتَاعٌ نَدْخُلُهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ؛ لِأَنَّ الْإِذْنَ إِنَّمَا يَكُونُ لِيُؤْنِسَ الْمَأْذُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ الدُّخُولِ، أَوْ لِيَأْذَنَ لِلدَّاخِلِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالِكًا، أَوْ كَانَ فِيهِ سَاكِنًا، فَأَمَّا إِنْ كَانَ لَا مَالِكَ لَهُ، فَيُحْتَاجُ إِلَىٰ إِذْنِهِ لِدُخُولِهِ وَلَا سَاكِنَ فِيهِ، فَيَحْتَاجُ الدَّاخِلُ إِلَىٰ إِينَاسِهِ، وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَىٰ مَا لَا يُحِبُّ رُؤْيَتَهُ مِنْهُ، فَلَا مَعْنَىٰ لِلِاسْتِئْذَانِ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَلَا وَجْهَ لِتَخْصِيصِ بَعْضٍ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ، فَكُلُّ بَيْتٍ لَا مَالِكَ لَهُ وَلَا سَاكِنَ مِنْ بَيْتٍ مَبْنِيٍّ بِبَعْضِ الطُّرُقِ لِلْمَارَّةِ وَالسَّابِلَةِ لِيَأْوُوا إِلَيْهِ، أَوْ بَيْتٍ خَرَابٍ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَلَا سَاكِنَ فِيهِ، حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِمَنْ أَرَادَ دُخُولَهُ أَنْ يَدْخُلَ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، لِمَتَاعٍ لَهُ يُؤْوِيهُ إِلَيْهِ، أَوْ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهِ لِقَضَاءِ حَقِّهِ مِنْ بَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.. وَأَمَّا بُيُوتُ التُّجَّارِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ دُخُولُهَا إِلَّا بِإِذْنِ أَرْبَابِهَا وَسُكَّانِهَا، فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ التَّاجِرَ إِذَا فَتَحَ دُكَّانَهُ، وَقَعَدَ لِلنَّاسِ، فَقَدْ أَذِنَ لِمَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فِي دُخُولِهِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ دُخُولُ مِلْكِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَيْهِ، أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ أَبَاحَ لَهُ دُخُولَهُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِيهِ مَتَاعٌ؛ فَإِنْ كَانَ التَّاجِرُ قَدْ عُرِفَ مِنْهُ أَنَّ فَتْحَهُ حَانُوتَهُ إِذْنٌ مِنْهُ لِمَنْ أَرَادَ دُخُولَهُ فِي الدُّخُولِ، فَذَلِكَ بَعْدُ رَجَعَ إِلَىٰ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ مَنْ دَخَلَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ مِنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ﴾ فِي شَيْءٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّتِي وَضَعَ اللهُ عَنَّا الْجُنَاحَ فِي دُخُولِهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ الْبُيُوتِ، هِيَ مَا لَمْ يَكُنْ مَسْكُونًا، إِذْ حَانُوتُ التَّاجِرِ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ دُخُولِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَسْكُونٌ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مِمَّا عَنَىٰ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْزِلٍ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُظْهِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ بِأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الِاسْتِئْذَانِ إِذَا اسْتَأْذَنْتُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْبُيُوتِ الْمَسْكُونَةِ..

﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٩] وَمَا تُضْمِرُونَهُ فِي صُدُورِكُمْ عِنْدَ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ، مَا الَّذِي

تَقْصِدُونَ بِهِ: إِطَاعَةُ اللهِ وَالِانْتِهَاءُ إِلَىٰ أَمْرِهِ، أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ؟

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ [النور: ٣٠].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ وَبِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ يَكُفُّوا مِنْ نَظَرِهِمْ إِلَىٰ مَا يَشْتَهُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا قَدْ نَهَاهُمُ اللهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (**يَغُضُّ مِنْ بَصَرِهِ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَا لا يَحِلُّ لَهُ، إِذَا رَأَىٰ مَا لا يَحِلُّ لَهُ غَضَّ مِنْ بَصَرِهِ، لا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ كُلَّهُ**)..

﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيَتُهَا، بِلُبْسِ مَا يَسْتُرُهَا عَنْ أَبْصَارِهِمْ.. قَالَ أَبو الْعَالِيَةِ: (**كُلُّ فَرْجٍ ذُكِرَ حِفْظُهُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ مِنَ الزِّنَا، إِلَّا هَذِهِ، فَإِنَّهُ يَعْنِي السِّتْرَ**)..

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ فَإِنَّ غَضَّهَا مِنَ النَّظَرِ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَحِفْظَ الْفَرْجِ عَنْ أَنْ يَظْهَرَ لِأَبْصَارِ النَّاظِرِينَ أَطْهَرُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَأَفْضَلُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ [النور: ٣٠] إِنَّ اللهَ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَصْنَعُونَ أَيُّها النَّاسُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ غَضِّ أَبْصَارِكُمْ عَمَّا أَمَرَكُمْ بِالْغَضِّ عَنْهُ وَحِفْظِ فُرُوجِكُمْ عَنْ إِظْهَارِهَا لِمَنْ نَهَاكُمْ عَنْ إِظْهَارِهَا لَهُ.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور: ٣١].

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ مِنْ أُمَّتِكَ..

﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عَمَّا يَكْرَهُ اللهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ..

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنْ أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيَتُهَا، بِلُبْسِ مَا

يَسْتُرُهَا عَنْ أَبْصَارِهِمْ..

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وَلَا يُظْهِرْنَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا لَهُنَّ بِمَحْرَمٍ زِينَتَهُنَّ، وَهُمَا زِينَتَانِ: إِحْدَاهُمَا: مَا خَفِيَ، وَذَلِكَ كَالْخَلْخَالِ وَالسِّوَارَيْنِ وَالْقُرْطَيْنِ وَالْقَلَائِدِ، وَالْأُخْرَىٰ: مَا ظَهَرَ مِنْهَا..

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وَذَلِكَ مُخْتَلَفٌ فِي الْمَعْنِيِّ مِنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: زِينَةُ الثِّيَابِ الظَّاهِرَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الظَّاهِرُ مِنَ الزِّينَةِ الَّتِي أُبِيحَ لَهَا أَنْ تُبْدِيَهُ: الْكُحْلُ، وَالْخَاتَمُ، وَالسِّوَارَانِ، وَالْوَجْهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِهِ الْوَجْهَ وَالثِّيَابَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ، يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ الْكُحْلُ، وَالْخَاتَمُ، وَالسِّوَارُ، وَالْخِضَابُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالتَّأْوِيلِ، لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ عَلَىٰ كُلِّ مُصَلٍّ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ فِي صَلَاتِهِ، وَأَنَّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا وَكَفَّيْهَا فِي صَلَاتِهَا، وَأَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتُرَ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ بَدَنِهَا إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَبَاحَ لَهَا أَنْ تُبْدِيَهُ مِنْ ذِرَاعِهَا إِلَىٰ قَدْرِ النِّصْفِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِجْمَاعًا، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ لَهَا أَنْ تُبْدِيَ مِنْ بَدَنِهَا مَا لَمْ يَكُنْ عَوْرَةً كَمَا ذَلِكَ لِلرِّجَالِ؛ لِأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ عَوْرَةً فَغَيْرُ حَرَامٍ إِظْهَارُهُ. وَإِذَا كَانَ لَهَا إِظْهَارُ ذَلِكَ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ مِمَّا اسْتَثْنَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ مِنْهَا..

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وَلْيُلْقِينَ خُمُرَهُنَّ، وَهِيَ جَمْعُ خِمَارٍ..

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ، وَأَعْنَاقَهُنَّ وَقُرْطَهُنَّ..

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الَّتِي هِيَ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ بَلِ الْخَفِيَّةُ مِنْهَا، وَذَلِكَ الْخَلْخَالُ وَالْقُرْطُ وَالدُّمْلُجُ، وَمَا أُمِرَتْ بِتَغْطِيَتِهِ بِخِمَارِهَا مِنْ فَوْقِ الْجَيْبِ، وَمَا وَرَاءَ مَا أُبِيحَ لَهَا كَشْفُهُ، وَإِبْرَازُهُ فِي الصَّلَاةِ وَلِلْأَجْنَبِيِّينَ مِنَ النَّاسِ، وَالذِّرَاعَيْنِ إِلَىٰ فَوْقِ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ الْحَرَائِرِ لَا يُظْهِرْنَ هَذِهِ الزِّينَةَ الْخَفِيَّةَ الَّتِي لَيْسَتْ بِالظَّاهِرَةِ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، وَهُمْ أَزْوَاجُهُنَّ، وَاحِدُهُمْ: بَعْلٌ..

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ أَوْ لِآبَائِهِنَّ..

﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ أَوْ لِأَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ..

﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ..

﴿أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ أَوْ لِبَنِي إِخْوَانِهِنَّ..

﴿أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ أَوْ لِبَنِي أَخَوَاتِهِنَّ..

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ: أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ تُقَبِّلَ النَّصْرَانِيَّةُ الْمُسْلِمَةَ، أَوْ تَرَىٰ عَوْرَتَهَا، وَيَتَأَوَّلُ: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾..

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَوْ مَمَالِيكُهُنَّ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهَا أَنْ تُظْهِرَ لَهُمْ مِنْ زِينَتِهَا مَا تُظْهِرُهُ لِهَؤُلَاءِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ إِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَبْلُ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾، عَنَىٰ بِهِنَّ النِّسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ دُونَ الْمُشْرِكَاتِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْإِمَاءِ الْمُشْرِكَاتِ..

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وَالَّذِينَ يَتْبَعُونَكُمْ لِطَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ عِنْدَكُمْ..

﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ مِمَّنْ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِنَّ، وَلَا يُرِيدُهُنَّ.. وَالْإِرْبَةُ: الْفِعْلَةُ مِنَ الْأَرَبِ، مِثْلُ الْجِلْسَةِ مِنَ الْجُلُوسِ، وَالْمِشْيَةُ مِنَ الْمَشْيِ، وَهِيَ الْحَاجَةُ؛ يُقَالُ: لَا أَرَبَ لِي فِيكَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ؛ وَكَذَا أَرِبْتُ لِكَذَا وَكَذَا، إِذَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ..

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَكْشِفُوا عَنْ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ بِجِمَاعِهِنَّ فَيَظْهَرُوا عَلَيْهِنَّ لِصِغَرِهِنَّ..

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وَلَا يَجْعَلْنَ فِي أَرْجُلِهِنَّ مِنَ الْحُلِيِّ مَا إِذَا مَشَيْنَ أَوْ حَرَّكْنَهُنَّ عَلِمَ النَّاسُ الَّذِينَ مَشَيْنَ بَيْنَهُمْ مَا يُخْفِينَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وَارْجِعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ، وَحِفْظِ الْفَرْجِ، وَتَرْكِ دُخُولِ بُيُوتٍ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ وَلَا تَسْلِيمٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور: ٣١] لِتُفْلِحُوا وَتُدْرِكُوا طَلِبَاتِكُمْ لَدَيْهِ، إِذَا أَنْتُمْ أَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور: ٣٢].

﴿وَأَنكِحُواْ﴾ وَزَوِّجُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ أَحْرَارِ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ.. وَالْأَيَامَىٰ: جَمْعُ أَيِّمٍ، وَإِنَّمَا جُمِعَ أَيَامَىٰ؛ لِأَنَّهَا فَعِيلَةٌ فِي الْمَعْنَىٰ، فَجُمِعَتْ كَذَلِكَ كَمَا جُمِعَتِ الْيَتِيمَةُ: يَتَامَىٰ، وَالْأَيِّمُ يُوصَفُ

بِهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَىٰ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَيِّمٌ، وَامْرَأَةٌ أَيِّمٌ وَأَيِّمَةٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ..

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ عَبِيدِكُمْ وَمَمَالِيكِكُمْ..

﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُنْكِحُونَهُمْ مِنْ أَيَامَىٰ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَعَبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ أَهْلَ فَاقَةٍ وَفَقْرٍ..

﴿يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فَإِنَّ اللهَ يُغْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ فَقْرُهُمْ مِنْ إِنْكَاحِهِمْ..

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الْفَضْلِ، جَوَادٌ بِعَطَايَاهُ، فَزَوِّجُوا إِمَاءَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ وَاسِعٌ يُوَسِّعُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢] هُوَ ذُو عِلْمٍ بِالْفَقِيرِ مِنْهُمْ وَالْغَنِيِّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ حَالُ خَلْقِهِ فِي شَيْءٍ وَتَدْبِيرُهُمْ.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: ٣٣].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ عَنْ إِتْيَانِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ..

﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْكِحُونَ بِهِ النِّسَاءَ..

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن﴾ سَعَةٍ..

﴿فَضْلِهِ﴾ وَيُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ..

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْمُكَاتَبَةَ مِنْكُمْ مِنْ مَمَالِيكِكُمْ..

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فُرِضَ عَلَىٰ الرَّجُلِ أَنْ يُكَاتِبَ عَبْدَهُ الَّذِي قَدْ عَلِمَ فِيهِ خَيْرًا إِذَا سَأَلَهُ الْعَبْدُ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ظَاهِرُ أَمْرٍ، وَأَمْرُ اللهِ فَرْضُ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ، مَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ نَدْبٌ..

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ إِذَا عَلِمُوا فِيهِمْ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ الِاحْتِرَافِ وَالْكَسْبِ لِأَدَاءِ مَا كُوتِبُوا عَلَيْهِ..فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُكَاتِبَ مَمْلُوكَهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِرْفَةٌ، قَالَ: (**تُطْعِمُنِي أَوْسَاخَ النَّاسِ؟**).. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ صِدْقًا وَوَفَاءً وَأَدَاءً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنْ عَلِمْتُمْ لَهُمْ مَالًا.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ

فكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ قُوَّةً عَلَىٰ الِاحْتِرَافِ وَالِاكْتِسَابِ، وَوَفَاءً بِمَا أَوْجَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَلْزَمَهَا، وَصِدْقَ لَهْجَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي بِمَوْلَىٰ الْعَبْدِ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا إِذَا كَاتَبَ عَبْدَهُ مِمَّا يَكُونُ فِي الْعَبْدِ؛ فَأَمَّا الْمَالُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الْعَبْدِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَهُ أَوْ لَهُ، لَا فِيهِ، وَاللهُ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا مُكَاتَبَةَ الْعَبْدِ إِذَا عَلِمْنَا فِيهِ خَيْرًا، لَا إِذَا عَلِمْنَا عِنْدَهُ أَوْ لَهُ، فَلِذَلِكَ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ الْخَيْرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ الْمَالُ..

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وَأَعْطُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ.. وَذَلِكَ حَضٌّ مِنَ اللهِ أَهْلَ الْأَمْوَالِ عَلَىٰ أَنْ يُعْطُوهُمْ سَهْمَهُمُ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْمَفْرُوضَةِ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فَالرِّقَابُ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا أَحَدَ سِهْمَانِ الصَّدَقَةِ الثَّمَانِيَةِ هُمُ الْمُكَاتَبُونَ، وَإِيَّاهُ عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، أَيْ: سَهْمَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِإِعْطَاءِ الْمُكَاتَبِ مِنْ مَالِ اللهِ هُوَ مَوْلَىٰ الْعَبْدِ الْمُكَاتَبِ، وَمَالُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ مِنْهُ هُوَ مَالُ الْكِتَابَةِ، وَالْقَدْرُ الَّذِي أُمِرَ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْهُ: الرُّبُعُ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِإِيتَاءِ الْمُكَاتَبِينَ مِنْ مَالِهِ الَّذِي آتَىٰ أَهْلَ الْأَمْوَالِ، وَأَمْرُ اللهِ فَرْضٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الِانْتِهَاءُ إِلَيْهِ، مَا لَمْ يُخْبِرْهُمْ أَنَّ مُرَادَهُ النَّدْبُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّهُ نَدْبٌ، فَفَرْضٌ وَاجِبٌ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الْحُجَّةُ قَدْ قَامَتْ أَنْ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي مَالِ أَحَدٍ غَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ لِأَهْلِ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْكِتَابَةُ الَّتِي يَقْتَضِيهَا سَيِّدُ الْمُكَاتَبِ مِنْ مُكَاتَبِهِ مَالًا مِنْ مَالِ سَيِّدِ الْمُكَاتَبِ؛ فَيُفَادُ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْتُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ هُوَ مَا فَرَضَ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ، إِذْ كَانَ لَا حَقَّ فِي أَمْوَالِهِمْ لِأَحَدٍ سِوَاهَا..

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ زَوِّجُوا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، وَلَا تُكْرِهُوا إِمَاءَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ، وَهُوَ الزِّنَا..

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ إِنْ أَرَدْنَ تَعَفُّفًا عَنِ الزِّنَا..

﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ لِتَلْتَمِسُوا بِإِكْرَاهِكُمْ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ الزِّنَا..

﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وَذَلِكَ مَا تَعْرِضُ لَهُمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ رِيَاشِهَا وَزِينَتِهَا، وَأَمْوَالِهَا..

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ وَمَنْ يُكْرِهْ فَتَيَاتِهِ عَلَىٰ الْبِغَاءِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَهُمْ..

﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣﴾ [النور: ٣٣] وَوِزْرُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ دُونَهُنَّ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَعَنْ جَابِرٍ: (أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ يُقَالُ لَهَا: مُسَيْكَةُ، وَأُخْرَىٰ يُقَالُ لَهَا: أُمَيْمَةُ، فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَىٰ الزِّنَا، فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣﴾).

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ [النور: ٣٤].

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ءَايَٰتٖ﴾ دِلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ..

﴿مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ مُفَصِّلَاتِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَمُوَضِّحَاتٍ ذَلِكَ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْآيَاتِ هُنَّ تُبَيِّنُّ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ لِلنَّاسِ وَتَهْدِيهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ.. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: (مُبَيَّنَاتٍ) بِفَتْحِ الْيَاءِ: بِمَعْنَىٰ مُفَصَّلَاتٍ، وَأَنَّ اللهَ فَصَّلَهُنَّ وَبَيَّنَهُنَّ لِعِبَادِهِ، فَهُنَّ مُفَصَّلَاتٌ مُبَيَّنَاتٌ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، وَقَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ إِذْ فَصَّلَهَا وَبَيَّنَهَا صَارَتْ مُبَيِّنَةً بِنَفْسِهَا الْحَقَّ لِمَنْ الْتَمَسَهُ مِنْ قِبَلِهَا، وَإِذَا بَيَّنَتْ ذَلِكَ لِمَنِ الْتَمَسَهُ مِنْ قِبَلِهَا، فَبُيِّنُ اللهُ ذَلِكَ فِيهَا، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ فِي قِرَاءَتِهِ الصَّوَابَ..

﴿وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ مِنَ الْأُمَمِ..

﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ [النور: ٣٤] وَمَوْعِظَةً لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، فَخَافَ عِقَابَهُ، وَخَشِيَ عَذَابَهُ.

﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥].

﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هَادِي مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُمْ بِنُورِهِ إِلَىٰ الْحَقِّ يَهْتَدُونَ، وَبِهُدَاهُ مِنْ حَيْرَةِ الضَّلَالَةِ يَعْتَصِمُونَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: اللهُ مُدَبِّرُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ النُّورِ الضِّيَاءَ، وَقَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ضِيَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (بَدَأَ بِنُورِ نَفْسِهِ، فَذَكَرَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ نُورَ الْمُؤْمِنِ).. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤]، فَكَانَ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ مَوْقِعِ يَقَعُ تَنْزِيلُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ مَدْحِ مَا ابْتَدَأَ بِذِكْرِ مَدْحِهِ، أَوْلَىٰ وَأَشْبَهُ، مَا لَمْ يَأْتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ انْقِضَاءِ الْخَبَرِ عَنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤]، فَهَدَيْنَاكُمْ بِهَا، وَبَيَّنَّا لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ بِهَا، لِأَنِّي هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ.. وَتَرَكَ وَصْلَ الْكَلَامِ بِاللَّامِ، وَابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْ هِدَايَةِ خَلْقِهِ ابْتِدَاءً، وَفِيهِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرْتُ، اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فِي الْخَبَرِ عَنْ مَثَلِ هِدَايَتِهِ خَلْقَهُ بِالْآيَاتِ الْمُبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ..

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مَثَلُ مَا أَنَارَ مِنَ الْحَقِّ بِهَذَا التَّنْزِيلِ فِي بَيَانِهِ.. وَذَلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْقُرْآنِ فِي قَلْبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، فَقَالَ: مَثَلُ نُورِ اللهِ الَّذِي أَنَارَ بِهِ لِعِبَادِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، فَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا فِيهِ، فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كَمَثَلِ مِشْكَاةٍ، وَهِيَ عَمُودُ الْقِنْدِيلِ الَّذِي فِيهِ الْفَتِيلَةُ؛ وَذَلِكَ هُوَ نَظِيرُ الْكَوَّةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْحِيطَانِ الَّتِي لَا مَنْفَذَ لَهَا، وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ الْعَمُودُ مِشْكَاةً؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَافِذٍ، وَهُوَ أَجْوَفُ، مَفْتُوحُ الْأَعْلَىٰ، فَهُوَ كَالْكَوَّةِ الَّتِي فِي الْحَائِطِ الَّتِي لَا تَنْفُذُ..

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وَهُوَ السِّرَاجُ، وَجَعَلَ السِّرَاجَ، وَهُوَ الْمِصْبَاحُ مَثَلًا لِمَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ الْمُبَيِّنَاتِ..

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ السِّرَاجَ الَّذِي فِي الْمِشْكَاةِ فِي الْقِنْدِيلِ، وَهُوَ الزُّجَاجَةُ، وَذَلِكَ مَثَلٌ لِلْقُرْآنِ، يَقُولُ: الْقُرْآنُ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَنَارَ اللهُ قَلْبَهُ فِي صَدْرِهِ..

﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ وَذَلِكَ صَدْرُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِيهِ قَلْبُهُ..

﴿كَأَنَّهَا﴾ كَأَنَّ الزُّجَاجَةَ، وَذَلِكَ مَثَلٌ لِصَدْرِ الْمُؤْمِنِ فِي خُلُوصِهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالشَّكِّ فِيهِ، وَاسْتِنَارَتِهِ بِنُورِ الْقُرْآنِ، وَاسْتِضَاءَتِهِ بِآيَاتِ رَبِّهِ الْمُبَيِّنَاتِ، وَمَوَاعِظِهِ فِيهَا كَمَثَلِ الـ..

﴿كَوْكَبٌ﴾ فِي صَفَائِهَا وَضِيَائِهَا وَحُسْنِهَا، وَإِنَّمَا يَصِفُ صَدْرَهُ بِالنَّقَاءِ مِنْ كُلِّ رَيْبٍ وَشَكٍّ فِي

أَسْبَابِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي، كَالْكَوْكَبِ الـ..

﴿دُرِّيٌّ﴾ الَّذِي يُشْبِهُ الدُّرَّ فِي الصَّفَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحُسْنِ..

﴿يُوقَدُ﴾ قَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَالْمَدَنِيِّينَ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: (تَوَقَّدَ) بِالتَّاءِ، وَفَتْحِهَا، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَفَتْحِ الدَّالِ، وَكَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ تَوَقُّدِ الْمِصْبَاحِ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ عَامَّةِ قُرَّاءِ الْمَدَنِيِّينَ (يُوقَدُ) بِالْيَاءِ، وَتَخْفِيفِ الْقَافِ، وَرَفْعِ الدَّالِ؛ بِمَعْنَىٰ: يُوقِدُ الْمِصْبَاحُ مُوقِدُهُ مِنْ شَجَرَةٍ، ثُمَّ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (تُوقَدُ) بِضَمِّ التَّاءِ، وَتَخْفِيفِ الْقَافِ وَرَفْعِ الدَّالِ، بِمَعْنَىٰ: يُوقِدُ الزُّجَاجَةُ مُوقِدُهَا مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.. وَقَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ: (تَوَقَّدُ) بِفَتْحِ التَّاءِ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَضَمِّ الدَّالِ؛ بِمَعْنَىٰ: تَتَوَقَّدُ الزُّجَاجَةُ مِنْ شَجَرَةٍ، ثُمَّ أُسْقِطَتْ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ اكْتِفَاءً بِالْبَاقِيَةِ مِنَ الذَّاهِبَةِ.. وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْأَلْفَاظُ بِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الزُّجَاجَةَ إِذَا وُصِفَتْ بِالتَّوَقُّدِ أَوْ بِأَنَّهَا تُوقَدُ، فَمَعْلُومٌ مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ تَوَقَّدَ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، أَوْ يُوقَدُ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، وَلَكِنْ وَجَّهُوا الْخَبَرَ إِلَىٰ أَنَّ وَصْفَهَا بِذَلِكَ أَقْرَبُ فِي الْكَلَامِ مِنْهَا، وَفَهْمِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ، وَالْمُرَادِ مِنْهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَبِأَيِّ الْقِرَاءَاتِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ أَعْجَبَ الْقِرَاءَاتِ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فِي ذَلِكَ: (تَوَقَّدَ) بِفَتْحِ التَّاءِ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَفَتْحِ الدَّالِ، بِمَعْنَىٰ وَصْفِ الْمِصْبَاحِ بِالتَّوَقُّدِ؛ لِأَنَّ التَّوَقُّدَ وَالِاتِّقَادَ لَا شَكَّ أَنَّهُمَا مِنْ صِفَتِهِ، دُونَ الزُّجَاجَةِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ..

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ مِنْ دُهْنِ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ.. وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهِ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ كَلَامُهُ، جَعَلَ مَثَلَهُ وَمَثَلَ كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِهِ مَثَلَ الْمِصْبَاحِ الَّذِي يُوقَدُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي وَصَفَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ لَيْسَتْ شَرْقِيَّةً وَحْدَهَا حَتَّىٰ لَا تُصِيبَهَا الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ، وَإِنَّمَا لَهَا نَصِيبُهَا مِنَ الشَّمْسِ بِالْغَدَاةِ مَا دَامَتْ بِالْجَنْبِ الَّذِي يَلِي الشَّرْقَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهَا نَصِيبٌ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَىٰ جَانِبِ الْغَرْبِ..

﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ وَلَا هِيَ غَرْبِيَّةٌ وَحْدَهَا، فَتُصِيبُهَا الشَّمْسُ بِالْعَشِيِّ إِذَا مَالَتْ إِلَىٰ جَانِبِ الْغَرْبِ، وَلَا تُصِيبُهَا بِالْغَدَاةِ؛ وَلَكِنَّهَا شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ، تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ بِالْغَدَاةِ، وَتَغْرُبُ عَلَيْهَا، فَيُصِيبُهَا حَرُّ الشَّمْسِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ، كَانَ أَجْوَدَ لِزَيْتِهَا؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا وَصَفَ الزَّيْتَ

الَّذِي يُوقَدُ عَلَىٰ هَذَا الْمِصْبَاحِ بِالصَّفَاءِ وَالْجَوْدَةِ، فَإِذَا كَانَ شَجَرُهُ شَرْقِيًّا غَرْبِيًّا كَانَ زَيْتُهُ لَا شَكَّ أَجْوَدَ وَأَصْفَىٰ وَأَضْوَأَ..

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يَكَادُ زَيْتُ هَذِهِ الزَّيْتُونَةِ..

﴿يُضِيٓءُ﴾ مِنْ صَفَائِهِ، وَحُسْنِ ضِيَائِهِ.. وَعُنِيَ بِذَلِكَ: أَنَّ حُجَجَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ تَكَادُ مِنْ بَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا تُضِيءُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهَا وَنَظَرَ، أَوْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَلَهَا...

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فَكَيْفَ إِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ؟.. يَقُولُ: وَلَوْ لَمْ يُزِدْهَا اللهُ بَيَانًا وَوُضُوحًا بِإِنْزَالِهِ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ، فَكَيْفَ إِذَا نَبَّهَهُمْ بِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِهِ، فَزَادَهُمْ بِهِ حُجَّةً إِلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ؟ فَذَلِكَ بَيَانٌ مِنَ اللهِ، وَنُورٌ عَلَىٰ الْبَيَانِ، وَالنُّورُ الَّذِي كَانَ قَدْ وَضَعَهُ لَهُمْ وَنَصَبَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ..

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يَعْنِي النَّارَ عَلَىٰ هَذَا الزَّيْتِ الَّذِي كَادَ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ، وَهُوَ مَثَلُ الْقُرْآنِ، نُورٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَنْزَلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ، ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ عَلَىٰ الْحُجَجِ وَالْبَيَانِ الَّذِي قَدْ نَصَبَهُ لَهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْقُرْآنِ، وَإِنْزَالِهِ إِيَّاهُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ حَقِيقَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، فَذَلِكَ بَيَانٌ مِنَ اللهِ، وَنُورٌ عَلَىٰ الْبَيَانِ، وَالنُّورُ الَّذِي كَانَ وَضَعَهُ لَهُمْ وَنَصَبَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ..

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ يُوَفِّقُ اللهُ لِاتِّبَاعِ نُورِهِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ وَيُمَثِّلُ اللهُ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ لِلنَّاسِ، كَمَا مَثَّلَ لَهُمْ مَثَلَ هَذَا الْقُرْآنِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالْمِصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاةِ، وَسَائِرِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥] وَاللهُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ذُو عِلْمٍ.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

[النور: ٣٦].

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، فِي بُيُوتٍ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (مِنْ) فِي صِلَةِ (تَوَقَّدَ) فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ: تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ذَلِكَ الْمِصْبَاحُ فِي بُيُوتٍ.. وَعُنِيَ بِالْبُيُوتِ الْمَسَاجِدُ؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، عَلَىٰ أَنَّهَا بُيُوتٌ بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ؛ فَلِذَلِكَ قُلْنَا هِيَ الْمَسَاجِدُ..

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ بِنَاءً، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَىٰ الرَّفْعِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَبْنِيَةِ..

﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ وَأَذِنَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَذْكُرُوا اسْمَهُ فِيهَا، وَقَدْ قِيلَ: عُنِيَ بِهِ أَنَّهُ أَذِنَ لَهُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَهَذَا الْقَوْلُ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ تِلَاوَةَ كِتَابِ اللهِ مِنْ مَعَانِي ذِكْرِ اللهِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قُلْنَا بِهِ أَظْهَرُ مَعْنَيَيْهِ، فَلِذَلِكَ اخْتَرْنَا الْقَوْلَ بِهِ..

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦﴾ [النور: ٣٦] يُصَلِّي لَهُ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ بِالْغُدُوَاتِ وَالْعَشِيَّاتِ رِجَالٌ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**كُلُّ تَسْبِيحٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ صَلَاةٌ**).

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٧].

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ لَا يَشْغَلُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فِيهَا.. فَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: (**أَنَّهُ نَظَرَ إِلَىٰ قَوْمٍ مِنَ السُّوقِ قَامُوا وَتَرَكُوا بِيَاعَاتِهِمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**)..

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَلَا يَشْغَلُهُمْ ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا..

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وَإِخْلَاصُ الطَّاعَةِ للهِ.. كما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗ﴾ [مريم: ١٣]، وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: (**يَعْنِي بِالزَّكَاةِ: طَاعَةَ اللهِ وَالْإِخْلَاصَ**)..

﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ مِنْ هَوْلِهِ، بَيْنَ طَمَعٍ بِالنَّجَاةِ وَحَذَرٍ بِالْهَلَاكِ..

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٧] أَيُّ نَاحِيَةٍ يُؤْخَذُ بِهِمْ: أَذَاتَ الْيَمِينِ؟ أَمْ ذَاتَ الشِّمَالِ؟ وَمِنْ أَيْنَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ: أَمِنْ قِبَلِ الْأَيْمَانِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ الشَّمَائِلِ؟ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٨﴾ [النور: ٣٨].

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فَعَلُوا ذَلِكَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ

اللهِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَطَاعُوا رَبَّهُمْ، مَخَافَةَ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَيْ يُثِيبَهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَيَزِيدَهُم﴾ عَلَىٰ ثَوَابِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فَيُفْضِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَحَبَّ مِنْ كَرَامَتِهِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ وَأَرَادَ مِنْ طَوْلِهِ وَكَرَامَتِهِ، مِمَّا لَمْ يَسْتَحِقَّهُ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ بِطَاعَتِهِ..

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٨] بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ عَلَىٰ مَا بَذَلَ لَهُ، وَأَعْطَاهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ: وَالَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ، مَثَلُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا..

﴿كَسَرَابِۭ﴾ مِثْلِ سَرَابٍ، وَالسَّرَابُ مَا لَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَذَلِكَ يَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ، وَحِينَ يَشْتَدُّ الْحَرُّ..

﴿بِقِيعَةٖ﴾ جَمْعُ قَاعٍ، كَالْجِيرَةِ جَمْعُ جَارٍ، وَالْقَاعُ مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ..

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يَظُنُّ الْعَطْشَانُ مِنَ النَّاسِ السَّرَابَ مَاءً..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الظَّمْآنُ السَّرَابَ مُلْتَمِسًا مَاءً يَسْتَغِيثُ بِهِ مِنْ عَطَشِهِ..

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا﴾ فَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ بِاللهِ، مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي غُرُورٍ، يَحْسِبُونَ أَنَّهَا مُنْجِيَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنْ عَذَابِهِ، كَمَا حَسِبَ الظَّمْآنُ الَّذِي رَأَىٰ السَّرَابَ، فَظَنَّهُ مَاءً يَرْوِيهِ مِنْ ظَمَئِهِ؛ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ وَصَارَ إِلَىٰ الْحَاجَةِ إِلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ نَافِعُهُ عِنْدَ اللهِ، لَمْ يَجِدْهُ يَنْفَعُهُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَمَلُهُ عَلَىٰ كُفْرٍ بِاللهِ..

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ هَذَا الْكَافِرُ..

﴿عِندَهُۥ﴾ عِنْدَ هَلَاكِهِ بِالْمِرْصَادِ..

﴿فَوَفَّىٰهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿حِسَابَهُۥۗ﴾ حِسَابَ أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَجَازَاهُ بِهَا جَزَاءَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾ [النور: ٣٩] وَاللهُ سَرِيعٌ حِسَابُهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ عَقْدِ أَصَابِعَ وَلَا حِفْظٍ بِقَلْبٍ، وَلَكِنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهُ الْعَبْدُ، وَمِنْ بَعْدِ مَا عَمِلَهُ.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠].

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ وَهَذَا مَثَلٌ آخَرُ ضَرَبَهُ اللهُ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَثَلُ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهَا عُمِلَتْ عَلَىٰ خَطَأٍ وَفَسَادٍ وَضَلَالَةٍ وَحَيْرَةٍ مِنْ عُمَّالِهَا فِيهَا، وَعَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ، مَثَلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَنَسَبَ الْبَحْرَ إِلَىٰ اللُّجَّةِ، وَصْفًا لَهُ بِأَنَّهُ عَمِيقٌ كَثِيرُ الْمَاءِ، وَلُجَّةُ الْبَحْرِ: مُعْظَمُهُ..

﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ يَغْشَىٰ الْبَحْرَ مَوْجٌ..

﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرُ يَغْشَاهُ..

﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الثَّانِي الَّذِي يَغْشَىٰ الْمَوْجَ الْأَوَّلَ سَحَابٌ..

﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ مَثَلًا لِأَعْمَالِهِمْ، وَالْبَحْرَ اللُّجِّيَّ مَثَلًا لِقَلْبِ الْكَافِرِ، يَقُولُ: عَمِلَ بِنِيَّةِ قَلْبٍ قَدْ غَمَرَهُ الْجَهْلُ، وَتَغَشَّتْهُ الضَّلَالَةُ وَالْحَيْرَةُ، كَمَا يَغْشَىٰ هَذَا الْبَحْرَ اللُّجِّيَ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، فَكَذَلِكَ قَلْبُ هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي مَثَلُ عَمَلِهِ مَثَلُ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، يَغْشَاهُ الْجَهْلُ بِاللهِ، بِأَنَّ اللهَ خَتَمَ عَلَيْهِ، فَلَا يَعْقِلُ عَنِ اللهِ، وَعَلَىٰ سَمْعِهِ، فَلَا يَسْمَعُ مَوَاعِظَ اللهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَلَا يُبْصِرُ بِهِ حُجَجَ اللهِ، فَتِلْكَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ إِذَا أَخْرَجَ النَّاظِرُ يَدَهُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، مَعَ شِدَّةِ هَذِهِ الظُّلْمَةِ الَّتِي وَصَفَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: لَمْ أَكَدْ أَرَىٰ فُلَانًا، إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ رُؤْيَتَهُ بَعْدَ جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، وَمِنْ دُونِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي وُصِفَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا لَا يَرَىٰ النَّاظِرُ يَدَهُ إِذَا أَخْرَجَهَا فِيهِ، فَكَيْفَ فِيهَا؟ قِيلَ: إِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ، لَا خَبَرٌ عَنْ كَائِنٍ كَانَ..

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ وَمَنْ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ إِيمَانًا، وَهُدًىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَمَعْرِفَةً بِكِتَابِهِ..

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠] فَمَا لَهُ مِنْ إِيمَانٍ، وَهُدًىٰ، وَمَعْرِفَةٍ بِكِتَابِهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَنَّ اللهَ يُصَلِّي لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ..

﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ فِي الْهَوَاءِ أَيْضًا تُسَبِّحُ لَهُ..

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ كُلُّ مُصَلٍّ مِنْهُمْ وَمُسَبِّحٍ، قَدْ عَلِمَ اللهُ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَفْعَلُ كُلُّ مُصَلٍّ وَمُسَبِّحٍ مِنْهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، طَاعَتُهَا وَمَعْصِيَتُهَا، مُحِيطٌ بِذَٰلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٤٢].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَللهِ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهَا، دُونَ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ سُلْطَانٍ وَمَلِكٍ، فَإِيَّاهُ فَارْهَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنَّ بِيَدِهِ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْشَىٰ بِعَطَايَاكُمْ مِنْهَا فَقْرًا..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٤٢] وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ، مَصِيرُكُمْ، وَمَعَادُكُمْ، فَيُوَفِّيكُمْ أُجُورَ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، فَأَحْسِنُوا عِبَادَتَهُ، وَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمُ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي﴾ يَسُوقُ..

﴿سَحَابًا﴾ حَيْثُ يُرِيدُ..

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَ السَّحَابِ، وَتَأْلِيفُ اللهِ السَّحَابَ: جَمْعُهُ بَيْنَ مُتَفَرِّقِهَا..

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾ ثُمَّ يَجْعَلُ السَّحَابَ الَّذِي يُزْجِيهِ وَيُؤَلِّفُ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿رُكَامًا﴾ مُتَرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ فَتَرَىٰ الْمَطَرَ..

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ..

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَعْنَاهُ: وَأَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِي السَّمَاءِ مِنْ بَرَدٍ، مَخْلُوقَةً هُنَالِكَ خِلْقَةً، كَأَنَّ الْجِبَالَ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ، هِيَ مِنْ بَرَدٍ، كَمَا يُقَالُ: جِبَالٌ مِنْ طِينٍ.. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ قَدْرَ جِبَالٍ، وَأَمْثَالَ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ إِلَىٰ الْأَرْضِ، كَمَا يُقَالُ: عِنْدِي بَيْتَانِ تِبْنًا، وَالْمَعْنَىٰ: قَدْرَ بَيْتَيْنِ مِنَ التِّبْنِ، وَالْبَيْتَانِ لَيْسَا مِنَ التِّبْنِ..

﴿فَيُصِيبُ﴾ فَيُعَذِّبُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ فَيُهْلِكُهُ، أَوْ يُهْلِكُ بِهِ زُرُوعَهُ وَمَالَهُ..

﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن﴾ زُرُوعِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿مَّن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ يَكَادُ شِدَّةُ ضَوْءِ بَرْقِ هَذَا السَّحَابِ..

﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٣﴾ [النور: ٤٣] يَذْهَبُ بِأَبْصَارِ مَنْ لَاقَىٰ بَصَرَهُ.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٤﴾ [النور: ٤٤].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾ يُعَقِّبُ اللهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيُصَرِّفُهُمَا، إِذَا أَذْهَبَ هَذَا، جَاءَ هَذَا، وَإِذَا أَذْهَبَ هَذَا، جَاءَ هَذَا..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي إِنْشَاءِ اللهِ السَّحَابَ، وَإِنْزَالِهِ مِنْهُ الْوَدْقَ، وَمِنَ السَّمَاءِ الْبَرَدَ، وَفِي تَقْلِيبِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ..

﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٤﴾ [النور: ٤٤] لَعِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ بِهِ، وَعِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِ مِمَّنْ لَهُ فَهْمٌ وَعَقْلٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْبِيءُ وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا وَمُقَلِّبًا، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾ [النور: ٤٥].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ﴾ يَعْنِي: مِنْ نُطْفَةٍ..

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كَالْحَيَّاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ وَالْمَشْيُ لَا يَكُونُ عَلَىٰ الْبَطْنِ؛ لِأَنَّ الْمَشْيَ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَا لَهُ قَوَائِمُ، عَلَىٰ التَّشْبِيهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَالَطَ مَا لَهُ قَوَائِمُ مَا لَا قَوَائِمَ لَهُ، جَازَ، كَمَا قَالَ..

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كَالطَّيْرِ..

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كَالْبَهَائِمِ.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ يُحْدِثُ اللهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥] إِنَّ اللهَ عَلَىٰ إِحْدَاثِ ذَٰلِكَ وَخَلْقِهِ وَخَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَهُ، ذُو قُدْرَةٍ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَ.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ءَايَٰتٍ﴾ عَلَامَاتٍ..

﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ وَاضِحَاتٍ، دَالَّاتٍ عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَسَبِيلِ الرَّشَادِ..

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي﴾ وَاللهُ يُرْشِدُ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ بِتَوْفِيقِهِ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦] فَيَهْدِيهِ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالطَّرِيقُ الْقَاصِدُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ..

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ ثُمَّ تُدْبِرُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَدْعُو إِلَىٰ الْمُحَاكَمَةِ إِلَىٰ غَيْرِهِ خَصْمَهَا..

﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ وَلَيْس قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾..

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧] لِتَرْكِهِمُ الِاحْتِكَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ إِذَا دُعُوا إِلَيْهِ.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٨].

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ﴾ وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ..

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فِيمَا اخْتَصَمُوا فِيهِ بِحُكْمِ اللهِ..

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٨] عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٩].

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَيَأْبَوْنَ وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ، قِبَلَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ يَأْتُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ..

﴿مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٩] مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ، مُقِرِّينَ بِهِ، طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ؛ يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَذْعَنَ فُلَانٌ بِحَقِّهِ، إِذَا أَقَرَّ بِهِ طَائِعًا غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَانْقَادَ لَهُ وَسَلَّمَ.

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٥٠].

﴿أَفِى قُلُوبِهِم﴾ أَفِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ..

﴿مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ، فَهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ حُكْمِهِ وَالرِّضَا بِهِ؟..

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ إِذَا احْتَكَمُوا إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ؟.. وَالْمَعْنَىٰ: أَنْ يَحِيفَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَبَدَأَ بِاللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَعْظِيمًا للهِ، كَمَا يُقَالُ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ، بِمَعْنَىٰ شِئْتَ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨]، فَأَفْرَدَ الرَّسُولَ بِالْحُكْمِ، وَلَمْ يَقُلْ: لِيَحْكُمَا..

﴿بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٥٠] مَا خَافَ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ، إِذْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ مِمَّا دُعُوا إِلَيْهِ أَنْ يَحِيفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ، فَيَجُورَ فِي

حُكْمِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ أَهْلُ ظُلْمٍ لِأَنْفُسِهِمْ بِخِلَافِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ مِنَ الرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَلَمْ يَعْنِ بِكَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْخَبَرَ عَنْ أَمْرٍ قَدْ مَضَىٰ فَتَقَضَّىٰ، وَلَكِنَّهُ تَأْنِيبٌ مِنَ اللهِ الَّذِينَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِسَبَبِهِمْ، وَتَأْدِيبٌ مِنْهُ آخَرِينَ غَيْرَهُمْ..

﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَإِلَىٰ حُكْمِ رَسُولِهِ..

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ..

﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا﴾ مَا قِيلَ لَنَا..

﴿وَأَطَعْنَاۚ﴾ مَنْ دَعَانَا إِلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، أَنْ يَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١] هُمُ الْمُنْجِحُونَ الْمُدْرِكُونَ طَلِبَاتِهِمْ، بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ، الْمُخَلَّدُونَ فِي جَنَّاتِ اللهِ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور: ٥٢].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ، وَيُسَلِّمْ لِحُكْمِهِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ..

﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ وَيَخَفْ عَاقِبَةَ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيَحْذَرْهُ..

﴿وَيَتَّقْهِ﴾ وَيَتَّقِ عَذَابَ اللهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور: ٥٢] بِرِضَا اللهِ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمْنِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿۞وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣﴾ [النور: ٥٣].

﴿۞وَأَقْسَمُواْ﴾ وَحَلَفَ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ إِذْ دُعُوا إِلَيْهِ..

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أَغْلَظَ أَيْمَانِهِمْ وَأَشَدَّهَا..

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِالْخُرُوجِ إِلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾ لَا تَحْلِفُوا، فَإِنَّ هَٰذِهِ..

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مِنكُمْ، فِيهَا التَّكْذِيبُ.. كَمَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: قَدْ عَرَفْتُ طَاعَتَكُمْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [النور: ٥٣] إِنَّ اللهَ ذُو خِبْرَةٍ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَتِكُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُمَا، أَوْ غَيْرَ ذَٰلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَٰلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِكُلِّ ذَٰلِكَ.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝﴾ [النور: ٥٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِهَٰؤُلَاءِ الْمُقْسِمِينَ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّتِكَ..

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فَإِنَّ طَاعَتَهُ للهِ طَاعَةٌ..

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَإِنْ تُعْرِضُوا وَتُدْبِرُوا عَمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَتَأْبُوا أَنْ تُذْعِنُوا لِحُكْمِهِ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ فِعْلُ مَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللهِ إِلَيْكُمْ، عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنَ التَّبْلِيغِ..

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَفْعَلُوا مَا أَلْزَمَكُمْ وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنَ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ وَإِنْ تُطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَسُولَ اللهِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ..

﴿تَهْتَدُوا۟﴾ تَرْشُدُوا وَتُصِيبُوا الْحَقَّ فِي أُمُورِكُمْ..

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝﴾ [النور: ٥٤] وَغَيْرُ وَاجِبٍ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ بِرِسَالَةٍ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ بَلَاغًا يُبَيِّنُ لَهُمْ ذَٰلِكَ الْبَلَاغُ عَمَّا أَرَادَ اللهُ بِهِ، يَقُولُ: فَلَيْسَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا أَدَاءُ رِسَالَةِ اللهِ إِلَيْكُمْ، وَعَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ؛ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ لِحُظُوظِ أَنْفُسِكُمْ تُصِيبُونَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ فَتُوبِقُونَ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَأَطَاعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَاهُ وَنَهَيَاهُ..

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لَيُوَرِّثَنَّهُمُ اللهُ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَيَجْعَلُهُمْ مُلُوكَهَا وَسَاسَتَهَا..

﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَلِكَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَابِرَةَ بِالشَّامِ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكَهَا وَسُكَّانَهَا..

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ وَلَيُوَطِّئَنَّ..

﴿لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ يَعْنِي: مِلَّتَهُمُ..

﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ فَأَمَرَهُمْ بِهَا..

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وَلَيُغَيِّرَنَّ حَالَهُمْ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ إِلَىٰ الْأَمْنِ..

﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ يَخْضَعُونَ لِي بِالطَّاعَةِ، وَيَتَذَلَّلُونَ لِأَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ لَا يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّايَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَلَا شَيْئًا غَيْرَهَا، بَلْ يُخْلِصُونَ لِيَ الْعِبَادَةَ فَيُفْرِدُونَهَا إِلَيَّ دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِي.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ شِكَايَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ، وَمَا يُلْقَوْنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَىٰ وَالْمَكْرُوهِ..

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥] فَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَىٰ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَآمَنُوا، ثُمَّ تَجَبَّرُوا، فَغَيَّرَ اللهُ مَا بِهِمْ، وَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَأَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ الَّذِي كَانَ رَفَعَهُ عَنْهُمْ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

﴿وَأَقِيمُواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿الصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا، فَلَا تُضَيِّعُوهَا..

﴿وَءَاتُوا۟ الزَّكَوٰةَ﴾ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَهَا..

﴿وَأَطِيعُوا۟ الرَّسُولَ﴾ وَأَطِيعُوا رَسُولَ رَبِّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ [النور: ٥٦] كَيْ يَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ فَيُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٥٧﴾ [النور: ٥٧].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ..

﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ إِذَا أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ..

﴿النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٥٧﴾ [النور: ٥٧] الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَأْوَى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْـَٔايَٰتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ [النور: ٥٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ..

﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عَبِيدُكُمْ وَإِمَاؤُكُمْ، فَلَا يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْكُمْ لَهُمْ..

﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ وَالَّذِينَ لَمْ يَحْتَلِمُوا مِنْ أَحْرَارِكُمْ..

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ﴾ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ مِنْ سَاعَاتِ لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ..

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ ۚ﴾ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْقُرَظِيِّ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سُوَيْدٍ الْحَارِثِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنِ الْإِذْنِ فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ، فَقَالَ: (**إِذَا وَضَعْتُ ثِيَابِي مِنَ الظَّهِيرَةِ، لَمْ يَلِجْ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْخَدَمِ الَّذِي بَلَغَ الْحُلُمَ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِنَ الْأَحْرَارِ، إِلَّا بِإِذْنٍ**).. وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: (**إِذَا أَبَاتَ الرَّجُلُ خَادِمَهُ مَعَهُ فَهُوَ إِذْنُهُ، وَإِنْ لَمْ يُبِتْهُ مَعَهُ اسْتَأْذَنَ فِي هَذِهِ السَّاعَاتِ**)..

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾ هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرْنَاكُمْ بِأَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ فِيهَا مَنْ ذَكَرْنَا إِلَّا

بِإِذْنٍ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تَضَعُونَ فِيهَا ثِيَابَكُمْ، وَتَخْلُونَ بِأَهْلِيكُمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿ثَلَٰثَ عَوْرَٰتٍ﴾ بِنَصْبِ (الثَّلَاثِ) عَلَىٰ الرَّدِّ عَلَىٰ (الثَّلَاثِ) الْأُولَىٰ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَىٰ، وَقَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ..

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ مَعْشَرَ أَرْبَابِ الْبُيُوتِ وَالْمَسَاكِنِ..

﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا عَلَىٰ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْ أَوْلَادِكُمُ الصِّغَارِ..

﴿جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ..

﴿بَعْدَهُنَّ﴾ بَعْدَ الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا حَرَجَ وَلَا جُنَاحَ عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مَمَالِيكُهُمُ الْبَالِغُونَ، وَصِبْيَانُهُمُ الصِّغَارُ بِغَيْرِ إِذْنٍ بَعْدَ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثِ اللَّاتِي ذَكَرَهُنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾..

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمَمَالِيكِ وَالصِّبْيَانِ الصِّغَارِ: هُمْ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَيَعْنِي بِالطَّوَّافِينَ: أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ مَوَالِيهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً بِغَيْرِ إِذْنٍ، يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ..

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فِي غَيْرِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَدْخُلُوا عَلَىٰ سَادَاتِهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَحْكَامَ الِاسْتِئْذَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ جَمِيعَ أَعْلَامِهِ، وَأَدِلَّتِهِ، وَشَرَائِعَ دِينِهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ..

﴿حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ [النور: ٥٨] فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ [النور: ٥٩].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ﴾ إِذَا بَلَغَ الصِّغَارُ مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ..

﴿مِنكُمُ﴾ مِنْ أَحْرَارِكُمْ..

﴿ٱلْحُلُمَ﴾ الِاحْتِلَامَ..

﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ فَلَا يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَّا بِإِذْنٍ، لَا فِي أَوْقَاتِ الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ وَلَا فِي غَيْرِهَا..

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَمَا اسْتَأْذَنَ الْكِبَارُ مِنْ وَلَدِ الرَّجُلِ وَأَقْرِبَائِهِ الْأَحْرَارِ.. وَخَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَطْفَالَ بِالذِّكْرِ وَتَعْرِيفِ حُكْمِهِمْ عِبَادَهُ فِي الِاسْتِئْذَانِ دُونَ ذِكْرِ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا بِتَعْرِيفِهِمْ حُكْمَ الْأَطْفَالِ الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِيكِ؛ لِأَنَّ حُكْمَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا مِنْ ذَلِكَ حُكْمٌ وَاحِدٌ، سَوَاءٌ فِيهِ حُكْمُ كِبَارِهِمْ، وَصِغَارِهِمْ فِي أَنَّ الْإِذْنَ عَلَيْهِمْ فِي السَّاعَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَ دِينِهِ، كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ فِي الِاسْتِئْذَانِ بَعْدَ الْبُلُوغِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ [النور: ٥٩] فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقِهِ.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾ [النور: ٦٠].

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وَاللَّوَاتِي قَدْ قَعَدْنَ عَنِ الْوَلَدِ مِنَ الْكِبَرِ مِنَ النِّسَاءِ، فَلَا يَحِضْنَ وَلَا يَلِدْنَ؛ وَاحِدَتُهُنَّ قَاعِدٌ..

﴿ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ اللَّاتِي قَدْ يَئِسْنَ مِنَ الْبُعُولَةِ، فَلَا يَطْمَعْنَ فِي الْأَزْوَاجِ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، يَعْنِي جَلَابِيبَهُنَّ، وَهِيَ الْقِنَاعُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْخِمَارِ، وَالرِّدَاءُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الثِّيَابِ، لَا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَحَارِمِ مِنَ الرِّجَالِ وَغَيْرِ الْمَحَارِمِ مِنَ الْغُرَبَاءِ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ..

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فِي وَضْعِ أَرْدِيَتِهِنَّ إِذَا لَمْ يُرِدْنَ بِوَضْعِ ذَلِكَ عَنْهُنَّ أَنْ يُبْدِينَ مَا عَلَيْهِنَّ مِنَ الزِّينَةِ لِلرِّجَالِ، وَالتَّبَرُّجُ: هُوَ أَنْ تُظْهِرَ الْمَرْأَةُ مِنْ مَحَاسِنِهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَسْتُرَهُ..

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ وَإِنْ تَعَفَّفْنَ عَنْ وَضْعِ جَلَابِيبِهِنَّ وَأَرْدِيَتِهِنَّ، فَيَلْبَسْنَهَا، خَيْرٌ

لَهُنَّ مِنْ أَنْ يَضَعْنَهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ مَا تَنْطِقُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [النور: ٦٠] بِمَا تُضْمِرُهُ صُدُورُكُمْ، فَاتَّقُوهُ أَنْ تَنطِقُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ مَا قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ أَنْ تَنْطِقُوا بِهَا، أَوْ تُضْمِرُوا فِي صُدُورِكُمْ مَا قَدْ كَرِهَهُ لَكُمْ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْهُ عُقُوبَةً.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [النور: ٦١].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ لَا ضِيقَ عَلَىٰ الْأَعْمَىٰ، وَلَا عَلَىٰ الْأَعْرَجِ، وَلَا عَلَىٰ الْمَرِيضِ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِ أَنْفُسِكُمْ أَوْ مِنْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ، أَوْ مِنْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ، أَوْ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهَا، أَوْ مِنْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ، إِذَا أَذِنُوا لَكُمْ فِي ذَلِكَ، عِنْدَ مَغِيبِهِمْ وَمَشْهَدِهِمْ..

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ وَكِيلُ الرَّجُلِ وَقَيِّمُهُ، أَنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ ضَيْعَتِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: مَنْزِلُ الرَّجُلِ نَفْسُهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ.. وَالْمَفَاتِحُ: الْخَزَائِنُ..

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وَكَانَ قَتَادَةُ يقول: لَوْ أَكَلْتَ مِنْ بَيْتِ صَدِيقِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ..

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الْغَنِيُّ مِنَ النَّاسِ يَتَخَوَّفُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ الْفَقِيرِ، فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي الْأَكْلِ مَعَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، كَانُوا لَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَعَ غَيْرِهِ، فَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلَ مَنْ

شَاءَ مِنْهُمْ وَحْدَهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ مَعَ غَيْرِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ إِلَّا مَعَ ضَيْفِهِمْ، فَرُخِّصَ لَهُمْ فِي أَنْ يَأْكُلُوا كَيْفَ شَاءُوا.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ وَضَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْكُلُوا جَمِيعًا مَعًا إِذَا شَاءُوا، أَوْ أَشْتَاتًا مُتَفَرِّقِينَ إِذَا أَرَادُوا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَزَلَ بِسَبَبِ مَنْ كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْأَكْلَ مَعَ الْفَقِيرِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ بِسَبَبِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَطْعَمُونَ وُحْدَانًا، وَبِسَبَبِ غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَلَا خَبَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَالصَّوَابُ التَّسْلِيمُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَالتَّوَقُّفُ فِيمَا لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ صِحَّتِهِ دَلِيلٌ..

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بُيُوتَ أَنْفُسِكُمْ، فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِيكُمْ وَعِيَالِكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمُ الْمَسَاجِدَ فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِنْ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا نَاسٌ مِنْكُمْ، فَلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِنْ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَيْتًا دُونَ بَيْتٍ، وَقَالَ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، يَعْنِي: بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَكَانَ مَعْلُومًا إِذْ لَمْ يُخَصِّصْ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ الْبُيُوتِ دُونَ بَعْضٍ، أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ جَمِيعُهَا، مَسَاجِدُهَا وَغَيْرُ مَسَاجِدِهَا، وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]..

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فَلْيُحَيِّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ، وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ يُفَصِّلُ اللهُ لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ فَيُبَيِّنُهَا لَكُمْ، كَمَا فَصَّلَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ فِيهَا، وَعَرَّفَكُمْ سَبِيلَ الدُّخُولِ عَلَىٰ مَنْ تَدْخُلُونَ عَلَيْهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦١﴾ [النور: ٦١] لِكَيْ تَفْقَهُوا عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَأَدَبَهُ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٢﴾ [النور: ٦٢].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مَا الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ الْإِيمَانِ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ﴾ وَإِذَا كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾ عَلَىٰ أَمْرٍ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مِنْ حَرْبٍ حَضَرَتْ، أَوْ صَلَاةٍ اجْتَمَعَ لَهَا، أَوْ تَشَاوُرٍ فِي أَمْرٍ نَزَلَ..

﴿لَّمۡ يَذۡهَبُواْ﴾ لَمْ يَنْصَرِفُوا عَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ..

﴿حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَنْصَرِفُونَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا كَانُوا مَعَكَ فِي أَمْرٍ جَامِعٍ، عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ لَهُمْ، طَاعَةً مِنْهُمْ للهِ وَلَكَ، وَتَصْدِيقًا بِمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ حَقًّا، لَا مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، فَيَنْصَرِفُ عَنْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْكَ لَهُ، بَعْدَ تَقَدُّمِكَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ..

﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾ فَإِذَا اسْتَأْذَنَكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ لَا يَذْهَبُونَ عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ..

﴿لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِمُ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ..

﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ فِي الِانْصِرَافِ عَنْكَ لِقَضَائِهَا..

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾ وَادْعُ اللهَ لَهُمْ بِأَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ عَنْ تَبِعَاتِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ..

﴿رَّحِيمٞ ۝٦٢﴾ [النور: ٦٢] بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ نَهَىٰ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِدُعَاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: اتَّقُوا دُعَاءَهُ عَلَيْكُمْ، بِأَنْ تَفْعَلُوا مَا يُسْخِطُهُ فَيَدْعُو لِذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا، فَلَا تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ مُوجِبَةٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْتُوا مِنَ الِانْصِرَافِ عَنْهُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ، وَالَّذِي بَعْدَهُ وَعِيدٌ لِلْمُنْصَرِفِينَ بِغَيْرِ

إِذْنِهِ عَنْهُ، فَالَّذِي بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ تَحْذِيرًا لَهُمْ سَخَطَهُ أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَىٰ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَهُمْ بِمَا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ بِالْقَوْلِ وَالدُّعَاءِ..

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُنْصَرِفُونَ عَنْ نَبِيِّكُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، تَسَتُّرًا وَخُفْيَةً مِنْهُ، وَإِنْ خَفِيَ أَمْرُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ.. وَاللِّوَاذُ: هُوَ أَنْ يَلُوذَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، يَسْتَتِرُ هَذَا بِهَذَا، وَهَذَا بِهَذَا..

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ فَلْيَتَّقِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ فِي الِانْصِرَافِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا بِإِذْنِهِ..

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الْكُفْرُ..

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] مُوجِعٌ، عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ ذَلِكَ، وَخِلَافِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ مُلْكُ جَمِيعِ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فَلَا يَنْبَغِي لِمَمْلُوكٍ أَنْ يُخَالِفَ أَمْرَ مَالِكِهِ فَيَعْصِيَهُ، فَيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَصْلُحُ لَكُمْ خِلَافُ رَبِّكُمُ الَّذِي هُوَ مَالِكُكُمْ، فَأَطِيعُوهُ، وَأْتَمِرُوا لِأَمْرِهِ وَلَا تَنْصَرِفُوا عَنْ رَسُولِهِ إِذَا كُنْتُمْ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ..

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِنْ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ وَيَوْمَ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ..

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فَيُخْبِرُهُمْ حِينَئِذٍ..

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا فِيهَا، مِنْ خِلَافِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ عَمِلْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَهُمْ وَغَيْرُكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مُوَفٍّ كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَجْرَ عَمَلِهِ يَوْمَ تُرْجَعُونَ إِلَيْهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

فِهرِسُ المَوْضُوعَاتِ